

جائزة نايف بن عبد العزيز آل سعود العالمية
للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة

فرع السنة النبوية

مكانة الصحابة وأثرهم في حفظ السنة النبوية
وواجب الأمة نحوهم

بحث

أ.د. خليل بن إبراهيم ملا خاطر

الدورة الخامسة

الطبعة الأولى ١٤٣١هـ

١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦

مَكانَةُ الصْحابَةِ، وَأَثَرُهُم في حِفْظِ السُّنَّة وَواجِبُ الأُمَّةِ نحوهم

بحث مقدم لجائزة نايف بن عبد العزيز آل سعود العالمية

للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة

عام ١٤٣١هـ-٢٠١٠م

إعـــداد

الأستاذ الدكتور

خليل بن إبراهيم ملا خاطر العزامي

أستاذ الحديث وعلومه، بجامعة طيبة

بالمدينة المنورة

((الـدورة الخامسـة))

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ/٢٠١٠م

一

الفهرس الإجمالي للكتاب

الباب الثالث

حرص الصحابة رضي الله تعالى عنهم على السنة النبوية ومحافظتهم عليها

الفصل الأول: محبتهم رضي الله تعالى عنهم لرسول الله ﷺ وتوقيره وتعظيمه.

الفصل الثاني: حرصهم رضي الله تعالى عنهم على السنة النبوية في حياة النبيِّ الكريم ﷺ.

الفصل الثالث: محافظتهم رضي الله تعالى عنهم على السنة النبوية بعد وفاته ﷺ.

الفصل الرابع: منهجهم رضي الله تعالى عنهم في تحمل السنة النبوية.

الفصل الخامس: منهجهم رضي الله تعالى عنهم في أداء السنة النبوية.

الباب الرابع

واجب الأمة نحو الصحابة رضي الله تعالى عنهم

الفصل الأول: محبة النبيِّ الكريم ﷺ لهم رضي الله تعالى عنهم، ورحمته بهم.

الفصل الثاني: محبتهم وتوقيرهم وتعظيمهم رضي الله تعالى عنهم.

الفصل الثالث: اعتقاد نجاتهم رضي الله تعالى عنهم يوم القيامة.

الفصل الرابع: اعتقاد عدالتهم رضي الله تعالى عنهم.

الفصل الخامس: طاعتهم واتّباعهم والأخذ بأقوالهم وأفعالهم رضي الله تعالى عنهم.

الفصل السادس: الدفاع عنهم رضي الله تعالى عنهم والتحذير من الطعن فيهم، ووجوب الإمساك عما حصل بينهم.

الفصل السابع: ثناء أئمة آل البيت عليهم رضي الله تعالى عنهم جميعاً.

- **الخاتمة.**
- **مصادر الكتاب.**
- **فهرس الكتاب.**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدِّمـــة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، القائل في محكم التنْزيل: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾[1].

والقائل: ﴿لَّقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ﴾[2].

والقائل: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾﴾[3].

والقائل في محكم كتابه: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾[4].

---

(١) سورة التوبة (١٠٠).

(٢) سورة التوبة (١١٧).

(٣) سورة الفتح (١٨-١٩).

(٤) سورة الفتح (٢٩).

والصلاة والسلام على الحبيبِ المحبوب، إمامِ الأنبياء، وخاتمِ الرسل الكرام، عليه وعليهم الصلاة والسلام، المخصوص بالشفاعة العظمى، والخصائص العظام، والمكرَّم بالمزايا الكرام، الرؤوف الرحيم،...

قال ﷺ: (خيرُ الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم...). متفق عليه(٥).

وقال ﷺ: (لا تسبوا أحداً من أصحابي، فإن أحدَكم لو أنفق مثلَ أُحُد ذهباً، ما أدرك مُدَّ أحدهم، ولا نصيفَه). متفق عليه(٦).

ورواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

وقال ﷺ: (...أصحابي أَمَنَةٌ لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون). رواه مسلم(٧).

وقال ﷺ عنهم: (أنتم شهداء الله في الأرض،...). متفق عليه(٨).

ورضي الله تعالى عن آل نبيه الكريم ﷺ؛ المكرَّمين الطَّيِّبين الطَّاهرين، وصحابته الأبرار الأخيار المتقين، والعلماء العاملين، والصالحين المصلحين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وجعلنا منهم، وحشرنا معهم، تحت لواء

---

(٥) صحيح البخاري: كتاب الشهادات: باب لا يشهد على شهادة جور إذا أُشهد، وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، رقم (٢١٤-٢١٥)، وفي غيرهما.

(٦) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة: باب حدثنا الحميدي. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب تحريم سب الصحابة رضي الله تعالى عنهم، رقم (٢٢٢).

(٧) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب بيان أن النبيّ ﷺ أمان لأصحابه، رقم (٢٠٧).

(٨) صحيح البخاري: كتاب الجنائز: باب ثناء الناس على الميت. وصحيح مسلم: كتاب الجنائز: باب فيمن يُثنى عليه بخير أو شر من الموتى، رقم (٦٠).

سيد المرسلين عليه وآله وصحبه ألف صلاة وتسليم.

أما بعـــد:

فقد أثنى الله سبحانه وتعالى على صحابة نبيِّه وصـــفيِّه ﷺ، وعـــدَّلهم، ومدحهم، أثبت لهم كمالَ الإيمان، وخالصَ اليقين، وأنهم مـــن الـــصادقين المتقين، الفائزين، الراشدين، المرحومين، المبشَّرين بالجنة، وأيَّد بهـــم حبيبَـــه وصفيَّه الكريم ﷺ، وجعلهم خيرَ أمةٍ أُخرجت للناس، وأنه تعالى قد تـــاب عليهم، ورضي عنهم ورضوا عنه، وأحبَّهم وأحبّوه،... يُفرِح بهم المـــؤمنين، ويُغيظ بهم الكافرين،... كيف لا؟ والله تعالى انتقاهم مـــن ســـائر خلقـــه، فجعلهم تعالى حظَّ نبيِّه وصفيِّه الكريم ﷺ من الأمم، وصحابةً وأصـــهاراً، وأنصاراً، وأعواناً، وأرحاماً،... له ﷺ.

أكرمهم الله تعالى بالرضا، وإنزال السكينة عليهم، وجعلهم المـــصطَفَيْن الأخيار، وجعلهم خيارَ الخلق بعد الأنبياء عليهم السلام، هم شهداءُ الله تعالى في أرضه، الظاهرون بالحق على الخلق، المؤيَّدون بحجته ونصرته، جعل تعالى وصفَهم -سابقاً على وجودهم- في الكتب السابقة، ووعـــدهم المغفـــرةَ، والأجرَ الجزيلَ، والفضل الكبير، وزاد في إيمانهم، بعد أن زيَّنـــه في قلـــوبهم، ألزمهم كلمةَ التقوى، وكانوا أحقَّ بها وأهلَها، أيَّد رسولَه وحبيبَه الكريمَ ﷺ بهم، واستجاب دعواتهم، وأنزل الملائكةَ مدداً لهم، وبشرى وطمأنةً لقلوبهم، وكرَّه إليهم الكفرَ والفسوقَ والعصيانَ.

وعَدهم الله تعالى الاستخلافَ في الأرض، وتمكـــينَ الـــدِّين، والأمـــنَ والأمان، وإزالةَ الخوف.

وصفهم عزَّ وجل برقَّة القلوب، وخشية الجوارح، وجريان الدموع، والخشوع، وعَدَهم الجنات والرضوان والخلود، وعدم تضييع الأعمال.

فهم رضي الله تعالى عنهم: حزبُ الله الغالبون، السابقون، المقرَّبون، المفلحون، الصادقون، الراشدون، المحسنون، الرِّبِّيُّون،... المؤمنون حقاً، العابدون، المخلصون، المهديُّون، أولو الألباب، المصطَفَون رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم.

لقد نزع تعالى من قلوبهم الغلَّ والحسدَ، والضغائنَ، وجعلهم إخوةً متحابين، فجاءت البشارةُ لهم والتكريم، مع النَّبيِّين والصِّدِّيقين والشهداء والصالحين؛ لأنهم: إما شهداء، أو صدِّيقون، أو صالحون،...الخ.

هم رضي الله تعالى عنهم خيرُ قُرون بني آدم، وهم أَمَنَةٌ لهذه الأمة، اختارهم الله تعالى ليكونوا أصحاباً لنبيِّه وصفيِّه الكريم ﷺ، ولا تزال الأمة بخير ما بقوا، لأنهم يُصلحون، كما يَصلُح الطعامُ بالملح، ويوم القيامة يشهدون للأنبياء عليهم السلام على أممهم، وقد شهد لهم رسول الله ﷺ. ولهذا أوصى ﷺ بهم، فيجب إكرامُهم، والدعاءُ لهم، والاستغفارُ لهم، والنهيُ عن سبِّهم أو بغضهم...

لأن الإنسان مهما فعل لن يصل إلى مستواهم. كيف وهم في مَعيَّة رسول الله ﷺ، لذا استحقوا في الآخرة الجنةَ، ولن تمس النارُ أحداً منهم.

هم سادات أهل الجنة، ومنهم من يدخل من أبواب الجنة الثمانية، ومن اهتز لموته عرشُ الرحمن، ومن نزل على رأيه القرآنُ، ومن سلَّم الله تعالى وملائكتُه عليه، ومن يعودُه جبريل عليه السلام، ومن تُظلّله الملائكةُ، وتنزل

عليه السكينةُ، ومن يطير في الجنة بجناحيه، لقد أعطاهم تعالى ما لم يعط أحداً من أتباع الأنبياء عليهم السلام، رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم.

هم أولُ من يجتاز على الصراط، وأولُ من يدخل الجنة، ومنهم من نورُه كضوء الشمس، رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم.

حبُّهم آيةُ الإيمان، وبغضُهم علامةُ النفاق، هم موضعُ سرِّ رسول الله ﷺ وبطانته، وخاصته. ومن أخافهم فقد أخاف رسول الله ﷺ،... رضـــي الله تعالى عنهم وأرضاهم.

لقد أوجب الله سبحانه وتعالى علينا -معشر من يأتي بعدهم- محبـــتَهم، والثناءَ عليهم، والاستغفارَ لهم، والترضِّيَ عليهم، ومـــوالاتهم،... واتبـــاعَ سبيلهم، وعدمَ بغضهم أو كراهيتهم.

قال الله تعالى -واصفاً حال المهاجرين والأنصار رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، ثم الذين يأتون من بعدهم رحمهم الله تعالى وكيف يكون حالهم: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾(٩).

ولهذا هدَّدَ الله تعالى الذي يشاقق رسولَه الكريمَ ﷺ، ويتّبع غيرَ ســـبيل

(٩) سورة الحشر (٨-١٠).

صحابته المؤمنين المخلصين رضي الله تعالى عنهم بالعذاب الأليم، والإلقاء في نار الجحيم، وسيء المصير.

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾[١٠].

من أراد رضاء الله تعالى، وله الرغبةُ في دخول الجنان، والخلود فيها، ومن يتمنّى الفوزَ العظيم من الله تعالى،... فلْيَسْعد باتّباعه الكامل لصحابة رسول الله ﷺ، ورضي الله تعالى عنهم، وإلاّ كان الشقيَّ الطريدَ الذليلَ البعيدَ، والعياذ بالله عز وجل.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾[١١].

فما موقفنا منهم؟ وما حالنا معهم؟ وما واجبنا نحوهم؟ رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم.

قال الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى[١٢] -عند قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾-: أمرهم الله سبحانه وتعالى بعد الاستغفار للمهاجرين والأنصار أن يطلبوا من الله سبحانه وتعالى أن ينزع من قلوبهم الغِلَّ للذين آمنوا على الإطلاق، فيدخل الصحابة

(١٠) سورة النساء (١١٥).

(١١) سورة التوبة (١٠٠).

(١٢) فتح القدير للشوكاني (٥: ٢٠٢).

-رضي الله تعالى عنهم- دخولاً أوَّلِيّاً، لكونهم أشرف المـؤمنين، ولكـون السياق فيهم.

فمَنْ لَمْ يستغفر للصحابة -رضي الله تعالى عنهم- على العموم، ويطلب رضوان الله لهم، فقد خالف ما أمره الله بهذه الآية، فإن وجد في قلبه غِـلاًّ لهم، فقد أصابه نزغ من الشيطان، وحل به نصيبٌ وافر مـن عـصيان الله، بعداوة أوليائه، وخير أمةِ نبيه الكريم ﷺ، وانفتح له بابٌ من الخذلان، يَفِدُ به على نار جهنم، إن لم يتدارك نفسه بـاللجوء إلى الله سـبحانه وتعـالى، والاستغاثة به، بأن ينـزع من قلبه ما طرقه من الغِلّ لخير القرون، وأشرف هذه الأمة.

فإن جاوز ما يجده من الغلّ إلى شتم أحد منهم، فقد انقـاد للـشيطان بزمام، ووقع في غضب الله وسخطه،...الخ، فانظر تتمته، فإنه مفيد.

وبعد، فقد سألني -على مدى السنوات الأخيرة- عدد من الأخوة مـن أهل العلم الشباب -نتيجة ما يسمعونه من شانئين- عن مدى أثر الـصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم في حفاظهم للسنة، وهل كتب أحدٌ منهم شيئاً منها؟ وما مدى صحة مقولة: أن السنة بُدئ بتدوينها في منتـصف القـرن الثالث الهجري؟

كما سألني آخرون منهم عن واجبنا نحو الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم، وهل نقطع بدخولهم الجنة؟

كما سألني آخرون منهم: هل ورد في القرآن الكريم ما يشير إلى مكانة الصحابة رضي الله تعالى عنهم؟

فأقول: لقد بدأت عنايتي بالصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم قبل نحو

(٤٦) عاماً، عندما كنتُ أُدرِّس السيرةَ النبويةَ في المسجد -في بلدي- وقد استهوت تلك الدروسُ كثيراً من الشباب، فكنتُ كلما رأيتُ واحداً منهم لازم تلك الدروس أُكنّيه باسم صحابي -بعد تفرسي فيه- وأطلب منه أن يبحثَ فيما يتصف به ذلك الصحابي؛ من أخلاق وصفات،... ويكتبها لي في ورقة صغيرة، فإذا أتى بها: أطلب منه أن يتحقّق بها.

وأرمي من وراء ذلك أمرين:

- إحياء أسماء الصحابة رضي الله تعالى عنهم في المجتمع، وقد تحقّق هذا ولله الحمد والمنة.
- إحياء أخلاق الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ولكني فارقت بلدي قبل نحو (٤٣) سنة، وأسأل الله تعالى أن يكون قد حقّق الثاني أو بعضَه.

ثم إني كتبتُ عدة كتب عن الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم، وكل واحد في جزئية معينة، لذا أحببتُ أن أكتب كتاباً شاملاً، يبيِّن مكانتهم في الإسلام، ومدى عنايتهم بالحفاظ على السنة النبوية، ثم ما هو واجب الأمة نحوهم،...الخ.

لذا أفردت هذه الرسالة لبيان ذلك، وجعلتها في مقدمة وتمهيد وأربعة أبواب:

أما التمهيد: فقد ذكرت فيه معنى الصحابي، وبيان طريقة معرفته، وعدم قبول مدعي الصحبة بعد عام (١١٠هـ) وبيان عددهم، وطبقاتهم، وآخر من مات منهم، وبيان أفضلهم رضي الله تعالى عنهم، ليكون مدخلاً للبحث.

الباب الأول: مكانة الصحابة رضي الله تعالى عنهم في القرآن الكريم.

الباب الثاني: مكانة الصحابة رضي الله تعالى عنهم في السنة النبوية.

الباب الثالث: حرص الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم على السنة النبوية وحفاظهم عليها.

الباب الرابع: واجب الأمة نحو الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

الخاتمـــــة، أسأل الله تعالى ختامها.

أسأل الله تعالى، أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، ويرزقني فيه الســـدادَ والصوابَ، ويقيني الزيغَ والضلالَ والفسادَ، وخطأَ القلم، وخلـــطَ الجنـــان، ويحضرني بالعصمة في قولي وعملي ونيتي واعتقادي، ويرزقني والمسلمين حبَّ رسوله الكريم عليه وآله الصلاة والسلام على الوجه الذي يرضيه، ويكرمني والمسلمين بمحبة صحابته الكرام رضي الله تعالى عنهم، وحسن الثناء عليهم، والترضّي عنهم، وطلب المغفرة والعفو عنهم، وأن يجعل صدورَنا سالمةً مـــن الغل والحقد والغش لهم جميعاً، وأن يهبنا لواحد منهم، ويحشرنا معهم تحت لواء الحبيب الكريم عليه وآله الصلاة والسلام.

وأسأل الله تعالى أن يرزقنا فهماً في كتابِه، وسنةِ رسوله الكريم ﷺ، وأن يرزقنا قولاً وعملاً يرضيه، ويجعلنا من خيرة عِباده وعُبّاده، ويغفر لي ولوالدي ولوالد والدي وأهلي وأبنائي وزوجي وذريتي وإخوتي ومشايخي وأحبـــابي، ومن يلوذ بي، وأن يجمعنا جميعاً في مستقر رحمته.

﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾(١٣).

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ

(١٣) سورة النمل (١٩).

وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[14].

واجعلني اللهم من الذين قلت فيهم:

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[15].

اللهم آمين، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

وصلّى الله تعالى وسلّم على سيدنا ومولانا وحبيبنا وشفيعنا محمد وعلى آله الطّيّبين الطّاهرين وأصحابه الكرام المبجّلين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

والحمد لله رب العالمين.

المدينة المنورة. ليلة الخميس: ٢٠ محرم الحرام ١٤٢٨هـ

وكتـــب

أبو إبراهيـــم

خليل بن إبراهيم ملاّ خاطر العزّامي

نزيل المدينـــة المنـــورة



(١٤) سورة الأحقاف (١٥).

(١٥) سورة الحشر (١٠).

تمهيد

تعريف عام بالصحابة رضي الله تعالى عنهم

أولاً : تعريف عام بالصحابة رضي الله تعالى عنهم.

ثانياً : طريقة معرفة الصحابي.

ثالثاً : عدم قبول مُدَّعي الصحبة بعد عام ١١٠هـ.

رابعاً : عدد الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

خامساً : طبقات الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

سادساً : آخر من مات من الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

سابعاً : أفضل الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

تمهيد

تعريف عام بالصحابة رضي الله تعالى عنهم

قبل البدء في بيان ما جاء في كتاب الله تعالى وفي سنة رسوله الكريم ﷺ من مناقب الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم، لا بد من بيان من هو الصحابي؟ وما طريقة معرفته؟ وبيان من آخر من مات منهم، وحكم من يدعي الصحبة بعد عام (١١٠هـ) وبيان عددهم، وطبقاتهم، ومن هو أفضلهم رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم.

أولاً: تعريف عام بالصحابة رضي الله تعالى عنهم:

لقد ذكر علماء الحديث عدة تعاريف للصحابي، وخير تعريف له ما ذكره الحافظان العراقي وابن حجر وغيرهما، رحمهم الله تعالى[١٦].

وهو: **أن الصحابي من لقي النبي ﷺ مؤمناً به، ومات على الإسلام.**

فيدخل في قوله: (من لقيه ﷺ) من طالت مجالسته للنبي الكريم ﷺ، أو قصرت، ومن روى عنه ﷺ، أو لم يروِ، ومن غزا معه ﷺ، أو لم يغزُ،...

ويدخل في قوله: **(مؤمناً به ﷺ)** كل مكلَّف من الجن والإنس، أما

(١٦) انظر: الإصابة (١: ٨) والرياض المستطابة (١١) وعلوم الحديث (٢٦٣) ومحاسن الإصلاح (٤٢٢-٤٢٦) والتقييد والإيضاح (٢٩١- وما بعدها) وتلقيح فهوم أهل الأثر (١٠٠-١٠١) والتقريب وشرحه التدريب (٢: ٢٠٨-٢١٢) وشَرحَي الألفية (٣: ٣-١٠) وفتح المغيث (٣: ٨٦ وما بعد) وإرشاد طلاب الحقائق (٢: ٥٨٦-٥٨٩) ونزهة النظر (٥٥-٥٦) والإحكام في أصول الأحكام، لابن حزم (٥: ٨٩-٩١).

الملائكة ففيه خلاف.

ويدخل في قوله: (**ومات على الإسلام**) من ارتد ثم عاد إلى الإسلام قبل أن يموت.

كما يخرج بقوله: (**مؤمناً به ﷺ**) من لقيه ﷺ كافراً به، ولو أسلم بعد ذلك، إذا لم يجتمع بالنبي الكريم ﷺ مرة ثانية وهو مؤمن، وكذا يخرج من كان مؤمناً بغيره ﷺ، كأهل الكتاب مثلاً.

ويخرج بقوله: (**ومات على الإسلام**) من لقيه ﷺ مؤمناً به، ثم ارتد، ومات على ردته، والعياذ بالله تعالى، وإن كان هؤلاء قلة[(١٧)]. كعبد الله بن خطل، وعُبيد الله بن جحش، وربيعة بن أمية بن خلف، ورجل من الأنصار كان يكتب للنبيّ ﷺ ثم ارتد، فمات فلفظته الأرض،... وأمثالهم.

وهذا التعريف بمحترزاته هو الصحيح المختار عند المحققين، كأحمد والبخاري ومن تبعهما رحمهم الله تعالى، والله تعالى أعلم.

قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى -بعد ذكره لعدد من التعاريف-: وفصل الخطاب في هذا الباب: أن الصحبة إذا أُطلقت فهي في المتعارف تنقسم إلى قسمين:

أحدهما: أن يكون الصاحبُ معاشِراً، مخالِطاً، كثيرَ الصحبة، فيقال: هذا صاحب فلان، كما يقال: خادمه، لمن تكررت خدمته، لا لمن خدمه يوماً، أو ساعة.

والثاني: أن يكون مصاحباً في مجالسةٍ، أو مماشاة، ولو ساعة، فحقيقة

(١٧) انظر: الردة، قديمها وحديثها، فقد استقصيت فيه من ارتد في العصر النبوي.

الصحبة موجودة في حقه، وإن لم يشتهر بها.اهـ.

ثم ذكر أن عموم العلماء على القول الثاني، وأنهم عدّوا في الصحبة من لم يغزُ معه ﷺ، ومن تُوفي رسولُ الله ﷺ وهو صغير السن، ومن وفد عليه ﷺ، ولو مرة،... وهكذا.

قلت: لكن لا خفاء برجحان رتبة من لازمه ﷺ، وقاتل معه، أو قُتل تحت رايته ﷺ، على من لم يلازمه، أو لم يحضر معه إلاّ مشهداً،... وإن كان شرفُ الصحبة حاصلاً للجميع، كما قرره الحافظ ابن حجر وغيرُه، رحمهم الله تعالى.

ثانياً: طريقة معرفة الصحابي:

لقد ذكر أهلُ العلم بالحديث -وكذا علماء الأصول- رحمهم الله تعالى: أن الشخص يُعرف كونُه صحابيّاً بخمسة أمور[18]، هي:

١- أن يثبت ذلك عن طريق التواتر أنه صحابي، كالعشرة المبشرين ونحوهم رضي الله تعالى عنهم.

٢- بالاستفاضة والشهرة التي لم تبلغ حد التواتر، كضِمام بن ثعلبة، وعُكّاشة[19] بن مِحْصَن، ونحوهما رضي الله تعالى عنهم.

٣- بقول صحابي معروف الصحبة: إنه صحابي مثلاً، كحُمَمَة بن أبي حُمَمَة الدوسي رضي الله تعالى عنه، الذي مات بأصبهان مبطوناً، فشهد له أبو

---

(١٨) انظر: الإصابة (١: ٨-٩) وعلوم الحديث (٢٦٤) والتقييد والإيضاح (٢٩٩، ٣٠١) وشَرحَي الألفية (٣: ١١-١٢) وفتح المغيث (٣: ٩٦ وما بعد) والتقريب وشرحه التدريب (٢: ٢١٣) ونزهة النظر (٥٦) وإرشاد طلاب الحقائق (٢: ٥٩٠).

(١٩) ضبط: بضم أوله وتشديد الكاف، وتخفيفها -وجهان- والتشديد أرجح.

موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه، أنه سمع النبي ﷺ حَكَمَ له بالشهادة.

٤- وهو ما زاده الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: أن يخبر آحادُ التابعين الثقات بأنه صحابي، بناء على قبول التزكية من الواحد، وهو الراجح، كما قال.

٥- أن يقول هو عن نفسه: إنه صحابي، لكن يُقبل هذا بشرطين:

أ - أن يكون ثابتَ العدالة، كما جزم به الآمديُّ وغيرُه؛ لأن قولَه قبل أن تثبت عدالته: أنا صحابي، أو ما يقوم مقام ذلك -يلزم من قبول قوله إثباتَ عدالته؛ لأن الصحابة رضي الله تعالى عنهم كلهم عدول، فيصير بمنْزلة قول القائل: أنا عدل، وذلك لا يقبل.

ب- المعاصرة، فيعتبر ذلك بمضي مائة سنة وعشر سنين، من هجرة النبي الكريم ﷺ، وذلك لما رواه الشيخان[٢٠] رحمهما الله تعالى، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما، قال: صلّى بنا رسول الله ﷺ ذات ليلة، العشاءَ في آخر حياته، فلما سلَّم قال: (أرأيتَكم ليلتَكم هذه؟ فإن على رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد).

زاد مسلم[٢١] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول -قبل أن يموت بشهر-: (أُقسم بالله، ما على

(٢٠) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب السمر في العلم، وكتاب مواقيت الصلاة: باب ذكر العشاء والعتمة، وباب السمر في الفقه والخير. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب قوله ﷺ: (لا تأتي مائة سنة وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم) رقم (٢١٧).

(٢١) صحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (٢١٨).

الأرض من نفس منفوسة اليوم يأتي عليها مائةُ سنة، وهي حية يومئذ)[٢٢].

وقد ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى ضابطاً يستفاد من معرفته صحبةُ جمع كثير، حيث قال[٢٣]:

١- كانوا لا يؤَمِّرون في المغازي إلاّ الصحابة، فمن تتبَّع الأخبارَ الواردةَ في الردة والفتوح وجد من ذلك شيئاً كثيراً.

٢- كانوا لا يُولد لأحدٍ مولودٌ، إلاّ أتى به النبيَّ ﷺ فدعا له، وهذا أمر مستفيض ومعلوم، يُؤخذ منه شيء كثير جداً أيضاً، والله تعالى أعلم.

٣- لم يبق بمكة والطائف أحدٌ سنة عشر إلاّ أسلم، وشهد حجة الوداع مع النبي المصطفى الكريم ﷺ،...إلخ، والله تعالى أعلم.

ثالثاً: عدم قبول مُدَّعي الصحبة بعد عام ١١٠هـ:

استناداً إلى الحديثين السابقين -وغيرهما مما لم أذكره هنا- وإلى الواقع العملي بموت آخر واحد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم عام (١١٠هـ) من الهجرة النبوية الشريفة: لم يقبل المسلمون -وعلى رأسهم علماؤهم- من ادَّعى الصحبةَ بعد ذلك، إذ ظهر كذّابون في القرن الرابع فما بعد، وادّعوا الصحبة، أمثال:

جُبير بن الحارث، حيث ادعاها سنة سبع وسبعين وخمسمائة. والربيع ابن محمود المارديني، الذي ادعاها سنة تسع وتسعين وخمسمائة. ورتن الهندي المتوفى سنة اثنتين وثلاثين وستمائة. وسَرْباتَك الهندي الذي زعم أنه عمَّر

(٢٢) انظر: أشراط الساعة، ومختصره، والسنة النبوية وحي -المجلد الثاني- فقد ذكرت روايات هذا الحديث.

(٢٣) الإصابة (١: ٩-١٠).

خمساً وعشرين وتسعمائة، ونُقل أنه مات وهو ابن قريب الثمانمائة، ومعمر بن بُريك الذي زعمها سنة تسع وعشرين وستمائة. ونسطور الرومي- ويقال: جعفر بن نسطور، ويُسر بن عبد الله الذي كان بمصر وله ثلاثمائة سنة[٢٤]، وقيس بن تميم الطائي الكيلاني الأشج، حيث حدَّث سنة سبع عشرة وخمسمائة بمدينة كيلان عن النبي الكريم ﷺ. وخوط بن مرة بن علقمة، حدَّث سنة ست وأربعين ومائتين عن النبي الكريم ﷺ[٢٥].

كما لم يقبل المسلمون من الذين ادّعوا السماعَ من الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم -وهم من المتأخرين مئات السنين- أمثال: أبي هدبة؛ إبراهيم ابن هدبة، الذي حدَّث عن أنس رضي الله تعالى عنه بعد المائتين، وخراش بن عبد الله الطحان الذي حدَّث عن أنس رضي الله تعالى عنه بعد المائتين وعشرين، ودينار؛ أبي مكْيَس الحبشي، الذي حدَّث عن أنس رضي الله تعالى عنه بعد الأربعين ومائتين، وعثمان بن الخطاب أبي عمرو البلوي المغربي أبي الدنيا الأشج، الذي حدَّث عن علي رضي الله تعالى عنه ببغداد بعد الثلاثمائة، وكثير بن سُليم، الذي حدَّث عن أنس رضي الله تعالى عنه بعد السبعين ومائة، وقيل: بعد المائتين، وموسى بن عبد الله الطويل، الذي زعم أنه رأى عائشة رضي الله تعالى عنها، وحدَّث عن أنس رضي الله تعالى عنه بعد المائتين، ونافع بن هرمز -أبي هرمز- ونجدة بن عامر -أو ابن عمير- الحروري، ويُسر مولى أنس، ويعلى بن الأشدق العقيلي، كان حياً أيام الرشيد في خلافته، ويغنم بن سالم بن قنبر، رآه يونس بن عبد الأعلى في

(٢٤) انظر تراجمهم في ميزان الاعتدال، وفي لسان الميزان.

(٢٥) انظر: تنـزيه الشريعة (٢: ٣٧-٤٥).

مصر، وأبي خالد السقا، الذي حدَّث سنة تسع ومائتين عن ابن عمر وأنس رضي الله تعالى عنهم، فكل هؤلاء كذّابون دجّالون(٢٦).

ونظم غالبَ الصنفين الحافظُ ابن ناصر الدين رحمه الله تعالى، فقال(٢٧):

إذا جاء مرفوعاً حديثٌ لستة ... فعد ولا تَقْبَل فذاك تخرص

رتن، وابن نسطور، ويُسر، ومعمر ... وسَرْبَاتَك، ثم الربيع المقلص

ولا تقبلوا عن صاحب قول نجدة ... أبي خالد السقا، ويغنم فاحرصوا

ويُسر، ودينار، خراش، أشج، ... فتى بكرٍ دار ابن هدبة يرقص

رابعاً: عدد الصحابة رضي الله تعالى عنهم:

أما عددهم فليس له ضابط يحصيهم رضي الله تعالى عنهم لكثرتهم(٢٨).

وقد ورد عن أبي زرعة الرازي رحمه الله تعالى قوله: قُبض رسول الله ﷺ عن مائة ألف وأربعة عشر ألفاً من الصحابة، ممن رَوى عنه، وسمع منه، ورآه، من رجل وامرأة.اهـ.

وقد ورد غير ذلك. لكن المذكور في كتب الصحابة لا يصل إلى عشر ذلك.

فقد قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في كتابه الإصابة: لم يحصل لنا من ذلك جميعاً الوقوف على العشر من أسامي الصحابة، بالنسبة لما جاء عن

(٢٦) انظر تراجمهم في ميزان الاعتدال، وفي لسان الميزان.

(٢٧) فتح المغيث (٣: ١٠) وانظر لسان الميزان (٢: ٤٤٦-٤٤٧).

(٢٨) انظر: الإصابة (١: ٢-٣) والرياض المستطابة (١٥-١٦) وفتح المغيث (٣: ١١١) وعلوم الحديث (٢٦٧-٢٦٨) ومحاسن الاصطلاح (٤٣٢) والتقييد والإيضاح (٣٠٥-٣٠٦) وشَرحَي الألفية (٣: ١٩-٢٠) وتدريب الراوي (٢: ٢٢٠) وتلقيح فهوم أهل الأثر (١٠٢-١٠٣) والإرشاد (٢: ٥٩٧) وغيرها.

أبي زرعة الرازي.اهـ.

وأكبر كتاب ذكر تراجم الصحابة رضي الله تعالى عنهم هو الإصابة للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى، وقد حوى -بأقسامه الأربعة، مع تكرار بعضهم -(١٢٣٠٤).

خامساً: طبقات الصحابة رضي الله تعالى عنهم[٢٩]:

لقد قسم ابن سعد رحمه الله تعالى الصحابةَ رضي الله تعالى عنهم إلى خمس طبقات[٣٠]، بينما قسمهم الإمام الحاكم رحمه الله تعالى إلى اثنتي عشرة طبقة، وتبعه من جاء بعده، وهذه هي عناوين الطبقات التي ذكرها الإمام الحاكم رحمه الله تعالى:

الطبقة الأولى: قدماء المسلمين، الذين أسلموا بمكة قديماً، كالخلفاء الراشدين وغيرهم رضي الله تعالى عنهم.

الطبقة الثانية: أصحاب دار الندوة رضي الله تعالى عنهم.

الطبقة الثالثة: المهاجِرة إلى الحبشة رضي الله تعالى عنهم.

الطبقة الرابعة: أصحاب بيعة العقبة الأولى رضي الله تعالى عنهم، ولهذا يقال: فلان عقبي، نسبة إلى أهل البيعة.

الطبقة الخامسة: أصحاب بيعة العقبة الثانية رضي الله تعالى عنهم، وأكثرهم من الأنصار.

(٢٩) انظر: معرفة علوم الحديث (٢٢-٢٤) والرياض المستطابة (١٦) والباعث الحثيث (١٨٤) وفتح المغيث (٣: ١٤ وما بعد) والتقريب مع التدريب (٢: ٢٢١ وما بعد) والإرشاد (٢: ٦٠٣-٦٠٤) والمصباح (٢٢٧-٢٢٨).

(٣٠) المراد بالطبقة: جماعة من الناس تتفق في شيء واحد، كأن يكون الشيوخ والتلاميذ في زمن واحد، والله تعالى أعلم.

الطبقة السادسة: أول المهاجرين رضي الله تعالى عنهم الذين وصلوا إلى رسول الله ﷺ، وهو بقباء، قبل أن يدخل المدينةَ، ويبني ﷺ مسجدَه.

الطبقة السابعة: أهل بدر رضي الله تعالى عنهم.

الطبقة الثامنة: الذين هاجروا إلى المدينة بين بدر والحُدَيْبِيَة رضي الله تعالى عنهم.

الطبقة التاسعة: أهل بيعة الرضوان في الحُدَيْبِيَة رضي الله تعالى عنهم.

الطبقة العاشرة: المهاجِرة بين الحُدَيْبِيَة وفتح مكة، منهم خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وأبو هريرة،...وفيهم كثرة رضي الله تعالى عنهم.

الطبقة الحادية عشرة: مسلمة الفتح، الذين أسلموا يوم فتح مكة، وهم جماعة من قريش رضي الله تعالى عنهم.

الطبقة الثانية عشرة: صبيان وأطفال رأوا رسول الله ﷺ يوم الفتح، وفي حجة الوداع، وغيرهما، وعدادهم في الصحابة رضي الله تعالى عنهم، والله تعالى أعلم.

سادساً: آخر من مات من الصحابة رضي الله تعالى عنهم(٣١):

* إن آخر من مات من الصحابة رضي الله تعالى عنهم على الإطلاق، هو: أبو الطفيل: عامر بن واثلة الليثي رضي الله تعالى عنه، كما جزم به غير واحد، خلافاً لما توهمه بعض العلماء من وجود غيره بعده، لاعتمادهم على روايات ضعيفة، أو منكرة، أو خطأ.

(٣١) انظر: معرفة علوم الحديث (٤٢-٤٣) والرياض المستطابة (١٨) وعلوم الحديث (٢٧٠-٢٧١) والتقييد والإيضاح (٣٠٠-٣٠١، ٣١٢-٣١٧) وشَرحَي الألفية (٣: ٣٣ وما بعد) والتقريب مع التدريب (٢: ٢٢٨-٢٣٢) وفتح المغيث (٣: ١٢٧وما بعد).

وكانت وفاة أبي الطفيل رضي الله تعالى عنه بمكة المكرمة، سنة عشر ومائة، وصححه الذهبي أيضاً، وقيل: بل قبل ذلك.

* أما آخر من مات من الصحابة رضي الله تعالى عنهم في بقية المدن:

- فآخر من مات من الصحابة رضي الله تعالى عنهم بالمدينة المنورة، هو: محمود بن الربيع، سنة (٩٩ وقيل: ٩٦) وقيل: بل سهل بن سعد الساعدي، ومات سنة (٨٨) رضي الله تعالى عنهم.

- وآخر من مات من الصحابة رضي الله تعالى عنهم بالشام: عبد الله بن بُسر المازني رضي الله تعالى عنه.ومات سنة (٨٨ وقيل: ٩٦).

- وآخر من مات من الصحابة رضي الله تعالى عنهم بالكوفة: فقيل: عبد الله بن أبي أوفى رضي الله تعالى عنه، سنة ست أو سبع، أو ثمان وثمانين، وقيل: بل عمرو بن حُريث رضي الله تعالى عنه، سنة (٨٥).

- وأما آخر من مات من الصحابة رضي الله تعالى عنهم بالبصرة: فهو أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، سنة (٩٢ وقيل: ٩٣).

- وآخر من مات من الصحابة رضي الله تعالى عنهم بمصر: عبد الله بن الحارث بن جَزْء رضي الله تعالى عنه، سنة (٥، ٦وهو أصح، ٧، ٨٨).

- وأما آخر من مات من الصحابة رضي الله تعالى عنهم باليمامة: فهو الهرماس بن زياد الباهلي رضي الله تعالى عنه، (بعد المائة)... إلى غير ذلك.

سابعاً: أفضل الصحابة رضي الله تعالى عنهم[٣٢]:

- أما أفضل الصحابة رضي الله تعالى عنهم -على الإطلاق: فأبو بكر، ثم عمر رضي الله تعالى عنهما- بإجماع أهل السنة، ثم عثمان، ثم علي رضي الله تعالى عنهما، وهذا قول الجمهور منهم، ثم اتفقوا بعد ذلك.

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى[٣٣]: أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رضي الله تعالى عنهم.اهـ.

وقال[٣٤]: لم يجدوا -أي الصحابة رضي الله تعالى عنهم- تحت أديم السماء خيراً من أبي بكر الصِّدِّيق، فولَّوه رقابَهم.اهـ.

قال إبراهيم بن عبد الله الحجبي: ما رأيت هاشمياً يفضّل أبا بكر على عليٍّ. قال له الشافعي: علي بن أبي طالب: ابنُ عمي وابن خالتي، وأنا رجل من بني عبد مناف، وأنت رجل من بني عبد الدار، ولو كانت هذه مكرمةً لكنتُ أولى بها منك، ولكن ليس الأمر على ما تحسب.اهـ[٣٥].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى[٣٦]: إن الإجماع انعقد بين أهل السنة

(٣٢) انظر: علوم الحديث (٢٧٨) والرياض المستطابة (١٧) ومحاسن الاصطلاح (٤٣٣) وشَرحَي الألفية (٣: ٢٣) والتقريب مع التدريب (٢: ٢٢٢ وما بعد) وفتح المغيث (٣: ١١٥) ومختصر علوم الحديث (١٨٣-١٨٤) وغيرها.

(٣٣) مناقب الشافعي للبيهقي (١: ٤٣٢-٤٣٣، ٤٣٣) ومعرفة السنن والآثار (١: ١٩٢-١٩٣) وتاريخ دمشق، ومناقب الإمام الشافعي، لابن كثير (١٩٤).

(٣٤) انظر: مناقب الشافعي للبيهقي، ومعرفة السنن والآثار (١: ١٩٣، ١٩٤).

(٣٥) انظر المصادر السابقة -لكن فيها تصحيف- والإمام الشافعي وأثره في الحديث وعلومه، فقد ذكرت كثيراً من مثل هذه الأقوال.

(٣٦) فتح الباري (٧: ٣٤).

أن ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة رضي الله تعالى عنهم أجمعين.اهـ.

ثم تتمة العشرة المبشرين بالجنة، ثم أهل بدر، ثم أهل أحد، ثم أهل بيعة الرضوان يوم الحُدَيْبِيَة،... وهكذا رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

- والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار: أفضل ممن جاء بعدهم رضي الله تعالى عنهم، وفي كلٍّ خير، والله تعالى أعلم.

ويوضح هذا قوله ﷺ لمتأخري الإسلام: (أما تاركو لي صاحبي، فوالله لو أنفق أحدُكم مثلَ جبل أُحُدٍ ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نَصيفَه). متفق عليه(٣٧).

- أما فضل الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عنهم، وعلو مقامهم، وبيان فضلهم، وسامق شرفهم،... عند الله تعالى وعند رسول الله ﷺ؛ فهذا ما سأتكلم عليه بإذن الله تعالى في هذا الكتاب، ذاكراً ما جاء في القرآن الكريم(٣٨)، وإن كان بشكل مختصر، إذ لا يمكن أن أوفيهم حقهم، وهم حملة الشريعة، ومبلِّغو كتاب الله عز وجل، وناشرو سنة رسول الله ﷺ، وفاتحو البلدان، ومعلمو دين الله عز وجل، وناقلوه إلى الأمصار،... رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، وحشرنا معهم في صحبة رسول الله ﷺ، في مقعد صدق عند مليك مقتدر، اللهم آمين.

---

(٣٧) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة: باب حدثنا الحميدي. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب تحريم سب الصحابة رضي الله تعالى عنهم، رقم (٢٢٢).

(٣٨) أما من أراد أن يعرف ما ورد في السنة النبوية الشريفة من بيان فضل العشرة المبشرين رضي الله تعالى عنهم وعلو منزلتهم؛ فلينظر في (فضائل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم) في الباب الثالث.

وسيأتي في الباب الرابع بيان عدالتهم، وثناء أئمة آل البيت عليهم رضي الله تعالى عنهم جميعاً، والتحذير من الطعن فيهم، والإمساك عمّـا حـصل بينهم، وموقف الأمة منهم. كما سأذكر مقارنة بينهم رضي الله تعالى عنهم وبين أتباع موسى وعيسى عليهما السلام، ليظهر الفارق الكبير بين مقامهم ومقام من سبقهم من أتباع الرسل عليهم السلام.

رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، وحشرنا على محبتهم، وفي معيتـهم، تحت لواء النبي المصطفى الكريم ﷺ، آمين.





مكانة الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم في القرآن الكريم

مقدمة الباب الأول

لقد وردت آيات كثيرة في الكتاب الكريم في مدح الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم، والثناء عليهم، وإظهار فضلهم، وبيان صفاقم، وعلوِّ مقامهم، ورفعة مكانتهم، وما لهم عند الله سبحانه وتعالى في الآخرة، وما وعدهم تعالى به في الدنيا، وأنه تعالى اختارهم من كل الخلق ليكونوا صحابةً لنبيِّه الكريم ﷺ وأصهارَه، وأنصارَه، وأرحامَه، وحملةَ شرعه، ومبلِّغي دينه، ومنفِّذي أوامره ونواهيه، لذا كانوا خيرَ الأمم،... رضوان الله تعالى عليهم.

لقد جاءت الآيات القرآنية الكريمة مصرِّحة بكمال إيمانهم، ورضاه تعالى عنهم، ورضاهم عنه سبحانه وتعالى، وتوبته عليهم، وغفرانه لهم، وما ألَّفه تعالى بين قلوبهم، وكيف صاروا كالجسد الواحد، وما لهم من الخيرات، وما لهم من الفلاح، وما أكرمهم به من الوعد بالجنان، والخلود فيها، وما وقر في قلوبهم من التصديق التام، وما أنزله تعالى عليهم من السكينة، وما وعدهم من الفتوحات والتمكين، وما جعله تعالى في الكتب السابقة من بيان أوصافهم، وما نصرهم به، وما أمدهم به من أمداد السماء تقاتل معهم، وتُثبِّت قلوبَهم، وما خصهم به من ولايته تعالى لهم، وما أيَّد الله تعالى بهم رسولَه وصفيَّه الكريم ﷺ.

وإذا كان الله عز وجل قد أعلن عن رضاه تعالى عنهم، فهل يسخط عليهم! حاشا وكلاَّ، لأن وعده تعالى لن يتخلف.

وإذا كان الله تعالى أخبر عنهم بزيادة الإيمان، وأن إيمانَهم هو الإيمان

الحق، وأنهم هم المؤمنون حقاً فهل يخبرنا عما ليس كذلك؟ حاشا وكلاَّ؛ لأنه تعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

وإذا كان الله تعالى أخبر عنهم بأنهم خالدون في الجنة، فهل يمكن أن يرتدوا؟! حاشا وكلاًّ؛ لأنه تعالى لا يخبرُ بخلاف الواقع، وحاشا أن يخبر أنهم مخلَّدون في الجنان، كاملو الإيمان،... وهو يعلم منهم خلاف ذلك.

فما أخبر به تعالى هو الحق، وما ينطق به تعالى فهو الواقع الصدق، وما يقوله المولى جل شأنه فهو الجزم واليقين، وكل من يعتقد بخلاف ما قاله وأخبر به سبحانه وتعالى، وما وعد به، وما جزم به،... فهو الباطل، وعلى صاحبه التوبةُ والرجوعُ إلى ربه تعالى والإنابة إليه، والاستغفار مما وقع في قلبه، وجَنَتْهُ يداه، أَوْ فاهَ به لسانُه.

وإذا كان الله تعالى قد وصف الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم في كتابه الكريم بصفات الكمال والجمال، بأنهم المؤمنون حقاً، الصادقون، الفائزون، الراشدون، المبشَّرون بالجنة، أهل التقوى، وأهل المغفرة، وأهل الصحبة، وأهل المرحمة،... وقوله تعالى هو الحق المبين، وليس بعد الحق إلاّ الضلال،...فهل يصفهم وهم لا يستحقون ذلك؟ معاذ الله تعالى، وهل أُكره سبحانه وتعالى على ذلك؟ معاذ الله عز وجل وتعالى عن ذلك علواً كبيراً، وهل رُشي على ذلك؟ حاشا وكلاّ، ومعاذ الله تعالى، وكبرت كلمة تخرج من أفواه أعداء الله تعالى كذباً وزوراً وبهتاناً.

إن الله تعالى يفعل ما يشاء ويختار، لا يُسأل عما يفعل، ولا رادَّ لحكمه وقضائه، ولا يستطيع أحدٌ ردَّ قوله أو حكمه أو قضائه، لأنه تعالى هو المدبِّر في هذا الكون، وهو على كل شيء قدير.

لذا فما أخبر به عز وجل عن فضل ومقام ومناقب ومآثر،... صحابة رسول الله ﷺ، وما أثنى عليهم، ومدحهم به، وقرَّره في حقهم،... فكل ذلك -مع كونه هو الحق- يعطينا دلالةً قاطعةً على اختياره تعالى لهم؛ ليكونوا صحابةً لرسوله الكريم ﷺ، وأصهاراً وأنصاراً، وليكونوا خير أمة أخرجت للناس،...

وجاءت الآيات الكريمات في شأن الصحابة رضي الله تعالى عنهم على نوعين: إما وردت عنهم جملة. وإما نزلت في أفراد منهم، ويُعرف هذا بسبب النُّزول.

وكل ما جاء من مدح ووصف لهذه الأمة، فهم رضي الله تعالى عنهم داخلون فيه دخولاً أوليّاً.

وقد قرأت كتابَ الله تعالى عدةَ مرات، وجمعتُ الكثيرَ من الآيات الواردة فيهم، كما أني قرأت ما ذكره أصحابُ أسباب النُّزول -لكني أعتقد أنه قد فاهم الكثير- وقرأتُ عامّةَ كتب التفسير -لكني أعتقد أني قد فاتني الكثير أيضاً- لكن لن أذكر كلَّ آية جاءت في بيان مناقبهم رضي الله تعالى عنهم ومآثرهم وفضلهم،... إنما سأقتصر على ثمانين نصّاً، ولا أعني آية، فقد يكون في النص الواحد عدة آيات فيما ورد فيهم، والقليلُ يدل على الكثير، فلو ورد فيهم آيةٌ واحدةٌ لكفاهم فخراً، فكيف وقد ورد فيهم العدد الكبير- فيها المدح والثناء،... عليهم رضي الله تعالى عنهم، وبيان فضلهم، وعلو مقامهم، وما لهم عند الله تعالى في الآخرة، وما وعدهم تعالى به في الدنيا، وأنه تعالى قد اختارهم من كلِّ الخلق ليكونوا صحابةً لرسوله الكريم ﷺ، وأصهاراً وأنصاراً وأرحاماً له، وأن يكونوا خير الأمم. لأن القصد هو التنبيه

على بيان فضلهم، وعلو مقامهم، وكريم خصالهم،... والثناء عليهم من رهم سبحانه وتعالى، ورضاه تعالى عنهم، ومدحه سبحانه وتعالى لهم،...

ليعلم المسلم أن قولَ الله تعالى هو الحق فيتبعه، ولتقع زيادة اليقين في قلبه، في مناقب هؤلاء الأخيار رضي الله تعالى عنهم، وأن ما جزم به علماءُ الأمة -من سلفها إلى خلفها- هو الحق، وهم يتّبعون في ذلك قولَ الله تعالى وقولَ رسوله الكريم ﷺ، وأن ما سواه هو الباطل، والضلال المبين، واتباع للشيطان الرجيم، واقتفاء لأعداء الإسلام من خارج الحدود، فلا يسمع لقول ناعق كغرابٍ يجرُّ البينَ على نفسه، والعياذ بالله تعالى.

والمنهج الذي اتّبعته في هذ الباب:

- أذكر الآيات، بعد وضع عنوان عليها، أخذته من الآيات الكريمة.
- رتبت الآيات حسب ترتيب المصحف الشريف، سواء كانت عامة، أو خاصة.
- قد أذكر أسباب النُّزول، حسب وضوح الدلالة أو خفائها.
- أذكر معنى إجماليّاً للآيات، وهو مأخوذ من مختلف كتب التفسير، لكن سقته بعبارتي، لذا تعتبر كتب التفسير كلها مصادر لذلك المعنى.
- أذكر ما يؤخذ من تلك الآيات من فوائد، تبيّن منْزلة الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ومكانتهم، ولا أطيل في بيانها. مع التركيز على شهادة الله تعالى لهم بالإيمان والتقوى والمكانة، وإخباره تعالى بما لهم يوم القيامة،...
- أذكر بعض الآيات الأخرى أو الأحاديث الشريفة زيادة في التوضيح.

وصلّى الله تعالى وسلّم على سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد، وعلى آله الطّيِّبين الطّاهرين، وصحابته الكرام المبجّلين، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين. والحمد لله رب العالمين.

ومن تلك الآيات ما يلي:

١ - هم عدول، وهم شهداء على الناس:

قال الله عز وجل: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[٣٩].

لما تحولت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة، وقال اليهود والمشركون والمنافقون ما قالوا؛ بيَّن الله سبحانه وتعالى أنه اختار هذه الأمة -وأولها الصحابة رضي الله تعالى عنهم الذين تحوَّلوا مع رسول الله ﷺ من جهة بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة- لتكون خيارَ الأمم، وشاهدةً على الأمم،... ثم بيَّن سبحانه وتعالى أن تحوُّلَ القبلة الذي حصل هو كبير عظيم على النفوس، إلاّ على الذين هداهم الله تعالى، وأيقنوا بالتصديق الكامل لرسول الله ﷺ -وهم الصحابة رضي الله تعالى عنهم- وأما من مات منهم قبل تحوُّل القبلة فإن الله سبحانه وتعالى لن يُضيِّع أجرهم وثوابهم واتباعهم لنبيهم ﷺ. ففي هذه الآية:

أ - قضاء الله تعالى الجعلي، حيث اختارهم تعالى ليكونوا خير الأمم؛ وجعلهم كذلك، لأن الوسط هو الخيار والأجود. فكونهم خير الأمم -والصحابةُ رضي الله تعالى عنهم خير قرون بني آدم- ليس باختيارهم لأنفسهم، ولا نالوه بعملهم، إنما هو بجعل الله تعالى لهم، وتمكينه إياهم،

(٣٩) سورة البقرة (١٤٣).

لذا صدر منهم ما يؤهلهم للدرجة التي وضعهم تعالى فيها.

ب- هم عدولٌ، مأمونون، ثقات، مقبولو الشهادة، لأن الوسط هو العدل- كما قاله ﷺ، وسيأتي ذكرُه في الباب الرابع في عدالة الصحابة رضي الله تعالى عنهم

ج- ليكونوا شهداء للأنبياء عليهم السلام على أممهم، وقد أوضحت هذا في (عظيم قدره ﷺ) وفي (الخصائص) فانظره فيهما.

د- لا شاهد عليهم سوى رسول الله ﷺ، وهذا من فضل الله تعالى عليهم وعلى الأمة بعدهم، حتى لا يفضحها الله تعالى أمامَ أحدٍ من الخلق.

هـ- نجاحُهم في الامتحان الذي امتحن الله تعالى فيه الخلق عند تحويل القبلة إلى الكعبة، حيث ظهر اتِّباعُهم وطاعتُهم وتصديقُهم لرسول الله ﷺ، فاستقبلوا معه حيث توجه.

بل ظهر هذا وهو غير حاضر، عندما أخبر بعضُ الصحابة رضي الله تعالى عنهم أهلَ مسجد قباء في صلاة الفجر، أنه صلّى مع رسول الله ﷺ، وأنه أُمر بالتوجه إلى الكعبة، فما كان منهم إلاّ أن استداروا، واستقبلوا الكعبة، كما في حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما المتفق عليه، وكذا في مسجد بني سلمة -وهم ركوع، وقد صلوا ركعة، فاستداروا، كما في حديث أنس رضي الله تعالى عنه عند مسلم. وكذا في بعض مساجد الأنصار -وهم في صلاة العصر- فتوجهوا نحو القبلة، كما في حديث البراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما- المتفق عليه(٤٠).

---

(٤٠) انظر: فضائل المدينة المنورة (٢: ٣٩٩-٤١٢) حيث ذكرت النصوص، والجمع بينها، والمساجد التي حصل فيها التحويل.

فكل هذا دال على دقة اتباعهم، وفرط طاعتهم، وحسن امتثالهم رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم.

و- شدة اتّباعهم للنبي الكريم ﷺ، وتصديقهم له، وعدم الخروج عن فعله، ولو خالف هواهم.

ز- هداية الله سبحانه وتعالى في قلوبهم، وإيقانهم بتصديق رسول الله ﷺ، ومن قَذْف الله سبحانه وتعالى في قلوبهم من الإيمان والهداية والتوفيق والتصديق،... حتى سهل عليهم ذلك من غير نكير، ولا اعتراض. بل هو التسليم الكامل، والاتباع التام .

ح- تسمية الله تعالى الصلاة إيماناً، دلالة على مكانتها عنده تعالى، علماً بأن هذه الآية هي جواب لسؤال بعض الصحابة عمن مات قبل تحويل القبلة.

عن البراء رضي الله تعالى عنه، أن النبيَّ ﷺ كان أولَ ما قدم المدينةَ نزل على أجداده -أو قال أخواله- من الأنصار، وأنه صلّى قِبَل بيت المقدس ستةَ عشر شهراً أو سبعةَ عشر شهراً، وكان يُعجبه أن تكون قبلتُه قِبَل البيت،... الحديث بطوله في تحويل القبلة، وفي آخره: أنه مات على القبلة قَبل أن تُحوَّل رجالٌ وقتلوا، فلم نَدْرِ ما نقول فيهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾. لفظ البخاري[41].

* عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما وُجِّه رسول الله ﷺ إلى الكعبة قالوا: يا رسول الله؛ فكيف بمن مات من إخواننا قبل ذلك، الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ

(٤١) صحيح البخاري: كتاب الإيمان: باب الصلاة من الإيمان، وفي غيرهما.

إِيمَـٰنَكُمۡ ﴾. رواه الطيالسي وأحمد والدارمي وأبو داود، والترمذي وابن حبان والحاكم وصححوه، وأقره الذهبي(٤٢).

ط- تأكيد الله تعالى على إيمانهم، وأنه تعالى لن يضيِّعه لهم؛ دلالةٌ على علوِّ منْزلتهم رضي الله تعالى عنهم عنده تعالى، لهذا كان هذا الوصف من أهم أوصافهم رضي الله تعالى عنهم.

ي- عناية الله سبحانه وتعالى بهم، وحفظه لهم أعمالهم الصالحة، وإن تغير الزمان، واختلف الحال، والمكان، كيف وهو الرؤوف الرحيم.

٢- من باع نفسه لله تعالى ابتغاء مرضاته:

قال الله عز وجل: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾(٤٣).

هذه الآية الكريمة نزلت في صُهيب الرومي رضي الله تعالى عنه، لما أراد أن يهاجر من مكة إلى المدينة، ومنعه قومُه، فقال لهم: إنما منعتموني من أجل مالي، فإن أعطيتكم مالي وما كان لي تخلُّون عني حتى ألحق بمحمد ﷺ؟ فرضوا بذلك، فنَزلت هذه الآية فيه قبل وصوله رضي الله تعالى عنه إلى المدينة.

* عن صهيب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أُريتُ دارَ

---

(٤٢) مسند الطيالسي (٣٤٩ رقم ٢٦٧٣)، وسنن الدارمي (١: ٢٢٥ رقم ١٢٣٨)، ومسند أحمد (١: ٢٩٥، ٣٠٤-٣٠٥، ٣٢٢، ٣٤٧)، وسنن أبي داود: كتاب السنة: باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، رقم (٤٦٨٠)، وسنن الترمذي: كتاب التفسير: باب ومن سورة البقرة، رقم (٢٩٦٤)، والمستدرك (٢: ٢٦٩)، وصحيح ابن حبان (٤: ٦٢٠-٦٢١)، والمعجم الكبير (١١: ٢٧٨).

(٤٣) سورة البقرة (٢٠٧).

هجرتكم: سبخة بين ظهراني حرة، فإما أن تكون هَجراً، أو تكون يثرب).

قال: وخرج رسولُ الله ﷺ إلى المدينة، وخرج معه أبو بكر رضي الله تعالى عنه، وكنتُ قد هممت بالخروج معه، فصدَّني فتيان من قريش، فجعلت ليلتي تلك أقوم ولا أقعد. فقالوا: قد شغله الله عنكم ببطنه، ولم أكن شاكياً. فقاموا فلحقني منهم ناس، بعد ما سرتُ بريداً، ليردُّوني، فقلت لهم: هل لكم أن أعطيكم أواقيَ من ذهب، وتخلُّون سبيلي، وتفون لي؟ فتبعتُهم إلى مكة. فقلت لهم: احفروا تحت أسكفة الباب، فإن تحتها الأواق، واذهبوا إلى فلانة فخذوا الحلَّتين، وخرجتُ، حتى قدمتُ على رسول الله ﷺ قبل أن يتحوَّل منها -يعني قباء- فلما رآني قال: (يا أبا يحيى ربح البيع) -ثلاثاً-.

فقلت: يا رسول الله، ما سبقني إليك أحد، وما أخبرك إلاّ جبريلُ عليه السلام. رواه الحاكم وصححه، وأقره الذهبي(٤٤).

* زاد أنس رضي الله تعالى عنه في روايته لهذا الحديث: ونزلت على النبي ﷺ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾ الآية.

فلما رآه النبي ﷺ قال: (أبا يحيى، ربح البيع) وتلا عليه الآية. رواه الحاكم وصححه على شرط مسلم(٤٥).

وجاء في رواية أخرى(٤٦)، لما دنا من المدينة؛ تلقاه أبو بكر وعمر بن الخطاب في آخرين رضي الله تعالى عنهم، وقالوا: ربح بيعُك يا صهيب. وأخبروه الخبر.

---

(٤٤) المستدرك (٣: ٤٠٠).

(٤٥) المستدرك (٣: ٣٩٨).

(٤٦) انظر: أسباب النُّزول (٥٨-٥٩) وتفسير ابن كثير، والدر المنثور، وغيرهما.

ففي هذه الآية الكريمة مكرمةٌ كبيرةٌ، ومنقبةٌ عظيمةٌ لصهيب رضي الله تعالى عنه، حيث يخبر الله سبحانه وتعالى عنه رضي الله تعالى عنه أنه قد باع نفسه إلى الله عز وجل، طلباً لمرضاته تعالى، وابتغاء ثوابه، فقبله الله عز وجل؛ لأنه جل شأنه رؤوف بعباده، رحيم بخلقه، وهو تعالى يُقبل على عبده المقبل عليه، أَضعافَ إقبال العبد عليه جل شأنه.

* كما قال تعالى في الحديث القدسي: (من تقرَّب إليَّ شبراً؛ تقرَّبتُ إليه ذراعاً،...). الحديث بطوله، متفق عليه، من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، ورواه البخاري من حديث أنس رضي الله تعالى عنه، ورواه مسلم من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله تعالى عنه أيضاً(٤٧).

ولهذا ربح بيعُ صُهيب رضي الله تعالى عنه.

وفي الآية الكريمة والحديث أمور مهمة كثيرة، يهمني منها ما يلي:

أ - إخبار الله تعالى نبيَّه وصفيَّه الكريم ﷺ ببيع صُهيب رضي الله تعالى عنه نفسَه ومالَه لله تعالى، قبل أن يصل صُهيبٌ رضي الله تعالى عنه إلى المدينة، ولذا أخبر النبي الكريم ﷺ الصحابةَ رضي الله تعالى عنهم بذلك.

ب- ابتغاء صُهيب رضي الله تعالى عنه من بيعه نفسَه ومالَه مرضاةً الله عز وجل، وليس شهرة أو سمعة، وإقرارُ الله تعالى صُهيباً رضي الله تعالى عنه على ذلك.

---

(٤٧) صحيح البخاري: كتاب التوحيد: باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ وباب ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ وباب ذكر النبيِّ ﷺ وروايته عن ربه. وصحيح مسلم: كتاب الذكر: باب الحث على ذكر الله تعالى، وباب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى، رقم (٢، ٣، ٢٢) وكتاب التوبة: باب في الحض على التوبة والفرح بها، رقم (١).

ج- قبول الله تعالى بيعَ صُهيب رضي الله تعالى عنه نفسَه ومالَه لله تعالى، لذا أثنى تعالى عليه، في كتابه الكريم الذي يتلى على مر الدهور والشهور، كما أبلغ رسولَه الكريم ﷺ بذلك.

د- إخلاصُ صُهيب رضي الله تعالى عنه وصدقُه في عمله، لذا أثنى الله تعالى عليه، وأثنى رسولُه الكريم ﷺ عليه بقوله: (ربح البيع).

هـ- كرم الله تعالى ورأفته به، وذلك أن صُهيباً رضي الله تعالى عنه قدّم أعزَّ ما عنده -وهو النفس والمال- لذا أكرمه الله تعالى بأعلى شيء يناله العبد الصالح في الجنة، ألا وهو مرضاة الله تعالى، والله تعالى أعلم.

٣- هم يرجون رحمة الله تعالى:

قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٤٨).

بعد ما تحدثت الآية السابقة -على هذه الآية- عن قصة سَرِيَّة عبد الله ابن جحش رضي الله تعالى عنه إلى بطن نخلة، وقتلهم عَمْرَو بن الحضرمي، وأسرهم اثنين من المشركين، وأخذهم ما معهم، وتحدث كفار قريش عن قتل المسلمين في الشهر الحرام، ولام المسلمون في المدينة عبدَ الله بن جحش ومن معه رضي الله تعالى عنهم، ولم يَقْسِم رسولُ الله ﷺ الغنيمةَ، فنَزل قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ﴾(٤٩).

تحدثت هذه الآية -بعد ما تجلّى عن عبد الله بن جحش ومن معه رضي

(٤٨) سورة البقرة (٢١٨).

(٤٩) سورة البقرة (٢١٧).

الله تعالى عنهم مما حل بهم،...- بأنهم طمعوا في الأجر، فأنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية، لتبيِّن فضلَ هؤلاء المؤمنين المهاجرين المجاهدين في سبيل الله تعالى، حيث جعلهم الله عز وجل على أعظم الرجاء، فيطمعون بدخول جنته، بفضل رحمته عز وجل، وهو تعالى غافر للذنوب، متفضل بالرحمة على عباده. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ﴾ ولا يرجون سواه.

ففي هذه الآية الكريمة:

أ - وصفهم بالإيمان، وهذه صفة لازمة لهم، من ساعة إيمانهم، حتى ساعة وفاتهم، لأن الله تعالى لو لم يعلم بأنهم باقون عليه ما وصفهم بذلك.

ب- ثبوت أجر الهجرة لهم، حيث وصفهم الله تعالى بالهجرة.

ج- وصفهم بالمجاهدين.

د- صدق نيتهم في جهادهم، وأنهم لم يجاهدوا في سبيل الدنيا، إنما في سبيل الله تعالى لا غير.

هـ- رجاؤهم رحمةَ الله تعالى، وهذا محقّق لهم، لأن رحمة الله قريب من المحسنين. والرجاء من الله تعالى تحقيق.

و- غفران ذنوبهم التي سبقت منهم قبل نزول هذه الآية.

ز- رحمة الله تعالى الخاصة بهم، وهذا غاية التكريم، والله تعالى أعلم.

٤- إيمانهم الكامل، ودعاؤهم وسؤالهم المغفرة وعدم المؤاخذة:

قال الله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ

وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾(٥٠).

يخبر المولى تعالى عن حال الصحابة رضي الله تعالى عنهم -بعد نزول الآية التي قبل هاتين- فيصفهم تعالى بالإيمان الكامل، والسمع والطاعة، والتسليم الكامل، واللجوء إليه تعالى، لذا أكرمهم الله عز وجل بغفران الذنوب، وعدم المؤاخذة فيما ينسون، أو يخطئون من غير قصد المخالفة، وإظهار ضعفهم، فلا يكلّفهم إلاّ ما يطيقون،... فأعطاهم الله تعالى ذلك كله، من فضله وكرمه تعالى رحمةً بهم، وشفقة عليهم.

ويوضح هذا المعنى وما حصل للصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم، وما قاله لهم رسول الله ﷺ، وما أكرمهم الله تعالى به، بعد التسليم الكامل منهم، ما يلي:

* عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ: ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ﴾(٥١).

قال: فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فأتوا رسولَ الله ﷺ، ثم بركوا على الرُّكَب. فقالوا: أي رسول الله؛ كُلِّفنا من الأعمال ما نُطيق؛ الصلاة، والصيام، والجهاد، والصدقة، وقد أُنزلت هذه الآية، ولا نطيقها.

(٥٠) سورة البقرة (٢٨٥-٢٨٦).

(٥١) سورة البقرة (٢٨٤).

قال رسولُ الله ﷺ: (أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابَيْن من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير) قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير. فلما اقْتَرَأها القومُ، وذلَّتْ بها ألسنتهم، فأنزل الله في إثرها: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾.

فلما فعلوا ذلك: نسخها الله تعالى، فأنزل عز وجل: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَا﴾ قال: نعم ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَا﴾ قال: نعم ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ قال: نعم ﴿وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾. قال: نعم. رواه مسلم(٥٢).

* وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما نزلت هذه الآية ﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ قال: دخل قلوبَهم منها شيءٌ لم يدخل قلوبَهم من شيء.

فقال النبي ﷺ: (قولوا: سمعنا وأطعنا وسلَّمنا) قال: فألقى الله الإيمانَ في قلوبهم، فأنزل الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَا﴾ قال: قد فعلتُ ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَا﴾ قال: قد فعلتُ ﴿وَٱغۡفِرۡ لَنَا

(٥٢) صحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب بيان أنه سبحانه وتعالى لم يكلف إلاَّ ما يطاق، رقم (١٩٩).

﴿وَارْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا﴾ قال: قد فعلتُ. رواه مسلم[٥٣].

ففي الحديثين بيان حال الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وما أكرمهم الله سبحانه وتعالى به من السمع والطاعة والتسليم والإيمان، ثم بما حطَّه عنهم من التكليف فوق الطاقة، واستجابته تعالى لما طلبوا، ويتضح ذلك:

أ – وصفهم بالإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله –من غير تفريق بين أحد منهم– والإيمان باليوم الآخر، وهذا وصف ثابتٌ لهم، وهذه الآية من أواخر ما نزل –كما هو معلوم– فلولا ثبوت هذا الوصف لهم؛ ما وصفهم الله تعالى به، وكرّره مراراً، والله تعالى أعلم.

ب– وصفهم بالسمع والطاعة والامتثال.

ج– دعاؤهم بمغفرة الذنوب والخطايا والآثام.

د– تكليف الله تعالى المكلَّف بما يُطيق، ورفع عنه ما لا يُطيق.

هـ– خشيتهم لله تعالى، حيث إنهم يسألونه تعالى ألاَّ يؤاخذهم إذا نسوا أو أخطؤوا، وألاَّ يحمِّلهم ما لا يُطيقون من التكاليف، والأحكام والأعمال، وألاَّ يحمِّلهم ثقيلاً كما حصل للأمم السابقة.

و– سؤالهم العفو والمغفرة والرحمة، وهو سؤال من الأدنى إلى الأعلى، حيث سألوا العفو فلما حصل، سألوا المغفرة، فلما حصلت سألوا الرحمة، فنالوها بإذن الله تعالى، لذا دانوا بولاية الله عز وجل، وأنه تعالى مولاهم، وهو القادر وهم العبيد.

ز– التجاؤهم إلى الله تعالى، وثقتهم المطلقة به عز شأنه، وامتثالهم لأمر نبيهم الكريم ﷺ؛ حين ذكَّرهم ألاَّ يكونوا كأهل الكتاب السابقين، فقالوا ما

(٥٣) صحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (٢٠٠).

طلبه منهم، فجاء الفرج.

ح- استجابة الله تعالى لهم، عندما قالوا: لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، وأن لا يحمّلهم ثقيلاً كما حصل للأمم السابقة، وألاَّ يُحَمِّلهم ما لا طاقة لهم به، وأن يغفر لهم ويرحمهم، وينصرهم على الكافرين، وفي كل مرة يقول الله تعالى لهم: نعم، قد فعلتُ.

ط- وبهذا يتضح مكانة الصحابة رضي الله تعالى عنهم عند الله تعالى، حيث أعطاهم طلبهم، بعد إيمانهم وتسليمهم وسماعهم وطاعتهم.

ي- الفارق الكبير بين صحابة النبي المصطفى الكريم ﷺ رضي الله تعالى عنهم، حيث قالوا: سمعنا وأطعنا وسلَّمنا. وبين أهل الكتاب حيث قالوا: سمعنا وعصينا.

ك- بركة الصحابة رضي الله تعالى عنهم على هذه الأمة، حيث رفع الله سبحانه وتعالى عنها كتابة حديث النفس والوسوسة، عندما سلَّم الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وأطاعوا وسمعوا. فأكرمهم الله تعالى، وأكرم بهم الأمة. لذا فكلٌّ من تحامل عليهم أو أبغضهم كان متجاهلاً لما أكرمه الله تعالى بسببهم رضي الله تعالى عنهم، والله تعالى أعلم.

ل- حالتهم النفسية الجميلة، حيث خافوا من تحمُّل ما لا يطاق، من غير ردٍّ ولا اعتراض، ومع هذا قالوا: سمعنا وأطعنا، وألقى الله عز وجل الإيمان في قلوبهم، فرحمهم، وخفَّفَ عنهم.

٥- التأليف بين قلوبهم حتى صاروا أخوة بعد عداوة:

قال الله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ

ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[٥٤].

هذه الآية نزلت في الأوس والخزرج -كما قال ابن إسحاق وغيرُه- وذلك عندما ساء رجلاً من اليهود ما عليه الأوس والخزرج من الاتفاق والألفة، فبعث رجلاً وجلس في مجلسهم وذكَّرهم بما حصل يوم بعاث، حتى حميت النفوس، وغضب بعضهم على بعض، وتواعدوا إلى الحرة، وحملوا سلاحهم، فأتاهم رسول الله ﷺ، فقرأ عليهم هذه الآية، فندموا على ما فعلوا، واصطلحوا وتعانقوا، وفي هذه الآية:

أ - تذكير الله تعالى لهم بنعمته التي أكرمهم بها، كيف كانوا في الجاهلية، وكيف صاروا في الإسلام؛ أخوة متحابّين.

ب- الاعتصام بحبل الله تعالى المتين، وعدم التفرقة، لأنها من سبيل الشيطان؛ الجني والإنسي.

ج- كيف ألف الله عز وجل بين قلوبهم بعد أن كانوا أعداء، فصاروا متحابّين، متواصلين، متراحمين، متعاونين.

د- كانوا على شفا حفرة من النار بسبب كفرهم، فأنقذهم الله تعالى منها، بأن هداهم للإيمان، وإذا أنقذهم الله تعالى منها فلن يعودوا إليها ثانية، بإذن الله تعالى.

ولهذا ذكَّرهم رسول الله ﷺ بهاتين النعمتين، ممتنّاً عليهم عندما عتب منهم من عتب يوم تقسيم الغنائم يوم حنين.

* عن عبد الله بن زيد رضي الله تعالى عنه قال: لما أفاء الله على رسوله

(٥٤) سورة آل عمران (١٠٣).

ﷺ يوم حنين، قسم في الناس، في المؤلفة قلوبهم، و لم يعطِ الأنصارَ شيئاً. فكأنهم وجدوا، إذ لم يُصبْهم ما أصاب الناس، فخطبهم فقال: (يا معشر الأنصار؛ ألم أجدكم ضُلالاً فهداكم الله بي، وكنتم متفرِّقين فألَّفكُم الله بي، وعالةً فأغناكم الله بي) كلما قال شيئاً قالوا: الله ورسوله أمَنّ. الحديث، متفق عليه(٥٥).

هـ- تبيان الله تعالى لهم آياته، حتى يهتدوا بها، وتكون مساعدةً لهم في هدايتهم.

و- عناية الله تعالى بهم، ومحبته تعالى لهم، ورحمته جل شأنه بهم، حيث اختصَّهم بالألفة والمحبة والأخوّة فيما بينهم، وإنقاذهم من النار، بخلاف الأمم السابقة.

٦- هم خير أمة، لأنهم يؤمنون ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر:

قال الله جلت قدرته: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾(٥٦).

يخبر الله جلت قدرته عن هذه الأمة المحمدية بأنهم خير الأمم؛ لأنهم يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويؤمنون بالله تعالى وبرسوله الكريم ﷺ، ويطيعون ويأتمرون.

* قال عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما: هم الذين هاجروا مع رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة. رواه عبد الرزاق وابن أبي شيبة وعبد بن

---

(٥٥) صحيح البخاري: كتاب المغازي: باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان. وصحيح مسلم: كتاب الزكاة: باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام، رقم (١٣٩).

(٥٦) سورة آل عمران (١١٠).

حُميد والفريابي وأحمد والنسائي والطبراني، والحاكم وصحّحه، وجوَّده الحافظ، في آخرين(٥٧).

لكن ابن كثير رحمه الله تعالى قال: والصحيح أن هذه الآية عامة في كل الأمة؛ كل قرن بحسبه، وخيرُ قرونهم: الذين بُعث فيهم رسولُ الله ﷺ، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم. ثم ذكر الآية: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾.

قلت: حتى على حسب ما قال ابنُ كثير رحمه الله تعالى، فهم داخلون دخولاً أوّليّاً، لأنهم أولُ هذه الأمة التي تلقّت الخطاب.

وقد وصفهم الله تعالى في هذه الآية بأنهم:

أ - خير الأمم خرجت للناس من قديم الدهر وحديثه، وهذه الخيرية ثابتةٌ لهذه الأمة لا تزول، والصحابة رضي الله تعالى عنهم هم أولها-لأنهم هم الذين خُوطبوا بها.

ب- وصف هذه الأمة بالإيمان بالله تعالى، وما يتعلّق بذلك الإيمان، وهذا وصف لازمٌ للصحابة رضي الله تعالى عنهم، ومن حاول صرفه عنهم؛ فقد ردَّ على الله تعالى قولَه، وكذّب كلامَه، ولا يخفى خطورة ذلك.

ج- ومن صفاتهم الجميلة -وكلُّ صفاتهم جميلة-: أنهم مع كونهم إخوةً متحابين، إلاّ أن ذلك لم يمنعهم من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

---

(٥٧) تفسير عبد الرزاق (١: ٤٠٨) ومصنف ابن أبي شيبة (١٢: ١٥٥-١٥٦) (١٤: ٣٣٤) ومسند أحمد (١: ٢٧٣، ٣١٩، ٣٢٤، ٣٥٤) وتفسير ابن أبي حاتم (٣: ٧٣٢) وتفسير النسائي (١: ٣١٩) وتفسير الطبري (٧: ١٠١) والمعجم الكبير (١٢: ٦) والمستدرك (٢: ٢٩٤) ومجمع الزوائد (٦: ٣٢٧) وفتح الباري (٨: ٢٢٥) وجوَّده، والدر المنثور (٢: ٢٩٣).

حتى يبقى المجتمع سليماً معافى، لأن المرء إذا أراد أن يفعل المعصية يقع في نفسه أن هناك من ينهاه إذا رآه.

٧- وصفهم بالإيمان، وتهيئتهم للجهاد:

قال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٥٨].

يخبر الله تعالى في هذه الآية الكريمة عن موقف من المواقف التي كانت قُبيل غزوة أحد -كما عند الجمهور- حيث خرج رسول الله ﷺ، وهو يبوئ المؤمنين، ويصفّهم للقتال، لذا أثنى الله تعالى على الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم، ووصفهم تعالى بالإيمان، والجهاد، والتسليم، والطاعة. ففي هذه الآية:

أ - لقد وصفهم الله تعالى بالإيمان، وهذه صفة لازمة لهم، لا تنفك عنهم، ومن حاول إزالتها عنهم فقد ردّ على الله تعالى قولَه، وكذّبه فيما قال، وفي هذا خطورة على الفاعل.

ب- وصفهم بالمجاهدين، حيث أخبر تعالى عن نبيِّه الكريم ﷺ أنه غدا من أهله ليبوئ المؤمنين، ويصفّهم ويرتبهم للقتال، حيث جعل بعضهم ميمنة، وأخرى ميسرة، وأخرى رماة، وذلك يوم غزوة أحد.

ج- إخباره تعالى أنه مُطَّلعٌ على نواياهم، وأنهم كانوا صادقين في لقاء العدو، حريصين على القتال.

---

(٥٨) سورة آل عمران (١٢١).

٨- ولاية الله تعالى للجناحَيْن اللَّذَيْن كادا أن يفشلا يوم أُحُد ثم ثبتا:

قال الله عز وجل: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾(٥٩).

لقد ذكر الله سبحانه وتعالى -في الآية الكريمة- ما حصل- يوم أحد- لطائفتين من الصحابة -هما من الأنصار رضي الله تعالى عن الجميع- وهما بنو حارثة وبنو سَلِمة، وهما الجناحان. وقد جبنا عن ملاقاة العدو، ثم تداركهما الله عز وجل بلطفه وفضله. فأخبر تعالى أنه وليٌّ لهاتين الطائفتين، ومن كان الله تعالى وليَّه فلا يضام.

* عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: فينا نزلت: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ [قال: نحن الطائفتان] بنو سَلِمة وبنو حارثة، وما نحبُّ أنها لم تنزل، لقول الله عز وجل: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾. متفق عليه(٦٠).

فآخر الآية فيه غاية الشرف لهم رضوان الله تعالى عليهم، ولهذا قال جابر رضي الله تعالى عنه: وما نحب أنها لم تنزل. وذلك:

أ - لأن الله سبحانه وتعالى أخبر أنهم من المسلمين المؤمنين-حيث قال جل شأنه: ﴿مِنكُمْ﴾.

---

(٥٩) سورة آل عمران (١٢٢).

(٦٠) صحيح البخاري: كتاب المغازي، وكتاب التفسير: من سورة آل عمران: كلاهما في باب ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الأنصار: باب من فضائل الأنصار رضي الله تعالى عنهم، رقم (١٧١).

ب- لأن الله سبحانه وتعالى أعلن أنه وليٌّ لهم، ومن كان الله تعالى وليَّه فإنه لا يضام، ولا يخاف، ولن يقهر.

ج- كون الله سبحانه وتعالى وليّاً لهم، فهم إذاً مؤمنون متقون صالحون، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[(٦١)].

د- وصفهم بالإيمان، وعليهم أن يتوكَّلوا على الله عز وجل؛ لأنه تعالى يتوكَّل عليه المؤمنون. وما حصل لهم رضي الله تعالى عنهم مما هَمّوا به من الفشل، فإنما كان من وسوسة الشيطان من غير وهن منهم.

وبنو سَلِمة: هم من الخزرج، وهم قومُ جابر رضي الله تعالى عنه -راوي الحديث- وأما بنو حارثة فهم من الأوس، رضي الله تعالى عنهم جميعاً وعن سائر أصحاب رسول الله ﷺ.

٩- نصر الله تعالى المؤمنين يوم بدر:

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[(٦٢)].

يذكر المولى سبحانه وتعالى مِنّته على المسلمين، كيف نصرهم ببدر؛ وهم يومئذٍ قليلو العدد والعُدَّة، مع كثرة عدوهم وعُدَّتهم، فهم يفوقونهم عدداً وعُدّةً، ومع هذا فقد نصرهم الله تعالى، وأنزل عليهم ملائكةً مدداً من السماء، شاركت معهم في القتال -كما ورد ذلك في سورة الأنفال- وسيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

---

(٦١) انظر: سورة البقرة (٢٥٧) وسورة آل عمران (٦٨) وسورة الأعراف (١٩٦) وسورة الجاثية (١٩).

(٦٢) سورة آل عمران (١٢٣).

وهذا كله من فضل الله تعالى، وتأييده، ومن كان الله معه فهو الغالب المنصور. وعوامل النصر يوم بدر ذكرتها في موضعها من سورة الأنفال، ألخصها بما يلي:

أ - إنزال الملائكة مثبتة للمسلمين، ومشاركة لهم في قتال المشركين.

ب- قبضة التراب التي ألقاها رسول الله ﷺ في وجوه المشركين، مما جعل ذرات التراب تتفتت، وتدخل في عيني كل كافر منهم، وتملأ أنفه، وتحمل معها الرعب وزلزلة الصدر والخوف، فكانت الهزيمة.

ج- إنزال المطر، مثبتاً الأرض للمسلمين، وكان وبالاً على المشركين، حيث صارت الأرض تحتهم كالزلقة، لا يثبت عليها قدم، ولا يستقر عليها خف ولا حافر.

د- ما ظهر على يد رسول الله ﷺ من دلائل النبوة، حيث أخبر ﷺ قبل يومٍ بمقتل صناديد قريش، وبيَّن لهم موضع مصرع كل واحد منهم -فكان كذلك- كما أخبر بتحقيق وعد الله تعالى له. وهم رضي الله تعالى عنهم لا يشكّون -قيد أنملة- فيما يقوله ﷺ لهم ويخبرهم به.

هـ- ثبات المؤمنين، واتحاد كلمتهم، بخلاف ما حصل من كفار قريش، حيث اختلفوا قبل بدء المعركة، فكان عامل بؤس عليهم.

و- عناية الله تعالى بهم، وإنزال مدد السماء بنصره على رسوله الكريم ﷺ، لأنها الفئة الوحيدة المؤمنة آنذاك، ومعيته تعالى لهم.

ز- سبق وعد الله تعالى لهم، وإخبار النبي المصطفى الكريم ﷺ لهم بذلك الوعد، فدخلوا وهم واثقون من النصر، خائفون من تخلف شرطه، لذا

كان التجاء النبي المصطفى الكريم ﷺ طيلة الليل في الدعاء بأن يحقق الله تعالى له ما وعده.

١٠- إمدادهم بالملائكة يوم أحد:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾[٦٣].

لقد اختلف أئمة التفسير في وقت نزول هذه الآيات، فقيل يوم بدر، وهذا ما اختاره الطبري وجنح إليه ابن كثير، رحمهما الله تعالى، وقيل: بل في غزوة أحد، وهذا قول مجاهد وعكرمة والضحاك،... والله تعالى أعلم.

وعلى أيٍّ فإن هذه الآيات تتحدث عما حصل للمسلمين، من إنزال الملائكة الكرام، مع إمكانية الزيادة -إن صبروا واتقوا- وأنه تعالى جعل وجودَ الملائكة مع المقاتلين المسلمين بشرى واطمئناناً لقلوبهم، لأن النصر إنما هو من عند الله تعالى، وليس بقدرة البشر. وفي هذه الآيات:

أ - وصف الله تعالى الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم بالمؤمنين، ومخاطبتهم بالإيمان. وهذا وصف لا ولن يزول عنهم -بعد وصف الله عز وجل لهم- ومن حاول صرفه عنهم رضي الله تعالى عنهم فقد كذَّب الله عز شأنه، لأن علم الله تعالى متعلق بالحاضر والمستقبل، كما هو متعلّق بالماضي، وأن الله تعالى لو لم يعلم أنهم باقون على الإيمان ما

(٦٣) سورة آل عمران (١٢٤- ١٢٦).

وصفهم بذلك.

ب- إمدادهم بالآلاف من الملائكة.

ج- إنزال الملائكة عليهم، وجعلهم بشارة للمؤمنين-يبشرهم الله عز وجل بها-وتطييباً لقلوبهم.

د- اطمئنان قلوبهم، وتسكين نفوسهم بوعد الله تعالى.

هـ- إنزال النصر عليهم، لأنه تعالى هو الناصر لهم، وليس العتاد.

و- عناية الله تعالى بهؤلاء الصحابة رضي الله تعالى عنهم، حيث إنه تعالى يمدهم بالملائكة، ويمكن أن يزيدهم بملائكة آخرين أكثر.

١١- تسلية الله تعالى لهم، بأنه أصاب العدو من القرح مثل ما أصابهم:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾﴾[٦٤].

بعد ما ذكر الله تعالى ما حصل للمؤمنين يوم أحد، يقول لهم مسلّياً بأن لا يضعفوا بسبب ما جرى، ولا يحزنوا على ما حصل، ولا يجزعوا على ما أصابهم من القتل يوم أُحُد، فهم الظاهرون على أعدائهم، الغالبون عليهم، إن كانوا مصدِّقين النبي ﷺ فيما وعدهم به، وأن ما أصابهم فقد أصاب أعداءَهم مثلُ ما أصابهم، وهكذا الأيام دُول بين الناس، وكل ذلك تمحيص من الله تعالى للمؤمنين، حتى يُثاب المؤمن ويُكفَّر عن ذنوبه، وإلاّ رُفع له الدرجات،

(٦٤) سورة آل عمران (١٣٩-١٤١).

بحسب ما أصيب، بخلاف المنافقين،...

ففي هذه الآيات:

أ - تسلية الله سبحانه وتعالى للصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم بما أصابهم، حتى لا يجزعوا، ولا يضعفوا.

ب - عدم حزنهم على ما أصابهم، لأن ذلك تنفيذ للوعد الذي وعدهم به يوم بدر -إذا هم أخذوا الفداء من الأسارى- أن يقتل منهم مثل ما قُتل من المشركين.

* عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (إن جبريل هبط عليه فقال له: خيِّرهم -يعني: أصحابَك- في أسارى بدر: القتلُ، أو الفداءُ، على أن يُقتلَ منهم قابل مثلُهم) قالوا: الفداءُ، ويُقتل منا. رواه ابن أبي شيبة، والترمذي وحسنه، والنسائي، وصححه ابن حبان والحاكم وأقره الذهبي(٦٥).

ج- إخبار الله تعالى عن إعلاء شأن الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم؛ لأنهم مؤمنون مصدِّقون نبيهم ﷺ، وهذا ما حصل، حيث كانت النتيجة هي النصر على المشركين، ولم يبق في الجزيرة كلها مشرك واحد، والحمد لله تعالى والفضل له.

---

(٦٥) مصنف ابن أبي شيبة (١٤: ٣٦٨-٣٦٩) وسنن الترمذي: كتاب السير: باب ما جاء في قتل الأسارى، رقم (١٥٦٧) والسنن الكبرى للنسائي: كتاب السير: باب قتل الأسرى (٥: ٢٠٠) وصحيح ابن حبان (١١: ١١٨) والمستدرك (٢: ١٤٠) والسنن الكبرى للبيهقي (٦: ٣٢١) ودلائل النبوة (٣: ١٣٩-١٤٠) وقال الترمذي: وفي الباب عن ابن مسعود وأنس وأبي برزة وجُبير بن مطعم.

د- ما أصاب المسلمين يوم أحد، فقد أصاب المشركين مثلُه، سواء في بدر، أو في أُحُد نفسها، لأن الأيام دول. لذا لا يجوز أن يقف المسلمون عند ما حدث، بل يتجاوزوه.

هـ- جعل الله سبحانه وتعالى الأيامَ دول بين الناس، فإذا سُلب النصر من المؤمنين يوم أُحُد، فإن الله تعالى نصرهم يوم بدر، ونصرهم في كثير من المواقف مع الكفار.

و- تمحيص الله سبحانه وتعالى المؤمنين، بتكفير ذنوبهم، بحسب ما أصابهم؛ لأن الأجر على قدر المشقة.

ز- اتخاذ الله تعالى من المؤمنين الكرام رضي الله تعالى عنهم شهداء، هم أحياء عنده تعالى، يتنعّمون في الجنان، ويسألون عن إخوانهم اللحاقَ بهم.

ح- إخباره تعالى بمحق الكافرين، وتحقق ذلك بعد فترة من الزمن، والحمد لله تعالى والفضل له.

ط- وصف الله تعالى الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم بالإيمان-حيث تكرّر ذلك في هذه الآيات ثلاث مرات- وهذه صفة لازمة لهم، لا تزول -بعد وصف الله تعالى لهم- ولأنه تعالى لا يتخذ شهداء عنده إلاّ من المؤمنين، أما الكفار فقتلاهم ليسوا شهداء، لأنهم في النار، والعياذ بالله.

ي- ثبوت الجنة ونعيمها لهؤلاء الشهداء، لأنهم أحياء عند ربهم -في الجنة- يرزقون. ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[٦٦]. كما سيأتي ذكره بعد قليل إن شاء الله تعالى.

---

(٦٦) سورة آل عمران (١٦٩).

١٢- أعطاهم الله تعالى ثواب الدنيا والآخرة لصدقهم في نياتهم:

قال الله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦ وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٤٧ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾(٦٧).

لما أشيع يوم أحد أن رسول الله ﷺ قد قُتل، وانهزم قسمٌ من النـــاس -كما سيأتي- وأراد بعضُهم الاستسلام، قال الآخرون: إن كان رســول الله ﷺ قد قُتل، فما الحياة بعده؟ ألا تمضون على ما مضى عليه نبيكم ﷺ حتى تلحقوا به، فأنزل الله سبحانه وتعالى فيهم هذه الآيات تحكي ما قالوا(٦٨).

ففي هذه الآيات وصفٌ لحال هؤلاء رضي الله تعالى عنهم:

أ - وصفهم رضي الله تعالى عنهم بكونهم ربِّيين-أي أبرار أتقياء صُبر-.

ب- معيتهم لرسول الله ﷺ، وهذه في الدنيا، وأرجو أن تكون لهم في الآخرة أيضاً، لأن الله تعالى ما أثبتها لهم في الدنيا-مع ثنائه عليهم بهـــا-إلاّ ليكرمهم بها يوم القيامة، وهذا ما أخبر به رسول الله ﷺ.

* عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ قال: قرأها رسول الله ﷺ حتى ختمها، وقال: (الناسُ حيِّزٌ، وأنا وأصحابي حيِّزٌ)... الحديث، رواه الطيالسي وابن أبي شيبة

(٦٧) سورة آل عمران (١٤٦-١٤٨).

(٦٨) انظر: أسباب نزول القرآن، للواحدي (١٢٠).

وأحمد والطبراني وأبو نعيم والبيهقي، وكلهم برجال الصحيح، وصححه الحاكم وأقره الذهبي(٦٩).

ج- عدم ضعفهم واستكانتهم رضي الله تعالى عنهم؛ لما أصابهم في سبيل الله تعالى من القتل والجراح.

د- عدم ضعف عزائمهم رضي الله تعالى عنهم، وركونهم وقعودهم عن الجهاد.

هـ- وصفهم رضي الله تعالى عنهم بالصبر، وأنه تعالى يحبهم، وهذا تكريم وثناء منه تعالى أيضاً.

و- سؤالهم رضي الله تعالى عنهم المغفرة للذنوب، وللإسراف في الأمر، والثبات أثناء لقاء العدو، والنصر عليهم، لأنهم كفار.

ز- عدم ارتدادهم عن دينهم، ولا عن نصرة إخوانهم -ساعة أشيع قَتْل نبيِّهم الكريم ﷺ- وعدم إذلالهم لعدوهم، بل قاتلوا على ما قاتل عليه رسول الله ﷺ، حتى ذهبوا إلى الله تعالى صابرين مقبلين محتسبين، رضي الله تعالى عنهم.

ح- محبة الله تعالى لهم رضي الله تعالى عنهم لصبرهم، وإحسانهم. وهذا غاية التكريم، وبيان رفعة مكانتهم ومنْزلتهم.

---

(٦٩) مسند الطيالسي (٢٩٣) ومصنف ابن أبي شيبة (١٤: ٤٩٨-٤٩٩) ومسند أحمد (٣: ٢٢) (٥: ١٨٧) والمعجم الكبير (٤: ٣٤١) (٥: ١٢٣) ومعرفة الصحابة (١: ١١٣) وحلية الأولياء (٤: ٣٨٥) والمستدرك (٢: ٢٥٧) ودلائل النبوة (٥: ١٠٩-١١٠) ومجمع الزوائد (٥: ٢٥٠) (١٠: ١٧) وانظر الدر المنثور.

ط- لم يكن لهم رضي الله تعالى عنهم هجّير وتكرار إلاّ هذا الدعاء: ربنا اغفر لنا ذنوبنا،...الخ.

ي- استجابة الله جلّت قدرته لهم دعاءهم، ومنحهم أفضل ما سألوا، وأعطاهم أكثر مما أمّلوا.

ك- إعطاء الله تعالى لهم رضي الله تعالى عنهم ثواب الدنيا، بالنصر على الأعداء، وحسن ثواب الآخرة، وهو الجنة ونعيمها، والله تعالى أعلم.

ل- وصفهم بالمحسنين، والله تعالى يحبهم، وهذا تكريم آخر منه تعالى لهم. كيف وهم قد بذلوا أرواحهم رخيصة في سبيل الله تعالى، وقاتلوا مع رسوله ﷺ، وصدقوا الله تعالى ما وعدوه، وصبروا عند اللقاء، ثم هم بعد ذلك يسألون الله جل جلاله المغفرة والثبات والنصر على الكفار، وعدم الإسراف في الأمور.

١٣- ولاية الله تعالى لهم، وصدقه ما وعدهم به:

قال الله عز وجل: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(٧٠).

---

(٧٠) سورة آل عمران (١٥٠-١٥٢).

يخبر تعالى عن ولايته لهم، ونصره إياهم رضي الله تعالى عنهم، وتنفيذه وعده لهم، فلما حصل للرماة ما حصل سلب النصرَ منهم، وصرفهم عن المشركين، وأدالهم على المسلمين،... كل ذلك ليختبرهم ويمتحنهم، ثم عفا تعالى عن المسلمين، وغفر لهم، لأنه تعالى ذو فضل على المؤمنين. ففي هذه الآيات:

أ - بيان أن الله سبحانه وتعالى مولى المؤمنين وناصرهم، وأن الله تعالى خير الناصرين، والصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم داخلون في ذلك دخولاً أوليّاً؛ لأنهم هم المخاطبون في ذلك.

ب- إلقاء الرعب والخوف في قلوب المشركين، لأنهم أشركوا بالله عز وجل، لذا عاقبهم الله تعالى -على ظلمهم- فجعل مصيرهم النار وبئس المصير.

ج- وفاء الله عز وجل ما كان قد وعد المؤمنين به من النصر على عدوهم يوم أُحُد، حين قتلوهم بإذنه عز وجل، فلما حصل للرماة ما حصل من النزاع، ورغبة بعضهم بجمع الغنائم، مخالفين أمر رسول الله ﷺ بترك مواقعهم على الجبل، ظنّاً منهم انتهاء المعركة، ونصر المسلمين،... صرف الله تعالى وجوههم عن المشركين، بعد أن كانوا هزموهم، ودخلوا في معسكرهم.

د- عفو الله تعالى عنهم، ومغفرته لهم، وصفحه عن عقوبة ذنبهم، فلم يستأصلهم.

هـ- وصفهم بالإيمان، لذا عفا عنهم بعد توبتهم. وهذا وصفٌ ثابتٌ لهم لا يزول.

و-ما حصل يوم أحد هو ابتلاء من الله تعالى، واختبار منه تعالى لهم، حتى يعلم المسلمون جميعاً أن لا محاباة عند الله تعالى، إنما هم عبيدٌ مطيعون بين يدي مولاهم القوي.

ز- فضل الله سبحانه وتعالى على المؤمنين رضي الله تعالى عنهم.

١٤- إنزال النعاس أَمَنَةً لهم أثناء المعركة:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾[٧١].

يخبر الله عز وجل عن إنزاله عليهم -أثناء المعركة- من السكينة والأَمَنَة -وهو النعاس الذي غشيهم- وهم يحملون أسلحتهم في حال همهم وغمهم. والنعاسُ في مثل تلك الحال دليل الأمان. وحصل مثل هذا يوم بدر -كما سيأتي إن شاء الله تعالى- وقد جاء عن بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم وقوعُ السيف من يده من النعاس وهم يقاتلون.

* عن أبي طلحة رضي الله تعالى عنه قال: غشينا النعاسُ-ونحن في مصافّنا-يوم أُحُد. قال: فجعل سيفي يسقط من يدي وآخذه، ويسقط وآخذه. رواه البخاري[٧٢].

* وعنه رضي الله تعالى عنه قال: رفعت رأسي يوم أحد، فجعلت أنظر، وما منهم يومئذٍ أَحَدٌ إلاّ يَميدُ تحت حَجَفَته من النعاس. فذلك قوله عز

---

(٧١) سورة آل عمران (١٥٤).

(٧٢) صحيح البخاري: كتاب التفسير: سورة آل عمران: باب ﴿أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾، وفي غيرهما.

وجل: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾. رواه أبو يعلى والبيهقي في الدلائل، وصححه الترمذي والحاكم، وأقره الذهبي(٧٣).

وهذا من أعجب الأمور، ذلك أن المقاتل أثناء التحام الصفوف يكون في غاية التوتر والهم والكرب، لأنه لايدري من أين يأتيه العدو، ومع هذا فإن هؤلاء يأتيهم النعاس، وكأنهم في بيوتهم؛ آمنين مطمئنين، غير خائفين ولا مكترثين، ولا آبهين بالعدوّ. وهذا النعاسُ إنما هو أمانٌ من الله تعالى بعد تثبيت القلوب، والله تعالى أعلم.

ومما يؤخذ من الآية الكريمة:

أ - عناية الله تعالى بهؤلاء الأصحاب رضي الله تعالى عنهم، بإزالة الغمِّ عنهم، وإحلال الأَمَنة عليهم، ولم يتركهم للوساوس والخواطر، من كثرة العدو وزادهم، وقلة عددهم وضعف زادهم.

ب- إنزال النعاس عليهم أثناء المعركة كان أمنةً لهم، وليس من كسل أو خوف، فهو ليس من عندهم، دلالة على عدم الاكتراث بعدوهم.

ج- رباطة الجأش، وعدم الخوف، وحصول الأمن والأمان.

١٥ - عفو الله تعالى عن الذين استزلهم الشيطان يوم أُحُد:

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ

---

(٧٣) سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن: تفسير سورة آل عمران، رقم (٣٠٠٧) ومسند أبي يعلى (٣: ١٤) وتفسير الطبري (٤: ١٤١) والمستدرك (٢: ٢٩٧) ودلائل النبوة (٣: ٢٧٢-٢٧٣) وفتح الباري (٧: ٣٦٢).

ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ﴾(٧٤).

يخبر المولى سبحانه وتعالى عن الذين انهزموا يوم أحد، بأنهم استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا، وتركوا أرض المعركة -بعد ما سمعوا بمقتل رسول الله ﷺ- بأنه سبحانه وتعالى قد صفح عنهم، وغفر لهم، وتجاوز عن عقوبتهم، ولهذا لا يجوز ذكرهم بما حصل، طالما أن الله سبحانه وتعالى عفا عنهم، وغفر لهم، ورحمهم.

ففي الآية الكريمة:

أ - إن الشيطان لن يترك المسلم بدون نزغ، واستنْزال، حتى لو كان من الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم.

ب- ما أصاب المسلمين يوم أحد إنما هو بسبب ما حصل منهم، وهو ترك الرماة رضي الله تعالى عنهم مواقعهم -ظنّاً منهم انتهاء الأمر بعد أن انهزم المشركون- مخالفين أمر رسول الله ﷺ.

ج- عفو الله تعالى عمن ترك المعركة أو قعد عن القتال، بعد سماعهم -كذباً- مقتل رسول الله ﷺ، وهذا ما صرخ به الشيطان.

د- إن ترك هؤلاء للمعركة لم يكن عن ردّة وانتكاس -حاشا لله تعالى- إنما استزلال من الشيطان، لذا عفا الله تعالى عنهم، وغفر لهم ذلك الذنب، لذا لا يجوز أن يعيَّر من فعل ذلك بعد عفو الله تعالى ومغفرته، وهذا ما نبّه عليه عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما. وانظر الفقرة التالية.

---

(٧٤) سورة آل عمران (١٥٥).

١٦- أمْرُ الله تعالى بالعفو والمغفرة عمن كان السبب في سلب النصر يوم أُحُد، وإعادة الاعتبار لهم:

قال الله تعالى مخاطباً نبيَّه الكريمَ ﷺ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[٧٥].

لقد كان النصر -في غزوة أُحُد- للمسلمين، في بادئ الأمر، ولما رأى بعضُ الرماة انهزامَ قريش وهروبهم، ودخولَ المسلمين معسكرَهم، ظنّوا أن المعركة انتهت، لذا قرَّروا النُّزول من الجبل، مخالفين أمرَ النبي المصطفى الكريم ﷺ، وتحذيرَ أميرهم رضي الله تعالى عنه، ليتم أمر الله تعالى، فاغتنمها خالد بنُ الوليد وعكرمة بن أبي جهل-وكانا آنذاك مع المشركين-فانقلب الميزان، إضافة لما حصل من مناداة إبليس-كذباً-بمقتل النبي الكريم ﷺ، وكذا قول ابن قمئة الخبيث بذلك، فحصل أمر الله عز وجل، وأصيب النبيُّ الكريم ﷺ، فكُسِرت رباعيتُه الشريفةُ، وشجت وَجْنتُه الكريمةُ،... وقُتل من قُتل من المسلمين، ممن خصّه الله عز وجل بالشهادة.

ومع هذا، فإن من رحمة الله تعالى بهذه الصفوة من الخلق: أن يأمر جل شأنه نبيّه الكريم ﷺ أن يعفو عمَّن كان السبب، وأن يُسقط حقَّه الشخصيَّ في ذلك، وأن يستغفر الله عز وجل حقَّه لهم أيضاً، وأن يتَغاضى ﷺ عن تلك الزَّلَّةِ منهم، ويعتبرها كأنها لم تكن، فيعيد إليهم اعتبارَهم، ويشاورهم في الأمر، لأن الله تعالى غفور رحيم.

(٧٥) سورة آل عمران (١٥٩).

فبعد أن بين الله تعالى أن الرحمة الموجودةَ في النبي المصطفى الكـريم ﷺ هي من الله تعالى، وأنها ليست مكتسبةً، وأنه ﷺ لو كان فظّاً غليظ القلـب لتركوه وانفضوا عنه: طلب تعالى منه المطالب الثلاثة، وكان كذلك، فلـم يعنّف أحداً، ولم يعاتب أحداً، والله تعالى أعلم.

وإذا كان النبي المصطفى الكريم ﷺ قد سامح الكفار يوم أُحُدٍ، وعفـا عمَّن ارتكب معه ما حصل، فقال: (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمـون)- كما في حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه، المتفق عليه-: فكيـف لا يعفو عن المؤمنين الصالحين المتقين زَلَّتَهم؟ بل يعفو عنهم من باب أولى[٧٦].

وفي هذه الآية الكريمة:

أ - بيان سعة رحمة الله تعالى، وعفوه، ومغفرته للمؤمنين، إذا زلّت بهم القدم، ثم رجعوا.

ب- بيان سعة رحمة رسول الله ﷺ، وأنه ليس بفظ، ولا غليظ القلب، لأنها من الله تعالى، ولم ينلها ﷺ بفعله، أو باجتهاد منه.

ج- أَمْر الله سبحانه وتعالى نبيِّه الكريم ﷺ أن يسامح من قصّر منـهم رضي الله تعالى عنهم يوم أحد، وذلك؛ بأن يعفو عنهم، فيسقط ﷺ حقَّـه الشخصيَّ فلا يطالبهم. وأن يستغفر الله تعالى لهم، فلا يسألهم تعـالى عمـا حصل. وأن يعيد ﷺ إليهم اعتبارَهم الشخصيَّ، فلا يسألهم عما حـصل، وكأنه لم يكن، ويظهر ذلك بمشاورتهم في الأمر من جديد.

---

(٧٦) انظر: رحمة النبيِّ الكريم ﷺ بالكفار، فقد ذكرتُ ما يؤخذ من هذه الآية الشريفة، وما في الأحاديث في ذلك.

د- بيان منْزلة الصحابة رضي الله تعالى عنهم عند الله تعالى، فإذا كانت هذه حال من قصّر منهم، فكيف حال المطيعين المخبتين،... رضي الله تعالى عنهم تعالى؟

١٧- منة الله تعالى على المؤمنين ببعثة رسوله الكريم ﷺ:

قال سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾(٧٧).

يكفي الصحابةَ الكرامَ رضي الله تعالى عنهم شرفاً وفضلاً وكرامة،... أن كان رسولُ الله ﷺ منهم، لذا امتَنَّ الله سبحانه وتعالى عليهم، بأن بعث رسولاً منهم؛ يعلمهم ويربيهم ويزكيهم، ويطهِّر نفوسهم من الدنس والخبث الذي كانوا متلبِّسين به من قبل إسلامهم،... ولهذا كان ﷺ في غاية المحبة لهم، والحرص عليهم، والرأفة والرحمة بهم، والشفقة عليهم -كما سيأتي في الباب الرابع- حتى إنه ﷺ ليعز عليه الشيء الذي يشق على أمته؛ لأن شريعته كلها سمحة يسيرة كاملة، والله تعالى أعلم.

وفي هذه الآية الكريمة أمور:

أ - إن نعم الله عز وجل على العباد كثيرة جداً ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾(٧٨).

(٧٧) سورة آل عمران (١٦٤).

(٧٨) سورة النحل (١٨).

ومع هذا فإنه تعالى لم يمنّ على عباده سوى باثنتين:

- الهداية إلى الإيمان بالله عز وجل ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[79].

- ونعمة بعثة النبي المصطفى الكريم ﷺ -كما في هذه الآية الكريمة- فكم يلزم المؤمن من مراعاة هاتين النعمتين؟

ب- فضل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم-والأمة من بعدهم- بأن جعل الله تعالى رسولَه الكريم ﷺ منهم.

ج- تحديد مهام النبي المصطفى الكريم ﷺ بأنه يتلو عليهم آيات الله تعالى، وأنه ﷺ يزكّيهم، وأنه ﷺ يعلّمهم الكتاب والسنة.

د- بيان فضل الله تعالى على الصحابة رضي الله تعالى عنهم؛ بإخراجهم من الظلمات إلى النور، ومن الضلال إلى الهداية، ومن الشرك إلى الإيمان، ومن الكفر إلى الإسلام.

هـ- وصفهم الله تعالى بالإيمان، ولم يقل: (العرب) مثلاً، مع أن النبي الكريم ﷺ عربي، دلالة على أن هذا الوصف هو الأساس، وهو من أكرم أوصافهم، ولهذا تكرّر كثيراً في كتاب الله تعالى، مما يدل على أنه لازمٌ لهم، وأنهم مختصون به، وأنه تعالى اصطفاهم من جميع خلقه ليكونوا صحابةً لرسوله الكريم ﷺ ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾[80]. فمن رام

(٧٩) سورة الحجرات (١٧).

(٨٠) سورة فاطر (٣٢).

صرفَ الإيمان عنهم، أو ادعى انسلاخهم منه؛ فقد كذّب الله تعالى بوصـــفه لهم، واصطفائه إياهم، وتخصيصه تعالى لهم، والله تعالى أعلم.

١٨- بيان فضل الشهداء منهم رضي الله تعالى عنهم:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾[(٨١)].

تتحدث الآيات الثلاث الأول عن الشهداء، فقد قيل: إنها نزلــت في شهداء بئر معونة رضي الله تعالى عنهم، وقيل: في شهداء أحــد رضــي الله تعالى عنهم، وقيل: في شهداء بدر رضي الله تعالى عنهم، وعلى كل حــال فهم من أصحاب النبي ﷺ ورضي الله تعالى عنهم.

وتدور في فضلهم؛ ما قص الله تعالى من حياتهم ورزقهــم وفــرحهم، واستبشارهم وعدم خوفهم،...

فهم أحياء عند الله تعالى، جعل الله عز وجل أرواحهم في أجواف طير خضر، ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهــب في

---

(٨١) سورة آل عمران (١٦٩-١٧٤).

ظل العرش، وهم فرحون بما آتاهم الله عز وجل، بما هم فيه من النعمة والغبطة، ويستبشرون ويُسرّون بلحوق من يلحقهم من إخوانهم الذين يصيرون إلى الكرامة والفضل والنعيم، وأنهم لا خوف عليهم، لأمنهم من العقاب، ولا هم يحزنون على ما خلفوا وراءهم، وأن الله تعالى قد رضي عنهم وأرضاهم.

* عن أنس رضي الله تعالى عنه-في قصة شهداء بئر معونة-قال: أنزل الله عز وجل في الذين قُتلوا ببئر معونة قرآناً قرأناه، حتى نُسخ بعدُ: (أن بلّغوا قومَنا؛ أن قد لقينا ربَّنا، فرضيَ عنا، ورضينا عنه). متفق عليه[٨٢].

فهم يستبشرون بنعمة الله سبحانه وتعالى وفضله، وجميل كرامته، وجزيل ثوابه لهم، واستمرار أجره الذي لا ينقطع ولا يبطل.

والآيات الثلاث الأخرى نزلت في قصة خروج الصحابة رضي الله تعالى عنهم ممن بقي ممن حضر غزوة أحد، ولم يخرج معهم غيرهم -إلاّ جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما- خرجوا إلى حمراء الأسد، وهو قول أكثر المفسرين، وقيل: إلى بدر الصغرى. وقد أثنى الله تعالى عليهم، وأثابهم الأجر العظيم، والثواب الجزيل، وانقلبوا بنعمة من الله تعالى وفضله. وذلك:

أ - فضل الشهداء من هذه الأمة وخاصة من الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم، فهم أحياءٌ عند الله سبحانه وتعالى؛ يرزقون من نعيم الجنة، وهم

(٨٢) صحيح البخاري: كتاب الجهاد: باب العون بالمدد، وكتاب المغازي: باب غزوة الرجيع ورعل وذكوان وبئر معونة، وفي غيرها. وصحيح مسلم: كتاب المساجد: باب استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة، رقم (٢٩٧-٣٠٣).

فرحون بما آتاهم الله تعالى من فضله، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من إخوانهم إذا لحقوا بهم.

ب- لا خوفٌ على هؤلاء مما يلحقهم، ولا يحزنون عما فاتهم.

ج- استبشارهم بنعمة الله تعالى وفضله، لأن الله تعالى لم يُضيِّع أعمالهم، بل وفَّرها لهم، ومنحهم الثواب الجزيلَ عليها.

د- استجابتهم لله تعالى ولرسوله ﷺ، مع ما هم عليه من الجراحات والكلوم، حتى إن بعضهم ليحمل أخاه من شدة جراحه، فإذا تعب حمله الآخر، ولا دابة لهم.

ويلاحظ: عطف لفظ (الرسول) على لفظ (الجلالة) من غير لام الجر، إنما بواو العطف ﴿ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ فلم يقل (وللرسول): دلالة على أهمية تلك الاستجابة، وأنها واحدة، لأن استجابتهم لرسول الله ﷺ هي استجابة لله تعالى.

هـ- الثواب الجزيل، والأجر العظيم، والمنح الجليلة؛ نتيجة إحسانهم وتقواهم، واستسلامهم لأمر الله تعالى، وطاعة لرسوله ﷺ، وحرصهم ألاَّ يتركوا رسولَ الله ﷺ منفرداً.

و- زيادة إيمانهم، وتسليمهم لله تعالى، واحتسابهم على الله، وتوكُّلهم عليه، فهو نعم المولى لمن وليه وكفله.

ز- عدم اكتراثهم بما سمعوه من تجمع الكفّار، وعودتهم لقتالهم، وعدم خشيتهم منهم، بل قالوا ما قال إبراهيم عليه السلام يوم أُلقي في النار: حسبنا الله ونعم الوكيل. فكان الله تعالى حسيبَهم، وناصرَهم، وهازمَ

أعدائهم.

ح- رجوعهم بنعمة الله تعالى وعافيته، فلم يلقَوا عدواً، ونالوا فضله تعالى وكرامته، واكتسبوا أجراً عظيماً، ولم ينلهم أذى ولا مكروه.

ط- نالوا رضوان الله تعالى؛ باتباعهم وطاعتهم رسوله وحبيبه ﷺ، ولم يقولوا ما قال بنو إسرائيل مع موسى عليه السلام: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾[83]. بل خرجوا بجراحاتهم وآلامهم، وكُلومهم، رضاً لله تعالى وطاعة لرسوله ﷺ، فنالوا الأجرين والفضل الكبير. ولا أعلى من رضوان الله تعالى، والله تعالى أعلم.

ي- كل ذلك فضلٌ من الله تعالى ونعمة، لأنه جل شأنه لا يُعامل عبادَه الصالحين بالمجّان، ولكن يكافؤهم على كل عمل يقومون به، وإن قَل.

١٩- استجابته تعالى لهم، وتكفير سيئاتهم، وإدخالهم جنات النعيم:

قال الله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾[84].

بعد ذكر الله سبحانه وتعالى أنه لن يضيع عمل عامل من المسلمين ذكراً كان أو أنثى، ذكَر ثناءَه على المؤمنين المهاجرين الذين تركوا ديارَهم؛ نتيجة

---

(٨٣) سورة المائدة (٢٤).

(٨٤) سورة آل عمران (١٩٥).

ضغط الكفار عليهم، حتى اضطروهم إلى الخروج منها، وأهم أُوذوا في سبيل الله عز وجل، لا لذنب ارتكبوه، إلاّ لأهم آمنوا بالله تعالى وبرسوله ﷺ، ويشترك في ذلك الذكور والإناث.

* عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها قالت: يا رسول الله؛ لا أسمع الله ذَكَرَ النساء في الهجرة بشيء؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ رواه الترمذي، والحاكم وصححه وأقره الذهبي(٨٥).

ثم ذكر المولى سبحانه وتعالى ما لهؤلاء:

أ - استجابة الله تعالى لهم دعاءَهم، وحقّق لهم رغباهم.

ب- عدم إضاعة أعمالهم الصالحة التي عملوها، بل حفظها تعالى لهم، ونمّاها لهم، حتى وجدوها أوفرَ ما كانت.

ج- استواء الذكور والإناث في الثواب والفضل، وأنه عز وجل يكافئ الأنثى كما يكافئ الذكر، ولهذا قال: ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ وهذا مما لا يجوز في غير هذا الدِّين.

د- الثناء على المهاجرين الذين خرجوا من ديارهم وأموالهم، وتحمَّلوا إيذاءَ الكفار لهم، رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم.

---

(٨٥) سنن الترمذي: كتاب التفسير: باب ومن سورة النساء، رقم (٣٠٢٣) والمستدرك (٢: ٣٠٠) وأسباب نزول القرآن (١٣٣-١٣٤) قلت: وفي إسنادهم: سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة -وقد ينسب إلى جده، وإلى جد أبيه- ذكره البخاري وابن أبي حاتم، فلم يذكرا فيه شيئاً، وذكره ابن حبان في ثقاته.

هـ- كونهم رضي الله تعالى عنهم شهداء ﴿وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ﴾ وهذه أعلى المقامات.

و- تكفير سيئاتهم وذنوبهم، وذلك لأن الشهيد يكفِّر الله عز وجل عنه جميع خطاياه إلاّ الدَّيْن، كما أن الهجرة تجبُّ ما قبلها.

* عن عبد الله بن عَمْرِو رضي الله تعالى عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: (يُغفر للشهيد كلُّ ذنب إلاّ الدَّيْن). رواه مسلم(٨٦).

* وفي رواية له عنه رضي الله تعالى عنه، قال ﷺ: (القتلُ في سبيل الله يكفِّر كلَّ شيء إلاّ الدَّيْن).

* وعن أبي قتادة رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ قام فيهم، فذكر لهم: (أن الجهاد في سبيل الله والإيمانَ بالله: أفضلُ الأعمال) فقام رجل فقال: يا رسول الله، أرأيتَ إن قُتلتُ في سبيل الله تكفَّرُ عني خطاياي؟ فقال رسول الله ﷺ: (نعم،... إلاّ الدَّيْن، فإن جبريل عليه السلام قال لي ذلك). رواه مسلم(٨٧).

ز- يلاحظ أنه لم يأت بـ (مِن) التبعيضية، إنما قال: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ دلالة على شمول التكفير كلِّ السيئات، والله تعالى أعلم.

ح- إدخالهم الجنات التي تجري تحتها الأنهار، فضلاً منه تعالى وكرماً.

ط- أضاف الله سبحانه وتعالى الثواب إليه، حيث قال تعالى: ﴿ثَوَابًا مِّنْ

---

(٨٦) صحيح مسلم: كتاب الإمارة: باب من قتل في سبيل الله كفرت خطاياه إلاّ الدَّيْن، رقم (١١٩-١٢٠).

(٨٧) صحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (١١٧).

﴿عِندِ ٱللَّهِ﴾ ليدل على عظم هذا الثواب الجزيل؛ لأن الكريم لا يعطي إلاّ عطاءً جزيلاً كثيراً.

ي- ختم الآية بقوله سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ﴾ حيث إن عطاءه سبحانه وتعالى مما لا عَيْنٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر. وهذا فيه حضٌ وحثٌ لهم على العمل الصالح، ورفع راية هذا الدِّين، والمفاداة دونه، وحمايته، والدفاع عنه، والله تعالى أعلم.

٢٠- هم بمعيّة النبيين والصِّدّيقين والشهداء والصالحين:

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا﴾(٨٨).

اشتهر أن هذه الآية نزلت في ثوبان مولى رسول الله ﷺ، وكان رضي الله تعالى عنه شديدَ الحب لرسول الله ﷺ، وأنه إذا لم يره في اليوم تضيق به الدنيا، فيخرج، فيبحث عنه ﷺ حتى يراه، وأنه رضي الله تعالى عنه ذكر الآخرة، فإذا دخل الجنة كان دونَ منْزلة رسول الله ﷺ، حيث يكون مع عامة المسلمين، وأما إذا دخل النار-لا سمح الله تعالى-فلا يراه أبداً. فلما قص ذلك على رسول الله ﷺ، أنزل الله تعالى هذه الآية.

وقيل: بل نزلت في عدد من صحابة رسول الله ﷺ، ورضي الله تعالى

(٨٨) سورة النساء (٦٩-٧٠).

عنهم وأرضاهم[٨٩].

* عن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: جاء رجل إلى النبيِّ ﷺ فقال: يا رسول الله؛ والله إنكَ لأحبُّ إليَّ من نفسي، وإنك لأحبُّ إليَّ من أهلي، ومالي، وأحبُّ إليَّ من ولدي، وإني لأكون في البيت، فأذكرك، فما أصبر حتى آتيك، فأنظرُ إليك. فإذا ذكرتُ موتي وموتَك، عرفتُ أنك إذا دخلتَ الجنةَ رُفعتَ مع النبيِّين، وإنّي إذا دخلتُ الجنة: خشيتُ أن لا أراك. فلم يردَّ عليه النبيُّ ﷺ شيئاً، حتى نزل جبريلُ عليه السلامُ بهذه الآية ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ﴾[٩٠] الآية. رواه الطبراني بإسناد صحيح، ونقل الحافظ السيوطي عن الضياء تحسينه[٩١].

* وورد نحوه من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، كما ورد عن عدد من التابعين مرسلاً، فالحديث صحيح بطرقه[٩٢].

وفي هاتين الآيتين:

أ – إخبار من الله سبحانه وتعالى عن المطيع لله تعالى ولرسوله ﷺ، فإن

---

(٨٩) انظر: أسباب نزول القرآن (١٥٧-١٥٩) وتفسير الطبري، وابن كثير، والدر المنثور، وغيرها.

(٩٠) سورة النساء (٦٩).

(٩١) المعجم الأوسط (١: ١٥٢-١٥٣) والمعجم الصغير (١: ٥٣-٥٤) ومجمع البحرين (٦: ١٦) ومجمع الزوائد (٧: ٧) وقال: رجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن عمران العابدي وهو ثقة. والدر المنثور (٢: ٥٨٨) وعزاه لأبي نعيم، وحسنه الضياء في صفة الجنة.

(٩٢) انظر: المعجم الكبير (١٢: ٨٦-٨٧) ومجمع الزوائد (٧: ٦- ٧) والدر المنثور (٢: ٥٨٨-٥٩٠).

الله سبحانه وتعالى يكرمه بإكرامات كثيرة.

ب- إسكانه تعالى في دار الكرامة؛ لأنها سكن الأنبياء والمرسلين على نبينا وعليهم الصلاة والسلام، والشهداء والصالحين،... مع خلوده فيها، لأن معيته لهؤلاء السادة الأخيار تقتضي مرافقتَهم في سكناهم، وإدامة ذلك له، حتى يبقى في المعية.

ج- أن يجعله تعالى مرافقاً للأنبياء والمرسلين على نبينا وعليهم الصلاة والسلام، ثم لمن بعدهم في الرتبة وهم الصِّدّيقون، ثم من بعدهم وهم الشهداء، ثم مع عموم المؤمنين المتقين؛ وهم الصالحون، الذين صلحت سرائرهم وعلانيتهم.

* وإن كان لفظ (الصالحين) يشمل جميع طبقات المقرَّبين، كما ورد في سلام الأنبياء على النبي المصطفى الكريم عليه وعليهم الصلاة والسلام في بيت المقدس -ليلة الإسراء- وفي السموات، ليلة المعراج بقولهم: (مرحباً بالنبيِّ الصالح، والأخ الصالح) إلاّ ما كان من آدم وإبراهيم على نبينا وعليهما الصلاة والسلام، فقد جاء عنهما قولهما: (والابن الصالح)(٩٣).

د- ثناء الله سبحانه وتعالى على هذه الرفقة ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ وهنيئاً لمن كان رفيقاً لهؤلاء.

(٩٣) كما في حديثي مالك بن صعصعة وأبي ذر الغفاري وغيرهما رضي الله تعالى عنهم: انظر صحيح البخاري: كتاب الصلاة: باب كيف فُرضت الصلوات في الإسراء، وكتاب مناقب الأنصار: باب المعراج، وفي غيرها. وصحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات، رقم (٢٦٣، ٢٦٤) وانظر: الآيات البينات،...

هـ- كل ذلك فضل من الله سبحانه وتعالى، تفضَّل به عليهم، وجعلهم أهلاً لذلك العمل، ثم هذا الإكرام إنما هو برحمته تعالى وفضله، والله تعالى أعلم.

و- نعمة الله تعالى عليه، كما أنعم على المذكورين، لكن النعم تختلف، فكلٌّ واحد بحسبه، فالنعمة على الأنبياء والرسل تفوق النعم على غيرهم من الصِّدِّيقين أو الشهداء أو الصالحين، لكن هناك قدرٌ مشترك من النعم بينهم، وهو التفضل من الله تعالى، والله تعالى أعلم.

ز- إن إكرامَ الله تعالى وإنعامَه على هذا الصحابيِّ الجليل رضي الله تعالى عنه -ومن كان على شاكلته منهم رضي الله تعالى عنهم- إنما هو لعلم الله عز وجل بحقيقة ما قال، وما فعل، وما اتّصف به، لأنه عز شأنه عليمٌ بذلك، ولهذا ختم الله تعالى الآية الثانية بقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾.

٢١- دخول جميع الصحابة الجنة، مع تفضيل المجاهدين:

قال الله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[٩٤].

في هذه الآية الكريمة يفرِّق الله سبحانه وتعالى بين المؤمنين القاعدين عن الجهاد، وهم قادرون عليه -من غير أولي الضرر كالعميان والمرضى مثلاً-

(٩٤) سورة النساء (٩٥-٩٦).

وبين المجاهدين في سبيل الله تعالى بأموالهم وأنفسهم، حيث فضَّل الله تعالى المؤمنين المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على المؤمنين القاعدين عن الجهاد -وهم قادرون عليه- درجات منه تعالى في الجنة، مع مغفرة الذنوب والزلات، والرحمات.

أما أهل الأعذار فهم يشتركون مع المجاهدين، في الثواب والأجر.

* عن البراء رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ دعا رسول الله ﷺ زيداً، وشكا ابنُ أمِّ مكتوم ضراوتَه، فنَزلت ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ﴾ متفق عليه[٩٥]. ورواه البخاري من حديث زيد رضي الله تعالى عنه بأطول، ورواه مسلم مختصراً.

ويدل على ذلك أيضاً:

* عن أنس رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ رجع من غزوة تبوك، فدنا من المدينة فقال: (إن بالمدينة أقواماً: ما سرتُم مسيراً، ولا قطعتم وادياً، إلاّ كانوا معكم) قالوا: يا رسول الله؛ وهم بالمدينة؟ قال: (وهم بالمدينة، حبسهم العذر). رواه البخاري.

* ورواه مسلم -بنحوه- من حديث جابر رضي الله تعالى عنه، وزاد في رواية: (إلاّ شركوكم في الأجر).

---

(٩٥) صحيح البخاري: كتاب الجهاد: باب ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ...﴾، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الإمارة: باب سقوط فرض الجهاد عن المعذورين، رقم (١٤١-١٤٢).

* وجاء عند أبي داود[٩٦] بلفظ: (ما سرتم مسيراً، ولا أنفقتم من نفقة، ولا قطعتم من وادٍ، إلاّ وهم معكم فيه). ثم ذكر مثل الحديث.

ومع هذا فإن الله سبحانه وتعالى وعد الطائفتين: المجاهدين بأموالهم وأنفسهم-مع تفضيله تعالى لهم بالأجر العظيم-والقاعدين من غير عذر، وعدهم بالجنة والجزاء الجزيل، لقوله تعالى: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾.

فالصحابة رضي الله تعالى عنهم -من أسلم منهم قبل الفتح وقاتل وأنفق، ومن أسلم منهم بعد الفتح وقاتل وأنفق، ومن جاهد بماله ونفسه، ومن قعد و لم يقاتل،...- كلهم من أهل الجنة، مع التفاوت في الدرجات، والمفاضلة في الثواب والجزاء.

ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[٩٧]. والله تعالى أعلم.

وفي هذه الآية الكريمة أمور كثيرة، يهمني منها ما يلي:

أ - التمييز بين القاعدين من المؤمنين -من غير أولي الضرر؛ كالمرض والعمى،...- وبين المجاهدين في سبيل الله تعالى بأموالهم وأنفسهم.

(٩٦) صحيح البخاري: كتاب المغازي: باب حدثنا يحيى بن بكير، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الإمارة: باب ثواب من حبسه عن الغزو مرض أو عذر آخر، رقم (١٥٩) وسنن أبي داود: كتاب الجهاد: باب في الرخصة في القعود من العذر، رقم (٢٥٠٨).

(٩٧) سورة الأنبياء (١٠١-١٠٣).

ب- رفع درجات المجاهدين في سبيل الله تعالى بأموالهم وأنفسهم في الجنة.

ج- تفضيل المجاهدين في سبيل الله تعالى على القاعدين أجراً عظيماً.

د- كلهم -من جاهد ومن قعد- من أهل الجنة- وإن كانوا يتفاوتون فيها- هذا وعدُ الله تعالى، ولا يُخلف الله تعالى وعدَه ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ وإذا كانوا من أهل الجنة فهم من أهل الإيمان قطعاً، لذا قاتل الله تعالى من ينفي عنهم ذلك.

هـ- مغفرة الله تعالى ورحمته بهؤلاء جميعاً، وهذا من فضل الله تعالى.

٢٢- فضل المهاجر بوقوع أجره على الله تعالى، والعفو عن المستضعفين:

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ۚ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ۚ فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٩٧) إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (٩٨) فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا (٩٩) ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾(٩٨).

لقد هدَّد الله سبحانه وتعالى -في الآية الأولى- المسلمين الذين يُكثِّرون سواد المشركين، ويكونون عوناً على المسلمين، بأنهم ظالموا أنفسهم، مرتكبون حراماً -بالإجماع- وإن مات أحدُهم أو قُتل فهو من أهل النار،

(٩٨) سورة النساء (٩٧-١٠٠).

ويلزم الهجرةَ من كان منهم قادراً عليها، وليس متمكناً من إقامة الدِّين.

* عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أن ناساً من المسلمين كانوا مع المشركين يُكثِّرون سوادَ المشركين على رسول الله ﷺ، يأتي السهمُ فيُرمى به، فيصيبُ أحدَهم فيقتله، أو يُضرب فيُقتل، فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ...﴾ الآية،... رواه البخاري(٩٩).

فهو ظالم لنفسه بترك الهجرة، وإذا قيل لهم: لَمَ مكثتم وتركتم الهجرة؟ قالوا: لا نقدر على الخروج من البلد، ولا الذهاب في الأرض، قيل لهم: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا﴾.

ولهذا جاء النهي عن مساكنة المسلم المشرك ومجامعته في بلده، وهو لا يستطيع إقامة دين الله.

* عن سَمُرَة بن جُنْدُب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: (أنا بريءٌ من كل مسلمٍ يُقيم بين أظهر المشركين) قالوا: يا رسول الله لَمَ؟ قال: (لا تراءى ناراهما). رواه أبو داود والترمذي(١٠٠). وله شواهد هو بها حسن.

(٩٩) صحيح البخاري: كتاب التفسير: سورة النساء: باب ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ الآية، وفي غيرهما.

(١٠٠) سنن أبي داود: كتاب الجهاد: باب النهي عن قتل المعتصم بالسجود، وباب في الإقامة بأرض الشرك، رقم (٢٦٤٥، ٢٧٨٧) وسنن الترمذي: كتاب السير: باب ما جاء في كراهية المقام بين أظهر المشركين، رقم (١٦٠٤-١٦٠٥) لكن رجَّح أبو داود والترمذي وغيرهما إرسال الحديث الأول-وهو حديث سمرة-مع كون رجاله ثقات، وله شاهد من حديث جرير رضي الله تعالى عنه، رواه أبو داود والترمذي: في الموضعين السابقين-بإسناد ضعيف-والمعجم الكبير (٢: ٣٤٢-٣٤٣) وسنن البيهقي (٩: ١٢-١٣) وكنز العمال =

لكن الله تعالى عذر المستضعفين من الرجال والنساء والولدان، الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون طريقاً إذا لم يخرجوا. فهؤلاء يعفو الله تعالى عنهم؛ لأنه عفوٌ غفور.

* قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: كنتُ أنا وأمي من المستضعفين. رواه البخاري(١٠١).

* وفي رواية له عنه رضي الله تعالى عنهما، أنه تلا ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾ قال: كنتُ أنا وأمي ممن عذر الله.

ولهذا كان رسول الله ﷺ يدعو لهؤلاء المستضعفين؛ المقيمين في مكة، في قنوت الفجر.

* عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول- حين يفرغ من صلاة الفجر من القراءة ويكبر ويرفع رأسه-: (سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد) ثم يقول -وهو قائم-: (اللهم أَنْجِ الوليدَ بن الوليد، وسلمةَ بنَ هشام، وعيّاشَ بن ربيعة، والمستضعفين من المؤمنين، اللهم اشدُد وطْأَتَكَ على مضر، واجعلها عليهم كسِنِيِّ يوسف،...). متفق عليه، واللفظ لمسلم(١٠٢).

= (٤: ٣٨٤) حيث عزاه للضياء في المختارة. وله شاهد من حديث معاوية بن حيدة، رضي الله تعالى عنه عند أحمد والنسائي وابن ماجه، وغيره. فالحديث بطرقه حسن.

(١٠١) صحيح البخاري: كتاب التفسير: سورة النساء: باب ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ﴾.

(١٠٢) صحيح البخاري: كتاب الأذان: باب يهوي بالتكبير حين يسجد، وفي غيرهما. وصحيح =

فقوله ﷺ: (والمستضعفين من المؤمنين) أي يا الله أنجهم؛ لأنهم لا حيلة لهم، فلا يستطيعون الهجرة لضعفهم. وهذا استثناء منه ﷺ بالدعاء لهم، كما أن الله عز وجل استثناهم، والله تعالى أعلم

ثم ذكر الله سبحانه وتعالى ثوابَ المهاجر الذي يخرج من بيته وأهله مهاجراً إلى الله تعالى ورسوله ﷺ، بأنه يجد في الأرض سعةً من الرزق، ومنعةً يتخلَّص بها، ويراغم بها أعداءه،... وأما إذا مات المهاجر في حال هجرته و لم يَصِل إلى موطن هجرته فإن أجره يقع على الله سبحانه وتعالى، والله تعالى غفور رحيم.

ومما يؤخذ من هذه الآيات الكريمات:

أ - فضل الهجرة في سبيل الله تعالى، والحث عليها.

ب- استثناء المستضعفين من الرجال والنساء والولدان -الذين لا حيلة لهم، ولا يستطيعون الهجرة- من العذاب ودخول جهنم، مع العفو عنهم، والمغفرة لهم.

ج- النهي عن مساكنة المسلم للمشرك؛ إذا كان لا يستطيع إقامةَ شرع الله تعالى على نفسه وأهله وذويه.

د- تكفّل المولى تعالى للمهاجر في سبيله بالمنعة التي يتخلّص ويراغم بها، وبسعة الرزق.

هـ- وقوع أجر المهاجر في سبيل الله تعالى على الله تعالى إذا مات قبل

= مسلم: كتاب المساجد: باب استحباب القنوت في جميع الصلوات،... رقم (٢٩٤-٢٩٥).

أن يصل إلى موطن هجرته، والله تعالى أعلم.

٢٣- إكمال الدين، وإتمام النعمة على المسلمين:

قال الله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾(١٠٣).

هذا الخطاب جاء موجهاً للصحابة رضي الله تعالى عنهم بدلالة أول الآية، وهذه الآية الكريمة نزلت يومَ عرفة، ورسول الله ﷺ، واقف فيها. وسيأتي ذكرُ الحديث في نهاية الفقرة إن شاء الله تعالى.

لقد ذكر الله سبحانه وتعالى أكبر نعمة على هذه الأمة ابتداء من عصر الصحابة رضي الله تعالى عنهم وانتهاءً بآخرها، حيث أكمل الله سبحانه وتعالى لهم الدِّينَ، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا يحتاجون إلى نبيٍّ آخر غير نبيِّهم وحبيبهم صلوات الله وسلامه عليه.

وكما ختم الله سبحانه وتعالى بنبيه وصفيِّه ﷺ النبوةَ والرسالةَ، ختم بدينه الإسلامِ الأديانَ كلها، فلا دين بعد دينه، كما لا نبيَّ بعده ﷺ، مع ثنائه تعالى على الإسلام، وإتمام النعمة على المسلمين.

وفي هذه الآية الكريمة:

أ - بيان يأس الكفار من الإسلام، فلن يستطيعوا تغييره أو تبديله، فضلاً عن القضاء عليه.

ب- حث الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم على عدم خشيتهم من

(١٠٣) سورة المائدة (٣).

الكفار، ولا فزعهم منهم، مهما حاولوا النيلَ منهم، وعليهم بخشية الله تعالى.

ج- بيان نعمة الله تعالى العظمى، حيث أكمل لهم الدِّين، وأتم عليهم النعمة.

د- كمال دينهم -الإسلام- فلا يحتاجون إلى مكمِّل، ولا يحتاج إلى زيادة، إذ لا موضع للزيادة فيه؛ لأن الكامل لا يُكمَّل، فهو لا يحتاج إلى زيادة، بل الزيادة تنقصه.

هـ- إتمام النعمة عليهم -بهذا الدين- فلا ينقصه.

و- الإسلام هو أفضل دين على وجه الأرض، لأن الله تعالى هو الذي أتمّه وأكمله، ورضيه ديناً لنا، لذا لا يقبل الله تعالى من أحد من الخلق ديناً سواه ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾(١٠٤).

وكيف يُقبل منه غيره وقد ترك الدِّينَ الذي ارتضاه الله تعالى لنفسه ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾(١٠٥).

ز- رضاء الله تعالى لهذه الأمة دينها الإسلامَ، فهو لا يسخطه أبداً، وإذا كان قد رضيه سبحانه وتعالى فارضُوه أنتم يا معشر هذه الأمة لأنفسكم، فإنه الدين الذي أحبه الله تعالى ورضيه، وبعث به أفضلَ رسله ﷺ، وأنزل به أشرف كتبه.

ح- لعظم مكانة هذه الآية الكريمة -بما تضمنته من مزايا- نزلت يومَ عرفة، ورسول الله ﷺ، واقف فيها، يوم الجمعة.

---

(١٠٤) سورة آل عمران (٨٥).

(١٠٥) سورة آل عمران (١٩).

* عن طارق بن شهاب رضي الله تعالى عنه قال: جاء رجلٌ من اليهود إلى عمر رضي الله تعالى عنه فقال: يا أمير المؤمنين، آيةٌ في كتابكم تقرؤونها، لو علينا نزلت-معشرَ اليهود-لاتَّخذنا ذلك اليوم عيداً. قال: وأيُّ آية؟ قال: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾.

فقال عمر رضي الله تعالى عنه: إني لأعلم اليومَ الذي نزلت فيه، والمكانَ الذي نزلت فيه [زاد في رواية: والساعةَ، وأين رسول الله ﷺ حين نزلت] نزلت على رسول الله ﷺ بعرفات، في يوم جمعة [زاد في رواية: ونحن مع رسول الله ﷺ]. متفق عليه(١٠٦)، والله تعالى أعلم.

٢٤- ولاية الله تعالى ورسوله والمؤمنين لحزب الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤) إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ (٥٥) وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾(١٠٧).

يخبر الله تعالى عن قدرته العظيمة، أنه من تولّى عن نصرة دينه، وإقامة شرعه، ويرتد عن دينه، فإنه تعالى سيستبدل به من هو خير له منه، وذكر

(١٠٦) صحيح البخاري: كتاب الإيمان: باب زيادة الإيمان ونقصانه، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب التفسير، في أوله، رقم (٣-٥).

(١٠٧) سورة المائدة (٥٤-٥٦).

صفات هؤلاء القوم، بمحبته تعالى لهم، وأنهم أشدُّ منعةً، وأقومُ سبيلاً. وأنهم من المؤمنين المتقين الصالحين الأولياء المحبين المحبوبين.

وهذه الآيات: نزلت -كما قال ابن إسحاق رحمه الله تعالى، والله تعالى أعلم- في عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه، عندما تولى الله عز وجل، وتَبَرَّأ من حلف اليهود وولايتهم، وتشَبَّث عبدُ الله بنُ أُبيٍّ ابن سلول كبيرُ المنافقين بأمرهم، وقام دونهم. وقيل: نزلت في الولاة من قريش، وقيل بل نزلت في أهل الردة أيام أبي بكر رضي الله تعالى عنه، والله تعالى أعلم.

وفي هذه الآيات الكريمات:

أ - خطاب الله تعالى لهم بوصفهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ ولم يخاطبهم تعالى بأجناسهم، دلالة على أن هذا الوصف لازم لهم، لأنه من أشرف أوصافهم، ثم إن هذا وصفُ تشريفٍ وتكريمٍ لهم، ولذا تكرر هذا الخطاب عشرات المرات في كتاب الله تعالى، لذا فمن رام نزعَه عنهم يكون قد كذّب الله تعالى فيما وصفهم به، فالويل له إن لم يتب.

ب- تحذير المؤمنين من أن يرتدّوا، فتحبط أعمالهم في الدنيا، ويكون لهم في الآخرة عذابُ الجحيم.

ج- كونه سبحانه وتعالى يحب الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وأنهم يحبونه جل شأنه. وهذا غاية الكمال والمدح لهم، وشهادة منه تعالى لهم.

* قال الحسن البصري والضحاك رحمهما الله تعالى: هو -واللهِ- أبو بكر وأصحابه رضي الله تعالى عنهم. كما ذكره ابن أبي حاتم وابن الأعرابي.

وثبت في الحديث الصحيح أنهم قوم أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى

عنه، من أهل اليمن.

* عن عياض الأشعري رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ قال رسول الله ﷺ: (هم قومُك يا أبا موسى) وأومأ رسولُ الله ﷺ إلى أبي موسى الأشعري(١٠٨). رضي الله تعالى عنه، والله تعالى أعلم.

ج- ما وصفهم الله سبحانه وتعالى من كونهم أذلة على المؤمنين، أعزة على الكافرين، وهذه صفات كمَّل الرجال من المؤمنين، كما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى عند قوله تعالى -من سورة الفتح-: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾(١٠٩).

د- شهادة الله تعالى لهم بأنهم يجاهدون في سبيله -لا في سبيل غيره- ولا يردهم عمّا هم فيه من طاعة الله عز وجل، وإقامة حدوده، وقتال أعدائه، وأمرهم بالمعروف،... لا يردهم عن ذلك رادٌّ، ولا يصدَّهم عنه صاد.

هـ- كونهم لا يخافون اللومَ من لائم، ولا العذلَ من عاذل، في سبيل جهادهم لنشر هذا الدين، وحمايته، والدفاع عنه.

---

(١٠٨) انظر: الطبقات الكبرى (٤: ١٠٧) ومصنف ابن أبي شيبة (١٢: ١٢٣) ومسند ابن أبي شيبة (٢: ١٧٩) وتفسير ابن أبي حاتم (٤: ١١٦٠) وتفسير الطبري (١٠: ٤١٤-٤١٥) والمعجم الكبير (١٧: ٣٧١) والمستدرك (٢: ٣١٣) وصححه على شرط مسلم، وأقره الذهبي، ومجمع الزوائد (٧: ١٦) وقال: رجاله رجال الصحيح. وانظر الدر المنثور (٣: ١٠٢).

(١٠٩) سورة الفتح (١٩).

و- توليهم لله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ والمؤمنين مـن أصـحابهم، وليس اليهود، ولا الكفار، إنما ولاؤهم لله تعالى ولرسوله ﷺ وللمؤمنين.

ز- إقامتهم شعائر الله تعالى؛ من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة،...الخ.

ح- هم حزب الله عز وجل؛ لأنهم رضوا بأن تكون ولايتهم لله تعـالى ورسوله ﷺ والمؤمنين، فجعلهم الله سبحانه وتعالى من حزبه.

ط- فلاحهم في الدنيا وفي الآخرة. وهذا حكم الله تعالى، وإخبارٌ منـه تعالى، وهذا لا يزول عنهم، لذا من حاول إزالة هذا الوصف عنـهم فقـد خالف أمرَ الله تعالى، وردَّ عليه قولَه، ونفى عنه حكمَه. ومن يفعل ذلك فإنه يبوء بغضب الله تعالى ونقمته، لأنه مكذِّبٌ له تعالى، والله تعالى أعلم.

ي- هذا كله فضلٌ مِن الله تعالى عليهم، ومِنَّةٌ مِنه جل شأنه؛ امتنّ بهـا عليهم.

٢٥- أمر الله تعالى رسوله الكريم ﷺ تقريب الضعفاء منه وعدم طردهم:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١١٠).

(١١٠) سورة الأنعام (٥٢-٥٤).

يخبر الله عز وجل عما كان قد طلبه بعضُ زعماء قريش -أو بعضُ زعماء العرب من غيرهم- من رسول الله ﷺ؛ أنه إذا حضر هؤلاء الزعماءُ فعلى رسول الله ﷺ أن يطرد مَنْ عنده من الصحابة الضعفاء المساكين رضي الله تعالى عنهم، وألاَّ يُجلِس هؤلاء الضعفاء معهم، وأن يكون لهم مجلس خاص بهم،...

فحذر الله سبحانه وتعالى من ذلك، وطلب من رسوله وصفيِّه ﷺ أن يُدني هؤلاء المسلمين المؤمنين من الصحابة، وأن يسلِّم عليهم، ويبشِّرَهم برحمة الله سبحانه وتعالى، وأنه تعالى غفور لمن عمل سوءاً بجهالة ثم تاب، وأنه تعالى رحيم بهم.

* عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال: كنا مع النبي ﷺ ستة نفر، فقال المشركون للنبي ﷺ: اطرد هولاء لا يجترئون علينا.

قال: وكنت أنا، وابنُ مسْعود، ورجلٌ من هذيل، وبلالٌ، ورجلان لست أسمِّيهما، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع، فحدَّث نفسَه، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾. رواه مسلم(١١١).

* وفي رواية له عنه رضي الله تعالى عنه قال: فيَّ نزلت: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ قال: نزلت في ستة؛ أنا وابنُ مسعود منهم. وكان

(١١١) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب في فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه، رقم (٤٥، ٤٦).

المشركون قالوا له: تُدني هؤلاء.

* وعند أحمد والطبراني من حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: مرَّ الملأُ من قريش على رسول الله ﷺ -وعنده خبابٌ وصُهيبٌ وبلالٌ وعمّار، فقالوا: يا محمد؛ أرضيت بهؤلاء؟... الحديث بنحوه، ورجال أحمد رجال الصحيح، غير كُرْدوس وهو ثقة(١١٢).

ففي هذه الآيات الكريمات:

أ – مكانة هؤلاء الصحابة رضي الله تعالى عنهم عند الله عز وجل، حتى نهى رسولَه وصفيَّه الكريم ﷺ أن يطردَهم، ويبعدَهم عنه، بل أمره تعالى أن يدنيهم منه، ويُصْبِر نفسَه ﷺ معهم، كما سيأتي في آية سورة الكهف إن شاء الله تعالى.

حيث أمره سبحانه وتعالى ألاَّ يطيع زعماء قريش وغيرهم ممن أغفل قلبه عن ذكر الله عز وجل، و لم يدخل الإيمانُ في قلبه، وركب هواه، واتبع شيطانَه – إذا ما طلب هؤلاء طردَ الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم.

ب– ما وصف الله سبحانه وتعالى به هؤلاء الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم من عبادتِهم لربهم تعالى، وذكرهم له جلَّ شأنه بالغداة والعشي.

ج– ما وصفهم به سبحانه وتعالى من إخلاص العمل لله عز وجل، وطلب مرضاته، وهم مخلصون فيما هم فيه من الطاعات والعبادات.

د– وصفهم الله تعالى بالشكر لله تعالى على ما منَّ به عليهم، وأكرمهم من إيمانٍ وطاعةٍ وإخلاصٍ وصحبةٍ،...الخ.

---

(١١٢) مسند أحمد (١: ٤٢٠) والمعجم الكبير (١٠: ٢٦٨) ومجمع الزوائد (٧: ٢٠-٢١) وعزاه في الدر المنثور أيضاً لابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه وأبي نعيم في الحلية.

هـ- شهادة الله تعالى لهم بالإيمان ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ وهذا وصف ثابت لهم، ولم يصفهم تعالى بأحسن منه، لذا فمن رام نزعه عنهم، أو صرفه فقد باء بخطر عظيم، لأنه مكذِّبٌ لله تعالى.

و- أمر الله تعالى نبيه وصفيَّه الكريم ﷺ إذا جاءه هؤلاء الصحابة رضي الله تعالى عنهم، أن يستقبلهم، ويكرمهم، ويسلِّم عليهم، ولا يقنِّطهم من رحمة الله، بل يبشرهم برحمته سبحانه وتعالى الواسعة الشاملة لهم، والتي كتبها سبحانه وتعالى على نفسه تكرُّماً وتفضُّلاً، وأن يغفر لمن أخطأ منهم ثم تاب وأصلح.

* لذا كان رسولُ الله ﷺ إذا أتى إلى هؤلاء الفقراء الصالحين الصادقين المخلصين يقول: (الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني أن أصبِّر نفسي معهم)(١١٣).

ز- طلب الله تعالى من رسوله الكريم ﷺ أن يخبر هؤلاء أن الله تعالى قد كتب على نفسه الرحمة، تفضُّلاً منه تعالى وتكرُّماً.

ح- طلب الله تعالى من رسوله الكريم ﷺ أن يخبر هؤلاء أن أي واحدٍ إذا فعل إساءةً عن جهل منه، أو بغير قصد، ثم تاب وأناب ورجع؛ فإن الله تعالى يقبل توبتَه، ويغفر له ويرحمه.

ط- منَّته سبحانه وتعالى على هؤلاء المساكين رضي الله تعالى عنهم،

(١١٣) انظر: سنن أبي داود: كتاب العلم: باب في القصص،... رقم (٣٦٦٦) ومسند أبي يعلى (٢: ٣٨٢-٣٨٣) وشرح السنة (١٤: ١٩١) ودلائل النبوة (٥: ٣٥١) ومجمع الزوائد (٧: ٢١). وقد رواه مختصراً أحمد والترمذي -وحسنه- وابن ماجه، وله شواهد عدة.

حيث خصّهم تعالى من دون الأغنياء والزعماء بفضله وكرمه.

ي- تحذير الله عز وجل رسولَه الكريمَ ﷺ من طردهم -حسب طلب زعماء الكفار- وأن ﷺ ليس عليه من حسابهم شيء.

ك- إخباره تعالى أنه جل شأنه جعل هؤلاء الصحابة المساكين رضي الله تعالى عنهم ابتلاء ومحنةً لهؤلاء الكفار، لذا عليهم ألاَّ يقفوا عند وجود هؤلاء، لأن الذي يضيعونه من عدم مجالستهم لرسول الله ﷺ أكبر بكثير من وجود هؤلاء الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

ل- كما فيه دلالة على أن المؤمن أعظم عند الله تعالى من أضعافه من زعماء الكفر والشرك، لأنه إذا كانت حرمةُ المؤمن عند الله تعالى أعظمَ من حرمة الكعبة[١١٤] فلأن يكون أعظمَ من عتاة الكفر والطغيان فمن باب أولى.

م- ليس الصلاح والتقوى والإخلاص والنجاة من عذاب الله تعالى، منوطاً بالغنى والقوة والوجاهة، بل ذلك منوط بصدق القلب، وحسن اليقين، وقوة الإيمان، وخالص الصدق، والإخلاص لله تعالى،...

لهذا كان هؤلاء الصحابة رضي الله تعالى عنهم -مع فقرهم وعوزهم-: بالدرجة الرفيعة والمكانة العالية،... عند الله تعالى، بخلاف زعماء قريش ومن كان على شاكلتهم من زعماء القبائل العربية الأخرى، ولكن الله تعالى هو العالم بالشاكرين، ليَمُنَّ عليهم بالهداية والإيمان، جزاء شكرهم لنعمه تعالى، بخلاف هؤلاء الكفار المعاندين، والله تعالى أعلم.

---

(١١٤) انظر: مكانة الحرمين عند المسلمين، فقد ذكرت النصوصَ في ذلك.

٢٦- وَجَل قلوبهم، وتوكلهم على الله تعالى، وقوة إيمانهم:

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾(١١٥).

هذه الآيات جاءت بعد قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ وفيها وصفٌ دقيقٌ للصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم؛ الذين شهدوا غزوة بدر مع رسول الله ﷺ، تبيّن حالهم إذا ذكروا الله تعالى كيف ينتاب قلوبَهم الوجلُ والخوفُ، فيُقبلون على فعل أوامر الله تعالى، وترك مناهيه، مع زيادة إيمانهم عند تلاوتهم لآيات الله تعالى، وزيادة توكلهم على الله تعالى.

وفي هذه الآيات الكريمات ما يلي:

أ - وصفهم بالإيمان، وهذا وصفُ تشريف وتكريم لهم، لذا فكلُّ من حاول إزالة هذا الوصف عنهم فقد باء وخسر، لأنه يكذّب الله تعالى في قوله فيهم، ويخالف أمرَه تعالى، وينقض شهادته لهم.

ب- وَجَلُ قلوبهم رضي الله تعالى عنهم إذا سمعوا ذكر الله عز وجل، وخضوعهم لذكره سبحانه، خوفاً منه، وفَرَقاً من عقابه.

ج- ازدياد إيمانهم، وتصديقهم إذا تليت عليهم آيات الله تعالى، فهم في زيادة إيمان دائماً، لأن تلاوة الآيات عندهم مستمرة، ولا ينقص إيمانهم،

(١١٥) سورة الأنفال (٢-٤).

لسماعهم الآيات يوميّاً. فمن حاول تنقيصَ إيمانهم أو نفيه فقد كـذّب الله تعالى في حكمه فيهم.

د- توكلهم على ربهم سبحانه وتعالى، واعتمادهم عليه جل شأنه، فلا يرجون غيره، ولا يرهبون سواه، لأن التوكل على الله تعالى جماعُ الإيمان.

هـ- قيامهم بالعبادات؛ من أداءٍ للصلوات المفروضة، وإنفـاقهم ممـا رزقهم الله تعالى في وجوه البر.

و- هم المؤمنون حقاً، وهذه شهادة الله عز وجل فيهم، فمن يقوى على نقض تلك الشهادة، إلاّ مطعون الشهادة، مغموز الدين.

ز- ما لهم في الآخرة من المراتب الرفيعة، والدرجات العالية، وغفـران الذنوب، والرزق الكريم.

* عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (إن أهل الجنة ليتراءون أهلَ الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكبَ الدُّرِّيَّ الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم) قالوا: يا رسول الله؛ تلك منازلُ الأنبياء لا يبلغها غيرُهم؟ قال: (بلى، والذي نفسي بيده، رجالٌ آمنوا بالله، وصدَّقوا المرسلين). متفق عليه(١١٦).

* زاد في رواية أحمد وأصحاب السنن وابن حبان في آخرين -من وجه آخر(١١٧)- (وإن أبا بكر وعمر منهم، وأنعما).

---

(١١٦) صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق: باب ماجاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب في الجنة وصفة نعيمها: باب ترائي أهل الغرف كما يرى الكوكب في السماء، رقم (١٠-١١).

(١١٧) مسند أحمد (٣: ٢٦، ٢٧، ٥٠، ٦١، ٧٢، ٩٣، ٩٨) وسنن أبي داود: كتاب الحروف =

ح- هذا الثناء من الله عز وجل، وإثبات إيمانهم الحق، دلالةٌ على رفعة منْزلتهم، وعلوِّ مكانتهم،... عند الله عز وجل، والله تعالى أعلم.

٢٧- اتّصافهم بالإيمان الكامل:

قال الله تعالى: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾[(١١٨)].

لما استنفر رسول الله ﷺ الصحابةَ الكرام رضي الله تعالى عنهم لملاقاة عير قريش -بقيادة أبي سفيان- خرج معه ثلاثمائة وبضعة عشر، مخفّين، فلما نفذت العير: استشارهم ﷺ بملاقاة جيش قريش، فقال بعضهم: إنهم لم يخرجوا لقتال، فلما تكلم أبو بكر ثم عمر ثم المقداد ثم سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنهم، بشَّرهم ﷺ بالنصر، ثم بمقاتل صناديد قريش، ثم،...

وكل ذلك بتقدير الله تعالى الذي جمع بين المسلمين والكافرين، على غير ميعاد منهم، ليقضي أمراً كان مفعولاً، لتعلو كلمةُ الحق، والنصر على الباطل، وكان كذلك.

أ - خروج النبي الكريم ﷺ من المدينة كان بأمر الله تعالى وإرادته.

ب- كون هذا الخروج من النبيِّ الكريم ﷺ بالحق، وليس عن هوى، أو

= والقراءات، رقم (٣٩٨٧) وسنن الترمذي: كتاب المناقب: باب في مناقب أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، رقم (٣٦٥٨) وسنن ابن ماجه: المقدمة: باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ، رقم (٩٦) ومسند أبي يعلى (٢: ٣٦٩، ٤٠٠، ٤٦١، ٤٧٣) وصحيح ابن حبان (١٦: ٤٠٤). وانظر زيادة التخريج في الباب الثاني من هذا الكتاب.

(١١٨) سورة الأنفال (٥).

بقصد الدنيا.

ج- وصف الله سبحانه وتعالى الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم بالإيمان، وهذا وصف لا زم ثابت لهم لا يزول، لذا كان أهل بدر خيار المسلمين.

* عن رفاعة بن رافع الزرقي رضي الله تعالى عنه -وكان من أهل بدر- قال: جاء جبريل إلى النبيّ ﷺ فقال: ما تعدون أهلَ بدر فيكم؟ قال: (من أفضل المسلمين) -أو كلمة نحوها- قال: وكذلك مَن شهد بدراً من الملائكة. رواه البخاري(١١٩).

لذا جاءت النصوص عن النبي المصطفى الكريم ﷺ تبيّن فضلَهم، وعلوَّ مكانتهم، وأنهم كلهم في الجنة، وأن الله تعالى غفر لهم ذنوبهم.

* عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه-في قصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله تعالى عنه-وفيه قوله ﷺ لعمر رضي الله تعالى عنه: (يا عمر؛ وما يدريك لعل الله قد اطَّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة)... الحديث، متفق عليه، واللفظ للبخاري(١٢٠).

* وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما، أن عبداً لحاطبٍ جاء رسول الله ﷺ يشكو حاطباً، فقال: يا رسول الله؛ ليدخلنَّ حاطبٌ النارَ.

(١١٩) صحيح البخاري: كتاب المغازي: باب شهود الملائكة بدراً.

(١٢٠) صحيح البخاري: كتاب الاستئذان: باب من نظر في كتاب من يُحذَر على المسلمين ليستبين أمره. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل أهل بدر رضي الله تعالى عنهم،... رقم (١٦١).

فقال رسول الله ﷺ: (كذبتَ، لا يدخلها، فإنه شهد بدراً والحُدَيْبِيَة). رواه مسلم(١٢١). والنصوص في ذلك كثيرة.

٢٨- تثبيت قلوبهم بالملائكة، وإكرامهم بمدد السماء:

قال الله عز وجل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾(١٢٢).

يذكر الله تعالى حالةَ رسوله وصفيه ﷺ، وحالةَ المؤمنين قبيل معركة بدر، وما أكرم الله سبحانه وتعالى به رَسولَه وحبيبَه ﷺ والمؤمنين، وذلك: أن رسول الله ﷺ نظر إلى عدد أصحابه رضي الله تعالى عنهم وما معهم من عُدّة وعتاد، ونظر إلى كفار قريش وما معهم من عُدّة وعتاد، فاستقبل ﷺ القبلةَ، وطفق يسأل الله تعالى بإلحاحِ الواثقِ من كرم ربه تعالى وإجابته، ويسأله إنجاز ما وعده به، واستمر يستغيث الله تعالى، ويدعوه حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فالتزمه أبو بكر رضي الله تعالى عنه من خلفه، فأنزل الله تعالى هذه الآيات، مذكّراً لهم شدة مناشدة رسول الله ﷺ، واستجابته تعالى

---

(١٢١) صحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (١٦٢).

(١٢٢) سورة الأنفال (٩-١٢).

له، وإنزال الملائكة مؤيدين متضامنين معهم، فكان النصر، ولله الحمد والمنة والفضل.

أ - استجابة الله سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ.

ب- إنزال الملائكة نجدةً ومدداً لهم، بعضهم على إثر بعض، وبشرى للمؤمنين، وتطميناً لهم.

ج- إلقاء النعاس على الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم -قبيل القتال- أَمَنَةً، إذهاباً للخوف. لأن في مثل هذا الموقف تطيش العقول، ويحل الخوف والرعب، لأن المقاتِل لا يدري من أين يأتيه عدوُّه، فكونه ينعس دلالة على ثبات قلبه، ورباطة جأشه، وذهاب الخوف والحذر عنه، وإحلال الأمن والاطمئنان في القلب.

وهذا نظير ما حصل لهم يوم أُحُد-كما مر في سورة (آل عمران، رقم الآية ١٥٤) وسبق ذكر حديث أبي طلحة رضي الله تعالى عنه.

د- إنزال المطر من السماء، رحمة منه تعالى، ليطهرهم به، ويذهب ما قذفه الشيطان من وساوس في صدورهم، فيجمع لهم بين شجاعة الباطن والظاهر، فيربط على قلوبهم بالصبر والإقدام، ويثبت به أقدامهم على الأرض.

هـ- تثبيت المؤمنين بالملائكة، وتقويتهم على أعدائهم؛ الذين سيُلقي الله تعالى في قلوبهم الرعب.

و- معاونة الملائكة المؤمنين بمباشرة القتال، وقتل الكفار. مع تحديد ضرب الملائكة للكفار، والتفريق بين قتلاهم وقتلى المسلمين.

ز- وصف الصحابة رضي الله تعالى عنهم بالإيمان. وقد تكرّر التعليق

على هذا الوصف الكريم كثيراً.

ح- عناية الله سبحانه وتعالى بصحابة نبيِّه وصفيِّه ﷺ، ورحمته بهم بما ظهر من إكرامه لهم، بتغشي النعاس لهم، وإنزال المطر، وإنزال الملائكة، وتثبيتهم في أرض المعركة، وتقوية قلوبهم، والله تعالى أعلم.

ط- التجاء النبي المصطفى الكريم ﷺ ومعه الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم إلى الله تعالى، خاصة في مثل تلك الأوقات العصيبة.

٢٩-إيواء الله تعالى لهم، وتأييدهم بنصره:

قال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[١٢٣].

يُذكِّر الله تعالى المؤمنين بنعمه التي أنعم بها عليهم، وإحسانه إليهم، حيث كانوا قليلين مستضعفين، فكثَّرهم وقوَّاهم ونصرهم، وكانوا خائفين فآواهم وآمنهم، كانوا فقراءَ فرزقهم من الطيبات، هكذا كانوا في مكة، فلما هاجروا إلى المدينة، وآواهم الأنصار، وكانوا لهم عوناً ومعيناً، وناصراً ومكثِّراً، ومواسياً،... تغيَّرت الأحوال.

وفي هذه الآية الكريمة:

أ - عناية الله تعالى بهم رضي الله تعالى عنهم، ورحمته تعالى إياهم.

ب- كونهم قلة فكثَّرهم الله عز وجل. وذلك بإسلام الأعداد الكثيرة من الأنصار وغيرهم رضي الله تعالى عنهم.

(١٢٣) سورة الأنفال (٢٦).

ج- كانوا مستضعَفين في الأرض، يخافون أن يتخطفهم الناس، فآواهم الله تعالى، بأن أذن لهم بالهجرة إلى المدينة، فآواهم بها، وقيَّض لهم أهلَها الذين آووهم، وواسوهم، وبذلوا مهجَهم وأموالهم، طاعةً لله تعالى وطاعةً لرسوله ﷺ، وجعلهم ملوكاً بعد أن مكَّن لهم في البلاد.

د- نصر الله تعالى لهم، بحيث ما دخلوا معركة مع رسول الله ﷺ - وهي سبع وعشرون غزوة- إلاّ انتصروا على عدوهم بقدرة الله تعالى.

هـ- رزق الله تعالى لهم من الطيبات التي أحلها لهم، من غنائم وغيرها.

وكل ذلك أعطوه بالإسلام، لذا يلزمهم شكر الله تعالى على نعمه.

٣٠-ولاية الله تعالى لهم:

قال الله تعالى: ﴿وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡۚ نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾[(١٢٤)].

بعد أن تحدّثت الآيتان السابقتان -لهذه- عن أحوال الكفار، وأنهم إن تابوا عن كفرهم وأسلموا؛ يغفر الله لهم ما قد سلف، وإلاّ فقاتلوهم حتى يكون الدِّينُ كله لله تعالى، فإن استمروا على خلافكم ومحاربتكم؛ فالله تعالى هو مولاكم، وهو ناصرُكم، ومعينُكم على عدوكم، وهو نعم المعين، ونعم الناصر.

ففي هذه الآية الكريمة:

أ - لا تؤاخَذون إذا استمر الناس على كفرهم، بعد بذلكم الوسع في هدايتهم.

ب- الله تعالى مولى المؤمنين الصالحين، وسيدهم.

(١٢٤) سورة الأنفال (٤٠).

ج- هو تعالى نصيركم، وهو الناصر لكم على عدوكم، لأنه نعم المولى ونعم النصير.

٣١- تأييد الله تعالى رسوله الكريم ﷺ بهم رضي الله تعالى عنهم:

قال الله عز وجل: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾[١٢٥].

يخبر الله تعالى أنه إذا أراد الأعداءُ من اليهود -أو غيرهم- أن يخدعوا ويغدروا فإن الله سبحانه وتعالى يكفي رسولَه ﷺ شرهم وخداعهم؛ لأنه سبحانه وتعالى متكفل بإظهار دينه، وعصمة نبيِّه وصفيِّه ﷺ.

ثم يذكر سبحانه وتعالى نعمته على نبيِّه وصفيِّه ﷺ، وذلك:

أ - تأييد الله سبحانه وتعالى نبيه وصفيَّه ﷺ، وذلك بنصره له.

ب- شدَّ أزره ﷺ بالمؤمنين -وهم الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم.

ج- وصفهم بالإيمان -ولم يصفهم المولى تعالى بوصف آخر- دلالة على أن ذاك لازم لهم، غير منفكٍّ عنهم. وهو أشرف أوصافهم بعد الصحبة.

د- جمع قلوب المؤمنين من الصحابة رضي الله تعالى عنهم على الإيمان برسوله ﷺ، وعلى طاعته ونصرته ومؤازرته، بعد ما كان في قلوبهم من العداوة والبغضاء لبعضهم قبل الإسلام، فأزالها الله سبحانه وتعالى بنور الإيمان، وانقلبت البغضاءُ إلى محبة، والعداوةُ إلى وئام وصفاء وإخاء،... وكل

(١٢٥) سورة الأنفال (٦٢-٦٣).

ذلك بفضل الله تعالى العزيز الحكيم.

هـــ- منته تعالى على أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله تعالى عنهم، بأنه تعالى هو الذي ألّف بين قلوبهم، ولو جمع الخلقُ ما استطاعوا أن يؤلّفوا بين قلوبهم لما استطاعوا.

٣٢- كفاية الله تعالى لهم رضي الله تعالى عنهم:

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[١٢٦].

للآية الكريمة تفسيران، ذكرهما أهل التفسير.

الأول: أن الله تعالى يحثُّ النبي الكريم ﷺ والمؤمنين معه على مناجزة الأعداء، ومبارزة الأقران، وأن الله سبحانه وتعالى يخبرهم أنه حسبهم، أي كافيهم، ومؤيدهم على عدوهم-وإن كثرت أعداده، وترادفت أمدادُه-ولو قلَّ عدد المؤمنين؛ لأن الله عز وجل هو ناصرهم ومؤيدهم وحافظهم وكافيهم.

فعلى هذا المعنى يكون قولُه تعالى: ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ﴾ معطوفاً على قوله: ﴿ٱلنَّبِيُّ﴾، والله تعالى أعلم.

الثاني: أن الله سبحانه وتعالى كافيك والمؤمنين، فيكون قوله عز وجل: ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ﴾ معطوفاً على لفظ الجلالة ﴿ٱللَّهُ﴾ كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ لكن التفسير الأول أولى؛ لأن الله عز وجل وحده يكفي عبده، كما قال تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾[١٢٧]. بلى والله.

---

(١٢٦) سورة الأنفال (٦٤).

(١٢٧) سورة الزمر (٣٦).

وعلى كلا المعنيين فقد وصفهم الله بالاتباع وبالإيمان، والله تعالى أعلم.

أ – ثناء الله تعالى على أصحاب رسوله ﷺ بأنهم يتبعون رسول الله ﷺ.

ب– كفاية الله تعالى رسولَه الكريم ﷺ وتأييده بالصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم على عدوهم.

ج– منْزلة الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم عند الله تعالى، حيث كان تعالى كافيهم وناصرَهم على عدوهم، وهذا ما تبيّن، سواء في حال كونهم مع رسول الله ﷺ، أو بعد وفاته ﷺ، فقد انتشر الإسلام في المناطق التي فتحت بفترة خاطفة، وبلغت رقعة الإسلام حدّاً لا يقابله مقاييس البشر.

د– وصف الله تعالى الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم بالإيمان، و لم يصفهم بسواه، دلالة على أهمية ما هم فيه.

٣٣- تخفيف الله تعالى عنهم ومراعاته تعالى لحالهم:

قال الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾(١٢٨).

لقد أوجب تعالى على أصحاب رسوله ﷺ ورضي الله تعالى عنهم – بعد وصفهم بالإيمان– أن يَثبت الواحدُ أمام العشرة، كما كتب أن الواحدَ

(١٢٨) سورة الأنفال (٦٥-٦٦).

ينتصر على العشرة، والمائة على الألف،...

ثم إن الله سبحانه وتعالى -لما سبق في علمه- وجود الضَّعْف في الأمة، رأف بهم ورحمَهم، ورفَع الحرجَ والمشقة عنهم: لذا خفَّف عنهم، ونسخ ذلك، وأصبح ثباتُ الواحد للاثنين فرضاً. وهذا من تخفيف الله عز وجل ورحمته بهذه الأمة، بسبب تخفيفه تعالى عن الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم، والله تعالى أعلم.

فيؤخذ من هاتين الآيتين ما يلي:

أ - وصفهم بالإيمان، ولم يصفهم بالعرب أو القوم. لذا خاطب تعالى نبيَّه الكريم ﷺ أن يحرِّضَ المؤمنين على القتال. وفي هذا دلالة على أهمية هذا الوصف لهم، كما فيه دلالة على الترابط بين الإيمان والنصر، والله تعالى أعلم.

ب- هذه الأمة هي أمة الجهاد، لذا لا تحتاج إلاّ إلى تحريض وحض.

ج- إخباره تعالى أن الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم إذا صبروا فإن الواحد منهم يغلب العشرة، وأن العشرة المؤمنة الصابرة منهم تغلب مائة، وأن المائة المؤمنة الصابرة تغلب ألفاً من الكفار، لأنهم قوم لا يفقهون. لذا لا يجوز أن يفر الواحد من أمام تسعة، ولو فرَّ كان فارّاً من الزحف.

د- تخفيف الله تعالى عنهم، حيث فرض عليهم أن يثبت الواحد منهم أمام الاثنين، والمائة أمام المائتين، والألف أمام الألفين.

هـ- بناء هذا الدين على اليسر والسماحة، فلا تعسير ولا تعقيد.

و- محبته تعالى لهذه الأمة، ممثلة بالصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم، حيث خفّف عنهم، ورفع عنهم الحرج، وراعى أحوالهم وضعفهم، ولم

يحمِّلهم فوق طاقتهم.

ز- معيته تعالى لهم؛ في حال صبرهم وثباتهم، ولم يتركهم منفردين.

ح- مشروعية النسخ في الأحكام، والله تعالى أعلم.

ط- بركة الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم على الأمة من بعدهم، حيث خفّف الله عز وجل بهم عنها، ورفع الحرج بهم عنها، فبدلاً من أن يكون الواحدُ يقابل العشرة، صار يقابل الاثنين، ولله الحمد والمنة.

٣٤- المهاجرون والأنصار رضي الله تعالى عنهم بعضهم أولياء بعض:

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾(١٢٩).

لقد قسم الله تعالى المؤمنين -بالنسبة للهجرة والنصرة- إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: آمن بالله عز وجل ورسوله الكريم ﷺ، وخرجوا من ديارهم وأموالهم؛ مهاجرين إلى الله تعالى ورسوله ﷺ، وجاؤوا لنصرة الله تعالى ورسوله ﷺ، وبذلوا أموالهم وأنفسهم رخيصة في سبيل الله تعالى، ونصرة دينه. فهؤلاء المهاجرون رضي الله تعالى عنهم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ ﴾.

القسم الثاني: هم الأنصار رضي الله تعالى عنهم، وهم ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ

(١٢٩) سورة الأنفال (٧٢).

﴿وَنَصَرُوٓاْ﴾ هم المسلمون من أهل المدينة -من الأوس والخزرج- الذين آووا المهاجرين إليهم، فأنزلوهم في منازلهم، وواسوهم في أموالهم، ونصروا الله تعالى ورسوله ﷺ، بما بذلوه من مهج، وما قدموه من تضحيات.

فهذا القسمان: بعضهم أولياء بعض. وكلٌّ قسم منهم أحق بالقسم الآخر من كل أحد.

وقد اختلف في هذه الولاية على قسمين:

أ - ولاية النصرة والتأييد، فهم أعوانٌ على من سواهم، وأيديهم واحدةٌ على مَنْ كفر بالله عز وجل.

* ويشهد لهذا قوله ﷺ: (والمؤمنون تتكافأ دماؤهم، وهم يد على من سواهم، ويسعى بذمتهم أدناهم،...). وهذا لفظ أحمد وأبي داود والنسائي وابن ماجه، وأصله في الصحيحين من حديث علي رضي الله تعالى عنه(١٣٠).

ب- ولاية التوارث، حيث كانوا يتوارثون بالهجرة والنصرة، دون القرابة والأرحام، حتى نُسخ ذلك بالمواريث.

---

(١٣٠) مسند أحمد (١: ١١٩، ١٢٢) وسنن أبي داود: كتاب الجهاد: باب في تحريم المدينة، وكتاب الديات: باب أيقاد المسلم بالكافر، رقم (٢٠٣٥، ٤٥٣٠) وسنن النسائي: كتاب القسامة: باب القود بين الأحرار والمماليك في النفس، وباب سقوط القود من المسلم للكافر (٨: ١٩-٢٠، ٢٤) والسنن الكبرى له (٤: ٢١٨) وسنن ابن ماجه: كتاب الديات: باب المسلمون تتكافأ دماؤهم، رقم (٢٦٨٣) والبحر الزخار (٢: ٢٩٠-٢٩١) ومسند أبي يعلى (١: ٢٨٢، ٤٢٤-٤٢٥، ٤٦٢) وشرح معاني الآثار (٣: ١٩٢) وشرح السنة (١٠: ١٧٢) والسنن الكبرى للبيهقي (٧: ١٣٣- ١٣٤) (٨: ٢٩) وفتح الباري (١٢: ٢٦١) وحسنه.

* ويدل على هذا ما رواه البخاري(١٣١) عن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ﴾(١٣٢) قال: ورثة (وَالَّذِينَ عَاقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ) كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجرُ الأنصاريَّ دون ذوي رحمه، للأُخُوَّة التي آخى النبيُّ ﷺ بينهم، فلما نزلت: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ﴾ نُسِخت، ثم قال: (وَالَّذِينَ عَاقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ) من النصر والرِّفادة والنصيحة، وقد ذهب الميراث، ويُوصى له.اهـ.

فكل اثنين أخوان، يتوارثان بذلك إرثاً مقدماً على القرابة، حتى نسخ بقوله تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾(١٣٣). كما هو مذهب الجمهور.

وعلى الحالتين فقد آخى رسول الله ﷺ -لما قدم المدينة المنورة- بين المهاجرين والأنصار رضي الله تعالى عنهم.

* عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: حالف رسولُ الله ﷺ بين قريشٍ والأنصار، في داره التي بالمدينة. متفق عليه(١٣٤).

---

(١٣١) صحيح البخاري: كتاب التفسير: سورة النساء: باب ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ الآية،...

(١٣٢) سورة النساء (٣٣).

(١٣٣) سورة الأنفال (٧٥) وسورة الأحزاب (٦).

(١٣٤) صحيح البخاري: كتاب الاعتصام: باب ما ذكر النبي ﷺ وحض على اتفاق أهل العلم، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب مؤاخاة النبي ﷺ بين أصحابه رضي الله تعالى عنهم، رقم (٢٠٤-٢٠٥).

وقوله: (حالف) أي آخى(١٣٥) بين المهاجرين والأنصار. وكان ذلك بعد قدوم المهاجرين إلى المدينة، وبين الأنصار، رضي الله تعالى عنهم جميعاً، والله تعالى أعلم.

أما القسم الثالث: فهم المسلمون من غير المهاجرين إلى المدينة ومن غير أهل المدينة، بل آثروا البقاء في بلادهم، سواء كانوا من أهل مكة أو غيرها.

فهؤلاء ليس لهم من نصرهم، ولا لهم من الغنائم ولا الميراث نصيب، كما ليس لهم نصيب في الخمس ولا في الفيء، إلاّ من حضر منهم القتال، حتى يهاجروا، ولكن إن استنصركم هؤلاء في الدِّين -أي قتالٍ دينيٍّ بينهم وبين عدوٍّ لهم كافر- فعليكم نصرُهم ومساعدتُهم؛ لأنهم إخوانكم في الدِّين، إلاّ إذا كان استنصارُهم لكم على قوم بينكم وبينهم عهد وميثاق، فلا تخفروا ذمتكم، ولا تنقضوا عهدكم.

وقد بيَّن رسولُ الله ﷺ حكمَ القسم الثالث؛ إذا بقوا في ديارهم ولم يهاجروا إلى المدينة، وحكمَهم إذا هاجروا إلى المدينة.

* عن بُريدة بن الحُصَيب رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمَّر أميراً على جيش أو سَرِيَّة، أوصاه في خاصَّتِه بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: (اغزُ باسم الله، في سبيل الله، قاتِلوا من كفر بالله،...). الحديث، وفيه: (وإذا لقيت عدوَّك من المشركينَ، فادعهم إلى ثلاث خصالٍ (أو خلال) فأيَّتُهُنَّ ما أجابوك فاقبل منهم، وتحوَّل عنهم:

ثم [كذا] ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك؛ فاقبل منهم وكف عنهم.

(١٣٥) انظر: فضائل المدينة المنورة -المجلد الثاني- حيث فصلت هذه المؤاخاة.

ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين، وعليهم ما على المهاجرين.

فإن أبوا أن يتحوّلوا منها، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكمُ الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء، إلاّ أن يجاهدوا مع المسلمين.

فإن هم أَبَوا؛ فسلهم الجزية،...). الحديث بطوله، رواه مسلم(١٣٦).

فهذا الحديث أوضح في أن حكم المهاجرين واحد، وأن الذين لا يهاجرون -وهم مؤمنون- ليس لهم حكم المهاجرين، ولا شيء لهم من الغنيمة والفيء، إلاّ أن يجاهدوا مع المسلمين، والله تعالى أعلم.

ومما يؤخذ من الآية الكريمة:

أ - لقد وصف الله عز وجل المهاجرين والأنصار رضي الله تعالى عنهم في هذه الآية الكريمة بالإيمان، والجهاد بالمال والنفس.

ب- شهادة الله تعالى لهم بأن هذا الجهاد إنما هو في سبيل الله سبحانه وتعالى، لا في سبيل غيره.

ج- وصف الأنصار بالإيواء والنصرة لدين الله عز وجل.

د- مدح الله تعالى للأنصار رضي الله تعالى عنهم بأنهم كانوا أولياء، لأنهم كلهم مؤمنون متقون صالحون.

هـ- الولاية بين المهاجرين والأنصار رضي الله تعالى عنهم، سواء ولاية

---

(١٣٦) صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير: باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها، رقم (٣).

النصرة والتأييد، أو ولاية التوارث، فهم مقدَّمون على الأقارب فيما بينهم.

و- لا توارث ولا موادَّة، ولا موالاة بين المؤمنين والكفار.

ز- قطع الموالاة بين المؤمنين الذين لم يهاجروا وبين المهاجرين والأنصار رضي الله تعالى عنهم، إلاّ إذا استنصروهم في الدِّين، فعليهم النصر، شريطة ألاّ يكون فيه نقض عهد أو خفر ذمة، والله تعالى أعلم.

ح- شهادة الله تعالى للصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم بإخلاصهم لله تعالى في أعمالهم، من هجرة وجهاد وإيواء،...إلخ.

ط- وكما جعل الولاية بين المؤمنين جعل الكفار بعضهم أولياء بعض، والله تعالى أعلم.

٣٥- شهادة الله تعالى للصحابة رضي الله تعالى عنهم بالإيمان الكامل، وبيان ثوابهم:

قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[١٣٧].

لقد ذكر الله تعالى -في الآية السابقة- حكم المهاجرين والأنصار رضي الله تعالى عنهم في الدنيا من حيث الولاية بينهم، وذكر المؤمنين الذين لم يهاجروا، وفي الآية الأولى -هنا- يذكر الله سبحانه وتعالى حكم المهاجرين السابقين الأولين والأنصار، ماذا لهم في الآخرة، ثم الذين هاجروا بعد ذلك،

(١٣٧) سورة الأنفال (٧٤-٧٥).

حيث ذكر الله سبحانه وتعالى لهم جميعاً خمسَ مزايا-بعد وصفهم بالإيمان والهجرة والجهاد في سبيل الله والإيواء والنصرة-وهي:

أ - حقيقة الإيمان ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗا﴾ هذا الإيمان الذي لا مرية فيه ولا ريب، وهذه شهادة من الله عز وجل لهم، لا يمكن أن تتزعزع، ولا يمكن أن تُرد، ومن نفى عن أيٍّ أحدٍ من المهاجرين والأنصار رضي الله تعالى عنهم سمةَ الإيمان، فقد ردَّ على الله سبحانه وتعالى شهادتَه، كما ردَّ عليه إخباره، ولهذا فهو على خطر كبير. فكيف لو نفى عنهم جميعاً أو عن أغلبهم، والعياذ بالله تعالى، أسأله تعالى أن يكرمنا بمحبتهم، وحسن الظن بهم، والحشرَ معهم.

ب- سيجازيهم الله سبحانه وتعالى بالمغفرة والصفح عن الذنوب -إن كانت- وهذا ما تكفَّل الله سبحانه وتعالى به لهم، لقوله تعالى: ﴿لَهُم﴾ ومعنى هذا أن ذنوبهم -إن كانت لهم- فهي مغفورة.

ج- سيكرمهم المولى سبحانه وتعالى بالرزق الكريم-في الجنة-وهو الحسنُ الطَّيِّبُ الشريفُ الذي لا ينقطع، ولا ينقضي، ولا يُسأم، ولا يُمَل، لحسنه وتنوعه وطيبه، وهذا الرزق الكريم قد تكفل الله سبحانه وتعالى به لهم أيضاً؛ لأنه تعالى قد عطف ذلك الرزق على المغفرة، التي تكفَّل بها تعالى ﴿لَهُم﴾.

د- دخول الجنة، وذلك لأن الرزق الكريم إنما يكون في الجنة، و لم يذكرها اكتفاء بما ذكر بما ينالونه فيها، وهو الرزق الكريم،...

هـ- الخلود في الجنة، لأن من يدخل الجنة لا يخرج منها، بل هو خالد

فيها، بإذن الله عز وجل.

و- ثم ذكر الله سبحانه وتعالى حكم المؤمنين -من بعدهم-المهاجرين إليهم، المجاهدين معهم؛ فهؤلاء يكونون مع المهاجرين الأول والأنصار، سواء في الدنيا- من حيث الولاية والنصرة،... أو في الآخرة، من المغفرة والرزق الكريم في الجنة.

ز- في هذه الآية دلالة على إلحاق المتأخر بالمتقدم، وأن من تأخر إيمانهم، أو تقدم ولكن تأخرت هجرته، وشارك في الجهاد والعمل الصالح، فإنه سيكون مع الأول، فيشاركهم في صالح الأعمال، ويقين الإيمان، وكريم الرزق، والخلود في الجنان. وكيف لا يكونون معهم وقد قال ﷺ: (المرء مع من أحب). متفق عليه(١٣٨).

ح- إضافة لما جاء من شهادة الله عز وجل لهم في أول الآية، بالإيمان والجهاد والهجرة والإيواء والإخلاص،... وهم يبتغون بذلك كله وجه الله عز وجل.

ط- قبول أعمالهم الصالحة، من إيمان وهجرة وجهادٍ وإيواءٍ ونصرةٍ وغيرها،... لأنها لو لم تُقبل ما ذكرها الله تعالى ممتنّاً بها عليهم، ورتّب عليها المغفرةَ والرزقَ الكريم في الجنة، والله تعالى أعلم.

كل ذلك فضل من الله سبحانه وتعالى على المهاجرين والأنصار رضي الله تعالى عنهم، وحشرنا معهم.

(١٣٨) انظر: صحيح البخاري: كتاب الأدب: باب علامة حب الله عز وجل،... وكتاب فضائل الصحابة: باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه. وصحيح مسلم: كتاب البر: باب المرء مع من أحب، رقم (١٦١- ١٦٥).

٣٦- الذي يعمر المسجد الحرام هم المؤمنون الصالحون:

قال الله عز وجل: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾(١٣٩).

لما أخبر سبحانه وتعالى أنه لا ينبغي للمشركين أن يعمروا مساجد الله عز وجل التي بُنيت على اسمه تعالى، وهم شاهدون على أنفسهم بالكفر بحالهم وقالهم. وأن أعمالهم لا تنفعهم يوم القيامة لوجود الشرك، وأنهم مخلَّدون في نار جهنم: بيَّن الله عز وجل من هو الحقيق بعمارة المساجد. إنما هم المؤمنون المصلّون المزكّون الخائفون من الله تعالى المتقون المهتدون.

ثم بيَّن تعالى فضل الإيمان والهجرة والجهاد،... وأنه لا يساويها سقاية حاج ولا عمارة مسجد، ثم ذكر سبحانه وتعالى فضل المؤمنين المهاجرين المجاهدين في الدنيا والآخرة.

وفي هذه الآيات الكريمات أمور:

أ - شهادة الله تعالى للصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم بالإيمان، وأن عُمَّار المساجد مؤمنون. والمراد بالعُمَّار: إما المعنى الحقيقي -وهو البناء- أو المعنى المجازي -وهو ملازمة المسجد، والتعبد فيه- وكلاهما ليس فيهما للمشركين نصيب، إنما هما للمؤمنين.

---

(١٣٩) سورة التوبة (١٧- ١٨).

ب- وصفهم بقيام الصلاة وإيتاء الزكاة -وهما من لوازم الإيمان- وهما أكبر العبادات وأفضلها، فالصلاة أكبر عبادات البدن، والزكاة أفضل الأعمال المتعدية إلى بر الخلائق.

ج- لا يخشون إلاّ الله سبحانه وتعالى، ولا يخافون ولا يخشون من أحد سواه.

د- شهادة الله تعالى لهم بالهداية؛ لأن (عسى) في القرآن الكريم واجبة. كما قال تعالى لنبيِّه وصفيِّه ﷺ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾(١٤٠).

٣٧- الهجرة والجهاد بعد الإيمان لا يعدلها تعمير المسجد الحرام وسقاية الحاج:

قال الله عز وجل: ﴿أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا يَسۡتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ وَجَنَّٰتٖ لَّهُمۡ فِيهَا نَعِيمٞ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾(١٤١).

لما ظن بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم أن سقاية الحاج، أو عمارة المسجد الحرام، أفضل الأعمال بعد الإسلام، أنزل الله سبحانه وتعالى ما يرد به عليهم، مبيناً فضل الهجرة والجهاد بالمال والنفس بعد الإيمان، وأنها أفضل، ولا تساويها تلك الأعمال التي حسبوها، ثم ذكر فضل المهاجرين المجاهدين، ويوضح ذلك:

---

(١٤٠) سورة الإسراء (٧٩).

(١٤١) سورة التوبة (١٩-٢٢).

* عن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنهما قال: كنت عند منبر رسول الله ﷺ، فقال رجل: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام، إلاّ أن أُسقيَ الحاجَّ. وقال آخر: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام، إلاّ أن أعْمرَ المسجدَ الحرام. وقال آخر: الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم. فزجرهم عمر -رضي الله تعالى عنه- وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ -وهو يوم الجمعة- ولكن إذا صُليت الجمعة؛ دخلتُ فاستفتيتُه فيما اختلفتم فيه. فأنزل الله عز وجل: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ...﴾ الآية إلى آخرها. رواه مسلم[١٤٢].

وقيل: إن سبب نزولها ما قاله العباس رضي الله تعالى عنه -يوم أُسر في بدر- من كونه يعمر المسجد الحرام، ويسقي الحاج،... فأنزل الله تعالى هذه الآية،... كما ذكره ابن كثير وغيره.

فيكون نزول هذه الآية توبيخاً لهم عند افتخارهم بالسقاية وسدانة البيت، وأعلمهم الله سبحانه وتعالى أن الفخر إنما هو بالإيمان بالله تعالى واليوم الآخر والجهاد في سبيله.

وبعد ذكر الآية عدمَ استواء الحالتين والقومين [المؤمنين المهاجرين المجاهدين، والمشركين] ومنازلهما وأحوالهما عند الله عز وجل، ذكر الله تعالى فضل المهاجرين، وذلك:

أ - وصفهم بالإيمان والهجرة والجهاد في سبيل الله تعالى لإعزاز دينه. وهذا وصفٌ من الله سبحانه وتعالى لهم، لا يزول عنهم.

(١٤٢) صحيح مسلم: كتاب الإمارة: باب فضل الشهادة في سبيل الله، رقم (١١١).

ب- تزكية الله عز وجل لهم، حيث بيَّن سبحانه وتعالى أن جهادهم بأموالهم وأنفسهم إنما هو في سبيل الله عز وجل. وهذه شهادة من الله تعالى لهم رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم. وكفى بها من شهادة.

ج- رفع درجتهم ومنْزلتهم عند الله سبحانه وتعالى، حيث جمعوا بين الإيمان والهجرة والجهاد بالأموال والأنفس، مخلصين لله تعالى، صادقين في قصدهم، محسنين في نيتهم: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾.

د- فوزهم العظيم ونجاحهم الكبير عند الله سبحانه وتعالى، حيث فازوا بالجنة، ونجوا رضي الله تعالى عنهم من النار، وهذه تزكية أخرى، وفضل من الله سبحانه وتعالى.

هـ- بشارة الله سبحانه وتعالى لهم بالرحمة منه عز وجل، وهذا إكرام لا يعادله إكرام الخلق. وقد نكَّرها الله تعالى تعظيماً لشأنها.

و- بشارة الله سبحانه وتعالى لهم بالرضوان عليهم منه عز وجل، وقد نكّره الله تعالى تعظيماً لشأنه. وهذه البشارة -ورؤيتُهُ تعالى- لا تعدلها نعمة أخرى مهما عظمت، ويدل على هذا:

* عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه، أن النبيَّ ﷺ قال: (إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة؛ فيقولون: لبيك ربنا وسعدَيْك، والخيرُ في يديك. فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب، وقد أعطيتنا ما لم تعطِ أحداً من خلقك؟ فيقول: ألا أعطيكم أفضلَ من ذلك؟ فيقولون: يا رب؛ وأيُّ شيءٍ أفضلُ من ذلك؟ فيقول: أُحل عليكم رضواني، فلا

أسخط عليكم بعده أبداً). متفق عليه(١٤٣).

فإذا رضي الله تعالى عنهم، وأحل عليهم سبحانه وتعالى رضوانه فلن يسخط عليهم، لذا فالويل لمن يكره قوماً أحل الله تعالى عليهم رضوانه، وأكرمهم برحمته ومغفرته، ومنحهم جنته، والخلود فيها.

إن من شرط المحبِّ الصّادق: أن يُحب ما يحبُّه محبوبه، فكيف وقد أحلَّ الله تعالى عليهم رضوانه الذي هو أكبر النعم في الجنة، كما قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾(١٤٤).

ز- بشارته عز وجل لهم بالجنان الواسعة، وقد نكَّرها الله تعالى تعظيماً لشأنها، والمعنى أنها فوق وصف الواصفين، وتصوُّر المتصوِّرين.

ح- بشارته تعالى لهم رضي الله تعالى عنهم أنهم خالدون في هذا النعيم المقيم، في الجنات العاليات، التي تجري من تحتها الأنهار، فلا يظعنون منها ولا يخرجون، وقد ذكر الله تعالى التأبيد بعد ذكر الخلود تأكيداً له، مع أنه يتضمن التعليل لذلك.

ط- كل ذلك من عنده تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ فهو تشريف منه عز وجل، للمؤمنين المتصفين بذلك، وهم أهلٌ لهذا كله. رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، والله تعالى أعلم.

---

(١٤٣) صحيح البخاري: كتاب الرقاق: باب صفة الجنة والنار، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها: باب إحلال الرضوان على أهل الجنة،... رقم (٩).

(١٤٤) سورة التوبة (٧٢).

ي- بشارته سبحانه وتعالى لهم بالنعيم المقيم، الدائم الذي لا يزول ولا يفنى، المستمر الذي لا يفارقونه، ولا يزولون هم عنه.

ك- عند الله جل شأنه لهم فوق هذا وذاك: الأجرُ العظيم، والثوابُ الجزيل، على إيمانهم وطاعتهم لربهم سبحانه وتعالى، وهجرتهم وجهادهم، وأدائهم صالح الأعمال، حشرنا الله تعالى معهم، ورزقنا حبهم، إنه نعم المولى ونعم النصير.

ل- عدم استواء سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام مع الإيمان والهجرة والجهاد عند الله عز وجل. وسيأتي مزيد بيان إن شاء الله تعالى في الفقرة التالية.

م- محبة الله تعالى للصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم، وعنايته تعالى بهم، وتكريمه تعالى لهم، لذا منحهم هذه المكرمات، التي لم ينلها أحد من الخلق سواهم.

٣٨- نصر الله تعالى لهم، وإنزال السكينة عليهم:

قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[١٤٥].

يذكر الله سبحانه وتعالى ما أكرم به رسوله الكريم ﷺ ومن معه من المؤمنين الصادقين المخلصين، من نصره تعالى لهم في مواطن كثيرة، ثم يخص

(١٤٥) سورة التوبة (٢٥-٢٦).

بالحديث يومَ حنين، وما حصل لهم أولاً، ثم ما أكرمهم الله سبحانه وتعالى به آخراً، وذلك:

أ - نصره سبحانه وتعالى لهم في مواطن كثيرة، إذ لم يُعلم خسارتُهم وانكسارهم وهزيمتهم في معركة -وهم مع رسول الله ﷺ- قط.

ب- يُذكِّرهم سبحانه وتعالى بما حصل لهم يوم حنين، إذ أعجبتهم كثرتهم قبل المعركة، ثم ما فوجئوا به، حيث ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، ثم ما حصل من هروب عامة مسلمة الفتح -وهم الطلقاء- ولم يثبت مع النبي ﷺ إلاّ القلة، حتى أمر ﷺ العباسَ رضي الله تعالى عنه أن ينادي المهاجرين، ثم الأنصار، فذكّرهم بما في أعناقهم من بيعة، فانعطفوا كما ينعطف الفصيل على أمه، وتراجعوا نحو رسول الله ﷺ، وهو ثابت، يتقدّم نحو العدو، ثم حصل النصر.

ج- إنزال السكينة على رسول الله ﷺ وعلى صحابته رضي الله تعالى عنهم؛ الذين قدموا معه من المدينة لفتح مكة، ومن معهم من مسلمة الفتح.

د- وصفهم بالمؤمنين، وهذه شهادة لن تنفك عنهم، ولا تزول. لذا فمن رام إزالة هذا الوصف عنهم فقد كذّب الله تعالى، ونقض حكمَه، فهو على خطر كبير إذا لم يتب.

هـ- إنزال الملائكة الذين لا يُرون، تثبيتاً للمؤمنين، وتقويةً لهم، ومدداً وعوناً لهم، وهذا إنعام من الله تعالى وفضل.

لأن المرءَ إذا جاءه العون وقت الحاجة إليه؛ لا تعدله نعمة.

و- تعذيب الله تعالى الذين كفروا وحادُّوا الله تعالى ورسوله الكريم ﷺ؛ حيث انكسروا وولّوا مدبرين، وتركوا وراءهم ما غنمه المسلمون من نساء وأموال وأنعام وأطفال،... وهذا جزاء الكافرين المعاندين.

ز- عناية الله سبحانه وتعالى بهؤلاء الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم الذين اصطفاهم من جميع الخلق، ليكونوا صحابةً لنبيِّه الكريم ﷺ، وحملةَ شرعه، لذا أنزل عليهم ملائكته، وهزم أعداءَهم الكفار، كلُّ ذلك نتيجة إيمانهم وصحبتهم لرسول الله ﷺ.

٣٩- إنزال السكينة والملائكة المقربين على الصِّدِّيق رضي الله تعالى عنه:

قال عز وجل: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[١٤٦].

تتحدث الآية الكريمة عن موقف من مواقف الهجرة الشريفة، وتبيِّن ما حصل للنبي المصطفى الكريم ﷺ وصاحبِه الصِّدّيق الأكبر رضي الله تعالى عنه وأرضاه -وهما في الغار- والحالة النفسية للصِّدّيق رضي الله تعالى عنه، وخوفه الشديد على رسول الله ﷺ، وطمأنة النبي المصطفى الكريم ﷺ للصِّدّيق رضي الله تعالى عنه، وإنزال المولى عز وجل سكينته ورحمته وتأييده على الصِّدّيق رضي الله تعالى عنه، وما أنزل الله سبحانه وتعالى من جنود -

(١٤٦) سورة التوبة (٤٠).

وهم الملائكة- لا ترى، كما أرسل أضعف خلقه في حراستهما[147]، حفاظاً عليهما، وتأييداً لهما، والله تعالى أعلم.

ففي هذه الآية الكريمة:

أ - نصرة الله سبحانه وتعالى لنبيِّه وصفيِّه وحبيبه صلوات الله وسلامه عليه؛ إذا لم يستطع المؤمنون نصرته وحمايته-في ذلك الوقت، وفي ذلك الظرف بالذات -فهو تعالى حافظه وناصره في كل المواقف، كما نصره وأعانه- وأغناه عن نصرتكم-يوم الهجرة، وهو في الغار.

ب- فوز الصِّدّيق رضي الله تعالى عنه بالصحبة في الهجرة، يوم أخرجه الكفار من مكة.

ج- فوز الصِّدّيق رضي الله تعالى عنه بالصحبة، والمعية في الغار (غار ثور) حيث مكثا فيه ثلاثة أيام مختبئين، حتى هدأ الطلب عليهما.

لذا فكل من حاول صرفَ هذا الوصف عن الصِّدِّيق رضي الله تعالى عنه فقد باء وخسر، لأنه مكذِّبٌ لله تعالى، ولهذا بقي رسول الله ﷺ يذكر هذا الوصفَ للصِّدِّيق رضي الله تعالى عنه، حتى آخر حياته.

* فيقول ﷺ: (فهل أنتم تاركوا لي صاحبي). رواه البخاري[148].

* ويقول ﷺ: (لكنه أخي وصاحبي). رواه مسلم[149].

---

(١٤٧) انظر: مختصر فضائل مكة المكرمة، فقد ذكرت أحاديث نسج العنكبوت وبيض الحمامة على فم الغار، وأنه حسنه الحافظان ابنُ كثير وابن حجر رحمهما الله تعالى، إضافة إلى وجود روايات أخرى ذكرتها.

(١٤٨) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة: باب قول النبيِّ ﷺ: (لو كنت متخذاً خليلاً).

(١٤٩) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله تعالى =

والنصوص في ذلك كثيرة، ذكرت كثيراً منها في فضائل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم.

د- جزع الصِّدِّيق رضي الله تعالى عنه أن يطَّلع عليهما أحدٌ من المشركين، فيخلص إلى رسول الله ﷺ أذى، فلما رأى رسول الله ﷺ ما به من الخوف والجزع عليه، سكَّنه وثبَّته.

* عن أبي بكر رضي الله تعالى عنه قال: قلت للنبي ﷺ وأنا في الغار: لو أنَّ أحدَهم نظر تحت قدميه لأبصرنا. فقال ﷺ: (ما ظنُّك -يا أبا بكر- باثنين الله ثالثهما؟). متفق عليه، واللفظ للبخاري[(١٥٠)].

وحزنُ أبي بكر رضي الله تعالى عنه ليس على نفسه، لأنه لا يعلم الغيب، ولا ينزل عليه وحي، إنما هو على رسول الله ﷺ، كما بيَّنه في غير ما حديث، لذا طَمْأنه رسولُ الله ﷺ، وأنزل الله سبحانه وتعالى مصداقَ ذلك في كتابه، وأنزل السكينةَ عليه، كما أنزل جل شأنه ملائكةً تحرسهما، وسخّر لهما أضعف المخلوقات لحراستهما، حتى ذهب الكفار، وحصل الأمن، كما بينتُه في (الآيات الربانية في السيرة النبوية).

هـ- إنزال السكينة عليه -وهذا ما قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وغيره، وذلك لأن رسول الله ﷺ- بأبي هو وأمي -كان ثابتَ

= عنه، رقم (٣-٧) وانظر فضائل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم، فقد ذكرتُ عدة روايات أخرى.

(١٥٠) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة: باب فضائل المهاجرين وفضلهم منهم أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، رقم (١).

الجأش، رابطَ العزيمة، لم تفارقه السكينة، لذا قال لأبي بكر رضي الله تعالى عنه ما قال. كما هو واضح من دلالة الآية الكريمة، وكما هو ظاهرٌ من الحديث.

لأن الذي كان حزيناً خائفاً هو الصديق رضي الله تعالى عنه، بخلاف النبي الكريم ﷺ، فلم تحكِ الآية الكريمة عنه شيئاً: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ فالصِّدّيقُ رضي الله تعالى عنه هو الذي كان يحتاج -في ذلك الموقف- إلى السكينة، لوجود الخوف والجزع عنده على رسول الله ﷺ. وإن كان عددٌ من المفسرين قد ذكروا أن السكينة نزلت على رسول الله ﷺ.

و- فوزه رضي الله تعالى عنه بمعية الله سبحانه وتعالى الخاصة. كما هو منطوق الآية الكريمة: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ ومنطوق الحديث: (الله ثالثهما)(١٥١).

ز- تطمين النبي المصطفى الكريم ﷺ لصاحبه أبي بكر رضي الله تعالى عنه بألاّ يحزن، لأن الله تعالى معهما، وإذا كان معهما فمن يقوى على القضاء عليهما، أو الاقتراب منهما؟ لا أحد.

ح- هذا الموقف هو موقف خوف وفزع، ومع هذا فإن الآية الكريمة تذكر أن رسول الله ﷺ يطلب من الصِّدّيق رضي الله تعالى عنه عدم الحزن،

---

(١٥١) وانظر: مكانة النبيِّ الكريم ﷺ بين الأنبياء عليهم السلام -الطبعة الثانية- لبيان الفوارق الكثيرة بين هذا الموقف الشريف للنبي الكريم ﷺ في الغار، وموقف موسى عليه السلام يوم خروجهم من مصر ولحوق فرعون بهم.

علماً بأن الحزن هو الخوف على أمر مضى ووقع، كفوت قريب، أو ضياع شيء،... أما الخوف فهو على أمر لم يقع بعد، كمن يخاف من حصول أمر له في المستقبل،...

ط- إذا كان الله تعالى يدافع عن المؤمنين، وأن أولياءه تعالى لا خوف عليهم ولا هم يحزنون،... ولا إيمان أكمل من إيمان أبي بكر رضي الله تعالى عنه بعد الأنبياء عليهم السلام، ولا ولاية أعلى من ولاية أبي بكر رضي الله تعالى عنه في الخلق بعد الأنبياء عليهم السلام، ولا درجة أعلى من درجته رضي الله تعالى عنه بعد الأنبياء عليهم السلام، فهو الصِّدّيق الأكبر، فضلاً عما قدّمه لهذا الدين، ولرسوله الكريم ﷺ، وعلو مقامه ومنْزلته، وما قدّمه من خدمات يُشكر عليها،... فكيف لا يحفظه الله تعالى؟؟

ي- إصابته من التأييد الرباني، وذلك إذا كان الله سبحانه وتعالى قد أنزل ملائكته -الذين لا يُرَوْن- لتأييد رسوله وحبيبه ﷺ -وهو معه في الغار- فلا بد أنه سيناله من ذلك التأييد الرباني بحكم المجاورة والقرب والمعية والصحبة؛ لأن الله سبحانه وتعالى سيحفظ رسولَه ﷺ ومن معه في الغار، إذ ليس من المعقول أن يُتْرك الصديق رضي الله تعالى عنه للعدو يدخلون عليه في الغار، ويحفظ رسوله الكريم ﷺ-وهو معه ومصاحبه-بل إن الله تعالى حفظ الصِّدّيقَ وأيَّده رضي الله تعالى عنه؛ لأنه صحب رسول الله ﷺ، وسعد بمعيته، والهجرةِ معه، وفداه بروحه، وقدمه على نفسه،... والله تعالى أعلم.

وكل هذا دالٌّ على فضل الصديق، ومكانته وكرامته عند ربه سبحانه وتعالى، وعلو منْزلته رضي الله تعالى عنه، كما يدل على مدى مكانته عند

رسوله ﷺ، ولذا خصه بالصحبة، ولم يعط ذلك سواه.

رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعن سائر أصحاب رسول الله ﷺ.

٤٠- تكلُّف الفقير التكسب في سبيل أن يتصدَّق بما يأخذه من الأجرة:

قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(١٥٢).

تتحدث هذه الآية الكريمة عن المنافقين في غمزهم وعيبهم المؤمنين المتصدِّقين من الصحابة رضي الله تعالى عنهم في جميع أحوالهم، فإن جاء أحد منهم بمال كثير؛ قالوا: هذا مراء، وإن جاء بشيء يسير؛ قالوا: إن الله تعالى لغنيٌّ عن صَدَقَة هذا.

* عن أبي مسعود الأنصاري البدري رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت آيةُ الصدقة: كنا نُحامِل، فجاء رجل فتصدق بشيء كثير، فقالوا: مُراء. وجاء رجل فتصدق بصاع [وفي رواية للبخاري: فجاء أبو عقيل بنصف صاع، وجاء إنسان بأكثر منه، فقال المنافقون]: إن الله لغنيٌّ عن صاع هذا. فنزلت ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ ﴾ الآية،... متفق عليه، واللفظ للبخاري(١٥٣).

* وفي رواية للبخاري: كان رسول الله ﷺ إذا أمرنا بالصدقة؛ انطلق

---

(١٥٢) سورة التوبة (٧٩).

(١٥٣) صحيح البخاري: كتاب الزكاة: باب اتقوا النار ولو بشق تمرة، وكتاب التفسير: سورة براءة: باب قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾. وصحيح مسلم: كتاب الزكاة: باب الحمل أجرة يتصدق بها، رقم (٧٣).

أحدُنا إلى السوق فيُحامِل، فيصيب المد، وإن لبعضهم اليوم لمائةَ ألف.

وقوله: نحامِل: أي نحمل الحمل على ظهورنا بالأجرة. يريد نتكلّف لنكسب ما نتصدق به.

والذي تصدق بصاع: هو أبو عقيل رضي الله تعالى عنه -حليف بني عمرو بن عوف- تصدق بجهده، حيث عمل أجيراً؛ حمّالاً، فكسب صاعين، فجاء بصاع من تمر، ونثره في الصدقة[١٥٤].

والقائلون هم المنافقون، كما هو مبين في رواية البخاري، في كتاب التفسير[١٥٥].

وفي هذه الآية:

أ - وصف الصحابة رضي الله تعالى عنهم بالإيمان. وهذا وصف ثابت لهم لا يزول. لذا فمن رام نزعه عنهم فقد باء وخسر، لأنه مكذِّبٌ لله تعالى.

ب- تطوعهم رضي الله تعالى عنهم بالصدقات؛ مَن كثُر ماله، ومن ليس له مال، فهم قسمان:

- قسم يجد عنده من المال ما يتصدَّق بالكثير -سواء كان كلّ ماله؛ كأبي بكر رضي الله تعالى عنه، أو بشطر ماله؛ كعمر وعبد الرحمن بن عوف،... رضي الله تعالى عنهم، أو بالكثير من ماله؛ كعاصم بن عدي وغيره رضي الله تعالى عنهم.

- قسم فقير لا يجد مالاً يتصدق به، فكان يذهب إلى السوق، فيكون

(١٥٤) انظر: فتح الباري (٨: ٣٣٠-٣٣٢) لبيان اسم هذا المتصدّق، والاختلاف فيه، وأنهم أكثر من واحد لذا يحمل على أن أبا عقيل رضي الله تعالى عنه هو المتصدّق بصاع، وأن غيره تصدّق بنصف صاع، كما أن منهم من تصدّق بمُد، والله تعالى أعلم.

(١٥٥) انظر فتح الباري لبيان أسماء هؤلاء الملمزين.

حمّالاً للناس، يحمل لهم متاعَهم وبضائعَهم على أجرة، فيتصدق بها كلها، أو بشطر منها، مع أنها زهيدةٌ قليلةٌ، ومع هذا فلا يبخل بها، بل يتصدق، والله تعالى أعلم.

ج- مبادرتهم رضي الله تعالى عنهم بامتثال أمر النبي ﷺ، وإذا كان الواجد يتصدَّق بما عنده من المال، فإن المعدوم فيهم يذهب ويعمل بجهده ويده، ويؤاجر نفسه حمّالاً، ليكسب بعض المال، فيتصدق به. وهذا غاية التطبيق والامتثال، رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم.

د- لا يمنعهم لَمْزُ المنافقين، وطعنُهم وسخريتُهم من أن يتصدَّقوا بما يكسبون، ولو كان شيئاً قليلاً.

هـ- انتصار الله تعالى لهؤلاء الصحابة رضي الله تعالى عنهم، بأن يسخر من هؤلاء المنافقين، ويعاقبهم بما يستحقّون، ويُعدَّ لهم من العذاب الأليم ما يناسب سخريتهم وكراهيتهم لهؤلاء المؤمنين المتصدقين، انتصاراً ودفاعاً عن المؤمنين الصادقين رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم.

٤١- فلاحهم، وما لهم من الخيرات، والخلود في الجنان:

قال الله عز وجل: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[١٥٦].

بعد ذكره سبحانه وتعالى -في الآيات السابقات على هذه الآية- أحوالَ المنافقين: ذكر أحوالَ المؤمنين من الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم مع

(١٥٦) سورة التوبة (٨٨-٨٩).

نبيِّه وصفيِّه الكريم ﷺ، فأثنى عليهم، ووصفهم ومدحهم، وبيَّن منْزلتهم في الآخرة، إضافة إلى إكرامه تعالى لهم في الدنيا، وذلك:

أ – وصفهم بالإيمان، الذي لا يزول عنهم ولا يرفع بإذن الله تعالى. وهذا وسامٌ يُعلَّق على صدر كلِّ واحدٍ منهم رضي الله تعالى عنهم، فمن رام نزعَه أو إزالَته عنهم فقد حادَّ الله تعالى ورسوله الكريم ﷺ، لذا فالويل لأمه، إن لم يتب.

ب– لقد أكرمهم الله تعالى –في كثير من الآيات– بالمعية مع رسوله ﷺ. وهذه منقبة كبيرة جليلة، لأنهم إذا سعدوا بالمعية معه ﷺ في الدنيا، فهي نائلة لهم –إن شاء الله تعالى– في الآخرة.

والمعيةُ أعلى بكثير من طلب الثواب، أما ترى أن امرأة فرعون سألت المعية قبل الجنة، كما قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾[١٥٧]. فقد سألت المعيةَ قبل البيت.

ج– جهادهم مع رسول الله ﷺ بالمال والنفس، وهذا ما يملكون.

د– إكرام الله تعالى لهم بأن أعطاهم الخيرات في الدار الآخرة، في جنات الفردوس، من نساء، وجنان، ونعيم مقيم، ودرجات عليا،... وما الله تعالى به عليم.

هـ– أولئك هم المفلحون الناجحون الفائزون. ومن أفلح عند الله تعالى فلا يخيب أبداً. لذا فالويل لمن زعم كفرهم وضلالَهم، لأنه كذّب الله تعالى فيما جزم به، وأخبر.

(١٥٧) سورة التحريم (١١).

و- ما أعده الله جل شأنه لهم من الجنات التي تجري من تحتها الأنهار.

ز- لقد أثبت الله تعالى لهم الخلودَ في هذه الجنات والبساتين؛ بما فيها من نعيم مقيم، بجوار ربٍّ كريم، ومعيةِ رسولٍ أمينٍ ﷺ.

ومن حَكَمَ الله تعالى له بالخلود في الجنة، فهو لا يخرج منها، لأن وعد الله تعالى لا يتخلف، ثم هو مؤمن، لأن الجنة لا يدخلها إلاّ المؤمنون، ولا تجب إلاّ لهم، وقد حرّم الله تعالى على المشركين والكفار والمنافقين دخولَها.

لذا من زعم كفرَهم رضي الله تعالى عنهم فقد حادّ الله تعالى ورسولَه الكريم ﷺ، وتألّى على الله تعالى، لذا فالويلُ له ما لم يتب.

ح-ذلك كله فوز عظيم من الله عز وجل لنبيه وصفيه وحبيبه ﷺ والمؤمنين معه، وأولهم الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم، وغيرُهم لاحقٌ بهم إن شاء الله تعالى، والله تعالى أعلم.

٤٢- بكاء البكّائين لعجزهم عن الجهاد في سبيل الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ﴾(١٥٨).

هذه الآية الكريمة تتحدث عن بعض الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم -وهم المعروفون بالبكّائين- وهم سبعة أشخاص، كانوا أهلَ حاجة وفقر، وجاؤوا إلى رسول الله ﷺ ليحملهم إلى غزوة تبوك، فقال ﷺ لهم: (والله لا أجد ما أحملكم عليه) تولوا وهم يبكون، وعزَّ عليهم أن يجلسوا عن

---

(١٥٨) سورة التوبة (٩٢).

الجهاد -خاصة- مع رسول الله ﷺ، ولا يجدون نفقةً ولا محملاً، فلما علم الله عز وجل صدقَهم في محبته تعالى ومحبة رسوله ﷺ، وحرصَهم على الطاعة والامتثال، والخروجِ مع رسول الله ﷺ للجهاد، أنزل عذرهم.

ففي هذه الآية:

أ - رفع الجناح والحرج عنهم رضي الله تعالى عنهم، مع تخلفهم عن الجهاد، لعدم وجود النفقة والمحمل الذي يحملهم.

ب- حرصهم على الجهاد، مع فقرهم وحاجتهم رضي الله تعالى عنهم، خاصة مع رسول الله ﷺ.

ج- توليهم رضي الله تعالى عنهم، وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألاّ يجدوا ما ينفقون.

د- لما كان تخلفهم رضي الله تعالى عنهم لعذر -مع الرغبة والحرص على المشاركة- فإن الله سبحانه وتعالى يكتب لهم من الأجر الكثير، ويشاركون المجاهدين في أجرهم وثواب أعمالهم،...

* سبق ذكر حديث أنس رضي الله تعالى عنه، وفيه قوله ﷺ: (إن بالمدينة أقواماً: ما سرتم مسيراً، ولا قطعتم وادياً إلاّ كانوا معكم) قالوا: يا رسول الله؛ وهم بالمدينة؟ قال: (وهم بالمدينة، حبسهم العذرُ). وهذا لفظ البخاري.

* ورواه مسلم بنحوه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما، وزاد في روايته: (إلاّ شركوكم في الأجر)، والله تعالى أعلم.

٤٣- رضوان الله عز وجل على السابقين منهم والذين اتبعوهم بإحسان:

قال الله عز وجل: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(١٥٩).

لقد ذكر الله سبحانه وتعالى فضائل المهاجرين والأنصار الأوائل رضي الله تعالى عنهم -قيل: إلى صلح الحُدَيْبِيَة، وقيل: إنما هم من صلّى إلى القبلتين مع رسول الله ﷺ - ومن تبعهم من الصحابة الآخرين،... بإحسان رضي الله تعالى عنهم، وبيَّن ذلك في:

أ - رضوان الله سبحانه وتعالى عليهم، ورضاه سبحانه وتعالى شامل للأوائل من الصحابة المهاجرين والأنصار، ولمن تبعهم بإحسان، رضي الله تعالى عنهم جميعاً.

ومن رضي الله سبحانه وتعالى عنه فقد تجاوز كلَّ خير، ونال فوق كل تمنّ، وسعد فوق منتهى كل سعادة، ورُزق فوق طيب كل رزق، إذ لا فوق رضوانه سبحانه وتعالى على عبده شيء، وهذا فضل الله تعالى أعطاهموه، لطاعتهم وعبوديتهم له سبحانه وتعالى.

ب- رضواهم هم عن ربهم سبحانه وتعالى، لما أجزل لهم من الثواب، ولتحققهم بعبوديتهم له تعالى، ومن رضي بالله تعالى ربّاً: أقلُّ ممن رضي هو عن ربه سبحانه وتعالى، وفي كلِّ خير.

ج- ما أعد الله سبحانه وتعالى لهم من الجنات الوارفات، والخلودِ فيها،

(١٥٩) سورة التوبة (١٠٠).

فهم لا يموتون فيها، ولا يُخرجون منها أبداً، ولهذا أكد الله تعالى ذلك بقوله: ﴿أَبَدًا﴾.

هـ- ظفرهم بالمطلوب، وفوزهم بالمحبوب، ونولهم النجاء الكريم، والفوز العظيم، حيث قال الله عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ الذي يتمناه كلُّ عاقل مؤمن، أن يرضى عنه ربُّه سبحانه وتعالى، ويرضى هو عن ربه عز وجل، ويكرمه به مولاه بالخلود الأبدي، في جنات النعيم، والنعيم المقيم، الذي هو غايةُ كل عاقل، وسعيُ كل عامل، والله تعالى أعلم.

و- الحياة الأبدية في الجنة؛ لأن النعيم في الجنة يحتاج إلى حياة تشعر بهذا النعيم، وتسعد بهذا الخلود، وتلذ بالجنان، وتفرح بالخضرة والماء،... ولهذا قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾(١٦٠) فهي الحياة الدائمة، والحق الذي لا زوال له ولا انقضاء، بل هي مستمرة أبد الآبدين، والله تعالى أعلم.

ز- وإذا كان الله عز وجل قد رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، فإنه تعالى لن يسخط عليهم أبداً؛ لأنه تعالى لو لم يعلم حقيقة حالهم، ويقين إيمانهم، وصدق توجههم، وجزم يقينهم، وإخلاصهم، وعبوديتهم لله تعالى،... ما رضي عنهم، وأكرمهم بالمغفرة والخلود في الجنة.

ذلك أن علمَ الله تعالى متعلّقٌ بالماضي والحاضر والمستقبل، فلو لم يكن الله تعالى يعلم بأنهم باقون على إيمانهم ويقينهم؛ ما وصفهم بهذا الوصف، والله تعالى أعلم.

(١٦٠) سورة العنكبوت (٦٤).

فيا ويل أُمّ من يبغضهم، أو يسبهم، أو ينتقصهم،... أو بعضهم، لا سيما أسيادهم الأوائل، والعشرة الأماثل، والأربعة الأفاضل، والاثنان الشيخان، وسيد الصحابة وخيرهم وأفضلهم رضي الله تعالى عنهم جميعاً، فمن فعل ذلك فإنما عصى الله تعالى، ورضي غيرَ ما يريدُه ويحبُّه تعالى، وما أعلنه رسولُه ﷺ، من إيمانهم القاطع، وعبوديتهم التامة، ورضا الله تعالى عنهم، ومثل هذا دال على ضعف إيمانه-أو زواله-وخبل في عقله أو انعكاسه، والعياذ بالله سبحانه وتعالى.

٤٤ - محبة الله تعالى لأهل مسجد قباء المتطهرين:

قال الله عز وجل: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾(١٦١).

بعد أن ذكر الله تعالى مسجدَ الضِّرار -الذي بناه المنافقون، ودعوا إليه رسولَ الله ﷺ ليصلي لهم فيه، ليتخذوه مرصداً لمن يحارب الله عز وجل ورسولَه ﷺ- وذلك قُبيل خروجه ﷺ لغزوة تبوك -ونهى الله تعالى رسولَه الكريم ﷺ أن يقوم فيه...: أثنى تعالى على مسجد قباء- وهو قريب منه-بأنه أُسس على التقوى من أول يوم، لأن الذي بناه هو رسولُ الله ﷺ يوم قدومه المدينة مهاجراً، ثم أثنى الله تعالى على عامري هذا المسجد الكريم، وأن الله تعالى يحبهم.

وفي هذه الآية الكريمة:

أ – ثناؤه تعالى على المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم.

---

(١٦١) سورة التوبة (١٠٨).

- وقد ذهب الجمهور إلى أنه مسجد قباء.

- وقال آخرون: هو مسجد النبي ﷺ. وقد بيَّنت هذه المسألة بأدلتها في فضائل المدينة المنورة، فارجع إليه إن شئت(١٦٢).

ب- حثّه تعالى رسولَه الكريم ﷺ على أن يقوم في هذا المسجد؛ الذي أثنى الله تعالى عليه، وأنه أُسِّس على التقوى من أول يوم، لأن الذي بناه هو رسول الله ﷺ، لذا كان ﷺ يتفقَّده، ويأتيه ماشياً وراكباً كلَّ سبت، وقد يأتيه أيضاً يوم الاثنين، كما ثبت ذلك، وذكرتُه في فضائل المدينة المنورة.

ج- ثناؤه سبحانه وتعالى على أهل قباء في محبتهم للتطهر، وتطهُّرِهم عند قيامهم للصلاة، حيث يجمعون بين الحَجَر والماء في الاستنجاء، وقد جاءت عدة نصوص عندما سأل النبيُّ ﷺ أهلَ قباء في بيان ثناء الله تعالى عليهم في الطهارة، وما يفعلون؟ وقد ذكرتُ كثيراً من ذلك في فضائل المدينة المنورة، فارجع إليه في الموضع المشار إليه.

د- إخبار الله عز وجل أنه يحب هؤلاء المُطَّهِّرين. وكلهم من الصحابة من الأنصار رضي الله تعالى عنهم، وإذا كان التطهر من الحدث والخبث، فالطهارة من الذنوب، وتصفية النفوس أولى، والله تعالى أعلم.

٤٥- شراء الله تعالى منهم أنفسَهم وأموالَهم بالجنة:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ

(١٦٢) انظر: فضائل المدينة المنورة (٢: ١٨٩-١٩٣، ٣٦٣-٣٧٢).

وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْأٓمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(١٦٣).

لما بايع الأنصارُ رضي الله تعالى عنهم رسولَ الله ﷺ بيعة العقبة الثانية، قالوا له ﷺ: اشترط لربك ولنفسك ما شئت، فلما اشترط ﷺ، قالوا: فما لنا إذا فعلنا ذلك؟ قال: (الجنة) قالوا: ربح البيع، ربح البيع، لا نقيل، ولا نستقيل. ثم أثنى الله تعالى على هؤلاء المؤمنين؛ الذين اشترى تعالى منهم أنفسهم وأموالهم بهذه الصفات الجميلة، التي لا توجد مجتمعة إلاّ فيهم رضي الله تعالى عنهم. فنَزلت هاتان الآيتان(١٦٤).

ففي هذه الآية الأولى:

أ - بيع الصحابة رضي الله تعالى عنهم أنفسهم وأموالهم لله تعالى، وقد ظهر هذا في جهادهم رضي الله تعالى عنهم،....

ب- جعل الله تعالى لهم الثمن هو الجنة.

ج- يجاهدون في سبيل الله، وسواء قُتلوا، أو قَتلوا، ورجعوا بالغنيمة، فقد وجبت لهم الجنة، وهذا واضح من الحديث الشريف.

* عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (تكفَّل الله لمن جاهد في سبيله، لا يُخرجه من بيته إلاّ جهادٌ في سبيله، وتصديقُ كلمته، بأن يدخلَه الجنةَ، أو يرجعَه إلى مسكنه الذي خرج منه، مع ما نال

(١٦٣) سورة التوبة (١١١- ١١٢).

(١٦٤) انظر: أسباب النُّزول للواحدي (٢٦٢-٢٦٣) وانظر: تفسير الطبري، والبغوي، والدر المنثور،... أيضاً.

من أجر أو غنيمة). متفق عليه[١٦٥].

د- توثيق الله سبحانه وتعالى للمؤمنين هذا الوعد؛ حيث أنزله في كتبه السماوية: التوراة والإنجيل والقرآن، وأنه تعالى قد كتبه على نفسه، وأنه تعالى لن يُخلف وعده، ومن أوفى بعهده من الله؟ لا أحد؛ لأنه تعالى لا يخلف الميعاد.

هـ- طلبه تعالى من المؤمنين المبايعين الاستبشار بهذا البيع، ووفّى بهذا العهد، وذلك كله فوز عظيم، ونعيم مقيم، من المولى الكريم.

و- هذا هو الموضع الوحيد الذي ورد فيه تقديمُ النفس على المال، لأن الله تعالى هو المشتري، بينما في الجهاد فقد قُدِّم المالُ على النفس. لأن المال لا يساوي شيئاً عند الله تعالى، وأن النفسَ أغلى عند الله تعالى من المال، ثم إن النفس هي مالكة للمال. ويكونون رضي الله تعالى عنهم قد قدَّموا أغلى ما عندهم لله تعالى، والله تعالى أعلم.

ز- شهادة الله تعالى لهم بالإخلاص، حيث بيّن تعالى أنهم يجاهدون في سبيله، وليس في سبيل غيره.

ح- شهادته تعالى لهم بالإيمان، حيث كانت الصفقة معهم، بصفتهم المؤمنين، وليسوا بغيرها. وهذه صفة لازمة لهم، والله تعالى أعلم.

ط- لقد جعل الله تعالى نتيجة عقد البيع المذكور هو الفوز العظيم.

ي- ثناؤه تعالى عليهم بما وصفهم به، من كونهم: تائبين، عابدين،

---

(١٦٥) صحيح البخاري: كتاب فرض الخمس: باب قول النبي ﷺ: (أحلت لكم الغنائم)، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الإمارة: باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله، رقم (١٠٣-١٠٤).

حامدين، مجاهدين، صائمين، راكعين، ساجدين، آمرين بالمعروف، ناهين عن المنكر، وحافظين لحدود الله تعالى.

ك- ختم الله تعالى تلك الأوصاف والمنائح والمحامد ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وقد أخفى الله تعالى المبشَّر به، تعظيماً لشأنها، ولتكون البشارة شاملة لكل ما يتوقعه المؤمن الموقن، والله تعالى أعلم.

٤٦- بيان فضل الله تعالى وتوبته على جيش العسرة:

قال الله تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[١٦٦].

نزلت هذه الآية في غزوة تبوك، وهي تصوِّر حالَهم رضوان الله تعالى عليهم في ذلك، حيث إنهم خرجوا في حرٍّ شديد، وقلة من الزاد والماء، في سَنَة مجدبة، شديدة القحط، لذا سميت الغزوة بجيش العسرة، كما تذكر فضلَ الله سبحانه وتعالى عليهم.

* عن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما، أنه قيل لعمر بن الخطاب رحمة الله عليه: حدِّثنا في شأن العسرة. فقال عمر: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى تبوك، في قيظٍ شديد، فنزلنا منزلاً؛ أصابنا فيه عطشٌ، حتى ظننّا أن رقابَنا ستنقطع، حتى إن كان الرجل ليّذهبُ يلتمس الماءَ، فلا يرجع حتى يظن أن رقبتَه ستنقطع، حتى إن الرجلَ لينحر بعيرَه، فيعصر فرثَه

(١٦٦) سورة التوبة (١١٧).

فيشربه، ويجعل ما بقي على كبده، فقال أبو بكر الصِّدّيق: يا رسول الله؛ إن الله قد عوَّدك في الدعاء خيراً، فادع لنا. قال: (تحبُّ ذلك؟) قال: نعم. فرفع يديه، فلم يرجعهما حتى قالت السماء، فأظلَّت، ثم سكبت، فملؤوا ما معهم، ثم ذهبنا ننظر، فلن نجدها جاوزت العسكر. رواه البزار والطبري والطبراني، وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم، وأقره الذهبي(١٦٧).

وفي الآية الكريمة:

أ – ذكر التوبة في أول الآية على النبي الكريم ﷺ وعلى المهاجرين والأنصار رضي الله تعالى عنهم، هو محض فضل من الله عز وجل، وذلك قبل ذكر الذنب.

أما ذكر التوبة الثانية في آخر الآية فهو بعد ذكر الذنب، للتدليل على قبولها، وغفران الذنب، ومن تاب الله عز وجل عليه لم يعذبه. كما قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما؛ لأن الله عز وجل يحب التَّوابين، والتائب من الذنب كمن لا ذنب عليه.

ب- افتتاح الكلام بذكر التوبة على النبي ﷺ؛ لأنه كان سبب توبتهم، فَذَكَرَه تعالى معهم، كقوله تعالى: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ ونحو ذلك؛ لأن النبي ﷺ معصوم، كما هو معلوم. وله نظائر عدةٌ في كتاب الله تعالى.

---

(١٦٧) تفسير الطبري (١٤: ٥٤١-٥٤٢) والبحر الزخار (١: ٣٣١)، وصحيح ابن خزيمة (١: ٥٢-٥٣) والمعجم الأوسط (٣: ٣٢٣-٣٢٤) وصحيح ابن حبان (٤: ٢٢٣) والمستدرك (١: ١٥٩) ودلائل النبوة لأبي نعيم (٦٧١-٦٧٢) وللبيهقي (٥: ٢٣١) ومجمع الزوائد (٦: ١٩٤-١٩٥) ومجمع البحرين (٥: ١٣٢) وكشف الأستار (٢: ٣٥٤) وفتح الباري (٨: ١١١) وعزاه لابن خزيمة فقط، وانظر الدر المنثور.

ج- ثناؤه سبحانه وتعالى عليهم رضوان الله تعالى عليهم، وذلك في اتباعهم رسول الله ﷺ في هذه الغزوة، مع الحر الشديد، والمسافة البعيدة، والعسر في الزاد والراحلة والماء، وسَنَة الجدب، إذ خرج كل عشرة على بعير واحد، حتى همَّ بعضهم بالتخلف، للذي نالهم من المشقة والشدة في سفرهم وغزوهم، ثم تداركهم الله سبحانه وتعالى بفضله ورحمته، وتاب عليهم من هذا الكيد، أو العزم، فرزقهم الإنابة والرجوع والثبات.

د- ما ختم الله سبحانه وتعالى به الآية من قوله جل شأنه: ﴿إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ فهو رؤوف بهم لا ينزع عنهم إيمانهم، بعد ما أبلَوا في الله عز وجل من البلاء الحسن، وصبروا على البأساء والضراء، وتحمَّلوا المشاقَّ والمتاعب، والشدة في السفر، والخوف من بُعْد الطريق، وقوة العدو،... إضافة إلى ما نالهم من الجوع والعطش، وهو بهم رحيم لطيف، لهذا تاب تعالى عليهم، وعفا عما حدَّثوا به أنفسهم من التخلف، وهذا غاية التكريم والفضل أيضاً، والله تعالى أعلم.

هـ- لقد خصّهم الله تعالى بهذين الاسمين، وشملهم بهاتين الرحمتين: (الرأفة، والرحمة) لأنهم رضي الله تعالى عنهم أهلٌ لذلك، ويستحقّون ذلك الفضل والثناء، لما بذلوه وقدّموه، مع الإيمان القاطع، واليقين الجازم، والصدق المتناهي،... رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، وحشرنا معهم، تحت لواء النبي المصطفى الكريم ﷺ.

و- ثم إنه تعالى خصَّ المهاجرين والأنصار رضي الله تعالى عنهم بالذكر؛ لأنهم هم غالبية الجيش، ثم لبيان فضلهم ومكانتهم رضي الله تعالى عنهم،

والله تعالى أعلم.

ز- محبة الله تعالى لهؤلاء الصحابة الكرام -من مهاجرين وأنصار- رضي الله تعالى عنهم، لتوبته تعالى عليهم، وقد أخبرنا سبحانه وتعالى أنه يحب التوابين، كما يحب المطّهرين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾(١٦٨).

وتوبةُ الله تعالى أعلى من توبة العبد، لأن توبة العبد مرهونة بفضل الله تعالى وحكمه، إن شاء قَبِلها وإن شاء لا، أما توبة الله تعالى على العبد فهي مقبولة قطعاً، وإذا كان الله تعالى يحب من تاب وتكرّر ذلك منه، فكيف بمن تاب الله تعالى عليه؟

ح- هذه الآية الكريمة نزلت في غزوة تبوك، وهي آخر غزوة غزاها رسول الله ﷺ، لأنها كانت في شهر رجب، من السنة التاسعة من الهجرة بلا خلاف، كما قال الحافظ رحمه الله تعالى، ومعنى هذا: حصول التوبة والمغفرة ومن ثم المحبة،... للصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم في آخر حياته ﷺ، خاصة وقد ساق التوبة على النبي الكريم ﷺ ومعه المهاجرون والأنصار رضي الله تعالى عنهم ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ لذا فمن رام نزع صفة الإيمان والمحبة وتوبة الله تعالى عنهم، أو وصفهم بنقيض ذلك؛ يكون قد كذّب الله تعالى، وخالف قوله وحكمه، فهو على خطر كبير إن لم يتب.

٤٧-توبته تعالى على الثلاثة الذين تخلّفوا عن غزوة تبوك:

قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ

(١٦٨) سورة البقرة (٢٢٢).

هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾(١٦٩).

تحدثت الآية الكريمة عن غفران الله عز وجل للثلاثة الصحابة الكرام - وهم: كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية رضي الله تعالى عنهم، وكلهم من الأنصار،... الذين تخلّفوا عن غزوة تبوك، من غير عذر منهم. فلما رجع رسول الله ﷺ من تبوك، أتاه هؤلاء الثلاثة؛ واعترفوا بتخلُّفهم من غير عذر. فتركهم رسول الله ﷺ حتى يحكم الله عز وجل فيهم، وحكى القرآن الكريم حالتَهم النفسيةَ؛ حيث ضاقت عليهم الأرضُ بسعتها، ندماً على تخلُّفهم عن الجهاد مع رسول الله ﷺ، وضاقت عليهم أنفسُهم بما اعتراها من الهم والغم، وأيقنوا أنه لا شيء ينجيهم من عذاب الله، ولا ملجأ لهم منه تعالى إلاّ هو؛ بالرجوعَ إليه، والإنابة، فرزقهم الله سبحانه وتعالى الإنابة والرجوع، وتاب عليهم.

وقد كرَّر الله سبحانه وتعالى التوبة عليهم مرتين: الأولى: في عطفهم على من سبق ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ -كما مر في الباب الأول- ثم عطف فقال: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَـٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾ ثم ذكر توبته عليهم ثانية، فقال: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟﴾ ففرَّج الله تعالى عنهم بسبب صدقهم رسولَه ﷺ في تخلفهم، فكان عاقبةُ صدقهم خيراً لهم، وتوبةً عليهم، ولهذا حث الله سبحانه وتعالى المؤمنين على التقوى وملازمة الصدق وأهله، ليكونوا من أهله، وينجوا من المهالك، ويجعل لهم فرجاً ومخرجاً، كما حصل

---

(١٦٩) سورة التوبة (١١٨-١١٩).

لهؤلاء الثلاثة رضي الله تعالى عنهم.

وقد جاءت قصة هؤلاء المخلَّفين رضي الله تعالى عنهم، وما آل إليه حالهم، وما لاقوه من الشدة والعناء، حيث مكثوا خمسين يوماً لا يكلِّمُهم أحدٌ، ولا يسلِّم عليهم أحد،...حتى نزل على رسول الله ﷺ توبتُهم، وقد جاء ذلك في الصحيحين وغيرهما، من حديث كعب بن مالك رضي الله تعالى عنه، أحد الثلاثة. وأذكر الحديث مع طوله ليتضح المراد.

فعن كعب بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: لم أتخلَّف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها قط، إلاّ غزوة تبوك. غير أني تخلَّفتُ في غزوة بدر، ولم يعاتب أحداً تخلّف عنه،...

وكان من خبري حين تخلَّفتُ عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك؛ أني لم أكن أقوى ولا أيسرَ مني حين تخلَّفتُ عنه في تلك الغزوة. والله ما جمعتُ قبلها راحلتين قط حتى جمعتُهما في تلك الغزوة. فغزاها رسول الله ﷺ في حرٍّ شديد، واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً، واستقبل عدوّاً كثيراً، فجَلا للمسلمين أمرَهم؛ ليتأهَّبوا أهبةَ غزوهم. فأخبرهم بوجهه الذي يريد. والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثيرٌ، ولا يجمعهم كتابُ حافظٍ.

قال كعب: فقلَّ رجلٌ يريد أن يتغيَّب يظن أن ذلك سيخفى له، ما لم ينزل فيه وحيٌ من الله عز وجل.

وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوةَ حين طابت الثمارُ والظّلالُ. فأنا إليها أصعَر [أي أميَل] فتجهّز رسول الله ﷺ والمسلمون معه، وطفقتُ أغدو

لكي أتجهّز معهم، فأرجع و لم أقض شيئاً، وأقول في نفسي: أنا قادرٌ على ذلك، إذا أردتُ. فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى استمر بالناس الجِدُّ، فأصبح رسول الله ﷺ غازياً والمسلمون معه. و لم أقض من جَهازي شيئاً، ثم غدوتُ فرجعتُ و لم أقض شيئاً، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى أسرعوا وتفارط الغزوُ [أي تقدَّم الغُزاة وسبقوا] فهممتُ أن أرتحلَ فأُدركهم، فيا ليتني فعلتُ. ثم لم يُقدَّر ذلك لي، فطفقتُ إذا خرجتُ في الناس، بعد خروج رسول الله ﷺ؛ يحزنني أني لا أرى لي أُسوة، إلاّ رجلاً مغموصاً عليه في النفاق، أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء.

و لم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوكاً، فقال -وهو جالس في القوم بتبوك-: (ما فعل كعبُ بنُ مالك؟) قال رجلٌ من بني سَلِمَة: يا رسول الله؛ حبسه برداه والنظرُ في عطفيه. فقال له معاذ بنُ جبل: بئس ما قلتَ، والله يا رسول الله، ما علمنا عليه إلاّ خيراً. فسكت رسول الله ﷺ،...

فقال كعب بنُ مالك: فلما بلغني أن رسول الله ﷺ قد توجّه قافلاً من تبوك؛ حضرني بثّي [أي أشد الحزن] فطفقتُ أتذكّر الكذبَ وأقول: بم أخرج من سخطه غداً؟ وأستعين على ذلك كلَّ ذي رأي من أهلي.

فلما قيل لي: إن رسول الله ﷺ قد أظلَّ قادماً؛ زاح عني الباطلُ، حتى عرفتُ أني لن أنجوَ منه بشيءٍ أبداً، فأجمعتُ صدقَه.

وصبَّح رسول الله ﷺ قادماً -وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد؛ فركع فيه ركعتين، ثم جلس للناس- فلما فعل ذلك جاءه المخلّفون، فطفقوا

يعتذرون إليه، ويحلفون له، وكانوا بضعةً وثمانين رجلاً، فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتَهم، وبايعهم واستغفر لهم، ووكل سرائرَهم إلى الله.

فجئتُ أمشي حتى جلستُ بين يديه. فقال لي: (ما خلَّفك؟ ألم تكن قد ابتعتَ ظهرَك؟) قال: قلت يا رسول الله؛ إني -والله- لو جلستُ عند غيرك من أهل الدنيا لرأيتُ أني سأخرجُ من سخطه بعذر، ولقد أُعطيتُ جدَلاً، ولكني -والله- لقد علمتُ لئن حدَّثتُك اليومَ حديثَ كذبٍ ترضى به عني، ليوشكن الله أن يُسخِطك عليَّ، ولئن حدَّثتُك حديثَ صدقٍ تجدُ عليَّ فيه؛ إني لأرجو فيه عقبى الله، والله، ما كان لي عذرٌ، والله، ما كنتُ قط أقوى ولا أيسرَ مني حين تخلَّفتُ عنك.

قال رسول الله ﷺ: (أمّا هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك) فقمتُ، وثار رجالٌ من بني سَلِمَة، فاتّبعوني. فقالوا لي: والله ما علمناك أذنبتَ ذنباً قبل هذا، لقد عجَزتَ في أن لا تكون اعتذرتَ إلى رسول الله ﷺ، بما اعتذر به إليه المخلَّفون، فقد كان كافيك ذنبَك استغفارُ رسول الله ﷺ لك.

قال: فوالله ما زالوا يؤنّبونني، حتى أردتُ أن أرجع إلى رسول الله ﷺ، فأُكذِّبَ نفسي. قال: ثم قلتُ لهم: هل لقي هذا معي من أحدٍ؟ قالوا: نعم. لقيه معك رجلان، قالا مثلَ ما قلتَ، فقيل لهما مثل ما قيل لك. قال: قلت: من هما؟ قالوا: مرارةُ بنُ ربيعةَ العامريُّ، وهلالُ بنُ أميةَ الواقفيُّ. قال: فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدراً، فيهما أُسوة. قال: فمضيتُ حين ذكروهما لي.

قال: ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا، أيها الثلاثة، من بينِ من تخلَّف عنه.

قال: فاجتنَبَنا الناسُ، وقال: تغيَّروا لنا، حتى تنكَّرتْ لي في نفسيَ الأرضُ، فما هي الأرضُ التي أعرف.

فلبثْنا على ذلك خمسين ليلة. فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنتُ أشبَّ القوم وأجلدَهم، فكنتُ أخرج فأشهد الصلاةَ، وأطوف في الأسواق، ولا يكلّمني أحد، وآتي رسولَ الله ﷺ فأُسلِّم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي: هل حرَّك شفتيه بردِّ السلام، أم لا؟ ثم أُصلّي قريباً منه، وأسارقه النظر، فإذا أقبلتُ على صلاتي نظر إلَيَّ، وإذا التفتُّ نحوَه أعرض عني.

حتى إذا طال ذلك عليَّ من جفوة المسلمين، مشيتُ حتى تسوَّرتُ جدارَ حائط أبي قتادة -وهو ابنُ عمي، وأحبُّ الناس إلَيَّ- فسلمتُ عليه، فوالله ما ردَّ عليَّ السلام. فقلت له: يا أبا قتادة؛ أنشدك بالله، هل تعلمنَّ أني أحبُّ الله ورسولَه؟ قال: فسكتَ، فعدتُ فناشدتُه. فسكتَ، فعدتُ فناشدته، فقال: الله ورسولُه أعلم. ففاضت عيناي، وتولّيتُ حتى تسوَّرتُ الجدار.

فبينا أنا أمشي في سوق المدينة، إذا نَبطيٌّ من نَبَط الشام، ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة، يقول: من يدلُّ على كعب بن مالك. قال: فطفق الناس يُشيرون إليَّ، حتى جاءني فدفع إليَّ كتاباً من ملِك غسان-وكنتُ كاتباً-فقرأتُه، فإذا فيه: أما بعد، فإنه بلغنا أن صاحبَك قد جفاك، و لم يجعلْك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالْحَقْ بنا نواسِك. قال: فقلتُ-حين قرأتُها-:

وهذه أيضاً من البلاء، فتيامتُ بها التَّنُّور فسجرتُها بها.

حتى إذا مضت أربعون من الخمسين، واستلبث الـوحيُ، إذا رسـولُ رسولِ الله ﷺ يأتيني، فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتَـك. قال: فقلت: أُطلِّقُها أم ماذا أفعل؟ قال: لا، بل اعتزلها، فلا تقربَنَّها. قـال: فأرسل إلى صاحبَيَّ بمثل ذلك. قال: فقلت لامرأتي: الحَقي بأهلك فكـوني عندهم حتى يقضيَ الله في هذا الأمر. قال: فجاءت امرأةُ هلال بـن أميـة رسولَ الله ﷺ فقالت له: يا رسولَ الله؛ إن هلالَ بنَ أميّة شيخٌ ضائعٌ، ليس له خادمٌ، فهل تكره أن أخدمه؟ قال: (لا، ولكن لا يقربنَّك) فقالت: إنه -والله- ما به حركةٌ إلى شيء، ووالله مازال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا.

قال: فقال لي بعضُ أهلي: لو استأذنتَ رسولَ الله ﷺ في امرأتك؟ فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمَه. قال: فقلت: لا أستأذن فيها رسول الله ﷺ، وما يُدريني ماذا يقول رسول الله ﷺ إذا استأذنتُه فيها، وأنـا رجـلٌ شاب. قال: فلبثتُ بذلك عشرَ ليالٍ، فكمل لنا خمسون ليلة من حين نُهِـي عن كلامنا.

قال: ثم صليتُ صلاةَ الفجر صباح خمسين ليلة، على ظهر بيـتٍ مـن بيوتنا. فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله عز وجل منا؛ قد ضاقت عليَّ نفسي، وضاقت عليَّ الأرضُ بما رحبت: سمعتُ صوتَ صارخ أوفى علـى سَلْع يقول بأعلى صوته: يا كعبَ بنَ مالك، أبشر. قال: فخررتُ سـاجداً، وعرفتُ أن قد جاء فرج.

قال: فآذن رسول الله ﷺ الناسَ بتوبة الله علينا، حين صـلّى صـلاةَ

الفجر، فذهب الناسُ يبشِّروننا، فذهب قِبل صاحبَيَّ مبشِّرون، وركض رجلٌ إليَّ فارساً، وسعى ساعٍ من أسلم قِبَلي، وأوفى الجبلَ، فكان الصوتُ أسرعَ من الفرس،... فانطلقتُ أتأمّم رسولَ الله ﷺ، يتلقّاني الناسُ فوجاً فوجاً، يهنِّئوني بالتوبة، ويقولون: لِتَهْنِئْك توبةُ الله عليك، حتى دخلتُ المسجدَ، فإذا رسول الله ﷺ جالسٌ، وحوله الناسُ،...

قال كعب: فلما سلّمتُ على رسول الله ﷺ قال -وهو يُبرق وجهُه من السرور، ويقول-: (أبشر بخير يومٍ مرّ عليك منذ ولدتك أمُّك) قال: فقلت: أمِن عندك يا رسول الله، أم من عند الله؟ فقال: (لا، بل من عند الله) وكان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهُه، كأنَّ وجهَه قطعةُ قمَر. قال: وكنا نعرف ذلك.

قال: فلما جلستُ بين يديه قلت: يا رسول الله؛ إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقةً إلى الله وإلى رسوله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: (أمسك عليكَ بعضَ مالكَ فهو خيرٌ لك) قال: فقلتُ: فإني أمسك سهمي الذي بخيبر.

قال وقلتُ: يا رسول الله؛ إن الله إنما أنجاني بالصدق، وإن من توبتي أن لا أُحدِّث إلاّ صدقاً ما بقيتُ،...

قال: فأنزل الله عز وجل: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾ حتى بلغ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[١٧٠]...

---

(١٧٠) سورة التوبة (١١٧- ١١٩).

قال كعب: كنا خُلِّفنا أيها الثلاثة، عن أمر أولئك الذين قَبِل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له، فبايعهم واستغفر لهم، وأرجأ رسول الله ﷺ أَمْرَنا حتى قضى الله فيه. فبذلك قال الله عز وجل: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾ وليس الذي ذكر الله مما خُلِّفنا؛ تخلُّفَنا عن الغزو. وإنما هو تخليفُه إيانا، وإرجاؤه أمرنا، عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه. متفق عليه(١٧١).

ومما يؤخذ من الآيات الكريمة -من غير تعرض للحديث، لأن فيه من الدروس التربوية ما يسع مجلداً ضخماً- الكثير، ومنها:

أ - توبة الله عز وجل على الثلاثة رضي الله تعالى عنهم، وقد تكرّر ذلك ثلاث مرات، هم داخلون ضمن التوبة العامة على المهاجرين والأنصار رضي الله تعالى عنهم، ومرة على تخصيصهم، ومرة عند بيان إنشاء التوبة ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟﴾ ومن فوائد التكرار زوال كل لبس قد يقع.

ب- ذكر حالهم رضي الله تعالى عنهم بعد هذه المدة الخمسين يوماً؛ فقد ضاقت عليهم الأرض على سعتها، وضاقت عليهم أنفسهم، وتغيرت الأرض التي يعرفون.

ج- نجاحهم في هذا الاختبار، وصبرهم في هذا الامتحان الشديد.

د- إرجاء الله تعالى التوبة عليهم -هذه المدة- ليميز الخبيث من الطيب، فكانوا ذهباً صافياً، خرجوا من بوتقة الامتحان، بعد إزالة الشوائب، ليعلم

---

(١٧١) صحيح البخاري: كتاب التفسير: سورة براءة، ورواه في كتاب الوصايا، وكتاب الجهاد، وكتاب المغازي، وكتاب الاستئذان، وغيرها،... وصحيح مسلم: كتاب التوبة: باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، رقم (٥٣-٥٥).

الجميع أن امتحان الله تعالى صعب، ولا ينجح فيه إلاّ الصادقون ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾[١٧٢].

هـ- سبب هذا الامتحان ليس هو مجرد التخلف عن الغزوة، إنما هو لإرجاء رسول الله ﷺ أمرهم، وتركهم لله تعالى هو الذي يحكم فيهم، كما نبه عليه كعب رضي الله تعالى عنه في آخر الحديث.

و- إخلاصهم في دينهم، وقوة إيمانهم، وثباتهم في صدقهم، لأن المرء يُبتلى على قدر دينه وإيمانه، كما نبه عليه رسول الله ﷺ[١٧٣].

ز- سماع الناس، والتزامهم بالأمر الرباني؛ الذي نطق به رسول الله ﷺ من مقاطعتهم، وقد ظهر مثال ذلك فيما حصل من زوجات الثلاثة، ومن فعل أبي قتادة رضي الله تعالى عنهم.

ح- موقف كعب رضي الله تعالى عنه مع مندوب ملِك غسان النصراني، وهذا وإن كان من الامتحان والابتلاء-كما قال هو عنه-فإنه يدل على ثبات المؤمن على دينه، وعدم التفاته إلى المغريات، وإن كانت كبيرة، لأن دين المؤمن أعز عليه من نفسه.

ط- فضيلة الصدق، وأنه منجاة، لذا حث تعالى على ملازمة الصادقين والكينونة معهم.

---

(١٧٢) سورة العنكبوت (١-٣).

(١٧٣) انظر: محبة النبيِّ ﷺ وطاعته بين الإنسان والجماد. فقد توسعت في بيان ذلك.

ي- الربط بين التقوى والكينونة مع الصادقين، لأن التقوى وحدها قد ينفرد الشيطان بصاحبها، لكنه إذا كان مع الصادقين كان في سياج منيع، لانضمامهما معاً في مقاومة الشيطان، والله تعالى أعلم.

ك- فضيلة هؤلاء الثلاثة رضي الله تعالى عنهم؛ الذين جعلهم الله تعالى درساً لعباده الثابتين على الحق، الصادقين على المبدأ، الصابرين عند الابتلاء، الناجحين في الاختبار،... الدالّ على قوة إيمانهم، ويقينهم بربهم تعالى، والله تعالى أعلم.

٤٨- حسن ثواب المهاجرين والأنصار رضي الله تعالى عنهم:

قال الله عز وجل: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾(١٧٤).

بعد معاتبة الله سبحانه وتعالى المتخلفين عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك من أهل المدينة ومَنْ حولها من أحياء العرب، ورغبتهم بأنفسهم عن مواساته ﷺ فيما حصل له من المشقة في السير وبُعد الطريق،... وهؤلاء المتخلفون هم الذين لا عذر لهم؛ لأن المتخلفين بعذرٍ عذرهم الله سبحانه

(١٧٤) سورة التوبة (١٢٠-١٢١).

وتعالى -كما سبق بيانه-: بيَّن جل شأنه ثواب الذين خرجوا مع رسول الله ﷺ، وهم عامة المهاجرين والأنصار -كما مر في الفقرة السابقة- ومن معهم ممن أسلم، وذلك:

أ - مهما أصابهم من عطش وتعب ومجاعة، وما نزلوا منزلاً يُرهبون به عدوَّهم، وما نالوا منه ظفراً وغلبةً عليه،... إلاّ كتب الله سبحانه وتعالى لهم بهذه الأعمال أعمالاً صالحة، وثواباً جزيلاً.

ب- مهما ينفقون من نفقات صغيرة كانت أو كبيرة، ولا يقطعون - مع رسول الله ﷺ في حال غزوهم- وادياً،... إلاّ كُتب لهم أجرُ عملهم بأحسن أنواع الجزاء والثواب.

ج- لما كانت الأعمال السابقة؛ من جوع وعطش وتعب في سبيل الله تعالى، وظفرٍ بعدوٍّ،... غيرَ داخلة في مقدورهم إنما هي ناشئة عن أفعالهم؛ عدّاها بالباء، فقال: ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ﴾ وأما هذه الأعمال؛ وهي الإنفاق وقطع الوديان فإنها صادرة عنهم لذا فإنه تعالى لم يعدها بـ (به) فقال: ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ﴾.

د- مجازاة الله سبحانه وتعالى لهؤلاء المجاهدين مع رسول الله ﷺ على أعمالهم الصالحة، أحسنَ ما يجزيهم على أحسن أعمالهم.

هـ- لما كان هؤلاء الصحابة رضي الله تعالى عنهم خرجوا مع رسول الله ﷺ وهم عراةٌ فقراءُ -في أغلبهم- حتى صاروا يعْتقِبون سبعة أو ستة على بعير واحد، يتناوبون الركوب عليه- ولذا سُمي جيشُهم: جيش العسرة -

ولما كان خروجُهم في سبيل الله تعالى، وطلباً لمرضاته عز وجل، وامتثالاً وطاعةً لرسوله الكريم ﷺ، لذا كانوا محسنين -وأن الله تعالى لن يضيع أجر المحسنين- لذا فإنه تعالى ختم الآية الأولى بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

ولهذا لما جهز عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه جيش العسرة-هذا- المتجه إلى تبوك، بشَّره رسول الله ﷺ بالثواب الجزيل.

* عن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (ما ضَرَّ عثمانَ ما عمل بعد اليوم). كما رواه أحمد والترمذي، وحسنه، والحاكم وصححه وأقره الذهبي، ورواه كثيرون.

* ورواه أحمد وغيره من حديث عبد الرحمن بن خَبَّاب السُّلَمي رضي الله تعالى عنه(١٧٥). وله شواهد عدة، والله تعالى أعلم.

---

(١٧٥) مسند الطيالسي (١٦٤رقم ١١٨٩) والطبقات الكبرى (٧: ٧٨) ومسند عبد بن حميد (١٢٨رقم ٣١١) ومسند أحمد (٤: ٧٥) (٥: ٦٣) وفضائل الصحابة له (١: ٤٥٧-٤٥٨، ٥٠٤-٥٠٥، ٥١٣، ٥١٥-٥١٦) والآحاد والمثاني (٣: ١٠٢-١٠٣، ١٠٣) والجهاد له (١: ٢٦٦-٢٦٧، ٢٧٢) والسنة (٢: ٨٥٤-٨٥٦) والمعرفة والتاريخ (١: ٢٨٣) وسنن الترمذي: كتاب المناقب: باب مناقب عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، برقم (٣٧٠٠-٣٧٠١) ومسند الروياني (٢: ٥٠٧) والشريعة (٤: ١٩٤٢، ١٩٤٣) والمعجم الأوسط (٩: ٩٤) وحلية الأولياء (١: ٥٨-٥٩، ٥٩) والمستدرك (٣: ١٠٢) وشرح السنة (١٤: ١٠٩- ١١٠) ودلائل النبوة (٥: ٢١٤-٢١٥، ٢١٥) ومسائل الإمام أحمد لابن هانئ (٢: ١٧٢) وإتحاف المهرة (١٠: ٦٠٩).

٤٩- إكرامهم برسول الله ﷺ، وبحرصه عليهم:

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(١٧٦).

لقد أكرم الله تعالى هذه الأمة -وعلى رأسها الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم- بأن بعث النبي المصطفى الكريم ﷺ من أنفسهم، ولم يكن من غيرهم، ولا من جنسٍ غيرِ جنسهم. مع بيان شدة حرصه ﷺ عليهم، وعزة ما يصابون به عليه، مع شدة رأفته ﷺ ورحمته الخاصة بهم.

وفي الآية الكريمة:

أ- كون رسول الله ﷺ منهم. وهذه منقبة كبيرة لهم، خاصة وأنهم أتباعه وأصحابه رضي الله تعالى عنهم.

ب- يعز عليه ﷺ ما ينتابهم، من شدة شفقته ورحمته وحرصه ﷺ عليهم.

ج- شدة حرصه ﷺ عليهم. لأنه الرائد الذي لا يكذب أهله.

د- رأفته ﷺ بهم.

هـ- رحمته ﷺ الخاصة بهم، وصيغة (الرحيم) يعني لا رحمة فوق تلك الرحمة(١٧٧). وأن الله تعالى خصه بهذين الاسمين، ولم يصف بهما أحداً غيره رحمةً بعباده.

---

(١٧٦) سورة التوبة (١٢٨).

(١٧٧) وانظر: الرحمة المهداة ﷺ، ورحمة النبي الكريم ﷺ بالكفار، ففيهما بيان لشمول تلك الرحمة لجميع الخلق، حتى الحيوان.

٥٠- وعد الله تعالى لهم بأن يبوِّئهم المنزلة العالية في الدنيا والآخرة:

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ۝٤١ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾(١٧٨).

يخبر المولى سبحانه وتعالى عن جزاء المهاجرين في سبيله ابتغاء مرضاته جل شأنه -حيث تركوا الأهل والأوطان والخلان لله تعالى ولرسوله ﷺ، فراراً بدينهم، ونصرة لنبيهم عليه وآله الصلاة والسلام- ماذا لهم في الدنيا والآخرة.

أ - شهادة الله سبحانه وتعالى لهم بأن هجرتهم كانت خالصة لله تعالى، وليس لغرض دنيوي، أو مصلحة شخصية، لذا قال جل شأنه: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ ﴾.

ب- كما يلاحظ أن الله تعالى قال: ﴿فِي ٱللَّهِ﴾ و لم يقل: (إلى الله) حيث الفارق الكبير، لأن هذا التعبير فيه دلالة على غاية الصدق والإخلاص مع القبول والرضا بذلك، والله تعالى أعلم.

ج- لهم، رضي الله تعالى عنهم، في الدنيا حسنة، وقد اختلف في معناها.

* قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: هي المدينة، وقال مجاهد: هي الرزق الطيب.

والخلاصة: أنهم رضي الله تعالى عنهم لَمّا تركوا مساكنَهم وأموالَهم لله تعالى؛ عوَّضهم الله سبحانه وتعالى خيراً منها في الدنيا: الرزقَ الحسن في

(١٧٨) سورة النحل (٤١-٤٢).

المدينة الطَّيِّبةِ المباركة، بمجاورة حبيبهم الأعظم ونبيهم الأكـرم ورسـولهم الأفخم صلّى الله عليه وآله وصحبه وسلّم.

د- ما ادخره الله سبحانه وتعالى لهم في الآخرة من الأجر الكبير، الذي هو خيرٌ مما أعطاهم في الدنيا، وفي ذلك دلالة على عظم ثواب الهجرة، ولو علم المتخلّفون عنها ما فاهم من الأجر والجزاء لندموا على تخلّفهم.

هـ- ما وصفهم الله تعالى به من الصبر على الأذى الذي انتاهم رضي الله تعالى عنهم في مكة، وعلى الظلم الذي لاقوه من أعدائهم المشركين،... ومع هذا صبروا وتحمَّلوا، ولا يخفى أجر الصابر، فإنه بغير حساب، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(١٧٩).

و- ما وصفهم الله سبحانه وتعالى به من صدق التوكل على الله تعالى، وهذه شهادة ثانية من الله عز وجل لهم، ولهذا أحسن لهم العاقبةَ، وكافـأهم على ما تحمَّلوا وبذلوا: كرامةَ الدنيا، وحسنَ الأجر وكريمَه في الآخرة، رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم وقد وفعل.

٥١- مغفرة الله تعالى ورحمته للمهاجرين المجاهدين الصابرين:

قال الله تعـالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَـٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(١٨٠).

يخبر الله سبحانه وتعالى عن بعض المؤمنين الذين كانوا مستـضعفين في مكة، ففتنهم المشركون، ثم إهم أمكنهم الخلاص منهم، فهاجروا إلى المدينة المنورة، وجاهدوا مع إخوالهم المهاجرين السابقين والأنصار رضي الله تعـالى

---

(١٧٩) سورة الزمر (١٠).

(١٨٠) سورة النحل (١١٠).

عنهم، وصبروا على ما ابتلوا به. فإن الله سبحانه وتعالى غفورٌ لهم ما كان منهم، ورحيم بهم أن لا يعاقبهم؛ لأن الهجرةَ تَجُبُّ ما كان قبلها. كالإسلام يجب ما قبله، كما في حديث عَمْرو بن العاص رضي الله تعالى عنه، عند مسلم(١٨١).

وإذا عرفنا الابتلاءات والمحن والشدائد،... التي ابتُلي بها المسلمون في مكة قبل فتحها، وقبل هجرتهم، وكذا ما ابتُلي به بعضُهم من تعذيبٍ بعد هجرتهم -حين وقوعهم في الأسر عند الكفار- إذا عرفنا مقدار تلك المحن والابتلاءات: عرفنا فضلَ هؤلاء الصابرين الممتحَنين،... رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم.

فلو علمنا ما حصل لياسر وزوجه سمية، ولبلال وخبّاب،... وباقي المستضعفين رضي الله تعالى عنهم في مكة؛ بما لا تحمله الجبال، ولا يصبر عليه الجماد، عرفنا أن ما أكرمهم الله سبحانه وتعالى به من المغفرة والرحمة والتوبة،... يفوق ما حصل لهم من الافتتان، والله تعالى أعلم.

أ - قبول هجرتهم بعد افتتانهم وصبرهم.

ب- قبول جهادهم وصبرهم على الابتلاء، لأنه تعالى لو لم يقبل منهم هجرتَهم وجهادَهم وصبرَهم ما أكرمهم بما يقابل ذلك ويفوقه.

ج- مغفرته تعالى لهم ذنوبَهم وتقصيرَهم الذي حصل منهم: نتيجة ما فاتهم من فعل الطاعات، وارتكابِ التقصير نتيجةَ الضغط والتعذيب.

د- رحمة الله تعالى بهم لضعفهم، كيف وهو الغفور الرحيم.

---

(١٨١) صحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب كون الإسلام يهدم ما قبله، وكذا الهجرة والحج، رقم (١٩٢).

٥٢- أمر الله تعالى رسوله الكريم ﷺ أن يُصْبِر نفسه مع الضعفاء منهم، ولا يلتفت إلى من أغفل الله تعالى قلبه عن ذكره:

قال الله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾[١٨٢].

لقد أمر الله سبحانه وتعالى رسولَه الكريمَ ﷺ ألاَّ يطيع زعماء قريش وغيرهم -ممن أغفل قلبه عن ذكر الله عز وجل، و لم يدخل الإيمان في قلبه، وركب هواه، واتبع شيطانه-: إذا ما طلبوا طرد الصحابة الكرام الذاكرين الله تعالى المبتغين وجهه. وعلى رسوله الكريم ﷺ أن يدني هؤلاء الكرام رضي الله تعالى عنهم منه، وأن يُصْبِر نفسَه الشريفة بالجلوس معهم.

أ - مكانة هؤلاء الصحابة رضي الله تعالى عنهم عند الله تعالى، بحيث إنه تعالى يأمر نبيَّه الكريم ﷺ أن يُصْبِر نفسَه الشريفةَ بالجلوس معهم، وألاَّ يصرف بصره عنهم.

ب- وصف هؤلاء بالعبادة طرفي النهار، ودعائه عز وجل. فهم يذكرونه ويحمدونه ويسبحونه ويكبرونه ويسألونه بكرة وعشية.

ج- شهادة الله تعالى لهم بإخلاصهم، وإرادتهم بعملهم وجه الله تعالى.

د- حث الله تعالى النبي المصطفى الكريم ﷺ على عدم مجاوزته هؤلاء إلى غيرهم ممن غلبتْه زينة الحياة الدنيا وبهرجتها، وغفل عن ربه تعالى وذكره،

---

(١٨٢) سورة الكهف (٢٨).

و لم يتمكن الإيمان من قلبه.

* عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: جلست في عصابة من ضعفاء المهاجرين، وإن بعضهم ليستر ببعض من العُري، وقارئ يقرأ علينا، إذ جاء رسول الله ﷺ، فقام علينا، فلما قام رسول الله ﷺ سكت القارئ، فسلّم، ثم قال: (ما كنتم تصنعون؟) قلنا: يا رسول الله؛ إنه كان قارئ لنا يقرأ علينا، فكنا نستمع إلى كتاب الله. قال: فقال رسول الله ﷺ: (الحمد لله الذي جعل من أمتي من أُمرتُ أن أَصْبِرَ نفسي معهم).

قال: فجلس رسول الله ﷺ وسَطنا ليعدل بنفسه فينا. ثم قال بيده هكذا، فتحلَّقوا، وبرزت وجوهُهم له. قال: فما رأيت رسول الله ﷺ عرف منهم أحداً غيري. فقال رسول الله ﷺ: (أبشروا يا معشر صعاليك [أي فقراء] المهاجرين بالنور التّامِّ يوم القيامة، تدخلون الجنةَ قبل أغنياء الناس بنصف يوم، وذاك خمسمائة عام). رواه أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه، وابن ماجه وأبو يعلى والبزار بنحوه، وله شواهد كثيرة(١٨٣).

---

(١٨٣) مسند أحمد (٣: ٦٣، ٩٦) وسنن أبي داود: كتاب العلم: باب في القصص، رقم (٣٦٦٦) وسنن الترمذي: كتاب الزهد: باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم، رقم (٢٣٥١) وسنن ابن ماجه: كتاب الزهد: باب منْزلة الفقراء، رقم (٤١٢٣) ومسند أبي يعلى (٢: ٣٨٢-٣٨٣، ٤٨٥-٤٨٦) وكشف الأستار (٤: ٢٣٩) والمعجم الأوسط (١: ٣٣) ودلائل النبوة (١: ٣٥١-٣٥٢) وشرح السنة (١٤: ١٩١-١٩٢) وانظر الترغيب والترهيب (٥: ٣٠٣ وما بعد) ومجمع الزوائد (١٠: ٢٥٩-٢٦٠) والدر المنثور (٥: ٣٨١-٣٨٢) وقد رواه بعضهم مختصراً. وقد مر جزء منه.

٥٣- إرزاق الله تعالى المهاجرين الرزق الحسن، وإدخالهم المدخل الذي يرضونه:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾[١٨٤].

يخبر المولى سبحانه وتعالى عن حال هؤلاء المهاجرين رضي الله تعالى عنهم، الذين خرجوا من ديارهم، وتركوا أوطانهم ابتغاء مرضات الله عز وجل، ونصرةً لله عز وجل ولرسوله ﷺ، ما لهم من الثواب الجزيل، سواء قُتلوا في المعارك، أو ماتوا على فرشهم، وذلك:

أ - شهادة الله تعالى لهم بأن هجرتهم كانت خالصة لوجهه الكريم، فهم هاجروا لله، وفي الله، وفي سبيل الله، وإلى الله تعالى، ولم يهاجروا لدنيا يصيبونها، ولا لعصبيَّةٍ ينصرونها.

ب- إجراءُ الله سبحانه وتعالى عليهم من فضله، ورزقُه لهم من الجنة ما تقرّ به عيونُهم، سواء قُتلوا شهداء في سبيل الله عز وجل، أو ماتوا على فرشهم من غير قتال، فقد حصلوا على الأجر الجزيل، والثواب الكبير، والثناء الجميل، والفضل العميم.

* لأن الهجرة لا يعدلها شيء، أما ترى كيف قال رسول الله ﷺ للأنصار رضي الله تعالى عنهم: (لولا الهجرةُ لكنت امرءاً من الأنصار). كما في حديث عبد الله بن زيد رضي الله تعالى عنه المتفق عليه، وحديث أبي

---

(١٨٤) سورة الحج (٥٨-٥٩).

هريرة رضي الله تعالى عنه عند البخاري[١٨٥].

ج- إدخالهم رضي الله تعالى عنهم المدخلَ الذي يرضونه، وهو الجنة، التي يرضونها لأنفسهم ولإخوانهم.

د- حسن الختام لهم، وذلك لأن الجنة لا يدخلها إلاّ نفسٌ مسلمة، فإدخالُهم المدخل الذي يرضونه، ورزقُهم الرزق الحسن -وكل ذلك في الجنة- دلالةٌ على حسن خاتمتهم، سواء قُتلوا شهداء، أو ماتوا على فرشهم سعداء.

كما فيه دلالة -والله تعالى أعلم- على إيمانهم الراسخ، ويقينهم القاطع، لأن الجنة لا تجب إلاّ للمؤمنين، وأما عدم ذكر الإيمان هنا فإنما لوجود ما يدل عليه، وهو هذا الإكرام.

هـ- بيان فضل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، حيث إن الله سبحانه وتعالى يجري عليهم أرزاقهم، ويحسن إليهم ولو ماتوا، مع أن الشهيد حي عند ربه يُرزق، كما جاء في الآيات الكريمة، ومع هذا فقد جعل الموت بالنسبة للمهاجرين كالشهادة في سبيل الله في إجراء الرزق، ودخول الجنة. وهذه كرامة لهم رضي الله تعالى عنهم.

و- تحننه تعالى لهم، وترضيه إياهم، حيث إنه تعالى يترضّاهم، وذلك بأن يدخلهم المدخل الذي يرضونه، وفي هذا دلالة على علو مكانتهم عنده تعالى، ورفعة منْزلتهم لديه جل شأنه، وعظيم منْزلتهم عنده عز شأنه.

(١٨٥) صحيح البخاري: كتاب التمني: باب ما يجوز من اللو، وكتاب مناقب الأنصار: باب قول النبيِّ ﷺ: (لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار)، وفي غيرها. وصحيح مسلم: كتاب الزكاة: باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام،... رقم (١٣٩).

ز- علم الله تعالى بحالهم، وحلمه عز وجل عليهم، وثناؤه جل شأنه عليهم، كل ذلك دالٌّ على منْزلتهم عنده تعالى، حشرنا الله تعالى معهم، تحت لواء النبي المصطفى الكريم ﷺ. آمين.

٥٤- ما في حادثة الإفك من بيان فضل البيت النبوي، وغيرة الله عز وجل عليهم، وبيان منزلة بيت الصّدّيق رضي الله تعالى عنه:

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ
خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾
لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا
جَاءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا
فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ
تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ
﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾
يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ
وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ
خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم
مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ
وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا

﴿تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾[١٨٦].

لقد نزلت هذه الآيات العشر في شأن السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها، حين رماها أهلُ الإفك والبهتان من المنافقين، بما لاكوه في أفواههم، وقالوه بألسنتهم من الكذب البحت، والبهتان المبين، والفرية التي غار الله تعالى لها، ولرسوله الكريم ﷺ، وبقي الأمر نحواً من شهر، والناسُ يتكلّمون فيه، فأنزل تعالى هذه الآيات في تبرئتها، وردِّ التهمة عنها، صيانة لعرض رسول الله ﷺ، وتبكيتاً لهؤلاء الأفّاكين، ولم يغضب الله في أمر ما غضب في هذه الحادثة.

وقد جاءت الأحاديث الشريفة تبين حصول هذه الحادثة، والادعاء الذي ادعاه عبد الله بن أُبي ابن سلول رئيس المنافقين، وهو الذي تولّى كبره، فكان يجمعه ويتتبعه ويستوشيه،... حتى دخل في أذهان بعض المسلمين، فهلك مع من هلك في تلك الحادثة، أقتصر على ذكر رواية واحدة فقط.

* عن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج -سفراً- أقرع بين أزواجه، فأيتُهن خرج سهمُها خرج بها

---

(١٨٦) سورة النور (١١-٢٦).

رسول الله ﷺ معه.

قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: فأقرع بيننا في غزوة غزاها، فخرج سهمي، فخرجت مع رسول الله ﷺ، بعد ما أنزل الحجاب، فأنا أُحمل في هودجي، وأُنزل فيه.

فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك، وقفل، ودنونا من المدينة قافلين، آذن ليلةً بالرحيل، فقمت حين آذنوا بالرحيل، فمشيتُ حتى جاوزتُ الجيش، فلما قضيت شأني؛ أقبلتُ إلى رحلي [فلمست صدري] فإذا عقدٌ لي من جَزْع أظفار قد انقطع، [فرجعت] فالتمستُ عِقْدي، وحبسني ابتغاؤه، وأقبل الرهطُ الذين كانوا يَرْحَلون لي، فاحتملوا هودَجي، فَرَحَلوه على بعيري الذي كنت ركبتُ، وهم يحسبون أني فيه، وكان النساء إذ ذاك خفافاً: لم يُثقِلهُنَّ اللحمَ [وفي رواية: لم يُهَبَّلْنَ، ولم يَغْشَهُنَّ اللحمُ]، إنما يأكُلْنَ العُلْقَةَ من الطعام، فلم يستنكر القومُ خفةَ الهودج حين رفعوه، وكنت جاريةً حديثةَ السِّنِّ، فبعثوا الجملَ وساروا.

فوجدتُ عقْدي بعد ما استمر الجيش، فجئت منازلَهم، وليس بها داعٍ ولا مجيبٌ، فَأَممتُ منْزلي الذي كنتُ به، وظننتُ أنهم سيفقدوني، فيرجعون إليَّ.

فبينما أنا جالسةٌ في منْزلي غلبتني عيني فنمتُ، وكان صفوانُ بنُ المُعَطِّلِ السُّلَمي ثم الذَّكْوانيُّ [قد عَرَّسَ] من وراء الجيش، فأَدلج، فأصبح عند منْزلي، فرأى سوادَ إنسان نائم، فأتاني، فعرفني حين رآني، وكان يراني قبل الحجاب، فاستيقظتُ باسترجاعه حين عرفني، فخمَّرتُ وجهي بجلبابي، والله ما كلَّمني كلمةً، ولا سمعتُ منه كلمةً غير استرجاعه، حتى أناخ راحلته، فوطئ على

يدها، فركبتُها، فانطلق يقود بي الراحلةَ، حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا مُوغرين في نحر الظهيرة، فهلك من هلك. وكان الذي تولى الإفكَ [وفي رواية: كِبْرَه] عبد الله بن أُبيٍّ ابنِ سلول.

فقدمنا المدينة، فاشتكيتُ حين قدمتُ شهراً، والناسُ يُفيضون في قول أصحاب الإفك، ولا أشعر بشيء من ذلك، وهو يريبُني في وجعي أني لا أعرفُ من رسول الله ﷺ اللطفَ الذي كنتُ أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل عليَّ رسولُ الله ﷺ فيُسَلِّمُ، ثم يقولُ: (كيف تيكم؟) ثم ينصرف، فذاك الذي يَريبُني.

ولا أشعر بالشر، حتى خرجتُ بعد ما نقهتُ، فخرجتْ معي أمُّ مسْطح قِبَلَ المناصع، وهو مُتَبرَّزُنا، وكنا لا نخرج إلاّ ليلاً إلى ليل، وذلك قَبل أن نتخذ الكُنُفَ قريباً من بيوتنا، وأمرُنا أمرُ العرب الأوَل في التبرز قِبل الغائط، فكنا نتأذى بالكُنُف أن نتخذها عند بيوتنا.

فانطلقت أنا وأمُّ مسطح -وهي ابنة رُهم بن المطلب بن عبد مناف، وأمُّها بنتُ صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق، وابنها مسْطَحُ بنُ أثاثة- فأقبلت أنا وأمُّ مسْطح قِبَلَ بيتي، وقد فرغنا من شأننا، فعثَرتْ أمُّ مسطح في مرْطها، فقالت: تعس مسطحٌ. فقلت لها: بئس ما قلت، أتسبين رجلاً شهد بدراً؟ قالت: أي هَنْتاهُ، أوَ لَمْ تسمعي ما قال؟ قالت: قلت: وما قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك. فازددت مرضاً على مرضي.

فلما رجعت إلى بيتي. ودخلَ عليَّ رسولُ الله ﷺ، تعني سلَّم، ثم قال: (كيف تيكم؟) فقلت: أتأذنُ لي أن آتي أبويَّ؟ -قالت: وأنا حينئذٍ أريد أن

أستيقن الخبر من قِبَلِهما-قالت: فأذن لي رسولُ الله ﷺ.

فجئت أبوَيَّ، فقلت لأمي: يا أمَّتاه؛ ما يتحدث الناس؟ قالت: يا بُنية؛ هوِّني عليك، فوالله لقلما كانت امرأةٌ قط وضيئةٌ عند رجل يحبها ولها ضرائرُ إلاّ أكثرن عليها.

قالت: فقلت: سبحان الله، أو لقد تحدث الناسُ بهذا؟ قالت: فبكيت تلك الليلةَ حتى أصبحتُ لا يرقأ لي دمعٌ، ولا أكتحلُ بنوم، حتى أصبحت أبكي.

فدعا رسولُ الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب وأسامةَ بن زيد رضي الله تعالى عنهم، حين استلبث الوحيُ، يستأمرهما في فراق أهله.

قالت: فأما أسامةُ بن زيد فأشار على رسولِ الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم لهم في نفسه من الوُدِّ. فقال: يا رسول الله؛ أهلك، وما نعلم إلاّ خيراً. وأما عليُّ بن أبي طالب فقال: يا رسول الله؛ لم يُضيِّقِ الله عليك، والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجاريةَ تصْدُقْكَ. قالت: فَدعا رسولُ الله ﷺ بَريرَةَ، فقال: (أيْ بَريرَةُ، هل رأيت من شيء يريبك؟) قالت بريرة: لا والذي بعثك بالحق، إن رأيت عليها أمراً أغْمصُه عليها أكثرَ من أنها جاريةٌ حديثةُ السنِّ تنام عن عجين أهلها، فتأتي الداجنُ فتأكلُه.

فقام رسولُ الله ﷺ فاستعذر يومئذٍ من عبد الله بن أُبي ابن سلول، فقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر: (يا معشر المسلمين؛ من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي؟ فوالله ما علمت على أهلي إلاّ خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلاّ خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلاّ معي).

فقام سعدُ بن معاذ الأنصاريُّ، فقال: يا رسول الله؛ أنا أعذرُك منه، إن كان من الأوس ضربتُ عنقَه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتَنا ففعلنا أمرَك. قالت: فقام سعد بن عبادة -وهو سيد الخزرج- وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً، ولكن احتملته الحمية-فقال لسعد: كذبتَ، لعمرُ الله، لا تقتله، ولا تقدر على قتله، فقام أُسَيْدُ بن حُضَيْر-وهو ابن عم سعد بن معاذ-فقال لسعد بن عبادة: كذبتَ لعمرُ الله، لنقتلنه، فإنك منافق تجادل عن المنافقين، فتثاور الحيان الأوسُ والخزرجُ، حتى همُّوا أن يقتتلوا، ورسول الله ﷺ قائمٌ على المنبر، فلم يزلْ رسولُ الله ﷺ يُخَفِّضُهم حتى سكتوا، وسكت.

قالت: فمكثتُ يومي ذلك لا يرقأ لي دمعٌ، ولا أكتحل بنوم.

قالت: فأصبح أبواي عندي، وقد بكيتُ ليلتين ويوماً، لا أكتحل بنوم، ولا يرقأ لي دمعٌ [وأبواي] يظنان أن البكاء فالقٌ كبدي، قالت: فبينما هما جالسان عندي، وأنا أبكي، فاستأذَنَتْ عليَّ امرأةٌ من الأنصار، فأذنتُ لها، فجلست تبكي معي.

قالت: فبينا نحن على ذلك دخل علينا رسولُ الله ﷺ، فسلَّم، ثم جلس، قالت: ولم يجلس عندي -منذ قيل ما قيل- قبلها. وقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شأني، قالت: فتشهَّد رسولُ الله ﷺ حين جلس، ثم قال: (أما بعد، يا عائشةُ؛ فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنتِ بريئةً فسيُبرِّئُكِ الله، وإن كنتِ ألممتِ بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبدَ إذا اعترف بذنبه؛ ثم تاب إلى الله تاب الله عليه).

قالت: فلما قضى رسولُ الله ﷺ مقالته قَلَصَ دمعي حتى ما أحسُّ منه

قطرةً، فقلت لأبي: أجب رسولَ الله ﷺ فيما قال. قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ. فقلت لأمي: أجيبي رسولَ الله ﷺ. قالت: ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ.

قالت: فقلت -وأنا جاريةٌ حديثةُ السِّنِّ لا أقرأ كثيراً من القرآن-: إني والله، لقد علمتُ لقد سمعتم هذا الحديثَ حتى استقر في أنفسكم، وصَدَّقْتُم به. فلئن قلتُ لكم: إني بريئةٌ -والله يعلم أني بريئة- لا تُصدِّقوني بذلك. ولَئن اعترفتُ لكم بأمر -والله يعلم أني منه بريئةٌ- لَتُصَدِّقُنِّي، والله ما أجد لكم مثلاً إلاّ قول أبي يوسف قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ قالت: ثم تحوَّلتُ فاضطجعت على فراشي. قالت: وأنا حينئذٍ أعلم أني بريئةٌ، وأن الله مُبَرِّئي ببراءتي، ولكنْ -والله- ما كنتُ أظن أن الله مُنْزِلٌ في شأني وحياً يُتلى، ولشأني في نفسي كان أحقَرَ من أن يتكلم الله فيَّ بأمر يتلى. ولكنْ كنت أرجو أن يرى رسولُ الله ﷺ في النوم رؤيا يُبَرِّئُني الله بها.

قالت: فوالله ما رام رسولُ الله ﷺ [مجلسه] ولا خرج أحد من أهل البيت، حتى أُنزل عليه، فأخذه ما كان يأخذه من البُرَحاء، حتى إنه ليتحدَّرُ منه مثلُ الجُمان من العَرَق، وهو في يوم شاتٍ، من ثقَل القول الذي ينزل عليه، قالت: فلما سُرِّيَ عن رسول الله ﷺ، سُرِّيَ عنه وهو يضحك، فكانت أولَ كلمة تكلم بها: ([أبشري] يا عائشة، أمّا الله عز وجل فقد برَّأَكِ).

فقالت أمي: قومي إليه، قالت: فقلت: والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلاّ

الله عز وجل [هو الذي أنزل براءتي] وأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ﴾ العشر الآيات كلها.

فلما أنزل الله في براءتي، قال أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه- وكان يُنفق على مسْطح بن أثاثَة لقرابته منه وفقره-: والله لا أنفق على مسْطح شيئاً بعد الذي قال لعائشة ما قال. فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه: بلى والله، إني أحب أن يغفر الله لي، فرجَع إلى مسْطح النفقةَ التي كان يُنفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبداً.

قالت عائشة: وكان رسولُ الله ﷺ يسأل زينبَ ابنةَ جَحْش [زوج النبي ﷺ] عن أمري، فقال: (يا زينبُ؛ ماذا علمتِ أو رأيتِ؟) فقالت: يا رسول الله؛ أحْمي سمعي وبصري، ما علمتُ إلاّ خيراً، قالت:-وهي التي كانت تُساميني من أزواج رسول الله ﷺ، فعصمها الله بالورع. وطفِقَتْ أختُها حمنةُ تحارب لها، فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك. متفق عليه(١٨٧).

وقد أطال علماء التفسير، وشرَّاح الحديث النفسَ في شرح الآيات

(١٨٧) صحيح البخاري: كتاب التفسير: سورة النور: باب ﴿وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ قُلۡتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ ١٦﴾، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب التوبة: باب في حديث الإفك، وقبول توبة القاذف، رقم (٥٦-٥٨) وما بين المعكوفات فمنه.

والأحاديث، مبيِّنين براءةَ السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها؛ مما افتراه كبير المنافقين، وهلك فيه من هلك.

ولست هنا بصدد شرح الآيات أو الأحاديث الواردة في ذلك، لكني سأذكر بعض ما يؤخذ من هذه الآيات الكريمة التي ذكرها، موضحاً برواية الحديث الذي ذكرته أيضاً، والله تعالى المعين.

١- سَمّى الله سبحانه وتعالى هذا الاتهام إفكاً. والإفكُ: هو الكذب والبهتان، بل هو أسوأ الكذب وأقبحه، بل هو أبلغ ما يكون من الكذب. وهو مأخوذ من أَفَك الشيء إذا قلبه عن وجهه، ووصفه الله سبحانه وتعالى بأنه إفك؛ لأن المعروف من حالها رضي الله تعالى عنها خلاف ذلك.

قال الإمامُ الواحدي رحمه الله تعالى(١٨٨): والإفك هو الحديث المقلوب عن وجهه، ومعنى القلب في هذا الحديث [أي الذي جاء به أولئك النفر]: أن عائشة رضي الله تعالى عنها كانت تستحق الثناء بما كانت عليه من الحصانة وشرف الحسب والنسب، لا القذف الذي رموها به. فالذين رموها بالسوء قلبوا الأمر عن وجهه، فهو إفك قبيح، وكذب ظاهر.اهـ.

وهذا النص دلالة على كذب الادعاء، وعلى سلامتها وحصانتها رضي الله تعالى عنها، لذا فالويل للذين يلوكون بألسنتهم هذا الحديث الذي أعلن الله تعالى كذبَه وبطلانَه.

٢- هذا الذي حصل لا تحسبوه يا آل أبي بكر شرّاً لكم، بل هو خير لكم في الدنيا والآخرة.

---

(١٨٨) الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٢: ٣٠٧).

أما خيريةُ الدنيا: فحيث جعل الله عز وجل لكم لسانَ صدق، وإظهار شرف، باعتناء الله تعالى بأم المؤمنين رضي الله تعالى عنها، حيث أنزل الله عز وجل براءتها في كتابه الكريم، وجعل قصتها تشريعاً عاماً.

وأما خيريةُ الآخرة: فزيادة الثواب، ورفعة المنازل، إضافة إلى مغفرة الذنب، والرزق الكريم في الجنة. مع كونها رضي الله تعالى عنها طَيِّبةً تحت طَيِّبٍ ﷺ، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

٣- عقوبة كل من قال بهذا الافتراء. وكلٌّ من تكلَّم في هذه القضية له نصيب عظيم من العذاب، نتيجة ما اقترف من الإثم، وقد أخفى الله تعالى نوعيةَ العذاب لخطورته وهوله، وأنه من أبشع أنواع العذاب، سواء كان في الدنيا أو في الآخرة.

٤- إخباره عز وجل أن لكل واحد ممن لاك هذا الحديث المفترى: له نصيب من الإثم، على قدر خوضه فيه، وذلك دلالة على تحريم هذا القول، ونشره وإشاعته، سواء كان ذلك في ذلك العصر أو كان بعده، وأنهم جميعاً آثمون. والإثمُ هو أعظم الذنوب:

والخطايا والذنوب على أربع طبقات(١٨٩):

أ – الذنوب، جمع ذنب، وهي تساوي العيوب، وهذه أدناها.

ب- الخطايا، جمع خطيئة، والخطأ ضد الصواب.

ج- السيئات، جمع سيئة، وهي ضد الحسنة.

د- المعاصي، جمع معصية، وهي ضد الطاعة.

---

(١٨٩) انظر: شرح أربعين باباً من سنن الترمذي.

فأعلاها في الإثم: المعصية، وأدناها: الذنب، وقد ورد بها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

٥- لكن الذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم في الدنيا والآخرة. وهو عبد الله بن أُبي ابن سلول، كما ثبت في الصحيحين.

٦- تأديب الله عز وجل المؤمنين حين أفاض بعضُهم في ذلك الكلام السوء، هلّا إذ سمعتم هذا الافتراء أن تقيسوا هذا الكلام على أنفسكم، فإن كان لا يليق بكم؛ فأم المؤمنين رضي الله تعالى عنها أولى بالبراءة منكم، بطريق الأولى والأحرى، وهذا من الله تعالى مبالغة في عتابهم وتقريعهم.

٧- كان الأولى بالمؤمنين حين سماعهم هذا الإفك أن يقولوا: هذا إفك ظاهر مكشوف.

وقيل: هذا ما جاء على لسان أبي أيوب الأنصاري رضي الله تعالى عنه، حينما سألته زوجُه رضي الله تعالى عنها عما يقوله الناسُ، قال: ذلك كذب.

٨- ما قاله هؤلاء الخائضون هو قذف. وحتى تبرأ ساحتهم لا بد من إحضار أربعة شهداء يشهدون على ما قالوا، فإذا لم يأتوا بالشهداء فهم كاذبون في دعواهم، و لم يأتوا بذلك، وأنى لهم ذلك!.

٩- حكم الله تعالى على هؤلاء الخائضين بأنهم كاذبون حقيقة، وذلك لأن الإنسان يستطيع أن يأتي ببيِّنَةٍ وشهداءِ زور وهو كاذب -فهو وإن كان صادقاً عند الناس لكنه كاذب في علم الله تعالى- وقد يعجز عن إحضار بيِّنَة وهو في الحقيقة صادق -فهو وإن كان- في حكم الشرع وظاهر الأمر - كاذباً لكنه في علم الله تعالى صادق-.

أما إذا كان عاجزاً عن إحضار البيِّنَة، وهو في الحقيقة كاذب في دعواه: فهذا أشنع؛ لأنه كاذب عند الله تعالى حقيقة، وهو عاجز عن إحضار بيِّنَة.

فهؤلاء الخائضون عاجزون عن إحضار بيِّنَة فيما قذفوا، وهم في علم الله تعالى كاذبون. وإذا كانوا كاذبين: فالمخذول من يصدِّقهم ويردِّد قولَهم.

١٠- ومما يدل على بطلان دعواهم: مجيء أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها راكبةً جهرةً على راحلة صفوان رضي الله تعالى عنه في وقت الظهيرة، والجيشُ بكماله يشاهدون ذلك، ورسول الله ﷺ بين أظهرهم. فلو كان هذا الأمر فيه ريبة لما كان هكذا جهرة، يَقْدمان على رؤوس الأشهاد، لذا تعين أن ما جاء به أهلُ الإفك من إشاعتهم: هو الكذب المحض، والقول الزور، والرعونة الفاحشة الفاجرة، والصفقة الخاسرة.

١١- ومما يدل على بطلانه: أن الرجل الذي اتُّهمت به -وهو صفوان ابن المعطّل رضي الله تعالى عنه- هو رجل لم يكشف ثوب أنثى من قبل، كما جاء مصرّحاً به في الحديث (والله، إن الرجل الذي قيل له ما قيل، ليقول: سبحان الله، والذي نفسي بيده، ما كشفتُ عن كنف إنثى قط. ثم قُتل بعد ذلك شهيداً في سبيل الله). متفق عليه(١٩٠).

١٢- هذا الكذب المشين الذي تلقّفه الخائضون فيما بينهم، وصاروا ينقلونه لغيرهم، لا تحسبوه هيِّناً يسيراً سهلاً، بل هو عظيم وخطره كبير عند الله عز وجل، وذلك لو لم تكن عائشة رضي الله تعالى عنها زوجَ النبي ﷺ

(١٩٠) صحيح البخاري: كتاب التفسير: سورة النور: باب ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ﴾. وصحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (٥٧).

لما كان هيِّناً -لأنه قذفٌ لامرأة مؤمنة صالحة- فكيف وهي زوجة النبي الأمي، خاتم الأنبياء، وسيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه، وهي من سيدات نساء الأنبياء، بل زوجة سيد ولد آدم على الإطلاق في الدنيا والآخرة رضي الله تعالى عنها ! لذا فإن الله عز وجل يغار أن يقال مثلُ هذا لزوجة نبيِّه وصفيِّه الكريم ﷺ ورضي الله تعالى عنها.

١٣- لولا رحمة الله تعالى والوعد الذي أعطاه الله تعالى لرسوله الكريم ﷺ -بألاَّ يعذِّب الأمة في حال وجود نبيها الكريم ﷺ- ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾(١٩١) إضافة إلى رحمته تعالى التي برزت بوجود الرحمة المهداة ﷺ: لحل العذاب العظيم بالأمة. ولكن سبق الوعد حال دون وقوع العذاب، وقد أخفى الله عز وجل نوعيةَ العذاب زيادةً في تهويله وخطورته.

١٤- إن هذا الافتراء والإفك إنما هو إشاعةٌ ليست مبنيةً على علمٍ، ولا على رؤيةٍ وحس، إنما هو ظن فاسد سيء، وإشاعة مغرضة. لذا ما كان لكم أن تشيعوه، وتتلقاه أفواهُكم. ويلاحظ هذا التشبيه ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾.

١٥- عتاب الله عز وجل مرة ثانية للمؤمنين، وتأديبهم مرة أخرى، هلّا إذ سمعتم حديثَ الإفك كذَّبتم الخائضين فيه، المفترين له، وأنه لا ينبغي لنا ولا يمكننا أن نتكلم بهذا الحديث الباطل المحَرَّم، ولا يصدر منا بوجه من الوجوه، لأنه بهتان عظيم، ثم لِمَ لَمْ تقولوا: سبحان الله أن يقال هذا الكلام

(١٩١) سورة الأنفال (٣٣).

على زوجة رسوله وخليله وحبيبه ﷺ!!!.

١٦- تنْزيه الله سبحانه وتعالى ﴿سُبۡحَٰنَكَ﴾ دلالةٌ على عظم هذا القول وخطورته، لذا كان الواجب على المؤمنين رفضه وإبطاله، لا نقله وإشاعته.

١٧- نهيُ الله تعالى ووعيدُه أن يقع من المؤمنين هذا القول أو ما يشبهه مرة ثانية، وأتى بلفظ التأبيد ﴿أَبَدًا﴾ زيادة في التوكيد، وعدم الوقوع به، أو بمثله مرة ثانية، إذا كنتم تؤمنون بالله تعالى وتعظِّمون رسولَه الكريم ﷺ. لذا فالويل كلّ الويل لمن يلوك هذا الحديث، ويتملح به، ويتكلم في عرض السيدة المصون وأخواتها رضي الله تعالى عنهن ثانية.

١٨- إن قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ تهييج لهم، ألاَّ يقعوا في مثل هذا القول، لأن المؤمن الحق لا يقع منه مثل هذا الكذب المشين، بل لا يخوض فيه، لأنه يغار على رسول الله ﷺ أن يُمس عرضه بأدنى شبهة، بل يتمنى أن يقطع أوصالاً ولا يمس ﷺ بأدنى سوء، ولا يعكّر خاطره بأدنى تعكير، إنما هو فعل المنافقين، ومن استزله الشيطان فزلت قدمه.

١٩- إن أهل الإفك قد رموا السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها المطهرة المصون بالفاحشة، انتقاماً وبغضاً وحقداً على رسول الله ﷺ، لكن الله عز وجل بَرَّأَها من هذا البهتان، لذا فكلٌّ من سبَّها بما برأها الله تعالى منه: فإنه مكذِّبٌ لله تعالى، ومن كذَّب الله تعالى فهو كافر.

قال العلامة ابنُ كثير رحمه الله تعالى[١٩٢]: قد أجمع العلماء رحمهم الله تعالى قاطبةً على أن من سبَّها بعد هذا، ورماها بما رماها به؛ بعد هذا الذي

(١٩٢) تفسير ابن كثير (٣: ٢٧٦).

ذُكر في هذه الآية: فإنه كافر؛ لأنه معاندٌ للقرآن. وفي بقية أمهات المؤمنين قولان: أصحهما أهن كهي، والله تعالى أعلم.اهـ.

وقال الإمام مالك رحمه الله تعالى[193]: من سب أبا بكر وعمر -رضي الله تعالى عنهما- أُدِّب. ومن سب عائشة قُتل؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ فمن سب عائشةَ رضي الله تعالى عنها فقد خالف القرآن، ومن خالف القرآن قُتل.اهـ.

فهو كافر مرتد، يُقتل كفراً لا حداً، والله تعالى أعلم.

٢٠- تكرار الزجر من الله تعالى للسامعين والخائضين ﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ ﴾ أي لولا أن الله تعالى تفضل عليكم ورحمكم-وهو ذو الرحمة بخلقه-لهلكتم فيما أفضتم فيه، ولكن الله عز وجل أمهل، ولا يعذب طالما رسول الله ﷺ بين أظهرهم ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾ ولولا ذلك لعاجلهم بالعقاب على ما خاضوا فيه من حديث الإفك. لأن الله عز وجل يعلم خائنة هؤلاء الكاذبين.

وقد تكرر هذا الزجر عدة مرات.

٢١- تأديب الله تعالى لهم مرة أخرى وتهديده للقاذفين؛ بأنَّ من سمع فاحشة فنشرها، ومن سمع سيئاً فأحب إفاضته ونشره؛ فله عقوبة في الدنيا- وهي حد القذف -وفي الآخرة- وهو العذاب الأليم في نار الجحيم.

(١٩٣) تفسير القرطبي (١٢: ٢٠٥) والشفاء (٢: ١١٠٩) وانظر الصارم المسلول (٥٦٦) والسيف المسلول (٤١٧).

٢٢- تحذير الله تعالى المؤمنين من اتّباع خطوات الشيطان ونزغاته، فإنه لا يأمر إلاّ بالفحشاء والمنكر والبغي، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾.

بينما الله سبحانه وتعالى ينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، كما قال عز وجل: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِۚ﴾(١٩٤).

فإثارة مثل هذه الإشاعة هي من اتِّباع خطوات الشيطان، لذا لولا فضل الله تعالى ورحمته ما زكى أحد أبداً.

٢٣- كما بيَّنت الآياتُ الكريمة حكمَ من قذف السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها-ويلحق بها في الراجح من قذف واحدة من أمهات المؤمنين رضي الله تعالى عنهن-بأن لهم اللعنة في الدنيا والآخرة، فلا تنفعهم توبة، إضافة إلى العذاب العظيم في الآخرة. وهذا الحكمُ هو بخلاف من قذف غيرَهن من النساء المحصنات، حيث جعل له توبة.

وقارن بين قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ وبين قوله تعالى-في السورة نفسها-: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

(١٩٤) سورة النحل (٩٠).

وهذا ما ذهب إليه عدد من المفسرين، وعلى رأسهم عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما والضحاك وابن جُبير وغيرهم رحمهم الله تعالى. فمن قذف واحدة من أمهات المؤمنين-وعلى الأخص السيدة عائشة-رضي الله تعالى عنهن: فقد أوجب الله تعالى عليه اللعنةَ والغضبَ، وباء بسخط من الله، ومن هنا قيل في سبب عدم إقامة الحد على عبد الله بن أُبي ابن سلول، والله تعالى أعلم.

٢٤- ثم ذكرت الآيات بيان حال هؤلاء الكاذبين يوم القيامة، حيث ستشهد عليهم ألسنتهم بما كانوا تكلموا به، وأيديهم وأرجلهم بما عملوه في الدنيا، وأن الله تعالى يُنطقها بالشهادة على ما اقترفوا من ذنوب، وما ارتكبوا من معاصي، ويعطيهم المولى سبحانه وتعالى جزاءَهم عليها موفَّراً غير منقوص، فيعلمون عند معاينتهم لذلك: أن الله تعالى هو الحق، وأن وعده ووعيده وحسابه هو العدل الذي لا جَور فيه.

٢٥- وفي الآية الأخيرة: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾ قولان لأهل التفسير:

القول الأول: هو مذهب أكثر المفسرين: أن الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال، والخبيثون من الرجال للخبيثات من القول، والطيبات من القول للطيبين من الرجال، والطيبون من الرجال للطيبات من القول.

ووجه ذلك -كما عند الطبري رحمه الله تعالى- أن الكلام القبيح أولى بأهل القبح من الناس، والكلام الطيب أولى بالطيبين من الناس، فما نسبه

أهل النفاق إلى عائشة رضي الله تعالى عنها من كلام هم أولى به، وهي أولى بالبراءة والنـــزاهة منهم. وبنحوه قاله مجاهد وابن جُبير وعطاء،... والزجاج وقال: هذا من أحسن ما قيل في هذه الآية. وذكره ابن كـــثير رحمهـــم الله تعالى[195].

قلت: ويشهد لهذا المعنى نهاية الآية ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾.

القول الثاني: الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال، والخبيثون مـــن الرجال للخبيثات من النساء، والطيبات من النساء للطيبين مـــن الرجـــال، والطيبون من الرجال للطيبات من النساء.

وهذا القول يرجع إلى القول الأول لزوماً، أي ما كان الله تعالى ليجعل عائشة رضي الله تعالى عنها زوجةً لرسول الله ﷺ إلاّ وهي طيِّبة؛ لأنـــه ﷺ أطيبُ من كلِّ طيِّب من البشر، ولو كانت -حاشاها- خبيثةً لما صلحت له ﷺ، لا شرعاً، ولا قَدَراً، ولهذا قـــال الله عـــز شـــأنه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ أي الطيبون والطيبات هم بُعَداء كل البعد عما يقوله أهل الإفـــك والعدوان، والله تعالى أعلم.

فلما كانت رضي الله تعالى عنها زوجةَ الطَّيِّب المطيَّب ﷺ: دل علـــى أنها طَيِّبةٌ، ولو كانت غيرَ ذلك ما برَّأها الله تعالى، ولما أقر نبيَّـــه ﷺ علـــى بقائها عنده، والله تعالى أعلم.

٢٦- قوله عز وجل: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ فيه بشارتان للـــسيدة

---

(١٩٥) وانظر تفسير القرطبي أيضاً (١٢: ٢١١).

عائشة رضي الله تعالى عنها، وإن كانتا تشمل غيرها ممن وقع عليه الإفك:

الأولى: مغفرة الله تعالى لها، بسبب ما قيل فيها من الكذب والبهتان، والذي برأها الله تعالى منه.

والثانية: ما أعد الله تعالى لها من الرزق الكريم في جنات النعيم.

كما فيه إشارة إلى أنها تكون زوجةً لرسول الله ﷺ في الجنة يوم القيامة. كما سيأتي بعد قليل، إن شاء الله تعالى.

٢٧- تبرئة الله سبحانه وتعالى لها صراحة مما قاله أهل الأفك الخبيثون والخبيثات. لهذا من أعاد أَوْ لاك هذا الإفكَ بعد ذلك كان مكذِّباً للقرآن، فاستحق الكفر والقتل، والعياذ بالله تعالى.

٢٨- ما أعده الله عز وجل لها في الجنة، بسبب ما قيل فيها من الكذب والبهتان، وذلك: أن تكون زوجاً لرسول الله ﷺ في الجنة، إضافة إلى غفران الذنوب؛ التي لا يخلو منها البشر -خلا الأنبياء عليهم السلام لأنهم معصومون- والرزق الكريم في الجنة.

* عن أبي وائل رحمه الله تعالى قال: قام عمّار على منبر الكوفة، فذكر عائشة، وذكر مسيرها، وقال: إنها زوجة نبيّكم ﷺ في الدنيا والآخرة،... الحديث، رواه البخاري(١٩٦).

* وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، جاء يعود عائشة رضي الله تعالى عنها فقال: يا أم المؤمنين؛ تَقْدَمين على فَرَط صدقٍ؛ على رسول الله

(١٩٦) صحيح البخاري: الفتن: باب [١٨] حدثنا عثمان بن الهيثم، وفي غيرهما.

ﷺ، وعلى أبي بكر رضي الله تعالى عنه. رواه البخاري(١٩٧).

٢٩- وأختم هذه الفقرة بما قاله بعض أهل التحقيق:

إذا نظرنا في كتاب الله تعالى نجد أن أربعة قد ابتلوا: رجلان وامرأتان، هم يوسف وموسى عليهما السلام، ومريم وعائشة رضي الله تعالى عنهما.

- **أما يوسف عليه السلام** فقد رُمي بالفاحشة، وبرأه الله تعالى على لسان صبي في المهد، كما قال تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ﴾(١٩٨).

- **وأما موسى عليه السلام** فقد اتهمه بنو إسرائيل بأنه آدر -وهذا عيب في الرجال- وقد أشار القرآن إلى ذلك بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا﴾(١٩٩). فبرأه الله عز وجل بالحَجَر.

* عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراةً، ينظر بعضُهم إلى سوأة بعض، وكان موسى عليه

(١٩٧) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة: باب فضل عائشة رضي الله تعالى عنها، وفي غيرهما.

(١٩٨) سورة يوسف (٢٣-٢٨).

(١٩٩) سورة الأحزاب (٦٩).

السلام يغتسل وحده، فقالوا: والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلاّ أنه آدر) أي عظيم الخصيتين.

* وفي رواية (إن موسى كان رجلاً حيياً ستِّيراً، لا يُرى من جلده شيءٌ، استحياء منه، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل، فقالوا: ما يستتر هذا التستُّرَ إلاّ من عيبٍ بجلده، إما برصٌ، وإما أُدْرَةٌ، وإما آفةٌ، وإن الله أراد أن يُبرِّئه مما قالوا لموسى.

قال: فذهب مرة يغتسل، فوضع ثوبه على حَجَرٍ، ففر الحجرُ بثوبه. قال: فجمح موسى بإثره، يقول: ثوبي حجرُ، ثوبي حجرُ، حتى نَظَرت بنو إسرائيل إلى سوأة موسى. قالوا: والله ما بموسى من بأس. فقام الحجرُ، حتى نُظر إليه. فأخذ ثوبَه، فطفق بالحجر ضرباً).

قال أبو هريرة: والله إنه بالحجر نَدَبٌ ستةٌ أو سبعةٌ، ضربُ موسى بالحجر. متفق عليه(٢٠٠).

– **وأما مريم رضي الله تعالى عنها** فقد رُميت بالفاحشة؛ فبرأها الله تعالى على لسان ابنها عيسى عليه السلام –وهو صبي في المهد– كما قال سبحانه وتعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ

(٢٠٠) صحيح البخاري: كتاب الغسل: باب من اغتسل عُرياناً وحده في الخلوة، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الحيض: باب جواز الاغتسال عرياناً في الخلوة، رقم (٧٥) وكتاب الفضائل: باب من فضائل موسى عليه السلام، رقم (١٥٥، ١٥٦).

وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾[٢٠١].

– وأما السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها فلما رُميت بالفاحشة، فإن الله سبحانه وتعالى برأها بالقرآن الكريم، فما رضي الله سبحانه وتعالى لها ببراءة نبيٍّ ولا ملَكٍ ولا صبيٍّ ولا حتى بالوحي الخفي، إنما برأها الله جل شأنه بكلامه القديم الباقي، من القذف والبهتان والكذب[٢٠٢].

وكل ذلك تكريم من الله تعالى لنبيِّه وصفيِّه وحبيبه سيدنا محمد ﷺ وإعزاز أهل بيته، وتشريف لعائلته ﷺ.

٣٠- لو نظرنا في كتاب الله تعالى، وتتبّعنا الآيات التي تحكي ما حصل من بني إسرائيل من اتهامٍ لله عز وجل، وإثباتِ الشريك والزوجة والولد له تعالى-تعالى الله عن ذلك-ومن قتلِهم الأنبياء عليهم السلام، ومن تكذيبِهم لرسلهم عليهم السلام، ومن اتخاذِ العجل والأصنام، وطلبِ اتخاذ الآلهة، ومن ادعائِهم أنهم أبناء الله وأحباؤه-تعالى الله عن ذلك،... وكذا ما حصل من النصارى من كفر وإلحاد وشرك،... وما حصل من غيرهم من كفر وإلحاد وتكذيب،...إلخ.

– فإنا لا نجد الله تعالى قد غضب الغضبَ الموجودَ في حادثة الإفك.

– ولا نجد التغليظ في الحكم ما نجده في آيات الإفك.

– ولا نجد التخويف من العذاب الأليم ما نجده في آيات الإفك.

– ولا نجد القوارع القاصمة للظهور ما نجده في آيات الإفك.

---

(٢٠١) سورة مريم (٢٧-٣٣).

(٢٠٢) انظر: تفسير القرطبي (١٢: ٢١٢) والكشاف (٣: ٦٨) حيث ذكراه مختصراً.

- ولا نجد الإنذار من وقوع العذاب ما نجده في آيات الإفك.

- ولا نجد العتاب واللوم للخائضين والساكتين ما نجده في آيات الإفك.

- ولا نجد الإخبار بإنطاق الأعضاء لتشهد على الأفّاكين يوم القيامة ما نجده في آيات الإفك.

- ولا نجد التهديد والوعيد ما نجده في آيات الإفك،...إلخ.

كل ذلك وغيره هو غيرةٌ من الله تعالى على البيت النبوي، وحرصٌ منه تعالى عليه، وبيان علو منْزلته ومكانته، تبعاً لمكانة النبي المصطفى الكريم ﷺ، ورفعة قدره، وعلو منْزلته، وارتفاع شأنه ﷺ،... والله تعالى أعلم.

قال الإمام الزمخشري رحمه الله تعالى[٢٠٣]: لو فلَّيْتَ القرآن كله، وفتشت عما أوعد به العصاة؛ لم تر الله تعالى قد غلَّظ في شيء تغليظَه في إفك عائشة رضوان الله تعالى عليها، ولا أنزل من الآيات القوارع، المشحونة بالوعيد الشديد، والعتاب البليغ، والزجر العنيف، واستعظام ما ركب من ذلك، واستفظاع ما أقدم عليه؛ ما أنزل فيه عن طريق مختلفة، وأساليب مفتنة، كل واحد منها كاف في بابه، ولو لم ينزل إلاّ هذه الثلاث [من قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ﴾ إلى ﴿هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ﴾] لكفى بها، حيث جعل القذفة ملعونين في الدارين جميعاً، وتوعَّدهم بالعذاب العظيم في الآخرة، وبأن ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم تشهد عليهم بما أفكوا وبهتوا، وأنه يوفيهم جزاءَهم الحقَّ الواجبَ، الذي هم أهله، حتى يعلموا عند ذلك ﴿أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ﴾.

(٢٠٣) الكشاف (٣: ٦٧- ٦٨) وانظر: فتح الباري (٨: ٤٧٧-٤٧٨) حيث ذكره مختصراً.

فأوجز في ذلك وأشبع، وفصَّل وأجمل، وأكَّد وكرَّر، وجاء بما لم يقع في وعيد المشركين؛ عبدة الأوثان إلاّ بما هو دونه في الفظاعة، وما ذلك إلاّ لأمر،... ثم ذكر ملخص ما ذكرته برقم (٢٨) ثم قال: فانظر كم بينها وبين تبرئة أولئك، وما ذاك إلاّ لإظهار علو منْزلة رسول الله ﷺ، والتنبيه على إنافة محل سيد ولد آدم، وخيرة الأولين والآخرين، وحجة الله على العالمين.

ومن أراد أن يتحقق عظمةَ شأنه ﷺ، وتقدُّمَ قَدَمه، وإحرازَه لقصب السبق دون كل سابق؛ فليشتق ذلك من آيات الإفك، وليتأمل كيف غضب الله سبحانه وتعالى له في حُرمته، وكيف بالغ في نفي التهمة عن حجابه.اهـ.

لقد أطلت الحديث في هذه الفقرة لأهميتها. لذا فليحذر المسلم أن يقع تحت غضب الله عز وجل، وليبتعد عن نقمة الله تعالى، حتى لا يكون من الملعونين في الدارين، والعياذ بالله تعالى.

٥٥- استعطاف الله تعالى قلب الصِّدِّيق رضي الله تعالى عنه بإعادة النفقة على قريبه الذي زل قدمه بالإفك:

قال الله عز وجل: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾(٢٠٤).

في هذه الآية بيان فضل الصديق رضي الله تعالى عنه، وعلو منْزلته عند الله عز وجل، وذلك أنه رضي الله تعالى عنه لما نزلت الآيات العشر الأول من سورة النور بتبرئة السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها: حلف بالله تعالى

(٢٠٤) سورة النور (٢٢).

ألاَّ ينفق على مسْطح بن أثاثَة -كما مر في الحديث- وهو ابن خالته -وكان مسكيناً فقيراً ليس له مال إلاّ ما ينفقه عليه الصديق رضي الله تعالى عنه، وكان من المهاجرين، ولكنه رضي الله تعالى عنه زلق زلقة- حيث خاض في حديث الإفك- وتاب الله تعالى عليه، وأقيم عليه الحد.

فلما أنزل الله سبحانه وتعالى براءة السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها وعن أبيها، وطابت النفوس المؤمنة واستقرت، وتاب الله تعالى على من تكلم في تلك القضية، بعد إقامة الحد عليهم، شرع الله سبحانه وتعالى يُعَطِّف قلبَ الصديق رضيَ الله تعالى عنه على قريبه ونسيبه-مسطح-وهو المهاجر المسكين الفقير.

فأنزل الله تعالى هذه الآية الكريمة فيه، يحثه الله عز وجل أن يقتدي به سبحانه وتعالى، فيعفو ويصفح عن المسيء، وعطفه حتى يعيد النفقة إلى قريبه المسكين المهاجري؛ بعد ما زلق ثم تاب، وأقيم عليه الحد، ورغَّبه تعالى بالصفح؛ ألا تحب أن يغفر الله لك؟ بسبب عفوك وصفحك عمن أساء إليكم؟ وختم الله سبحانه وتعالى الآية بقوله: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي كثير المغفرة والرحمة لعباده -مع كثرة ذنوبهم- فكيف لا يقتدي العباد بربهم في العفو والصفح عن المسيئين إليهم. ولهذا قال الصدِّيق رضي الله تعالى عنه- كما مر في الحديث: بلى والله إني أُحب أن يغفر الله لي. فرجع إلى مسْطح النفقةَ التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبداً. لذا كان الصديق هو الصديق رضي الله تعالى عنه وعن ابنته، وعن سائر الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم.

وفي الآية أمور كثيرة يهمني منها:

أ - قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ﴾ لا يحلف ذو الصدقة والإحسان والفضل أنْ لا يصلوا قرابالهم المساكين المهاجرين. وهذا غاية الترفق والتلطف والتعطف على صلة الأرحام،...

ب- حثه تعالى على العفو عما كان قد صدر من إساءة وأذى وجرم، وليتركوا عقوبتهم.

ج- ثم يوجه الله تعالى الخطابَ للصدِّيق رضي الله تعالى عنه: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ بإعفائكم أنتم عنهم، وإفضالكم عليهم؟ والله عز وجل غفور لذنوب من أطاعه، رحيم بهم أن يعذبهم. وهذا غاية التكريم من الله تعالى للصّديق رضي الله تعالى عنه، حيث يخاطبه الله تعالى مباشرة.

د- لما نزلت هذه الآية الكريمة قال الصديق رضي الله تعالى عنه: بلى والله يا ربنا، إنا لنحبُّ أن تغفر لنا. وعاد له بما كان يصنع، وقال: والله لا أنزعها منه أبداً. كما في حديث السيدة عائشة رضي الله تعالى عنه السابق.

هـ- هذه الآية الكريمة تدل على علو مكانة الصِّدِّيق رضي الله تعالى عنه، ومحبة الله جل شأنه له، حيث إن الله عز وجل يُعَطِّف قلبَه-على ابن خالته المسلم المهاجر المسكين-ويصفُه بصفة الفضل والسعة والخير، ويطلب منه عدم الحلف، ثم،... يقول له في غاية الرقة واللطف والعناية: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾؟

و- هذه الآية الكريمة -كما قال عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى،

كما في صحيح مسلم(٢٠٥)-: هي أرجى آية في كتاب الله تعالى.

ز- ومما يثير العجب؛ كيف تحمَّل الصِّدّيقُ رضي الله تعالى عنه هذا الخطاب الرقيق، والتلطف المنيف، من الرحمن الرؤوف الرحيم؟ مما يدل على تمكُّن إيمانه، وثبات جنانه، وشدة تحمُّله، وقوة قلبه، رضي الله تعالى عنه وأرضاه.

رضي الله تعالى عن الصِّديق، وعن سائر أصحاب رسول الله ﷺ، ورزقنا حسن الظن بهم، ومحبتهم، والحشر معهم.

٥٦- تسليمهم وطاعتهم لرسول الله ﷺ، وفوزهم بذلك:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾(٢٠٦).

بعد ما ذكر الله سبحانه وتعالى حال المنافقين المعاندين المكابرين؛ الذين إذا دعوا إلى رسول الله ﷺ كيف يعرضون، ويصدُّون، ويأبون المجيء،... ذَكر حالَ الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم كيف يقولون إذا دُعوا إلى الله تعالى ورسوله ﷺ؛ ما كان لهم سوى السمع والطاعة والامتثال؛ لأنهم يخشون الله تعالى، ويتَّقون عذابه، لذا نالوا الفلاح، والفوز العظيم.

أ - وصفهم الله جل شأنه بالإيمان، وهذه شهادةٌ منه تعالى لأصحاب

(٢٠٥) صحيح مسلم (٤: ٢١٣٦) وهو ضمن الحديث عنده، رقم (٥٦).

(٢٠٦) سورة النور (٥١-٥٢).

نبيِّه الكريم ﷺ ورضي الله تعالى عنهم، شهادة لا تعدلها شهادة. لذا فالويل لمن يحاول أن ينـــزع عنهم هذا الوصف، ويضفي عليهم عكسه.

ب- عطف لفظ الرسول على لفظ الجلالـــة ﴿إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ - مع أن الداعي هو رسول الله ﷺ، والمجيء إليه ﷺ يثير الاهتمام- وليبيّن أن ما يحكم به رسول الله ﷺ هو الذي حكم به الله عز وجل، فنطق به. لـــذا كانت طاعتهم لرسول الله ﷺ طاعة لله تعالى، وقد تكلمتُ على هذه الآية ومثيلاتها في أكثر من كتاب.

ج- سماع الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنه وطاعتهم عند مجيئهم إلى رسول الله ﷺ، وسماعهم الحكمَ منه، وتسليمهم التسليمَ المطلق له ﷺ.

د- إكرام الله تعالى لهم، لذا وصفهم الله تعالى بالفلاح فقال جل شأنه: ﴿وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

هـــ- إخباره تعالى عن ثواب الذي يطيع الله تعالى ورسوله ﷺ فيمـــا حكم به، وشرّع، والذي يخشى الله تعالى ويتّقيه: بالفوز العظيم، لذا وصفهم تعالى بالفائزين فقال: ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾.

و- إذا لم يفز الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم بكل خير، ويأمنوا من كل شر، و لم يفلحوا بإيمانهم وطاعتهم وامتثالهم،... وهم أفضل الخلـــق وخيرهم بعد الأنبياء عليهم السلام، فمن ينال ذلك بعدهم !؟

٥٧- بعض ما وعد الله تعالى به الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم:

قال الله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي

ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾[٢٠٧].

يبيِّن الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة ما وعد به صحابةَ نبيِّه وحبيبه ﷺ ورضي الله تعالى عنهم -بعد ذكره المنافقين- باستخلافهم في الأرض، وتمكين الدِّين، وإبدالهم الأمن بالخوف،... ويتضح ذلك:

أ - وصفهم بالإيمان والعمل الصالح، وهذا وصفٌ لا يزول عنهم حتى يلقوه تعالى، لذا فالويلُ لمن يحاول نزعَ هذا الوصفَ عنهم.

ب- وعده سبحانه وتعالى لهم بأن يجعل هذه الأمة-وأولهم الصحابة رضي الله تعالى عنهم-خلفاءَ الأرض، وأئمةَ الناس، وولاتَهم، فتصلح بهم البلاد، وتخضع لهم العباد.

ج- وعده تعالى أن يمكّن لهم الدِّين الذي ارتضاه جل شأنه. وكيف يمكّن لهم الدِّين إذا لم يكن راضياً عنهم، وأنهم أهلٌ لحمله، وأنهم موضع عدل وثقة لتحمّل الأمانة.

د- وعده تعالى لهم بأن يبدلهم من بعد الخوف الذي كانوا يعيشونه في مكة وفي المدينة: أمناً.

هـ- إخباره تعالى بأن هذه الأمة -وعلى رأسها الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم- ستعبد الله تعالى، وتستمر على ذلك، بخلاف ما حصل في الأمم السابقة، حيث عصت رسلها عليهم السلام في حال حياتهم.

---

(٢٠٧) سورة النور (٥٥).

و- وعده سبحانه وتعالى بأن هذه الأمة لن تكفر -بأجمعها- بربها، ولن ترتد على أعقابها، كما حصل لمن سبقها، ولهذا لا تزال طائفة منها على الحق، كما في الحديث المتواتر، عنه ﷺ، كما ذكرتُه في غير هذا الكتاب(٢٠٨).

ز- تحقق كل ما وعد الله عز وجل به، إذ لم يمت النبي ﷺ حتى فتحت مكة وخيبر والبحرين وسائر الجزيرة العربية،... حتى وصلوا أطراف بلاد الشام، وفي زمن الصديق رضي الله تعالى عنه فتحت دمشق، وفتح جزء من مصر وفلسطين،... وفي زمن الفاروق رضي الله تعالى عنه تم فتح كل بلاد الشام، وكل مصر، والعراق، وأكثر بلاد فارس، وكُسر كسرى وقيصر،... وتمصرت الأمصار، واستقرت، وجُبي الخراج، ودانت البلاد بالإسلام، وصارت حواضرُ المسلمين عامرةً بالعلم والدِّين،... وكل ذلك مصداق قوله ﷺ.

* عن ثوبان رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ (إن الله زوى لي الأرضَ، فرأيت مشارقَها ومغاربَها، وإن أمتي سيبلغ ملكُها ما زُويَ لي منها،...) الحديث بطوله، رواه مسلم(٢٠٩). والله تعالى أعلم.

٥٨-طلب الله تعالى من رسوله الكريم ﷺ أن يلين جانبه لهم رضي الله تعالى عنهم:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾(٢١٠).

---

(٢٠٨) انظر: عظيم قدره ﷺ ورفعة مكانته عند ربه عز وجل، فقد ذكرت رواياته وطرقه، وذكرت أسماء الصحابة الذين رووا هذا الحديث.

(٢٠٩) صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة: باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، رقم (١٩).

(٢١٠) سورة الشعراء (٢١٥).

يكفي الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم فخراً وفضلاً وشرفاً،... أن يطلب الله تعالى من نبيِّه وصفيِّه الكريم ﷺ - مع ما هو عليه من التواضع وكرم الأخلاق والنبل والشمائل ولين الحديث،...- أن يلين جانبه وكلامَه لهم رضي الله تعالى عنهم.

أ - لقد وصفهم الله سبحانه وتعالى بصفة الإيمان. وهذا وصفٌ لازمٌ لهم، لا يزول، والله تعالى أعلم.

ب- إخباره تعالى عنهم رضي الله تعالى عنهم باتّباعهم النبي المصطفى الكريم ﷺ.

ج- منْزلة هؤلاء الصحابة رضي الله تعالى عنهم عند الله عز وجل، بحيث إنه تعالى يطلب من نبيِّه الكريم ﷺ أن يخفض جناحه لهم.

٥٩-عبادتهم رضي الله تعالى عنهم ودعوتهم لله تعالى، طمعاً وخوفاً:

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[٢١١].

نزلت هاتان الآيتان في الأنصار رضوان الله تعالى عليهم؛ الذين كانوا يُصلّون بين المغرب والعشاء، ولا يخرجون إلى بيوتهم إلاّ بعد العشاء[٢١٢].

وقيل: في أناس من أصحاب رسول الله ﷺ، كانوا يتهجدون بالليل.

---

(٢١١) سورة السجدة (١٥-١٦).

(٢١٢) انظر: أسباب نزول القرآن (٣٦٦-٣٦٧).

أ - لقد وصفهم الله سبحانه وتعالى بالسجود تذلُّلاً لله عز وجل، وعدم التكبر، إذا ذكِّروا بآيات الله تعالى. وذُكِر السجودُ لأن المصلي يكون أقرب حالاته من الله عز وجل فيه. وفي هذا دلالة على انتفاعهم بطاعتهم وقربهم من الله عز وجل.

ب- كثرة تسبيحهم لله تعالى، لأن المكثر هو الذي يوصف -أصالة- به. وكثرة التسبيح دلالة على شدة حبهم لله عز وجل، لأن من أحب شيئاً أكثر من ذكره.

ج- مجافاة جنوبهم عن مضاجعهم في الليل، يعني كانوا قليلي النوم، وإذا ما تقلَّبوا في نومهم كانوا يكثرون من ذكر الله تعالى، كما قال تعالى في وصفهم: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾(٢١٣) فهم كثيرو التهجد والعبادة لله سبحانه وتعالى.

د- دعاؤهم رضي الله تعالى عنهم ربَّهم سبحانه وتعالى خوفاً من عقابه، وطمعاً ورغبة في ثوابه. وفي هذا دلالة على قوة معرفتهم بربهم عز وجل.

هـ- إنفاقهم مما رزقهم الله سبحانه وتعالى في سبيله، وفيه دلالة على عدم حرصهم على الدنيا، وعلى رغبتهم بما عند الله تعالى.

و- وصفهم الله تعالى بالإيمان به جل شأنه، وبآياته.

ز- سرعة استجابتهم رضي الله تعالى عنهم لربهم جل جلاله، وعدم تكبُّرهم، ذلك لأنه تعالى ذكر جوابَ الشرط من غير ذكر أداة رابطة لبيان سرعة استجابتهم.

---

(٢١٣) سورة الذاريات (١٧).

٦٠- إرسال الله تعالى جنوده -من الملائكة والريح- تأييداً ونصرة لهم:

قال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾(٢١٤).

لقد خاطب الله تعالى الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم بوصف الإيمان، وطلب منهم أن يذكروا نعمة الله تعالى عليهم؛ بما أكرمهم به يوم غزوة الخندق، حيث جاءهم جنود لا قبل لهم بها؛ من حيث العدد والعدة، ولكنهم صاروا كالهباء، حيث أرسل الله تعالى عليهم جنوداً من عنده، هم الملائكة، والريح الشديدة، فزلزلت أقدامَهم، وقلعت خيامَهم، وأطفأت نيرانهم، وألقت الرعب في قلوبهم، لذا ولّوا مدبرين، فلم يحتج المسلمون إلى منازلة ولا قتال، لأن الله عز وجل كفاهم، لذا يطلب تعالى منهم أن يذكروا هذه النعمة الكبيرة دائماً، وهذا ما فتئ النبي المصطفى الكريم ﷺ يذكره دائماً.

وفي الآية الكريمة:

أ - خطاب الله عز وجل للصحابة الكرام رضي الله تعالى عنه بوصف الإيمان، تشريفاً لهم وتكريماً، لذا بقي هذا الوصف ملازماً لهم، وسيبقى، ومن حاول نزعه منهم فقد باء بغضب الله عز وجل، لأنه يرد على الله تعالى قوله وشهادته وعلمه.

ب- محبته تعالى لهم، ورحمته جل شأنه بهم، حيث أنقذهم من الخطر المحدق بهم، لذا طلب الله تعالى منهم أن يذكروا تلك النعمة عليهم.

---

(٢١٤) سورة الأحزاب (٩).

ج- إنزال الله تعالى عليهم الجنود الأقوياء الشداد؛ نصرةً لهم، وهم لم يروها، وتمثّل ذلك بالملائكة الكرام، وعلى رأسهم جبريل عليه السلام(٢١٥). والريح الباردة الشديدة، علماً بأن الله تعالى إنما أرسل عليهم ريحَ الصبا، ولم يرسل عليهم ريحَ الدَّبور.

* عن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما، عن النبيِّ ﷺ أنه قال: (نُصِرت بالصَّبا، وأُهلكت عادٌ بالدَّبور). متفق عليه(٢١٦).

د- إن من إكرام الله تعالى وفضله على الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم؛ أن جاء الخطاب من الله تعالى موجهاً إليهم، ولم يوجّه إلى رسول الله ﷺ، كما هو الحال في كثير من الخطابات، وهذا راجع لأمور كثيرة، منها عنايته تعالى بهم، ورحمته تعالى بهم، وبيان منْزلتهم عنده تعالى، ثم لأنهم كانوا في غاية الحرج والخوف، لذا ناسب التخفيف عنهم، وتذكيرهم بهذه النعمة.

هـ- إن الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم ما نالوا هذه المنْزلة العالية إلاّ لمعيتهم لرسول الله ﷺ، وصحبتهم له، ثم لاصطفاء الله تعالى لهم، كما سيأتي بيانه في سورة فاطر، إن شاء الله تعالى.

---

(٢١٥) انظر: دلائل النبوة في غزوة الخندق، حيث بينتُ رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ هؤلاء الكفار، ابتداء من عدم دعوته ﷺ عليهم بالهلاك، ومن ثم بإرسال ريح الصبا، التي ليس من شأنها الإهلاك، إنما ريح لطيفة باردة لينة، ولم يرسل عليهم ريح الدَّبور المهلكة، وبينت السر في ذلك.

(٢١٦) صحيح البخاري: كتاب الاستسقاء: باب قول النبيِّ ﷺ: (نُصرتُ بالصَّبا). وصحيح مسلم: كتاب الاستسقاء: باب في ريح الصَّبا والدَّبور، رقم (١٧).

٦١-تصديقهم بوعد الله تعالى ورسوله ﷺ مع زيادة إيمانهم وتسليمهم:

قال الله عز وجل: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾(٢١٧).

بعد ما ذكر الله سبحانه وتعالى حال المنافقين يوم الأحزاب، ذكَر حالَ المؤمنين في ذلك اليوم العصيب، مبتدئاً بالتأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله، ثم ذكر حالَهم -يوم الخندق- عندما رأوا الأحزاب -من قريش وغطفان وأعوانهم- حيث قالوا: هذا ما وعدنا الله به ورسولُه ﷺ؛ من مجيء الأحزاب، وما يعقب ذلك من الابتلاء والامتحان؛ الذي يعقبه النصر، وما زادهم ذلك الحال إلاّ إيماناً بالله تعالى وتسليماً لقضائه، وانقياداً لرسوله الكريم ﷺ،... ويتضح ذلك من:

أ - وصفهم بالإيمان الذي لا يشوبه ضعف، ولم يصفهم بوصف آخر، دلالة على أن هذا الوصفَ ثابتٌ لهم، لا يزول عنهم، ذلك أن الله تعالى ما كان ليصفهم بهذا الوصف لولا علمه بثباتهم عليه، وعدم تبديلهم له. ثم إن هذا الوصف هو أشرف أوصافهم، إذ لو كان غيرُه أفضلَ منه لناداهم الله

(٢١٧) سورة الأحزاب (٢١-٢٥).

تعالى به، والله تعالى أعلم.

ب- تصديقهم بوعد الله تعالى ورسوله ﷺ، وقد برز هـذا التـصديق منهم في أماكن كثيرة، وفي أمور متعددة.

ج- ما زادهم ذاك الحال وتلك الشدة -حيث جاؤوهم من فوقهم ومن أسفل منهم- الكفار من الأمام، واليهود من الداخل، والمنافقون يتـسلَّلون لواذاً، ما زادهم ذلك إلاّ إيماناً بالله تعالى وتسليماً، وانقياداً لأوامره، وطاعة لرسوله ﷺ، حتى كفاهم الله تعالى القتال، بما أنزل من الملائكة، والريح التي بعثها عز وجل على الأحزاب، وبثّ في قلوبهم من التفرقة والرعب، ونـصر نبيِّه وحبيبه ﷺ، وبهذا وضعت الحرب بين المسلمين وقريش، فصار المسلمون الغازين لقريش، لا العكس.

د- وصفه تعالى للمؤمنين بصدق ما عاهدوا الله تعالى عليه، وصـاروا رضي الله تعالى عنهم على حزبين: حزب قضى نحبه-أجله أو عهده-حيـث نالوا الشهادةَ في سبيل الله، منهم: أنس بن النضر وأصحابه رضي الله تعـالى عنهم، وحزب ينتظر، فما غيَّروا ولا بدّلوا ولا نقضوا، كما سيأتي في الفقرة التالية إن شاء الله تعالى.

هـ- إعادة وصفهم بالمؤمنين لهم ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ...﴾ وَ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟...﴾ وَ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾ دلالة على ثباهم عليـه، وعدم تخليهم عنه، وأنه لا يزول عنهم، وإلاّ لما أعاد تعالى وصفَهم به، وهذا ما حصل، إذ لا يعلم من ارتد عن الإسلام من المهاجرين والأنصار رضي الله تعالى عنهم المعروفين، لذا فالويل كل الويل لمن يكذِّب الله تعالى، ويزعم أنهم

ارتدوا وكفروا بعد رسول الله ﷺ.

ذلك أن عِلْمَ الله تعالى ليس كعلم البشر، فالبشر يعلمون ظاهرَ الحياة الدنيا، أمّا عِلمُ الله تعالى فهو متعلق بالماضي والحاضر والمستقبل، وهو يعلم السرَّ وأخفى، فلو أنه عز وجل يعلم أنهم سيكفرون به ما وصفهم بهذا الوصف، والله تعالى أعلم.

و- وعد الله عز وجل بالمكافأة لهؤلاء الصادقين من المؤمنين بصدقهم، وصبرهم على ما عاهدوا الله جل شأنه عليه، وقيامِهم بما وجب عليهم، وصدقِهم بما عملوا، ومعتقدِهم، ومحافظتِهم عليه.

ز- رد الله عز وجل كفار قريش والأحزاب معهم، بغمِّهم وخيبتهم، وغيظهم، لم يصيبوا من المسلمين مالاً ولا أسارى، بما أرسل عليهم سبحانه وتعالى من الريح والجنود من الملائكة،...فكفى الله سبحانه وتعالى المؤمنين شر أعدائهم، وكفاهم قتالهم.

ح- كفاية الله سبحانه وتعالى المسلمين المؤمنين قتالَ أعدائهم، وذلك بطرد الأحزاب عن المدينة، من غير قتال ولا منازلة. كما فيه إشارة إلى وضع الحرب بينهم وبين قريش، فلم يقع قتال بينهم وبين قريش، بل صار المسلمون يغزونهم، فكان صلح الحُدَيْبِيَة، ثم فتح الله تعالى عليهم مكة. وقد بينت هذا في فضائل المدينة المنورة، فارجع إليه.

ط- إمداد الله سبحانه وتعالى نبيَّه وحبيبَه ﷺ -وعوناً لأصحابه رضي الله تعالى عنهم- بالملائكة المكرمين، وبالريح، فزلزلت أقدام المشركين، وأرعبت قلوبَهم، وقلعت خيامَهم، وأطفأت نيرانَهم،... كما مر قبل قليل

من ذكر الآية الكريمة، والتي يطلب الله تعالى فيها منهم تذكر هذه النعمة عليهم. وهذا ما حصل يوم بدر، ويوم أحد، من إنزال الله الملائكة الكرام، عوناً لهم، ومشاركة بالقتال معهم، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

٦٢- صدقهم رضي الله تعالى عنهم فيما عاهدوا الله عز وجل، فمنهم من استشهد ومنهم من ينتظر:

قال الله عز وجل: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾(٢١٨).

هذه الآية الكريمة نزلت في أنس بن النضر ومن كان على شاكلته من الشهداء رضي الله تعالى عنهم يوم أحد.

* عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: غاب عمي أنسُ بن النضر -رضي الله تعالى عنه- عن قتال بدر. فقال: يا رسول الله؛ غبتُ عن أول قتالٍ قاتلتَ المشركين، لئن الله أشهدني قتالَ المشركين، لَيَرَيَنَّ الله ما أصنع.

فلما كان يومُ أحد، وانكشف المسلمون، قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء -يعني أصحابَه- وأبرأُ إليك مما صنع هؤلاء -يعني المشركين- ثم تقدم، فاستقبله سعدُ بنُ معاذ -رضي الله تعالى عنه- فقال: يا سعدُ بن مُعاذ، الجنةَ وربِّ النضر، إني أجد ريحَها من دون أُحُد.

قال سعد: فما استطعتُ -يا رسول الله- ما صنع.

(٢١٨) سورة الأحزاب (٢٣).

قال أنس: فوجدنا به بضعاً وثمانين؛ ضربةً بالسيف، أو طعنةً برمح، أو رميةً بسهم، ووجدناه قد قُتل، وقد مثَّلَ به المشركون، فما عرفه أحدٌ إلى أختُه بِبَنانِه.

قال أنس: كنا نرى -أو نظن- أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ إلى آخر الآية. متفق عليه(٢١٩).

ولفظ مسلم: ونزلت هذه الآية ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ قال: فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفي أصحابه.

* وفي رواية البخاري(٢٢٠): عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: نرى هذه الآية نزلت في أنس بن النضر: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾، والله تعالى أعلم.

وفي الآية الكريمة:

أ - وصف جميع الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم بالإيمان، وهذا وصف لازم وثابت لهم لا يزول، وقد تكرّر أكثر من مائة مرة هذا الوصف،

---

(٢١٩) صحيح البخاري: كتاب الجهاد: باب قول الله عز وجل: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الإمارة: باب ثبوت الجنة للشهيد، رقم (١٤٨) وانظر ما جاء في طلحة بن عبيد الله رضي الله تعالى عنه، في مناقبه في فضائل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم.

(٢٢٠) صحيح البخاري: كتاب التفسير: سورة الأحزاب: باب ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾. وانظر فتح الباري (٦: ٢٣).

وهو الوصف الذي يناديهم تعالى به ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ ولو كان ثمة وصف أحسن منه لناداهم الله تعالى به، لذا فمن رام إزالته عنهم فقد باء وخسر.

ب- وصف هؤلاء الشهداء رضي الله تعالى عنهم بالصدق فيما عاهدوا الله تعالى عليه، وهذا واضح من حديث أنس رضي الله تعالى عنه، كيف فعل عمُّه أنس بن النضر رضي الله تعالى عنه.

ج- هؤلاء الصادقون منهم من أُكرم بقضاء نحبه-فنال الشهادة-ومنهم من ينتظر.

د- كلاهما ينالهم هذا الوصف، ولو ماتوا على فرشهم رضي الله تعالى عنهم، والله تعالى أعلم.

هـ- شهادة الله تعالى أن هؤلاء المؤمنين الصادقين رضي الله تعالى عنهم لم يُغَيِّروا و لم يبدِّلوا ما كانوا قد عاهدوا الله تعالى عليه، والله تعالى أعلم.

٦٣-تميز أمهات المؤمنين رضي الله تعالى عنهن عن سائر النساء، وأنهن من أهل بيته ﷺ؛ اللاتي أذهب الله تعالى عنهن الرجس وطهَّرهن:

قال الله عز وجل: ﴿يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾[٢٢١].

(٢٢١) سورة الأحزاب (٣٢-٣٤).

فهذه الآيات تتحدث عن فضل آل بيت النبي ﷺ ورضي الله تعالى عنهم، حيث إنما يريد الله سبحانه وتعالى ليذهب عنهم السوء والفحشاء، وينقّيهم من الدنس الذي يتصف به أهل المعاصي، ويطهِّرهم تطهيراً كاملاً.

وسياق هذه الآيات الكريمات جاء ضمن الحديث عن نساء النبي ﷺ ورضي الله تعالى عنهن، مما يدل على دخولهن في مسمى آل بيته ﷺ دخولاً أوَّليّاً؛ لأن سياق الآية جاء فيهن، بل تدل هذه الآيات على أنها نصٌّ في دخول أزواج النبي المصطفى الكريم ﷺ في آل البيت ههنا؛ لأنهن سبب نزول هذه الآية، وسببُ النُّزول داخل فيه قولاً واحداً، كما لا يخفى.

قال العلاّمةُ ابنُ كثير رحمه الله تعالى[٢٢٢]: والذي لا يَشك فيه من تدبَّر القرآن أن نساء النبي ﷺ داخلات في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فإن سياق الكلام معهن، ولهذا قال تعالى بعد هذا كله: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ أي واعملن بما ينزل الله تبارك وتعالى على رسوله ﷺ في بيوتكن؛ من الكتاب والسنة،... واذكرن هذه النعمة التي خُصصتن بها من بين الناس، أن الوحي ينزل في بيوتكن دون سائر الناس، وعائشةُ الصِّدّيقةُ بنتُ الصديق رضي الله تعالى عنهما أولاهن بهذه النعمة، وأحظاهن بهذه الغنيمة، وأخصهن من هذه الرحمة العميمة، فإنه لم ينزل على رسول الله ﷺ الوحي في فراش امرأة سواها، كما نص على ذلك صلوات الله وسلامه

(٢٢٢) تفسير ابن كثير (٣: ٤٨٦).

عليه، فناسب أن تخصص بهذه المزية، وأن تفرد بهذه المرتبة العلية.اهـ.

قلت: ويدل على دخولهن رضي الله تعالى عنهن في مسمى آل البيت:

* عن أنس رضي الله تعالى عنه -في قصة زواج النبي ﷺ بزينب بنت جحش رضي الله تعالى عنها- والذي فيه: فخرج النبي ﷺ، فانطلق إلى حجرة عائشة فقال: (السلام عليكم آل البيت ورحمة الله وبركاته) فقالت: وعليك السلام ورحمة الله، كيف وجدتَ أهلَك؟ بارك الله لك. فَتَقَرَّى حُجر نسائه كلهن، يقول لهن كما يقول لعائشة، ويقلن له كما قالت عائشة. متفق عليه، واللفظ للبخاري(٢٢٣).

* لكن لا يمنع أنهن من أهل بيته ألاَّ يكون غيرهن من أهل بيته ﷺ، ولهذا لما روى زيد بن أرقم رضي الله تعالى عنه قولَه ﷺ: (أذكّركم الله في أهل بيتي،...) قال له حُصَين: ومَن أهلُ بيته؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكنْ أهل بيته من حُرِم الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال: آلُ علي، وآلُ عقيل، وآلُ جعفر، وآلُ عباس.

قال: كلُّ هؤلاء حُرِم الصدقة؟ قال: نعم. رواه مسلم(٢٢٤).

* وفي حديث عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث رضي الله تعالى عنهما واتفاقه مع العباس رضي الله تعالى عنه، وإرسالهما ولدَيْهما إلى رسول الله

---

(٢٢٣) صحيح البخاري: كتاب التفسير: سورة الأحزاب: باب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ﴾، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب النكاح: باب زواج زينب بنت جحش،... رضي الله تعالى عنها، رقم (٨٩-٩٥).

(٢٢٤) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، رقم (٣٦، ٣٧).

ﷺ ليستعملهما على الصدقات، فقال ﷺ: (إن الصدقةَ لا تنبغي لآل محمد، إنما هي أوساخ الناس، ادعوا لي مَحْمِيَة [وكان على الخمس] ونوفلَ ابنَ الحارث بن عبد المطلب) قال: فجاءاه.

فقال لَمحْمِيَة: (أنكِحْ هذا الغلامَ ابنتَك) [للفضل بن عباس] فأنكحه. وقال لنوفل بن الحارث: (أنكِحْ هذا الغلامَ ابنتَك) [لي] فأنكحني. وقال لَمحْمِيَة: (أصدِق عنهما من الخمس كذا وكذا). رواه مسلم(٢٢٥).

وقد جاءت نصوصٌ كثيرة عن النبي المصطفى الكريم ﷺ في شمول مسمّى آل البيت لأصناف عدة، وأخصهم ما يسمّى بأهل العباء(٢٢٦).

* عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها، أن النبي ﷺ جلّلَ على الحسن والحسين وعليٌّ وفاطمة-رضي الله تعالى عنهم-كساءً ثم قال: (اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، أذهب عنهم الرجس، وطهِّرهم تطهيراً). رواه أحمد وأبو يعلى، وصححه الترمذي والحاكم، وأقره الذهبي(٢٢٧).

* وجاء عن عدد من الصحابة بأسانيد صحيحة، أو حسنة، ومنها الضعيف، لكن الحديث صحيح.

(٢٢٥) صحيح مسلم: كتاب الزكاة: باب ترك استعمال آل النبيِّ ﷺ على الصدقة، رقم (١٦٧، ١٦٨).

(٢٢٦) لقد توسعت في (الإمام البخاري وروايته عن أئمة آل البيت) في المراد بآل البيت، وبينت شمول هذا اللفظ الكريم لكثير من الأصناف. لذا لا تعارض في ذلك.

(٢٢٧) مسند أحمد (٦: ٢٩٢، ٣٠٤) وسنن الترمذي: كتاب المناقب: باب فضل فاطمة بنت محمد ﷺ، رقم (٣٨٧١) وتحفة الأشراف (١٣: ١٢) ومسند أبي يعلى (١٢: ٤٥١) والمعجم الكبير (٢٣: ٣٣٣) وتفسير الطبري (٢٠: ٢٦٣-٢٦٦ من طرق) والمستدرك (٢: ٤١٦) وفيه خطأ مطبعي. ومجمع الزوائد (٩: ١٦٦-١٦٧).

* وعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: خرج النبي ﷺ غداةً، وعليه مرط مرحَّل، من شَعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء عليٌّ فأدخله، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. رواه مسلم(٢٢٨).

كما يشمل آل بيته ﷺ غير هؤلاء، كما بينتُه في الكتاب المذكور.

أ - الثناء على أزواج النبي المصطفى الكريم ﷺ ورضي الله تعالى عنهن بأهن زوجاته.

ب- إخبار الله عز وجل عنهن رضي الله تعالى عنهن بأهن لسن كبقية النساء، لذا كان لهن أحكام خاصة بهن تزيد على بقية النساء، لأهن زوجات النبيّ الكريم ﷺ.

ج- كوهن رضي الله تعالى عنهن من آل بيت النبي الكريم ﷺ؛ اللاتي أذهب الله تعالى عنهن الرِّجسَ، وطهَّرهن تطهيراً.

د- كوهن رضي الله تعالى عنهن يَعلَمن كثيراً من أحكام النبي الكريم ﷺ الخاصة، لذا عليهن نشرها بين المسلمين، وعدم كتماها، سواء آيات قرآنية أو أحاديث نبوية.

هـ- بيان فضل آل بيت النبي ﷺ في الدنيا. وإذا كان الله عز وجل قد طهَّرهم من الدنس تطهيراً كاملاً، وأذهب عنهم السوء والفحشاء، فإن في

(٢٢٨) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب فضائل أهل بيت النبي ﷺ رقم (٦١).

ذلك دلالة على علو مكانهم ومنْزلتهم عنده تعالى في الآخرة أيضاً، إن شاء الله تعالى، والله تعالى أعلم.

٦٤-أنواع النساء اللواتي أحلَّهن الله تعالى لرسوله الكريم ﷺ:

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ﴾[٢٢٩].

لقد أكرم الله سبحانه وتعالى المهاجرين، فلم يُبح لنبيه وصفيِّه الكريم ﷺ أن يتزوج من غير نسائهم، ولو كن بنات عمه، أو بنات خاله.

* عن أم هاني بنت أبي طالب رضي الله تعالى عنها قالت: خطبني رسول الله ﷺ فاعتذرت إليه، فعذرني، ثم أنزل الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾. الآية.

قالت: فلم أكُن أحلُّ له، لأني لم أهاجر، كنت من الطلقاء،... الحديث، رواه الترمذي والحاكم -وصححاه، وأقره الذهبي- في آخرين[٢٣٠].

(٢٢٩) سورة الأحزاب (٥٠).

(٢٣٠) مسند إسحق (٥: ٢٢ رقم ٢١٢٠) وسنن الترمذي: كتاب التفسير: باب ومن سورة الأحزاب، رقم (٣٢١٤) وتفسير الطبري (٢٠: ٢٨٥) والمعجم الكبير (٢٤: ٤١٣-٤١٤) وحلية الأولياء (٨: ٣١٢) والمستدرك (٢: ١٨٥، ٤٢٠) (٤: ٥٣) والسنن =

* وعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: نُهي رسـول الله ﷺ عن أصناف النساء إلاّ ما كان من المؤمنات المهاجرات،... الحـديث، رواه الترمذي وحسنه[٢٣١].

فهذا تكريم من الله عز وجل للمهاجرين، حيث قصر على رسـوله ﷺ الزواجَ منهم، ولم يبح له أن يتزوج من غيرهم، والله تعالى أعلم.

ويلاحظ:

أ - الزوجات اللاتي أعطاهن مهورهن، كما في قولـه: ﴿أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ والأجر هو المهر، وقد جاء التعبير عنه بألفاظ أخرى، مثل: (صداق، نحلة،...) لا كما يزعم السفهاء في دعوى نكاح المتعة.

ب- التسري بملك اليمين ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ﴾ فهـذا أمر لا خلاف فيه، لأنها ليست زوجة، تجري عليها أحكام الزوجات.

ج- النساء من الأقارب، وهن: بنات العم، وبنات العمـات، وبنـات الأخوال، وبنات الخالات، لكن شريطة أن يكن من المهاجرات ﴿ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ لذا لم يتزوّج ﷺ أمَّ هانئ رضي الله تعالى عنها-مع أنها بنتُ عمه- لأنها لم تكن من المهاجرات.

د- من وهبت نفسها له ﷺ، شريطة أن تكون مؤمنة ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن

= الكبرى للبيهقي (٧: ٥٤) وانظر تخريج الزيلعي لأحاديث الكشاف (٣: ١١٦) والـدر المنثور (٦: ٦٢٨) حيث عزواه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وغيرهما أيضاً.

(٢٣١) سنن الترمذي: في الكتاب والباب السابقين، رقم (٣٢١٥).

﴿وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ لكن هذا من خصائصه ﷺ، وليس لأحد من المسلمين أن يتزوّج بالهبة، خلافاً لبعض الفقهاء رحمهم الله تعالى ممن جعل العقدَ صحيحاً وأوجب لها مهر المثل.

لذا قاتل الله تعالى من يشكّك في أزواج النبي المصطفى الكريم ﷺ، أو يتكلّم في عرضهن، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ﴾ فلو كنَّ غيرَ أهلٍ له ما أحلَّهن تعالى له ﷺ، والله تعالى أعلم.

٦٥- اصطفاء الله تعالى لهم، وإدخالهم الجنة مع الخلود فيها بفضله تعالى:

قال الله عز وجل: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾[٢٣٢].

يذكر الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات عن عباده الذين اصطفاهم من العالمين -وهم هذه الأمة بما فيهم الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم- فأورثهم الكتاب،... وهؤلاء المصْطَفَوْن ثلاثة أقسام:

١- ظالم لنفسه: المفرِّط في بعض الواجبات والمرتكب لبعض المحرمات.

٢- المقتصد: وهو المؤدي للواجبات، التارك للمحرمات، وقد يترك بعض المستحبات، ويفعل بعض المكروهات.

---

(٢٣٢) سورة فاطر (٣٢-٣٥).

٣- السابق بالخيرات بإذن الله: وهو المبرز الفاعل للمستحبات -فضلاً عن الواجبات- والتارك للمكروهات فضلاً عن المحرمات[٢٣٣].

وهؤلاء المصطَفون -بأقسامهم الثلاثة- في الجنة ابتداءً أو مآلاً. وذكر بما لهم في الجنة من لباس وزينة، وما يقولون من حمد وثناء؛ على ما أذهب الله عنهم وصرف، وعلى ما أكرمهم من إقامة، من غير نَصَب ولا تعب.

ففي هذه الآيات:

أ - اصطفاء الله سبحانه وتعالى لهذه الأمة من عباده ليكونوا صحابة، ثم أُمَّةً لنبيِّه وصفيَّه ﷺ. وهذه مزية عظيمة يُغبطون عليها.

ب- توريثهم الكتاب الذي لم تَصْدُق الأمم السابقة بحمله، لذا غيَّروا وبدَّلوا وحرَّفوا، أما صحابةُ رسول الله ﷺ ورضي الله تعالى عنهم، والأمةُ المحمدية من بعدهم فقد كانوا غايةَ الحرص على القرآن الكريم، الذي تكفَّل الله تعالى بحفظه، لذا سارعوا بحفظه، ثم تدوينه، ثم،... لذا قاتل الله تعالى من يزعم نقصانه أو تغييره وتبديله.

كيف يورث الله تعالى قوماً يخونون تلك الأمانة؟ أما في ذلك طعن بالله تعالى بعدم علمه، وعدم معرفته بخلقه؟ والله تعالى يقول: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[٢٣٤].

ج- دخول الصحابة رضي الله تعالى عنهم -ومن بعدهم هذه الأمة- كلها في الجنة، فالسابق بالخيرات؛ وهم الصحابة رضي الله تعالى عنهم،

---

(٢٣٣) وقيل فيها غير ذلك من التعاريف، انظر الطبري مثلاً فقد ذكر خلاف ذلك.

(٢٣٤) سورة الصافات (٩٦).

الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بقوله: (خير القرون قرني) والحديث متــواتر، كما مر. ومن تبعهم بإحسان: يدخلون الجنة من غير حساب ولا عــذاب. والمقتصدون-ممن بعدهم-يدخلون الجنة برحمة الله عز وجل وفضله. وأمــا الظالمون لأنفسهم، فيدخلون الجنة بالشفاعة بعد دخولهم النار. ثم يخرجــون منها إلى الجنة. وهؤلاء الذين يقولون: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾، والله تعالى أعلم.

د- لا يخلد من هذه الأمة أحد في النار بإذن الله تعالى؛ لأنه سبحانه عز شأنه ذكر بعد هذه الآيات مباشرة أهل النار فقــال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ﴾[(٢٣٥)].

هـ- هذه الأمة لا يكون فيها الكفر الذي يوجب الخلود في النــار، لأن الله تعالى ذكر أن مآل المصطَفَين كلهم في الجنة، ثم ذكر الكفار بعدهم، وإذا كان المصطَفَون في هذه الأمة، فالصحابة رضي الله تعالى عنهم من باب أولى، كما سيأتي بيانه في آية سورة الحديد، بعد قليل، والله تعالى أعلم.

٦٦- الذي جاء بالصدق وصدّق به لهم ما يشاؤون عند الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[(٢٣٦)].

(٢٣٥) سورة فاطر (٣٦) وانظر عظيم قدره ﷺ،... (فقرة: ٩٤-٩٦-٩٨) فقد بينت فيهــا أن هذه الأمة كلها في الجنة.

(٢٣٦) سورة الزمر (٣٣-٣٥).

ذهب عدد كبير من الصحابة رضي الله تعالى عنهم إلى أن الذي جــاء بالصِّدْق هو رسول الله ﷺ، وأن الذي صدَّق به هو أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه.

وقيل: هو علي بن أبي طالب، رضي الله تعالى عنه.

وقيل: هم المؤمنون من الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ومن يلحق بهم من المؤمنين. ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ على اعتبار أن كلمة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ تعود على أقرب مذكور، وهو ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾.

وثمة أقوال أخرى، لكنها لا تستقيم مع تتمة الآيات، والله تعالى أعلم.

وفي هذه الآيات:

أ - وصفهم الله تعالى بالتصديق بما جاء به رسول الله ﷺ. وهذه شهادة من الله تعالى تَكْبِتُ الذين زعموا كذبَهم على رسول الله ﷺ، وتــصفعهم على وجوههم.

ب- كونهم رضي الله تعالى عنهم المتقين، الذين اتَّقَوا كلَّ ما يُغضب الله عز وجل ويخالف أوامره. سواء أكبرها -وهو الــشرك- أو أدناهــا، وأدّوا فرائضه وأوامره وما يرضيه تعالى. وهذه شهادة أخرى من الله تعــالى لهــم رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم. ومعلوم أن الله تعالى يتقبّل من المتقين ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾(٢٣٧).

ج- إكرام الله سبحانه وتعالى لهم، بأنه تعالى يعطيهم في الجنة ما تشتهيه

(٢٣٧) سورة المائدة (٢٧).

أنفسُهم، وتلذ به أعينُهم، ومهما طلبوا وجدوه، تكريماً منه تعالى وتفضّلاً، لقاء ما قدّموه في الدنيا، وما بذلوه من إيمان وتصديق ونصيحة وتضحية وفداء، رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم.

د- وصفهم الله تعالى بالإحسان، حيث أحسنوا في عبادة ربهم وطاعته، وابتعدوا عن كل ما يسخط الله تعالى ويغضبه. والإحسان هو أعلى مراتب الإيمان كما هو معلوم.

هـ- تكفير الله تعالى عنهم أسوأ الأعمال، وما اجترحوه من سيئات، مجازاة إحسانهم في الدنيا. لأن أخف الأعمال المخالفة تكفّرها الصالحات من الأعمال، كما ورد.

و- مجازاة الله سبحانه وتعالى لهم، وإثابته إياهم على أعمالهم الصالحة، بأن يعطيهم من الثواب على أحسن أعمالهم التي كانوا يعملونها في الدنيا، مما يرضي الله عز وجل عنهم، أي بأن يعاملهم على سائر أعمالهم بأحسنها عنده، وأرضاها لديه سبحانه وتعالى، أي يثيبهم تعالى على سائر أعمالهم بما يثيبهم على أحسن أعمالهم، رضي الله تعالى عنهم، والله تعالى أعلم.

٦٧- إنزال السكينة في قلوبهم ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[٢٣٨].

(٢٣٨) سورة الفتح (٤-٥).

يخبر الله سبحانه وتعالى بما يفعل بأصحاب رسول الله ﷺ -في الدنيا والآخرة- ثم بمن كان على شاكلتهم وعلى منهاجهم-من جعل الطمأنينة والرحمة والوقار في قلوبهم، وزيادة الإيمان في نفوسهم، وإدخالهم الجنة ثم الخلود فيها، مع تكفير خطاياهم وذنوبهم.

وهذه الآية الكريمة هي منحة؛ وهبها الله عز وجل لأصحاب رسوله الكريم ﷺ ورضي الله تعالى عنهم، بعدما أكرم الله سبحانه وتعالى نبيَّه وصفيَّه ﷺ بنزول أوائل سورة الفتح، وفيها: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾(٢٣٩).

* عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: نزلت على النبي ﷺ ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ مرجعه من الحُدَيْبِيَة.

فقال النبي ﷺ: (لقد أُنزلت عليَّ الليلة آيةٌ أحبُّ إليَّ مما على الأرض) ثم قرأها عليهم النبي ﷺ. فقالوا: هنيئاً مريئاً يا نبي الله؛ قد بيَّن الله عز وجل ما يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فنَزلت عليه: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾. متفق عليه، لكن اللفظ لأحمد، والترمذي وابن حبان والحاكم، وصححوه، وغيرهم، وقد ساق مسلم رحمه الله تعالى سنده -بعد ذكره لأول الحديث- ثم لم يسق المتن(٢٤٠).

---

(٢٣٩) سورة الفتح (٢).

(٢٤٠) صحيح البخاري: كتاب المغازي: باب غزوة الحُدَيْبِيَة، وكتاب التفسير: سورة الفتح: باب =

ففي هاتين الآيتين:

أ - ما في هذه الآية هي بشارة من الله تعالى، ومنحة منه عز وجل، أكرم بها أصحابَ رسوله الكريم ﷺ ورضي عنهم، كما أكرم نبيّه الكريم ﷺ بالبشارة بالمغفرة لِما تأخر، دلالة على عصمته.

ب- وصف الله تعالى الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم بالإيمان. وهذا وصفٌ ثابت لا يزول عنهم، لأنه تعالى لو لم يعلم أنهم سيموتون عليه ما سمّاهم به، فهو وصفٌ لازمٌ لهم، لذا فالويل لمن يسعى إزالتَه عنهم.

ج- إنزال السكينة، وهي الرحمة، أو الوقار، أو الطمأنينة في قلوبهم، بعد استجابتهم لله تعالى ولرسوله ﷺ، وانقيادهم لحكم الله تعالى ورسوله ﷺ.

د- ازديادهم إيماناً مع إيمانهم، بعدما أكرمهم الله عز وجل بالتسليم الكامل لحكمه وحكم رسوله ﷺ. فهم في زيادة إيمان على الاطّراد دائماً، وهذا غاية التكريم لهم، ورفعة القدر والمكانة.

لذا من يزعم أنه يحب الله تعالى ورسولَه الكريم ﷺ فليسلّم لهم بهذه المنحة والكرامة. حشرنا الله تعالى معهم.

= ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ①﴾. وصحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير: باب صلح الحُدَيْبِيَة، رقم (٩٧) ومسند أحمد (٣: ١٩٧، ٢١٥، ٢٥٢) وسنن الترمذي: كتاب التفسير: باب ومن سورة الفتح، رقم (٣٢٦٣) والسنن الكبرى للنسائي (٦: ٤٦٢) والتفسير له (٢: ٣٠٤) وصحيح ابن حبان (١: ٢٩٤) (٨: ١٠٨) والمستدرك (٢: ٤٥٩) وتفسير الطبري (٢٦: ٤٣-٤٤) وشرح السنة (١٤: ٢٢٢) ومعالم التنْزيل (٤: ١٨٨) والسنن الكبرى للبيهقي (٥: ٢١٧) ودلائل النبوة له (٤: ١٥٧- ١٥٨) وأسباب النُّزول للواحدي (٤٠٤-٤٠٥).

هـ- إدخالهم الجنات التي تجري من تحتها الأنهار، وذلك نعيم يطلبه كل مؤمن، ووعد الله تعالى لن يتخلف.

و- تكفير سيئاتهم، وخطاياهم وذنوبهم، فلا يعاقبهم عليها، بل يعفو ويصفح ويغفر، ويستر، وهذا تنبيه للمسلمين، بإمساك ألسنتهم عما حدث بين الصحابة رضي الله تعالى عنهم، إذ طالما أن الله تعالى قد غفر لهم، وعفا عنهم، فما بال الخلق يُثبتون ويُصرّون.

لكن من الملاحظ أن الله تعالى جعل المغفرة لنبيّه الكريم ﷺ ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ لكن قيّدها بما تقدّم وما تأخر، دلالة على عصمته، ولأنه يقتضي الإزالة، أما الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم فقد جعل لهم التكفير: ﴿وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ وهو الستر.

ثم إنه تعالى لم يقيد ذلك بالتبعيض، كما هو الحال في الأمم السابقة، كما قال تعالى على عموم الرسل عليهم السلام: ﴿ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾[٢٤١].

ز- خلود الصحابة رضي الله تعالى عنهم في الجنة، وإذا استقروا فلا خروج، كما مر في آية النساء، ويأتي مزيد بيان في آية الحديد، إن شاء الله تعالى.

ح- ذلك كله فوز عظيم من الله تعالى، كتبه لعباده المؤمنين المستسلمين المنقادين لحكم الله تعالى ورسوله ﷺ، والله تعالى أعلم.

---

(٢٤١) سورة إبراهيم (١٠) وانظر: (فضائل النبيِّ الكريم ﷺ كما وردت في القرآن العظيم) حيث أوردت الآيات في إطلاق المغفرة لهذه الأمة، وتبعيضها للأمم السابقة.

ط- شمول ذلك كله للذكور والإناث، كما هو واضح من قوله تعالى: ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ...﴾ لأن من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى فهما مشتركان في الأجر ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(٢٤٢)، والله تعالى أعلم.

٦٨- مبايعة الصحابة الكرام لرسول الله ﷺ هي مبايعة لله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾(٢٤٣).

يذكر الله سبحانه وتعالى مبايعةَ النبي المصطفى ﷺ للصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم بيعةَ الرضوان-يوم الحُدَيْبِيَة-عندما أشيع مقتلُ سيدنا عثمان رضي الله تعالى عنه؛ رسولَ رسولِ الله ﷺ إلى أبي سفيان وقريش، ليبلغهم أن رسولَ الله ﷺ لم يأتِ لحرب ولا قتال، إنما جاء معتمراً.

وفي هذه الآية من الثناء والتكريم للصحابة رضي الله تعالى عنهم:

أ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾. فقد جعل الله تعالى مبايعتهم رسولَه الكريم ﷺ مبايعته تعالى.

ب- من أوفى منهم رضي الله تعالى عنهم بما عاهد الله سبحانه وتعالى عليه، وصبر عند اللقاء، ونصر نبيَّه وحبيبَه ﷺ على أعدائه، فسيعطيه الله سبحانه وتعالى الثواب العظيم-وهو الجنة-جزاء وفائه بعهده.

(٢٤٢) سورة غافر(٤٠) وانظر سور: النساء (١٢٤) والنحل(٩٧) وآل عمران (١٩٥).

(٢٤٣) سورة الفتح (١٠).

لذا جاءت الأحاديث الشريفة؛ تبيِّن فضلَ أهل بيعة الرضوان، وأهم رضي الله تعالى عنهم خير أهل الأرض ذلك اليوم، وأنه لن يدخل أحدٌ منهم النار، بل كلهم في الجنة-كما يأتي في الفقرة التالية، إن شاء الله تعالى.

وإذا كانوا رضي الله تعالى عنهم كذلك فهذا ثناءٌ ومدح من الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ، لا يزعزعه زفير مزكوم، ولا شهيق مفؤود، ولا ضجيج مبتور.

٦٩- رضاه تعالى عن المبايعين لرسوله ﷺ بيعة الرضوان:

قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾(٢٤٤).

يخبر الله سبحانه وتعالى عن رضاه عن الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم، الذين بايعوا رسول الله ﷺ تحت الشجرة يوم الحديبية، وبيَّن الله عز وجل أحوالَهم، وما أكرمهم عز وجل به، وما حباهم به من رضوان الله تعالى عليهم، وذلك:

أ - شهادته سبحانه وتعالى لهم بالإيمان، وهذه شهادة لا تزعزعها زوابع الدهر، وعواصف الزمان، ولا تمحوها أقلام المأجورين. فمن رام صرفَها عنهم، أو إزالتها فقد كذّب الله تعالى فيما وصفهم به، لأن علمَه سبحانه وتعالى متعلّق بالماضي والحاضر والمستقبل، فلو لم يعلم جل شأنه بقاءَهم على

(٢٤٤) سورة الفتح (١٨-١٩).

الإيمان ما وصفهم به.

ب- رضوان الله سبحانه وتعالى عليهم. وهذا أمر لا يعادله شيء، ولا يقوم له معارِض، فمن رضي الله عز وجل عنه فلا يسخط عليه أبداً؛ لأنه قد تجاوز جميعَ القناطر.

ج- ما عَلِمَه الله سبحانه وتعالى في قلوبهم من الصدق والوفاء، وما عقدوه من السمع والطاعة والامتثال. وهذه شهادةٌ منه عز وجل تُضاف في صحائفهم رضي الله تعالى عنهم.

د- ما أكرمهم الله عز وجل به من تنزل السكينة عليهم، فاستقرت قلوبهم، وهدأت نفوسهم. وهذه مكرمة أخرى أكرمهم الله عز وجل بها، وعلى رأس هؤلاء كبارهم وساداتهم رضي الله تعالى عنهم، إذ كلهم كانوا حاضرين تلك البيعة.

هـ- ما أثابهم سبحانه وتعالى به من فتح مكة، وقد عدَّ النبيُّ ﷺ الحُدَيْبِيَة فتحاً، بما حصل فيه من الخير العام، من فتح خيبر، ومكة بعده، وما حصل لهم من العز والنصرة والرفعة،...

و- ما أثابهم الله تعالى من المغانم الكثيرة، وأولها مغانم خيبر، وكل ذلك فضل من الله تعالى وتوفيق، والله تعالى أعلم.

ز- صدقُهم في مبايعتهم لرسول الله ﷺ، ولو كان على الموت، وهذه البيعة هي على الموت أو على عدم الفرار. وسببها: ما أشيع من قتل كفار قريش لسيدنا عثمان رضي الله تعالى عنه.

ح- كل ذلك يعطي دلالةً واضحةً على رفعة مكانتهم رضي الله تعالى عنهم عند الله تعالى، وعلو شأهم، وعظيم قدرهم لديه جل شأنه، والله تعالى أعلم.

٧٠- إنزال السكينة عليهم، وإلزامهم كلمة التقوى، وأنهم أهلٌ لها:

قال الله تعالى: ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾(٢٤٥).

يخبر المولى سبحانه وتعالى في أول الآية: عن حال مشركي قريش لما رفضوا أن يكتبوا في عقد الصلح يوم الحُدَيْبِيَة (بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله) ثم يخبر الله سبحانه وتعالى عن ثنائه على الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم؛ بأن أنزل السكينة عليهم، وألزمهم كلمة التقوى، وكانوا أحق بها، وكانوا أهلاً لها. وهذا ثناء من الله تعالى عليهم، وبيان قوة إيمانهم ويقينهم رضي الله تعالى عنهم.

وفي هذه الآية الكريمة:

أ - وصف الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم بالإيمان. وهذا وصف ثابتٌ لهم، لا يتزعزع، ولو حاول أهلُ الجُدُر المنهارة إزالتَه، فهم يزولون ولا يزول هذا الوصف عنهم.

ب- إنزال السكينة على رسوله الكريم ﷺ وعلى الصحابة رضي الله

(٢٤٥) سورة الفتح (٢٦).

تعالى عنهم الذين كانوا معه، وهم ما بين الألف وأربعمائة وألف وستمائة. وعلى رأسهم ساداتهم؛ أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وبقية العشرة،... وغيرهم، رضي الله تعالى عنهم.

ج- إلزام الله تعالى لهم كلمة التقوى -كلمة الإخلاص- وأنهم رضي الله تعالى عنهم أحق الناس بها، وكانوا أهلها.

د- مفهوم الآية الكريمة يدل على أن حمية هؤلاء الصحابة رضي الله تعالى عنه إنما كانت لله عز وجل ولرسوله الكريم ﷺ، ولم تكن لعشيرة أو قبيلة أو جاهلية.

هـ- عِلْمُه تعالى بحال هؤلاء الصحابة رضي الله تعالى عنهم، لذا أثنى تعالى عليهم -حسب عِلمه تعالى- هذا الثناء العاطر، ومدحهم، ووصفهم بهذا الوصف الجميل الخالد، وأنزل عليهم سكينته، وأخبر أنهم أهلٌ وأحقُّ الخلق بكلمة التقوى.

و- إلزام الله تعالى لهم بكلمة التقوى، وشهادة الله تعالى لهم بأنهم أحقُّ الناس بها، وأنهم أهلٌ لها: دلالةٌ على أن الإيمان في قلوبهم لن يزول، لأنه تعالى ما كان ليصطفيهم لو لم يكونوا أهلاً لهذا الاصطفاء، لذا فمن حاول نزعه منهم فقد خاب، لأنه كمن يريد إزالة الجبل بإبرة.

٧١- وصفهم رضي الله تعالى عنهم بالكتب السابقة ليغيظ بهم الكفار:

قال الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ

وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾(٢٤٦).

لقد أثنى الله سبحانه وتعالى على صحابة رسوله الكريم ﷺ ورضي الله تعالى عنهم، بعد تقريره لرسالة نبيه وصفيه وحبيبه ومصطفاه ﷺ، وأخبر تعالى أنه قد ذكر وصفَهم في الكتب المنزلة السابقة، حتى إذا وُجدوا عُرفوا، وذكر أوصافَهم ليغيظ بهم الكفار، مع غفرانه وثوابه الجزيل لهم، وذلك:

أ - شدتهم على الكفار، ولو كانوا من أقرب المقربين لهم نسباً أو صحبة سابقة أو قرابة،....

ب- تراحمهم فيما بينهم رضي الله تعالى عنهم، وإن لم تكن بينهم قُربة، أو نسب، أو معرفة سابقة؛ لأن الإيمان هو الذي حل محل أي رابطة أخرى.

ج- فوزُهم بمعية رسول الله ﷺ؛ التي خُصّوا بها دون جميع الخلائق، والتي امتنّ الله تعالى بها عليهم: دلالةٌ على أهليتهم لهذه المعية، إذ لو لم يكونوا أهلاً لها لما اختصّهم الله عز وجل بها، ولَما رضي رسولُ الله ﷺ بصحبتهم، فلما حصلت دلّ على كمالهم وأهليتهم وصلاحهم... رضي الله تعالى عنهم.

د- عبادتهم رضي الله تعالى عنهم؛ من ركوع وسجود،... بحيث يظهر أثر تلك العبادات على وجوههم من أثر السجود.

هـ- إخلاصهم رضي الله تعالى عنهم في أعمالهم لله تعالى، واحتسابهم

(٢٤٦) سورة الفتح (٢٩).

الأجر بسؤالهم الفضل من الله تعالى والرضوان منه عز وجل.

و- ذكر مثلهم رضي الله تعالى عنهم في الكتب السماوية، وتشبيههم في التوراة والإنجيل.

ز- إغاظة الكفار بهم، مع إعجاب المؤمنين بهم رضي الله تعالى عنهم.

ومن هنا استنبط الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة رحمه الله تعالى ووافقه غيره من العلماء: تكفير الرافضة ومن كان على شاكلتهم؛ الذين يبغضون الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عنهم؛ لأن من غاظ الصحابة فهو كافر بهذه الآية، والله تعالى أعلم. وسيأتي ذلك إن شاء الله تعالى في الباب الرابع.

لذا فليحذر المسلم من الوقوع في الضلال؛ إذا حقد أو اغتاظ،... من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم.

ح- وجوب الإمساك عما حصل بينهم رضي الله تعالى عنهم، مع عدم الخوض فيما جرى بينهم، حتى لا يتحامل عليهم أو على بعضهم، أو يزغّه الشيطان فيكفّرهم أو يفسِّقهم، فيدخل تحت هذا التحذير.

ط- وعد الله عز وجل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم بالمغفرة والأجر العظيم، ووعدُه سبحانه وتعالى حقٌّ وصدقٌ، لا يُخلف ولا يبدل.

وهذا الوعد منه تعالى يدل على بقائهم على دينهم وإيمانهم وصدقهم، لأن الله تعالى لا يغفر لمن يُشرك به، ولا يثيب الكافرَ في الآخرة، لذا فمن زعم ضلالَهم وكفرهم فقد كذّب الله تعالى، وأوقع نفسَه موقعَ الشيطان في عدوانه.

تنبيه: إن (مِن) في قوله تعـالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ ليست للتبعيض، لقوم دون قوم، لكنها عامة للجـنس، كما في قوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾[(٢٤٧)] فلا يـصح أن تكون هنا للتبعيض، ولكنه للجنس، أي فاجتنبوا الرجسَ من جنس الأوثان، إذ كان الرجس يقع من أجناس شتى، منها: الزنى، والربا، وشرب الخمـر، والكذب،... فأدخل ﴿مِنَ﴾ ليفيد بها الجنس، وكذا هنا، فـ﴿مِنْهُم﴾ أي من هذا الجنس، يعني جنس الصحابة رضي الله تعالى عنهم[(٢٤٨)].

أسأله تعالى أن يلحقنا بهم بمنه وكرمه، إنه على كل شيء قدير.

٧٢- تحبيب الله تعالى إليهم الإيمان، وتزيينه في قلوبهم:

قال الله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[(٢٤٩)].

لقد أدب الله جلت قدرته صحابةَ رسوله وحبيبه الكريم ﷺ ورضي الله تعالى عنهم من أول السورة -إلى هنا- بعدم التقدم بين يديه، وعـدم رفـع الصوت فوق صوته ﷺ، وعدم الجهر له بالقول،...وأثنى تعالى على الـذين يغضّون أصواتهم عنده ﷺ،...إلى أن ذكر تعالى منّتَه ونعمتَه سبحانه وتعالى

(٢٤٧) سورة الحج (٣٠).

(٢٤٨) انظر: تفسير القرطبي (١٦: ٢٩٥-٢٩٦).

(٢٤٩) سورة الحجرات (٧-٨).

عليهم؛ بوجود نبيِّه وحبيبِه ﷺ فيهم، الذي يعلِّمه الله تعالى ويطلعه على أخبارهم،... ثم ذكر منَّتَه ونعمتَه سبحانه وتعالى عليهم بالإيمان، وكراهية الكفر والعصيان، وذلك:

أ - ما أكرمهم الله سبحانه وتعالى بصحبة نبيه وحبيبه وصفيه ﷺ،... مما أوجب عليهم توقيره وتعظيمه، ومحبَّته، والتأدب معه، والانقياد لأمره، والطاعة له، واتِّباعه،...مقابل ما أكرمهم الله تعالى بهذه المنقبة التي لا تُقابَل، وخصهم تعالى بهذه المنحة العظمى، الذي خصهم بها من سائر الخلق؛ بأن كانوا صحابةَ مصطفاه ومجتباه وحبيبه وصفيه وخليله ﷺ.

ب- ما أكرمهم الله سبحانه وتعالى من تحبيب الإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ إليهم، فهم يطيعونه ﷺ، ويأتمُّون به، فيقيهم الله به المشقة والعنت.

ج- تزيين الله سبحانه وتعالى الإيمان إليهم، وتحسينه في قلوبهم، لذا آمنوا وسلَّموا.

د- تبغيض الله سبحانه وتعالى وتكريهه إليهم الكفرَ بالله، والفسوق- وهي الذنوب الكبار -والعصيان- وهي جميع المعاصي. وهذا تدرج من الأشد إلى الأخف، فكل ما نهى الله تعالى عنه، وكل تضييع ما أمر الله تعالى به؛ فهو منهي عنه، كرَّهه الله تعالى وبغَّضه لعباده المؤمنين.

* وقد امتثل الصحابة رضي الله تعالى عنهم ذلك، بحيث يقول أحدهم: إنكم لتعملون أعمالاً هي أدقُّ في أعينكم من الشَّعَر، كنا نعدها على زمن رسول الله ﷺ من الموبقات(٢٥٠).

(٢٥٠) انظر: صحيح البخاري: كتاب الرقاق: باب ما يُتّقى من محقرات الذنوب.

هـ- ما أُكرِموا به رضي الله تعالى عنهم من تحبيب الإيمان وتزيينه في قلوبهم، وكراهيتهم للكفر والفسوق والعصيان، إنما هو بجعل الله تعالى في قلوبهم، فهو تعالى الذي أكرمهم به، وإذا كان كذلك فهو من آثار اصطفاء الله تعالى لهم، فهو الذي جمَّلهم وكمَّلهم وحبّب إليهم،... فلا ينزع عنهم عطاءه ومنحه وتكريمه، والله تعالى أعلم.

و- وصفهم الله سبحانه وتعالى بهذه الصفة الكمالية الجميلة، كونهم من الراشدين، السالكين طريق الحق، حيث آتاهم الله سبحانه وتعالى رشدَهم، ومنحهم وضوحَ الرؤية، وابتلاجَ الطريق، وحسنَ السلوك.

ز- كل ذلك هو نعمة من الله تعالى وفضل وإحسان، أنعم بها عليهم؛ لأنه عليم حكيم.

ح- بيان منزلة الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم عند الله تعالى، وعنايته تعالى بهم، ورفعة مقامهم لديه، بحيث إنه تعالى خلقهم على عينه، وجمَّلهم بعنايته، وكمَّلهم واصطفاهم، وأكرمهم بهذه المعية، ولم يكن في غيرهم، كما خصّهم تعالى بأن كانوا صحابةً لرسوله الكريم ﷺ، وأصهاراً وأنصاراً وأرحاماً،... رضي الله تعالى عنهم.

٧٣- بيان مقامهم في الجنة، جزاء ما كانوا عليه في الدنيا:

قال الله عز شأنه: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾[٢٥١].

(٢٥١) سورة الذاريات (١٥-١٩).

يخبر المولى سبحانه وتعالى عن هؤلاء المتقين رضي الله تعالى عنهم، حيث يكونون يوم القيامة في جنات وعيون؛ لأنهم كانوا في الدنيا محسنين، وذلك بقيامهم الليل فلا ينامون فيه إلاّ القليل، واستغفارهم بالأسحار، وما أفرزوه من أموالهم كحقٍّ للفقراء والمساكين.

ففي هذه الآيات الكريمات:

أ - وصفهم بالمتقين، ومعنى هذا: أن الله تعالى يتقبّل أعمالهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾(٢٥٢).

ب- بيان مقامهم في الجنة، بحيث يُكرَمون بالجنات التي تجري من تحتها الأنهار، والعيون الجذّابة في مياهها وصفائها.

ج- يكرمهم الله تعالى بأن يأخذوا ما يعطيهم ربُّهم تكريماً لهم.

د- شهادة الله تعالى لهم بالإحسان في دنياهم.

هـ- كثرة قيامهم بالليل، فإنهم كانوا لا ينامون فيه إلاّ قليلاً، يمضونه بأنواع الطاعات. كما سيأتي في آية المزمّل، إن شاء الله تعالى.

و-كثرة استغفارهم، خاصة في وقت السّحر، ساعة تجلي الله تعالى لعباده.

ز- كثرة تصدقهم بأموالهم، إذ يخرجون قسماً من أموالهم، يرونه واجباً، للسائلين والمحرومين، لعلمهم بأنه مخلوفٌ لهم.

ح- خلودهم في الجنة، لأن الداخل إليها لا يخرج منها، والمتنعِّم فيها يحتاج إلى حياة، ولا يعرف السعادة من يخرج منها.

ط- كل ذلك الإكرام مقابل ما فعلوه في الدنيا؛ من طاعة وعبادة وإيمان، والله تعالى أعلم.

---

(٢٥٢) سورة المائدة (٢٧).

٧٤- فضائل السابقين من الصحابة رضي الله تعالى عنهم في الآخرة:

قال الله عز وجل: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ...﴾[٢٥٣]. إلى آخره.

لقد قسم الله تعالى مآل الناس يوم القيامة إلى ثلاثة أصناف. فقال: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً﴾ كما سبق نفس هذا التقسيم في سورة فاطر، آية (٣٢-٣٤) وقد سبق بيانه.

والأول من هذه الأقسام؛ ما تحدَّث عنه في هذه السورة: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾.

* قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: هم السابقون إلى الهجرة، هم السابقون في الآخرة.

وقال عكرمة رحمه الله تعالى: هم السابقون إلى الإسلام.

وقال ابن سيرين رحمه الله تعالى: هم الذين صلَّوا إلى القبلتين، بدلالة قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾.

وقال الربيع بن أنس رحمه الله تعالى: السابقون إلى إجابة رسول الله ﷺ

---

(٢٥٣) سورة الواقعة (١٠-٢٦).

في الدنيا، وهم السابقون إلى الجنة في العقبى.

والمعنى -والله تعالى أعلم- واحد، وهم السابقون من الصحابة رضي الله تعالى عنهم، الذين استجابوا لرسول الله ﷺ.

وهناك أقوال أخرى، لكنها ضعيفة.

وهؤلاء السابقون، قال الله تعالى عنهم: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ أي جماعة من الأولين، وقليل من الآخرين.

وقد اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في المراد بقوله تعالى: ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾ وَ﴿ٱلْآخِرِينَ﴾ على قولين[٢٥٤].

أ – **المراد بالأولين**: الأمم السابقة، وبالآخرين هذه الأمة، وهذا اختيار الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى-بعد أن فسَّر قولَه سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ بقوله: الذين سبقوا إلى الإيمان بالله ورسوله ﷺ-وهم المهاجرون الأولون.اهـ.

وما قاله ابن جرير رحمه الله تعالى من أن المراد بالأولين: الأمم السابقة هو قول ضعيف -كما قال ابن كثير رحمه الله تعالى، وقال-: لأن هذه الأمة هي خير الأمم بنص القرآن، فيبعد أن يكون المقرَّبون في غيرها أكثرَ منها. اللهم إلاّ أن يقابل بمجموع الأمم بهذه الأمة.

قلت: الظاهر أن المقربين من هذه الأمة -أكثر من سائر الأمم. وذلك:

– لقد ثبت عنه ﷺ أن هذه الأمة تساوي نصف أهل الجنة، بل ثلثي

(٢٥٤) انظر: تفسير الطبري، وتفسير ابن كثير عند هذه الآيات.

أهل الجنة. وأنها أكثر أهل الجنة، وأن الله تعالى سيفديها بغيرها من الأمم، مع كثرة من يدخلها من غير حساب، لأنها كلها تدخل الجنة،... كما بينت الأدلة في: عظيم قدره ﷺ(٢٥٥). فانظره، والله تعالى أعلم.

ب- القول الثاني -وهو الراجح-: أن يكون المراد بقوله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي من صدر هذه الأمة، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ أي من هذه الأمة.

* قال عبد الله بن بكر المزني: سمعت الحسن البصري -رحمهما الله تعالى- أتى على هذه الآية ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ فقال: أما السابقون فقد مضوا، ولكن اللهم اجعلنا من أصحاب اليمين. ثم قرأ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ قال: ثلة ممن مضى من هذه الأمة.

* وقال محمد بن سيرين في هذه الآية: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ كانوا يقولون -أو يرجون- أن يكونوا كلهم من هذه الأمة.

قال العلامة ابن كثير رحمه الله تعالى: والغرض أن هذه الأمة أشرف من سائر الأمم، والمقرَّبون فيها أكثر من غيرها، وأعلى منْزلة، لشرف دينها، وعظم نبيها ﷺ، ولهذا ثبت بالتواتر عن رسول الله ﷺ أنه أخبر أن (في هذه الأمة سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب) وفي لفظ (مع كل ألف سبعون ألفاً) وفي آخر (مع كل واحد سبعون ألفاً)(٢٥٦).

(٢٥٥) عظيم قدره ﷺ ورفعة مكانته عند ربه عز وجل، والأحاديث كلها في الصحيحين.

(٢٥٦) انظر: عظيم قدره ﷺ،...، فقد ذكرت روايات الحديث.

ثم ذكر ما لهؤلاء السابقين وذلك:

أ - أنهم هم المقرَّبون، الذين يقرِّبهم الله عز وجل منه يوم القيامة.

ب- دخولهم في جنات النعيم. وهذا يدل على خلودهم فيها، لأن من يدخلها لن يخرج منها.

ج- أنهم جماعة من الأولين من هذه الأمة، وقلة من الآخرين منها.

د- ما ذكر من ثوابهم وكرامتهم في الجنة، حيث ذكر جلوسهم على السرر المرصَّعة المرملة بالذهب واللؤلؤ، وأنهم متكئون عليها، دلالة على الراحة والاستمتاع والنعيم، وأنهم متقابلون عليها، وأنهم يطوف عليهم وِلْدان على صفة واحدة، لا يشيبون ولا يتغيرون، ولا يموتون، يطوفون عليهم بأقداح -كيزان- لا عرى لها، وأباريق وكؤوس من خمر وشراب؛ من عيون جارية لا تنقطع.

هـ- لا يصابون في الجنة بصداع، ولا تنزف عقولهم، بل هي ثابتة مع الطرب واللذة الحاصلة.

و- يتخيرون من الفاكهة ما يريدون، يُحضِرها لهم الولدان، ويطوفون بها عليهم، كما يطوفون عليهم بلحوم الطير الذي يشتهون.

ز- وما لهم من الحور العين، اللواتي كأنهن اللؤلؤ الرطب في بياضه وصفائه.

ح- لا يسمعون في الجنة باطلاً من القول، ولا لغواً من الكلام، وليس فيه ما يؤثِّمهم، ولكن يسمعون قول: ﴿سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾.

ط- كل ذلك إنما كان جزاء وثواباً لهم من الله عز وجل؛ بأعمالهم التي كانوا عملوها في الدنيا.

ي- وكل ذلك يقتضي خلودهم في الجنة، لكي يتم لهم التمتع بما يشتهون؛ من طعام وشراب ولباس وفواكه، ونعيم مقيم، وحتى يتمتعوا بالثواب والإكرام، مقابل أعمالهم الصالحة في الدنيا، والله تعالى أعلم.

ثم ذكر الله عز وجل أحوالَ أهل اليمين، وهم دون السابقين في المنزلة والرتبة. وهم ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾[(٢٥٧)] جعلنا الله تعالى من الثلة الأولى، فإن فاتنا جعلنا من أصحاب اليمين، الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، إنه جواد كريم. والحمد لله رب العالمين.

٧٥- التفاضل بين الصحابة رضي الله تعالى عنهم، مع وجوب الجنة لهم:

قال الله عز وجل: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[(٢٥٨)].

في هذه الآية الكريمة يفرِّق الله سبحانه وتعالى بين إنفاق وجهاد،... مَن أسلم قبل فتح مكة -وأغلبهم من المهاجرين والأنصار رضي الله تعالى عنهم- وبين إنفاق وجهاد من أسلم بعد فتح مكة -وهم مسلمة الفتح- من حيث الثواب ورفع الدرجات، ويوضح ذلك:

* عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شيء، فسبَّه خالد، فقال رسول الله ﷺ:

---

(٢٥٧) سورة الواقعة (١٣-١٤).

(٢٥٨) سورة الحديد (١٠).

(لا تسبوا أحداً من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثلَ أُحُد ذهباً، ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نَصيفَه). متفق عليه، واللفظ لمسلم[٢٥٩].

فإذا كان خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه أسلم قبل فتح مكة، إنما كان بعد صلح الحُدَيْبِيَة، ومع هذا فقد قال له النبي المصطفى الكريم ﷺ ما قال، فكيف بمن أسلم بعد الفتح؟ بل كيف بمن جاء بعدهم؟

ومع هذا فقد وعد الله سبحانه وتعالى الطرفين-من أسلم قبل الفتح وقاتل وأنفق، ومن أسلم بعد الفتح وقاتل وأنفق-وعدهما جميعاً بالجنة. لقوله تعالى: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ وفي الآية:

أ - التفريق بين حالات المؤمنين، واختلاف درجاهم، حسب تقدمهم في الإسلام والهجرة والجهاد والإنفاق. وهذا ما نجده حتى في الإمامة في الصلاة.

* عن أبي مسعود البدري رضي الله تعالى عنه قال: قال لنا رسول الله ﷺ: (يؤم القومَ أقرؤهم لكتاب الله وأقدمُهم قراءةً، فإن كانت قراءتُهم سواءً، فليؤمهم أقدمُهم هجرةً، فإن كانوا في الهجرة سواءً، فليؤمهم أكبرهم سنّاً،...).

* وفي رواية: (فإن كانوا في الهجرة سواءً فأقدمهم سِلماً). رواهما مسلم[٢٦٠].

وقوله ﷺ: (فأقدمهم سِلماً) أي أسبقهم إسلاماً، والله تعالى أعلم.

---

(٢٥٩) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة: باب حدثنا الحميدي. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب تحريم سب الصحابة رضي الله تعالى عنهم، رقم (٢٢٢).

(٢٦٠) صحيح مسلم: كتاب المساجد: باب من أحق بالإمامة، رقم (٢٩٠، ٢٩١).

ب- تفضيل من أسلم وأنفق وجاهد قبل الفتح على من أسلم وقاتل وأنفق بعد الفتح، فهم أعظم درجةً عند الله تعالى، وأما مقدار تلك الدرجة؟ فالله تعالى أعلم بها.

ج- وعد الله عز وجل الطائفتين -من أسلم وأنفق وقاتل قبل الفتح، ومن أسلم وقاتل وأنفق بعد الفتح- بالجنة، لقوله جل شأنه: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾.

د- إن وعد الله تعالى لا يتخلف، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾(٢٦١) و﴿وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾(٢٦٢) في آيات، ومعنى هذا أن جميع الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم هم من أهل الجنة، الخالدون فيها، كما مر من الجمع بين الآيتين، من قول ابن حزم رحمه الله تعالى.

هـ- استمرار الطائفتين -من أسلم وقاتل وأنفق قبل الفتح، ومن أسلم وقاتل وأنفق بعد الفتح- على الإيمان، لأنهما وُعدتا الجنة، والجنة لا يدخلها إلاّ مؤمن. لذا فكلٌّ من رام صرفَ الجنة عنهم، فلن يحشر معهم، لأنه كذّب الله تعالى فيما وعد وقال وشهد به، والله تعالى أعلم.

٧٦- عدم موالاتهم لمن يحادّ الله تعالى ورسوله الكريم ﷺ، ولو كانوا أقربَ الناس إليهم:

قال الله عز وجل: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى

(٢٦١) سورة آل عمران (٩) وسورة الرعد (٣١).

(٢٦٢) سورة الحج (٤٧).

قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[٢٦٣].

قيل[٢٦٤]: نزلت هذه الآية في أبي عبيدة عامر بن الجراح رضي الله تعالى عنه حين قتل أباه يوم بدر.

وقيل: نزلت فيه رضي الله تعالى عنه، وفي الصديق أبي بكر رضي الله تعالى عنه حين هَمَّ بقتل ولده يوم بدر، وفي مصعب بن عُمير رضي الله تعالى عنه حين قتل أخاه عُبيد بن عُمير يومئذٍ، وفي عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه حين قتل خالَه العاصَ بن هشام بن المغيرة يومئذ، وفي حمزة وعلي وعُبيدة بن الحارث رضي الله تعالى عنهم حين قتلوا عتبةَ وشيبةَ ابنَيْ ربيعة، والوليدَ بنَ عتبة يومئذٍ، والله تعالى أعلم.

وقيل غير ذلك، والله تعالى أعلم.

ومن هذا القبيل أيضاً ما قاله عمر رضي الله تعالى عنه بعد بدر حين شاورهم رسول الله ﷺ في شأن الأسارى من المشركين، حيث قال: تمكّني من فلان -قريبه- فأقتله، وتمكّن عليّاً من عَقيل فيقتله، وتمكّن فلاناً من فلان فيقتله،... ليعلم الله تعالى أن ليست في قلوبنا موادَّة للمشركين.

لكن جاء النص شاملاً عامّاً لهم جميعاً، كما هي عادة القرآن الكريم، ليكون شاملاً لهم ولغيرهم ممن هو على شاكلتهم، والله تعالى أعلم.

---

(٢٦٣) سورة المجادلة (٢٢).

(٢٦٤) انظر: أسباب النُّزول (٤٣٩-٤٤٠) وتفسير القرطبي (١٧: ٣٠٧-٣٠٨) وتفسير البغوي (٤: ٣١٢) وتفسير ابن كثير (٤: ٣٢٩) والدر المنثور (٨: ٨٦) وفتح القدير للشوكاني (٤: ١٩٣).

فهؤلاء المؤمنون لا يوادّون من حادّ الله تعالى وشاققه وخالفه وعـاداه، ولو كانوا أقربَ المقرّبين لهم، لأن الله تعالى قذف في قلوبهم الإيمانَ وأيَّـدهم بروح منه، لذا أعدّ لهم النعيم المقيم في الجنة، مع رضاه تعالى عنهم.

وفي هذه الآية الكريمة:

أ - وصفهم بالإيمان بالله تعالى واليوم الآخر، وهـذا وصـفٌ لازم لا يزول، لأن الإيمان دائم للمخلوق في الدنيا ليكرم به في الآخرة.

ثم إن اقتصار الله عز وجل على هذين الركنين دون بقية الأركان، لأن الأركان الأربعة الباقية تندرج تحت الإيمان بالله تعالى.

ثم إن الإيمان باليوم الآخر لما فيه من الجزاء والثواب على ما نالوه مـن إيمان في الدنيا، وهذا ما نراه يتكرَّر كثيراً في القرآن الكريم وفي السنة النبوية، والله تعالى أعلم.

ب- عدم المحبة والموالاة والموادَّة بينهم رضي الله تعالى عنهم وبين مـن عادى الله تعالى ورسولَه ﷺ، وشاقَّهما.

ج- حتى لو كان المحادُّون لله تعالى ولرسوله ﷺ أقرب المقرَّبين لهم من آباء، أو أبناء، أو إخوان، أو أزواج، أو عشيرة،... فإن إيمانَهم يزجرهم عن ذلك، ويمنعهم منه، ورعايةُ الإيمان أقوى عندهم من رعاية القرابة الكـافرة. وهذا ما حصل مع كثير منهم رضي الله تعالى عنهم، حيث هجروا أهـاليهم وذويهم، بل منهم من قَتل قريبَه لكفره وعناده ومعاداته، والله تعالى أعلم.

د- كتب الله في قلوبهم الإيمان. ومن كتب الله تعالى في قلبه الإيمانَ من ينـزعه منه؟ لا أحد،... لذا فالويل لمن زعم عدم إيمانهم، بعد أن أخـبر الله

عز وجل بأنه جعله في قلوبهم وأثبته فيهم، وغرسه في جوارحهم، فمن نفاه عنهم فقد عارض الله جل شأنه في قوله، وأبطله. لذا كانت الخسارةُ تنتظره، والعياذ بالله تعالى.

هـ- تأييد الله تعالى لهم بروح من عنده. حيث جعل الإيمانَ في قلوبهم، وأكرمهم بالنصر والتأييد، ونوَّر قلوبَهم بالإيمان وحجة القرآن، وأمدَّهم بالملائكة الكرام، وأنزل عليهم رحمته، والله تعالى أعلم.

و- إكرام الله تعالى لهم بدخول الجنات التي تجري من تحتها الأنهار.

ز- خلودهم في الجنات إلى الأبد. ومن قضى الله تعالى بخلوده في الجنة، فلن يضل ولن يشقى، بل هو السعيدُ كاملُ الإيمان. كما أنه لن يخرج منها، لأن وعد الله تعالى لن يتخلّف، والله تعالى أعلم.

ح- رضاء الله تعالى عنهم، فَقَبِلَ أعمالَهم، وأفاض عليهم آثار رحمته العاجلة والآجلة. ومن رضي الله تعالى عنه؛ فلن يسخط عليه تعالى؛ لأن وعد الله تعالى لن يتخلف. ثم إن رضاه عز وجل هو أعلى درجات التزكية والتعديل، وإلاّ كيف رضيهم ليكونوا حملة شرعه، ومبلغي دينه؛ إن لم يكونوا كذلك؟ لذا فالويل كل الويل لمن يتكلّم فيهم أو يضلّلهم.

ط- رضاهم عن ربهم تعالى، وهذا-وإن كان دون المرتبة الأولى، وهي رضاء الله تعالى عنهم-إلاّ أنه دالٌّ على كمال إيمانهم، وتذوقهم لحلاوته.

* قال ﷺ: (ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً). رواه مسلم، من حديث العباس رضي الله تعالى عنه[٢٦٥].

(٢٦٥) صحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب الدليل على أن من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً؛ فهو مؤمن، رقم (٥٦).

ي- إن رضاهم عن الله عز وجل مقابل رضا الله تعالى عنهم، ولا شك أن رضاه عز وجل عنهم أعلى وأجل من رضاهم عنه تعالى. ذلك أن فعل العبد -غالباً- معلول، أما فعل الله تعالى فلا، إنما هو التكريم والمنح. ثم إن رضاءَ الله تعالى هو رضا الأعلى عن الأدنى، أما رضاهم عن ربِّهم فهو رضا الأدنى عن الأعلى، والله تعالى أعلم.

ك- هم حزب الله تعالى وجنده؛ الذين يمتثلون أوامرَه، وينْزجرون بنهيه، ويقاتلون أعداءه، وينصرون أولياءه.

ل- إضافتهم إلى الله تعالى، هو تشريف منه تعالى لهم عظيم، وتكريم منه تعالى لهم فخيم، فمن أضافه الله تعالى إليه فلا يشقى، بل هو السعيد. لذا فالويل لمن ادعى بُعْدَهم وضلالهم.

م- هم المفلحون الفائزون الكاملون في الفلاح. الذين صار فلاحُهم هو الفرد الكامل، حتى صار فلاحُ غيرهم بالنسبة إلى فلاحهم كلا فلاح. فنالوا السعادتين في الدنيا والآخرة. رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، وحشرنا معهم تحت لواء سيد المرسلين عليه وآله الصلاة والسلام.

٧٧- وصف المهاجرين والأنصار بالوصف اللائق، ووجوب الدعاء لهم:

قال الله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ

ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[٢٦٦].

لقد ذكر الله سبحانه وتعالى في الآيات السابقة على هذه: الفيءَ، ومن يستحقه، وذكر في هذه الآيات حالَ المهاجرين والأنصار وأتباعِهم الفقراء الذين يستحقون ذلك الفيء، فوصف المهاجرين والأنصار رضي الله تعالى عنهم بأوصاف غاية الثناء والمدح والإطراء، حيث بيَّن فضلَهم وأحوالَهم وأوصافهم، وذلك:

أ – الذين أُخرجوا من ديارهم وأموالهم،... نتيجة لمخالفتهم أقوامهم الكافرين في دينهم، وهاجروا ابتغاء مرضاة الله سبحانه وتعالى، وخرجوا حبّاً لله تعالى ولرسوله ﷺ، واختاروا الإسلام مع ما هم فيه من الشدة، حيث إن الواحد منهم ليعصب على بطنه الحجر من شدة الجوع، وتركوا الأموال للكفار، طلباً لرضوان الله تعالى، ورغبة فيما عند الله عز وجل.

ب– نصرهم لله تعالى ورسوله ﷺ، ودين الإسلام الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى، وبعث به رسوله محمداً ﷺ.

ج– شهادة الله تعالى لهم بالإخلاص، والثناء عليهم بإرادتهم بأعمالهم وجه الله تعالى، فهم لم يخرجوا لطلب دنيا، ولا مال أو جاه، إنما هاجروا يبتغون فضل الله تعالى ورضوانه، ونصرةَ الله تعالى ورسولِه الكريم ﷺ.

د– شهادة الله تعالى لهم بأنهم الصادقون ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ الذين

(٢٦٦) سورة الحشر (٨–١٠).

صدقوا أقوالهم بأفعالهم، وهذه شهادة من الله سبحانه وتعالى أثنى فيها على سادات المهاجرين رضي الله تعالى عنهم، فمن شنَّع عليهم بما يتعارض وهذه الشهادة؛ كان مخالفاً، وراداً لشهادة الله سبحانه وتعالى، ويحتاج إلى تجديد إيمان؛ لأنه يكذِّب الله سبحانه وتعالى، والعياذ بالله تعالى.

ثم إن الله جل شأنه ذكر الأنصار رضي الله تعالى عنهم وأثنى عليهم، وذكر فضلهم ومكانتهم.

هـ- تبوؤهم رضي الله تعالى عنهم الدار-دار الهجرة-وسكناهم لها قبل المهاجرين رضي الله تعالى عنهم؛ لأنها دارهم.

و- تبوؤهم رضي الله تعالى عنهم بالإيمان قبل كثير من المهاجرين، علماً بأن دخول أغلب الأنصار في الإسلام-قبل وصول النبي الكريم ﷺ إلى المدينة المنورة-كان عن طريق المهاجرين، وأغلبهم على يد مصعب بن عُمير رضي الله تعالى عنه.

ز- محبتهم للمهاجرين رضي الله تعالى عنهم جميعاً، وذلك لكرمهم، وشرف أنفسهم، حتى واسوهم بأموالهم، وطلبوا من النبي ﷺ أن يقسم النخيل بينهم وبين المهاجرين، فكفوهم المؤنة، وشركوهم بالثمرة. وسيأتي ذكرُ الحديث بعد قليل، إن شاء الله تعالى.

ح- لا يجدون في أنفسهم حسداً للمهاجرين، فيما فضَّلهم الله عز وجل به من المنزلة، وما أكرمهم به من الشرف، وما خصهم به من الكرامة، وما منحهم من التقديم في الذكر والمرتبة والفضل. رضي الله تعالى عنهم.

ط- تقديمهم حاجة المحتاج على حاجة أنفسهم، ويؤثرون الناس قبلهم،

مع احتياجهم إلى ما بأيديهم، كما يبدؤون بالناس قبل ابتدائهم بأنفسهم وأهليهم. ويوضح ذلك

* عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن رجلاً أتى رسولَ الله ﷺ، فبعث إلى نسائه، فقلن: ما معنا إلاّ الماء، فقال رسول الله ﷺ: (من يضم -أو يضيف- هذا؟) فقال رجل من الأنصار: أنا، فانطلق به إلى امرأته، فقال: **أكرمي ضيف رسول الله ﷺ**، فقالت: ما عندنا إلاّ قوتُ صبياني، فقال: هيئي طعامَك، وأصْبحي سراجَك، ونوِّمي صبيانَكِ إذا أرادوا عَشاءً [زاد مسلم: وقرِّبي للضيف ما عندك] فهيأت طعامَها، وأصْبحت سراجَها، ونوَّمت صبيانَها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها، فأطفأته، فجعلا يُرِيَانه أنهما يأكلان، فباتا طاوِيَيْن، فلما أصبح، غدا إلى رسول الله ﷺ، فقال: (ضحك الله الليلة -أو عجب- من فعالكما) فأنزل الله ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾. متفق عليه، واللفظ للبخاري(٢٦٧).

زاد في رواية مسلم: فقام رجل من الأنصار يقال له: أبو طلحة.اهـ.

ي- من وقاه الله سبحانه وتعالى شحَّ نفسه، فلا يأكل مال غيره، ولا يظلم أحداً، ولا يعتدي على أحد، و لم يرتكب المعاصي، فقد أفلح وأنجح، وقد فاز هؤلاء الأنصار رضي الله تعالى عنهم بهذه الكرامة، ونالوا الفلاح والنجاح.

---

(٢٦٧) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار: باب ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الأشربة: باب إكرام الضيف وفضل إيثاره، رقم (١٧٢-١٧٣).

ك- هذه السِّمةُ الكريمةُ لم تكن خاصة بالأنصار رضي الله تعالى عنهم، بل هي شاملة للمهاجرين، إذ الذي ينسلخ من ماله كله، ويقدِّمه كله لله تعالى ولرسوله ﷺ، فقد آثر غيره على نفسه وعياله، ولكنه واثق بالله تعالى وفضله، والله تعالى أعلم.

* عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: أمرنا رسولُ الله ﷺ يوماً أن نتصدق، فوافق ذلك مالاً عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر، إن سبقتُه يوماً. فجئت بنصف مالي. فقال ﷺ: (ما أبقيت لأهلك؟) قلت: مثلَه. قال: وأتى أبو بكر رضي الله تعالى عنه بكلِّ ما عنده. فقال له رسول الله ﷺ: (ما أبقيت لأهلك؟) قال: أبقيت لهم الله ورسولَه. قلت: لا أسابقك إلى شيء أبداً. رواه أبو داود، والترمذي والحاكم -وصححاه، وأقره الذهبي- وعبد بن حُميد والبغوي والضياء، في آخرين(٢٦٨).

* ومثله ما حدث في غزوة اليرموك، حيث أُتي أحدُ الجرحى بماء، فسمع أنين جريح، فقال للساقي: اسقه، فلما أتى الثاني سمع صوت آخر،... فجاء فوجده قد مات، فرجع إلى الآخر فوجده قد مات،... فرجع إلى الأول

---

(٢٦٨) سنن الدارمي: كتاب الزكاة، رقم (١٦٦٧) والسنة (٢: ٨٣٢) وفضائل الصحابة (١: ٣٦٠) ومسند عبد بن حميد (٣٣ رقم١٤) وسنن أبي داود: كتاب الزكاة: باب في الرخصة في ذلك، رقم (١٦٧٨) وسنن الترمذي: كتاب المناقب: باب مناقب أبي بكر رضي الله تعالى عنه، رقم (٣٦٧٥) والمستدرك (١: ٤١٤) وشرح السنة (٦: ١٨٠) والبحر الزخار (١: ٣٩٤ رقم٢٧٠) وحلية الأولياء (١: ٣٢) والسنن الكبرى (٤: ١٨٠- ١٨١) والأحاديث المختارة للضياء (١: ١٧٢- ١٧٤) وكنز العمال (١٢: ٤٩١) وانظر: تغليق التعليق (٣: ١٠-١١).

فوجده قد مات[٢٦٩]... رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم على هذا الإيثار، وهو في اللحظات الأخيرة من الحياة.

ل- لذا يجب على الذين جاءوا من بعدهم -سواء من متأخري الصحبة، أو ممن بعدهم-أن يدعوا لهم، ويستغفروا لهم، وألاَّ يجعل أحدهم في قلبه حقداً ولا بغضاً،... على أحد منهم، فإن لم يفعل فلن يكون معهم في درجتهم يوم القيامة، والله تعالى أعلم.

٧٨- قيامهم رضي الله تعالى عنهم مع رسول الله ﷺ، ومراعاة الله تعالى لأحوالهم:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾[٢٧٠].

لما أنزل الله تعالى على نبيِّه الكريم ﷺ وجوبَ قيام الليل ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾[٢٧١]. صار ﷺ يقوم ذلك. ومن شدة اتباع الصحابة رضي الله تعالى عنهم لرسول الله ﷺ لم يجعلوه ﷺ ينفرد بذلك، بل صاروا يقومون معه مثل ما يقوم، لكنهم

(٢٦٩) انظر: البداية والنهاية (٧: ١٢).

(٢٧٠) سورة المزمل (٢٠).

(٢٧١) سورة المزمل (١-٤).

لم يكونوا على منحى واحد، فلهم ظروف، وتعتريهم أحوال، لذا خفَّف الله تعالى عليهم، بأن يقوموا ما يتيسر لهم، خاصة وقد تعتريهم عوارض؛ من مرض، أو سفر لتجارة ونحوها، أو لجهاد في سبيل الله تعالى، لذا فليقوموا حسب ما تيسر، ولكن يلتزموا بأداء الفرض، من صلاة وزكاة، وأن جميع ما يقدِّمونه سيجدونه خيراً مما قدّموه، وأعظم أجراً مما يتصورون، والله تعالى أعلم. وفي الآية:

أ - قيام هؤلاء الصحابة رضي الله تعالى عنهم على حسب طاقتهم وأحوالهم وظروفهم، فمنهم من يقوم ثلثي الليل، ومنهم من يقوم نصفَ الليل، ومنهم من يقوم ثلثَ الليل، كما يحتمل أن تختلف حالُ أحدهم حسب ظرفه وحاله وشغله.

ب- إخباره تعالى أنهم لن يستطيعوا أن يحصوا الليل، ويقوموا الفرضَ الذي أوجبه عليهم، لذا عليهم أن يقوموا قدر طاقتهم.

ج- إكرامهم بمعية رسول الله ﷺ، وهذا مكسب كبير، وثناء جميل.

د-توبة الله تعالى عليهم، وذلك عند فوتهم للقيام وعجزهم عنه،...

هـ- حثُّه تعالى لهم على التخفيف على أنفسهم، وعليهم أن يقوموا قدر ما تيسّر، ومن غير إلزام بوقت ومقدار محدد، إنما هو حسب الطاقة، ولا يكلفوها فوق المشقة.

و- تقدير الله تعالى لحالات الصحابة رضي الله تعالى عنهم -والأمة من بعدهم- ومراعاة ظروفهم، من مرض أو سفر لتجارة لابتغاء فضل الله أو جهاد في سبيل الله تعالى.

ز- حثه تعالى لهم على الإنفاق، وعبّر عن ذلك بقوله: ﴿وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًاۚ﴾ فإنه تعالى يجازيه أضعاف ما أنفق، كما قال تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةًۚ﴾(٢٧٢).

ح- كلُّ ما يقدمونه من خير لأنفسهم فمردوده إليهم، حيث إنهم سيجدونه يوم القيامة خيراً مما قدّموه، وأعظم أجراً مما فعلوه. لأن المال الذي يتركونه بعدهم فهو للورثة من بعدهم، بينما الذي يقدِّمونه بين أيديهم سيجدونه مثمَّناً لهم يوم القيامة.

* عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال النبيُّ ﷺ: (أيُّكم مالُ وارثه أحبُّ إليه من ماله؟) قالوا: يا رسول الله؛ ما منا أحدٌ إلاّ مالُه أحبُّ إليه. قال: (فإن مالَه ما قدَّم، ومالَ وارثه ما أخّر). رواه البخاري(٢٧٣).

ط- رحمته تعالى ومغفرته لهم، فهو يقبل منهم توبتهم واستغفارهم، ويرحم ضعفهم، ويقبل طاعتهم، والله تعالى أعلم.

٧٩- تيسير الله تعالى الصِّدِّيق رضي الله تعالى عنه للخير المفضي إلى الجنة:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾(٢٧٤).

ذهب الجمهور إلى أن هذه الآيات، نزلت في الصِّدّيق الأكبر أبي بكر

(٢٧٢) سورة البقرة (٢٤٥).

(٢٧٣) صحيح البخاري: كتاب الرقاق: باب ما قدّم من ماله فهو له.

(٢٧٤) سورة الليل (٥-٧).

رضي الله تعالى عنه.

كان رضي الله تعالى عنه يعتق على الإسلام بمكة، فكان يعتق عجائز ونساء إذا أسلمن، فقال له أبوه: أي بني أراك تعتق أناساً ضعفاء، فلو أنك تعتق رجالاً جلداء يقومون معك، ويمنعونك، ويدفعون عندك. فقال: أي أبت، إنما أريد ما عند الله تعالى، فنزلت هذه الآيات(٢٧٥).

أ - إعطاؤه رضي الله تعالى عنه المال في طاعة الله تعالى، وليس لغرض دنيوي.

ب- تقواه رضي الله تعالى عنه لله تعالى، وورعه واحتياطه وتزكيته، ومن شهد الله عز وجل له بالتقوى فإنه يكون عملُه مقبولاً عنده تعالى، لأن الله تعالى إنما يتقبَّلُ من المتقين ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾(٢٧٦).

ج- تصديقُه رضي الله تعالى عنه بما جاء به رسولُ الله ﷺ من العبادات والمجازاة،... إلى تصديقه وإيمانه بالجنة، التي سيكرمه الله تعالى بها.

د- كونه رضي الله تعالى عنه التقي النقي الأتقى.

هـ- تيسير الله عز وجل له رضي الله تعالى عنه لليسرى، نتيجة تصديقه به وبآياته، والله تعالى أعلم.

٨٠- سيرضي الله تعالى الصّدّيق رضي الله تعالى عنه، وسيجنبه النار:

قال الله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى (١٧) ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ (١٩) إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾(٢٧٧).

(٢٧٥) انظر: تفسير الطبري، وابن كثير، والدر المنثور (٨: ٥٣٥-٥٣٦).

(٢٧٦) سورة المائدة (٢٧).

(٢٧٧) سورة الليل (١٧-٢١).

لقد ذهب جميع المفسرين -بل حكى الإجماعَ بعضُهم كما نقله ابن كثير رحمه الله تعالى[٢٧٨]- على أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أيضاً.

ففي هذه الآيات الكريمات: من الثناء والتكريم والتبجيل،... ما يليق به رضي الله تعالى عنه، بأنه سيُجنَّبُ عن النار، فلا يراها، وأن الله عز وجل سيرضيه يوم القيامة، وذلك:

أ - تجنيب الله تعالى للصِّدّيق رضي الله تعالى عنه عن النار، وإبعاده عنها، حيث يجعلها على جانب، وهو رضي الله تعالى عنه على جانب، فهو بعيد عنها ولا يراها.

ب- وصفُ الله تعالى له بأعلى أوصاف المدح والثناء، وأعلى أوصاف المتقين -وهو الأتقى- وهو رضي الله تعالى عنه جدير بهذا الوصف الكريم، والثناء الحفيل.

ج- إعطاؤه رضي الله تعالى عنه المال طمعاً في أن يحصل له رؤية ربه تعالى يوم القيامة في روضات الجنات، وليس طمعاً في دنيا، أو رغبة فيها.

د- تزكية الله عز وجل للصِّدّيق رضي الله تعالى عنه، وشهادته تعالى له رضي الله تعالى عنه بالإخلاص، فهو لم يعط ماله لمكاسب دنيوية، أو شهرة

---

(٢٧٨) انظر: أسباب النُّزول (٤٨٦-٤٨٨) وكتب التفسير التالية: البغوي (٤: ٤٩٦) والماوردي (٦: ٢٨٧-٢٩٠) وزاد المسير (٨: ٢٦٣-٢٦٥) وابن كثير (٤: ٥٢٠-٥٢١) والدر المنثور (٨: ٥٣٧-٥٣٨) وفتح القدير (٥: ٤٥٢-٤٥٥) وروح المعاني (٣٠: ١٥٢-١٥٣) وغيرها.

زائلة، ولا يعتق بقصد المكاثرة، إنما يفعل ذلك رغبة لما عند الله تعالى.

هـ- تيسيره رضي الله تعالى عنه لفعل الخيرات، والوصول إلى الجنة.

و- إخبار الله تعالى أنه لا أحد من الخلق له يدٌ على أبي بكر رضي الله تعالى عنه يكافئه عليها، بل هو له أيد على الناس. كما ستأتي الإشارة إليه.

ز- شهادة الله تعالى للصِّدّيق رضي الله تعالى عنه بأنه إنما يفعل الخيرات -من بذلٍ للمال، وإعتاقٍ للعبيد- كل ذلك يفعله يبتغي به وجه الله تعالى.

ح- سيرضيه الله تعالى في الجنة، بما يعطيه من الثواب الجزيل، ويكرمه بالنعيم المقيم.

وكيف تحمَّل أبو بكر رضي الله تعالى عنه هذا الثناء، وهذا التكريم -خاصة وهو من الله تعالى- بحيث إن الله تعالى سيعطيه حتى يرضى، وعادةً يكون الممدوح في مثل هذا الموقف بين أمرين -غالباً- إما يشمخ بأنفه علواً واستكباراً على الخلق، وإما أن ينمحق خضوعاً وانكساراً وتذللاً، ولكن لا يستغرب إذا عرفنا قوةَ إيمان الصِّدّيق رضي الله تعالى عنه، وثبات جنانه، وارتفاع مكانته،... بحيث لم ينلها أحدٌ من الخلق -بعد الأنبياء عليهم السلام- سواه.

ط- هذا الفضل من الله جل شأنه، والتكريم منه عز وجل لأبي بكر رضي الله تعالى عنه يدل على علو مَنْزلته عند الله تعالى، وعظم مكانته لديه، ورفعة قدره، وإلاّ كيف إن الله تعالى يُرضيه؟ لو لم يكن أهلاً لذاك؟ ثم مقابل ماذا؟ ثم ماذا يدل ذلك؟ لذا من حقد عليه أو كفّره أو سبّه،... فالويل لأمه إن لم يتب، ومن نظر فيما عاقب الله تعالى من أعلن عداوته له لرأى العجب.

قال العلامة ابن كثير رحمه الله تعالى-بعد ذكره حمل المفسرين هذه الآيات على أبي بكر الصديق الأكبر رضي الله تعالى عنه-: مقدَّمُ هذه الأمة، وسبّاقُهم في جميع هذه الأوصاف، وسائر الأوصاف الحميدة، فإنه كان تقيّاً كريماً جواداً بذّالاً لأمواله، في طاعة مولاه، ونصره رسول الله ﷺ، فكم من دراهم ودنانير بذلها ابتغاء وجه ربه الكريم، ولم يكن لأحد من الناس عنده منّةٌ يحتاج إلى أن يكافئه بها، ولكن كان فضله وإحسانه على السادات والرؤساء من سائر القبائل، ولهذا قال له عروةُ بنُ مسعود -وهو سيد ثقيف- يوم صلح الحُدَيْبِيَة: أما والله لولا يدٌ لك عندي لم أجزك بها لأجبتُك[٢٧٩]،... وكان الصِّدّيق-رضي الله تعالى عنه-قد أغلظ له في المقالة.

فإذا كان هذا حاله مع سادات العرب، ورؤساء القبائل، فكيف بمن عداهم؟

ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾.

* وفي الصحيحين[٢٨٠]، أن رسول الله ﷺ قال: (من أنفق زوجين في سبيل الله دعته خزنةُ الجنة: يا عبد الله، هذا خير).

---

(٢٧٩) صحيح البخاري: كتاب الشروط: باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط.

(٢٨٠) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة: باب قول النبيِّ ﷺ: (لو كنت متَّخذاً خليلاً)، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الزكاة: باب من جمع الصدقة وأعمال البر، رقم (٨٥، ٨٦) وسيأتي ذكره في الباب الثاني إن شاء الله تعالى.

فقال أبو بكر -رضي الله تعالى عنه-: يا رسول الله؛ ما على من يُدعى منها ضرورة، فهل يُدعى منها كلها أحد؟ قال: (نعم، وأرجو أن تكون منهم).

قلت: والرجاء من الله تعالى أو من رسوله ﷺ واقع، وقد جاء في حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بسند صحيح مصَرَّحاً به: (أجل، أنت هو يا أبا بكر)[٢٨١].

وما ذكرته هو جزء مما جاء في فضل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم، إذ لم أستوعب كلَّ ما جاء في فضلهم، وعلو مكانتهم، وكريم مَنْزلتهم، وحسن الثناء عليهم، وجميل وصفهم، في كتاب الله تعالى، لكني ذكرت ما يدل على ذلك مختصِراً، وليس القصد هو الاستقصاء، والعاقل تكفيه الإشارة، والشقي لا تكفيه المجلدات؛ لأن قلبه مملوء حقداً وبغضاً، لكن أرجو من الله تعالى أن يُثَبِّتَ الصادقَ المحبَّ العاقلَ، وأن يهدي الضّالَّ الشَّقيَّ -إذا كان يؤمن بكتاب الله تعالى، ورسوله وحبيبه ﷺ- ويقيم الحجة على المعاند الشقي المكابر. إنه قادر على ذلك، وهو وليي، ونعم الوكيل.



(٢٨١) صحيح ابن حبان (١٥: ٢٨٢-٢٨٣) والمعجم الكبير(١١: ٩٨) والمعجم الأوسط (١: ٢٩٨) ومجمع البحرين (٦: ٢٢٤-٢٢٥) ومجمع الزوائد (٩: ٤٦).

خاتمة الباب الأول

وفي ختام هذا الباب، الذي ذكرتُ فيه مكانة الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنه في القرآن الكريم، فإني أحب أن أذكر فضلهم رضي الله تعالى عنهم ومكانتهم على الإجمال، بما ورد في القرآن الكريم:

من خلال الآيات القرآنية التي ذكرتُها أخلص إلى بيان وصف الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم، بما أثنى عليهم الله تعالى، من وصفهم بكريم الخصال، ومدحهم بجميل الفعال، وإكرامهم بمنح العطايا، وما خصوا بالصفات الكريمة، والمنح الجليلة، وأضفى عليهم الأوصاف الكريمة النبيلة، والأسماء العالية الشريفة، والنعوت السامقة المنيفة.

- فقد وصفهم سبحانه وتعالى بالإيمان، وأكرمهم برضاه تعالى عليهم، وإنزال السكينة عليهم، وأثابهم سبحانه وتعالى الفضل الكبير، وما سطَّره في الكتب القديمة السابقة، مِن وصفهم وكمالهم،... وما وعدهم بالمغفرة والأجر العظيم، وما ذكره من تأييده لهم، ونصره إياهم، وزيادة الإيمان في قلوبهم، وإدخالهم الجنة، والخلود فيها، وما أخبر عز وجل من تكفيره السيئات عنهم، وإلزامهم كلمة التقوى، وكونهم رضي الله تعالى عنهم أحق بها، وكانوا أهلها، واستجابة دعواتهم، وتأييد رسوله وحبيبه ﷺ بهم، وتأليف قلوبهم.
- وما ذكره الله سبحانه وتعالى من إنزال الملائكة مدداً لهم، وبشرى لهم، وطمأنة قلوبهم وربطها، وتثبيتاً لهم، كل ذلك في أحلك الظروف

وأقساها، وإنزال النعاس عليهم أمنةً لهم، ودفاعه تعالى عنهم، وما جعل لهم من الخيرات في الدنيا والآخرة.

- وكيف حبَّب الله تعالى إليهم الإيمان، وزيَّنه في قلوبهم، وكرَّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان.
- كما جعل تعالى شهداءَهم أحياء عند الله عز وجل، وما وصفهم من استجابتهم لله عز وجل ولرسوله ﷺ؛ بعد إصابتهم بالجروح الشديدة، والكلوم المعيقة، وتسليمهم المطلق لله عز وجل، وسمعهم وطاعتهم لله عز وجل ولرسوله ﷺ.
- وما وعدهم الله تعالى بالاستخلاف في الأرض، وتمكين دينهم لهم، وإبدال خوفهم أمناً، ووعدهم بالحسنى، وما أكرمهم الله عز وجل بنعمة الله تعالى عليهم وفضله.
- وما جعلهم من المصطَفَين الأخيار، واصطفائهم من الخلق؛ ليكونوا صحابةً لرسوله الكريم ﷺ، وهم خيارُ الخلق بعد الأنبياء عليهم السلام، وهم شهداء الله تعالى على خلقه، وهم الظاهرون، المؤيَّدون، وما رزقهم من الطيبات، وما أنقذهم من النار، وكيف باعوا نفوسهم وأموالهم لله عز وجل، ولهذا أعطاهم حسن الثواب، وتولاهم الله عز وجل، وتصديقه وعده لهم، وعفوه سبحانه وتعالى عنهم.
- وما ذكره جل شأنه من وجل قلوبهم إذا سمعوا ذكر الله عز وجل، وتوكلهم عليه سبحانه وتعالى، وقيامهم بالعبادات على أحسن وأتم وجه، وما أعد لهم في الآخرة من المراتب العالية، والدرجات الرفيعة، والرزق الكريم، وغفران الذنوب، وما خفَّفَه الله عز وجل عنهم مما كان على

الأمم السابقة، وما وصفهم به من قيام الليل، وتجافي جنوبهم عن المضاجع، ودعوتهم لله تعالى خوفاً وطمعاً، وإنفاقهم مما رزقهم الله عز وجل، وعدم التكبر، ومحبة الله تعالى لهم، ومحبتهم لله تعالى، وكونهم أذلة على المؤمنين، أعزة على الكافرين، متواضعين لله تعالى، مخلصين العمل له عز وجل، وولايتهم الله تعالى ورسوله ﷺ والمؤمنين، وإقامة شعائر الله عز وجل، واستغفارهم بالأسحار.

- ورضى الله تعالى عليهم، ورضاهم على الله عز وجل، وخلودهم في الجنة، والنعيم المقيم، وتوبة الله تعالى عليهم جميعاً، ورأفته تعالى ورحمته بهم.
- وما ذكره الله تعالى عنهم من إيثارهم غيرهم على أنفسهم، وتقديم حاجة المحتاج على حاجة أنفسهم، ونصرهم الله عز وجل ورسوله ﷺ، وبشارة الله تعالى لهم بالرحمة والرضوان والجنان، والخلود في ذلك، وعدم تضييع أعمالهم، ووقوع أجرهم على الله عز وجل، وما وصفهم بالطهارة، ومحبة الله تعالى لهم، وأنهم تركوا أموالهم وأهليهم وديارهم وهاجروا إلى الله تعالى وإلى رسوله ﷺ، ولهذا لا يجوز للنبي ﷺ أن يتزوج إلاّ مهاجرة - ولو كن قريبات له ﷺ - إكراماً لهم،...
- وقد وصفهم الله عز وجل بأنهم حزب الله تعالى الغالبون، السابقون، المقرَّبون، المفلحون، الصادقون، الراشدون، المتقون، المحسنون، الرِّبِّيون، الفائزون،...المؤمنون حقاً، العابدون، المخلصون، وهم المهديون، وأولو الألباب، المصطَفَوْن.
- ولا يجوز للنبي ﷺ طردهم، ولا تقنيطهم، بل يسلّم عليهم ويدنيهم.

- ولهذا يتودَّد الله تعالى لهم، ويكرمهم، وأنه تعالى سيجزيهم أجورهم بأحسن أعمالهم، بما تشتهيه أنفسهم في الجنة، وأنه تعالى وليُّهم، فكفَّر عنهم أسوأ أعمالهم، فأدناها من باب أولى، وقد نزع من قلوبهم الغلَّ والحسد، والضغائن، وجعلهم إخوةً متحابّين، لذا يبشرهم رسول الله ﷺ بما أعد الله تعالى لهم، وبما سيكرمهم به، وأنهم في الجنة مع النَّبيّين والصِّدّيقين؛ لأنهم إما شهداء، أو صالحون، ومنهم الصِّدِّيقون. وما وصفهم تعالى من حرصهم على الجهاد وبذل المهج في سبيل نصرة هذا الدين، حتى لو كانوا محتاجين أو معذورين،....
- وهذا جزء من فضلهم ونعتهم وكرامتهم، وعلو مقامهم، وكريم مَنْزلتهم، ورفعة شرفهم رضي الله تعالى عنهم. كيف وقد جعل الله تعالى أفضل رسله ﷺ، وأكرم أصفيائه، وخير خلقه ﷺ، وسيد أنبيائه عليه وعليهم الصلاة والسلام،... جعله منهم، وجعلهم صحابتَه، ووزراءَه، وجلساءَه، وندماءَه، وأصهاره، وأرحامه، رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، ويكفيهم هذا شرفاً وفخراً لو كان وحده، فكيف إذا انضم إليه ما ذكرتُ، وما لم أذكر من ثناء الله تعالى ومدحه إياهم؟
- وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد رضي عنهم، وأحبهم، وأثنى عليهم، ومدحهم،... فما قيمة ثنائنا ومدحنا،... نحن البشر؟ إنما هو إظهارٌ لذلك، وتطفُّلٌ على مائدتهم، ولعل الله تعالى يحشرنا معهم، تحت لواء هذا الحبيب المصطفى الكريم ﷺ، هذا ما أرجوه، إنه جواد كريم.



الباب الثاني

مكانة الصحابة رضي الله تعالى عنهم في السنة النبوية

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول : ما ورد في السنة النبوية المطهَّرة من الثناء على الصحابة رضي الله تعالى عنهم جملة، وإظهار فضلهم ومكانتهم.

الفصل الثاني : ما ورد في السنة النبوية المطهَّرة من الثناء على المهاجرين رضي الله تعالى عنهم وإظهار فضلهم ومكانتهم.

الفصل الثالث : ما ورد في السنة النبوية المطهَّرة من الثناء على الأنصار رضي الله تعالى عنهم وإظهار فضلهم ومكانتهم.

الفصل الرابع : ما ورد في السنة النبوية المطهَّرة من الثناء على أشخاص مخصوصين رضي الله تعالى عنهم.

مقدمة الباب الثاني

لقد جاءت أحاديث كثيرة عن النبي المصطفى الكريم ﷺ تبين فضل الصحابة الكرام، ورفعة قدرهم، وتشيد بمكانتهم عند ربهم عز وجل، وعلو مقامهم، وكريم سجاياهم، وجميل خصالهم،... رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم.

حيث بيّنت الأحاديث الشريفة أن الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم خيرُ قرون بني آدم، وأنهم خير قرون هذه الأمة، فهم خير الأولين والآخرين- عدا الأنبياء والمرسلين على نبينا وعليهم الصلاة والسلام-وهم أمَنَةٌ لهذه الأمة، وقد اختارهم الله عز وجل ليكونوا أصحاب نبيِّه وصفيّه الكريم ﷺ، وأن الأمة لا تزال بخير ما بقي صحابيٌّ على وجه الأرض، وأنه يُفتح على الجيش إذا كان فيه صحابي، وهم شهداء الله تعالى في أرضه، وأن رسول الله ﷺ شهيدٌ عليهم بما قدّموا وبذلوا وضحّوا،...

ولهذا أوصى بهم رسول الله ﷺ، وبوجوب إكرامهم، والدعاء لهم، والاستغفار لهم، رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، ونهى ﷺ عن سبِّهم، وبيَّن ﷺ أنّا لن نصل إلى درجتهم، ولن نستطيع أن ننال ثوابهم، وذلك لعلو مقامهم، ورفعة قدرهم، وحسن تقبل الله تعالى لهم، وأنهم رضي الله تعالى عنهم في معيّة رسول الله ﷺ في الآخرة، كما كانوا رضي الله تعالى عنهم أصحابَه وأصهارَه ووزراءَه،... ﷺ في الدنيا.

كما جاءت نصوص كثيرة تبيِّنُ فضلَ المهاجرين، ووقوع أجرهم على الله تعالى، وأنهم انفردوا بالهجرة، وأنها مضت لهم، وأن هجرتهم رضي الله تعالى عنهم جبَّت ما قبلها، وأن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل الأغنياء، بل هم أول من يدخل الجنة،... وأن سابقهم أحبُّ إلى رسول الله ﷺ من متأخرهم -ولو كان المتأخر عزيزاً- وأن المهاجر يُغفر له، ولهذا دعا لهم رسول الله ﷺ.

كما جاءت نصوص كثيرة تبيّن فضلَ الأنصار رضي الله تعالى عنهم، وأن آيةَ الإيمان حبُّهم، وآيةَ النفاق بغضهم، وأنه لا يبغضهم مؤمن، وأنهم أحب الناس إلى رسول الله ﷺ، ولهذا تمنى ﷺ -لولا الهجرة- أن يكون من الأنصار، فجعل المحيا محياهم، والممات مماتهم، وأنه ﷺ لن يموت إلاّ عندهم، فجعلهم بطانتَه وخاصَّتَه، فأوصى بهم، ودعا لهم ولأتباعهم، وذرياتهم وأحفادهم ولنسائهم،... ونهى عن سبِّهم، وبيّن ﷺ خَيْرِيَّتهم، وأنهم لن يهاجروا؛ لأن الناس تهاجر إليهم.

كما ذكر ﷺ ثناء الله تعالى عليهم، وأنهم أعفة صبر،...ولهذا أخبر ﷺ أن من أخاف أهلَ المدينة فقد أخاف ما بين جنبيه ﷺ، وأن عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

كما بيَّن ﷺ فضلَ وثوابَ ومكانة مجموعات من الصحابة رضي الله تعالى عنهم، كأهل بدر -وأنهم أفضل الناس، ولن يدخل أحد منهم النار، وأنهم قد غُفر لهم السابق واللاحق -وأهل بيعة الرضوان- وأنهم أفضل أهل

الأرض، ولن يدخل أحد منهم النار.

كما أن الصحابة رضي الله تعالى عنهم سادات أهل الجنة، ومنهم مَن يدخل من أبواب الجنة الثمانية، ومنهم المحدَّث المُلْهَم، ومن نزل القرآنُ الكريم على رأيه، ومن سلَّم الله تعالى وجبريلُ عليه السلام عليه، ومنهم مَن اهتز عرش الرحمن لموته، ومنهم من تظلّله الملائكة، وتنزل عليه السكينة، رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم.

ولا أستطيع أن أذكر كل ما جاء في شأنهم رضي الله تعالى عنهم - عموماً أو خصوصاً- لأن القصد هو التنبيه إلى فضلهم، وعلو مقامهم، ورفعة قدرهم،... وبيان مكانتهم عند الله عز وجل وعند رسوله ﷺ، لذا سأذكر بعض النصوص فيما جاء في فضلهم، ولا أشرحها، وأُقلُّ من التعليق عليها، لأن القصد هو ذكر المناقب والفضائل لا شرحها.

وقد جعلتُ هذا الباب مكوّناً من أربعة فصول:

الفصل الأول: ما جاء في السنة النبوية من الثناء عليهم جملة، وإظهار فضلهم ومكانتهم.

الفصل الثاني: ما ورد في السنة النبوية المطهَّرة من الثناء على المهاجرين، وإظهار فضلهم ومكانتهم رضي الله تعالى عنهم.

الفصل الثالث: ما ورد في السنة النبوية المطهَّرة من الثناء على الأنصار، وإظهار فضلهم ومكانتهم رضي الله تعالى عنهم.

الفصل الرابع: ما ورد في السنة النبوية من الثناء على أفراد مخصوصين منهم رضي الله تعالى عنهم.

أسأله تعالى أن يرزقنا -جميعاً- حسن الظن بهم، ويحشرنا معهم، تحت لواء السيد الحبيب المصطفى الكريم ﷺ، إنه نعم المولى ونعم النصير.



الفصل الأول

ما جاء في السنة النبوية المطهَّرة من الثناء على الصحابة رضي الله تعالى عنهم جملة، وإظهار فضلهم ومكانتهم

لقد جاءت أحاديث كثيرة عن رسول الله ﷺ فيها مدح الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وبيان فضلهم، والثناء عليهم، وعلو مكانتهم،... وبيان واجبنا نحوهم، لما قاموا به، وما فعلوه، حتى بلّغوا دين الله تعالى، وما لاقوه من شدائد، وما اقتحموه من أهوال، وما نالوه من مشقة وعناء في سبيل هذا الدين.

كما جاءت عن النبي المصطفى الكريم ﷺ أحاديث تبيّن مدى حرصه ﷺ عليهم، ومحبته لهم، ومكانتهم يوم القيامة، ومقامهم عند الله تعالى، حتى يفتح على الجيش الذي فيه من رأى رسول الله ﷺ، وهم أَمَنَةٌ لهذه الأمة، وأنهم لا يدخلون النار، وأنهم خير قرون هذه الأرض.

ولا أستطيع أن أذكر كل ما جاء في فضل الصحابة رضي الله تعالى عنهم -إجمالاً من غير تعيين- لأن المختصر لا يستوعب التفصيل، لذا سأذكر بعض الأحاديث الشريفة، تحت عناوين معينة، ليسهل حفظها، والرجوع إليها، والله سبحانه وتعالى هو المستعان.

١- هم خير قرون بني آدم إلى زمانهم رضي الله تعالى عنهم:

لقد أخبرنا رسول الله ﷺ أن قرن الصحابة رضي الله تعالى عنهم جميعاً

هو خير قرون بني آدم؛ من زمان آدم عليه السلام، إلى زمان نبينا محمد ﷺ، لا يقاربهم، ولا يدانيهم جيل من الأجيال السابقة، لأن الله سبحانه وتعالى اختارهم ليكونوا صحابةً لنبيه الكريم ﷺ.

* عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (بُعثت من خير قرون بني آدم؛ قرناً فقرناً، حتى كنتُ من القرن الذي كنتُ منه). رواه البخاري(٢٨٢).

* وعن عمران بن حُصين رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ قال: (خيركم [وعند الترمذي: خيرُ الناس] قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم) -قال عمران: لا أدري أذكر بعد قرنه: قرنين أو ثلاثة- (ثم إن بعدهم قوماً يَشهدون ولا يُستشهدون، ويخونون ولا يُؤتمنون، ويَنذِرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن).

* زاد في رواية عند مسلم: (ويَحلفون ولا يُستحلفون). متفق عليه(٢٨٣).

* وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: (خيرُ قرون الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قومٌ؛ تسبق شهادة أحدهم يمينَه، ويمينُه شهادتَه). متفق عليه(٢٨٤).

---

(٢٨٢) صحيح البخاري: كتاب المناقب: باب صفة النبي ﷺ.

(٢٨٣) صحيح البخاري: كتاب الشهادات: باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب فضل الصحابة، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم،... رقم (٢١٤-٢١٥). وسنن الترمذي: في كتابي الفتن والشهادة، رقم (٢٢٢١، ٢٣٠٢).

(٢٨٤) صحيح البخاري: في الكتاب والباب السابقين، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: في الكتاب =

* وعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: سأل رجلٌ النبيَّ ﷺ: أيّ الناس خيرٌ؟ قال: (القرنُ الذي أنا فيـــه، ثم الثـــاني، ثم الثالـــث). رواه مسلم(٢٨٥).

والمراد بالقرن الذي نسبه ﷺ إليه، فقال: (قرني) أي أصحابه رضي الله تعالى عنهم، فهم خير قرون الناس إلى زمانه ﷺ.

٢- قرن الصحابة رضي الله تعالى عنهم خير قرون هذه الأمة أيضاً:

وإذا كان قرنُ الصحابة رضي الله تعالى عنهم هو خيرَ قـــرون النـــاس السابقين، من زمن آدم عليه السلام إلى زمن رسول الله ﷺ؛ فهم كـــذلك خيرُ القرون اللاحقة إلى قيام الساعة، ولما كانت هذه الأمة هي خير الأمـــم؛ فهم خير قرونها أيضاً. وبهذا يكونون رضي الله تعالى عنهم خيرَ قرون الناس من زمن آدم عليه السلام إلى قيام الساعة، والله تعالى أعلم.

* فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (خـــيرُ أمتي القرنُ الذي بُعثت فيهم، ثم الذين يلونهم). والله أعلم أذكر الثالـــث أم لا،... الحديث. رواه مسلم(٢٨٦).

* وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رســـول الله ﷺ: (خيرُ أمتي القرنُ الذي يلوني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلـــونهم،...).

= والباب السابقين، رقم (٢١١-٢١٢).

(٢٨٥) صحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (٢١٦).

(٢٨٦) صحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (٢١٣).

الحديث. لفظ مسلم[٢٨٧].

* وعن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: (خيرُ هذه الأمة القرنُ الذي بُعثتُ فيهم، ثم الذين يلونهم،...). الحديث، متفق عليه[٢٨٨].

* وفي رواية لهما[٢٨٩] عنه رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (إن خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم). الحديث.

والنصوص في ذلك كثيرة، والحمد لله.

فهم رضي الله تعالى عنهم خير قرون بني آدم عليه السلام قبل الإسلام، وخير قرون بني آدم بعد الإسلام، كما أنهم خير قرون هذه الأمة، والله تعالى أعلم.

٣- هم رضي الله تعالى عنهم أَمَنَةٌ لأمته ﷺ:

كما جعل الله سبحانه وتعالى وجود نبيه وصفيِّه سيدنا محمد ﷺ أَمَنَةً لأصحابه رضي الله تعالى عنهم من العذاب والهلاك، كذلك جعل وجودَ أصحاب نبيّه وصفيِّه ﷺ ورضي الله تعالى عنهم أمنةً لهذه الأمة، فلن تُصاب بهلاك أو دمار ما دام فيها أحد منهم، ولهذا لما ذهب الصحابة الكرام رضي

(٢٨٧) صحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (٢١٠).

(٢٨٨) صحيح البخاري: كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ: الباب الأول. وصحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (٢١٥).

(٢٨٩) صحيح البخاري: كتاب الشهادات: باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد. وصحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (٢١٤).

الله تعالى عنهم ظهرت البدع والفتن والكوارث،...

* فعن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال: صلينا المغرب مع رسول الله ﷺ، ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء. قال: فجلسنا، فخرج علينا، فقال: (ما زلتم ههنا؟) قلنا: نعم يا رسول الله؛ صلينا معك المغرب، ثم قلنا: نجلس حتى نصلي معك العشاء، قال: (أحسنتم-أو أصبتم-) قال: فرفع رأسه إلى السماء-وكان كثيراً ما يرفع رأسَه إلى السماء، فقال: (النجوم أَمَنَةٌ للسماء، فإذا ذهبت النجومُ أتى السماءَ ما توعد. وأنا أَمَنَةٌ لأصحابي، فإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يوعدون. وأصحابي أَمَنَةٌ لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون). روه مسلم(٢٩٠).

٤- طوبى للصحابة الذين رأوا رسول الله ر وآمنوا به:

طوبى شجرة في الجنة، مسيرةُ ظلها مائة عام، وثيابُ أهل الجنة تخرج من أكمامها. وفي كل دار فيها غصن منها. وقيل: هي الفرح والغبطة، والخير. ولعل هذا المعنى مجازي، والله تعالى أعلم.

فالذين رأوا رسول الله ﷺ، وآمنوا به وصدَّقوه واتبعوه وأطاعوه،... فلهم الغبطة والفرح، والخير العميم، ويكونون عند طوبى في الجنة بإذن الله تعالى.

* فعن أبي عبد الرحمن الجهني رضي الله تعالى عنه قال(٢٩١): بينا نحن

(٢٩٠) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم: باب بيان أن بقاء النبي ﷺ أمان لأصحابه،... رقم (٢٠٧).

(٢٩١) مسند الطيالسي (١٥٤، ٢٥٢) ومسند عبد حميد (٢٤٧، ٣٠٨) ومسند أحمد (٣: =

عند رسول الله ﷺ، إذ طلع راكبان، فلما رآهما قال: (كنديان، مذحجيان) حتى أتياه، فإذا رجال من مذحج، قال: فدنا إليه أحدهما ليبايعه، قال: فلما أخذ بيده قال: يا رسول الله؛ أرأيتَ مَنْ رآك فآمن بك وصدَّقك واتبعك ماذا له؟ قال: (طوبى له) قال: فمسح على يده، فانصرف. ثم أقبل الآخر، حتى أخذ بيده ليبايعه قال: يا رسول الله؛ أرأيتَ مَنْ آمن بك وصدَّقك واتبعك و لم يرك؟ قال: (طوبى له، ثم طوبى له، ثم طوبى له) قال: فمسح على يده، فانصرف. رواه الطيالسي وابن أبي شيبة وأحمد وابن أبي عمر العدني والبزار والدولابي والطبراني في الكبير، وعزاه الهيثمي للبزار والطبراني وحسنه، كما عزاه لأحمد، وقال: رجاله رجال الصحيح، غير محمد بن إسحق، وقد صرّح بالسماع، وحسنه الحافظ ابن حجر.

وقد جاء هذا الحديث عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

* فقد رواه أحمد وابن أبي عاصم وعبد بن حُميد وأبو يعلى وابن حبان والخطيب من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه.

* ورواه الطيالسي وأحمد والبخاري في تاريخه، وابن أبي عاصم وابن حبان والطبراني من حديث أبي أمامة رضي الله تعالى عنه، وقال الهيثمي –عن

= ١٥٥) (٤: ١٥٢) (٥: ٢٤٨، ٢٥٧، ٢٦٤) والسنة (٢: ٦٣٠، ٦٣١) والتاريخ الكبير (٢: ٢٧) ومسند أبي يعلى (٢: ٥١٩–٥٢٠) (٦: ١١٩) والكنى للدولابي (١: ٤٢–٤٣) وكشف الأستار (١: ١٦٣) ومختصر زوائد البزار (٢: ٣٦٦) والمعجم الكبير (٨: ٣١٠، ٣١١) (٢٢: ٢٨٩) وصحيح ابن حبان (١٦: ٢١٣–٢١٦) والمستدرك (٤: ٨٦) ومجمع البحرين (٧: ٤٩، ٢٦–٢٧) ومجمع الزوائد (١٠: ١٨، ٢٠، ٦٦–٦٧) والمطالب العالية (٤: ١٥٥–١٥٦) وكنـز العمال (١١: ٥٣٠–٥٣٦).

رواية أحمد والطبراني-: رجالهما رجال الصحيح، غير أيمن بن مالك الأشعري، وهو ثقة. قلت: لم أر مَن وثقه إلاّ ابن حبان والهيثمي.

* ورواه ابن أبي عاصم والطبراني وأبو يعلى والحاكم من حديث عبد الله ابن بُسر رضي الله تعالى عنه، وقال الهيثمي عن طريق الطبراني: فيه بقية، وقد صرح بالسماع، فزالت الدلسة، وبقية رجاله ثقات. فالحديث حسن.

* ورواه الطيالسي وعبد بن حميد والطبراني من حديث عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما، من طرق مختلفة.

* ورواه الطبراني من حديث أبي عَمْرة رضي الله تعالى عنه.

* ورواه ابن حبان من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، بسند حديث أبي أمامة رضي الله تعالى عنه السابق.

* كما رواه الطبراني من حديث وائل بن حُجْر رضي الله تعالى عنه.

* وجاء عن غيرهم أيضاً، والحديث بطرقه صحيح، والله تعالى أعلم.

٥- اختيار الله تعالى لهم ليكونوا صحابةً لرسوله الكريم ﷺ:

إن من فضائل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم: أن الله سبحانه وتعالى اختارهم من جميع الأمم ليكونوا صحابةً لرسوله الكريم ﷺ، فهم حَظُّه من الأمم، كما أنه ﷺ حَظُّهم من الأنبياء عليهم السلام، ورضي الله تعالى عنهم.

* عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: (أنا حَظُّكم

من الأنبياء، وأنتم حَظّي من الأمم). رواه البزار وابن حبان برجال الصحيح، غير أبي حبيبة، وقد صحَّح له الترمذي، وذكره ابن حبان في الثقات(٢٩٢).

* ورواه الطبراني في الكبير، ضمن حديث طويل، وفي إسناده: أبو عامر الأسدي. قال الهيثمي: لم أر من ترجمه.

* ورواه عبد الرزاق وأحمد والطبراني وغيرهم من حديث عبد الله بن ثابت، برجال الصحيح إلاّ جابر الجعفي، وهو ضعيف. فالحديث حسن.

* وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله اختار أصحابي على العالمين، سوى النبيين والمرسلين، واختار لي من أصحابي أربعةً -يعني أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً- رضي الله تعالى عنهم- فجعلهم أصحابي، وقال في أصحابي: كلهم خير، واختار أمتي على الأمم، واختار [من] أمتي أربعة قرون، القرن الأول، والثاني، والثالث، والرابع). رواه البزار، وقال الهيثمي: رجاله ثقات، وفي بعضهم خلاف. وقال الحافظ في الإصابة(٢٩٣): رجاله موثقون. فالحديث حسن.

* وعن عويم بن ساعدة رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله تبارك وتعالى اختارني، واختار لي أصحاباً، فجعل لي منهم وزراء،

---

(٢٩٢) مصنف عبد الرزاق (٦: ١١٣) (١٠: ٣١٣-٣١٤) ومسند أحمد (٣: ٤٧٠-٤٧١) (٤: ٢٦٥-٢٦٦) وصحيح ابن حبان (١٦: ١٩٧) وشعب الإيمان (٤: ٣٠٧) ومختصر زوائد البزار (٢: ٣٩٠) وكشف الأستار (٣: ٣٢١) ومجمع الزوائد (١: ١٧٣-١٧٤) (١٠: ٦٨) وكنز العمال (١: ٢٠١) حيث عزاه لابن سعد والحاكم في الكنى أيضاً.

(٢٩٣) كشف الأستار (٣: ٢٨٨-٢٨٩) ومختصر زوائد البزار (٢: ٣٦٣-٣٦٤) والإصابة (١: ١٣) ومجمع الزوائد (١٠: ١٦).

٢٢- أهل بيعة الرضوان رضي الله تعالى عنهم خير أهل الأرض:

لما أخبر النبي المصطفى الكريم ﷺ أصحابَه الكرام رضي الله تعالى عنهم أنه رأى أهم يدخلون مكةَ محلّقين رؤوسَهم ومقصِّرين، وخرجوا محرمين بالعمرة، فصدهم قريش عن دخول مكة، فأرسل رسولُ الله ﷺ عثمانَ بن عفان رضي الله تعالى عنه ليخبر زعماء قريش أن رسول الله ﷺ ما جاء للقتال، إنما جاء معتمراً معظِّماً البيت، فحبست قريشٌ عثمان رضي الله تعالى عنه، حتى أُشيع بأهم قتلوه، فبايع رسولُ الله ﷺ أصحابَه آنذاك، وسميت هذه البيعةُ بيعةَ الرضوان. وقد سبق ذكر رضوان الله تعالى عن الصحابة الذين بايعوا رسول الله ﷺ، وأزيد هنا بأن الذين بايعوا-وكانوا (مابين ١٣٠٠-١٥٠٠ رجل)-هم خيرة أهل الأرض.

* فعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحُدَيْبِيَة: (أنتم اليوم خير أهل الأرض) وكنا ألفا وأربعمائة، لو كنتُ أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة. متفق عليه[٣٤٧].

وطالما أنّهم خير أهل الأرض، فإن من سيأتي بعدهم لن يلحقهم بطاعة، ولن ينال ثوابَهم، ولو فعل أضعاف فعلهم.

* فعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ -لما كان يوم الحُدَيْبِيَة- قال: (لا توقدوا ناراً بليل) فلما كان بعد ذلك قال:

(٣٤٧) صحيح البخاري: كتاب المغازي: باب غزوة الحُدَيْبِيَة، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الإمارة: باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال، رقم(٧١).

صنعت؟) قال: ما بي أن لا أكونَ مؤمناً بالله ورسوله، وما غيَّرتُ، ولا بدلتُ، أردت أن تكونَ لي عند القوم يدٌ يدفع الله بها عن أهلي ومالي، وليس من أصحابك هناك إلاّ وله من يدفع الله به عن أهله وماله ، فقال ﷺ: (صدق فلا تقولوا له إلاّ خيراً).

قال: فقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين، فدعني فأضرب عنقَه.

قال: فقال: (يا عمر؛ وما يدريك لعل الله اطَّلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة) قال: فدمعت عينا عمر، وقال: الله ورسوله أعلم. متفق عليه، واللفظ للبخاري(٣٤٥).

وسبق ذكر رواية مختصرة قبل قليل.

* وفي رواية أخرى عند البخاري(٣٤٦) وفيها قوله ﷺ: (أَوَ ليس من أهل بدر؟ وما يدريك لعل الله اطلع عليهم، فقال: اعملوا ما شئتم، فقد أوجبتُ لكم الجنة).

* وجاءت اللفظة في الرواية الأولى (فقد وجبت لكم الجنة) بصيغة الماضي، مبالغة في تحقيق ذلك لهم رضي الله تعالى عنهم، والله تعالى أعلم.

---

(٣٤٥) صحيح البخاري: كتاب الاستئذان: باب من نظر في كتاب من يحذر على المسلمين ليستبين أمره. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل أهل بدر رضي الله تعالى عنهم،... رقم(١٦١).

(٣٤٦) صحيح البخاري: كتاب استتابة المرتدين: باب ما جاء في المتأولين.

فقال رسول الله ﷺ: (فمه ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا﴾)[٣٤١]. رواه أحمد وابن حبان والطبراني في الكبير برجال الصحيح على شرط مسلم[٣٤٢].

* وستأتي رواية أخرى بعد قليل إن شاء تعالى، في أهل الحُدَيْبِيَة.

* ورواه أحمد وابن ماجه والطبراني وأبو يعلى والطبري والبغوي في تفسيريهما[٣٤٣] من حديث السيدة حفصة رضي الله تعالى عنها.

* ورواه البزار[٣٤٤] برجال الصحيح عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، بلفظ: (إني لأرجو أن لا يدخل النار من شهد بدراً، إن شاء الله).

٢١- وجوب الجنة لأهل بدر رضي الله تعالى عنهم:

وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد أكرم أهل بدر رضي الله تعالى عنهم بأن غفر لهم ذنوبهم، وأنهم لا يدخلون نار جهنم، فإنه سبحانه وتعالى زاد في فضله عليهم رضي الله تعالى عنهم بأن أوجب لهم الجنة.

* فعن علي رضي الله تعالى عنه-في قصة كتاب حاطب بن أبي بلتعة رضي الله تعالى عنه لقريش-وفيه: فقال ﷺ: (ما حملك يا حاطب على ما

---

(٣٤١) سورة مريم (٧٢).

(٣٤٢) مسند أحمد (٦: ٣٦٢) والمعجم الكبير(٢٥: ١٠٢) وصحيح ابن حبان (١١: ١٢٥).

(٣٤٣) مسند أحمد (٦: ٢٨٥) وسنن ابن ماجه: كتاب الزهد: باب ذكر البعث، رقم (٤٢٨١) والمعجم الكبير (٢٣: ٢٠٦-٢٠٧-٢٠٨) ومسند أبي يعلى (١٢: ٤٧٢-٤٧٣) وتفسير الطبري (١٨: ٢٣٥) وتفسير البغوي (٣: ٢١٧).

(٣٤٤) البحر الزخار (١٥: ٢١١) وكشف الأستار (٣: ٢٨٧-٢٨٨) وفتح الباري (٧: ٣٠٥) ومجمع الزوائد (٩: ١٦١) وانظر كشف الأستار (٣: ٢٨٧) لحديث ابن أبي أوفى.

٢٠- لا يدخل النار من شهد بدراً من الصحابة رضي الله تعالى عنهم:

إذا كان الله سبحانه وتعالى قد غفر لأهل بدر ما يعملون، وأن أعمالهم وذنوبهم تقع مغفورةً، أو أن الله عصمهم مما يوجب سخطه وعذابه، فكل ذالك دالٌّ على دخولهم الجنة، وأنهم رضي الله تعالى عنهم لن يدخلوا النار أبداً، وهذا ما قاله ﷺ عنهم.

* فعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما، أن عبداً لحاطب جاء رسول الله ﷺ يشكو حاطباً، فقال: يا رسول الله؛ ليدخلن حاطبٌ النارَ، فقال رسولُ الله ﷺ: (كذبت، لا يدخلها، فإنه شهد بدراً والحُدَيْبِيَة). رواه مسلم(٣٣٨).

* ورواه أحمد والطبراني -برجال الصحيح(٣٣٩)- من حديث أم مبشر الأنصارية رضي الله تعالى عنهما، زوجة زيد بن الحارثة رضي الله تعالى عنه.

* وعن أم مبشر رضي الله تعالى عنها -امرأة زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه- قالت: قال رسول الله ﷺ وهو في بيت حفصة رضي الله تعالى عنها: (لا يدخل النارَ رجلٌ شهد بدراً والحُدَيْبِيَة).

فقالت حفصة رضي الله تعالى عنها: يا رسول الله؛ أليس قد قال الله عز وجل: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾(٣٤٠)؟.

---

(٣٣٨) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل أهل بدر رضي الله تعالى عنهم وقصة حاطب بن أبي بلتعة، رقم (١٦٢).

(٣٣٩) مسند أحمد (٦: ٣٦٢) والمعجم الكبير (٢٥: ١٠٢) ومجمع الزوائد (٩: ٣٠٤).

(٣٤٠) سورة مريم (٧١).

... والله تعالى أعلم.

* وإن من فضل أهل بدر، أن من استشهد منهم رضي الله تعالى عنهم يوم بدر فهو في جنات الفردوس.

* فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: أصيب حارثة يوم بدر، وهو غلام، فجاءت أمه إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله؛ قد عرفتَ مَنْزلةَ حارثة مني، فإن يكن في الجنة أصبر وأحتسب، وإن تكن الأخرى تَرَ ما أصنع. فقال: (ويحك أَوَهَبِلْتِ؟ أوَ جنة واحدة هي؟ إنها جنان كثيرة، وإنه في جنة الفردوس). رواه البخاري[٣٣٦].

ولتفضيل الله تعالى للصحابة من أهل بدر، ولتفضيل رسول الله ﷺ لهم رضي الله تعالى عنهم، عرف الصحابة رضي الله تعالى عنهم لهم ذلك.

* فعن قيس بن أبي حازم رحمه الله تعالى قال: كان عطاءُ البدريين خمسةَ آلاف، خمسةَ آلاف.

وقال عمر رضي الله تعالى عنه: لأُفَضِّلَنَّهم على من بعدهم. رواه البخاري[٣٣٧]، والله تعالى أعلم.

= ٣٠٨-٣٠٩) والمعجم الكبير (٣: ٢٠٥-٢٠٦) وكشف الأستار (٣: ٢٥٥) ومجمع البحرين (٦: ٣٧٤-٣٧٥) ومسند أبي يعلى (٤: ١٨٢) وصحيح ابن حبان (١١: ١٢١-١٢٢-١٢٣) والمستدرك (٣: ٣٠١-٣٠٢) ومجمع الزوائد (٩: ١٦٠، ٣٠٣، ٣٠٤) وكنز العمال (١٤: ٧٠-٧١، ٦٨-٦٩).

(٣٣٦) صحيح البخاري: كتاب المغازي: باب فضل من شهد بدراً.

(٣٣٧) صحيح البخاري: كتاب المغازي: باب (١٢) حدثني خليفة،...

اطلع على من شهد بدراً فقال: (اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم).

* وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله تبارك وتعالى اطَّلع على أهل بدر: فقال: اعملوا ما شئتُم فقد غفرتُ لكم). رواه ابن أبي شيبة وأحمد والدارمي وأبو داود بإسناد صحيح، وابن حبان والحاكم وصححاه، وأقره الذهبي[٣٣٤].

* ورواه أحمد وابن ماجه وابن حبان والطبراني من حديث رافع بن خَديج رضي الله تعالى عنه بإسناد حسن.

* ورواه أبو يعلى -برجال الصحيح- وصححه ابن حبان والحاكم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما.

* ورواه ابن أبي شيبة وأحمد وأبو يعلى -برجال الصحيح- من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما.

* ورواه الطبراني في الكبير والأوسط والحاكم في المستدرك -برجال ثقات- من حديث عبد الرحمن بن حاطب بن أبي بلتعة، أن أباه كتب[٣٣٥]،

= غيرها، وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل أهل بدر رضي الله تعالى عنهم،... رقم (١٦٠).

(٣٣٤) مصنف ابن أبي شيبة (١٢: ١٥٥) (١٤: ٣٨٥) ومسند أحمد (٢: ٢٩٥-٢٩٦) وسنن الدارمي (٢: ٢٢٢) وسنن أبي داود: كتاب السنة: باب الخلفاء، رقم (٤٦٥٤) وصحيح ابن حبان (١١: ١٢٣) والمستدرك (٤: ٧٧-٧٨).

(٣٣٥) مصنف ابن أبي شيبة (١٢: ١٥٤-١٥٥) (١٤: ٣٨٤-٣٨٥) ومسند أحمد (٣: ٣٥٠-٤٦٥) (٢: ١٠٩) وسنن أبي داود: كتاب السنة: باب الخلفاء، رقم (٤٦٥٤) وسنن ابن ماجه: المقدمة: باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ، رقم (١٦٠) والبحر الزخار (١: =

١٩ - فضل أهل بدر من الصحابة رضي الله تعالى عنهم:

إن الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم الذين شهدوا بدراً -وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر- من أفضل المسلمين. وإذا كانوا أفضل من الصحابة الذين لم يشهدوا بدراً، كانوا أفضل ممن جاء بعدهم من باب أولى.

* فعن معاذ بن رفاعة بن رافع الزرقي، عن أبيه -وكان أبوه من أهل بدر رضي الله تعالى عنه- قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: ما تعدون أهلَ بدر فيكم؟ قال: (من أفضل المسلمين -أو كلمة نحوها- قال: وكذلك من شهد بدراً من الملائكة). رواه البخاري[٣٣٢].

* ومن شهد بدراً من الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم قد وجبت لهم الجنة، وغُفرت لهم ذنوبه، بل لو أذنب أحدُهم لوقع ذنبُه مغفوراً، أو يعصمه الله تعالى من الوقوع في الذنوب، فلا يذنب.

* فعن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه -في قصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله تعالى عنه- حيث قال رسول الله ﷺ: (لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم، فقد وجبت لكم الجنة، أو فقد غفرتُ لكم). متفق عليه. واللفظ للبخاري. وستأتي رواية أخرى مطوّلة بعد قليل.

* وأما لفظ مسلم، وهو عند البخاري أيضاً[٣٣٣]: (وما يدريك لعل الله

= البحرين (٧: ٢٧) ومجمع الزوائد (١٠: ٢٠-٢١) الإصابة (٤: ٥٢٩) وأسد الغابة (٣: ٥٥٣).

(٣٣٢) صحيح البخاري: كتاب المغازي: باب شهود الملائكة بدراً.

(٣٣٣) صحيح البخاري: كتاب المغازي: باب فضل من شهد بدراً، وباب غزوة الفتح، وفي =

عابئين بأحد، ولا خائفين من أحد، والله تعالى أعلم.

١٨- لا تمس الصحابة رضي الله تعالى عنهم النار يوم القيامة:

إن من فضائل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم، وعلو مقامهم، ورفعة قدرهم عند الله عز وجل: أنهم يدخلون الجنة، ولن تمس النارُ أحدا منهم بإذن الله تعالى، كيف وقد رضي الله تعالى عنهم، وأحبهم، ومدحهم، وأثنى عليهم، ثم هو سبحانه وتعالى قد اختارهم صحابةً لرسوله وحبيبه ﷺ، وحبَّب إليهم الإيمانَ، وزيَّنه في قلوبهم، وكرَّه إليهم الكفرَ والفسوقَ والعصيان، وجعلهم من الصالحين، المتقين، المؤمنين،...

* عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تمس النار مسلماً رآني، أو رأى من رآني). رواه الترمذي -وحسنه- وابن أبي عاصم وأبو نعيم، والضياء في المختارة(٣٣٠).

* وعن عبد الرحمن بن عقبة الجهني، عن أبيه رضي الله تعالى عنه - وكان قد أصيب بسهم مع رسول الله ﷺ- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا يدخل النار مسلم رآني، أو رأى من رآني، أو رأى من رأى من رآني). رواه ابن أبي عاصم والطبراني، وفي إسناده من لا يعرف، وعزاه الحافظ رحمه الله تعالى لابن السكن والحاكم في تاريخ نيسابور. وعزاه ابن الأثير لأبي نعيم، وشاهده الحديث السابق، فهو به حسن(٣٣١).

---

(٣٣٠) سنن الترمذي: كتاب المناقب: باب فيما جاء في فضل من رأى النبي ﷺ، رقم (٣٨٥٧) والسنة (٢: ٩٨٥) ومعرفة الصحابة (١: ١٣٤) وكنز العمال (١١: ٥٣١).

(٣٣١) السنة (٢: ٩٨٥) والمعجم الكبير(١٧: ٣٧٥) والمعجم الأوسط (١: ٣٠٨) ومجمع =

(الناس حيِّزٌ، وأنا وأصحابي حيِّزٌ) وقال: (لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية).

فقال مروان: كذبت. وعنده رافع بن خديج، وزيد بن ثابت، وهما قاعدان معه على السرير، فقال أبو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه: لو شاء هذان لحدَّثاك. فرفع عليه مروان الدرَّة ليضربه، فلما رأيا ذلك، قالا: صدق. رواه الطيالسي وابن أبي شيبة وأحمد والطبراني في الكبير وأبو نعيم والبيهقي، وكلهم برجال الصحيح، وصححه الحاكم وأقره الذهبي(٣٢٩).

فالصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم مع النبي ﷺ في جانب، وبقية الناس في جانب آخر، لأن الفتح أنهى الهجرة من مكة إلى المدينة.

وأما قول مروان بن الحكم لأبي سعيد رضي الله تعالى عنه: كذبت. فمعناها أخطأت، هكذا بلغة الحجاز، لا أن المراد به الافتراء، فتنبه.

وأراد أبو سعيد رضي الله تعالى عنه-وهو أحد الذين بايعوا رسول الله ﷺ على ألاَّ تأخذَهم في الله أخذة لائم-أن يُثبت لمروان بن الحكم صدقَه وضبطه وصحة روايته، فأشهد الصحابيين الجالسين عنده، رافعاً وزيداً رضي الله تعالى عنهما فصدَّقاه فيما روى ونقل.

رضي الله عن صحابة رسول الله ﷺ، فقد بلَّغوا سنة المصطفى ﷺ، غير

---

(٣٢٩) مسند الطيالسي (٨٤، ١٣٠، ٢٩٣) ومصنف ابن أبي شيبة (١٤: ٤٩٨-٤٩٩) ومسند أحمد (٣: ٢٢) (٥: ١٨٧) وشرح مشكل الآثار (٧: ٤١-٤٢) ومسند الشهاب (٢: ٤٢) والمعجم الكبير (٤: ٣٤١) (٥: ١٢٣) ومعرفة الصحابة (١: ١١٣) والمستدرك (٢: ٢٥٧) وحلية الأولياء (٤: ٣٨٥) ودلائل النبوة (٥: ١٠٩-١١٠) ومجمع الزوائد (٥: ٢٥٠) (١٠: ١٧).

والفضائل لا تؤخذ بقياس، ولا توزن بموازين العباد[٣٢٨].

- إذا كان ذلك كذلك فكيف بطويل الصحبة، وقديم الإيمان والإسلام، وسبق الهجرة والنصرة والجهاد.

* وإذا علمنا أن رسول الله ﷺ خاطب بهذا الحديث متأخري الصحبة والإسلام والهجرة -وهو خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه: وهو سيف الله وسيف رسوله ﷺ، ونهاه عن سب من تقدّمه إسلاماً وصحبةً وهجرةً- وهو عبدالرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه، وبيَّن له أنه مهما أنفق- ولو قدر جبل أحد ذهباً- لن يبلغ من الثواب والأجر مبلغَ من سبقه بالإسلام والهجرة، لو أنفق مُدَّ طعام أو نصيفه، فهذا يقتضي أن من لم يدرك النبي ﷺ ولم يخاطبه، ولم يحضر زمانه ﷺ، ولم تكتحل عيناه بالنظر إلى طلعته البهية؛ فهو من باب أولى، أنه لن يصل إلى ثوابهم ودرجاتهم ومَنْزلتهم، والله تعالى أعلم.

١٧- هم في معية رسول الله ﷺ:

لقد أخبر رسول الله ﷺ أنه وأصحابه رضي الله تعالى عنهم يكونون في مكان واحد، أو على صعيد واحد، أو هم في موضع واحد، وبقية الناس يكونون في موضع أو مكان آخر. وقد يحتمل أن يكون على اتجاه أو مشرب واحد.

* فعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ قال: قرأها رسول الله ﷺ حتى ختمها وقال:

(٣٢٨) انظر شرح صحيح مسلم للنووي (١٦: ٩٣) وفتح الباري (٧: ٣٤-٣٥).

العيش، بخلاف من جاء بعدهم، حيث توسعت عليهم الدنيا، وتحسنت الأحوال، وفاض المال، وانتشرت الخيرات،... ويدل على هذا التفاوت: وجود الأفضلية بسبب القتال وضيق الحال.

قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾(٣٢٧).

فمع تقديم من أسلم فأنفق وقاتل قبل الفتح على من فعل ذلك بعد الفتح، إلاّ أنه تعالى وعد الاثنين الجنة. لفضيلة الصحبة، والله تعالى أعلم.

- إن إنفاق الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم كان في نصرة النبي المصطفى الكريم ﷺ وحمايته، وذلك معدوم فيمن جاء بعدهم.

- إن جهادهم رضي الله تعالى عنهم وسائر طاعتهم لا يدانيها من جاء بعدهم، حيث كان ﷺ يربيهم ويدربهم ويعلمهم.

- ما جبلت عليه نفوس الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم من الشفقة، والتودد، والخشوع، والخشية، والمحبة، ورقّة القلب، والتواضع، والإيثار، والجهاد في الله تعالى، حق جهاده.

- ما يقارن الأفضل من مزيد الإخلاص، وصدق النية، وحسن الطوية، والصدق في العمل، والابتعاد عما يشوب العمل من شوائب فعلية أو عقائدية،...

- فضيلة الصحبة-ولو لحظة-لا يوازيها عمل، ولا تُنال درجتُها بشيء،

(٣٢٧) سورة الحديد (١٠).

لأن الله تعالى إذا كان قد حكم بكفر من يغتاظ منهم، فكيف بمن يسبهم؟ والعياذ بالله تعالى. وسيأتي بيان ذلك في الباب الرابع، إن شاء الله تعالى.

١٦- عدم وصول درجاتهم وثوابهم رضي الله تعالى عنهم:

إن قبول الأعمال عند الله عز وجل يتوقف على مدى الصدق في القصد، والإخلاص في العمل، وتوحيد النية، وحسن التوجه،... وكل ذلك يحتاج إلى إيمان عميق رفيع،... وإذا كانت الصحبة-كصحبة-حصناً وسياجاً للصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم، لاختيار الله تعالى لهم، ورضاه تعالى عنهم، ومحبته تعالى إياهم،... فإن العمل الذي يعملونه مهما كان قليلاً فإن الله تعالى يكرمهم، بما لا يكرم مَن بعدهم فيما لو عمل أكثر من عملهم. مع إكرامه سبحانه وتعالى لمن بعدهم من المسلمين المؤمنين الصالحين.

* وقد مر قولُه ﷺ -كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه، المتفق عليه، وحديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عند مسلم-: (فإن أحدكم لو أنفق مثلَ أُحُدٍ ذهباً ما أدرك مُدَّ أحدهم، ولا نصيفَه).

* وقد جاء هذا اللفظ من حديث أنس بن مالك، ويوسف بن عبد الله ابن سلام وابن مسعود رضي الله تعالى عنهم أيضاً، وغيرهم.

* ومعنى الحديث -والله تعالى أعلم- لو أن أحدكم أنفق مثلَ جبل أُحُد ذهباً فإنه لا ينال من الأجر والثواب ما يناله أحدُ الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنه فيما لو أنفق مُدَّ طعامٍ أو نصف مُدٍّ.

* وسبب تفضيل نفقتهم، وتفاوتها عن نفقة مَن بعدهم يرجع لعدة أمور:

- إنها كانت في وقت الحاجة الملحّة والضرورة، وضيق الحال، وضنك

والصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم بذلوا ما بذلوا في سبيل نصرة هذا الدين، مع اختيار الله تعالى لهم،... وتعديله سبحانه وتعالى إياهم، ورضاه سبحانه وتعالى عنهم، ومحبته تعالى لهم،... وإيجابه تعالى لهم الجنةَ والخلودَ فيها، وشهادته تعالى بالإيمان منهم، فهم لا يستحقون السب من المسلمين بل يستحقون التقدير والاحترام والتجلة،... لذا من يسبهم فقد أضر بنفسه، كما مر ذلك بقوله تعالى: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ أما المؤمنون فهم ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾.

ولهذا أجمع أهل العلم-كما سيأتي في الباب الرابع-أن سب الصحابة رضي الله تعالى عنهم حرام، من الفواحش المحرمة، سواء من لابَسَ الفتنة وغيره، لأنهم كلهم مجتهدون في تلك الحروب متأولون.

* قال القاضي عياض رحمه الله تعالى: وسبُّ أحدهم من المعاصي الكبار، ومذهبنا ومذهب الجمهور أنه يعزّر، ولا يقتل. وقال بعض المالكية: يقتل، وبه قال بعض الشافعية بالنسبة للشيخين.

* وقواه السبكي رحمه الله تعالى. وكذلك من بُشر بالجنة، أو تواترت الأخبار بصريح إيمانه، لأن السّابَّ يكون مكذّبا للنبي الكريم ﷺ، والله تعالى أعلم(٣٢٦).

لهذا فليحذر الذي يدعي الإسلام من سب الصحابة رضي الله تعالى عنهم،

---

(٣٢٦) انظر الشفاء، وشرح صحيح مسلم للنووي (١٦: ٩٣) وفتح الباري (٧: ٣٦) وقواطع الإسلام لابن حجر.

عن عدد من الصحابة، منهم: أنس، وسعيد بن زيد بن عمرو [ووقع مقلوباً في مجمع الزوائد] وجابر، وابن عُمر، وابن عباس،... رضي الله تعالى عنهم[٣٢٤].

* وإذا علمنا أن رسول الله ﷺ قد خاطب بهذا الحديث متأخري الصحابة من المهاجرين -وهو خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه- ونهاه عن سب من تقدمه إسلاماً وهجرة -وهو عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه- فهذا يقتضي زجر من لم يدرك زمن النبي ﷺ ممن يأتي بعده، عن سب الصحابة رضي الله تعالى عنهم من باب أولى، وإن كان هذا كذلك فمن عرف بمن هو أقدم من عبد الرحمن رضي الله تعالى عنه -وهو الصديق رضي الله تعالى عنه- فهو من باب أولى وأولى أيضاً، والله تعالى أعلم.

ولعظم ذنب الذي يسب أصحابَ رسول الله ﷺ ورضي الله تعالى عنهم أو أحدا منهم ممن اشتهرت صحبته،... فإن عقوبته هي الطرد من رحمة الله عز وجل.

* فعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (لا تسبوا أصحابي، لعن الله من سب أصحابي). رواه الطبراني[٣٢٥] برجال الصحيح، غير علي بن سهل وهو ثقة. وأولُ الحديث متفق عليه، وقد مر ذكره قبل قليل.

وقد جاء هذا الحديث عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

---

(٣٢٤) انظر مجمع الزوائد (١٠: ٢١) وكنز العمال (١١: ٥٢٨، ٥٣١، ٥٤٢، ٥٤٣).

(٣٢٥) مجمع البحرين (٧: ٣٠) ومجمع الزوائد (١٠: ٢١) وانظر الرياض النظرة (١: ٢٣).

ثم كيف يدعي امرؤ محبةَ رسول الله ﷺ واتّباعَه-وعنهم أخذ الـدين؛ القرآنَ الكريمَ والسنةَ النبويةَ، والهديَ النبوي-ثم يسب جلساءَه وأصهارَه وأختانه ووزراءه وأصهاره،... رضي الله تعالى عنهم !!!

فهو بين أمرين: إما أن يقبل الدّين بمن بلّغه-وهم الصحابة الكرام-وإما أن يترك الدّين، لأن الذين بلّغوه غير مؤتمنين عنده، وهذا باطل، لا يقول به عاقل.

* فعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنهما شيء، فسبه خالد. فقال رسول الله ﷺ: (لا تسبوا أحداً من أصحابي، فإن أحدَكم لو أنفق مثلَ أُحُدٍ ذهباً، ما أدرك مدَّ أحدهم، ولا نصيفه). متفق عليه، واللفظ لمسلم(٣٢٢).

* وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تسبوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي، فو الذي نفسي بيده لو أن أحدَكم أنفق مثلَ أُحُدٍ ذهباً، ما أدرك مدَّه ولا نصيفه). رواه مسلم(٣٢٣).

لقد أضافهم رسول الله ﷺ لنفسه فقال: (أصحابي) تنويهاً بفضلهم، وتنبيهاً لشرف مَنْزلتهم، وإعلاماً بمكانتهم،...

* وقد جاء النهي عن سب أصحاب النبي ﷺ ورضي الله تعالى عنهم،

---

(٣٢٢) صحيح البخاري: كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ: باب حدثنا الحميدي. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب تحريم سب الصحابة رضي الله تعالى عنهم، رقم (٢٢٢).

(٣٢٣) صحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (٢٢١).

الصحابة رضي الله تعالى عنهم، لأن الله تعالى إنما جعله لمن جاء بعدهم ممن يستغفر لهم، والله تعالى أعلم.اهـ.

* ولما سمع الإمامُ الشافعي رحمه الله تعالى الشتمَ لأصحاب رسول الله ﷺ -أو نُقل له ذلك- قال: ما أرى الناسَ ابتُلوا بشتم أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله تعالى عنهم إلاّ ليزيدهم الله بذلك ثواباً، عند انقطاع عملهم.

وفي رواية: إلاّ ليجري الله عز وجل لهم الحسنات وهم أموات[٣٢١].

١٥- النهي عن سبهم رضي الله تعالى عنهم:

لقد جاءت نصوص كثيرة عن النبي المصطفى الكريم ﷺ فيها النهي الأكيد، والوعيد الشديد، لمن يسب أصحابه رضي الله تعالى عنهم، وذلك لأن الأصل واللائق فيهم: الثناء عليهم، ومدحهم، والاستغفار والدعاء لهم، بما بذلوا وضحّوا وقدّموا وخدموا،... رضي الله تعالى عنهم، إضافة إلى ثناء الله تعالى ومدحهم وإكرامهم ورضاه جل شأنه عنهم، فكيف وقد جاءت النصوص الكثيرة تحذّر المتَّبعين من مغبة هذا الفعل المشين.

إن الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم انتقاهم الله عز وجل ليكونوا صحابةً لرسوله ﷺ، وحملةَ شرعه، ومبلغي دينَه،...فحملوا أرواحَهم على أكفهم، لفتح الأمصار، ونشر الدين، وتبليغ الرسالة، وإخراج الناس من عبادة العباد، إلى عبادة الواحد القهار، فهم شهداؤنا، ولولاهم ما وصل الإسلام إلى ما وصل إليه، رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم.

(٣٢١) مناقب الإمام الشافعي للبيهقي (١: ٤٤١) ومناقب الإمام الشافعي للرازي (١٣٦).

المهاجرين والأنصار رضي الله تعالى عنهم بأنهم يستغفرون لمن سبقهم، وهذا من أدنى مستلزمات المحبة والاتّباع.

كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾(٣١٨).

فالآية تضمنت وجوب الاستغفار لمن سبقنا من المؤمنين، وإن كان اللفظ على صيغة الخبر.

* عن عروة رحمه الله تعالى قال: قالت لي عائشة رضي الله تعالى عنها: يا ابن أختي؛ أُمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي ﷺ فسبوهم. رواه مسلم(٣١٩).

* قال القاضي عياض رحمه الله تعالى(٣٢٠): الظاهر أنها قالت هذا عندما سمعت أهل مصر يقولون في عثمان ما قالوا، وأهل الشام في عليٍّ ما قالوا، والحرورية في الجميع.

وأما الأمر بالاستغفار الذي أشارت إليه، فهو قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾.

* وبهذا احتج مالك -رحمه الله تعالى- في أنه لا حق في الفيء لمن سبَّ

---

(٣١٨) سورة الحشر (١٠).

(٣١٩) صحيح مسلم: كتاب التفسير، رقم (١٥).

(٣٢٠) إكمال المعلم (٨: ٥٨٣) وشرح صحيح مسلم للإمام النووي (١٨: ١٥٨- ١٥٩) وانظر: الدر المنثور (٨: ١١٣) وفتح القدير (٥: ٢٠٣).

ما يمكن أن يقدَّم لهم رضي الله تعالى عنهم.

* فعن عبد الله بن زُغْب الإياديِّ رضي الله تعالى عنه قال: نزل عليٌّ عبدُ الله بنُ حوالةَ الأزدي رضي الله تعالى عنه، فقال لي -وإنه لنازل عليَّ في بيتي-: بعثنا رسولُ الله ﷺ حول المدينة على أقدامنا لنغنم، فرجعنا، و لم نغنم شيئاً، وعرف الجهدَ في وجوهنا، فقام فينا فقال: (اللهم لا تكلهم إليَّ فأضعف، ولا تكلهم إلى أنفسهم فيعجزوا عنها، ولا تكلهم إلى الناس فيستأثروا عليهم) ثم قال: (لتفتحن لكم الشام والروم وفارس -أو الروم وفارس- حتى يكون لأحدكم من الإبل كذا وكذا، ومن البقر كذا وكذا، ومن الغنم، حتى يُعطى أحدهم مائةَ دينار فيسخطها).

ثم وضع يدَه على رأسي -أو هامتي- فقال: (يا ابن حوالة؛ إذا رأيتَ الخلافةَ قد نزلت الأرضَ المقدسةَ؛ فقد دنت الزلازلُ والبلايا والأمورُ العظام، والساعةُ يومئذ أقربُ إلى الناس من يدي هذه على رأسك). رواه أحمد وأبو داود وأبو يعلى والبيهقي بإسناد حسن، وصححه الحاكم وأقره الذهبي[٣١٧].

والنصوص في دعاء النبي ﷺ لأصحابه كثيرة، سواء العام منها أو الخاص.

١٤- وجوب الاستغفار لهم رضي الله تعالى عنهم:

لقد وصف الله سبحانه وتعالى الذين جاؤوا بعد الصحابة الكرام من

---

(٣١٧) مسند الإمام أحمد(٢٨٨: ٥) والتاريخ الكبير (٨: ٤٣٦-٤٣٧) والمعرفة والتاريخ (١: ٢٦٦-٢٦٧) وسنن أبي داود: كتاب الجهاد: باب الرجل يغزو ويلتمس الأجر والغنيمة، رقم (٢٥٣٥) ومسند أبي يعلى (٢٨١: ١٢-٢٨٢) ومسند الشاميين (٣: ١٧٣-١٧٤) والمستدرك (٤٢٥: ٤) والسنن الكبرى (٩: ١٦٩) وتهذيب الكمال (١٥: ٥١٩-٥٢٠). وفتح الباري (١٢: ٤٠٣) وانظر مختصر أشراط الساعة، لزيادة التخريج.

البغدادي، والشهاب، والبيهقي، والضياء المقدسي في المختارة، برجال ثقات، وأسانيد صحيحة. وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم، إلاّ الشافعي والحميدي، فأسانيدهما ثقات لكنها منقطعة[٣١٦]، والله تعالى أعلم.

١٣- وجوب الدعاء لهم رضي الله تعالى عنهم:

إن من واجبنا نحن معشر المسلمين تجاه الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم، الذين اختارهم الله سبحانه وتعالى ليكونوا صحابةً لرسوله الكريم ﷺ، ونصرةً لدينه، وحملةَ شرعه، وسراجَ خلقه بعد أنبيائه عليهم السلام، ومبلغي دينه للناس،... وقد بذلوا في ذلك راحة الجسد، والتمتع بالطيبات، والقرار بين النساء والولدان، والمكوث في البساتين والجنان،... من واجبنا أن ندعوَ لهم، ونترضى عنهم، ونترحم عليهم،... رضوان الله تعالى عليهم، وهذا أقل

(٣١٦) الرسالة (٤٧٣-٤٧٤) والمسند (٢٤٤) ومسند الطيالسي (٧) ومصنف عبد الرزاق (١١: ٣٤١) ومسند الحميدي (١: ١٩-٢٠) ومسند أحمد (١: ١٨، ٢٦) ومسند عبد بن حميد (٣٧-٣٨) وسنن الترمذي: كتاب الفتن: باب ما جاء في لزوم الجماعة، رقم (٢١٦٥) والسنن الكبرى للنسائي (٥: ٣٨٧-٣٨٩ من طرق) وعشرة النساء (٢٨٩-٢٩١) من طرق، وسنن ابن ماجه: كتاب الأحكام: باب كراهية الشهادة لمن لم يستشهد، رقم (٢٣٦٣) وشرح معاني الآثار (٤: ١٥٠-١٥١) وشرح مشكل الآثار (٦: ٢٥٦-٢٥٧) ومسند أبي يعلى (١: ١٣١-١٣٣من طرق) والبحر الزخار (١: ٢٦٩) والمعجم الصغير (١: ١٥٨) وصحيح ابن حبان (١٠: ٤٣٦-٤٣٧) (١٢: ٣٩٩- ٤٠٠) والمستدرك (١: ١١٣- ١١٤) وشرح السنة (٩: ٢٧) والإيمان لابن منده (٣: ٩٦١-٩٦٢) وتاريخ بغداد (٢: ١٨٧) (٦: ٥٧) ومسند الشهاب (١: ٢٤٩-٢٥٠) ومعرفة السنن والآثار (١: ١٧٠) والسنن الكبرى له (٧: ٩١) والمختارة (١: ١٩٢-١٩٣) في آخرين.

١٢- وجوب إكرام الصحابة رضي الله تعالى عنهم:

لقد أدى الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم ما وجب عليهم، فبذلوا الغالي قبل الرخيص، ودفعوا المال والولد والأهل والأوطان-طواعية-لله تعالى ولرسوله ﷺ، ولنصرة دينهم،... فارتفعت مكانتهم عند ربهم جل شأنه، وعلا مقامهم، وعظمت مَنْزلتهم،... وهم أهلٌ لذلك ولكلّ خير،... وبقي الذي لهم، لذا كان من واجب المسلم المؤمن المطيع المتَّبع أن يُكْرِم هذه النخبة المختارة، ويحفظ رسول الله ﷺ فيهم، وأن يُعلي مقامَهم، ويُثني عليهم، ويترضى عنهم،... ولهذا أمرنا رسول الله ﷺ أن نكرمهم، وهم أهل لذلك، رضي الله تعالى عنهم(٣١٥).

* فعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أكرموا أصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يظهر الكذب؛ حتى يحلف المرء قبل أن يُستحلف، ويشهد قبل أن يُستشهد، فمن أراد بحبوحةَ الجنة فعليه بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الإثنين أبعد، ولا يخلُونّ رجل بامرأة؛ فإن ثالثهما الشيطان، ومن سرته حسنته، وساءته سيئته فهو مؤمن). رواه من طرق بألفاظ (أحسنوا، أوصيكم، احفظوني، أكرموا) الشافعي وعبد الرزاق والطيالسي والحميدي وأحمد وعبد بن حُميد والنسائي وابن ماجه والطحاوي وابن منده والخطيب

= (٢: ٣٦٤) ومجمع البحرين (٧: ٢٣) والثقات لابن حبان (٧: ٣٣١) (٨: ١٩٦) ومجمع الزوائد (١٠: ١٧).

(٣١٥) انظر الباب الرابع (واجب الأمة نحوهم رضي الله تعالى عنهم).

البغوي في شرح السنة قول الترمذي: حديث حسن. وفي أسانيدهم جميعاً: عبد الله بن عبد الرحمن-أو العكس-ذكره البخاري وابن أبي حاتم و لم يذكرا فيه جرحاً ولا تعديلاً، وذكره ابن حبان في الثقات. وقال البيهقي رحمه الله تعالى في الشُّعَب: وقد ذكرنا شواهده في كتاب الفضائل.

* وقد روى الحفظ السيوطي رحمه الله تعالى هذا الحديث من طريق ابن النجار عن أنس رضي الله تعالى عنه، والشيرازي عن أبي سعيد، ورواه البغوي والطبراني وأبو نعيم وابن عساكر عن عياض الأنصاري رضي الله تعالى عنه. وله شواهد أخرى، والله تعالى أعلم.

وشدّد ﷺ في وصيته -في آخر حياته- بالوصية بالسابقين الأولين، لأنهم عليهم رضي الله تعالى عنهم انبنى هذا الدين، بما بذلوه من تضحيات، وقدّموا من خدمات، وأنفقوا من دماء ومال وولد،... وهجروا الأوطان والبيوت والولدان،... رضي الله تعالى عنهم.

* فعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه قال: لما حضرت رسولَ الله ﷺ الوفاةُ، قالوا: يا رسول الله؛ أوصنا. قال: (أوصيكم بالسابقين الأولين [زاد الطبراني: من المهاجرين-وفي مجمع البحرين زيادة: والأنصار] وبأبنائهم من بعدهم، وبأبنائهم من بعدهم، وبأبنائهم من بعدهم، إلاّ تفعلوا: لا يُقبل منكم صَرْفٌ ولا عدل). رواه الطبراني والبزار وابن حبان في ثقاته، ورجالهم ثقات(٣١٤)، والله تعالى أعلم.

---

(٣١٤) البحر الزخار (٣: ٢٣٣رقم١٠٢٢) وكشف الأستار (٣: ٢٩٢) ومختصر زوائد البزار =

وصححه الحافظ ابن ناصر الدين السلامي.

* ورواه النسائي وابن ماجه وأبو نعيم والحاكم وصححه وأقره الذهبي(٣١١)، بلفظ (احفظوني في أصحابي) ورجاله ثقات أيضاً.

* ورواه الطبراني وابن عساكر بسند حسن عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما(٣١٢).

* عن عبد الله بن مغفل رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (الله الله في أصحابي، الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضاً بعدي، فمن أحبَّهم فبِحُبّي أحبَّهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله عز وجل، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه). رواه أحمد والبخاري في تاريخه، وابن أبي عاصم والترمذي وعبد الله ابن أحمد وابن حبان وأبو نعيم والبغوي والخطيب البغدادي والبيهقي(٣١٣). ونقل

= ٤٦) وصحيح ابن حبان (١٠: ٤٣٦) (١٢: ٣٩٩-٤٠٠) (١٥: ١٢٢) والإيمان (٣: ٩٦٢) والمختارة (١: ١٩١-١٩٢) والرياض النضرة (١: ٢١).

(٣١١) عشرة النساء (٢٩٢) وسنن ابن ماجه: كتاب الأحكام: باب كراهة الشهادة لمن لم يستشهد، رقم (٢٣٦٣) ومعرفة الصحابة (١: ١٣٩) والمستدرك (١: ١١٤-١١٥).

(٣١٢) انظر: كنز العمال (١: ٥٣٩، ٥٤١).

(٣١٣) مسند أحمد (٤: ٨٧) (٥: ٥٤-٥٥، ٥٧) وفضائل الصحابة (١: ٤٨-٥٠) وكتاب السنة (٢: ٤٧٩) والتاريخ الكبير (٥: ١٣١) وسنن الترمذي: كتاب المناقب: باب (٥٩) رقم (٣٨٦٢) وحلية الأولياء (٨: ٢٨٧) وشرح السنة (١٤: ٧٠-٧١) وصحيح ابن حبان (١٦: ٢٤٤) وتاريخ بغداد (٩: ١٢٣) وشعب الإيمان (٢: ١٩١) والاعتقاد له (٣٢١) ومجمع الزوائد (١٠: ١٦) وكنز العمال (١١: ٥٢٨، ٥٣١-٥٣٢، ٥٤٠).

١١- وصاية رسول الله ﷺ بهم رضي الله تعالى عنهم خيراً:

ومن عظم مكانتهم رضي الله تعالى عنهم، وعلو مقامهم عند الله عز وجل،... أن أوصى رسول الله ﷺ من كان حاضراً -ومن سيأتي بعدهم- بالصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم خيراً، فلا يُساء إليهم، ولا يقصّر معهم، ويجب أن تُعرف لهم مكانتُهم، ويُنزلون مَنْزلتهم التي تليق بهم،... رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم.

* فعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، أنه خطب بالجابية فقال: قام فينا رسول الله ﷺ مقامي هذا فيكم فقال: (استوصوا بأصحابي خيراً، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم،...) الحديث. رواه ابن المبارك وأحمد وابن أبي عاصم والنسائي وابن الأعرابي، والضياء في المختارة. بأسانيد صحيحة، وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم، وأقره الذهبي[٣٠٩].

* ورواه أحمد وابن أبي عاصم والنسائي وابن منده وأبو يعلى والبزار بأسانيد صحيحة -وصححه ابن حبان[٣١٠]- بلفظ: (أحسنوا إلى أصحابي)

= (٢٠٤٣) وتاريخ المدينة (١: ١٣٣) ودلائل النبوة (٣: ٣٠٥-٣٠٦).

(٣٠٩) مسند عبد الله بن المبارك (١٤٨رقم٢٤١) ومسند أحمد (١: ١٨) والسنة (٢: ٦٣١) وسنن الترمذي: كتاب الفتن: باب ما جاء في لزوم الجماعة، رقم (٢١٦٥) وكتاب عشرة النساء للنسائي (٢٩١) والسنن الكبرى (٧: ٩١) وصحيح ابن حبان (١٦: ٢٣٩-٢٤٠) والمستدرك (١: ١١٣-١١٤) وكتاب المعجم لابن الأعرابي، رقم (١٠٣٦) وانظر مصنف ابن أبي شيبة (١٢: ١٧٧). والمختارة (١: ٢٩٤-٢٩٥).

(٣١٠) مسند أحمد (١: ٢٦) والسنة (٢: ٦٣١) وعشرة النساء للنسائي (٢٨٧-٢٨٨) ومسند أبي يعلى (١: ١٣١-١٣٣) من طرق، والبحر الزخار (١: ٢٦٩) وكشف الأستار (١: =

* ورواه أحمد وسعيد بن منصور والنسائي والطبراني -مختصراً[(٣٠٦)]- من حديث عبد الله بن ثعلبة بن صُعَيْر رضي الله تعالى عنه. برجال الصحيح، لكن عبد الله رضي الله تعالى عنه له رؤية.

* ورواه الطبراني في الكبير برجال الصحيح، من حديث كعب بن مالك رضي الله تعالى عنه بلفظ: (أنا شهيد على هؤلاء).

* عن عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه قال: صلى رسول الله ﷺ على قتلى أُحُد [صلاته على الميت] بعد ثماني سنين، كالمودع للأحياء والأموات، ثم طلع المنبر، فقال: (إني بين أيديكم فَرَطٌ، وأنا عليكم شهيد، وإنَّ موعدَكم الحوضُ، وإني لأنظر إليه من مقامي هذا، وإني لست أخشى عليكم أن تشركوا، ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها).

قال: فكانت آخرَ نظرةٍ نظرتُها إلى رسول الله ﷺ. متفق عليه[(٣٠٧)].

ولهذا كان ﷺ يقول لشهداء أحد: إخواننا. كما في حديث طلحة بن عبيد الله رضي الله تعالى عنه، كما عند أحمد وأبي داود وابن شَبَّة والبيهقي بإسناد صحيح[(٣٠٨)].

= باب الصلاة على الشهيد، وفي غيرهما.

(٣٠٦) انظر: مسند أحمد (٥: ٤٣١، ٤٣٢) وسنن سعيد بن منصور (٢: ٣: ٢٤١) (٥: ٣٤٠) وسنن النسائي: كتاب الجنائز: باب مواراة الشهيد في دمه (٤: ٧٨) والمعجم الكبير (١٩: ٨٢-٨٣) ومجمع الزوائد (٦: ١١٩) وفتح الباري (٣: ٢١٠).

(٣٠٧) صحيح البخاري: كتاب المغازي: باب غزوة أحد، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الفضائل: باب إثبات حوض نبينا ﷺ، رقم (٣٠-٣١).

(٣٠٨) مسند أحمد (١: ١٦١) وسنن أبي داود: كتاب المناسك: باب زيارة القبور، رقم =

* وفي رواية عنه رضي الله تعالى عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: (يُجاء بنوح يوم القيامة، فيقال له: هل بلغتَ؟ فيقول: نعم يا رب، فتُسأل أمتُه: هل بلَّغَكُم؟ فيقولون: ما جاءنا من نذير. فيقول: مَنْ شهودُك؟ فيقول: محمدٌ وأمتُه، فيُجاء بكم، فتشهدون) ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ قال: عدلاً ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾. رواه البخاري(٣٠٤).

وقد جاءت نصوص كثيرة في بيان شهادة هذه الأمة -وعلى رأسها الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم، سواء في الدنيا أو في الآخرة، وسواء لها أو للأنبياء السابقين عليهم السلام على أممهم- ذكرتُها في الخصائص، وَعظيم قدره ﷺ،... والله تعالى أعلم.

١٠ - شهادة الرسول ﷺ لهم رضي الله تعالى عنهم:

ومن فضائل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم أن رسول الله ﷺ يكون شهيداً عليهم يوم القيامة.

* فعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما، أن رسول الله ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أُحُد في ثوب واحد، ثم يقول: (أيهم أكثر أخذاً للقرآن؟) فإذا أشير إلى أحَد، قدَّمه في اللحد، وقال: (أنا شهيدٌ على هؤلاء يوم القيامة) وأمر بدفنهم بدمائهم، ولم يصلِّ عليهم، ولم يُغسَّلوا. رواه البخاري(٣٠٥).

= وَسَطًا ....﴾، وكتاب الأنبياء: باب ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾.

(٣٠٤) صحيح البخاري: كتاب الاعتصام: باب ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ....﴾.

(٣٠٥) صحيح البخاري: كتاب المغازي: باب من قتل من المسلمين يوم أحد، وكتاب الجنائز: =

أنتم شهداء الله في الأرض). متفق عليه، واللفظ للبخاري[٣٠٠].

* ولفظ مسلم: (من أثنيتُم عليه خيراً وجبت له الجنةُ، ومن أثنيتُم عليه شراً وجبت له النارُ. أنتم شهداء الله في الأرض. أنتم شهداء الله في الأرض. أنتم شهداء الله في الأرض).

كيف لا يكون الصحابة رضي الله تعالى عنهم -والأمة من بعدهم- شهداء الله عز وجل في الأرض، والله تعالى يقول: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[٣٠١].

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[٣٠٢].

* وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: (يُدعى نوحٌ يوم القيامة، فيقول: لبَّيْك وسَعْدَيك يا رب، فيقول: هل بلغتَ؟ فيقول: نعم. فيقال لأمته: هل بلَّغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذيرٍ. فيقول: من يشهدُ لك؟ فيقول: محمدٌ وأمتُه، فيشهدون أنه قد بلَّغ، ويكون الرسول عليكم شهيداً، فذلك قوله جل ذكره: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾. رواه البخاري[٣٠٣].

---

(٣٠٠) صحيح البخاري: كتاب الجنائز: باب ثناء الناس على الميت. وصحيح مسلم: كتاب الجنائز: باب فيمن يثنى عليه بخير أو شر من الموتى، رقم (٦٠).

(٣٠١) سورة البقرة (١٤٣).

(٣٠٢) سورة الحج (٧٨).

(٣٠٣) صحيح البخاري: كتاب التفسير: تفسير سورة البقرة: باب ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً =

يقول لنا: (إنكم توشكون أن تكونوا في الناس كالملح في الطعام، ولا يصلح الطعام إلاّ بالملح). رواه البزار والطبراني في المعجم الكبير-وإسناده حسن[٢٩٨].

* وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (مثلُ أصحابي مثلُ الملح في الطعام، لا يصلح الطعام إلاّ به). رواه ابن المبارك والبزار وأبو يعلى والبغوي. وفي إسنادهم: إسماعيل بن مسلم المكي وهو ضعيف[٢٩٩]، لكن يشهد له ما سبق فهو به حسن، والله تعالى أعلم.

٩- هم رضي الله تعالى عنهم شهداء الله تعالى في الأرض:

ومن مكانة الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ورفعة قدرهم، وعلو مقامهم عند الله عز وجل؛ أن جعلهم -والأمة المسلمة من بعدهم- شهداء الله تعالى الأرض. كما أضافهم الله عز وجل إليه إضافة تشريف وتكريم، بحيث يقبل قولهم وشهادتهم، وإن لم تطابق الواقع.

* فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: مرّوا بجنازة، فأثنوا عليها خيراً. فقال النبي ﷺ: (وجبت) ثم مرّوا بأخرى، فأثنوا عليها شراً، فقال: (وجبت) فقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: ما وجبت؟ قال: (هذا أثنيتُم عليه خيراً، فوجبت له الجنةُ، وهذا أثنيتُم عليه شراً، فوجبت له النارُ.

---

(٢٩٨) كشف الأستار (٣: ٢٩١) ومختصر زوائد البزار (٢: ٣٦٥) والمعجم الكبير (٧: ٢٦٨) ومجمع الزوائد (١٠: ١٨) وكنز العمال (١١: ٥٣٧).

(٢٩٩) مختصر زوائد البزار (٢: ٣٦٥) وكشف الأستار (٣: ٢٩١) ومسند أبي يعلى (٥: ١٥١) والزهد لابن المبارك (٢٠٠-٢٠١) ومجمع الزوائد (١٠: ١٨) والمطالب العالية (٤: ١٤٩-١٥٠).

٧- لا تزال الأمة بخير ما بقي الصحابة رضي الله تعالى عنهم:

ومن عظم مكانة الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم، ورفعة قدرهم، وعلو مقامهم عند الله تعالى؛ أن الأمة تكون بخير ما بقي أحد من أصحاب رسول الله ﷺ حيّاً، وذلك لفضلهم وصلاحهم رضي الله تعالى عنهم. كيف وهم أَمَنَةٌ لهذه الأمة، كما سبق بيانه في رقم (٣).

* فعن واثلة بن الأسقع رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تزالون بخير ما دام فيكم من رآني وصاحبني، والله لا تزالون بخير ما دام فيكم من رآني وصاحَبَ من صاحبني). رواه ابن أبي شيبة وابن أبي عاصم والطبراني وأبو نعيم، وكلهم برجال ثقات، والحديث صحيح[٢٩٧]، والله تعالى أعلم.

٨-الصحابة رضي الله تعالى عنهم كالملح، ولا يصلح الطعام بدونه:

كما أن الطعام لا يصلح إلاّ بالملح؛ كذلك حال الصحابة رضي الله تعالى عنهم، فهم كالملح، لا تصلح الحياة إلاّ بهم، لهذا لما زالوا بوفاتهم رضي الله تعالى عنهم أتى الأمةَ من الفتن والملاحم والقتال،... الذي ما زالت الأمة تعاني منه إلى يومنا هذا، وإلى ما شاء الله بعدنا.

* فعن سمرة بن جندب رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ

= ١٤٨) ومجمع الزوائد (١٠: ١٨) وكنز العمال (١١: ٥٣٧).

(٢٩٧) مصنف ابن أبي شيبة (١٢: ١٧٨) والسنة (٢: ٦٣٠رقم١٤٨١، ١٤٨٢) والمعجم الكبير (٢٢: ٨٥-٨٦) ومسند الشاميين (١: ٤٥٢-٤٥٣) ومجمع الزوائد (١٠: ٢٠) والمطالب العالية (٤: ١٤٧) وكنز العمال (١١: ٥٣٦).

أصحابَ رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم [وفي رواية لمسلم: فيفتح لهم به] ثم يأتي على الناس زمان؛ فيغزو فئام من الناس، فيقال: هل فيكم مَن صاحَبَ مَن صَاحبَ أصحابَ رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم [وفي رواية لمسلم: فيفتح لهم به]). متفق عليه، واللفظ للبخاري(٢٩٥).

ففي هذا الحديث بيان فضل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم، وبيان فضل من صاحَبَهم، أو من صاحَبَ من صاحبهم، وهم القرون الثلاثة.

كما فيه بيان انقراض عصر الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ولهذا لا يقبل دعوى من ادعى الصحبة في العصور المتأخرة. كما مر بيانه في التمهيد، والله تعالى أعلم.

* عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (ليأتين على الناس زمان يخرج الجيشُ، فيُطلبُ الرجلُ من أصحابي، فيقال: فيكم رجلٌ من أصحاب محمد -ﷺ-؟ فيقولون: نعم، فيستفتحون به، فيُفتح عليهم. ثم يأتي على الناس زمان فيخرج الجيشُ، فيقال: هل فيكم رجلٌ من أصحاب محمد -ﷺ-؟ فيطلبونه، فلا يجدونه، فيقال: هل فيكم أحدٌ رأى أحداً من أصحاب محمد -ﷺ-؟ فيطلبونه، فلا يجدونه، فلو كان رجل من أصحابي وراء البحر لأتوه). رواه ابن أبي شيبة وعبد بن حُميد وأبو يعلى برجال الصحيح، والشاشي والضياء. وسنده صحيح(٢٩٦)، والله تعالى أعلم.

(٢٩٥) صحيح البخاري: كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ: باب فضائل أصحاب النبي ﷺ، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب فضائل الصحابة، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، رقم (٢٠٨، ٢٠٩).

(٢٩٦) مسند عبد بن حميد (٣١٣) ومسند أبي يعلى (٤: ٢٠٠-٢٠١) والمطالب العالية (٤: =

وأنصاراً، وأصهاراً، فمن سبَّهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يُقبل منه يومَ القيامة صرف ولا عدل). رواه ابن أبي عاصم والطبراني، والحاكم وصححه وأقره الذهبي(٢٩٤).

* كما جاء نحو هذا الحديث عن عدد من الصحابة أيضاً. ويكفي أنهم داخلون دخولاً أولياً في ما جاء في فضل هذه الأمة ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ و﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ كما بيّنت ذلك في "الخصائص" و"عظيم قدره ﷺ"، والله تعالى أعلم.

٦- يفتح على الجيش إذا كان فيهم صحابي:

إن من فضائل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم: أن وجودهم يكون سبباً لنصر الله عز وجل للجيش الذي يكونون فيه، وذلك لما لهم عند الله سبحانه وتعالى من مكانة عالية، ولِما أكرمهم الله عز وجل بإجابة الدعاء، والصدق في العزم، ولما لهم من الفضل والمكانة.

* عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يأتي على الناس زمان، فيغزو فئام من الناس، فيقولون: فيكم مَن صَاحبَ رسول الله ﷺ؟ فيقولون لهم: نعم، فيفتح لهم [وفي رواية عند مسلم: انظروا هل تجدون فيكم أحداً من أصحاب النبي ﷺ؟ فيوجد الرجل، فيفتح لهم به]، ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس، فيقال: هل فيكم مَن صَاحبَ

(٢٩٤) الآحاد والمثاني (٣: ٣٧٠) (٤: ٤) والسنة (٢: ٤٨٣) والمعجم الكبير (١٧: ١٤٠) والمستدرك (٣: ٦٣٢) ومجمع الزوائد (١٠: ١٧).

(أوقدوا واصطنعوا، فإنه لن يدركَ أحدٌ بعدكم مُدَّكم ولا صاعَكم). رواه ابن أبي شيبة وأحمد والنسائي وأبو يعلى برجال ثقات، وصححه الحاكم وأقره الذهبي، وحسنه الحافظ في الفتح[٣٤٨]، والله تعالى أعلم.

٢٣- لن يدخل النارَ أحدٌ ممن بايع تحت الشجرة:

من فضائل أهل بيعة الرضوان رضي الله تعالى عنهم -بالحُدَيْبِيَة- الذين بايعوا رسولَ الله ﷺ -تحت الشجرة- أنه لن يدخلَ أحدٌ منهم النارَ يوم القيامة، وهذا فضلٌ من الله عز وجل، أكرم به هؤلاء الصفوة من الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

* فعن أم بشر رضي الله تعالى عنها -زوجة زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه-: أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة-رضي الله تعالى عنها-: (لا يدخل النار -إن شاء الله تعالى- من أصحاب الشجرة أحدٌ، الذين بايعوا تحتها).

قالت: بلى، يا رسول الله؛ فانتهرها. قالت حفصة: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾[٣٤٩] فقال ﷺ: (قد قال الله عز وجل: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾[٣٥٠]. رواه مسلم[٣٥١]. وقد سبق ذكر رواية ثانية لهذا

---

(٣٤٨) مصنف ابن أبي شيبة (٨: ٦٦٩) (١٤: ٤٤٣) ومسند أحمد (٣: ٢٦) والسنن الكبرى للنسائي: كتاب السير: باب الوقود والاصطناع بالليل (٥: ٢٦٨) ومسند أبي يعلى (٢: ٢٧٢) والمستدرك (٣: ٣٦) وتاريخ أصبهان (٢: ١٦٩) ومجمع الزوائد (٦: ١٤٥) (٩: ١٦١) وفتح الباري (٧: ٤٤٣).

(٣٤٩) سورة مريم (٧١).

(٣٥٠) سورة مريم الآية (٧٢).

(٣٥١) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة =

الحديث، عند رقم(٢٠).

* وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يدخل النارَ أحدٌ ممن بايع تحت الشجرة). رواه أحمد وأبو داود والنسائي، وصححه الترمذي ورواه ابن حبان بإسناد صحيح[٣٥٢] على شرط مسلم.

* وقد سبق ذكر حديث جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما في قصة غلام حاطب بن أبي بلتعة رضي الله تعالى عنهما-وفيه: (لا يدخلها، فإنه شهد بدراً والحُدَيْبِيَة). رواه مسلم.

* كما سبق ذكر حديث أمِّ مبشِّر رضي الله تعالى عنها، وفيه قوله ﷺ: (لا يدخل النارَ رجلٌ شهد بدراً والحُدَيْبِيَة). وهو صحيح أيضاً، والله تعالى أعلم.

٢٤- وجوب الجنة لأهل بيعة الرضوان رضي الله تعالى عنهم:

والذين لا يدخلون النار فهم يدخلون الجنة بإذن الله تعالى، وذلك لأنه لا ثالث لهما، فالذي لا يدخل النارَ يدخل الجنةَ بإذن الله تعالى، لأن الله تعالى قال: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾[٣٥٣].

= الرضوان رضي الله تعالى عنهم، رقم (١٦٣).

(٣٥٢) مسند أحمد (٣: ٣٥٠) وسنن أبي داود: كتاب السنة: باب في الخلفاء، رقم(٤٦٥٣) وسنن الترمذي: كتاب المناقب: باب في فضل من بايع تحت الشجرة، رقم (٣٨٦٠) والسنن الكبرى للنسائي: كتاب التفسير (٦: ٤٦٤) وصحيح ابن حبان (١١: ١٢٧) وانظر مجمع الزوائد (٦: ١٤٤) (٩: ١٦٠) ومختصر زوائد البزار (٢: ٣٨٠) لحديث أبي سعيد الخدري، وابن أبي أوفى رضي الله تعالى عنهم-وكلاهما برجال ثقات.

(٣٥٣) سورة آل عمران (١٨٥).

ثم إنهم مغفور لهم، وقد حط الله سبحانه وتعالى عن أهل الحُدَيْبِيَة ما حط عن بني إسرائيل، مع الفارق بينهما.

* فعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما، عن النبي ﷺ قال: (ليدخلَنَّ الجنةَ من بايع تحت الشجرة، إلاّ صاحبُ الجمل الأحمر). رواه الترمذي(٣٥٤) وحسنه.

* ورواه البزار(٣٥٥) من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بلفظه، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، غير خداش بن عياش: وهو ثقة.

* وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (من يصعد الثنيةَ: ثنية الْمُرار، فإنه يُحط ما حُط عن بني إسرائيل).

قال: فكان أولَ من صعدها خيلُنا، خيلُ بني الخزرج، ثم تتامَّ الناس، فقال رسول الله ﷺ: (وكلكم مغفور له، إلاّ صاحب الجمل الأحمر) فأتيناه، فقلنا له: تعال يستغفر لك رسول الله ﷺ. فقال: والله لأن أجد ضالتي أحبُّ إليَّ من أن يستغفر لي صاحبُكم.

قال: وكان رجل ينشد ضالةً له. رواه مسلم(٣٥٦).

وصاحب الجمل الأحمر: هو جدُّ بن قيس الأنصاري، لم يبايع النبي ﷺ وهو من المنافقين.

* وعن أبي الزبير رحمه الله تعالى، أنه سمع جابراً رضي الله تعالى عنه

---

(٣٥٤) سنن الترمذي: كتاب المناقب: باب فيمن سب أصحاب النبي ﷺ، رقم (٣٨٦٣).

(٣٥٥) البحر الزخار (١١: ١٢) وكشف الأستار (٣: ٢٨٨) ومجمع الزوائد (٩: ١٦١).

(٣٥٦) صحيح مسلم: كتاب صفات المنافقين، رقم (١٢).

يُسأل: كم كانوا يوم الحُدَيْبِيَة؟ قال: كنا أربع عشر مائة. فبايعناه، وعمر رضي الله تعالى عنه آخذٌ بيده تحت الشجرة، وهي سمرة. فبايعناه، غير جدّ ابن قيس الأنصاري، اختبأ تحت بطن بعيره. رواه مسلم[٣٥٧].

* و لم يشهد عثمان رضي الله تعالى عنه بيعة الرضوان، لأن البيعة كلّها كانت بسببه، لما أرسله رسولُ الله ﷺ إلى زعماء قريش، ليبلغهم أن النبي ﷺ والمسلمين ما جاؤوا إلاّ معتمرين، لا يريدون قتالاً. فلما حبسوه، أُشيع أنه رضي الله تعالى عنه قد قُتل، لذلك دعا النبيُّ ﷺ الناسَ إلى البيعة، وقد وضع النبي ﷺ يدَه الأخرى نيابةً عن يد عثمان رضي الله تعالى عنه، فكانت يد رسول الله ﷺ لعثمان خيراً من أيديهم لأنفسهم.

* فعن عثمان بن موهب رحمه الله تعالى قال: جاء رجل من أهل مصر وحج البيت، فرأى قوماً جلوساً فقال: من هؤلاء القوم؟ فقالوا: هؤلاء قريش، قال: فمن الشيخ فيهم؟ قالوا: عبد الله بن عمر، قال: يا ابن عُمر، إني سائلك عن شيء فحدثني عنه،... هل تعلم أن عثمان تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها؟ قال: نعم، قال: الله أكبر.

قال ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: تعال أبين لك:... وأما تغيُّبُه عن بيعة الرضوان، فلو كان أحدٌ أعزَّ ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه، فبعث رسول الله ﷺ عثمان، وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة، فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى: (هذه يد عثمان) فضرب بها على يده،

(٣٥٧) صحيح مسلم: كتاب الإمارة: باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال، رقم (٦٩).

فقال: (هذه لعثمان). رواه البخاري[358].

* وجاء في حديث أنس رضي الله تعالى عنه، فقال رسول الله ﷺ: (إن عثمان في حاجة الله وحاجة رسوله ﷺ) فضرب بإحدى يديه على الأخرى، فكانت يدُ رسول الله ﷺ لعثمان خيراً من أيديهم لأنفسهم. رواه الترمذي وصححه[359]، والله تعالى أعلم.

٢٥- فيهم رضي الله تعالى عنهم سادات أهل الجنة:

ومن فضائل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم، ورفعة قدرهم، وعلو مقامهم عند الله تعالى،... أن جعل الله عز وجل سادات أهل الجنة منهم -بعد الأنبياء والمرسلين على نبينا وعليهم الصلاة والسلام- وقد توسعت في إيراد النصوص في (الخصائص التي انفرد بها ﷺ...) وذكرت مختصره في (عظيم قدره ﷺ...).

* فعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة). رواه ابن أبي شيبة وأحمد والنسائي والفسوي والطحاوي وأبو يعلى والطبراني، وصححه الترمذي والحاكم وابن حبان[360].

(٣٥٨) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة: باب مناقب عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، وفي غيرهما.

(٣٥٩) سنن الترمذي: كتاب المناقب: باب مناقب عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، رقم (٣٧٠٢).

(٣٦٠) مصنف ابن أبي شيبة (١٢: ٩٦) ومسند أحمد (٣: ٣، ٦٢، ٦٤، ٨٠، ٨٢) وفضائل =

* وعن حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (أما رأيت العارض الذي عرض لي؟) فقلت: بلى، قال: (هو ملك من الملائكة لم يهبط إلى الأرض قط قبل هذه الليلة، استأذن ربَّه أن يسلم عليَّ، وبشرني أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة). رواه أحمد والترمذي وحسنه والنسائي وابن أبي شيبة والطبراني والخطيب، وصححه ابن حبان والحاكم وأقره الذهبي، ورجاله أغلبهم رجال الصحيح الثقات(٣٦١).

* وهذا الحديث متواتر حيث رواه تسعة عشر صحابياً(٣٦٢).

= الصحابة له (٢: ٧٧١، ٧٧٤، ٧٧٩-٧٨٠)وسنن الترمذي: كتاب المناقب: باب مناقب الحسن والحسين عليهما السلام، رقم (٣٧٦٨) والسنن الكبرى للنسائي (٥: ٥٠، ١٤٣، ١٤٤) وفضائل الصحابة له (٩١) والمعرفة والتأريخ (٢: ٦٤٤) وشرح مشكل الآثار (٢: ٣٩٣) ومسند أبي يعلى (٢: ٣٩٥) والمعجم الكبير (٣: ٢٨-٢٩) من عدة طرق، وصحيح ابن حبان (٩: ٥٥) والموارد، رقم(٢٢٢٨) والمستدرك (٣: ١٦٦-١٦٧) وحلية الأولياء (٨: ٧١) وتاريخ بغداد (٤: ٢٠٧) (١١: ٩٠) وإسناد عدد منهم ثقات رجال الصحيح. وانظر مجمع الزوائد (٩: ٢٠١).

(٣٦١) مصنف ابن أبي شيبة (١٢: ٩٦) ومسند أحمد (٥: ٣٩١-٣٩٢) وسنن الترمذي: في الكتاب والباب السابقين، رقم (٣٧٨١) والسنن الكبرى للنسائي(٥: ٩٥) وفضائل الصحابة له (١٧٢، ٢٠٠) رقم (١٩٣، ٢٦٠) والمعجم الكبير (٣: ٢٧-٢٨) من طرق، وصحيح ابن حبان (٩: ٥٥) والموارد، رقم (٢٢٢٩) والمستدرك (٣: ٣٨١) (٣: ١٥١) وتاريخ بغداد (٦: ٣٧٢-٣٧٣).

(٣٦٢) لقد ورد هذا الحديث عن عدد من الصحابة. فقد ذكره السيوطي في الأزهار (٣٩) وقطف الأزهار (٢٨٦-٢٨٧) من طريق ستة عشر صحابياً. والزبيدي في لقط اللآلئ =

* وعن السيدة فاطمة رضي الله تعالى عنها قالت: أسرَّ إليَّ رسول الله ﷺ (أن جبريل كان يعارضني القرآن كلَّ سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلاّ حضر أجلي، وأنتِ أولُ أهل بيتي لحاقاً بي) فبكيت، فقال: (أما ترضين أن تكوني سيدةَ نساء أهل الجنة، أو نساء المؤمنين) فضحكتُ لذلك. متفق عليه، واللفظ للبخاري(٣٦٣).

* لكن رواية حديث حذيفة -السابق- وحديث السيدة عائشة رضي الله تعالى عنهما يرجحان ما وقع من الشك في هذه الرواية، حيث جاء فيه، أن النبيَّ ﷺ قال-وهو في مرضه الذي تُوُفِّي فيه: (يا فاطمة ألا ترضين أن

= (١٤٩-١٥١) من طريق خمسة عشر صحابياً، والسيد الكتاني في نظم المتناثر (١٢٥) والسيد الغماري في الإتحاف (١٣٢) من طريق سبعة عشر صحابياً.

وهؤلاء الصحابة رضي الله تعالى عنهم هم: عمر بن الخطاب، علي بن أبي طالب، الحسن بن علي، الحسين بن علي، عبد الله بن عمر، أبو هريرة، جابر بن عبد الله، أسامة بن زيد، عبد الله بن مسعود، البراء بن عازب، عبد الله بن عباس، أنس بن مالك، مالك بن الحُويرث، قرة بن إياس، وبُريدة بن الحصيب رضي الله تعالى عنهم. إضافة إلى أبي سعيد وحذيفة رضي الله تعالى عنهم جميعاً.

ووجدت حديثين آخرين: الأول من رواية أبي رمثة رضي الله تعالى عنه، رواه ابن عساكر، كما في الكنز (١٢: ١٢٠-١٢١) رقم (٣٤٢٨٩) والثاني: جهم-غير منسوب-أخرج حديثَه ابن منده وأبو نعيم وابن عساكر، ويروي عنه ذو الكلاع.

انظر: الحديث في الإصابة (١: ٥٢٢) وكنز العمال (١٣: ٦٦٥ رقم ٣٧٦٩٣) فزاد العدد إلى تسعة عشر صحابياً، والله تعالى أعلم.

(٣٦٣) صحيح البخاري: كتاب المناقب: باب علامات النبوة في الإسلام، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب فضائل فاطمة بنت النبي عليهما الصلاة والسلام، رقم (٩٨-٩٩).

تكوني سيدةَ نساءِ العالمين، وسيدةَ نساءِ هذه الأمة، وسيدةَ نساءِ المؤمنين). رواه الحاكم وصححه وأقره الذهبي(٣٦٤).

* وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر-رضي الله تعالى عنهما-: (هذان سيدا كهول أهل الجنة، من الأوَّلين والآخِرين، إلاّ النبيين والمرسلين). رواه الترمذي-وحسنه-وابن أبي عاصم وعبد الله في زوائد الفضائل والطحاوي، والضياء في المختارة(٣٦٥).

* ورواه أيضاً ابن أبي شيبة وأحمد وابن أبي عاصم والترمذي وابن ماجه وعبد الله بن أحمد والطحاوي والبزار وأبو يعلى والآجري والدلاوبي والطبراني والضياء من طرقٍ عن عليٍّ رضي الله تعالى عنه(٣٦٦).

(٣٦٤) المستدرك (٣: ١٥٦).

(٣٦٥) سنن الترمذي: كتاب المناقب: باب في مناقب أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما كليهما، رقم (٣٦٦٤) والسنة (٢: ٦١٧) وفضائل الصحابة (١: ١٤٨- ١٤٩) وشرح مشكل الآثار (٢: ٣٩١-٣٩٢) وشرح السنة (١٤: ١٠٢-١٠٣) والشريعة (٤: ١٨٤٩-١٨٥٠، ١٨٥٠) والمعجم الصغير (٢: ١٧٣رقم ٩٧٦) والمختارة (٦: ٢٤٤).

(٣٦٦) مصنف ابن أبي شيبة (١٢: ١١) ومسند أحمد (١: ٨٠) والسنة (٢: ٦١٧) وفضائل الصحابة (١: ١٢٣-١٢٤، ١٥٨-١٥٩، ١٨٥، ٢١٦، ٢٣٧، ٢٤٦-٢٤٧، ٤٠٩، ٤١٠، ٤٢٤، ٤٤٢، ٤٤٣) وسنن الترمذي: في الكتاب والباب السابقين، رقم (٣٦٦٥-٣٦٦٦) بسندين مختلفين، في الأول: الوليد بن محمد. وفي الثاني: الحارث. وسنن ابن ماجه: المقدمة، رقم (٩٥) وشرح مشكل الآثار (٢: ٣٩٢) والمعجم الأوسط (٢: ٢٠٧) والبحر الزخار (٢: ١٣٢) ومسند أبي يعلى (١: ٤٠٥-٤٠٦، ٤٥٩-٤٦٠) والكنى (٢: ٩٩) والشريعة (٤: ١٨٤٦- ١٨٤٩من طرق) (٥: ٢١٤٢-٢١٤٣) والمختارة (٢: ١٦٧، ١٦٨) ومن حديث خيثمة (٢٠٣) ومسانيد فراس بن يحيى لأبي =

* وعن أبي جُحَيفَةَ رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة، من الأوَّلين والآخِرين، إلاّ النَّبِيِّين والمرسلين). رواه ابن ماجه وابن حبان والدولابي في الكنى والطبراني، رووه بإسنادين حسنين، فهو بهما صحيح لغيره(٣٦٧) إن شاء الله تعالى.

* وقد ورد هذا الحديث أيضاً عن كلٍّ من: أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله تعالى عنه عند البزار والطبراني في الأوسط وغيرهم، ومن حديث ابن عُمر رضي الله تعالى عنهما عند البزار وابن عساكر والآجري والحاكم، ومن حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عند عبد الله بن أحمد في زوائده على فضائل الصحابة-وهو حسن-والخطيب البغدادي، ومن حديث ابن عباسٍ رضي الله تعالى عنهما عند خيثمة والآجري والخطيب وابن عساكر، ومن حديث جابر بنِ عبدِ الله رضي الله تعالى عنهما عند البزار والطبراني في الأوسط بسند حسن، ومن حديث الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما عند ابن عساكر، وعن غيرهم أيضاً(٣٦٨) فالحديث صحيح، والله تعالى أعلم.

* وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله

= نعيم (٨٧-٨٩) وإسناد عدد منهم حسن.

(٣٦٧) سنن ابن ماجه: المقدمة: فضل أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، رقم (١٠٠) وصحيح ابن حبان (٩: ٢٥) والموارد (٥٣٨) والكنى (١: ١٢٠) والمعجم الكبير (٢٢: ١٠٤).

(٣٦٨) انظر: فضائل الصحابة (١: ١٨٨، ٤٤١) وكشف الأستار (٣: ١٦٨) ومختصر زوائد البزار (٢: ٢٨٨) وتاريخ بغداد (١٤: ٢١٦-٢١٧) ومن حديث خيثمة (١٩٩) ومجمع البحرين (٦: ٢٢٩-٢٣٠) والشريعة، بأرقام (١٦٢١-١٦٢٩) وكنز العمال في مواطن متعددة.

ﷺ: (سيد الشهداء عند الله يوم القيامة حمزة بن عبد المطلب،...). رواه الحاكم من طريقين، والضياء في المختارة، والديلمي والطبراني والخطيب وابن عبد البر، وصححه الحافظ السيوطي.

* ورواه الطبراني في الأوسط، وابن عبد البر -بسند فيه ضعف- من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما.

* ورواه الحاكم والطبراني من حديث علي رضي الله تعالى عنه، فالحديث حسن، وصححه السيوطي رحمه الله تعالى[٣٦٩]، والله تعالى أعلم.

٢٦- قلوب الصحابة رضي الله تعالى عنهم خير قلوب العباد:

إن الله سبحانه وتعالى اختار نبيَّه وحبيبَه ومصطفاه سيدنا محمداً ﷺ، واختار له أصحاباً ووزراء،... فجعل قلوبهم خير قلوب العباد، وذلك كله فضلُ الله تعالى يؤتيه من يشاء من عباده.

* فعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: إن الله نظر إلى قلوب العباد، فوجد قلبَ محمد ﷺ خيرَ قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ، فوجد قلوبَ أصحابه خيرَ قلوب العباد، فجعلهم وزراءَ نبيه ﷺ، يقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رأوا سيئاً فهو عند الله سيء.

(٣٦٩) المستدرك (٢: ١٢٠) (٣: ١٩٢، ١٩٥، ١٩٩) والمعجم الكبير (٣: ١٦٥) والمعجم الأوسط (١: ٢٨١) (٤: ٢٣٨) وتاريخ بغداد (٦: ٣٧٧) ومسند الفردوس (٢: ٣٢٤) ومجمع البحرين (٦: ٣١٣-٣١٤، ٣١٤) (٧: ٢٣٥) والتمهيد (١٣: ٥٤، ٥٥) ومجمع الزوائد (٧: ٢٦٦، ٢٧٢) (٩: ٢٦٨) والجامع الصغير (٢: ٥٩) وكنز العمال (١١: ٦٧٥).

رواه الطيالسي وأحمد والبزار والطبراني والبغوي وابن الأعرابي وأبو نعيم والخطيب، وذكر الحاكم آخره، وصححه وأقره الذهبي(٣٧٠)، وفي إسنادهم جميعاً عاصم روى له الشيخان مقروناً، والباقي رجال الصحيح، فالحديث حسن، والله تعالى أعلم.

٢٧- بعث الصحابي قائداً ونوراً للأرض التي يموت فيها:

إن صحابة رسول الله ﷺ لم ولن يموتوا في مكة والمدينة فحسب، بل سيموتون في مناطق نائية، وهكذا كان، حيث إن قبورَ بعضهم رضي الله تعالى عنهم ما زالت في بلاد القوقاز وتركيا وفي السند وفارس والعراق والشام وشمال أفريقيا، وسيحشرون يوم القيامة من تلك البلاد، ويكونون نوراً وقادةً لأهالي تلك المناطق التي يموتون فيها، وفي هذا عَلَمٌ من أعلام النبوة، حيث أخبر رسول الله ﷺ أن الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم يموتون في غير المدينة، وقد كان كذلك حيث أكثر من تسعة أعشارهم مات في غير المدينة.

* فعن بُريدة بن الحُصَيب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ما من أحد من أصحابي يموت بأرض إلاّ بُعث قائداً ونوراً لهم يوم القيامة).

(٣٧٠) مسند الطيالسي (٣٣) ومسند أحمد (١: ٣٧٩) وفضائل الصحابة (١: ٣٦٧-٣٦٨) والمعجم الكبير (٩: ١١٨، ١٢١) والبحر الزخار (٥: ١١٩، ٢١٢-١١٣) وكشف الأستار (١: ٨١) (٣: ١١٤) وشرح السنة (١: ٢١٤-٢١٥) والفقيه والمتفقه (١: ١٦٦- ١٦٧) وحلية الأولياء (١: ٣٧٥-٣٧٦) ومعرفة الصحابة (١: ١٤٢-١٤٣) ومعجم ابن الأعرابي (٢: ١٦١-١٦٢) والمستدرك (٣: ٧٨) ومجمع الزوائد (١: ١٧٧-١٧٨) (٨: ٢٥٢).

رواه الترمذي[٣٧١]، وإسناده ثقات إلا عثمان بن ناجية: وهو مستور. ورواه أبو نعيم في المعرفة من طريقين، في أحدهما يحيى بن عباد -وهو ضعيف- وفي الثاني محمد بن الفضل بن عطية -وهو متهم- ورواه ابن عساكر، كما رواه البغوي-من الطريق الثاني-ونقل عن الترمذي تحسينه، وكذا رواه الخطيب البغدادي وتمام في فوائده، وابن عساكر من حديث علي رضي الله تعالى عنه. فالحديث بهذه الطرق حسن، والله تعالى أعلم.

٢٨- اشتراك المعذور منهم بغيره في الأجر:

إن الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم-كبشر-ليسوا بدرجة واحدة في الغنى والقوة والصحة،... لذا فمن حُبس منهم عن الجهاد لعذر من الأعذار، كضُرٍّ مسه، أو فقر في ماله، أو ضعف في جسده،... فبقي في المدينة ومنعه ذلك العذر من الخروج مع رسول الله ﷺ في الغزو، فإن الله سبحانه وتعالى يكتب له نيَّته، ويجعله ومن خرج مع رسول الله ﷺ شركاء في الأجر، فلا يقطعون وادياً، ولا يسلكون شِعباً، ولا ينفقون نفقةً، إلاّ كانوا معهم.

* فعن جابر ين عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: كنا مع النبي ﷺ في غزاة، فقال: (إن بالمدينة لرجالاً ما سرتم مسيراً، ولا قطعتم وادياً، إلاّ

---

(٣٧١) سنن الترمذي: كتاب المناقب: باب (٥٩) رقم (٣٨٦٥) ومعرفة الصحابة (١: ١٣٧- ١٣٩) وشرح السنة (١٤: ٧٢) وتاريخ بغداد (١: ١٢٧- ١٢٨) وفوائد تمام (١: ١٠٧) وقد جانب المحقق الصواب، ومختصر تاريخ دمشق (٥: ١٨١) لابن منظور، كنز العمال (١١: ٥٣٨).

كانوا معكم، حبسهم المرض). رواه مسلم(٣٧٢).

* وفي رواية ثانية لمسلم أيضاً(٣٧٣) (إلا شركوكم في الأجر).

* وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ كان في غزاة [وفي رواية: رجعنا من غزوة تبوك مع النبي ﷺ] فقال: (إن أقواماً بالمدينة خلفنا، ما سلكنا شِعباً ولا وادياً، إلاّ وهم معنا فيه، حبسهم العذر). رواه البخاري(٣٧٤).

* وفي رواية له أيضاً(٣٧٥) عنه رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ رجع من غزوة تبوك، فدنا من المدينة فقال: (إن بالمدينة أقواماً ما سرتم مسيراً، ولا قطعتم وادياً [زاد في رواية أحمد وأبي داود: ولا أنفقتم نفقة] إلاّ كانوا معكم).

قالوا: يا رسول الله؛ وهم بالمدينة؟ قال: (وهم بالمدينة، حبسهم العذر).

* قال المهلب رحمه الله تعالى: يشهد لهذا الحديث قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾(٣٧٦) الآية، فإنه تعالى فاضل بين المجاهدين والقاعدين، ثم استثنى أولي الضرر من القاعدين، فكأنه ألحقهم

(٣٧٢) صحيح مسلم: كتاب الإمارة: باب ثواب من حبسه عن الغزو مرض أو عذر آخر، رقم (١٥٩).

(٣٧٣) صحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (١٥٩).

(٣٧٤) صحيح البخاري: كتاب الجهاد: باب من حبسه العذر عن الغزو.

(٣٧٥) صحيح البخاري: كتاب المغازي: باب حدثنا يحيى بن بكير، وهو عقب باب نزول النبي ﷺ الحجر. وسنن أبي داود: كتاب الجهاد: باب في الرخصة في القعود من العذر، رقم (٢٥٠٨) ومسند أحمد (٣: ٢١٤).

(٣٧٦) سورة النساء (٩٥).

بالفاضلين.اهـــ. من الفتح[٣٧٧].

٢٩- فيهم من نزلت بسببه آيات تتلى:

ومن فضائل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم: أن فيهم من أنـــزل الله تعالى بسببه آيات تتلى إلى يوم القيامة، وهي مختلفة الأحكام.

* فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه، أنه نَزَلت فيه [أربعُ] آيات من القرآن.

قال: حلَفت أمُّ سعد أن لا تكلِّمه أبداً حتى يكفر بدينه، ولا تأكل ولا تشرب. قالت: زعمْتَ أن الله وصّاك بوالدَيك ، وأنا أمك، وأنا آمرك بهذا. قال: مكَثَتْ ثلاثاً حتى غشي عليها من الجهد. فقام ابنٌ لها يقال له: عُمارة، فسقاها، فجعلت تدعو على سعد، فأنزل الله عز وجل في القرآن هذه الآية: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾[٣٧٨]. ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى﴾ وفيهـــــا ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾[٣٧٩].

وأصاب رسول الله ﷺ غَنيمةً عظيمةً، فإذا فيها سيفٌ فأخذته. فأتيـــتُ به رسول الله ﷺ فقلت: نفِّلني هذا السيفَ، فأنا من قد علمتَ حالَه. فقال: (ردَّه من حيث أخذتَه) فانطلقت. حتى إذا أردتُ أن أُلقيَه في القبض لامتني نفسي، فرجعتُ إليه فقلت: أعطنيه. قال: فشدَّ لي في صوته (ردَّه من حيث أخذتَه) قال: فأنزل الله عز وجل: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾[٣٨٠].

---

(٣٧٧) فتح الباري (٦: ٤٧).

(٣٧٨) سورة العنكبوت (٨).

(٣٧٩) سورة لقمان (١٥).

(٣٨٠) سورة الأنفال (١).

قال: ومرضتُ، فأرسلتُ إلى النبيِّ ﷺ، فأتاني، فقلت: دعني أقْسم مالي حيث شئتُ. قال: فأبى. قلت: فالنصف. قال: فأبى. قلت: فالثلث. قال: فسكت، فكان بعدُ الثلثُ جائزاً.

قال: وأتيتُ على نفر من الأنصار والمهاجرين، فقالوا: تعال نطعمك ونسقيك خمراً -وذلك قبل أن تحرَّمَ الخمرُ- قال: فأتيتُهم في حَشٍّ -والحَشُّ: البستان- فإذا رأسُ جَزورٍ مشويٌّ عندهم، وزقٌّ من خمرٍ. قال: فأكلتُ وشربتُ معهم. قال: فذُكرت الأنصارُ والمهاجرون عندهم. فقلت: المهاجرون خيرٌ من الأنصار. قال: فأخذ رجلٌ أحَدَ لَحْيَي الرأس فضربني به، فجرح بأنفي. فأتيتُ رسول الله ﷺ فأخبرته. فأنزل الله عز وجل فيَّ -يعني نفسَه -شأنَ الخمر: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾[٣٨١]. رواه مسلم[٣٨٢].

* وعنه رضي الله تعالى عنه قال: كنا مع النبي ﷺ ستة نفر، فقال المشركون للنبي ﷺ: اطرد هولاء لا يجترئون علينا.

قال: وكنت أنا، وابنُ مسْعود، ورجلٌ من هذيل، وبلالٌ، ورجلان لست أسمِّيهما، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع، فحدَّث نفسَه، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾. رواه مسلم[٣٨٣].

---

(٣٨١) سورة المائدة (٩٠).

(٣٨٢) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب في فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه، رقم (٤٣-٤٤).

(٣٨٣) صحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (٤٥، ٤٦).

* وفي رواية له عنه رضي الله تعالى عنه قال: فيَّ نزلت: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ قال: نزلت في ستة؛ أنا وابنُ مسعود منهم. وكان المشركون قالوا له: تُدني هؤلاء!.

* وعند أحمد والطبراني من حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: مرَّ الملأُ من قريش على رسول الله ﷺ -وعنده خبابٌ وصُهيبٌ وبلالٌ وعمّار، فقالوا: يا محمد؛ أرضيت بهؤلاء؟... الحديث بنحوه، ورجال أحمد رجال الصحيح، غير كُرْدوس وهو ثقة(٣٨٤).

* وعن خبّاب رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ إلى قوله: ﴿فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ قال: جاء الأقرع ابن حابس التميمي وعُيينةُ بنُ حصن الفزاريُّ فوجدوا رسول الله ﷺ مع صهيب وبلال وعمّار وخبّاب. قاعداً في ناس من الضعفاء من المؤمنين. فلما رأوهم حول النبيِّ ﷺ حقروهم، فأتوه فخَلَوْا به وقالوا: إنا نريد أن تجعل لنا منك مجلساً تَعرف لنا به العربُ فضلَنا، فإن وفود العرب تأتيك فنستحيي أن ترانا العربُ مع هذه الأعبُد. فإذا جئناك فأقمهم عنك، فإذا فرغنا فاقعد معهم إن شئت،... الحديث وفيه:

فنزل جبرائيل عليه السلام فقال: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ

(٣٨٤) مسند أحمد (١: ٤٢٠) والمعجم الكبير (١٠: ٢٦٨) ومجمع الزوائد (٧: ٢٠-٢١) وعزاه في الدر المنثور أيضاً لابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه وأبي نعيم في الحلية.

﴿مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ثم ذكر الأقرعَ بن حابس وعُيينةَ بنَ حِصن فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ﴾[٣٨٥].

قال: فدنونا منه حتى وضعنا ركبَنا على ركبته. وكان رسول الله ﷺ يجلس معنا، فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا. فأنزل الله ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [ولا تجالس الأشراف] ﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ [يعني عُيينةَ والأقرع] ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾[٣٨٦]. [قال: هلاكاً] قال: أمرُ عُيينةَ والأقرع...

قال خباب: فكنا نقعد مع النبيِّ ﷺ، فإذا بلَغنا الساعة التي يقوم فيها: قمنا وتركناه حتى يقوم. رواه ابن أبي شيبة، وابن ماجه بإسناد صحيح[٣٨٧].

---

(٣٨٥) سورة الأنعام (٥٢-٥٤).

(٣٨٦) سورة الكهف (٢٨). انظر: مسند أبي يعلى (٢: ٣٨٢-٣٨٣) ومجمع الزوائد (٧: ٢١) وسنن أبي داود: كتاب العلم: باب في القصص،... رقم (٣٦٦٦). وانظر ما يأتي بعد قليل.

(٣٨٧) مسند ابن أبي شيبة (١: ٣١٨-٣٢٠) ومصنف ابن أبي شيبة (١٢: ٢٠٧-٢٠٨) وسنن ابن ماجه: كتاب الزهد: باب مجالسة الفقراء، رقم (٤١٢٧) وتفسير الطبري (٧: ٣٧٦، ٣٧٧) وشرح مشكل الآثار (١: ٣٣٩-٣٤٠) والمعجم الكبير (٤: ٨٧-٨٨) ودلائل النبوة لأبي نعيم (١: ١٤٦-١٤٧) وللبيهقي (١: ٣٥٢-٣٥٣) ومصباح الزجاجة (٤: ٢١٨-٢٢٠) وانظر الدر المنثور (٣: ٢٧٣).

٣٠- دعاء النبي الكريم ﷺ لهم ألاَّ يكلهم الله تعالى إلى أحد:

ومن فضائل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم: أن النبي الكريم ﷺ دعا الله تعالى لهم ألاَّ يكلهم الله تعالى إلى أحدٍ من خلقه، حتى إليه ﷺ.

* فعن عبد الله بن حوالة رضي الله تعالى عنه قال: بعثَنا رسولُ الله ﷺ حول المدينة على أقدامنا لنغنم، فرجعنا و لم نغنم شيئاً، وعرف الْجَهْدَ في وجوهنا، فقام فينا فقال: (اللهم لا تَكِلهم إِلَيَّ فأَضعُف، ولا تَكِلهم إلى أنفسهم فيعجزوا عنها، ولا تَكِلهم إلى الناس فيستأثروا عليهم).

ثم قال: (لَيُفتحَنَّ لكم الشامُ والرّوم وفارس-أو الرومُ وفارس-حتى يكون لأحدكم من الإبل كذا وكذا، ومن البقر كذا وكذا، ومن الغنم، حتى يُعطى أحدُهم مائةَ دينار فيسخطها).

ثم وَضع يدَه على رأسي-أو على هامتي-ثم قال: (يا ابن حوالة؛ إذا رأيتَ الخلافةَ قد نزلت الأرضَ المقدسةَ، فقد دنت الزلازلُ والبلايا والأمورُ العظامُ، والساعةُ يومئذ أقربُ إلى الناس من يَدِي هذه من رأسك). رواه أحمد وأبو داود والبخاري والفسوي في تاريخيهما، وأبو يعلى والطبراني، والحاكم وصححه وأقره الذهبي، وحسنه الحافظ(٣٨٨).

---

(٣٨٨) مسند أحمد (٥: ٢٨٨) وسنن أبي داود: كتاب الجهاد: باب في الرجل يغزو يلتمس الأجرَ والغنيمة، رقم (٢٥٣٥) والتاريخ الكبير (٨: ٤٣٦-٤٣٧) والمعرفة والتاريخ (١: ٢٦٦-١٦٧) ومسند أبي يعلى (١٢: ٢٨١-٢٨٢) ومسند الشاميين (٣: ١٧٣-١٧٤) والمستدرك (٤: ٤٢٥) وفتح الباري (١٢: ٤٠٣) وانظر مختصر أشراط الساعة، وفضائل بلاد الشام، فقد ذكرت روايات أخرى له، كما ذكرت ما المراد بهذا الحديث، خاصة نزول الخلافة في بلاد الشام.

فهذا الدعاء من النبي المصطفى الكريم ﷺ لهم رضي الله تعالى عنهم يدل على أمور كثيرة، منها محبته ﷺ لهم رضي الله تعالى عنهم، ومنها أن تكون قلوبهم معلقة بالله عز وجل، ومنها أن يجعل الله تعالى حاجتهم رضي الله تعالى عنهم منوطة به لا بغيره،...إلخ.

إضافة إلى إخباره ﷺ بفتح الأمصار-وكان كذلك-مما سد الله تعالى لهم خلتهم.

٣١- عناية الله تعالى وتداركه لهم:

ومن فضائل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم: أنهم إذا وقعوا في ضائقة فإن الله تعالى يدركهم برحمته، ولن يدعهم للهلاك، لأنهم حزبه، وخرجوا في سبيله، لذا كانت عنايته تعالى محيطة بهم أنى حلّوا.

* عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: بعثَنا رسولُ الله ﷺ ونحن ثلاثمائة راكب، وأميرنا أبو عبيدة بن الجراح، نرصد عيراً لقريش [وزوّدنا جراباً من تمر لم يجد لنا غيرَه] [فخرجنا، وكنا ببعض الطريق فني الزّادُ، فأمر أبو عُبيدة بأزواد الجيش فجُمع، فكان مِزْوَدَي-وفي رواية: مزود-تمر، فكان يُقَوِّتُنا كلَّ يوم قليلاً قليلاً، حتى فَنِيَ فلم يكن يصيبنا إلاّ تمرة تمرة] [فقلت: كيف كنتم تصنعون بها؟ قال: نمصُّها كما يمصُّ الصبيُّ، ثم نشرب عليها من الماء، فتكفينا يومنا إلى الليل] [فقلت: ما تغني عنكم التمرةُ؟ فقال: لقد وجدنا فقْدَها حين فنيت] فأقمنا بالساحل نصف شهر، فأصابنا جوعٌ شديدٌ، حتى أكلنا الخَبَطَ، فسُمِّيَ جيشَ الخَبَط.

فألقى البحرُ لنا دابَّةً يقال لها العنبر [قال أبو عُبيدة رضي الله تعالى عنه:

مَيتةٌ. ثم قال: بل نحن رُسلُ رسولِ الله ﷺ، وفي سبيل الله، وقد اضطررتم فكلوا] فأكلنا منها نصفَ شهر، وادَّهنّا من وَدَكها، حتى ثابت إلينا أجسامُنا [وفي رواية حتى سمنّا] قال: فأخذ أبو عبيدة ضلعاً من أضلاعه فنصبه، ثم نظر إلى أطول رجل في الجيش، وأطول جمل، فحمله عليه، فمر تحته.

قال: وجلس في حِجاج عينه نفر [وفي رواية: فلقد أخذ منا أبو عُبيدة ثلاثةَ عشر رجلاً فأقعدهم في وَقْبِ عينه] قال: وأخرجنا من وَقْب عينه كذا وكذا قُلَّةَ وَدَك [وتزوّدنا من لحمه وشائق. فلما قدمنا المدينة: أتينا رسول الله ﷺ، فذكَرْنا ذلك له، فقال: (هو رزقٌ أخرجه الله لكم، فهل معكم من لحمه شيء فتطعمونا؟) قال: فأرسلنا إلى رسول الله ﷺ منه، فأكله. متفق عليه[٣٨٩]. من طرق، وما بين الأقواس فهو منها.

* وفي رواية لمسلم عنه رضي الله تعالى عنه قال: بعثَنا النبيُّ ﷺ -ونحن ثلاثمائة- نحمل أزوادنا على رقابنا. الحديث.

ويجمع بين الروايتين في ذلك: أن كلَّ واحد منهم رضي الله تعالى عنهم خرج يحمل زاده معه، وزوّدهم رسول الله ﷺ بجرابٍ من تمر، فلما قلَّ ما عندهم جمع أبو عُبيدة رضي الله تعالى عنه ما بقي عندهم، فكان مزوداً -أو مزودين- من تمر، فصار يعطيهم منه قبضة قبضة، فلما فني، صار يعطيهم مما زوّدهم النبي المصطفى الكريم ﷺ، فلما قارب على النفاد صار يعطيهم منه تمرة تمرة حتى فني، ثم أكلوا الخَبَط، حتى أنقذهم الله تعالى بالحوت.

---

(٣٨٩) صحيح البخاري: كتاب المغازي: باب غزوة سيف البحر، وفيه ثلاث روايات. وصحيح مسلم: كتاب الصيد والذبائح: باب إباحة ميتات البحر، رقم (١٧- ٢١).

وقد جاء وصف الحوت: كهيئة الظَّرب، وفي رواية: كهيئة الكثيب الضَّخم، أي ربوة أو جبل صغير.

وقذفُ البحر بهذا الحوت الهائل كرامة من الله تعالى لهؤلاء الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم، بحيث إنه تعالى لم يتركهم للهلاك، وقد خرجوا في سبيله، ومرضاته، وطاعة رسوله الكريم ﷺ.

ثم إن البحر الأحمر لا يحوي مثل هذا الحوت الضّخم، لأنه يحتاج إلى مياه عميقة جدّاً، والبحر الأحمر قليل العمق كما هو معلوم، فيكون الله تعالى قد أتى به من البحر العميق كرامة لهؤلاء الكرام رضي الله تعالى عنهم، كما أنقذ يونس عليه السلام بالحوت الذي لم يكن هو الآخر بمياه منطقته، والله تعالى أعلم.

٣٢-كثرة المبشَّرين منهم بالجنة:

ومن فضائل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم: أن فيهم من بشَّره رسولُ الله ﷺ بالجنة، وهؤلاء كثيرون جدّاً، وإن كان كثير من الناس لا يعرفون سوى العشرة المبشَّرين رضي الله تعالى عنهم، واستيعاب ذلك هنا يصعب، وقد كُتب فيه عدة رسائل، لذا أقتصر على ذكر بعض النصوص.

* فعن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه، أنه توضّأ في بيته، ثم خرج، فقال: لألزمنَّ رسول الله ﷺ، ولأكوننَّ معه يومي هذا. قال: فجاء المسجدَ، فسأل عن النبيِّ ﷺ، فقالوا: خرج ووجَّه ههنا. قال: فخرجتُ على إثره أسأل عنه، حتى دخل بئرَ أريس، وتوسَّط قُفَّها، وكشف عن ساقَيه، ودلّاهما في البئر. فسلّمتُ عليه، ثم انصرفتُ، فجلستُ عند الباب، فقلت:

لأكوننَّ بوابَ رسول الله ﷺ اليوم.

فجاء أبو بكر رضي الله تعالى عنه فدفع البابَ، فقلت: من هذا؟ فقال: أبو بكر. فقلت: على رِسلك. ثم ذهبتُ، فقلت: يا رسول الله؛ هذا أبو بكر رضي الله تعالى عنه يستأذن؟ فقال: (ائذن له، وبشّره بالجنة) فأقبلتُ حتى قلتُ لأبي بكر: ادخلْ، ورسولُ الله يبشِّرك بالجنة. فدخل أبو بكر رضي الله تعالى عنه، فجلس عن يمين رسول الله ﷺ معه في القُفِّ، ودلّى رجليه في البئر، كما صنع رسول الله ﷺ، وكشف عن ساقَيه.

ثم رجعتُ، فجلستُ، وقد تركتُ أخي يتوضّأ ويلحقني. فقلت: إن يُرد الله بفلانٍ خيراً-يريد أخاه-يأتِ به.

فإذا إنسانٌ يحرِّك البابَ، فقلت: من هذا؟ فقال: عمرُ بن الخطّاب. فقلتُ: على رِسلك. ثم جئتُ إلى رسول الله ﷺ، فسلّمتُ عليه، فقلت: هذا عمر بن الخطّاب يستأذن؟ فقال: (ائذن له، وبشِّره بالجنة) فجئتُ فقلت: ادخل وبشَّرك رسولُ الله ﷺ بالجنة. فدخل، فجلس مع رسول الله ﷺ في القُفِّ، عن يساره، ودلّى رجليه في البئر.

ثم رجعتُ، فجلستُ، فقلت: إن يُرِد الله بفلان خيراً يأتِ به.

فجاء إنسانٌ يحرِّك البابَ. فقلت: من هذا؟ فقال: عثمانُ بنُ عفان. فقلت: على رسلك. فجئتُ إلى رسول الله ﷺ فأخبرتُه. فقال: (ائذن له، وبشِّره بالجنة على بلوى تصيبه) فجئته، فقلت له: ادخل، وبشَّرك رسولُ الله ﷺ بالجنة على بلوى تصيبك. فدخل، فوجد القُفَّ قد مُلئ، فجلس وجاهَه من الشقِّ الآخَر.

قال سعيد بن المسيّب: فأوَّلتُها قبورهم. متفق عليه(٣٩٠).

* وعن سعيد بن زيد رضي الله تعالى عنه، أن رسـول الله ﷺ قـال: عشرة في الجنة: أبو بكر في الجنة، وعُمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعليٌّ في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبيرُ في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنـة، وسعد بن مالك في الجنة، وأبو عُبيدة في الجنة) وسكت عن العاشر. قـالوا: ومن هو العاشر؟ قال: (سعيد بن زيد في الجنة)... الحديث، رواه الطيالسي والحميدي وابن أبي شيبة وأحمد وابن أبي عاصم والأربعة والبغوي، وصحّحه الترمذي وابن حبان والحاكم والضياء في آخرين(٣٩١).

وقد جاء عند بعضهم بإسقاط أبي عُبيدة رضي الله تعالى عنه.

وقد ورد هذا الحديث عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

(٣٩٠) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة: باب قول النبيِّ ﷺ: (لو كنتُ متَّخِذاً خليلاً)، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل عثمان بن عفـان رضي الله تعالى عنه، رقم (٢٩).

(٣٩١) مسند الطيالسي (٣٢ رقم ٢٣٦) ومسند الحميدي (١: ٤٥) ومصنف ابن أبي شيبة (١٢: ١٢-١٣، ١٣، ١٥) ومسند أحمد (١: ١٨٧) وفـضائل الـصحابة (١: ١١٤-١١٧، ٢٠٤-٢٠٥، ٢٢١) والتاريخ الكبير (٥: ٢٧٣) والسنة (٢: ٦١٩-٦٢١) وسـنن أبي داود: كتاب السنة: باب في الخلفاء، رقم (٤٦٤٩) وفضائل الصحابة للنـسائي (١٠٥-١٠٦، ١٠٧، ١١١) وسنن الترمذي: كتاب المناقب: باب مناقب عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه، رقم (٣٧٤٨) وسنن ابن ماجه: المقدمة: فـضائل العـشرة، رقـم (١٣٣) ومسند أبي يعلى (٢: ٢٥٩-٢٦٠) والبحر الزخـار (٤: ٩٥، ٩٩) ومـسند الشاشي (١: ٢٣٤-٢٣٨ من طرق) وحلية الأولياء (١: ٩٥-٩٦) ومعرفة الصحابة (١: ١٤٥-١٤٩من طرق) وصحيح ابن حبان (١٥: ٤٥٤) والمستدرك (٣: ٤٤٠) وشرح السنة (١٤: ١٢٩) والمختارة (٣: ٢٨٢-٢٨٥، ٢٨٨-٢٩١).

* وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال: ما سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول لأحد يمشي على الأرض: (إنه من أهل الجنة إلاّ لعبد الله بن سلام). متفق عليه(٣٩٢).

وقد ذكرت روايتين أخريين في (السنة النبوية وحي) فانظرهما.

* وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾(٣٩٣). إلى آخر الآية. جلس ثابت بن قيس-رضي الله تعالى عنه-في بيته، وقال: أنا من أهل النار. واحتبس عن النبيِّ ﷺ. فسأل النبيُّ ﷺ سعدَ بنَ معاذٍ فقال: (يا أبا عَمْرو؛ ما شأن ثابت؟ أشتكى؟) قال سعد: إنه لجاري، وما علمتُ له بشكوى. قال: فأتاه سعدٌ، فذكر له قولَ رسولِ الله ﷺ. فقال ثابتٌ: أُنزلَت هذه الآيةُ ولقد علمتُم أني من أرفعكم صوتاً على رسول الله ﷺ. فأنا من أهل النار. فذكر ذلك سعدٌ للنبيِّ ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: (بل هو من أهل الجنة). رواه مسلم(٣٩٤).

زاد في رواية: فكنا نراه يمشي بين أظهرنا؛ رجلٌ من أهل الجنة.

قلت: ورفعُ صوته رضي الله تعالى عنه بسبب أنه كان خطيبَ الأنصار، والخطيبُ يرفع صوته عند الخطبة، فظن أن هذا سيحبط عمله. وليس كذلك

(٣٩٢) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار: باب مناقب عبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنه. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل عبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنه، رقم (١٤٧).

(٣٩٣) سورة الحجرات (٢).

(٣٩٤) صحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب مخافة المؤمن أن يُحبط عمله، رقم (١٨٧-١٨٨).

كما بيَّنه ﷺ، وقد قُتل رضي الله تعالى عنه شهيداً في قتاله المرتدين في اليمامة.

* وعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: ما غِرْتُ على امرأةٍ لرسولِ الله ﷺ كما غرتُ على خديجةَ -رضي الله تعالى عنها- لكثرة ذكرِ رسول الله ﷺ إياها وثنائه عليها. وقد أُوحي إلى رسول الله ﷺ أن يبشِّرَها ببيتٍ لها في الجنة، من قصب -زاد في رواية-: لا صخب فيه ولا نصب. متفقٌ عليه، واللفظ للبخاري(٣٩٥).

وقد روى الشيخان(٣٩٦) البشارة عن عدد من الصحابة منهم عبد الله بن أبي أوفى وأبو هريرة رضي الله تعالى عنهما.

* وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: جلست في عصابة من ضعفاء المهاجرين، وإن بعضهم ليستر ببعض من العُري، وقارئ يقرأ علينا، إذ جاء رسول الله ﷺ، فقام علينا، فلما قام رسول الله ﷺ سكت القارئ، فسلّم، ثم قال: (ما كنتم تصنعون؟) قلنا: يا رسول الله؛ إنه كان قارئ لنا يقرأ علينا، فكنا نستمع إلى كتاب الله. قال: فقال رسول الله ﷺ: (الحمد لله الذي جعل من أمتي من أُمرتُ أن أَصْبِر نفسي معهم).

قال: فجلس رسول الله ﷺ وسَطنا ليعدل بنفسه فينا. ثم قال بيده هكذا، فتحلَّقوا، وبرزت وجوهُهم له. قال: فما رأيت رسول الله ﷺ عرف

(٣٩٥) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار: باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها رضي الله تعالى عنها، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها، رقم (٧٣-٧٦).

(٣٩٦) في الصحيحين: في الكتابين والبابين السابقين، ورقمه عند مسلم (٧١-٧٢).

منهم أحداً غيري. فقال رسول الله ﷺ: (أبشروا يا معشر صعاليك [أي فقراء] المهاجرين بالنور التّامِّ يوم القيامة، تدخلون الجنةَ قبل أغنياء الناس بنصف يوم، وذاك خمسمائة عام). رواه أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه، وابن ماجه وأبو يعلى والبزار بنحوه، وله شواهد كثيرة(٣٩٧).

والأحاديث في ذلك كثيرة.

٣٣-فضل أوائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم:

ومن فضائل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم: أن أوائلهم لا يلحقه من أسلم بعدهم، حتى لو أنفق أَحدُ الأوائل مُدّاً فإنه ينال من الأجر والثواب ما يعادل ما ينفقه المتأخِّرُ فيما لو أنفق مثل جبل أُحُدٍ ذهباً.

* فعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شيء، فسبَّه خالد، فقال رسول الله ﷺ: (لا تسبوا أحداً من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثلَ أُحُد ذهباً، ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نَصيفَه). متفق عليه، واللفظ لمسلم(٣٩٨).

---

(٣٩٧) مسند أحمد (٣: ٦٣، ٩٦) وسنن أبي داود: كاب العلم: باب في القصص، رقم (٣٦٦٦) وسنن الترمذي: كتاب الزهد: باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم، رقم (٢٣٥١) وسنن ابن ماجه: كتاب الزهد: باب منْزلة الفقراء، رقم (٤١٢٣) ومسند أبي يعلى (٢: ٣٨٢-٣٨٣، ٤٨٥- ٤٨٦) وكشف الأستار (٤: ٢٣٩) والمعجم الأوسط (١: ٣٣) ودلائل النبوة (١: ٣٥١-٣٥٢) وشرح السنة (١٤: ١٩١-١٩٢) وانظر الترغيب والترهيب (٥: ٣٠٣ وما بعد) ومجمع الزوائد (١٠: ٢٥٩-٢٦٠) والدر المنثور (٥: ٣٨١-٣٨٢) وقد رواه بعضهم مختصراً.

(٣٩٨) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة: باب حدثنا الحميدي، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب تحريم سب الصحابة رضي الله تعالى عنهم، رقم =

* وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تسبّوا أصحابي، لا تسبّوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدَكم أنفق مثلَ أحُدٍ ذهباً؛ ما أدرك مدَّ أحدهم ولا نصيفَه). رواه مسلم(٣٩٩).

لقد أضافهم النبي المصطفى الكريم ﷺ إلى نفسه فقال: (أصحابي) ونهى متأخّري الصحبة من المهاجرين عن سبِّ متقدِّميهم، مع أنهم جميعاً صحابة يشملهم الوصف الكريم.

إذا كان خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه أسلم بعد صلح الحُدَيْبِيَه، ومع هذا فقد قال له النبي المصطفى الكريم ﷺ ما قال، فكيف بمن أسلم بعد الفتح؟ بل كيف بمن جاء بعدهم؟

ثم إن هذا يقتضي زجر من لم يدرك زمن النبوة، ممن يأتي بعدهم، عن سبِّ الصحابة رضي الله تعالى عنهم من باب أولى.

لذا لُعن ساب الصحابة رضي الله تعالى عنهم، كما مر في الفصل الأول.

٣٤-كانوا رحمة على الأمة:

ومن فضائل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم: أن فيهم من أثبت بسببه رخصة للمسلمين-ممن تصيبه حكَّةٌ أو شرى في جسده، فيكثر القمل فيه-أن يلبس الثوبَ من الحرير، مع أنه حرامٌ على ذكور هذه الأمة.

* فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ رخَّص لعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام-رضي الله تعالى عنهما-في القُمُص

= (٢٢٢).

(٣٩٩) صحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (٢٢١).

الحرير في السفر، من حكَّة كانت بهما، أو وجع كان بهما. متفق عليه(٤٠٠).

* وفي رواية لهما(٤٠١). عنه رضي الله تعالى عنه، أن عبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام -رضي الله تعالى عنهما- شكَوا إلى رسول الله ﷺ القمْلَ، فرخَّص لهما في قُمُص الحرير، في غزاة لهما [وعند البخاري: فرأيتُه عليهما في غزاة].

فكل من كان على شاكلتهما فليفعل ما فعلاه، والله تعالى أعلم.

وما ذكرته تحت هذه العناوين هو غيض من فيض من فضلهم، ونقطة في بحر كمالهم، ورشفةٌ من رحيق عظيم مكانهم، وجزء يسير من كمال قدرهم رضي الله تعالى عنهم،... لكن حسبي ذكرُ ما مر، ففيه مقنع لمن أراد الله تعالى به خيراً، والله تعالى هو الهادي والحافظ.

وصلّى الله تعالى وسلّم وبارك على سيدنا وحبيبنا ونبيّنا وشفيعنا محمد، وعلى آله الطّيِّبين الطاهرين، وصحابته الكرام المبجَّلين، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين. اللهم آمين.



(٤٠٠) صحيح البخاري: كتاب الجهاد: باب الحرير في الحرب. وصحيح مسلم: كتاب اللباس: باب إباحة لبس الحرير للرجل إذا كان به حكة أو نحوها، رقم (٢٤-٢٦).

(٤٠١) في الصحيحين: في الكتابين والبابين السابقين.

الفصل الثاني

ما جاء في السنة النبوية المطهَّرة من الثناء على المهاجرين رضي الله تعالى عنهم، وإظهار فضلهم ومكانتهم

لقد جاءت أحاديث كثيرة عن رسول الله ﷺ فيها مدح المهاجرين، وبيان فضلهم، والثناء عليهم، وعلو مكانتهم، وبيان سابقتهم، وذهابهم بالأجر، وما لاقوه رضي الله تعالى عنهم، وما قاموا به من الهجرة لله تعالى ولرسوله ﷺ، وما تحمَّلوا من قبل الكفار في أقوامهم، وما نالوه من مشقة وعناء في سبيل هذا الدين.

لهذا جاءت النصوص الكثيرة تبيِّن وقوع أجرهم على الله عز وجل، وتفضيلهم بهجرتهم، وذهابهم بأجر الهجرة، ورحمة الله تعالى بهم، وثوابه الجزيل لهم، بحيث إنهم يدخلون أول الناس الجنة، وأنه لا مثل للهجرة، ولولاها لتمنى رسول الله ﷺ أن يكون من الأنصار، كما دعا لهم رسول الله ﷺ بحفظهم وعدم رجوعهم، وأن الهجرة انقطعت لهم،...

أسأله سبحانه وتعالى أن يرزقنا حسن الظن بهم، ويجمِّلنا بمحبتهم، ويرزقنا الحشر معهم، تحت لواء الحبيب المصطفى الكريم، سيد المهاجرين وإمامهم صلوات الله تعالى وسلامه عليه.

ولا أستطيع أن أذكر كلَّ ما ورد في شأنهم رضي الله تعالى عنهم، لذا

سأذكر بعض ما صح في شأهم رضي الله تعالى عنهم، كما لن أطيل الشرح أو التعليق، لأن القصد هو التنبيه على فضلهم ومكانتهم، ووجوب الأدب وحسن الظن بهم، وطلب المغفرة لهم، والترضي عليهم، وعدم التحامل أو البغض أو الكراهية لهم، حتى لا يُسلك بالفاعل غير سبيلهم، ويُؤخذ به بعيداً عنهم، والله تعالى هو المعين.

١ - كون رسول الله ﷺ هو سيد المهاجرين رضي الله تعالى عنهم:

وأعني بذلك كونه ﷺ من المهاجرين، وإلاّ فهو ﷺ سيد العالمين، وسيد المخلوقين، لا سيد المهاجرين فحسب، وقد كان ﷺ قد أُمر بالهجرة وهو في مكة، وأُريها في المنام-ورؤيا الأنبياء وحي-لكن في أول الأمر لم تحدد بالدقة، ثم حدِّد له ﷺ وصفُها، وذُكِر له عينُها، لذا كانت الهجرة إلى المدينة، علماً بأنه ﷺ قد أُخبر عنها ليلة الإسراء.

* فعن الحارث الأشعري رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ قال: (إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات، أن يعمل بها، ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها،...). الحديث بطوله، وفي آخره:

قال النبي ﷺ: (وأنا آمركم بخمس، الله أمرني بهن: السمع، والطاعة، والجهاد، والهجرة، والجماعة، فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلاّ أن يرجع،...). الحديث. رواه الطيالسي وأحمد، وصححه الترمذي وابن خزيمة وابن حبان والحاكم وأقره الذهبي، ورواه أبو يعلى والطبراني في الكبير بأسانيد صحيحة أيضاً(٤٠٢).

(٤٠٢) مسند الطيالسي (١٥٩-١٦٠ رقم ١١٦٠، ١١٦٢) ومسند أحمد (٤: ١٣٠، ٢٠٢) =

وقد رآها النبي المصطفى الكريم ﷺ لكن لم تحدَّد له على القطع في المرة الأولى، ثم حدِّدت له.

* فعن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أُريت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل، فذهب وَهَلي إلى أنها اليمامة أو هَجَر فإذا هي المدينة،...). رواه البخاري(٤٠٣). ثم حدِّدت له ﷺ.

* فعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: في قصة خروج أبي بكر رضي الله تعالى عنه مهاجراً... والنبي ﷺ بمكة، فقال النبي ﷺ: (إني أُريت دار هجرتكم: ذات نخل بين لابتين). رواه البخاري(٤٠٤).

ثم أُمر رسول الله ﷺ بالهجرة إلى المدينة.

* فعن عبد الله بن العباس رضي الله تعالى عنهما قال: بُعث رسول الله ﷺ لأربعين [وفي رواية: وهو ابن أربعين] سنة، فمكث بمكة ثلاثَ عشرة سنةً يوحى إليه، ثم أُمر بالهجرة، فهاجر إلى المدينة. فمكث بها عشر سنين، ثم

= (٥: ٣٤٤) وسنن الترمذي: كتاب الأمثال: باب مثل الصلاة والصيام والصدقة، رقم (٢٨٦٣، ٢٨٦٤) وصحيح ابن خزيمة (١: ٢٤٤) (٢: ٦٤-٦٥) (٣: ١٩٥-١٩٦) وصحيح ابن حبان (١٤: ١٢٤-١٢٦) والمستدرك (١: ١١٧-١١٨، ٢٣٦، ٤٤١-٤٢٢) ومسند أبي يعلى (٣: ١٤٠-١٤٢) والمعجم الكبير (٣: ٣٢٣-٣٢٨) من طرق، والشريعة (١: ٢٨٦) وروى النسائي آخر الحديث في التفسير (٢: ٩٤ رقم ٣٩٩) وفي السنن الكبرى: كتاب السير (٥: ٢٧٢) وانظر الدر المنثور (عند آية الحج) والتمهيد (٢١: ٢٧٩-٢٨٠) والفتح الكبير (١: ٣٢٥-٣٢٦) وفتح الباري (٢: ٢٣٤).

(٤٠٣) صحيح البخاري: كتاب المغازي: باب غزوة أحد.

(٤٠٤) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار: باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة.

تُوُفِّي ﷺ وهو ابن ثلاث وستين. متفق عليه، واللفظ للبخاري(٤٠٥).

* وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أُمرتُ بقرية تأكل القرى، يقولون يثرب، وهي المدينة، تنفي الناسَ كما ينفي الكيرُ خبثَ الحديد). متفق عليه(٤٠٦).

فقوله ﷺ: (أُمرت...) أي أمرني ربي عز وجل بالهجرة إليها، أو سكناها، وذلك على حسب المكان الذي قال فيه هذا الحديث، فإذا كان قد قاله ﷺ وهو في مكة قبل الهجرة، فيكون المعنى: أَمرني بالهجرة إليها، وإذا كان قد قاله ﷺ وهو في المدينة بعد الهجرة، فيكون المعنى: أمرني بسكناها، والله تعالى أعلم.

أما قوله ﷺ: (يقولون يثرب...) فهو حكاية عن المنافقين، كما حكى القرآن الكريم عنهم.

قال الله عز وجل: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾(٤٠٧).

وقد كان يثرب اسمها قبل الإسلام، أما بعده فلا يجوز أن تنادى به، أو

(٤٠٥) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار: باب مبعث النبي ﷺ، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الفضائل: باب كم أقام النبي ﷺ بمكة والمدينة؟، رقم (١١٧، ١١٨).

(٤٠٦) صحيح البخاري: كتاب فضائل المدينة: باب فضل المدينة. وصحيح مسلم: كتاب الحج: باب المدينة تنفي شرارها، رقم (٤٨٨).

(٤٠٧) سورة الأحزاب (١٢- ١٣).

يقال لها ذلك، ومن قال ذلك فليستغفر الله عز وجل[٤٠٨].

لذا أعلن ﷺ أنه مهاجر إلى المدينة، وأنه سيبقى فيها وأنه يموت فيها.

* فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه-في قصة فتح مكة-قال: وجاء الوحيُ، وكان إذا جاء الوحيُ لا يخفى علينا،... فلما انقضى الوحيُ، قال رسول الله ﷺ: (يا معشر الأنصار) قالوا: لبيك يا رسول الله، قال: (قلتم: أما الرجل فأدركته رغبةٌ في قريته؟) قالوا: قد كان ذاك. قال: (كلّا، إني عبد الله ورسوله، هاجرت إلى الله وإليكم، والمحيا محياكم، والممات مماتكم) فأقبلوا إليه يبكون ويقولون: والله ما قلنا الذي قلنا إلاّ الضِّنَّ بالله ورسوله. فقال رسول الله ﷺ: (إن الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم)... الحديث. رواه مسلم[٤٠٩].

علما بأن رسول الله ﷺ قد أُخبر في حال إسرائه ﷺ إلى بيت المقدس، حين نزل وصلى فيها، أن إليها المهاجَر.

* ففي حديث أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه-في حديث الإسراء- أن رسول الله ﷺ قال: (أُتيتُ بدابة فوق الحمار ودون البغل، خطوها عند منتهى طَرْفها، فركبت ومعي جبريل عليه السلام فسرت، فقال: انزل فصلِّ، ففعلت، فقال: أتدري أين صليت؟ صليت بطيبة، وإليها المهاجَرُ...). الحديث بطوله، رواه النسائي والطبري[٤١٠]، وأصل الحديث متفق عليه.

---

(٤٠٨) انظر: فضائل المدينة المنورة (١: ١٦٤-١٦٥) حيث ذكرت الروايات في ذلك.

(٤٠٩) صحيح مسلم: كتاب الجهاد: باب فتح مكة، رقم (٨٤-٨٦).

(٤١٠) سنن النسائي: كتاب الصلاة: باب فرض الصلاة (١: ٢٢١-٢٢٣) وتهذيب الآثار (١: ٤٥٢-٤٥٣) وتفسير الطبري، ودلائل النبوة (٢: ٣٦١-٣٦٢) وتفسير ابن كثير (٣: =

فالمدينة المنورة هي دار الهجرة، والمصطفى ﷺ هو سيد المهاجرين، وإمامهم، إضافة إلى كونه سيد العالمين، وإمام المرسلين، وأشرف الخلق أجمعين، عليه وآله الصلاة والسلام.

٢- الهجرة مقدمة على النصرة:

ومما يدل على تقديم الهجرة على النصرة، كون النبي ﷺ أخبر أنه لولا الهجرة لتمنّى أن يكون من الأنصار، وذلك لفضل الهجرة، وعظيم أجرها، ورفعة شأنها.

* فعن عبد الله بن زيد رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ لما فتح حُنَيناً قسم الغنائمَ، فأعطى المؤلفةَ قلوبهم، فبلغه أن الأنصار يحبون أن يصيبوا ما أصاب الناس، فقام رسول الله ﷺ فخطبهم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: (...ألا ترضَون أن يذهب الناسُ بالشاة والإبل، وتذهبون برسول الله ﷺ إلى رحالكم؟ الأنصارُ شِعار والناسُ دِثار، ولولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار...). الحديث، متفق عليه، واللفظ لمسلم[٤١١].

* وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار، ولو سلك الناس وادياً وسلك الأنصار وادياً

= ٥) وفتح الباري (٧: ١٩٩) وانظر مجمع الزوائد (١: ٧٣-٧٤) والدر المنثور (٥: ١٨٥- ١٨٦) والخصائص الكبرى (١: ١٥٣-١٥٤) والآيات البينات بما في الإسراء والمعراج من الخوارق والمكرمات.

(٤١١) صحيح البخاري: كتاب المغازي: باب غزوة الطائف في شوال، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الزكاة: باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام،... رقم (١٣٩).

أو شِعباً، لسلكتُ وادي الأنصار أو شِعب الأنصار). رواه البخاري[٤١٢].

* وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: -في قصة قسمة غنائم حنين- قال رسول الله ﷺ: (يا معشر الأنصار؛ أما ترغبون أن يذهب الناس بالدنيا -أو بالشاء والإبل- وتذهبون بمحمد ﷺ إلى دياركم؟) قالوا: بلى يا رسول الله، فقال: (والذي نفسي بيده، لو أخذ الناس وادياً، وأخذ الأنصار شِعْباً لأخذتُ شِعْبَ الأنصار، الأنصارُ كَرِشي وعَيْبَتِي، ولولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار). رواه الحميدي وابن أبي شيبة وأحمد والنسائي في فضائل الصحابة، وابن حبان والبغوي[٤١٣] -وعزاه للصحيحين، وليس فيهما ما عنونت عليه من حديث أنس. إنما هو من حديث عبد الله ابن زيد- وإسنادُ أغلبهم صحيح، وبعضهم حسن. وقال البغوي: هذا حديث متفق على صحته.اهـ.

* وقد جاء هذا الحديث عن عدد من الصحابة كأبي سعيد وأُبي بن كعب وسهل بن سعد،... رضي الله تعالى عنهم.

وأما معنى قوله ﷺ: (لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار).

* فقال الإمام الخطابي رحمه الله تعالى[٤١٤]: ومعنى هذا عندي أنه إنما

(٤١٢) صحيح البخاري: كتاب التمني: باب ما يجوز من اللو، وفي غيرهما.

(٤١٣) مسند الحميدي (٢: ٥٠٥ رقم ١٢٠١) ومصنف ابن أبي شيبة (١٢: ١٦٠) ومسند أحمد (٣: ١٥٦، ١٨٨، ١٩١، ٢٠١، ٢٤٦) وفضائل الصحابة له (٢: ٧٩٤ رقم ١٤٢٠) وفضائل الصحابة للنسائي (١٨٥رقم٢٢١) وشرح السنة (١٤: ١٧٦-١٧٧) وصحيح ابن حبان (١٦: ٢٥٧-٢٥٨).

(٤١٤) أعلام الحديث (٣: ١٧٥٩-١٧٦٠) وذكر الحافظ في الفتح (٨: ٥١) خلاصته. وشرح السنة (١٤: ١٧٦).

أراد به تألف الأنصار، واستطابة نفوسهم، والثناء عليهم في دينهم ومذهبهم، حتى رضي أن يكون واحداً منهم، لولا ما يمنعه من سمة الهجرة التي لا يجوز تبديلها في حق الدِّين، ولا يسعه العودُ فيها، إذ كان عليه التمسكُ بها واجباً، والنسبةُ إليها واجبة لازمة.

والأنساب على وجوه: نَسب ولادي، ونَسب بلادي، ونَسب من جهة الدِّين اعتقادي، ونَسب صناعي.

فيقال في نسبة الولادي: سَلْميٌّ، وأسَديٌّ. وفي البلادي: كوفيٌّ، ومصريٌّ. وإلى الأديان والمذاهب: سُني وقدريٌّ. وفي ملل الكفر: يهوديٌّ ونصرانيٌّ. وإلى الصناعات والمهن: صيدلانيٌّ وصيرفيٌّ.

ومعقول أن النبي ﷺ لم يرد به الانتقال عن نسب آبائه إليهم، إذ كان ذلك أمراً لا يجوز في دينه وشريعته، ثم إنه ﷺ كان أفضلَ منهم نسباً، وأكرمَهم أصلاً ومحتداً.

وأما الدِّين والمذهب: فلأنه لا موضع فيه للانتقال، إذ كان دينُه ودينهم واحداً، وهو ﷺ نبيُّ الأمة، ووليُّ الدعوة، والمهاجرون والأنصارُ تبع له في ذلك.

فلم يبق إلاّ قسمان، وهما نسب البلاد والأوطان، ونسب الصناعة والامتهان، وقد يجوز في كل واحد من الأمرين أن ينتقل منه إلى غيره.

وكانت المدينةُ داراً للأنصار، وكانت الهجرة إليها أمراً واجباً، وانتقالُه إليها طاعة وعبادة، ولولا أنه كان مأموراً بها ومحمولاً عليها لم يكن ليترك بلادَه، ويفارق أوطانَه، فقد يحتمل أن يكون أراد بهذا القول، لولا أن هذه

النسبة في الهجرة نسبة دينية، لا يسعني تركها لانتقلت عن هذا الاسم إليكم، ولانتسبت إلى دياركم.اه.

وأشار إلى احتمال أنه ﷺ لما كان الأنصار أخوال عبد المطلب-لكون أمه منهم-أراد أن ينتسب إليه بالولادة، لأن ابن أخت القوم منهم، لولا مانع الهجرة، والله تعالى أعلم.

٣- وقوع أجر المهاجرين رضي الله تعالى عنهم على الله عز وجل:

ومن فضائل المهاجرين رضي الله تعالى عنهم: أن أحدهم إذا هاجر من مكة يريد النبي المصطفى الكريم ﷺ بالمدينة فمات في أي مكان، سواء في الطريق أثناء هجرته، أو في المدينة بعد وصوله إليها، فإن أجرَه قد وقع على الله تعالى، وأن الله تعالى قد قبل هجرتَه إلى رسول الله ﷺ.

* فعن خبَّاب رضي الله تعالى عنه قال: هاجرنا مع رسول الله ﷺ نريد وجه الله عز وجل، فوقع أجرُنا على الله، فمنا من مضى لم يأخذ من أجره شيئاً، منهم مصعب بن عُمير رضي الله تعالى عنه، قُتل يوم أُحُد، وترك نَمرةً، فكنا إذا غطَّينا بها رأسَه، بدت رجلاه، وإذا غطَّينا رجليه بدا رأسُه، فأمرنا رسول الله ﷺ أن نُغطِّي رأسَه، ونجعل على رجليه شيئاً من إذخر،... الحديث، متفق عليه، واللفظ للبخاري(٤١٥).

* ولما أتي مجاشعُ بن مسعود رضي الله تعالى عنه، بأخيه أبي معبد رضي

---

(٤١٥) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار: باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الجنائز: باب في كفن الميت، رقم (٤٤).

الله تعالى عنه بعد فتح مكة إلى رسول الله ﷺ ليبايعه على الهجرة، قال رسول الله ﷺ: (مضت الهجرة لأهلها). متفق عليه[٤١٦].

* وفي رواية للبخاري[٤١٧]: (ذهب أهلُ الهجرة بما فيها).

فقوله ﷺ: (مضت الهجرة لأهلها) أي أن الهجرة الممدوحة الفاضلة التي لأصحابها المزية الظاهرة إنما كانت قبل الفتح.اهـ من النووي[٤١٨].

ويوضح ذلك قوله تعالى -كما مر في الباب الأول-: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[٤١٩].

* كما يوضحه قوله ﷺ: (فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله،...). الحديث. متفق عليه[٤٢٠] من حديث سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه.

فمن قصد بهجرته وجه الله عز وجل فقد وقع أجره على الله سبحانه وتعالى، والله تعالى أعلم.

---

(٤١٦) صحيح البخاري: كتاب المغازي: باب (٥٣) وقال الليث، بعد باب مقام النبي ﷺ بمكة زمن الفتح. وصحيح مسلم: كتاب الإمارة: باب المبايعة بعد فتح مكة، على الإسلام والجهاد والخير، رقم (٨٣، ٨٤).

(٤١٧) صحيح البخاري: في الكتاب والباب السابقين.

(٤١٨) شرح صحيح مسلم للنووي (١٣: ٧-٨).

(٤١٩) سورة النساء (١٠٠).

(٤٢٠) صحيح البخاري: كتاب الإيمان: باب ما جاء أن الأعمال بالنية والحسبة، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الإمارة: باب قوله ﷺ: (إنما الأعمال بالنية)، رقم (١٥٥).

٤- الحث على الهجرة:

لما كانت الهجرة من مكة وكذا من القرى والبوادي-قبل فتح مكة-من أعظم القربات وأجلها، حتى كانت فرضاً، كما مر في الباب الأول-لذا جاءت الأحاديث عن النبي المصطفى الكريم ﷺ في الحث عليها، والأمر بها، وبيان فضل من هاجر.

* لقد مر قبل قليل قولُه ﷺ: (وأنا آمركم بخمس، الله أمرني بهن: السمع، والطاعة، والجهاد، والهجرة، والجماعة،...). الحديث، رواه الطيالسي وأحمد وصححه الترمذي وابن خزيمة وابن حبان والحاكم وأقره الذهبي، ورواه أبو يعلى والطبراني في الكبير بأسانيد صحيحة أيضاً.

كما بيَّن ﷺ أنه لا مثل للهجرة من الأعمال.

* فعن كثير بن مرة رحمه الله تعالى، أن أبا فاطمة رضي الله تعالى عنه حدَّثه، أنه قال: يا رسول الله؛ حدِّثني بعمل أستقيم عليه وأعمله. قال له رسول الله ﷺ: (عليك بالهجرة، فإنها لا مثل لها). رواه النسائي بإسناد حسن، ورواه الطبراني في المعجم الكبير وفي مسند الشاميين بأسانيد حسان أيضاً[٤٢١].

* وعن فَضالة بن عُبيد رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (أنا زعيم-والزعيم: الحميل-لمن آمن بي وأسلم وهاجر، ببيت في ربض الجنة،...). الحديث، رواه النسائي بإسناد صحيح، وصححه ابن حبان

(٤٢١) سنن النسائي: كتاب البيعة: باب الحث على الهجرة (٧: ١٤٥) والسنن الكبرى له (٤: ٤٢٦) وفيه خطأ مطبعي، (٥: ٢١٣) والآحاد والمثاني (٢: ٢١٨) والمعجم الكبير (٢٢: ٣٢١-٣٢٢) ومسند الشاميين (٢: ٢١٣-٢١٤).

والحاكم وأقره الذهبي، ورواه الطبراني في الكبير والبيهقي(٤٢٢).

* وعن سبرة بن أبي فاكه رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الشيطان قعد لابن آدم بأَطْرُقه، فقعد له بطريق الإسلام، فقال: تُسلم وتذر دينك، ودين آبائك وآباء أبائك؟ فعصاه فأسلم.

ثم قعد له بطرق الهجرة، فقال: تهاجر وتدع أرضك وسماءك، وإنما مَثلُ المهاجر كمثل الفرس في الطِّوَل؟ فعصاه فهاجر.

ثم قعد له بطريق الجهاد، فقال: تجاهد فهو جهد النفس والمال، فتقاتل فتُقتَل، ويقسم المال؟ فعصاه فجاهد.

فقال رسول الله ﷺ: فمن فعل ذلك [منهم، فمات] كان حقّاً على الله عز وجل أن يدخله الجنة، ومن قُتل كان حقّاً على الله عز وجل أن يدخله الجنة، وإن غرق كان حقّاً على الله أن يدخله الجنة، أو وقصته دابته كان حقّاً على الله أن يدخله الجنة). رواه ابن أبي شيبة وأحمد والبخاري في تاريخه وابن أبي عاصم والنسائي وابن حبان والطبراني والبيهقي والأصبهاني وصححه الحافظ العراقي، وحسنه الحافظ ابن حجر(٤٢٣).

(٤٢٢) سنن النسائي: كتاب الجهاد: باب ما لمن أسلم وهاجر وجاهد (٦: ٢١) وسنن سعيد بن منصور (٢: ٣: ١٢٦رقم ٢٣٠٤) وصحيح ابن حبان (١٠: ٤٧٩-٤٨٠) والمستدرك (٢: ٦١-٧١) والسنن الكبرى (٦: ٧٢) والمعجم الكبير (١٨: ٣١١).

(٤٢٣) مصنف ابن أبي شيبة (٥: ٣٩٣) ومسند أحمد (٣: ٤٨٣) والتاريخ الكبير(٤: ١٨٧-١٨٨) والجهاد لابن أبي عاصم (١: ١٤٩) والآحاد والمثاني له (٥: ١٣٦-١٣٧) وسنن النسائي: في الكتاب والباب السابقين (٦: ٢١-٢٢) والمعجم الكبير (٧: ١٣٨) وصحيح ابن حبان (١٠: ٤٥٣-٤٥٤) وشعب الإيمان (٤: ٢١، ٢٢) والترغيب والترهيب للأصبهاني (١: ٤٦٨) والمغني عن حمل الأسفار(٣: ٢٩) والإصابة (٣: ٣١).

وقوله: (أطْرُقه) جمع طريق، ويجمع الطريق علـى (أطرقَة وأطـرُق) وكلاهما جمع قلة. كما يجمع على (طُرُق) وهو جمع كثرة، والله تعالى أعلم.

وقوله: (كمثل الفرس في الطِّوَل)-بكسر الطاء-هو الحبل الطويل، يشدُّ أحدُ طرفيه في وتد أو غيره، والطرف الآخر في يد الفرس، ليدور ويرعـى، ولا يذهب لوجهه.

* قال السندي رحمه الله تعالى[٤٢٤]: هذا من كلام الـشيطان، حيـث يكون المهاجر كالمقيد في بلاد الغربة، لا يدور إلاّ في بيته، ولا يخالطـه إلاّ بعض معارفه،... بخلاف أهل البلاد في بلادهم.

ولهذا اشتهر بين الصحابة رضي الله تعالى عنهم-قبل فتح مكة-أن من لم يهاجر فقد هلك، حتى بينَّ لهم رسولُ الله ﷺ انقطاعَ الهجرة مـن مكـة بفتحها، وبقي الجهاد والنية، كما في حديث صفوان بن أميـة رضـي الله عنه[٤٢٥]، والله تعالى أعلم.

٥- المبايعة على الهجرة:

ولعظم شأن الهجرة في الإسلام، وعلو مكانتها، فقد كان رسول الله ﷺ يبايع عليها، كما كان يبايع على الإسلام، وقد جاءت نصوص كـثيرة في ذلك، حتى عرف المسلمون ذلك من حالهم، فصاروا يعرضون على النبي ﷺ

(٤٢٤) انظر حاشيتي السيوطي (٦: ٢٢-٢٣) والسندي (٦: ٢٢) على النسائي.

(٤٢٥) انظر: الموطأ: كتاب الحدود: باب ترك الشفاعة للسارق إذا بلغ السلطان، ومسند أحمـد (٣: ٤٠١) (٦: ٤٦٥، ٤٦٦) وسنن النسائي: كتاب البيعة: باب ذكر الاخـتلاف في انقطاع الهجرة (٧: ١٤٥- ١٤٦).

أن يبايع آباءهم أو إخوانهم عليها بعد فتح مكة، ولكن النبي ﷺ أخبرهم أن الهجرة قد انقطعت، وبقي الجهاد والنية.

* عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما، أن أعرابياً بايع رسول الله ﷺ على الإسلام، فأصاب الأعرابيَّ وَعَكٌ بالمدينة، فأتى الأعرابيُّ إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله؛ أقلني بيعتي. فأبى رسول الله ﷺ، ثم جاءه فقال: أقلني بيعتي. فأبى، فخرج الأعرابيُّ، فقال رسول الله ﷺ: (إنما المدينة كالكير، تنفي خبثها، وينصع طيبها). متفق عليه(٤٢٦).

* قال ابن التين رحمه الله تعالى: إنما امتنع النبي ﷺ من إقالته، لأنه ﷺ لا يُعين على معصية، لأن البيعة في أول الأمر كانت على أن لا يخرج من المدينة إلاّ بإذن، فخروجه عصيان.

قال: وكانت الهجرة إلى المدينة فرضاً قبل فتح مكة، على كل من أسلم، ومن لم يهاجر لم يكن بينه وبين المؤمنين موالاة، لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟﴾(٤٢٧). فلما فتحت مكة قال ﷺ: (لا هجرة بعد الفتح).

ففي هذا إشعار بأن مبايعة الأعرابي المذكور كانت قبل الفتح.اهـ من الفتح(٤٢٨).

---

(٤٢٦) صحيح البخاري: كتاب الأحكام: باب من بايع ثم استقال البيعة، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الحج: باب المدينة تنفي شرارها، رقم (٣٨٩).

(٤٢٧) سورة الأنفال (٧٢).

(٤٢٨) فتح الباري (١٣: ٢٠٠).

* وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى[٤٢٩]: قال العلماء: إنما لم يُقله النبي ﷺ بيعتَه، لأنه لا يجوز لمن أسلم أن يترك الإسلام، ولا لمن هاجر إلى النبي ﷺ للمقام عنده أن يترك الهجرة ويذهب إلى وطنه أو غيره ، وهذا الأعرابي كان ممن هاجر وبايع النبي ﷺ على المقام معه.اهـ.

وهو ما كان قد صححه القاضي عياض رحمه الله تعالى من قبل، كما نقله الإمام النووي رحمه الله تعالى أيضاً.

ولعظم شأن الهجرة-كما سيأتي ذكره في الفقرة التالية-فإنه ﷺ لو بايع عبداً على الهجرة، ومن غير علم سيده، وكذا قبل أن يعلم ﷺ أنه عبد، فإن بيعته ماضية، ولا ينقضها ﷺ.

* فعن جابر رضي الله تعالى عنه قال: جاء عبدٌ فبايع النبيَّ ﷺ على الهجرة، ولم يشعر أنه عبد، فجاء سيدُه يريده، فقال له النبي ﷺ: (بعنيه) فاشتراه بعبدين أسودين، ثم لم يبايع أحداً بعدُ، حتى يسأله: (أعبدٌ هو؟). رواه مسلم[٤٣٠].

وهكذا كان ﷺ يبايع من أراد مبايعته على أن يفارق المشركين، كما في حديث جرير رضي الله تعالى عنه[٤٣١].

(٤٢٩) شرح صحيح مسلم للنووي (٩: ١٥٥-١٥٦).

(٤٣٠) صحيح مسلم: كتاب المساقاة: باب جواز بيع الحيوان بالحيوان من جنسه،... رقم (١٢٣).

(٤٣١) مسند أحمد (٤: ٣٥٧-٣٥٨، ٣٦٠-٣٦٦) وسنن النسائي: كتاب البيعة: باب البيعة على فراق المشرك (٧: ١٤٧-١٤٨، ١٤٨) والسنن الكبرى له (٤: ٤٢٧-٤٢٨، ٤٢٨) والمعجم الكبير (٢: ٣٥٦، ٣٥٨-٣٥٩ من طرق) والسنن الكبرى للبيهقي (٩: ١٣).

فلما فتحت مكة لم يعد ﷺ يبايع على الهجرة.

* فعن مُجاشِعِ بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: أتيت النبيَّ ﷺ أنا وأخي [بعد الفتح] فقلت: بايعنا على الهجرة، فقال: (مضت الهجرة لأهلها). الحديث متفق عليه(٤٣٢).

٦- شدة أمر الهجرة:

ومن فضائل الصحابة المهاجرين الكرام رضي الله تعالى عنهم صدقُهم في هجرتهم إلى رسول الله ﷺ، ومبايعتهم له عليها. لذا من خاف ﷺ عليه عدم ثباته عليها؛ فإنه ﷺ يعتذر له، لأن شأن الهجرة شديد.

* فعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه، أن أعرابياً قال: يا رسول الله؛ أخبرني عن الهجرة؟ فقال: (ويحك، إن شأن الهجرة شديد، فهل لك من إبل؟) قال: نعم، قال: (فهل تؤَدّي صدقتَها؟) قال: نعم، قال: (فاعمل من وراء البحار، فإن الله لن يَترَكَ من عملك شيئاً). متفق عليه(٤٣٣).

ومعنى قوله ﷺ: (إن شأن الهجرة شديد) قال العلماء: المراد بالهجرة التي سأل عنها هذا الأعرابيُّ: ملازمة المدينة مع النبي ﷺ، وترك أهله ووطنه، فخاف عليه النبي ﷺ أن لا يقوى لها، ولا يقوم بحقوقها، وأن ينكص على عقبيه، فقال له: إن شأن الهجرة التي سألت عنها لشديد، ولكن اعمل بالخير

(٤٣٢) صحيح البخاري: كتاب الجهاد: باب البيعة في الحرب أن لا يفروا، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الإمارة: باب المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد، رقم (٨٣-٨٤).

(٤٣٣) صحيح البخاري: كتاب الأدب: باب في قول الرجل: ويلك، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الإمارة: باب المبايعة بعد فتح مكة،... رقم (٨٧).

في وطنك، وحيث ما كنت فهو ينفعك، ولا ينقصك الله منــه شــيئاً، والله تعالى أعلم.اهـ نووي(٤٣٤).

قلت: ولعل هذا السؤال كان قد وقع من الأعرابي بعد فتح مكــة، لأن الهجرة كانت قبل الفتح فرضَ عَين، ثم نسخ ذلك، والله تعالى أعلم(٤٣٥).

٧- انقطاع الهجرة:

كانت الهجرة قبل فتح مكة واجبةً على كل مسلم، يلزمه أن يهاجر من مكة وغيرها إلى المدينة المنورة، لأمرين؛ لنصرة رسول الله ﷺ، ونصرة دينه، والتعلم منه والأخذ عنه ﷺ... وسلامة المسلم نفسه حتى لا يمتحن من قبل قومه، ويُضغط عليه خشية أن يرتد، أو يجيب المشركين إلى ما يريدون، فلما فتح الله تعالى مكة على رسوله وصفيه ﷺ، انقطعت الهجــرة الواجبــة، إذ صارت مكة بلد إسلام، و لم يعد يخش على المسلم أيضاً.

وقد جاءت نصوص كثيرة عن النبي المصطفى الكريم ﷺ في بيان انقطاع الهجرة الواجبة هذه.

* فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ يــوم الفتح: (لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استُنفِرتُم فانفروا). متفق عليه(٤٣٦).

---

(٤٣٤) شرح صحيح مسلم للنووي (١٣: ٩).

(٤٣٥) انظر فتح الباري (٧: ٢٥٩).

(٤٣٦) صحيح البخاري: كتاب الجهاد: باب وجوب النفير، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الإمارة: باب المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد والخير، رقم (٨٥).

* وعن مُجاشِعٍ رضي الله تعالى عنه قال: أتيت النبي ﷺ بأخي بعد الفتح، فقلت: يا رسول الله؛ جئتك بأخي لتبايعه على الهجرة. قال: (ذهب أهل الهجرة بما فيها).

وفي رواية: (مضت الهجرة لأهلها، أبايعه على الإسلام والجهاد)... الحديث، متفق عليه(٤٣٧).

وقد جاء نحو ذلك عن عدد من الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم في الصحيحين وغيرهما.

وقد بينت السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها سبب الانقطاع.

* فعن عطاء بن أبي رباح قال: زرت عائشة رضي الله تعالى عنها مع عُبيد بن عُمير الليثي، فسألناها عن الهجرة فقالت: لا هجرة اليوم، كان المؤمنون يفر أحدُهم بدينه إلى الله تعالى وإلى رسوله ﷺ مخافة أن يُفتن عليه، فأما اليوم، فقد أظهر الله الإسلام، [فالمؤمن] اليوم يعبد ربَّه حيث شاء، ولكن جهاد ونية. لفظ البخاري(٤٣٨).

فقولها رضي الله تعالى عنها: (لا هجرة اليوم) أي في زمانها، لأن انقطاع الهجرة كان من مكة من يوم الفتح، أما من غيرها إلى المدينة فقد استمر إلى وفاته ﷺ، جمعاً بين النصوص، والله تعالى أعلم.

---

(٤٣٧) صحيح البخاري: كتاب المغازي: باب (٥٣) وقال الليث، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (٨٤).

(٤٣٨) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار: باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، وكتاب المغازي: الباب السابق.

٨- تقديم المهاجر على غيره:

ومن فضائل الصحابة الكرام المهاجرين رضي الله تعالى عنهم: أنه كلما كانت الهجرةُ سابقةً حاز صاحبُها من الفضل الكثيرَ، حتى يقدَّم على غيره في إمامة الصلاة.

* فعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يؤم القومَ أقرؤُهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواءً، فأعلمُهم بالسنة، فإن كانوا بالسنة سواءً، فأقدمُهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواءً، فأقدمُهم سِلماً،...). رواه مسلم(٤٣٩).

وقوله ﷺ: (فأقدُمهم سلماً) أي أسبقهم إسلاماً، والله تعالى أعلم.

* وفي رواية لمسلم أيضاً عنه رضي الله تعالى عنه قال: قال لنا رسول الله ﷺ: (يؤم القومَ أقرؤُهم لكتاب الله وأقدمُهم قراءة، فإن كانت قراءتُهم سواءً، فليؤمَّهم أقدمُهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواءً، فليؤمهم أكبرُهم سناً،...)

فالمتقدِّمُ في الهجرة يتقدم على السابق في الإسلام، والأكبر في السن ممن هم بعده، ولا يتقدَّم عليه إلاّ القارئ العالم، فإن استويا في القراءة والعلم يتقدم منهما الأقدم هجرة، فإن استويا في الهجرة أيضاً يتقدَّم منهما الأقدمُ إسلاماً، ثم الأكبر سناً، وهكذا، والله تعالى أعلم.

(٤٣٩) صحيح مسلم: كتاب المساجد: باب من أحق بالإمامة، رقم (٢٩٠-٢٩١).

٩- المهاجر خير المسلمين:

إن المسلمين يتفاوتون في الخيرية والفضل، على قدر ما يتّصف به واحدهم من صفات الجمال والكمال في ذاته وصفاته، وعلى قدر نفعه، وما يقدِّمه لغيره، فالمهاجر من الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم هو من خيار المسلمين، لاتصافه بالأمرين.

* فعن أم سلَمة رضي الله تعالى عنها قالت: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: (ما من مسلم تصيبه مصيبةٌ، فيقول ما أمره الله: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي وأخْلف لي خيراً منها: إلاّ أخلف الله له خيراً منها).

قالت: فلما مات أبو سلَمة رضي الله تعالى عنه قلت: أي المسلمين خير مِن أبي سلَمة؟ أولُ بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ... الحديث، رواه مسلم(٤٤٠).

* وفي رواية له(٤٤١) قالت: فلما توفي أبو سلَمة رضي الله تعالى عنه قلت: مَن خيرٌ من أبي سلَمة صاحب رسول الله ﷺ؟... الحديث.

١٠- الهجرة تجب ما قبلها:

إن من فضل الله تعالى على المهاجرين رضي الله تعالى عنهم: أن غَفر الله سبحانه وتعالى لهم ذنوبَهم التي كانت قبل الهجرة، لأن الهجرة تجبُّ ما كان قبلها من الذنوب، والله تعالى أعلم.

---

(٤٤٠) صحيح مسلم: كتاب الجنائز: باب ما يقال عند المصيبة، رقم (٣، ٥).

(٤٤١) صحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين.

* فعن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه قال: لما ألقى الله عز وجل في قلبي الإسلام، قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ ليبايعني، فبسط يده إليَّ، فقلت: لا أبايعك يا رسول الله حتى تَغفِر لي ما تقدَّم من ذنبي. قال: فقال رسول الله ﷺ: (يا عمرو؛ أما علمتَ أن الهجرةَ تجُبُّ ما قبلها من الذنوب؟ يا عمرو؛ أما علمتَ أن الإسلام يجُبُّ ما كان قبله من الذنوب؟). رواه أحمد من طرق، والطحاوي والطبراني برجال ثقات، وابن إسحق كذلك[٤٤٢].

* وفي رواية لمسلم[٤٤٣] عن ابن شماسة المهْرِيِّ رحمه الله تعالى قال: حضرنا عَمرَو بن العاص رضي الله تعالى عنه وهو في سياقة الموت،... الحديث، وفيه: فلما جعل الله الإسلامَ في قلبي أتيتُ النبيَّ ﷺ، فقلت: ابسط يمينك فلأبايعك، فبسط يمينه. قال: فقبضت يدي، قال: (ما لك يا عمرو؟) قال: قلت: أردتُ أن أشترط، قال: (تشترط بماذا؟) قلت: أن يُغفر لي. قال: (أما علمت أن الإسلامَ يهدم ما قبله؟وأن الهجرةَ تهدم ما كان قبلها؟ وأن الحجَّ يهدم ما كان قبله؟)... الحديث بطوله.

* قال الإمام الطيبي رحمه الله تعالى في معرض تعليقه على الحديث[٤٤٤]:

---

(٤٤٢) مسند أحمد (٤: ١٩٨-١٩٩، ٢٠٤، ٢٠٥) السيرة النبوية لابن هشام (٣: ٣٨٤-٣٨٦) مطولاً، وشرح مشكل الآثار (١: ٤٤٢) والسنن الكبرى للبيهقي (٩: ١٢٣) ودلائل النبوة (٤: ٣٤٦-٣٤٨) ومجمع الزوائد (٩: ٣٥٠-٣٥١).

(٤٤٣) صحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب كون الإسلام يهدم ما قبله، وكذا الهجرة والحج، رقم (١٩٢).

(٤٤٤) شرح الطيبي (١: ١٦٢-١٦٣) ونقله المناوي رحمه الله تعالى في فيض القدير (٢: ١٦٧).

إن فيه [أي الحديث] وجوهاً من التوكيد، يدل على أن حكمَ الهجرة والحجِّ حكمُ الإسلام:

أحدها: أنه من أسلوب الحكيم، فإن غرض عمرو رضي الله تعالى عنه من إبائه عن المبايعة، ما كان إلاّ حكم نفسه في الإسلام، والهجرة والحج زيادة في جوابه، كأنه قيل: لا تهتم بشأن الإسلام وحده، وأنه يهدم ما كان قبله، فإن حكم الهجرة والحج كذلك،...

ثالثها: (أَمَا) فإن الهمزة فيها معنى النفي. وَ (ما) نافية، فإذا اجتمعا دلّا على التقرير، لاسيما وقد أُتْبِعا بقوله: (علمتَ) إيذاناً بأن ذلك أمرٌ لا نزاع فيه، ولا ينبغي أن يرتاب فيما يتلوها.

رابعها: لفظ (يهدم) فإنها قرينة للاستعارة المكنية، شبهت الخصال الثلاث في قلعها الذنوب من سنْخها بما يهدم البناء من أصله، من نحو الزلازل والمعاول.

خامسها: الترقي، فإن قوله: (الحج يهدم ما كان قبله) في أبلغ إرادة المبالغة من الهجرة، لأنه دونها، فإذا هدم الحج الذنوب فبالطريق الأولى أن يهدمها الهجرة، لأنها مفارقة الأوطان والأحبّاء، وموافقةٌ لنبي الله ﷺ،...

سادسها: تكرير (يهدم) في كل الخصال، ليدل على استقلال كلٍّ [منها] بالهدم،...إلخ، والله تعالى أعلم.

١١ - دعاء النبي ﷺ للمهاجرين رضي الله تعالى عنهم بإمضاء هجرتهم:

لقد دعا رسول الله ﷺ للمهاجرين رضي الله تعالى عنهم أن يتمِّم الله سبحانه وتعالى لهم هجرتَهم ولا يبطلها، ولا يردَّهم على أعقابهم، بترك

هجرهم، ورجوعهم عن مستقيم حالهم المرضية، إلى حالة أخرى، وقد استجاب الله سبحانه وتعالى دعوة نبيه الكريم ﷺ.

* فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال: عادني رسول الله ﷺ في حجة الوداع، من وجع أشفَيتُ منه على الموت،... الحديث، وفيه: قلت: يا رسول الله؛ أُخَلَّفُ بعد أصحابي؟ قال: (إنك لن تُخَلَّفَ فتعمل عملاً تبتغي به وجه الله، إلاّ ازددتَ به درجةً ورفعةً، ولعلك تُخَلَّف حتى ينتفع بك أقوامٌ ويُضر بك آخرون، اللهم أَمضِ لأصحابي هجرهم، ولا تردهم على أعقابهم،...). الحديث، متفق عليه(٤٤٥).

وقوله رضي الله تعالى عنه: (أُخَلَّفُ بعد أصحابي؟) يحتمل معنيين:

- أن يموت بمكة التي كان قد هاجر منها، فيقدح ذلك في هجرته، أو ثوابه.

ويوضح ذلك رواية لهما(٤٤٦) أيضاً (وكان يكره أن يموت بالأرض التي هاجر منها).

- كما يحتمل أن يبقى في مكة مريضاً، بعد انصراف النبي ﷺ وأصحابه رضي الله تعالى عنهم إلى المدينة. والأول أولى، كما هو مصرح به في رواية مسلم، والله تعالى أعلم.

---

(٤٤٥) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار: باب قول النبي ﷺ: (اللهم امض لأصحابي هجرتهم)، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الوصية: باب الوصية بالثلث، رقم (٥).

(٤٤٦) صحيح البخاري: كتاب الوصايا: باب أن يترك ورثته أغنياء خير من أن يتكففوا الناس. وصحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين.

وفي قول النبي ﷺ: (ولعلك تُخلَّفَ...) معجزة للنبي ﷺ، حيث لم يمت سعد رضي الله تعالى عنه من مرضه ذلك، بل عاش، فكان فتح العراق على يديه، وأسلم كثير من أهلها، فكان الانتفاع، كما قُتل كثيرٌ من الفُرس وغيرهم في تلك الفتوحات، فكان الإضرار، والله تعالى أعلم.

١٢- إباحة المكث بمكة ثلاثاً للمهاجر بعد أداء نسكه:

لما حرَّم رسول الله ﷺ على المهاجر أن يعود إلى مكة ويسكنها، حتى لا تبطل هجرته، أباح لهم رسول الله ﷺ إذا حجوا أو اعتمروا أن يمكثوا ثلاثاً بعد أداء النسك، ولا يزيدون عليها. بخلاف من أسلم بعد الفتح، وكذا من غير المهاجرين، فيجوز لهم سكنى مكة، والله تعالى أعلم.

* فعن العلاء بن الحضرمي رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (للمهاجر إقامةُ ثلاثٍ بعد الصَّدْر بمكة) كأنه يقول: لا يزيد عليه.

* وفي رواية لمسلم: (يقيم المهاجرُ بمكة بعد قضاء نسكه ثلاثاً). متفق عليه(٤٤٧).

وقوله ﷺ: (بعد الصَّدْر) أي الصدر من منى، وهو قبل طواف الوداع، لأن طواف الوداع لا إقامة بعده، ومتى أقام بعده خرج عن كونه طواف وداع، لذا سماه قبله قاضياً لنسكه.

---

(٤٤٧) صحيح البخاري: كتاب الأنصار: باب إقامة المهاجر بمكة بعد قضاء نسكه. وصحيح مسلم: كتاب الحج: باب جواز الإقامة بمكة للمهاجر منها بعد فراغ الحج أو العمرة ثلاثة أيام بلا زيادة، رقم (٤٤١-٤٤٤).

* قال الإمام النووي رحمه الله تعالى[448]: معنى الحديث: أن الذين هاجروا من مكة قبل الفتح إلى رسول الله ﷺ حرُم عليهم استيطانُ مكة، والإقامةُ بها، ثم أبيح لهم إذا وصلوها بحج أو عمرة أو غيرهما أن يقيموا بعد فراغهم ثلاثة أيام، ولا يزيدوا على الثلاثة.

واستدل أصحابنا وغيرهم بهذا الحديث على أن إقامةَ ثلاثة ليس لها حكم الإقامة، بل صاحبها في حكم المسافر. قالوا: فإذا نوى المسافرُ الإقامةَ في بلد ثلاثة أيام غير يوم الدخول ويوم الخروج: جاز له الترخص بـرُخَص السفر، من القصر والفطر وغيرهما من رخصة، ولا يصير له حكم المقيم.

* قال القاضي عياض رحمه الله تعالى: في هذا الحديث حجة لمن منع المهاجر قبل الفتح من المقام بمكة بعد الفتح. قال: وهو قول الجمهور. وأجاز لهم جماعة بعد الفتح. مع الاتفاق على وجوب الهجرة عليهم قبل الفتح، ووجوب سكنى المدينة لنصرة النبي ﷺ، ومواساتهم له بأنفسهم.

وأما غير المهاجر، ومن آمن بعد ذلك فيجوز له سكنى أي بلد أراد، سواء مكة وغيرها بالاتفاق.اهـ.

قلت: ويشهد لمذهب الجمهور من عدم جواز الإقامة بمكة بعد الفتح لمن هاجر منها قبله: حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه، وفيه قوله ﷺ: (إنك لن تُخَلَّفَ)... وقوله: (إنه يكره أن يموت بالأرض التي هاجر منها) حيث جاء مرفوعاً وموقوفاً. وقد كان ذلك عام حجة الوداع، كما

(٤٤٨) شرح صحيح مسلم للإمام النووي (٩: ١٢٢-١٢٣)وانظر فتح الباري (٧: ٢٦٧).

هو في أول الحديث.

فلو كان جائزاً لما قال ﷺ: (لكن البائس سعد بن خولة) يرثي له ﷺ أن مات بمكة، كما هو عندهما، عقب الحديث، وقد كان موته رضي الله تعالى عنه بمكة، فقد ذكر أصحابُ المغازي أنه شهد بدراً، ومات في حجة الوداع[٤٤٩]، والله تعالى أعلم.

١٣- المهاجرون أول من يدخل الجنة:

ومن فضائل المهاجرين من الصحابة رضي الله تعالى عنهم: ما أخبرنا رسول الله ﷺ أن أول من يدخل الجنة من خلق تعالى هم فقراءُ المهاجرين رضي الله تعالى عنهم.

* فعن عبد الله بن عَمْرٍو بن العاص رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (هل تدرون أول من يدخل الجنة من خلق الله عز وجل؟) قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: (أول من يدخل الجنة من خلق الله فقراء المهاجرين،...) الحديث. رواه أحمد وعبد بن حميد وابن أبي عاصم والبزار والطبراني وأبو نعيم والبيهقي برجال ثقات، وصححه ابن حبان والحاكم وأقره الذهبي[٤٥٠].

(٤٤٩) انظر: فتح الباري (٥: ٣٦٤).

(٤٥٠) مسند أحمد (٢: ١٦٨، ١٦٩) ومسند عبد بن حميد (١٣٨- ١٣٩) والأوائل لابن أبي عاصم (٧٥ رقم ٥٧) وحلية الأولياء (١: ٣٤٧) وصفة الجنة (١: ١١٢-١١٣) وكشف الأستار (٤: ٢٥٦-٢٥٧) وصحيح ابن حبان (١٦: ٤٣٨-٤٣٩) والمستدرك (٢: ٧١-٧٢) والبعث والنشور (٣٤٢) وشعب الإيمان (٧: ٣٠٠) والترغيب والترهيب (٥: ٣٠٣) ومجمع الزوائد (١٠: ٢٥٩).

* وفي رواية لمسلم(٤٥١) عنه رضي الله تعالى عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفاً).

* وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: جلست في عصابة من فقراء المهاجرين، وإن بعضهم ليستتر ببعض من العُري، وقارئ يقرأ علينا، إذ جاء رسول الله ﷺ، فقام علينا، فلما قام رسول الله ﷺ سكت القارئ، فسلّم، ثم قال: (ما كنتم تصنعون؟) قلنا: يا رسول الله؛ إنه كان قارئ لنا يقرأ علينا، فكنا نستمع إلى كتاب الله. قال: فقال رسول الله ﷺ: (الحمد لله الذي جعل من أمتي من أُمرتُ أن أَصْبِر نفسي معهم).

قال: فجلس رسول الله ﷺ وسَطنا ليعدل بنفسه فينا. ثم قال بيده هكذا، فتحلّقوا، وبرزت وجوهُهم له. قال: فما رأيت رسول الله ﷺ عرف منهم أحداً غيري. فقال رسول الله ﷺ: (أبشروا يا معشر صعاليك [أي فقراء] المهاجرين بالنور التام يوم القيامة، تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم، وذلك خمسمائة عام). رواه أحمد وأبو داود واللفظ له، والترمذي وحسنه، وابن ماجه والبزار وأبو يعلى والطبراني بنحوه(٤٥٢).

(٤٥١) صحيح مسلم: كتاب الزهد والرقائق، رقم (٣٧).

(٤٥٢) مسند أحمد (٣: ٦٣، ٩٦) وسنن أبي داود: كتاب العلم: باب في القصص، رقم (٣٦٦٦)، وسنن الترمذي: كتاب الزهد: باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم، رقم (٢٣٥١) وسنن ابن ماجه: كتاب الزهد: باب منْزلة الفقراء، رقم (٤١٢٣) ومسند أبي يعلى (٢: ٣٨٢-٣٨٣، ٤٨٥-٤٨٦) والمعجم الأوسط (١: ٣٣) =

إلى غير ذلك من الأحاديث الشريفة. حيث جاء نحو ذلك عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

١٤- هم رضي الله تعالى عنهم أول من يرد على الحوض:

لقد تواتر عن النبي المصطفى الكريم ﷺ ذِكرُ حوضه[٤٥٣]، وصفة مائه، وعدد الكيزان عليه، وأن من شرب منه لا يظمأ أبداً في عرصات يوم القيامة، وأنه ﷺ يذود الناسَ من غير أمته عنه، كما يذود الرجلُ الغريبَ من الإبل عن حوضه،...

ثم إنه ﷺ بيّن أن أول من يرد على حوضه: هم فقراء المهاجرين، كما أنهم هم أكثر الناس وروداً عليه، والله تعالى أعلم.

* فعن ثوبان رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (حوضي ما بين عدن إلى عمان البلقاء، ماؤه أشدُّ بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وأوانيه عددُ النجوم، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً،

= ودلائل النبوة (١: ٣٥١-٣٥٢) وشرح السنة (١٤: ١٩١-١٩٢) وكشف الأستار (٤: ٢٣٩) ومجمع الزوائد (١٠: ٢٥٩-٢٦١) وانظر الترغيب والترهيب (٥: ٣٠٣-وما بعد) فقد ذكر عدداً من الأحاديث. وقد رواه بعضهم مختصراً.

(٤٥٣) انظر: البعث والنشور (١١٠-١٣٠) والشفا (١: ٢٧٨-٢٧٩) والسنة (٢: ٣٢١-٣٦١) والأزهار المتناثرة (٤١-٤٢) وقطف الأزهار (٢٩٧-٢٩٨) ولقط اللآلئ (٢٥١-٢٦٠) ونظم المتناثر (١٥١-١٥٢) وإتحاف ذوي الفضائل (١٤٩-١٥٠) وشرح الشفا لملا علي القاري (٢: ٣٢١-٣٢٥) حيث أوصلها إلى (٥٤) أربعة وخمسين صحابياً، وفتح الباري (١١: ٤٦٩) ونقل عن بعض المتأخرين أوصلها إلى رواية (٨٠) ثمانين صحابيّاً، وإتحاف السادة المتقين (١٠: ٤٩٧-٥٠٩).

وأولُ الناس وروداً عليه فقراء المهاجرين،...). الحديث، رواه أحمد والترمذي وابن ماجه، وابن أبي عاصم-بإسنادين-والآجري، وأحد إسنادي ابن أبي عاصم والآجري والطبراني رجال الصحيح، وصححه الحاكم وأقره الذهبي(٤٥٤). وأول الحديث في صحيح مسلم.

وللحديث شاهد من حديث ابن عُمَر رضي الله تعالى عنهما.

١٥- المهاجرون رضي الله تعالى عنهم هم أول من يجتاز الصراط:

إن من فضائل المهاجرين رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم: أنهم أول من يجتاز على الصراط يوم القيامة.

وذلك أن بعد النفخ في الصور النفخة الثانية، ويقوم الناس لرب العالمين، وتقترب الشمسُ من الرؤوس، ويغرق الناس بالعَرَق -كلٌّ حسب ذنوبه وآثامه- السنين الطوال، ويأتي الأنبياء عليهم السلام إلى رسول الله ﷺ يطلبون منه الشفاعةَ للخلق، حتى يميِّز الله تعالى الناسَ، فيبدأ بالحساب، فيكون أول من يجتاز على الصراط من الخلق: هذه الأمة، يتقدّمها فقراءُ المهاجرين رضي الله تعالى عنهم.

---

(٤٥٤) مسند أحمد (٥: ٢٧٥-٢٨٦) وسنن الترمذي: كتاب صفة القيامة: باب ما جاء في صفة أواني الحوض، رقم (٢٤٤٤) وسنن ابن ماجه: كتاب الزهد: باب ذكر الحوض، رقم (٤٣٠٣) وكتاب السنة (١: ٥٠٥، ٥٠٦) والآحاد والمثاني (١: ٣٣٤-٣٣٦) وفوائد تمام (١: ٢٣٧-٢٣٨ من طريقين) ومسند عمر بن عبد العزيز (١١٩-١٢٥) والمعجم الكبير (٢: ٩٦، ٩٨) والمعجم الأوسط (١: ١٢٤-١٢٥) ومسند الشاميين (١: ٥١، ٢١١-٢١٢، ٣١٦، ٤٢٦-٤٢٧) والشريعة (رقم ٨٢٤) ومعرفة الصحابة (١: ٥٠٣، ٥٠٤) والمستدرك (٤: ١٨٤) ومجمع الزوائد (١٠: ٢٦٠، ٣٦٥-٣٦٦) والترغيب والترهيب (٥: ٣٠٣-٣٠٤، ٣٠٤).

* فعن ثوبان رضي الله تعالى عنه قال: كنت قائماً عند رسول الله ﷺ، فجاء حَبرٌ من أحبار اليهود، فقال: السلام عليك يا محمد، فدفعته دفعةً كاد يصرع منها، فقال: لم تدفعني؟ فقلت: ألا تقول يا رسول الله! فقال اليهوديُّ: إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله. فقال رسول الله ﷺ: (إن اسمي محمد الذي سمّاني به أهلي).

فقال اليهوديُّ: جئتُ أسألك. فقال رسول الله ﷺ: (أينفعك شيء إن حدثْتُك؟) قال: أسمع بأذني.

فنكت رسولُ الله ﷺ بعود معه، فقال: (سل).

فقال اليهودي: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال رسول الله ﷺ: (هم في الظلمة دون الجسر).

قال: فمن أولُ الناس إجازةً؟ قال: (فقراء المهاجرين)،... الحديث بطوله، وفي آخره، قال اليهودي: لقد صدقت، وإنك لنبي. ثم انصرف فذهب.

فقال رسول الله ﷺ: (لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه، وما لي علمٌ بشيء منه، حتى أتاني الله به). رواه مسلم[٤٥٥].

١٦- للمهاجرين رضي الله تعالى عنهم نور كضوء الشمس يوم القيامة:

ومن فضائل المهاجرين رضي الله تعالى عنهم: أنهم إذا حُشروا يوم القيامة يكون على أحدهم رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم؛ نور كضوء الشمس يُعرفون به.

---

(٤٥٥) صحيح مسلم: كتاب الحيض: باب صفة مني الرجل والمرأة،... رقم (٣٤). وانظر التعليق عليه في الباب الرابع، وكذا في المجلد الثالث من السنة النبوية وحي.

* فعن عبد الله بن عَمْرو رضي الله تعالى عنهما قال: كنا عند رسول الله ﷺ يوماً حين طلعت الشمس، فقال: (سيأتي ناس من أمتي يوم القيامة، نورهم كضوء الشمس) قلنا: ومن أولئك يا رسول الله؟ قال: (فقراء المهاجرين؛ الذين يُتّقى بهم المكاره، يموت أحدهم وحاجتُه في صدره، يُحشرون من أقطار الأرض). رواه عبد الله بن المبارك وأحمد والطبراني في الكبير والأوسط، وأحد أسانيد الكبير رجال الصحيح، وإسناد ابن المبارك وأحمد ثقات، لأن في السند ابن لهيعة، لكنه من رواية ابن المبارك، فهو به حسن[٤٥٦]، والله تعالى أعلم.

- وقوله ﷺ: (يُحشرون من أقطار الأرض) فيه معجزة كريمة للنبيِّ الكريم ﷺ، لأنه يتضمن أنهم سيموتون في بلاد مختلفة، وكان كذلك، وقد انتقلوا إليها، للجهاد، ولنشر الإسلام في البلاد المفتوحة، واستيطانهم فيها لتعليم الناس،...

١٧- الهجرة سبب لغفران الذنوب:

ومن فضائل المهاجرين من الصحابة رضي الله تعالى عنهم: أن الله سبحانه وتعالى يغفر لهم بسبب هجرتهم إلى رسول الله ﷺ، ذلك أن الله عز وجل يعاملهم بمثل عملهم، فهم قد تركوا ديارَهم وأبناءَهم وأهليهم وأموالهم لله تعالى، فناسب أن يحطّ عنهم ذنوبَهم-إن وقعت منهم-وهذا كلّه محض

(٤٥٦) الزهد (٢٦٧-٢٦٨ رقم ٧٧٥) ومسند أحمد (٢: ١٧٧، ٢٢٢) والمعرفة والتاريخ (٢: ٥١٧-٥١٨) والغرباء للآجري (٧٣ رقم ٥٢) ومجمع البحرين (٤: ٤١٠-٤١١) ومجمع الزوائد (١٠: ٢٥٨-٢٥٩) (٧: ٢٧٨) والترغيب والترهيب (٥: ٣٠٥-٣٠٦).

فضل منه تعالى، حتى لا يكون للخلق منّة على الله تعالى.

* فعن جابر رضي الله تعالى عنه، أن الطفيلَ بنَ عَمْرو الدوسيَّ رضي الله تعالى عنه أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله؛ هل لك في حِصْنٍ حصين ومنعة؟ (قال: حصن كان لدَوس في الجاهلية) فأبى ذلك رسول الله ﷺ للذي ذَخَرَ الله للأنصار.

فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، هاجر إليه الطفيلُ بن عَمْرٍو، وهاجر معه رجل من قومه، فاجتووا المدينة، فمرض، فجزع، فأخذ مشاقص له، فقطع بها براجمه، فشخبت يداه حتى مات. فرآه الطفيل بن عَمْرو في منامه، فرآه وهيئتُه حسنةٌ، ورآه مغطّياً يديه، فقال له: ما صنع بك ربك؟ فقال: غفر لي بهجرتي إلى نبيه ﷺ، فقال: ما لي آراك مغطّياً يديك؟ قال: قيل لي: لن نصلح منك ما أفسدت، فقصَّها الطفيلُ على رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: (اللهم وليديه فاغفر). رواه مسلم[٤٥٧].

قوله: (فاجتووا المدينة) أي كرهوا المقام فيها لضجر أو سقم.

وقوله: (مشاقص) جمع مشْقَص، وهو سهم فيه نصل عريض، وقيل: طويل ليس بالعريض، وقيل: سهم طويل وعريض.

وقوله: (براجمه) هي مفاصل الأصابع، واحدها برجمة.

وقوله: (فشخبت يداه) أي نَزَف دمها.

---

(٤٥٧) صحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب الدليل على أن قاتل نفسه لا يكفر، رقم (١٨٤).

١٨- تقديم المهاجرين رضي الله تعالى عنهم في النداء:

ومما يدل على فضل المهاجرين رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، وتقديمهم عند رسول الله ﷺ، ومكانتهم لديه: أن يبدأ بهم في النداء في المعركة لملاقاة العدو.

* فعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: افتتحنا مكة، ثم إنّا غزونا حُنيناً، فجاء المشركون بأحسن صفوف رأيت، قال: فصُفَّت الخيلُ، ثم صُفّت النَّعَم، قال: ونحن بشر كثير، قد بلغنا ستة آلاف [وفي رواية عشرة آلاف] وعلى مُجَنَّبَة خيلنا خالدُ بن الوليد، قال: فجعلت خيلنا تلوي خلف ظهورنا، فلم نلبث حتى انكشفت خيلُنا، وفرَّت الأعرابُ، ومن نعلم من الناس، قال: فنادى رسول الله ﷺ: (يالَ المهاجرين، يالَ المهاجرين) ثم قال: (يالَ الأنصار، يالَ الأنصار).

قال: قال أنس: هذا حديث عُمِّيَّة[٤٥٨]، قال: قلنا: لبيك يا رسول الله، قال: فتقدم رسول الله ﷺ، قال: فأيم الله، ما أتيناهم حتى هزمهم الله، قال: فقبضنا ذلك المال،... الحديث بطوله، رواه مسلم[٤٥٩].

---

(٤٥٨) ضبط هذا الحرف بأربع صيغ: بكسر العين المهملة، وكسر الميم المشددة، وفتح الياء المشددة، يعني: الشدَّة، وبضم العين المهملة وكسر الميم المشدّدة، وفتح الياء المشددة. وبفتح العين المهملة وكسر الميم المشددة، وفتح الياء المخففة، وتشديدها. يعني حديث عمومتي. أي حدثني به أعمامي.

(٤٥٩) صحيح مسلم: كتاب الزكاة: باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبّر من قوي إيمانه، رقم (١٣٦).

١٩- الهجرة سبب لدخول الجنة:

إن الشيطان يجلس لابن آدم في كل طريق خير، ويحاول صرفه عنه، وعدم تحقيقه له، فإذا عصى ابنُ آدم الشيطان، واستمر في عمل الطاعات دلَّ على قوة إيمانه، وترجيحه محابِّ الله تعالى على شهوات نفسه، مع إقدامه على المخاطر.

ومن ذلك الهجرة، حيث قعد الشيطان للمهاجرين يمنعهم عن تنفيذ ما صمّموا عليه من الهجرة، ولكن المهاجرين عصوه، و لم يسمعوا قوله، فإن فعلوا ذلك وجبت لهم الجنة، سواء ماتوا شهداء، أو غرقاً،... أو على فرشهم. وهذا من فضائلهم رضي الله تعالى عنهم، حيث أوجب تعالى لهم الجنةَ وإن ماتوا على فرشهم، من غير قتل.

* فعن سَبْرة بن أبي فاكه رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الشيطانَ قعد لابن آدم بأطْرُقه، فقعد له بطريق الإسلام، فقال: تُسلم، وتذر دِينَك ودِينَ آبائك ! فعصاه فأسلم.

ثم قعد له بطريق الهجرة، فقال: تهاجر، وتدع أرضك وسماءك، وإنما مثلُ المهاجِر كمثل الفَرَس في الطِّوَل ! فعصاه فهاجر.

ثم قعد له بطريق الجهاد، فقال: تجاهد، فهو جَهْد النفس والمال، فتقاتل فتُقتل، فتُنكح المرأة، ويقسم المال ! فعصاه فجاهد.

فقال رسول الله ﷺ: فمن فعل ذلك [منهم، فمات] كان حقّاً على الله عز وجل أن يدخله الجنة، ومن قُتل كان حقّاً على الله عز وجل أن يدخله

الجنة، وإن غرق كان حقّاً على الله تعالى أن يدخله الجنة، أو وقصته دابته كان حقّاً على الله عز وجل أن يدخله الجنة). رواه ابن أبي شيبة وأحمد وابن أبي عاصم والبخاري في تاريخه والنسائي وابن حبان والطبراني والأصبهاني والبيهقي، وصححه الحافظ العراقي، وحسنه الحافظ ابن حجر(٤٦٠).

فقد عصى الشيطان، ولم يسمع له قوله، مع ما قدَّم من تحذيرات، واستمر في هجرته، لذا أكرمه الله تعالى بأن أوجب له الجنة، سواء مات حتف أنفه، أو قتل شهيداً، أو غرقاً، أو متردياً عن دابته،... والله تعالى أعلم.

٢٠- إعادة المهاجرين منائح الأنصار رضي الله تعالى عنهم:

ومن فضائل المهاجرين رضي الله تعالى عنهم: وجود العفة والقناعة عند الاكتفاء، فلما قدموا رضي الله تعالى عنهم المدينة، تلقاهم إخوانهم الأنصار رضي الله تعالى عنهم، وأكرموهم إكراماً لا يوجد له نظير في عالم الدنيا، شركوهم في الأموال والبيوت، حتى هَمَّ بعضهم أن ينزل عن زوجته لأخيه المهاجري رضي الله تعالى عنهم أجمعين وأرضاهم.

فلما فتح الله سبحانه وتعالى عليهم من فضله، وأكرمهم ببركات السماء والأرض، قابل المهاجرون الأنصارَ رضي الله تعالى عنهم الأريحيَّةَ بمثلها، فأعادوا لهم ما كانوا قد أخذوه، ولم تطب نفوسهم أن يستمروا على أخذه وتملكه.

---

(٤٦٠) مصنف ابن أبي شيبة (٥: ٣٩٣) ومسند أحمد (٣: ٤٨٣) والتاريخ الكبير(٤: ١٨٧-١٨٨) والجهاد لابن أبي عاصم (١: ١٤٩) والآحاد والمثاني له (٥: ١٣٦-١٣٧) وسنن النسائي: في الكتاب والباب السابقين (٦: ٢١-٢٢) والمعجم الكبير (٧: ١٣٨) وصحيح ابن حبان (١٠: ٤٥٣-٤٥٤) وشعب الإيمان (٤: ٢١، ٢٢) والترغيب والترهيب للأصبهاني (١: ٤٦٨) والمغني عن حمل الأسفار (٣: ٢٩) والإصابة (٣: ٣١).

* فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: لما قدم المهاجرون من مكة إلى المدينة، قدموا وليس بأيديهم شيء، وكان الأنصارُ أهلَ الأرض والعقار، فقاسمهم الأنصار على أن أعطوهم أنصافَ ثمار أموالهم كلَّ عام، ويكفونهم العمل والمؤونة.

وكانت أمُّ أنس بن مالك، وهي تُدعى أم سُلَيْم، وكانت أمَّ عبد الله ابن أبي طلحة، كان أخاً لأنس لأمه، وكانت أعطت أمُّ أنس رسولَ الله ﷺ عذاقاً لها، فأعطاها رسول الله ﷺ أمَّ أيمن مولاته، أمّ أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهم.

قال الزهري: فأخبرني أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ لما فرغ من قتال أهل خيبر، وانصرف إلى المدينة، ردَّ المهاجرون إلى الأنصار منائحهم التي كانوا منحوهم من ثمارهم.

قال: فردّ رسول الله ﷺ إلى أمي عذاقها، وأعطى رسولُ الله ﷺ أمَّ أيمن مكانهن من حائطه. متفق عليه[٤٦١].

وذلك أن المهاجرين لما قدموا المدينة طلب الأنصار من النبي المصطفى الكريم ﷺ أن يقسم بينهم وبين المهاجرين الشجر، فأبى عليه وآله الصلاة والسلام، فقاسموهم الثمر، على أن يكفوهم مؤنة العمل في البساتين، من سقيها والقيام عليها،... ويدل على هذا:

(٤٦١) صحيح البخاري: كتاب الهبة: باب فضل المنيحة، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير: باب رد المهاجرين إلى الأنصار منائحهم من الشجر والثمر حين استغنوا عنها بالغنائم، رقم (٧٠).

* عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قالت الأنصارُ للنبي ﷺ: اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل، قال: (لا) فقالوا: تكفونا المؤونة ونشرككم في الثمرة، قالوا: سمعنا وأطعنا. رواه البخاري[٤٦٢].

لذا لما فتح الله تعالى عليهم خيبر، ترك المهاجرون العمل في بساتين الأنصار، وأعادوا عليهم ما كانوا يأخذونه منهم. رضي الله تعالى عنهم.

ففضل الأنصار في الابتداء، وفضل المهاجرين في الرد، رضي الله تعالى عنهم جميعاً وأرضاهم.

٢١- حرصهم رضي الله تعالى عنهم على السؤال:

لما نهى الله سبحانه وتعالى-المسلمين-عن كثرة السؤال، وكذا نهى رسولُ الله ﷺ، وسمح للغرباء الطارئين بالسؤال،... كان بعض الذين يقدمون إلى المدينة مهاجرين: يؤخرون إعلان هجرتهم حرصاً منهم على السؤال، ومعرفة أمور الدين.

* فعن النواس بن سمعان رضي الله تعالى عنه قال: أقمت مع النبي ﷺ بالمدينة سنة، ما يمنعني من الهجرة إلاّ المسألة، كان أحدُنا إذا هاجر لم يسأل رسول لله ﷺ عن شيء.

قال: فسألته عن البر والإثم. فقال رسول الله ﷺ: (البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في نفسك، وكرهت أن يطلع عليه الناس). رواه مسلم[٤٦٣].

(٤٦٢) صحيح البخاري: كتاب الحرث والمزارعة: باب إذا قال: اكفني مؤونة النخيل وغيره، وتشركني في الثمرة، وفي غيرهما.

(٤٦٣) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة: باب تفسير البر والإثم، رقم (١٥).

* قال القاضي وغيره رحمه الله تعالى: معناه: أنه أقام بالمدينة كالزائر، من غير نُقلة إليها من وطنه لاستيطانها، وما منعه من الهجرة-وهي الانتقال من الوطن، واستيطان المدينة-إلاّ الرغبة في سؤال رسول الله ﷺ عن أمور الدين، فإنه كان سمح بذلك للطارئين دون المهاجرين، وكان المهاجرون يفرحون بسؤال الغرباء الطارئين من الأعراب وغيرهم، لأنهم يُحتملون في السؤال، ويُعذَرون، ويستفيد المهاجرون الجواب.

كما قال أنس رضي الله تعالى عنه في الحديث الذي ذكره مسلم في كتاب الإيمان: وكان عجباً أن يجيء الرجل العاقل من أهل البادية فيسأله، والله أعلم.اهـ من النووي[٤٦٤].

قلت: ولفظ الحديث الذي أشار إليه الإمام النووي رحمه الله تعالى:

* عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: نُهينا أن نسأل رسولَ الله ﷺ عن شيء، فكان يعجبنا أن يجيء الرجلُ من أهل البادية العاقلُ، فيسأله، ونحن نسمع، فجاء رجل من أهل البادية، فقال: يا محمد؛ أتانا رسولُك، فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك؟ قال: (صدق) وذكر السؤال عن أركان الإسلام،... وهو قصة ضمام بن ثعلبة أخي بني سعد بن بكر، كما روى حديثه البخاري أيضاً[٤٦٥]، والله تعالى أعلم.

---

(٤٦٤) شرح صحيح مسلم للإمام النووي (١٦: ١١١).

(٤٦٥) صحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب السؤال عن أركان الإسلام، رقم (١٠، ١١) وصحيح البخاري: كتاب العلم: باب ما جاء في العلم، وانظر فتح الباري (١: ١٥١).

٢٢- زيادة فضل السابق بالهجرة:

ومن فضائل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم أنه كلما كان المهاجر منهم أسبق من غيره بالهجرة كان أفضل ممن أسلم وهاجر بعده، حتى لو كان السابق دون المتأخِّر في القرابة والمكانة، يبقى السابق أفضل.

* فعن أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما قال: كنت جالساً عند النبي ﷺ، إذ جاء عليٌّ وعباس رضي الله تعالى عنهما يستأذنان، فقالا: يا أسامة؛ استأذن لنا على رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله؛ عليٌّ والعباس يستأذنان، فقال: (أتدري ما جاء بهما؟) قلت: لا أدري، فقال النبي ﷺ: (لكني أدري) فأذن لهما فدخلا، فقالا: يا رسول الله؛ جئناك نسألك أي أهلك أحب إليك؟ قال: (فاطمة بنت محمد) فقالا: ما جئناك نسألك عن أهلك، قال: (أحبُّ أهلي إليَّ من قد أنعم الله عليه وأنعمتُ عليه: أسامة ابن زيد) قالا: ثم مَن؟ قال: (ثم علي بن أبي طالب).

قال العباس رضي الله تعالى عنه: يا رسول الله؛ جعلتَ عمَّك آخرَهم ! قال: (لأن علياً-رضي الله تعالى عنه-قد سبقك بالهجرة). رواه الترمذي والحاكم وصححاه، والبزار والطبراني في الكبير، والطيالسي مختصراً.

قلت: وفي الإسناد: عمر بن أبي سلمة، فالحديث حسن[٤٦٦].

---

(٤٦٦) مسند الطيالسي (٨٨) وسنن الترمذي: كتاب المناقب: باب مناقب أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما، رقم (٣٨١٩) والبحر الزخار (٧: ٧١) والمستدرك (٢: ٤١٧) وَ (٣: ٥٩٦) مختصراً. والمعجم الكبير (١: ١٢٠- ١٢١) والدر المنثور (٧: ٦١١) وعزاه لابن أبي حاتم وابن مردويه، ونظم المتناثر (١٢٥).

وإذا كان النبي ﷺ قد فرَّق بين المهاجرين أنفسهم، حتى يجعل السابق لا يدركه اللّاحق، بحيث لو أنفق مثلَ أُحُد ذهباً ما بلغ مدّ أحدهم أو نصيفه، فكيف لا يكون السابقون في الهجرة متفوقين على من ختمت به الهجرة.

* فعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبدالرحمن بن عوف -رضي الله تعالى عنهما- شيء، فسبَّه خالد، فقال رسول الله ﷺ: (لا تسبوا أحداً من أصحابي، فإن أحدَكم لو أنفق مثلَ أُحُد ذهباً، ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفَه). متفق عليه، واللفظ لمسلم(٤٦٧).

وهذا الحديث قد جاء عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وسبق ذكره، والتعليق عليه في الفصل الأول. فانظره.

٢٣- الوصية بهم وبأبنائهم رضي الله تعالى عنهم:

ومن فضائل الصحابة المهاجرين رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم -خاصة السابقين منهم- أن أوصى بهم رسول الله ﷺ في مرض وفاته.

* فعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه قال: لما حضرت النبيَّ ﷺ الوفاةُ، قالوا: يا رسول الله؛ أوصنا، قال: (أوصيكم بالسابقين الأولين من المهاجرين، وبأبنائهم من بعدهم، إلاّ تفعلوه لا يُقبل منكم صَرفٌ ولا عدل). رواه الطبراني في الأوسط والبزار برجال ثقات(٤٦٨).

---

(٤٦٧) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة: باب قول النبي ﷺ: (لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً). وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب تحريم سب الصحابة رضي الله تعالى عنهم، رقم (٢٢٢).

(٤٦٨) المعجم الأوسط (١: ٤٨٢-٤٨٣) والبحر الزخار (٣: ٢٣٣) وكشف الأستار (٣: ٢٩٢) =

٢٤- حرص المهاجرين رضي الله تعالى عنهم على هجرتهم:

ومن فضائل المهاجرين رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم-خاصة الكبار منهم-أنهم كانوا -في مقام الخوف- ويرجون أن يحفظ الله سبحانه وتعالى لهم هجرتَهم وإسلامَهم وجهادَهم مع رسول الله ﷺ، وليتهم خلصوا بعده ﷺ كفافاً لا لهم ولا عليهم.

* فعن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال: قال لي عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما: هل تدري ما قال أبي لأبيك؟ قال: قلت: لا، قال: فإن أبي قال لأبيك: يا أبا موسى؛ هل يسرك إسلامنا مع رسول الله ﷺ، وهجرتنا معه، وجهادنا معه، وعملنا كله معه بَرَدَ لنا، وأن كل عمل عملناه بعده نجونا منه كفافاً رأساً برأس؟

فقال أبوك: لا والله، قد جاهدنا بعد رسول الله ﷺ، وصلينا وصمنا، وعملنا خيراً كثيراً، وأسلم على أيدينا بشر كثير، وإنا لنرجو ذلك.

فقال أبي: لكني أنا -والذي نفس عمر بيده- لوددتُ أن ذلك بَرَدَ لنا، وأن كل شيء عملناه بعده نجونا منه كفافاً رأساً برأس.

فقلت: إن أباك -والله- خير من أبي. رواه البخاري(٤٦٩).

أراد أبو بردة رحمه الله تعالى: أن عُمَر رضي الله تعالى عنه خيرٌ من أبي موسى رضي الله تعالى عنه، وأراد من الحيثية المذكورة، وإلاّ فمن المقرر أن

= ومختصر زوائد البزار (٢: ٣٦٤) ومجمع البحرين (٧: ٢٣) ومجمع الزوائد (١٠: ١٧).

(٤٦٩) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار: باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة.

عمر رضي الله تعالى عنه أفضل من أبي موسى رضي الله تعالى عنه عند جميع الطوائف.

لكن لا يمتنع أن يفوق بعض المفضولين بخصلة لا تستلزم الأفضلية المطلقة.

ومع هذا فعمر رضي الله تعالى عنه في هذه الخصلة أيضاً أفضل من أبي موسى رضي الله تعالى عنه، لأن مقام الخوف أفضل من مقام الرجاء، إلاّ عند الاحتضار، فمقام الرجاء أفضل، ويلحق به حالة القنوط واليأس.

فالعلم محيط بأن الآدمي لا يخلو عن تقصير ما، في كل ما يريد من الخير، وإنما قال عمر رضي الله تعالى عنه ذلك هضماً لنفسه، وإلاّ فمقامُه في الفضائل والكمالات أشهر من أن يذكر.اهـ من الفتح[٤٧٠].

رضي الله تعالى عنهم جميعاً وأرضاهم، والله تعالى أعلم.

٢٥- تحريم رجوع المهاجر للاستيطان في وطنه:

إن الهجرة أعظم الأعمال وأجلها، وكانت واجبةً قبل الفتح، وقد نُهينا عن إبطال الأعمال، كما قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَـٰلَكُمْ﴾[٤٧١].

لذا فإن أكبر خسارة يخسرها الإنسان إبطال أعماله الصالحة، وأشدها إبطال هجرته.

* وسبق ذكر دعاء النبي الكريم ﷺ للمهاجرين رضي الله تعالى عنهم: (اللهم أمض لأصحابي هجرتهم، ولا تردهم على أعقابهم). متفق عليه.

---

(٤٧٠) فتح الباري (٧: ٢٥٥).

(٤٧١) سورة محمد (٣٣).

وكيف يردّون على أعقابهم؟ إنما هو بإبطال هجرتهم.

* فعن سلمة بن الأكوع رضي الله تعالى عنه، أنه دخل على الحجاج فقال: يا ابن الأكوع؛ ارتددت على عقبيك؟ تعرّبت؟ قال: لا، ولكن رسول الله ﷺ أذن لي في البدو. رواه مسلم[٤٧٢].

قوله: ارتددت: أي عن الهجرة.

قوله: تعرَّبتَ: أي دخلت في الأعراب، يريد صرت أعرابياً.

قوله: أذن لي في البدو: أي في الخروج إلى البادية.

* قال القاضي عياض رحمه الله تعالى[٤٧٣]: أجمعت الأمة على تحريم ترك المهاجر هجرته، ورجوعه إلى وطنه، وأن ارتداد المهاجر [أعرابياً] من الكبائر.

وإلى هذا أشار الحجاج، حتى أعلَمَه سلمة بن الأكوع رضي الله تعالى عنه أن تبدّيه [أي خروجه إلى البادية] كان بأمر النبي ﷺ،...إلخ.

٢٦- من المهاجرين العشرة المبشرون بالجنة، ومنهم الخلفاء الراشدون رضي الله تعالى عنهم:

ومن فضائل المهاجرين الكرام رضي الله تعالى عنه: أن جعل الله تعالى العشرةَ المبشَّرين بالجنة رضي الله تعالى عنهم، والخلفاء الراشدين رضي الله تعالى عنهم كلهم من المهاجرين، وفي هذا دلالة على فضلهم ورفعة مقامهم، وعلو درجتهم،... لأنه كلما كثر الممدوحون في قوم دلَّ على تقدم أولئك القوم، فكيف بالبشارة بالجنة، وبالخلافة من بعده ﷺ.

---

(٤٧٢) صحيح مسلم: كتاب الإمارة: باب تحريم رجوع المهاجر إلى استطان وطنه، رقم (٨٢).

(٤٧٣) إكمال المعلِم (٦: ٢٧٣) وشرح صحيح مسلم للنووي (١٣: ٦) والزيادة منه.

لذا حث رسول الله ﷺ على الاقتداء بهم، وإتباع سنتهم،... رضي الله تعالى عنهم. وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى في الفصل الخامس من الباب الرابع، لكن أذكر بعض الأحاديث:

* فعن سعيد بن زيد رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (عشرة في الجنة: أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن مالك في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة) وسكت عن العاشر، قالوا: ومن هو العاشر؟ فقال: سعيد بن زيد، يعني نفسه.

ثم قال: لموقف مع رسول الله ﷺ يَغْبَرُّ فيه وجهُه خير من عمل أحدكم، ولو عمِّر عُمر نوح. رواه أحمد والأربعة والطيالسي وابن أبي عاصم والبغوي وأبو نعيم، وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم والضياء في آخرين، وقد جاء عند بعضهم بإسقاط أبي عبيدة رضي الله عنه[٤٧٤].

---

(٤٧٤) مسند الطيالسي (٣٢ رقم ٢٣٦) ومسند الحميدي (١: ٤٥) ومصنف ابن أبي شيبة (١٢: ١٢-١٣، ١٣، ١٥) ومسند أحمد (١: ١٨٧) وفضائل الصحابة (١: ١١٤-١١٧، ٢٠٤-٢٠٥، ٢٢١) والتاريخ الكبير (٥: ٢٧٣) والسنة (٢: ٦١٩-٦٢١) وسنن أبي داود: كتاب السنة: باب في الخلفاء، رقم (٤٦٤٩) وفضائل الصحابة للنسائي (١٠٥-١٠٦، ١٠٧، ١١١) وسنن الترمذي: كتاب المناقب: باب مناقب عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه، رقم (٣٧٤٨) وسنن ابن ماجه: المقدمة: فضائل العشرة، رقم (١٣٣) ومسند أبي يعلى (٢: ٢٥٩-٢٦٠) والبحر الزخار (٤: ٩٥، ٩٩) ومسند الشاشي (١: ٢٣٤-٢٣٨ من طرق) وحلية الأولياء (١: ٩٥-٩٦) ومعرفة الصحابة (١: ١٤٥-١٤٩من طرق) وصحيح ابن حبان (١٥: ٤٥٤) والمستدرك (٣: ٤٤٠) وشرح السنة (١٤: ١٢٩) والمختارة (٣: ٢٨٢-٢٨٥، ٢٨٨-٢٩١).

* كما جاء مثله من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه رواه أحمد والترمذي والنسائي والبغوي وأبو يعلى والبزار وتمام في فوائده وأبو نعيم، بإسناد صحيح، وصححه ابن حبان والضياء(٤٧٥).

كما ورد من حديث غيرهما.

* وعن العرباض بن سارية رضي الله تعالى عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ الصبحَ، فوعظنا موعظة بليغة،... الحديث بطوله، وفيه: فقال: (...عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، فتمسكوا بها، وعضّوا عليها بالنواجذ،...). الحديث بطوله. رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والدارمي والآجري والطحاوي والبيهقي وابن أبي عاصم، وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم وأقره الذهبي(٤٧٦).

(٤٧٥) مسند أحمد (١: ١٩٣) وفضائل الصحابة له (١: ٢٢٩) وسنن الترمذي: كتاب المناقب: باب مناقب عبد الرحمن بن عوف، رقم (٣٧٤٧) وفضائل الصحابة للنسائي (١٠٦-١٠٧) ومسند أبي يعلى (٢: ١٤٧-١٤٨) والبحر الزخار (٣: ٢٣١) وفوائد تمام (١: ٣٤٤) وعلل الدارقطني (٤: ٤١٦-٤١٨) وشرح السنة (١٤: ١٢٨، ١٢٩) ومصابيح السنة (٤: ١٧٩) ومعرفة الصحابة (١: ١٤٦-١٤٧) وصحيح ابن حبان (١٥: ٤٦٣)، والمختارة (٣: ١٠٢-١٠٣).

(٤٧٦) مسند أحمد (٤: ١٢٦، ١٢٧) وسنن الدارمي (١: ٤٣-٤٤ رقم ٩٦) وسنن أبي داود: كتاب السنة: باب في لزوم السنة، رقم (٤٦٠٧) وسنن الترمذي: كتاب العلم: باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، رقم (٢٦٧٦) وسنن ابن ماجه: المقدمة: باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، رقم (٤٢- ٤٤) والشريعة (١: ١٧١، ١٧٢) وشرح مشكل الآثار (٣: ٢٢١-٢٢٤) والسنة (٢: ٧٠-٧٢) والمعجم الكبير (١٨: ٢٤٥-٢٤٩، ٢٥٧ من طرق) ومسند الشاميين (٣: ١٧٢-١٧٣) وشرح السنة (١: ٢٠٥) =

* كما أن فيهم من اهتز بهم جبل حراء مع رسول الله ﷺ، كما في حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عند مسلم(٤٧٧)، وحديث سعيد بن زيد رضي الله تعالى عنه(٤٧٨)، ومنهم من اهتز به جبل أحد كما في البخاري من حديث أنس رضي الله تعالى عنه وغيره(٤٧٩).

= وحلية الأولياء (٥: ٢٢٠-٢٢١) (١٠: ١١٤، ١١٥) وصحيح ابن حبان (١: ١٧٨-١٧٩) والمستدرك (١: ٩٥-٩٧من طرق) والسنن الكبرى (١٠: ١١٤) والمدخل إلى السنن الكبرى (١١٥، ١١٦) ودلائل النبوة (٦: ٥٤١).

(٤٧٧) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب فضائل طلحة والزبير رضي الله تعالى عنهما، رقم (٥٠) وانظر فضائل المدينة المنورة (٣: ٧٧-٧٩) ومكانة الحرمين الشريفين، فقد ذكرت الروايات في هذا الموضوع.

(٤٧٨) مسند الطيالسي (٣٢) ومصنف ابن أبي شيبة (١٢: ١٤) ومسند أحمد (١: ١٨٧-١٨٩) وفضائل الصحابة له (١: ١١٣-١١٤، ٢١٨-٢١٩، ٢٢٩-٢٣٠) وسنن أبي داود: كتاب السنة: باب في الخلفاء، رقم (٤٦٤٨) وسنن الترمذي: كتاب المناقب: باب مناقب سعيد ابن زيد رضي الله تعالى عنه، رقم (٣٧٥٧) وفضائل الصحابة للنسائي (٨٥-٨٦، ١٠٥، ١١١-١١٢) وسنن ابن ماجه: المقدمة: فضائل العشرة، رقم (١٣٤) والسنة (٢: ٦١٨-٦١٩) ومسند أبي يعلى (٢: ٢٥٨-٢٥٩) والبحر الزخار (٤: ٩١-٩٢) والمعجم الكبير (١: ١١٦رقم ٣٥٦) والمعجم الأوسط (١: ٢٦٧) (٤: ٣٣٩) (٧: ١٨٢-١٨٣) (٨: ١٤٧) وحلية الأولياء (٤: ٣٤١ مختصراً) (٥: ٢٥) وفيه وهم، ومسند الشاشي (١: ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٤١ من طرق) وصحيح ابن حبان (١٥: ٤٥٧-٤٥٨) والمستدرك (٣: ٤٥٠-٤٥١) والمختارة (٣: ٢٧٩-٢٨١).

(٤٧٩) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة: باب قول النبيِّ ﷺ: (لو كنتُ متَّخذاً خليلاً)، وباب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، وفي غيرها. وانظر فضائل المدينة المنورة، لبيان الروايات الأخرى.

٢٧- ما ناله المهاجرون رضي الله تعالى عنهم من تعذيب في مكة قبل هجرتهم:

إذا أراد الله تعالى شيئاً هيّأ أسبابه، فلما كان الله تعالى قد كتب قبل خلْق الخلق أن النبي المصطفى الكريم ﷺ وأصحابه المهاجرين سينْزلون المدينة، ويدفن فيها من يموت فيها، جعل من المزعجات لهم في مكة حتى يهاجروا منها، إذ لولا المنغصات ما خرجوا منها، لأن حب الوطن لا يعادله إلاّ ما هو أغلى منه.

لقد نال المسلمون من التعذيب في مكة من قِبَل المشركين ما لو نزل على الجبال لأزاحها، عذّبوهم في أجسادهم وأرزاقهم وأموالهم ونفسياتهم،... وما الحصار في الشِّعب إلاّ واحد من أنواع التعذيب، وما قَتْلُ سمية وياسر رضي الله تعالى عنهما إلاّ نموذج من الصور، وما إلقاء خباب بن الأرَت على النار حتى أطفأها بشحمه إلاّ صورة لهذا التعذيب، وما تعذيب بلال رضي الله تعالى عنه إلاّ صورة أخرى، وما هجرة الحبشة، ثم الهجرة إلى المدينة إلاّ نتيجة هذا التعذيب.

وقد ذكرتُ مظاهرَ التعذيب الذي أصابهم رضي الله تعالى عنهم في مكة في غير هذا الكتاب.

* فعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وصُهيب، وبلال، والمقداد.

فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله تعالى بعمه أبي طالب.

وأما أبو بكر رضي الله تعالى عنه فمنعه الله تعالى بقومه.

وأما سائرهم فأخذهم المشركون، فألبسوهم أدراع الحديد، وصهروهم في الشمس، فما منهم إنسان إلاّ وقد واتاهم على ما أرادوا إلاّ بلال، فإنه هانت عليه نفسه في الله، وهان على قومه، فأعطوه الولدان، وأخذوا يطوفون به في شعاب مكة، وهو يقول: أَحَدٌ، أَحَدٌ. رواه أحمد وابن ماجه وأبو نعيم والبيهقي، وصححه ابن حبان والحاكم وأقره الذهبي(٤٨٠).

وهذا باب واسع ذكره أهل السير، وقد ذكرتُ مجموعةً من الأحاديث في السيرة النبوية.

وقد ثبّت الله سبحانه وتعالى أصحابَ رسول الله ﷺ ورضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، فتكسّرت على صمودهم خشبات الكفر، كما نأت عن ثباتهم هيشات الشرك، كما تشتت على شموخهم موجات الظلم الهائج، مما كان له أكبر الأثر في نشر الإسلام بعد ذلك أيضاً، والله تعالى أعلم.

٢٨- فضل مهاجري الحبشة:

لما أُوذي المسلمون في مكة من قِبَل كفار قريش، وضُيِّق عليهم، وعُذبوا في ذات الله عز وجل، وأُخيفوا،... أذن لهم رسول الله ﷺ بالهجرة إلى الحبشة، ومع هذا فقد لحقهم الأذى، حيث أرسلت قريش عَمْرَو بنَ العاص- قبل إسلامه-وعُمارة،... إلى النجاشي لإعادة المسلمين إلى مكة، فسلّمهم الله

(٤٨٠) مصنف ابن أبي شيبة (١٢: ١٤٩) (١٤: ٣١٣) ومسند أحمد (١: ٤٠٤) وفضائل الصحابة له (١: ١٨٢-١٨٣) وسنن ابن ماجه: المقدمة: فضل سلمان وأبي ذر والمقداد رضي الله تعالى عنهم، رقم (١٥٠) والبحر الزخار (٥: ٢٣٣) وحلية الأولياء (١: ١٤٩) وصحيح ابن حبان (١٥: ٥٥٨-٥٥٩) والمستدرك (٣: ٢٨٤) ودلائل النبوة للبيهقي (٢: ٢٨١-٢٨٢) ومصباح الزجاجة (١: ٢٣) وفتح الباري (٧: ١٦٦).

تعالى، حتى هاجروا إلى المدينة المنورة، بعد هجرة رسول الله ﷺ، فوصلوها والنبيُّ ﷺ في خيبر، فكان لهم هجرتان: هجرة الحبشة، والهجرة إلى المدينة.

* فعن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال: بلغنا مخرج رسول الله ﷺ ونحن باليمن، فخرجنا مهاجرين إليه، أنا وأخوان لي، أنا أصغرهما [ولفظ البخاري: أنا أصغرهم] أحدهما أبو بُرْدَة، والآخر أبو رُهْم-إما قال بضعاً، وإما قال: ثلاثةً وخمسين، أو اثنين وخمسين رجلاً من قومي-قال: فركبنا سفينةً، فألقتنا إلى النجاشي بالحبشة، فوافقنا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عنده.

فقال جعفر: إن رسول لله ﷺ بعثنا ههنا، وأمرنا بالإقامة، فأقيموا معنا. حتى قدمنا جميعاً، قال فوافقنا رسولَ الله ﷺ حين افتتح خيبر، فأسهم لنا-أو قال: أعطانا منها-وما قسم لأحد غاب عن فتح خيبر منها شيئاً إلاّ لمن شهد معه، إلاّ لأصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه، قسم لهم معهم.

قال: فكان ناس من الناس يقولون لنا-يعني لأهل السفينة-: نحن سبقناكم بالهجرة.

قال: فدخلت أسماء بنت عميس-وهي ممن قدم معنا-على حفصة زوج رسول الله ﷺ زائرةً، وقد كانت هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر إليه، فدخل عمر على حفصة رضي الله تعالى عنها وأسماءُ عندها، فقال عمر حين رأى أسماء: من هذه؟ قالت: أسماءُ بنت عميس. قال عمر: الحبشيةُ هذه؟ البَحْريةُ هذه؟ فقالت أسماءُ: نعم، فقال عمر: سبقناكم بالهجرة، فنحن أحق برسول الله ﷺ منكم. فغضبت، وقالت:...كلّا، والله، كنتم مع رسول الله

ﷺ يُطعم جائعكم، ويعظ جاهلكم، وكنا في دار -أو في أرض- البُعَداء، البُغَضاء في الحبشة، وذلك في الله وفي رسول الله ﷺ، وايم الله، لا أطعم طعاما ولا أشرب شراباً حتى أذكر ما قلتَ لرسول الله ﷺ، ونحن كنا نُؤذى ونخاف، وسأذكر ذلك لرسول الله ﷺ، وأسأله، ولا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد على ذلك.

قالت: فلما جاء النبي ﷺ قالت: يا نبي الله؛ إن عمر قال كذا وكذا [قال: (فما قلتِ له؟) قالت: قلت له كذا وكذا].

فقال رسول الله ﷺ: (ليس بأحقَّ بي منكم، وله ولأصحابه هجرة واحدة، ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان).

قالت: فلقد رأيت أبا موسى، وأصحاب السفينة يأتوني إرسالاً، يسألوني عن هذا الحديث، ما من الدنيا شيءٌ هم به أفرح ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم رسول الله ﷺ.

قالت أسماء: فلقد رأيت أبا موسى؛ وإنه ليستعيد هذا الحديث مني. متفق عليه(٤٨١).

قولها رضي الله تعالى عنها: البُعَداء البُغَضاء، أي البعداء في النسب، البغضاء في الدِّين، لأنهم كفار إلاّ النجاشي، وكان يستخفي بإسلامه عن قومه.

---

(٤٨١) صحيح البخاري: كتاب المغازي: باب غزوة خيبر. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل جعفر بن أبي طالب وأسماء بنت عميس وأهل سفينتهم رضي الله تعالى عنهم، رقم (١٦٩).

٢٩- فضائل النساء المهاجرات:

لقد جاءت نصوص كثيرة في بيان فضل النساء المهاجرات عموماً، وأهن أسرع النساء استجابة لأمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ، كما جاءت نصوص أخرى في فضل نساء قريش، باعتبار أن أغلب المهاجرات هن من قريش، أقتصر على ذكر نصين كريمين.

* عن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: يرحم الله نساء المهاجرات الأول، لما أنزل الله ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ شققن مروطهن فاختمرن بها.

* وفي رواية: أخذْن أُزُرَهن فشققنها من قبل الحواشي فاختمرن بها. رواهما البخاري[٤٨٢].

وأما ما جاء في نساء قريش:

* فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (خير نساءٍ ركبن الإبلَ صالحُ نساء قريش، أحناه على ولد في صغره، وأرعاه على زوجٍ في ذات يده). متفق عليه[٤٨٣]. وللحديث ألفاظ أخرى.

٣٠- من فضائل قريش:

لما كان أغلب المهاجرين رضي الله تعالى عنهم -خاصة الأول منهم- من

---

(٤٨٢) صحيح البخاري: كتاب التفسير: سورة النور: باب ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾.

(٤٨٣) صحيح البخاري: كتاب النكاح: باب إلى من ينكح، وأي النساء خير. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب فضائل نساء قريش، رقم (٢٠٠-٢٠٢).

قريش، لذا جاءت نصوص كثيرة في فضل قريش، وتقديمها والتعلم منها،... أقتصر على ذكر بعض ما صح منها للتنبيه:

* فعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: قال النبي ﷺ: (الناسُ تَبَع لقريش في الخير والشر). رواه مسلم(٤٨٤).

* وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (الناس تبع لقريش في هذا الشأن، مسلمُهم لمسلمهم، وكافرُهم لكافرهم). متفق عليه(٤٨٥).

* وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان). متفق عليه(٤٨٦).

* وعن عبد الله بن مطيع، عن أبيه رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم فتح مكة: (لا يُقتل قرشيٌّ صبراً بعد هذا اليوم إلى يوم القيامة). رواه مسلم(٤٨٧).

يعني لن يرتد أحدٌ من قريش بعد الفتح، ويثبت على الكفر، إلى يوم القيامة، فيقتل عليه... وهذا من علامات النبوة، والله تعالى أعلم.

---

(٤٨٤) صحيح مسلم: كتاب الإمارة: باب الناس تبع لقريش، والخلافة في قريش، رقم (٣).

(٤٨٥) صحيح البخاري: كتاب المناقب: باب قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾. وصحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (١، ٢).

(٤٨٦) صحيح البخاري: كتاب المناقب: باب مناقب قريش، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (٤).

(٤٨٧) صحيح مسلم: كتاب الجهاد: باب لا يقتل قرشي صبراً بعد الفتح، رقم (٨٨، ٨٩).

* وعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسـول الله ﷺ: (اللهم أذقتَ أولَ قريش نكالاً، فأذق آخرَها نوالاً). رواه أحمد وابن أبي عاصم وأبو يعلى وأبو نعيم برجال ثقات، وصححه الترمذي[٤٨٨]. وعزاه في الكنز لابن حبان وسعيد بن منصور، وجوّده الحافظ، ووثقه الهيثمي.

والنصوص في فضائل قريش كثيرة جداً، ذكرت هذه للتنبيه.

٣١- الدعاء للمهاجرين والأنصار رضي الله تعالى عنهم:

ومما يشترك فيه المهاجرون والأنصار معاً، رضي الله تعالى عنهم دعاء رسول الله ﷺ لهم جميعاً بالمغفرة والإصلاح والرحمة والتكريم، وقد تكرر هذا الدعاء لهم، خاصة يوم حفر الخندق.

* فعن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنهما قال: جاءنا رسول الله ﷺ ونحن نحفر الخندق، وننقل التراب على أكتافنا، فقال رسول الله ﷺ: (اللهم لا عيشَ إلاّ عيش الآخرة، فاغفر للمهاجرين والأنصار). متفق عليه[٤٨٩].

* وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: خرج رسـول الله ﷺ

---

(٤٨٨) مسند أحمد (١: ٢٤٢) وسنن الترمذي: كتاب المناقب: باب مناقب الأنصار وقريش، رقم (٣٩٠٨) والسنة (رقم ١٥٨٢، ١٥٨٣) ومسند أبي يعلى (٥: ٦٩-٧٠) وحلية الأولياء (٩: ٦٥) ومناقب الشافعي للبيهقي (١: ٢٥) ومجمع الزوائد (٣: ٢٨٣) وتوالي التأسيس (٤٤) وكنز العمال (١٢: ٢٩) وانظر تعليقي على مناقب الإمام الشافعي لابن كثير (١٣٤).

(٤٨٩) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار: باب دعاء النبي ﷺ: (أصلح الأنصار والمهاجرة)، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير: باب غزوة الأحزاب، وهي الخندق، رقم (١٢٦).

إلى الخندق، فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة، فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم، فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال: (اللهم إن العيشَ عيشُ الآخرة، فاغفر اللهم للأنصار والمهاجرة).

فقالوا مجيبين:

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً

متفق عليه، واللفظ للبخاري[٤٩٠].

* وعنه رضي الله تعالى عنه قال: كانت الأنصار يوم الخندق تقول:

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما حيينا أبداً

فأجابهم النبي ﷺ:

(اللهم لا عيشَ إلاّ عيشُ الآخرة، فأكرم الأنصارَ والمهاجرةَ). متفق عليه[٤٩١].

* وعنه رضي الله تعالى عنه قال: كانوا يرتجزون، ورسول الله ﷺ معهم، وهم يقولون:

(اللهم لا خير إلاّ خير الآخرة، فانصر الأنصارَ والمهاجرةَ) لفظ مسلم[٤٩٢].

* وعنه رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا عيشَ إلاّ عيش الآخرة، فأصلح الأنصار والمهاجرة). لفظ البخاري[٤٩٣].

(٤٩٠) صحيح البخاري: كتاب الجهاد: باب الصبر عند القتال، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (١٢٧-١٣٠).

(٤٩١) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار: الباب السابق، وكتاب الجهاد: باب البيعة في الحرب أن لا يفروا. وصحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (١٢٨).

(٤٩٢) صحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (١٢٩).

(٤٩٣) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار: الباب السابق.

* وعنه رضي الله تعالى عنه قال: جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق حول المدينة، وينقلون التراب على متونهم، ويقولون:

نحن الذين بايعوا محمداً ... على الجهاد ما بقينا أبداً

والنبي ﷺ يجيبهم ويقول:

(اللهم، إنه لا خير إلاّ خير الآخرة، فبارك في الأنصار والمهاجرة). لفظ البخاري(٤٩٤).

ويلاحظ في هذه الروايات، أن النبي الكريم ﷺ قد دعا للمهاجرين والأنصار رضي الله تعالى عنهم: (اغفر، أكرم، انصر، أصلح، بارك، بالمغفرة، والإكرام، والنصر، والإصلاح، والمباركة) ويكون النبي الكريم ﷺ قد قال هذه الدعوات جواباً لقولهم أثناء العمل: نحن الذين بايعوا محمداً... ﷺ، ومعلوم أن الشعر أثناء العمل مما ينشط عليه، وإن كان هذا البيت ليس من شعر النبي ﷺ، فأوله من شعر عبد الله بن رواحة رضي الله تعالى عنه، كان النبي ﷺ قد تمثل به، ومع هذا فقد قاله ﷺ غير موزون، سواء تعمَّد ذلك، أم خرج على سجيته، ولهذا اختلف سياقه، فمرة فيه زيادة في الشطر الأول، ومرة فيه تقديم وتأخير في الشطر الثاني، وكله خرج مخرج الدعاء من النبي المصطفى الكريم ﷺ للمهاجرين والأنصار، رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم.

ويكون الله عز وجل قد استجاب لرسوله ﷺ في دعائه للمهاجرين والأنصار رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، بالمغفرة، والإكرام، والنصرة،

---

(٤٩٤) صحيح البخاري: كتاب الجهاد: باب حفر الخندق، وكتاب المغازي: باب غزوة الخندق، وهي الأحزاب.

والإصلاح، والمباركة، في الدنيا والآخرة، والله تعالى أعلم.

٣٢- المهاجرون والأنصار رضي الله تعالى عنهم الذين يلون رسول الله ﷺ:

لقد كان رسول الله ﷺ يحب أن يليه في الصلاة المهاجرون والأنصار رضي الله تعالى عنهم، للأخذ عنه والتعلم منه والاقتداء به،... كما كان ﷺ يحب أن يكون المهاجرون والأنصار رضي الله تعالى عنهم دائماً في مجلسه ليحفظوا عنه، ويقتدوا به، لأنهم هم الذين سيعلّمون غيرَهم، ويقتدي بهم غيرُهم، خاصة كبار الصحابة رضي الله تعالى عنهم من المهاجرين والأنصار.

* فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ يحب أن يليه المهاجرون والأنصار ليأخذوا عنه.

* وفي رواية: ليحفظوا عنه. رواه عبد الرزاق وأحمد والنسائي وابن ماجه وعبد بن حُميد والطحاوي وأبو يعلى والبيهقي والضياء برجال ثقات، وصححه ابن حبان الحاكم وأقره الذهبي[٤٩٥].

* وعن قيس بن عُبَاد رحمه الله تعالى قال: أتيتُ المدينةَ للقي أصحاب محمد ﷺ، ولم يكن فيه رجلٌ ألقاه أحبَّ إليَّ من أُبَيّ رضي الله تعالى عنه،

(٤٩٥) مصنف عبد الرزاق (٢: ٥٣) ومسند أحمد (٣: ١٠٠، ١٩٩، ٢٠٥، ٢٦٣) ومسند عبد ابن حُميد (٤١٣ رقم ١٤٠٧) والسنن الكبرى للنسائي (٥: ٤٨) وسنن ابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة: باب من يستحب أن يلي الإمام، رقم (٩٧٧) وشرح مشكل الآثار (١٠: ٥٤) وشرح معاني الآثار (٢: ٢٢٦) ومسند أبي يعلي (٦: ٤٣٧ رقم ٣٨١٦) وصحيح ابن حبان (١٦: ٢٤٨) والمستدرك (١: ٢١٨) والسنن الكبرى للبيهقي (٢: ٩٧) والمختارة (٥: ٢٨٥-٢٨٩ من طرق).

فأقيمت الصلاة، وخرج عمر-رضي الله تعالى عنه-مع أصحاب رسول الله ﷺ، فقمت في الصف الأول، فجاء رجل فنظر في وجوه القوم فعرفهم غيري، فنحّاني وقام مقامي، فما عقلت صلاتي، فلما صلّى قال: يا بني لا يسوؤك الله، فإني لم آتك الذي أتيتك بجهالة، ولكن رسول الله ﷺ قال لنا: (كونوا في الصف الذي يليني) وإني نظرت في وجوه القوم فعرفتهم غيرك.

ثم حدث، فما رأيت الرجال متحت أعناقَها إلى شيء متوحها إليه.

قلت: فسمعته يقول: هلك أهل العُقْدَة، ورب الكعبة، [قالها ثلاثاً، هلكوا وأهلكوا] ألا لا عليهم آسى، ولكن آسى على من يهلِكون من المسلمين. وإذا هو أُبَيّ. رواه الطيالسي وأحمد والنسائي، وابن خزيمة وابن حبان والحاكم مطولا، ورواه عبد بن حميد مختصراً[٤٩٦].

* وفي رواية عبد الرزاق، والحاكم صححه وأقره الذهبي -واللفظ له- قال رضي الله تعالى عنه: سمعت رسول الله ﷺ: (لا يقوم في الصف الأول إلا المهاجرون والأنصار).

قوله: متحت: أي مدَّت أعناقها نحوه.

وقوله: متوحها: مصدر غير جارٍ على فعله، أو يكون كالشُّكور والكُفور.اهـ ابن الأثير.

---

(٤٩٦) مسند الطيالسي (٧٥-٧٦) ومصنف عبد الرزاق (٢: ٥٣-٥٤) ومسند أحمد (٥: ١٤٠) ومسند عبد بن حميد (٩١-٩٢) وسنن النسائي: كتاب الإمامة: باب من يلي الإمام، ثم الذي يليه (٢: ٨٨) وصحيح ابن خزيمة (٣: ٣٣) وصحيح ابن حبان (٥: ٥٥٥، ٥٥٦) والمستدرك (١: ٢١٤-٢١٥) (٣: ٣٠٤) (٤: ٥٢٦-٥٢٧) وحلية الأولياء (١: ٢٥٢) ومصباح الزجاجة: (١: ١١٩-١٢٠).

قوله: أهل العُقْدَة: يريد البيعة المعقودة للولاة. وجاء عند بعضهم: أهل العُقَد: يعني أصحاب الولايات على الأمصار، من عقد الألوية للأمراء.

* وقال الطيالسي رحمه الله تعالى: أهل العُقْدَة: ما أهراق عليه الدماء، واغتصبه، ثم اعتقده.اهـ[497].

وقوله: آسى: أي أحزن.

وخير شاهد لذلك حثه ﷺ على أن يليه أولو الأحلام والنُهى.

* فعن أبي مسعود البدري رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول: (استووا، ولا تختلفوا، فتختلف قلوبكم، ليلني منكم أولو الأحلام والنُهى، ثم الذين يلونهم). رواه مسلم[498].

* وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ليلني منكم أولو الأحلام والنُّهى، ثم الذين يلونكم (ثلاثاً) وإياكم وهيشات الأسواق). رواه مسلم[499].

وقوله ﷺ: (أولو الأحلام والنهى) أي ذوو الألباب والعقول، لأن الأحلام: جمع حلم، بمعني الأناة والتثبت في الأمور، والنُّهى: جمع نُهية، وهي العقل.

(٤٩٧) انظر: غريب الحديث، للخطابي (٢: ٣١٨)، والنهاية، لابن الأثير (٣: ٢٧٠) (٤: ٢٩١)، وشرح النسائي (٢: ٨٨).

(٤٩٨) صحيح مسلم: كتاب الصلاة: باب تسوية الصفوف وإقامتها، وفضل الأول فالأول منها، ورقم (١٢٢).

(٤٩٩) صحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (١٢٣).

وقوله: (هيشات الأسواق) أي ارتفاع الأصوات، واللغط والفتن المختلطة، والمنازعات والخصومات في الأسواق، والله تعالى أعلم.

٣٣- المهاجرون والأنصار رضي الله تعالى عنهم بعضهم أولياء بعض:

لقد جعل رسول الله ﷺ المهاجرين والأنصار رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، بعضهم أولياء بعض في الدنيا والآخرة. كما جعل الطلقاء والعتقاء بعضهم أولياء بعض.

* فعن جرير بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (المهاجرون والأنصار بعضهم أولياء بعض في الدنيا والآخرة، والطلقاء من قريش والعتقاء من ثقيف بعضهم أولياء بعض في الدنيا والآخرة). رواه الطيالسي وأحمد، والطبراني في الكبير، وابن حبان والحاكم وصححاه وأقره الذهبي، والخطيب في تاريخه، وأحد أسانيد أحمد وسند الحاكم، وعدد من أسانيد الطبراني صحيحة، والباقي حسان(٥٠٠).

* وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (المهاجرون والأنصار بعضهم أولياء بعض،...). الحديث. رواه ابن أبي عاصم وأبو يعلى والطبراني والبزار، وإسناد ابن أبي عاصم والبزار

(٥٠٠) مسند الطيالسي (٩٣ رقم ٦٧١) ومسند أحمد (٤: ٣٦٣) والمعجم الكبير (٢: ٣٤٩-٣٥٠، ٣٥٦-٣٥٧، ٣٥٨، ٣٩٢، ٣٩٧) وصحيح ابن حبان (١٦: ٢٥٠) والمستدرك (٤: ٨٠-٨١) وتاريخ بغداد (١٣: ٤٤-٤٥) وأخبار أصبهان (١: ١٤٥-١٤٦) ومجمع الزوائد (١٠: ١٥) وكنز العمال (١٢: ٨٦) وعزاه لسعيد بن منصور، وفتح القدير (٢: ٣٣٠) وزاد ابن أبي حاتم.

حسن(٥٠١)، ويشهد له الحديث السابق أيضاً، والله تعالى أعلم.

٣٤- المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار رضي الله تعالى عنهم:

لما قدم النبي المصطفى الكريم ﷺ المدينة مهاجراً، وتتامّ المهاجرون فيها، آخى رسول الله ﷺ بينهم وبين الأنصار رضي الله تعالى عنهم، كل اثـنين أخوين، حتى حلت هذه الأخوة محل رابطة النسب والدم، فصار التوارث يقع فيها، حتى نزل قوله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾(٥٠٢).

وقد بينت ذلك في فضائل المدينة المنورة، فانظره إن شئت في ابتداء المجلد الثاني.

* فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: حالف رسـول الله ﷺ بين قريش والأنصار، في داره التي بالمدينة. متفق عليه(٥٠٣).

* وفي رواية الحميدي وأحمد وأبي داود(٥٠٤) وأبي يعلى حالف رسـول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار في دارنا.

---

(٥٠١) الآحاد والمثاني (٣: ٣٧٨-٣٧٩) ومسند أبي يعلى (٨: ٤٤٦) والبحر الزخار (٥: ١٣٧) وكشف الأستار (٣: ٣٠٨) والمعجم الكبير (١٠: ٢٣٠) ومجمع الزوائد (١٠: ١٥).

(٥٠٢) سورة الأنفال (٧٥) وسورة الأحزاب (٦).

(٥٠٣) صحيح البخاري: كتاب الاعتصام: باب ما ذكر النبي ﷺ وحض على طلب العلم، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب مؤاخاة النبي ﷺ بين أصحابه رضي الله تعالى عنهم، رقم (٢٠٤-٢٠٥).

(٥٠٤) مسند الحميدي (٢: ٥٠٧) ومسند أحمد (٣: ٢٨١) وسنن أبي داود: كتاب الفـرائض: باب في الحلف، رقم (٢٩٢٦) ومسند أبي يعلى (٦: ٩٧) (٧: ٩١).

فقيل له: أليس قال رسول الله ﷺ: (لا حلف في الإسلام)؟ فقال: حالف رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار في دارنا. مرتين أو ثلاثاً.

وقوله رضي الله عنه: (في داره التي بالمدينة) المراد بدار أنس: هي دار أبي طلحة زوج أم أنس رضي الله تعالى عنهم، الكائنة في المدينة المنورة، وقد حدَّث بهذا الحديث وهو بالبصرة، لأن الذي سأله عن ذلك هو عاصم الأحول البصري. وكان ذلك الحلف في أول الهجرة، كما أوضحته في فضائل المدينة المنورة، والله تعالى أعلم.

* قال الإمام الخطابيُّ رحمه الله تعالى(٥٠٥): فسّر العلماء (حالف): أي آخى بينهم.

يريد بذلك أن معنى الحلف كان في الجاهلية معنى الأخوة في الإسلام، فأُعطيت اسمه، إلاّ أن ذلك [الذي في الإسلام] جارٍ على أحكام الدِّين وعلى حدودِه. وكان حلفُ الجاهلية إنما هو على ما كانوا يتواضعونه فيما بينهم بآرائهم. وإنما أبطل من الحلف ما خالف أحكامَ الإسلام ورسومه، فهو ثابت من وجه، منفيٌّ من وجه.اهـ.

وهذه المؤاخاة كانوا يتوارثون بها، حتى نزل نسخ ذلك.

* فعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ﴾(٥٠٦) قال: ورثة. (وَالَّذِينَ عَاقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ)(٥٠٧) قال: كان المهاجرون

(٥٠٥) أعلام الحديث (٢: ١١٣٦) ونقله الحافظ في الفتح (٤: ٤٧٤) مع بعض التغيير.

(٥٠٦) سورة النساء (٣٣).

لما قدموا على النبي ﷺ المدينة، ورث المهاجرُ الأنصاري دون ذوي رحمه، للأخوة التي آخى النبي ﷺ بينهم، فلما نزلت ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ﴾ نُسخت،... الحديث. رواه البخاري(٥٠٨).

وقد ذكرت من عرفت من الصحابة رضي الله تعالى عنهم من آخى بينهم رسولُ الله ﷺ في فضائل المدينة المنورة، فانظره إن شئت.

هذا بعض ما وقفت عليه من فضائل المهاجرين رضي الله تعالى عنهم، كما أني لم أستوعب جميعَ النصوص التي جاءت في هذه الموضوعات، إنما اقتصرت على ذكر بعضها إيثاراً للاختصار. و لم أشرح من النصوص إلاّ النادر، حيث جعلتها هي الناطقة، لأن قصدي هو التنبيه على علو قدرهم، ورفعة مكانتهم، ورفعة شرفهم، وارتفاع درجتهم ومقامهم،... الذي هو علو مقام الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، مما يتوجب علينا تبجيلهم، واحترامهم، والثناء عليهم، والاستغفار لهم، والترضي عنهم، وطلب الرحمة لهم، وإمساك اللسان عما جرى بينهم، وحفظ قلوبنا من الغيظ والحقد والكيد والبغض،... لهم رضي الله تعالى عنهم، لأن الله سبحانه

---

(٥٠٧) هذه قراءة مستفيضة معروفة في قراءة الأمصار، وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عَمْرو وعامر، وقراءة عاصم وحمزة والكسائي (عقدت) بلا ألف، انظر: زاد المسير: (٢: ١١٨) والإقناع في القراءات السبع (٢: ٦٣٠) والتبصرة في القراءات السبع (٣٠٨) وإعراب القرآن للنحاس (١: ٤٥١) وتفسير الطبري (٨: ٢٧٢) حيث عزوا (عقدت) للكوفيين، وللباقين (عاقدت) أيضاً، والله تعالى أعلم.

(٥٠٨) صحيح البخاري: كتاب الكفالة: باب قول الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾.

وتعالى ما اختارهم رضي الله تعالى عنهم أصحاباً لنبيه ﷺ، وأصهاراً له، وأرحاماً،... إلاّ لأنهم بالمكانة العالية، التي لم تنلها أمة من الأمم من قبل، ولا تلحقها من بعد.

ثم إن من شرط المحبة: أن يُحب المحبُّ كلَّ ما يصدر عن محبوبه، لذا يلزم مدّعي محبة الله تعالى ومحبة رسوله الكريم ﷺ أن يحب ما اصطفاه الله تعالى، واختاره، وأحبه، ورضي عنه،... وأن يحب أصحابَ رسوله الكريم ﷺ، وأصهارَه ومرافقيه الذين رضي الله تعالى لهم بذلك، وأحبهم ورضي عنهم، فمن لم يفعل كان كاذباً في دعواه محبة الله تعالى ومحبة رسوله الكريم ﷺ.

لذا فليتق الله تعالى المسلمُ المؤمنُ من الوقوع في صحابة رسول الله ﷺ، ورضي الله تعالى عنهم وأرضاهم. وليحذر من الوقيعة فيهم، أو بغضهم وكراهيتهم، والنيل منهم، أو التحامل عليهم، حتى لا يخسر دينه وإيمانه، لأن المولى تعالى شهد لهم بالإيمان، ورضي عنهم وأرضاهم، وأحبهم واصطفاهم ليكونوا أصحاباً لنبيه وصفيه الكريم ﷺ، وجعلهم خير القرون وخير الأمم وخير الأصحاب، فمن شهد له الله تعالى فلن تُرفع تلك الشهادة، ولن تزول، مهما حاول الطاعنون المرتابون.

أسأله تعالى أن يرزقنا حسن الظن بهم، والموت على حبهم، وينظمنا في سلكهم، وأن يهبنا لواحد منهم، ويحشرنا معهم، تحت لواء الحبيب المحبوب الرحيم، المصطفى الكريم عليه وآله الصلاة والسلام. إنه جواد كريم، وبالإجابة جدير.

وصلّى الله تعالى وسلَّم وتكرّم على سيدنا وحبيبنا محمد وآله الطّيِّـــبين الطّاهرين، وصحابته الكرام المبجَّلين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

والحمد لله رب العالمين.



الفصل الثالث

ما جاء في السنة النبوية المطهَّرة من الثناء على الأنصار رضي الله تعالى عنهم، وإظهار فضلهم ومكانتهم

لقد وردت أحاديث كثيرة عن رسول الله ﷺ، فيها مدح الأنصار والثناء عليهم، وبيان فضلهم وعلو مكانتهم، وما قاموا به من خدمة هذا الدِّين، وقيامهم بواجبهم على أحسن حال يقوم به بشر، وما هو واجب المسلمين تجاههم رضي الله تعالى عنهم.

كما وردت أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ تبيّن مدى محبته ﷺ للأنصار، حتى عدَّ محبتهم من الإيمان، وبغضهم من النفاق والكفر، رزقنا الله سبحانه وتعالى حسن الظن بهم ومحبتهم، وحشرنا معهم تحت لواء سيد المرسلين عليه وآله الصلاة والسلام، على سرر متقابلين، آمين.

ولا أستطيع أن أذكر كل ما ورد في شأنهم رضي الله تعالى عنهم، لذا سأذكر بعض ما صح في شأنهم رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، كما فعلت في الفصلين السابقين، كما لن أطيل الشرح والتعليق أيضاً، بناء على الاختصار، والله تعالى هو المعين.

١ – الله تعالى سماهم الأنصار:

إن الذي سمى الأنصار بهذا الاسم: هو الله عز وجل، ولم يسمهم به

أحدٌ من الناس، وقد سبق في الباب الأول ذكر عدد من الآيات القرآنية في مناداتهم بالأنصار، لا بما كانوا يُعرفون به في الجاهلية: بني قيلة، أو الأوس والخزرج.

* فعن غيلان بن جرير رحمه الله تعالى قال: قلت لأنس رضي الله تعالى عنه، أرأيت اسم الأنصار، كنتم تُسَمَّون به، أم سماكم الله تبارك وتعالى؟

قال: بل سمانا الله عز وجل.

قال غيلان: كنا ندخل على أنس، فيحدثنا بمناقب الأنصار ومَشاهدهم، ويقبل عليَّ، أو على رجل من الأزد، فيقول: فَعل قومك يوم كذا وكذا: كذا وكذا. رواه البخاري(٥٠٩).

٢- آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغضهم:

لقد بلغ الأمر في ذروته في تكريم الأنصار وبيان فضلهم رضي الله تعالى عنهم، أن جعل رسول الله ﷺ علامة الإيمان حبَّهم، كما جعل علامة النفاق بغضهم.

* فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (آيةُ الإيمان حبُّ الأنصار، وآيةُ النفاق بغضُ الأنصار). متفق عليه(٥١٠).

---

(٥٠٩) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار: باب مناقب الأنصار.

(٥١٠) صحيح البخاري: كتاب الإيمان: باب علامة الإيمان حب الأنصار، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي رضي الله تعالى عنهم من الإيمان، رقم (١٢٨).

* قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى[٥١١]: خُصّوا بهذه المنقبة العظمى لما فازوا به دون غيرهم من القبائل، من إيواء النبي ﷺ ومن معه، والقيام بأمرهم ومواساتهم بأنفسهم وأموالهم، وإيثارهم إياهم في كثير من الأمور على أنفسهم، فكان صنيعهم لذلك موجباً لمعاداتهم جميع الفرق الموجودين من عرب وعجم، والعداوةُ تجُرُّ البغضَ، ثم كان ما اختصوا به مما ذكر موجباً للحسد، والحسدُ يجُرُّ البغضَ، فلهذا جاء التحذير من بغضهم، والترغيب في حبهم، حتى جعل ذلك آيةَ الإيمان والنفاق، تنويهاً بعظيم فضلهم، وتنبيهاً على كريم فعلهم،...إلخ، والله تعالى أعلم.

٣- لا يبغضهم رضي الله تعالى عنهم مؤمن:

وإذا كان آيةُ الإيمان حبَّهم رضي الله تعالى عنهم، لذا لا يبغضهم أحد يؤمن بالله تعالى واليوم الآخر، بل يحبهم كلٌّ مؤمن.

* فعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يبغض الأنصارَ رجلٌ يؤمن بالله واليوم الآخر). رواه مسلم[٥١٢].

* وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (لا يبغض الأنصارَ رجلٌ يؤمن بالله واليوم الآخر). رواه مسلم[٥١٣].

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: (لا يبغض الأنصارَ أحدٌ يؤمن بالله واليوم الآخر). رواه ابن أبي شيبة وأحمد،

(٥١١) فتح الباري (١: ٦٣).

(٥١٢) صحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (١٣١).

(٥١٣) صحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (١٣٠).

والترمذي وصححه، والنسائي والطبراني وأبو يعلى بإسناد صحيح(٥١٤).

ويلاحظ في كل الروايات ذكر صفة الإيمان: دلالة على أن مَن وُجد فيه وصفُ الإيمان فإنه لا يبغضهم لأنهم مؤمنون حقَّ الإيمان، والإيمان يمنع صاحبه إن يبغض المؤمنين، لذا من أبغضهم فقد خرج من الإيمان، والعياذ بالله تعالى.

فكما لا يبغضهم مؤمن، كذلك لا يحبهم منافق، والنصوص في ذلك كثيرة، والحمد لله. أسأله تعالى أن يرسِّخ في قلوب المسلمين حبَّهم، ويُبعد عنها ما يشين ذلك الحب أو يخففه. حتى ينالوا محبة الله تعالى، ويسلموا من بغضه، إنه جواد كريم.

٤- من أحبهم أحبه الله عز وجل:

طالما أن الحب في الله عز وجل، وقد اجتمعوا عليه، لذا كان جزاء من يحب في الله تعالى ولله عز وجل: أن يحبه الله سبحانه وتعالى، وهذا غاية التكريم.

* فعن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول للأنصار: (لا يحبهم إلاّ مؤمن، ولا يبغضهم إلاّ منافق، من أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله). متفق عليه(٥١٥).

* وسيأتي ذكرُ حديث الحارث بن زياد الساعدي رضي الله تعالى عنه، عند رقم (٢٠) إن شاء الله تعالى.

---

(٥١٤) مصنف ابن أبي شيبة (١٢: ١٦٣) ومسند أحمد (١: ٣٠٩) وسنن الترمذي: كتاب المناقب: باب فضل الأنصار وقريش، رقم (٣٩٠٦)، والسنن الكبرى للنسائي (٥: ٨٨) رقم (٨٣٣٣) والمعجم الكبير (١٢: ١٧) ومسند أبي يعلى (٥: ٩١).

(٥١٥) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار: باب حب الأنصار من الإيمان. وصحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (١٢٩).

* قال ابن التين رحمه الله تعالى[٥١٦]: المراد حب جميعهم، وبغض جميعهم، لأن ذلك إنما يكون للدِّين،... والله تعالى أعلم.

٥- هم موالي رسول الله ﷺ وليس لهم مولى إلاّ الله ورسوله ﷺ:

لقد خصَّهم رسول الله ﷺ -مع بعض القبائل- بالولاية، وأنهم مواليه، دون الناس، وأن الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ مولاهم، المتكفّل بهم وبمصالحهم.

* فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (قريشٌ، والأنصار، ومُزينة، وجُهينة، وغفار، وأشجع: مواليَّ، ليس لهم مولى دون الله ورسوله). متفق عليه[٥١٧].

* وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (الأنصار ومزينة وجهينة وغفار وأشجع، ومن كان من بني عبد الله: مواليَّ دون الناس، والله ورسوله مولاهم). رواه مسلم[٥١٨].

وبنو عبد الله: هم بنو عبد العزى، من غطفان، سماهم النبي ﷺ بني عبدالله، فسمتهم العرب: بني محولة، لتحويل اسم أبيهم.

---

(٥١٦) فتح الباري (٧: ١١٣).

(٥١٧) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار: باب ذكر أسلم وغفار ومزينة وجهينة وأشجع.
وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل غفار وأسلم وجهينة وأشجع ومزينة،... رقم (١٨٩).

(٥١٨) صحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (١٨٨).

٦- هم رضي الله تعالى عنهم من أحب الناس إلى رسول الله ﷺ:

لقد بلغ من تكريم الله سبحانه وتعالى ومنّته على الأنصار رضي الله تعالى عنهم، أن جعلهم من أحب الناس إلى رسول الله ﷺ، ومن كان أحبَّ -أو من أحب- الناس إلى رسول الله ﷺ فقد فاز ونجا، وسعد سعادة الـدارين، وحُقَّ لهم ذلك، رضوان الله تعالى عليهم.

* فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: جـاءت امـرأة مـن الأنصار إلى رسول الله ﷺ ومعها صبيٌّ لها، فكلّمها رسول الله ﷺ فقـال: (والذي نفسي بيده، إنكم أحبُّ الناس، إليَّ -مرتين- وعند مسلم: ثـلاث مرات). متفق عليه(٥١٩).

* وعنه رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ رأى صبياناً ونساءً مقبلين من عُرس، فقام نبي الله ﷺ مُمْثَلاً(٥٢٠)، فقال: (اللهم، أنتم من أحب الناس إليَّ، اللهم أنتم من أحب الناس إليَّ) -يعني الأنصار- وعند البخاري: قالها ثلاث مرات. متفق عليه(٥٢١).

٧- لولا الهجرة لتمنى رسول الله ﷺ أن يكون من الأنصار:

ومن محبة النبي المصطفى الكريم ﷺ لهم، واعترافه بفضلهم ومكانتـهم، واستطابة لقلوبهم رضي الله تعالى عنهم، رضي ﷺ أن يكون واحداً منـهم،

(٥١٩) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار: باب قول النبي ﷺ للأنصار: (أنتم أحب الناس إلي). وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل الأنصار، رقم (١٧٥).

(٥٢٠) معنى قوله: (ممثلاً) أي قائماً منتصباً.

(٥٢١) صحيح البخاري: في الكتاب والباب السابقين. وصحيح مسلم: في الكتـاب والبـاب السابقين، رقم (١٧٤).

لولا ما منعه من سِمَةِ الهجرة، إذ الهجرة أعظم شأناً، وأخطر قدراً-كما مر- ولكلٍّ فضلُهم.

* فعن عبد الله بن زيد رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار، ولو سلك الناس وادياً أو شِعْباً لسلكت واديَ الأنصار وشِعْبها). متفق عليه، واللفظ للبخاري(٥٢٢).

* وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار، ولو سلك الناسُ وادياً، وسلكَت الأنصار وادياً -أو شِعْباً- لسلكت واديَ الأنصار- أو شعب الأنصار). رواه البخاري(٥٢٣).

٨- لو سلك الناس وادياً لسلك رسولُ الله ﷺ وادي الأنصار:

ومن تكريم الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ للأنصار رضي الله تعالى عنهم: أن رضي رسولُ الله ﷺ أن يسلك واديَهم أو شِعبهم، وانتسب إلى دارهم، لولا ما سبق من كونه ﷺ مهاجراً، حيث لا يجوز تبديل هذه النسبة، التي سبقت ترتيباً وخصوصية.

* فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ-يوم حنين، وتقسيم الغنائم، وإعطاء المؤلفة قلوبهم دون الأنصار-: (ألا ترضون

---

(٥٢٢) صحيح البخاري: كتاب التمني: باب ما يجوز من اللو. وصحيح مسلم: كتاب الزكاة: باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام،... رقم (١٣٩).

(٥٢٣) صحيح البخاري: في الكتاب والباب السابقين، وكتاب مناقب الأنصار: باب قول النبي ﷺ: (لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار).

أن يذهب الناسُ بالشاة والبعير، وتذهبون برسول الله ﷺ؟) قالوا: بلى. قال: (لو سلك الناس وادياً، وسلكت الأنصار شِعْباً، لسلكت واديَ الأنصار أو شِعْب الأنصار). متفق عليه(٥٢٤).

* وقد سبق ذكر حديثي عبد الله بن زيد، وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهما، في الفقرة السابقة.

* قال الإمام الخطابي رحمه الله تعالى(٥٢٥): إن العادة قد جرت بأن يكون المرء مع قومه وقبيلته في رحلته ونزوله، وأرض الحجاز كثيرة الأودية والشِّعاب، فإذا تفرقت بالسُّفْر الطُّرقُ، سلك كلٌّ فريق منهم وادياً أو شِعباً، فكان كلٌّ واحد مع قومه، إلى أن يُفضي بهم إلى الجادّة، فيجتمعوا فيها. [فأراد أنه ﷺ مع الأنصار].

وفيه وجهٌ آخر: وهو أن يكون أراد بالوادي الرأيَ والمذهب، كما يقال: فلان في وادٍ وأنا في واد، وعلى هذا يُتأول قولُ الله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾(٥٢٦).اهـ.

قلت: لكن الأول أولى، والله تعالى أعلم.

٩- هم موضع سره ﷺ وأمانته:

لقد بلغ التكريم بالأنصار رضي الله تعالى عنهم، أن جعلهم رسولُ الله

---

(٥٢٤) صحيح البخاري: كتاب المغازي: باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان. وصحيح مسلم: كتاب الزكاة: باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام، رقم (١٣٣- ١٣٥).

(٥٢٥) أعلام الحديث (٣: ١٧٦٣) ونقله الحافظ في فتح الباري (٨: ٥٢).

(٥٢٦) سورة الشعراء (٢٢٥).

ﷺ موضع ثقته، وجماعته الذين عليهم يعتمد، كما جعلهم موضع سرِّه وأمانته ﷺ.

* فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (الأنصارُ كَرِشي وعَيْبَتي، وإن الناس سيكثرون، ويقلّون، فاقبلوا من محسنهم، واعفوا عن مسيئهم). متفق عليه، واللفظ لمسلم(٥٢٧).

قوله ﷺ: (كَرِشي وعَيْبَتي) هذا من كلامه ﷺ الذي لم يسبق إليه، والمراد: بطانته وخاصته، وموضع سرِّه وأمانته، لأن الكرش: مستقر غذاء الحيوان الذي يكون فيه نماؤه، والعَيبَة ما يحفظ فيه الرجل نفيس ما عنده، وكلاهما مستودع لما يخفى فيه، والله تعالى أعلم(٥٢٨).

١٠- جعل الأنصار رضي الله تعالى عنهم بطانته وخاصته ﷺ:

ومن فضل الله تعالى على الأنصار رضي الله تعالى عنهم: أن جعلهم رسول الله ﷺ بطانته وخاصته وأصفياءه، وألصقَ الناس به من سائر الناس، حيث جعلهم ﷺ كالشِّعار، بينما الناس هم الدِّثار.

* فعن عبد الله بن زيد رضي الله تعالى عنه قال: لما أفاء الله على رسوله ﷺ يوم حنين، قَسَم في الناس، في المؤلفة قلوبهم، ولم يعط الأنصارَ شيئاً، فكأنهم وجدوا، إذ لم يصبهم ما أصاب الناس، فخطبهم فقال: (يا معشر

---

(٥٢٧) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار: باب قول النبي ﷺ: (اقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم). وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل الأنصار،... رقم (١٧٦).

(٥٢٨) انظر فتح الباري (٧: ١٢١- ١٢٢) وجامع الأصول (٩: ١٦٦).

الأنصار؛ ألم أجدكم ضُلّالاً فهداكم الله بي، وكنتم متفرِّقين فألَّفكم الله بي، وعالةً فأغناكم الله بي؟) كلما قال شيئاً قالوا: الله ورسوله أمنّ.

قال: (ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله ﷺ؟) قال: كلما قال شيئاً، قالوا: الله ورسوله أمنّ.

قال: (لو شئتم قلتم: جئتنا كذا وكذا، ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وتذهبون بالنبي ﷺ إلى رحالكم؟ لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار، ولو سلك الناس وادياً وشِعْباً، لسلكتُ واديَ الأنصار وشِعْبها، الأنصار: شعار، والناس دثار، إنكم ستلقون بعدي أَثَرَةً، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض). متفق عليه، واللفظ للبخاري(٥٢٩).

فقوله: (شعار) الثوب الذي يلي الجلد من الجسد.

وقوله: (دثار) الثوب الذي يكون فوقه.

وهذا الحديث في أوله عتاب للأنصار رضي الله تعالى عنهم، وفي آخره بيان فضلهم ومكانتهم، حيث جعلهم ﷺ بطانتَه وخاصتَه، وأنهم ألصقُ به، وأقرب إليه من غيرهم، إضافة إلى النسبة إليهم، رضي الله تعالى عنهم لولا الهجرة.

وفي هذا الحديث عَلَمٌ من أعلام النبوة، حيث استأثر عليهم بما لهم، وانفرد بما يشاركهم فيه غيرُهم.

---

(٥٢٩) صحيح البخاري: كتاب المغازي: باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان. وصحيح مسلم: كتاب الزكاة: باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام، وتصبّر من قوي منهم، رقم (١٣٩).

١١- المحيا محياهم، والممات مماتهم رضي الله تعالى عنهم:

ومن فضل الله سبحانه وتعالى على الأنصار رضي الله تعالى عنهم، ومن تكريم رسول الله ﷺ لهم، أن جعل الله سبحانه وتعالى حياةَ رسوله ﷺ وموتَه عندهم، ولا تكون عند غيرهم، وبذلك أخبرهم رسول الله ﷺ يوم فتح مكة، ويوم حنين، كيف وقد هاجر ﷺ إلى الله تعالى وإليهم.

* فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه-في قصة فتح مكة، وفيه-قال: قالت الأنصار -بعضهم لبعض-: أما الرجل فأدركته رغبة في قريته، ورأفة بعشيرته.

قال أبو هريرة: فجاء الوحيُ، وكان إذا جاء الوحيُ لا يخفى علينا، فإذا جاء فليس أحدٌ يرفع طَرفَه إلى رسول الله ﷺ، حتى ينقضي الوحي. فلما انقضى الوحيُ، قال رسول الله ﷺ: (يا معشر الأنصار) قالوا: لبيك يا رسول الله.

قال: (قلتم: أما الرجل فأدركته رغبة في قريته؟) قالوا: قد كان ذاك. قال: (كلّا إني عبدُ الله ورسولُه، هاجرتُ إلى الله وإليكم، والمحيا محياكم، والممات مماتكم).

فأقبلوا إليه يبكون، ويقولون: والله ما قلنا الذي قلنا؛ إلا الضِّنَّ بالله ورسوله.

فقال رسول الله ﷺ: (إن الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم). رواه مسلم(٥٣٠).

---

(٥٣٠) صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير: باب فتح مكة، رقم (٨٤، ٨٦).

١٢- وصاية النبي ﷺ بهم رضي الله تعالى عنهم:

ومن شفقة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالأنصار رضي الله تعالى عنهم، وعطفه عليهم: أن أوصى من سيلي من أمور المسلمين شيئاً بهم خيراً، وذلك لأنهم رضي الله تعالى عنهم أدَّوا الذي عليهم، وعلى المسلمين أن يؤدّوا إليهم الذي لهم، مقابل ما قدَّموا، ومن ذلك أن يتقبل عمل المحسن منهم، وأن يتجاوز عن المسيء منهم في غير حَدٍّ.

* فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: مر أبو بكر والعباس رضي الله تعالى عنهما بمجلس من مجالس الأنصار -وهم يبكون- فقال: ما يبكيكم؟ قالوا: ذكرنا مجلس النبي ﷺ منا، فدخل على النبي ﷺ فأخبره بذلك، قال: فخرج النبي ﷺ، وقد عصب على رأسه حاشيةَ بُرْد، قال: فصعد المنبر -ولم يصعده بعد ذلك اليوم- فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: (أوصيكم بالأنصار، فإنهم كَرِشي وعَيْبَتي، وقد قضوا الذي عليهم، وبقي الذي لهم، فاقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم). متفق عليه، واللفظ للبخاري(٥٣١).

* وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: خرج رسول الله ﷺ، وعليه مِلْحفة، متعطفاً بها على منكبيه، وعليه عصابة دسماء، حتى جلس على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: (أما بعد؛ أيها الناس، إن الناس يكثرون وتقل

(٥٣١) صحيح البخاري: مناقب الأنصار: باب قول النبي ﷺ: (اقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم). وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل الأنصار، رقم (١٧٦).

الأنصار، حتى يكونوا كالملح في الطعام، فمن وليَ منكم أمراً يضُرُّ به أحداً أو ينفعه، فليقبل من محسنهم، ويتجاوز عن مسيئهم). رواه البخاري(٥٣٢).

وكان هذا آخر يوم خرج فيه رسول الله ﷺ، لأنه كان في مرضه الذي توفي فيه ﷺ.

- وقد طبق بعض الولاة ما في هذا الحديث عندما أُخبروا به. كما في قصة مصعب بن الزبير وغيره رحمهم الله تعالى.

- وفي هذا الحديث عَلَمٌ من أعلام النبوة، تحقّق بعد وفاته ﷺ، وهو إخباره ﷺ عن قلة الأنصار رضي الله تعالى عنهم، وهو كذلك إذا ما قيسوا بغيرهم رضوان الله تعالى عنهم.

- كما أن في هذا الحديث إشارةً إلى أن الخلافة لا تكون فيهم، وكان ذلك أيضاً.

- كما أنهم رضي الله تعالى عنهم قد قضوا الذي عليهم؛ من الإيواء والنصرة، وبقي الذي لهم.

وإذا كان النبي ﷺ قد أخبر-وهو في أواخر أيامه-بأبي هو وأمي-أن الأنصار رضي الله تعالى عنهم: كَرِشُه وعَيبتُه، وأنهم قد قضوا الذي عليهم، وبقي الذي لهم، وقد أوصى بهم، وطلب قبول فعل محسنهم، والتجاوز عن مسيئهم ما لم يكن في حدٍّ وهم شطر الصحابة رضي الله تعالى عنهم، فذاك كله دلالة على عظم مكانتهم، وفضلهم، وعلو قدرهم،... رضي الله تعالى عنهم.

(٥٣٢) صحيح البخاري: في الكتاب والباب السابقين.

١٣ - الدعاء لهم ولأتباعهم رضي الله تعالى عنهم:

ومن محبة النبي المصطفى الكريم ﷺ للأنصار الكرام رضي الله تعالى عنهم: أن كان الحبيب ﷺ يدعو لهم، ولأبنائهم، ولأحفادهم، ولنسائهم، ولأتباعهم،... ومعلوم أن دعاء النبي ﷺ لا يرد، فهو مستجاب بإذن الله تعالى، وإذا دعا ﷺ لهم بالمغفرة، والإكرام،... فمعناه أنهم رضي الله تعالى عنهم مغفورٌ لهم، مكرَمون، صالحون،...وكل ذلك فضلٌ من الله سبحانه وتعالى، أكرم به الأنصار رضي الله تعالى عنهم، كما أكرم به المهاجرين أيضاً رضي الله تعالى عنهم جميعاً.

* فعن زيد بن أرقم رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (اللهم اغفر للأنصار، ولأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار). متفق عليه، اللفظ لمسلم(٥٣٣).

* زاد الترمذي(٥٣٤) -في هذا الحديث- (ولذراري الأنصار، ولذراري ذراريهم).

* وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ استغفر للأنصار، ولذراري الأنصار، ولموالي الأنصار، رواه مسلم(٥٣٥).

---

(٥٣٣) صحيح البخاري: كتاب التفسير: سورة المنافقون: باب قوله: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ﴾. وصحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (١٧٢).

(٥٣٤) سنن الترمذي: كتاب المناقب: باب مناقب الأنصار وقريش، رقم (٣٩٠٢).

(٥٣٥) صحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (١٧٣).

* وعن زيد بن أرقم رضي الله تعالى عنه قال: قالت الأنصار: يا رسول الله؛ لكل نبي أتباع، وإنا قد اتّبعناك، فادع الله أن يجعل أتباعنا منا، فدعا به.

* وفي رواية، فقال النبي ﷺ: (اللهم اجعل أتباعهم منهم). رواه البخاري[٥٣٦].

والمراد -والله تعالى أعلم- أن يقال لأتباعهم[٥٣٧]: الأنصار أيضاً، حتى تتناولهم الوصية بهم بالإحسان إليهم، ونحو ذلك.

وقد كان ﷺ يدعو للمهاجرين والأنصار رضي الله تعالى عنهم جميعاً يوم حفر الخندق، بالإصلاح والتكريم والمغفرة.

فيقول ﷺ: (لا عيش إلاّ عيش الآخرة، فأصلح الأنصار والمهاجرة).

ويقول ﷺ: (اللهم لا عيش إلاّ عيش الآخرة، فأكرم الأنصار والمهاجرة).

ويقول ﷺ: (اللهم لا عيش إلاّ عيش الآخرة، فاغفر للمهاجرين والأنصار).

* كما في حديثي أنس بن مالك وسهل بن سعد رضي الله تعالى عنهم المتفق عليهما[٥٣٨]. وقد سبق ذكرها في نهاية الفصل السابق، عند رقم (٣١).

---

(٥٣٦) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار: باب أتباع الأنصار.

(٥٣٧) انظر: فتح الباري (٧: ١١٥).

(٥٣٨) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار: باب دعاء النبي ﷺ: أصلح الأنصار والمهاجرة.
وصحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير: باب غزوة الأحزاب، وهي الخندق، رقم (١٢٦-١٣٠) وانظر رقم (٣١) من الفصل السابق، ففيه زيادة روايات.

١٤- إيثارهم للمهاجرين ومساواتهم لهم بأنفسهم رضي الله تعالى عنهم جميعاً:

وقد بلغ بالأنصار رضي الله تعالى عنهم من نكران الذات، وإيثار غيرهم على أنفسهم، ولو كانوا في غاية الحاجة: إيثارهم للمهاجرين على أنفسهم، إيثاراً لم يصل إليه غيرهم، إلاّ نادراً، وقد تكرر منهم هذا الموقف جماعات وأفراداً.

* فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قالت الأنصار للنبي ﷺ: اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل قال: (لا) فقالوا: تكفونا المؤونة، ونشرككم في الثمرة، قالوا: سمعنا وأطعنا. رواه البخاري(٥٣٩).

* وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: دعا النبي ﷺ الأنصار ليقطع لهم بالبحرين، فقالوا: يا رسول الله؛ إن فعلت، فاكتب لإخواننا من قريش بمثلها، فلم يكن ذلك عند النبي ﷺ، فقال: (إنكم سترون بعدي أثَرَةً، فاصبروا حتى تلقوني). رواه البخاري(٥٤٠).

* وقد طلب سعد بن الربيع رضي الله تعالى عنه من عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه أن ينزل عن إحدى زوجتيه له، وأن يقسم ماله مناصفةً بينهما، لكن عبد الرحمن رضي الله تعالى عنه قال له: بارك الله لك

---

(٥٣٩) صحيح البخاري: كتاب الحرث والمزارعة: باب إذا قال: اكفني مؤونة النخيل وغيره،... وانظر حديث أنس رضي الله تعالى عنه: صحيح البخاري: كتاب الهبة: باب فضيلة المنيحة. وصحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير: باب رد المهاجرين إلى الأنصار منائحهم،... رقم (٧٠).

(٥٤٠) صحيح البخاري: كتاب المساقاة: باب كتابة القطائع، وفي غيرهما.

في أهلك ومالك، كما ورد في حديث أنس رضي الله تعالى عنه، عند البخاري[٥٤١] وغيره.

١٥- الانتصاف لهم، والثواب الجزيل لهم رضي الله تعالى عنهم:

لقد أخبر رسول الله ﷺ أن الأنصار رضي الله تعالى عنهم سيلقون بعده ﷺ أثرةً شديدة -وهو انفراد غيرهم بالأمر، واختصاصهم بالمال دونهم- فعليهم بالصبر، حتى يلقوه ﷺ على الحوض، فيحصل لهم الانتصاف ممن ظلمهم، كما سيحصل لهم الجزاء والثواب الجزيل مقابل صبرهم.

* وقد جاء هذا المعنى عن عدد من الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم.

* ففي حديث أُسيد بن حُضَير رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (ستلقون بعدي أَثَرَةً، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض).

* وقد عنون عليه البخاري رحمه الله تعالى وعلى حديث أنس رضي الله تعالى عنه في كتاب مناقب الأنصار: باب قول النبي ﷺ للأنصار: (اصبروا حتى تلقوني على الحوض).

* وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ للأنصار: (إنكم ستلقون بعدي أثرةً، فاصبروا حتى تلقوني، وموعدكم الحوض). رواه البخاري[٥٤٢].

---

(٥٤١) صحيح البخاري: كتاب البيوع: باب ما جاء في قول الله عز وجل: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ...﴾، وفي غيرهما.

(٥٤٢) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار: الباب السابق، وكتاب المساقاة، وقد مر ذكره =

* وعن عبد الله بن زيد رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ -يوم حنين-: (يا معشر الأنصار،... إنكم ستلقون بعدي أَثَرةً، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض). متفق عليه، وقد مر ذكره كاملاً تحت، رقم (١٠).

* ففي هذه الأحاديث عَلَم من أعلام النبوة، حيث أخبر ﷺ بهذه الأحاديث عن أمر من الأمور المقبلة، فوقع كما وصف ﷺ.

١٦- ثبوت الخيرية للأنصار رضي الله تعالى عنهم:

لقد أخبر رسول الله ﷺ أن كل دور الأنصار فيها خير، وإن كان قد فاضل ﷺ بين دور الأنصار، وإذا كان قد أثبت لهم الخيرية، فلا ينزعها عنهم أحد من البشر، لأن ذلك-لو صدر-فإنما هو عن هوى، والمعصوم ﷺ لا ينطق عن الهوى، وقد ثبت هذا المعنى عن عدد من الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم.

* فعن أبي أُسَيد رضي الله تعالى عنه قال: قال النبي ﷺ: (خير دور الأنصار بنو النجار،... وفي كل دور الأنصار خير). متفق عليه[٥٤٣].

* وعن أبي حُميد الساعدي رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: (إن خير دور الأنصار دارُ بني النجار،... وفي كل دور الأنصار خير). متفق عليه[٥٤٤].

= قبل قليل، وفي غيرها.

(٥٤٣) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار: باب فضل دور الأنصار. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب في خير دور الأنصار رضي الله تعالى عنهم، رقم (١٧٧-١٧٩).

(٥٤٤) صحيح البخاري: في الكتاب والباب السابقين. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: =

* وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ -وهو في مجلس عظيم من المسلمين-: (أحدثكم بخير دور الأنصار؟) قالوا: نعم يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ: (بنو عبد الأشهل،... ثم في كل دور الأنصار خير). رواه مسلم(٥٤٥).

فإذا قيس هذا الفضل من الخيرية بما قيل في عدد من القبائل العربية، يظهر الفرق واضحاً، والفضل جلياً، رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، وحشرنا معهم، وعلى محبتهم.

١٧- أمانتهم وعفتهم وحُنُوُّهم رضي الله تعالى عنهم:

ومما يتصف به الأنصار رضي الله تعالى عنهم -إضافة إلى جميل صفاهم، وكثرة فضائلهم، وحسن أعمالهم، وكرم أخلاقهم،...: الأمانة والعفة، والغيرة على الحرمات، ورعاية الذمام، والحفاظ على الحرمات، والعناية بالغريب -ولو كان أنثى- وهذا أمر في غاية الأهمية، طالما أنهم يستقبلون أفواج المهاجرين إليهم من رجال ونساء، ليل نهار.

* فعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (ما يضر امرأة نزلت بين بيتين من الأنصار، أو نزلت بين أبويها). رواه أحمد والبزار برجال الصحيح، وصححه ابن حبان والحاكم(٥٤٦).

= باب في معجزات النبي ﷺ، رقم (١١، ١٢).

(٥٤٥) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب في خير دور الأنصار رضي الله تعالى عنهم، رقم (١٨٠).

(٥٤٦) مسند أحمد (٦: ٢٥٧) وفضائل الصحابة له، رقم (١٤٤٨) وصحيح ابن حبان (٩: =

وهذه شهادة يعتز بها كل أنصاري، حيث أنزلهم ﷺ مَنْزلة الآباء على أولادهم، في التحنن والأمانة، والعفة، وحفظ الجوار، والغيرة والشهامة رضي الله تعالى عنهم.

١٨- من أخافهم رضي الله تعالى عنهم أخاف رسول الله ﷺ:

لقد حذر النبي الكريم ﷺ من تخويف الأنصار رضي الله تعالى عنهم، ومن ترويعهم، وأن من فعل ذلك فكأنه أخاف رسول الله ﷺ وروَّعه، واعتدى عليه، ومن يفعل ذلك فإنه يستحق العقوبة من الله عز وجل.

* فعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (من أخاف هذا الحيَّ من الأنصار، فقد أخاف ما بين هذين، يعني: جنبيه ﷺ). رواه الطيالسي وأحمد والبخاري-في تاريخه-والطبراني والبزار برجال الصحيح.

* ورواه ابن حبان بلفظ: (من أخاف أهل المدينة أخاف الله).

* ورواه ابن أبي شيبة وأحمد(٥٤٧) بلفظ (من أخاف أهل المدينة فقد أخاف ما بين جنبيّ) وهو برجال الصحيح.

= ١٩٣) وموارد الظمآن، رقم (٧٥١) والمستدرك (٤: ٨٣) وكشف الأستار (٣: ٣٠٤) وحلية الأولياء (٩: ٢٢٤) ومجمع الزوائد (١٠: ٤٠).

(٥٤٧) مسند الطيالسي (٢٤٢ رقم ١٧٦٠) ومنحة المعبود (٢: ١٣٨) ومصنف ابن أبي شيبة (١٢: ١٨٠-١٨١) ومسند أحمد (٣: ٣٥٤، ٣٩٣) وفضائل الصحابة، رقم (١٤٢١) والتاريخ الكبير (١: ٥٣) (٤: ٣٥) (٧: ٤٠٤) (٨: ٢٨٧) وصحيح ابن حبان (٦: ٢٠) وكشف الأستار (٣: ٣٠٤) ومجمع الزوائد (١٠: ٣٧-٣٨).

١٩- من أخاف أهل المدينة أو آذاهم فهو ملعون، وله عذاب شديد، ولا يقبل له عمل:

وقد بلغ الأمر ذروته أن هدّد النبي الكريم ﷺ من يخيف أهل المدينة، بأنه يذوب في النار كما يذوب الملح في الماء، وكما يذوب الرصاص في النار، لأنه ملعون، يلعنه الله سبحانه وتعالى وملائكته والناس أجمعون، ولا يقبل الله سبحانه وتعالى له عملا صالحاً، سواء كان فرضاً أو نفلاً، وأن الله سبحانه وتعالى سيخيفه كما أخاف أهل المدينة.

هذا التهديد والوعيد من النبي الكريم ﷺ يتضمن وجوب الإحسان إلى أهل المدينة، والصفح عنهم، كما يتضمن وجوب محبتهم وحسن الظن بهم، إضافة إلى وجوب عدم الحقد عليهم أو بغضهم وكراهيتهم، وذلك لأن الهمَّ في الأصل لا يكتب على الإنسان فيما إذا همَّ بمعصية، ولم يتحقق ويقع، ولكنه بالنسبة للمدينة المنورة وأهلها فإنه سيكتب على الإنسان، كما هو الحال في مكة المكرمة وأهلها، لقوله سبحانه وتعالى عن مكة: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٥٤٨].

وقد جاءت النصوص كثيرة عن النبي ﷺ متوعدةً ومهددةً من يريد بأهل المدينة بسوء أو كيد، حتى لو كان بعيداً عنها وعن أهلها.

وقوله ﷺ: (أهل المدينة) إن أراد به من كان في عصره ﷺ فالأنصار يشكّلون أغلب أهل المدينة آنذاك، وإن أراد به هم ومن بعدهم، فالأنصار

(٥٤٨) سورة الحج (٢٥) وانظر مكانة الحرمين الشريفين (٩٢-٩٥) فقد ذكرت الأحاديث الدّالة على كتابة الهمّ فيهما إذا بلغ مبلغ التصميم، لا مجرد الخاطر.

رضي الله تعالى عنهم يكونون داخلين في ذلك دخولاً أوَّليّاً، والله تعالى أعلم.

* فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا يكيد أهلَ المدينة أحدٌ، إلاّ انماع كما ينماع الملح في المـــاء). متفق عليه، واللفظ للبخاري(٥٤٩).

* ولفظ مسلم: (من أراد أهلَ المدينة بسوء، أذابه الله كما يذوب الملح في الماء).

* وفي رواية له أيضاً(٥٥٠): (إلاّ أذابه الله في النار ذوبَ الرصـــاص، أو ذوب الملح في الماء). رواه مسلم(٥٥١).

* ورواه أيضاً من حديث أبي هريرة وسعد رضي الله تعالى عنهما معاً.

* وعن السائب بن خلاد الأنصاري رضي الله تعالى عنه قـــال: قـــال رسول الله ﷺ: (من أخاف أهل المدينة أخافه الله عز وجل، وعليه لعنـــةُ الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً). رواه أحمد والنسائي -في الكبرى- برجال الصحيح، والطبراني في الكبير.

* ورواه عبد الرزاق والجَنَدي من حديث بعض أصحاب النبي ﷺ.

* ورواه الطبراني في الكبير والأوسط والضياء في المختارة -والبخـــاري

---

(٥٤٩) صحيح البخاري: كتاب فضائل المدينة: باب من كاد أهل المدينة. وصحيح مسلم: كتاب الحج: باب من أراد أهل المدينة بسوء،... رقم (٤٩٤).

(٥٥٠) صحيح مسلم: كتاب الحج: باب فضل المدينة،... رقم (٤٦٠).

(٥٥١) صحيح مسلم: كتاب الحج: باب من أراد أهل المدينة بسوء،... رقم (٤٩٢-٤٩٥).

في تاريخه مختصراً- برجال الصحيح[٥٥٢] عن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه.

* ورواه ابن أبي شيبة -بسند حسن- وسعيد بن منصور والبخاري في تاريخه، والشاشي وابن عساكر من حديث جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما[٥٥٣].

وللحديث طرق أخرى ذكرت ذلك كله في (فضائل المدينة المنورة)[٥٥٤] كما ذكرت بعضها في (مكانة الحرمين الشريفين) أيضاً، فانظرهما، لبيان معاني الأحاديث فيها.

وكل هذا دالٌّ على وجوب احترام ومحبة وإيثار أهل المدينة، كما يدل على تحريم بغضهم، والحقدِ عليهم، والنيل منهم، وإيذائهم، والإساءة إليهم، وإخافتهم، فهل يعي من يدعي الإسلام ذلك؟ أرجو ذلك.

٢٠- كثرة شهداء الأنصار رضي الله تعالى عنهم في الإسلام:

لقد صدق الأنصار رضي الله تعالى عنهم ربَّهم سبحانه وتعالى ونبيَّهم ﷺ، فعضتهم الحرب، واستحر فيهم القتل، تقدموا لا يالون بنفس ولا روح

(٥٥٢) مصنف عبد الرزاق (٩: ٢٦٤-٢٦٥) ومسند أحمد (٤: ٥٥-٥٦) والتاريخ الكبير (٣: ١٨٦) وفضائل المدينة للجندي (٣٠) والسنن الكبرى للنسائي(٢: ٤٨٣) والمعجم الكبير (٧: ١٦٩-١٧١من طرق) ومجمع البحرين (٣: ٢٧٧) ومجمع الزوائد (٣: ٣٠٦) وكنز العمال (١٢: ٢٤٧، ٢٤٦).

(٥٥٣) مصنف ابن أبي شيبة (١٢: ١٨٠- ١٨١) والتاريخ الكبير (١: ١١٧) وكنز العمال (١٢: ٢٤٦).

(٥٥٤) انظر فضائل المدينة المنورة (٢: ٣٣٢-٣٤٣) حيث توسعت في بيان هذه الأحاديث، والعقوبة لمن يقع في أهل المدينة.

ولا جسد، غير هيّابين ولا وجلين، دفاعاً عن نبيهم ﷺ، وعن دينهم الـــذي ارتضاه الله تعالى لهم، فمات سرواهم، وقتل خيار من خيارهم، وأثخنتـــهم الجراحات، وقطعت منهم الأوصال والأطراف، فقُتل منهم يوم أُحـــد مـــا يقرب من سبعين، ويوم بئر معونة مثلها، ويوم اليمامة كذلك، ويوم جـــسر أبي عبيدة، في العراق زمن عمر رضي الله تعالى عنه كذلك، وهكذا.

* فعن قتادة رحمه الله تعالى قال: ما نعلم حياً من أحياء العرب أكثـــر شهيداً، أعز يوم القيامة من الأنصار.

قال قتادة: وحدثنا أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، أنه قُتل منهم يوم أُحُد سبعون، ويوم بئر معونة سبعون، ويوم اليمامة سبعون.

قال: وكان بئر معونة على عهد رسول الله ﷺ، ويوم اليمامة على عهد أبي بكر يوم مسيلمة الكذاب. رواه البخاري[٥٥٥]، والله تعالى أعلم.

وأقتصر على ذكر حديثين شريفين، أحدهما لفرد، والآخر لجماعة[٥٥٦].

* عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: لما كان يوم أُحُـــدٍ،... وأبو طلحة بين يدَي النبيِّ ﷺ، مُجَوِّبٌ عليه بحجَفَة. قال: وكان أبو طلحـــة رجلاً رامياً، شديدَ النَّزْع، وكسر يومئذ قوسين أو ثلاثاً. قال: فكان الرجلُ يمرُّ معه الجعبةُ من النبل، فيقول: (انثرها لأبي طلحة).

---

(٥٥٥) صحيح البخاري: كتاب المغازي: باب من قتل من المسلمين يوم أحد، وانظر فتح الباري (٧: ٣٧٥-٣٧٦) لبيان هذه الأعداد.

(٥٥٦) من أراد زيادة الاطلاع على موقف الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم ودفاعهم عـــن رسول الله ﷺ، فلينظر (واجب الأمة نحو نبي الرحمة ﷺ).

قال: ويشرِف نبيُّ الله ﷺ ينظر إلى القوم. فيقول أبو طلحة: يا نبيَّ الله؛ بأبي أنت وأمي، لا تُشرف، لا يُصبْك سهمٌ من سهام القوم. نحري دون نحرك،... الحديث بطوله، متفق عليه(٥٥٧).

* وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ أُفرد يوم أُحُد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش، فلما رهقوه قال: (من يردهم عنا وله الجنة -أو هو رفيقي في الجنة؟) فتقدم رجل من الأنصار، فقاتل حتى قُتل، ثم رهقوه أيضاً، فقال: (من يردهم عنا وله الجنة-أو هو رفيقي في الجنة؟) فتقدم رجل من الأنصار، فقاتل حتى قتل، فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة،... الحديث بطوله. رواه مسلم(٥٥٨).

٢١- الهجرة إليهم رضي الله تعالى عنهم:

لما حصلت المضايقات والتعذيب والقتل من كفار قريش للمسلمين في مكة، أذن لهم رسولُ الله ﷺ بالهجرة إلى الحبشة، ثم بالهجرة إلى المدينة، ثم توَّجَهم ﷺ هو نفسه بالهجرة إليها، لذا صار لقب المهاجرين لمن هاجر من مكة إلى المدينة، كما صار لقب الأنصار على أهل المدينة الذين استقبلوا المسلمين ونصروهم.

وقد أعلن رسول الله ﷺ للأنصار رضي الله تعالى عنهم أنه هو ﷺ هاجر إليهم، ولما طلب بعض الصحابة من الأنصار من رسول الله ﷺ أن يبايعه على

---

(٥٥٧) صحيح البخاري: كتاب المغازي: باب ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير: باب غزوة النساء مع الرجال، رقم (١٣٦).

(٥٥٨) صحيح مسلم: كتاب الجهاد: باب غزوة أحد، رقم (١٠٠).

الهجرة، أخبره ﷺ أن الناس يهاجرون إليهم، لا أنهم يهاجرون إلى غيرهم.

* فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: ألا أعلمكم بحديث من حديثكم يا معشر الأنصار؟-ثم ذكر فتح مكة، الحديث بطوله-وفيه: قالت الأنصار، بعضهم لبعض: أما الرجل فأدركته رغبةٌ في قريته، ورأفةٌ بعشيرته.

قال أبو هريرة: وجاء الوحيُ، وكان إذا جاء الوحيُ لا يخفى علينا، فإذا جاء فليس أحدٌ يرفع طرفَه إلى رسول الله ﷺ حتى ينقضي الوحيُ. فلما انقضى الوحي، قال رسول الله ﷺ: (يا معشر الأنصار) قالوا: لبيك يا رسول الله، قال: (قلتم: أما الرجل فأدركته رغبة في قريته؟) قالوا: قد كان ذاك. قال: (كلّا، إني عبد الله ورسولُه، هاجرتُ إلى الله وإليكم، والمحيا محياكم، والممات مماتكم) فأقبلوا إليه يبكون ويقولون: والله ما قلنا الذي قلنا إلاّ الضِّنَّ بالله وبرسوله. فقال رسول الله ﷺ: (إن الله ورسولَه يصدقانكم ويعذرانكم). رواه مسلم[(٥٥٩)].

لما رأى الأنصار رضي الله تعالى عنهم رأفته ﷺ بأهل مكة، ورفع القتل عنهم، ظنوا أنه سيرجع إلى مكة، ويستوطنها، فشق ذلك عليهم رضي الله تعالى عنهم.

فجاء الوحيُ إلى رسول الله ﷺ بما قالوا، فبيَّن ﷺ لهم أنه هاجر إلى ديارهم لاستيطانها، فلن يتركها، ولن يرجع عن هجرته، بل هو ملازم لهم لا يحيى إلاّ عندهم، ولا يموت إلاّ عندهم، لذا بكوا واعتذروا بأنهم ما قالوا ذلك إلاّ حرصاً منهم عليه ﷺ وعلى صحبته، وبقائه عندهم، فعذرهم ﷺ.

(٥٥٩) صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير: باب فتح مكة، رقم (٨٤-٨٦).

* وعن الحارث بن زياد الساعدي الأنصاري رضي الله تعالى عنه، أنه أتى رسولَ الله ﷺ يوم الخندق، وهو يبايع الناسَ على الهجرة، فقال: يا رسول الله؛ بايع هذا. قال: (ومن هذا؟) قال: ابن عمي حوط بن يزيد -أو يزيد بن حوط- قال: فقال رسول الله ﷺ: (لا أبايعك [يا معشر الأنصار] إن الناسَ يهاجرون إليكم، ولا تهاجرون إليهم، والذي نفس محمد ﷺ بيده، لا يحب رجلٌ الأنصارَ حتى يلقى الله تبارك وتعالى، إلاّ لقي الله تبارك وتعالى وهو يحبه، ولا يبغض رجلٌ الأنصارَ حتى يلقى الله تبارك وتعالى، إلاّ لقي الله تبارك وتعالى وهو يبغضه). رواه أحمد والطبراني والمروزي، ونسبه الحافظ في الإصابة، لأحمد وأبي داود في فضائل الأنصار، وابن أبي خثيمة والبخاري في التاريخ والبغوي وغيرهم، وهو صحيح[٥٦٠] وعزاه في الكنز لآخرين. وستأتي -إن شاء الله تعالى- رواية مختصرة، في الفصل الثاني من الباب الرابع.

٢٢- انفرادهم رضي الله تعالى عنهم برسول الله ﷺ:

لقد أعلن النبي الكريم ﷺ للأنصار رضي الله تعالى عنهم يوم فتح مكة: بأن محياه محياهم، ومماته مماتهم، كما أعلن ﷺ بعد حنين رجوعه معهم، وإحازتهم له ﷺ.

* وقد مر قبل قليل قوله ﷺ: (يا معشر الأنصار؛... قلتم: أما الرجل

(٥٦٠) مسند أحمد (٣: ٤٢٩) والمعجم الكبير (٣: ٢٩٩) (٤: ٥٤) وشرح مشكل الآثار (٧: ٤٧-٤٩ فرقهما) وتعظيم قدر الصلاة (١: ٤٥٨) والتاريخ الكبير (٢: ٢٥٩) ولم يسقه كاملاً، ومجمع الزوائد (١٠: ٣٨) والإصابة (١: ٥٧٤) وكنـز العمال (١٢: ١٤ رقم ٣٣٧٤٥).

فأدركته رغبة في قريته) قالوا: قد كان ذلك. قال: (كلا، إني عبد الله ورسولُه، هاجرت إلى الله وإليكم، والمحيا محياكم والممات مماتكم،...). الحديث بطوله، رواه مسلم.

* وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، أن ناساً من الأنصار قالوا يوم حنين، حين أفاء الله على رسوله ﷺ من أموال هوازن ما أفاء، فطفق رسول الله ﷺ يعطي رجالاً من قريش المائة من الإبل، فقالوا: يغفر الله لرسوله ﷺ، يعطي قريشاً ويتركنا، وسيوفُنا تقطر من دمائهم !

قال أنس بن مالك: فحُدِّث ذلك رسول الله ﷺ من قولهم، فأرسل إلى الأنصار، فجمعهم في قبة من أدَم.

فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله ﷺ فقال: (ما حديث بلغني عنكم؟) الحديث،... فقال رسول الله ﷺ: (فإني أعطي رجالاً حديثي عهد بكفر، أتألفهم، أفلا ترضون أن يذهب الناسُ بالأموال، وترجعون إلى رحالكم برسول الله ﷺ؟، فو الله لما تنقلبون به خيرٌ مما ينقلبون به).

فقالوا: بلى يا رسول الله، قد رضينا. متفق عليه(٥٦١).

* وفي رواية عنه عندهما(٥٦٢) فقال: (يا معشر الأنصار؛ ألا ترضون أن يذهب الناسُ بالدنيا، وتذهبون برسول الله ﷺ، تحوزونه إلى بيوتكم؟) قالوا:

(٥٦١) صحيح البخاري: كتاب المغازي: باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الزكاة: باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام، رقم (١٣٢-١٣٥).

(٥٦٢) في الكتابين والبابين السابقين.

بلى يا رسول الله، رضينا.

* وعن عبد الله بن زيد بن عاصم رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ لما فتح حُنيناً قسم الغنائم، فأعطى المؤلفةَ قلوبهم، فبلغه أن الأنصار يحبون أن يصيبوا ما أصاب الناس، فقام رسول الله ﷺ فخطبهم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: (يا معشر الأنصار،... ألا ترضون أن يذهب الناسُ بالشاء والإبل [ولفظ البخاري: بالشاة والبعير] وتذهبون برسول الله ﷺ إلى رحالكم؟) الحديث، متفق عليه(٥٦٣).

رجع الناس بالمال، بالغنم، والإبل، بالدنيا، ورجع الأنصار رضي الله تعالى عنهم برسول الله ﷺ إلى بيوتهم في المدينة، لأن تربتَه التي خلق منها ﷺ من المدينة، من حجرته التي رقد فيها ﷺ، ومعه صاحباه ووزيراه: أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما، وهما مهاجران أيضاً(٥٦٤)، والله تعالى أعلم.

٢٣- مدينتهم رضي الله تعالى عنهم هي دار الهجرة:

وهكذا أصبحت المدينة المنورة دار الهجرة، بعد هجرته ﷺ، ولأنه كان هذا اسمها منذ القدم، كما هو موجود في الكتب السماوية السابقة، كعلامة

---

(٥٦٣) في الكتابين والبابين السابقين، ورقمه عند مسلم (١٣٩).

(٥٦٤) انظر: الحب المتبادل، وفضائل المدينة المنورة-المجلد الثالث-فقد ذكرت فيهما: حرصَه ﷺ على الوفاة بالمدينة، والإشارات التي رشحت في ذلك، وتحديد مكان دفنه في بيته، لذا قد تواتر عنه قوله ﷺ: (ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة) كما تواتر قوله ﷺ: (ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة) وذكرت وجه الجمع بين الروايتين، وأن الأولى باعتبار المآل، وأن الثانية فباعتبار الحال، والله تعالى أعلم.

من علاماته ﷺ.

فقد مر قوله ﷺ (عند رقم ٢١) من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عند مسلم: (إني عبد الله ورسوله هاجرت إلى الله وإليكم، المحيا محياكم والممات مماتكم...). الحديث.

وقد عنون الإمام البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه في كتاب مناقب الأنصار: باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، وبعده: باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة، وذكر في هذين البابين ثمانية وثلاثين حديثاً.

وقد صار هذا الاسم (دار الهجرة) علماً عليها.

* ففي حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أن عبد الرحمن بن عوف -رضي الله تعالى عنه- رجع إلى أهله وهو بمنى، في آخر حجة حجّها عمر رضي الله تعالى عنه، فوجدني، فقال عبد الرحمن: فقلت يا أمير المؤمنين؛ إن الموسم يجمع رعاع الناس، وغوغاءهم، وإني أرى أن تُمهِل حتى تقدم المدينة، فإنها دار الهجرة، والسنة والسلامة...الحديث. في قصة السقيفة. رواه البخاري[٥٦٥].

* وفي حديث أنس رضي الله تعالى عنه في الإسراء والمعراج... واللفظ للنسائي والطبري[٥٦٦] أن رسول الله ﷺ قال: (أُتيت بدابة فوق الحمار

---

(٥٦٥) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار: باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة، وفي غيرهما.

(٥٦٦) سنن النسائي: كتاب الصلاة: باب فرض الصلاة (١: ٢٢١-٢٢٣) وتهذيب الآثار (١: ٤٥٢-٤٥٣) وتفسير الطبري، ودلائل النبوة (٢: ٣٦١-٣٦٢) وتفسير ابن كثير (٣: =

ودون البغل، خطوها عند منتهى طَرْفها، ومعي جبريل عليه السلام، فسرت، فقال: انزل فصلِّ، ففعلت، فقال: أتدري أين صليت؟ صليت بطيبة، وإليها المهاجَرُ...). الحديث بطوله، وأصله في الصحيحين.

بل يوجد في الكتب السماوية السابقة أن مهاجَرَه ﷺ إليها.

* وهذا ما قاله راهب عمورية، لسلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه: قد أظلَّك زمانُ نبيٍّ هو مبعوث بدين إبراهيم، يخرج بأرض العرب، مهاجَرُه إلى أرض بين حرتين، بينهما نخل، به علامات لا تخفى،... الحديث. رواه ابن إسحاق وابن سعد وابن أبي شيبة وأحمد والطبراني والبزار وأبو نعيم وابن حبان والبيهقي بأسانيد صحيحة، وغيرهم[٥٦٧].

= ٥) وفتح الباري (٧: ١٩٩) وانظر مجمع الزوائد (١: ٧٣-٧٤) والدر المنثور (٥: ١٨٥- ١٨٦) والخصائص الكبرى (١: ١٥٣-١٥٤) والآيات البينات بما في الإسراء والمعراج من الخوارق والمكرمات.

(٥٦٧) السير والمغازي (٨٧-٩١) والطبقات الكبرى (٤: ٧٥-٨٠) ومصنف ابن أبي شيبة (١٤: ٣٢١-٣٢٤) ومسند أحمد (٥: ٤٣٨، ٤٤١-٤٤٤) بأسانيد، والسيرة لابن هشام بشرح الروض (١: ٢٤٧-٢٥٢) والشمائل للترمذي (٩١-١٠٠) والمعجم الكبير (٦: ٢٧٢-٢٧٧ رقم ٦٠٦٥) وتاريخ بغداد (١: ١٦٤- ١٦٩) ودلائل النبوة لأبي نعيم (١: ٣٣٩-٣٤٧) وحلية الأولياء (١: ١٩٠-١٩٣بنحوه) وصحيح ابن حبان (٩: ١٢٧-١٢٨) والسيرة النبوية له (٢٤١-٢٤٨) ودلائل النبوة للبيهقي (٢: ٨٢-١٠٠) وطبقات المحدثين بأصبهان لأبي الشيخ (١: ٥١-٥٤، ٢٠٩-٢١٧) وكشف الأستار (٣: ٢٦٨-٢٦٩) وسير أعلام النبلاء (١: ٥٠٦-٥١١) وغيرها، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩: ٣٣٦) إسناد الرواية الأولى عند أحمد والطبراني رجالهما رجال الصحيح غير محمد بن إسحاق، وقد صرح بالسماع، ورجال الرواية الثانية: انفرد بها أحمد، ورجالها رجال =

٢٤- هم أعفَّةٌ صُبرُ رضي الله تعالى عنهم:

ومن فضائل الأنصار رضي الله تعالى عنهم: ما شهد لهم به رسول الله ﷺ؛ أهم أهلُ عفاف وصبر وتحمّل، حتى لو عضّتهم الحاجة، وضاق بهم العيش،... وعدم تطلعهم إلى ما بأيدي الناس، مما سيجر عليهم أن غيرهم سيحوز الدنيا دونهم.

* فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، عن أبي طلحة رضي الله تعالى عنه، أنه دخل على رسول الله ﷺ، في وجعه الذي مات فيه، فقال: (أقرئ قومَك السلامَ، فإنهم-ما علمتُ-أعفَّةٌ صُبُر). رواه أحمد والترمذي وحسنه، ويوجد في بعض النسخ التصحيح، وابن أبي عاصم والطبراني وأبو يعلى، وصححه الحاكم وأقره الذهبي، ورواه الحاكم والبزار وجعلاه من مسند أنس رضي الله تعالى عنه(٥٦٨).

* وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: جاء أُسَيدُ بن حُضَير الأشهلي رضي الله تعالى عنه إلى رسول الله ﷺ-وكان قد قسم طعاماً- فذكر له أهل بيت من الأنصار، من بني ظفر، فيهم حاجةٌ، قال: وجلُّ أهل

= الصحيح غير عمرو ابن أبي قرة الكندي، وهو ثقة. وانظر أسد الغابة (٢: ٢٦٥-٢٦٧) والسيرة النبوية لابن كثير (١: ٢٩٦-٣٠٧) وانظر: الرحمة المهداة ﷺ، لرواية ثانية.

(٥٦٨) مسند الطيالسي (٢٧٣ رقم ٢٠٤٩) مسند أحمد (٣: ١٥٠) وسنن الترمذي: كتاب المناقب: باب في فضل الأنصار وقريش، رقم (٣٩٠٣) والآحاد والمثاني (٣: ٣٥٠) ومسند أبي يعلى (٣: ١٣) (٦: ١١٧) والبحر الزخار (١٣: ٣٠٩-٣١٠) والمعجم الكبير (٥: ١٠١) من طريقين، والمستدرك (٤: ٧٩) وكشف الأستار (٣: ٣٠٤) ومجمع الزوائد (١٠: ٤١) وعزاه للبزار.

ذلك البيت نسوة، قال: فقال رسول الله ﷺ: (تركتنا يا أُسَيد، حتى ذهب ما في أيدينا، فإذا سمعت بشيء قد جاءنا، فاذكر لي أهلَ ذلك البيت).

قال: فجاءه بعد ذلك طعام من خيبر؛ شعير وتمر، قال: فقسم رسول الله ﷺ في الناس، وقسم في الأنصار فأجزل، وقسم في أهل ذلك البيت فأجزل.

قال: فقال له أُسَيدُ بن حُضَير -متشكراً-: جزاك الله أي نبي الله عنا أفضلَ الجزاء -أو قال خيراً- فقال له النبي ﷺ: (وأنتم يا معشر الأنصار، فجزاكم الله أطيبَ الجزاء -أو قال خيراً- فإنكم ما علمتُ أعفَّةٌ صُبُر، وسترون بعدي أَثَرَةً في الأمر والقسم، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض.

رواه النسائي والطبراني وأبو يعلي، وصححه الحاكم وابن حبان وأقره الذهبي، ورواه ابن أبي عاصم -مختصراً مفرقاً[569].

* وقد جاء نحو ذلك من حديث أبي هريرة وابن عمر رضي الله تعالى عنهم[570].

* أما قوله ﷺ: (إنكم ستلقون بعدي أَثَرَة، فاصبروا حتى تلقوني على

(٥٦٩) فضائل الصحابة للنسائي (١٩٢رقم٢٤٠) ومسند أبي يعلى (٢: ٢٤٣-٢٤٤ رقم ٩٤٥) والمعجم الكبير (١: ١٧٨ رقم ٤١٨١) وصحيح ابن حبان (١٦: ٢٦٥-٢٦٦، ٢٦٨-٢٦٩) والمستدرك (٤: ٧٩-٨٠) والسنة (١: ٥٠٧-٥٠٨) والآحاد والمثاني (٣: ٣٤٣، ٣٤٩، ٣٦٩) ومجمع الزوائد (١٠: ٣٣) وقال: رواه أحمد ورجاله ثقات، إلاّ أن فيه ابن إسحق مدلّس وقد عنعن.اهـ. قلت: لقد صرّح بالسماع عند ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني. وكنز العمال (١٢: ١٩).

(٥٧٠) انظر مصنف ابن أبي شيبة (١٢: ١٦٠) وصحيح ابن حبان (١٤: ١٥٩) والآحاد والمثاني (٣: ٣٤٩، ٣٥٠) وانظر تعليقي على هذا الحديث: السنن للإمام الشافعي (٢: ٥٧).

الحوض) فهذا متفق عليه من حديث أُسَيد رضي الله تعالى عنه(٥٧١).

وقوله ﷺ: (أعِفَّةٌ) جمع عفيف، والعفةُ: كف النفس عما لا يحل لها.

وقوله ﷺ: (صُبُر) جمع صبور، وهو الكثير الصبر، لأن فعول من أبنية المبالغة، والله تعالى أعلم.

٢٥- قبول محسنهم والتجاوز عن مسيئهم:

لقد جاءت الأحاديث الكثيرة عن النبي الكريم ﷺ فيها الحث على إكرام كريم الأنصار رضي الله تعالى عنهم، وقبول محسنهم، والتجاوز عن مسيئهم. وهذا من باب رد الجميل الذي قدّموه، والمكافأة على حسن عملهم الذي بذلوه، وإلاّ فالواقع أن المسلمين لن يكافئوا المهاجرين ولا الأنصار رضي الله تعالى عنهم على ما بذلوه وقدّموه، ولكن الله تعالى هو الذي سيكافئهم على صنيعهم، لذا أكرمهم بالرضا والمحبة، والخلود في الجنة، رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، وحشرنا معهم تحت لواء النبي المصطفى الكريم ﷺ.

* لقد مر حديث أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه (عند رقم١٢) وفيه قوله ﷺ: (أوصيكم بالأنصار، فإنهم كَرِشي وعَيْبَتي، وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم، فاقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم). متفق عليه.

* كما مر حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما (عند رقم١٢) أيضاً، وفيه قوله ﷺ: (أما بعد؛ أيها الناس، إن الناس يكثرون وتقل الأنصار،

(٥٧١) انظر: صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار: باب قول النبيِّ ﷺ للأنصار: (اصبروا حتى تلقوني على الحوض)، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الإمارة: باب الأمر بالصبر عند ظلم الولاة واستئثارهم، رقم (٤٨).

حتى يكونوا كالملح في الطعام، فمن ولِيَ منكم أمراً يَضُرُّ به أحداً، أو ينفعه، فليقبل من محسنهم، وبتجاوز عن مسيئهم). رواه البخاري.

* وروى ابن أبي شيبة والترمذي وحسنه، وغيرهما(٥٧٢) نحوه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

* وعن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، أن النبي ﷺ قام خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، واستغفر للشهداء الذين قُتلوا يوم أُحُد، ثم قال: (إنكم يا معشر المهاجرين تزيدون، والأنصار لا يزيدون، وإن الأنصار عَيْبَتِي التي أويت إليها، فأكرموا كريمهم وتجاوزوا عن مسيئهم). رواه عبد الرزاق وأحمد وابن أبي عاصم والطبراني، برجال الصحيح(٥٧٣)، لكن عند ابن أبي عاصم، والحاكم وصححه، وأقره الذهبي، فهو عن كعب بن مالك رضي الله تعالى عنه.

* وهذا الحديث -بهذا المعنى- متواتر، فقد رواه إضافة إلى ما ذكر: أُسَيد بن حُضير، وسهل بن سعد، وعبد الله بن جعفر، وأبو سعيد الأنصاري وأبو بكر الصديق، والبراء بن عازب، وأبو قتادة، وسعد بن مالك رضي الله

---

(٥٧٢) مصنف ابن أبي شيبة (١٢: ١٥٨- ١٥٩) وسنن الترمذي: كتاب المناقب: باب في فضل الأنصار وقريش، رقم (٣٩٠٤) ومجمع الزوائد (١٠: ٢٩-٣٠). وانظر الآحاد والمثاني (٣: ٣٣٢) ومسند أبي يعلى (٢: ٣٠١-٣٠٢، ٥٠١).

(٥٧٣) مصنف عبد الرزاق (١١: ٦٣) ومسند أحمد (٣: ٥٠٠) والآحاد والمثاني (٣: ٣٥١-٣٧٧) والمعجم الكبير (١٩: ٧٩) والمستدرك (٤: ٧٨) ومجمع الزوائد (١٠: ٣٥-٣٦، ٣٧).

تعالى عنهم، وغيرهم، ولم أستقص في ذلك، فتنبه(٥٧٤).

ففي هذه الأحاديث الحث على قبول عمل المحسن من الأنصار مع تكريمه، والتجاوز عن المسيء منهم في غير حَدٍّ، والله تعالى أعلم.

٢٦- حرصهم رضي الله تعالى عنهم على الآخرة:

ومن فضائل الأنصار رضي الله تعالى عنهم أنهم ضربوا المثلَ الأعلى في حرصهم على الآخرة، ولم يكن هَمُّهم رضي الله تعالى عنهم على الدنيا وما فيها، خاصة- بعد عتاب الله سبحانه وتعالى لهم.

* فعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله تعالى عنه قال: إنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار، لما نصر الله نبيّه، وأظهر الإسلامَ. قلنا: هلُمَّ نقيم في أموالنا ونُصلحها، فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾(٥٧٥). فالإلقاء بالأيدي إلى التهلكة أن نقيم في أموالنا ونصلحها وندع الجهاد. رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي، وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم، ورواه الطيالسي والبيهقي وغيرهم(٥٧٦).

(٥٧٤) انظر الآحاد والمثاني (٣: ٣٥٢) وكنز العمال (١٢: ٢-١٣) ومجمع الزوائد (١٠: ٣٥-٣٧) وجامع الأصول (٩: ١٦٥-١٦٧).

(٥٧٥) سورة البقرة (١٩٥).

(٥٧٦) مسند الطيالسي (٨١-٨٢ رقم ٥٩٩) وسنن أبي داود: كتاب الجهاد: باب في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ رقم (٢٥١٢) وسنن الترمذي: كتاب التفسير: باب من تفسير سورة البقرة، رقم (٢٩٧٢) والسنن الكبرى للنسائي (٦: ٢٩٨-٢٩٩، ٢٩٩) وتفسير النسائي (١: ٢٣٦، ٢٣٨-٢٣٩) والمعجم الكبير، رقم (٤٠٦٠) وصحيح ابن حبان (١١: ٩-١٠رقم ٤٧١١) وموارد الظمآن (٤٠١ رقم ١٦٦٧) والمستدرك (٢: =

ولما أتوا على رسول الله ﷺ ليشتكوا له ما حل بأرضهم، وبساتينهم وأشجارهم، أقسم لهم رسول الله ﷺ أنهم لا يسألونه شيئاً إلاّ أعطاه لهم، وأنه لا يدعو الله تعالى لهم شيئاً إلاّ أعطاه الله تعالى لهم، فلما سمعوا ذلك، غفلوا عن دنياهم، وأرضهم وبساتينهم، وسألوه ﷺ، أن يدعو لهم بالمغفرة ولمن يلوذ بهم.

* فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: شق على الأنصار النواضح، فاجتمعوا عند النبي ﷺ، يسألونه أن يكري لهم نهراً سحاً، فقال لهم رسول الله ﷺ: (مرحباً بالأنصار، [مرحباً بالأنصار، مرحباً بالأنصار] والله لا تسألوني اليوم شيئاً إلا أعطيتكموه، ولا أسأل الله تعالى لكم شيئاً ألا أعطانيه).

قال بعضهم لبعض: اغتنموها، واطلبوا المغفرة.

فقالوا: يا رسول الله؛ ادع الله لنا بالمغفرة.

فقال رسول الله ﷺ: (اللهم اغفر للأنصار، ولأبناء الأنصار، ولأبناء أبناء الأنصار).

* وزاد في رواية: (ولأزواج الأنصار) وعند الطبراني (وللكنائن).

رواه أحمد والنسائي برجال الصحيح والبزار والطبراني في المعاجم

= ٨٢، ٢٧٥) والسنن الكبرى للبيهقي (٩: ٤٥، ٩٩) وانظر تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي (١: ١١٩-١٢٠) حيث عزاه لأحمد وإسحق وأبي يعلى والطيالسي في مسانيدهم، كما عزاه لغيرهم أيضاً. وانظر فتح الباري (٨: ١٨٥) فقد عزاه لمسلم. قلت: لم أره فيه.

الثلاثة، مطولاً ومختصراً، والحاكم وصححه وأقره الذهبي. ورواه كثيرون مختصراً على الدعاء.

قلت: ورجال البزار هم رجال أحمد حيث رواه من ثلاث طرق(٥٧٧).

٢٧- عنايتهم رضي الله تعالى عنهم بالقرآن الكريم:

لقد اعتنى الأنصار رضي الله تعالى عنهم -في حياة النبي ﷺ- بالقرآن الكريم حفظاً، وقراءة، حتى قيل: لم يحفظ القرآن الكريم كاملاً في حياته ﷺ إلاّ من الأنصار.

كما عُرف عن عدد منهم باسم القراء.

* فعن قتادة رحمه الله تعالى قال: سمعت أنساً رضي الله تعالى عنه يقول: جمعَ القرآنَ على عهد رسول الله ﷺ أربعةٌ، كلهم من الأنصار: معاذُ بن جبل، وأُبيُّ بن كعب، وزيدُ بن ثابت، وأبو زيد.

قال قتادة: قلت لأنس: من أبو زيد؟ قال: أحد عمومتي. متفق عليه(٥٧٨).

* وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: مات النبي ﷺ، و لم يجمع القرآنَ

---

(٥٧٧) مسند أحمد (٣: ١٣٩، ٢١٣) والآحاد والمثاني (٣: ٣٦٠) وعمل اليوم والليلة (٢٧٨-٢٧٩ رقم ٣١٤) والبحر الزخار (١٣: ٢٨٤-٢٨٥) وكشف الأستار (٣: ٣٠٥-٣٠٦) والمعجم الكبير (١: ٢٢٧-٢٢٨) والمعجم الأوسط (٢: رقم١٤٩٣، ٢١٦٩) (٦ رقم ٦٠٤٥) والمعجم الصغير (١: ٢٢١) والمستدرك (٤: ٨٠) ومجمع الزوائد (١٠: ٤٠) مطولاً، ومجمع البحرين (٧: ١٦) وكلهم مختصراً.

(٥٧٨) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار: باب مناقب زيد بن ثابت رضي الله عنه، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل أبي بن كعب وجماعة من الأنصار رضي الله تعالى عنهم، رقم (١١٩، ١٢٠).

غيرُ أربعة: أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد. قال: ونحن ورثناه. رواه البخاري(٥٧٩).

قلت: فصاروا خمسة، إلاّ أن يحمل أن أنساً رضي الله تعالى عنه، حدَّث به في وقتين مختلفين.

وقد تكلم العلماء رحمهم الله تعالى في هذا الحصر، وأجابوا عنه بأجوبة كثيرة، خاصة وقد وُجد في الصحابة رضي الله تعالى عنهم من كان يحفظ القرآن الكريم في حياة النبي ﷺ، كما أن منهم من أتم الحفظ بعد وفاته ﷺ وإن كان هؤلاء لا يردون على حديث أنس رضي الله تعالى عنه.

وخير جواب: أن ذلك إنما هو حسب علم أنس رضي الله تعالى عنه، أو حسب ما ظهر، لا حسب حقيقة الأمر، أو أنهم جمعوه حفظاً وكتابة، أو أنهم جمعوه من النبي ﷺ بغير واسطة،...إلخ، والله تعالى أعلم.

ولشهرة هؤلاء الصحابة رضي الله تعالى عنهم، خاصة أبي بن كعب، وزيد بن ثابت رضي الله تعالى عنهما، أمر الله تعالى نبيَّه وحبيبه ﷺ، أن يقرأ القرآن على أبيٍّ بن كعب رضي الله تعالى عنه، كما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى في حديث أنس رضي الله تعالى عنه المتفق عليه، بروايتيه في الفصل القادم.

وفيه قوله ﷺ: (إن الله عز وجل أمرني أن أقرأ عليك،...). الحديث.

وأما زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله تعالى عنه فلا أدل على تمكنه وضبطه،... والثقة به من تلك الثقة الغالية، التي يوليه إياها شيخا الأمة،

(٥٧٩) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن: باب القراء من أصحاب النبي ﷺ.

ووزيرا رسول الله ﷺ، وأمينا هذه الأمة، وسيداها: أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما.

* عن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه قال: أرسل إليَّ أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه عنده.

قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه: إن عمر أتاني، فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقرّاء القرآن، وإني أخشى إن استَحَرّ القتلُ بالقرّاء بالمواطن، فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن.

قلت لعمر: كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال عمر رضي الله تعالى عنه: هذا والله خير، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر.

قال زيد: قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه: إنك رجل شاب، عاقل، لا نتهمك، وقد كنتَ تكتب الوحيَ لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه.

فو الله لو كلّفوني نَقلَ جبل من الجبال ما كان أثقل عليَّ مما أمرني به من جمع القرآن.

قلت: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟

قال: هو والله خير، فلم يزل أبو بكر رضي الله تعالى عنه يراجعني، حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدرَ أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما، فتتبعت القرآن أجمعه من العُسُب، واللّخاف، وصدور الرجال،... الحديث

بطوله. رواه البخاري(٥٨٠).

* وكذا أمره عثمان رضي الله تعالى عنه -إضافة إلى الثلاثة القرشيين وهم: عبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام رضي الله تعالى عنهم- بكتابة المصاحف، وكان هو الذي يكتب، كما في حديث أنس رضي الله تعالى عنه، عند البخاري(٥٨١).

* وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: جاء ناسٌ إلى النبي ﷺ، فقالوا: ابعث معنا رجالاً يعلمونا القرآنَ والسنةَ، فبعث إليهم سبعين رجالاً من الأنصار، يقال لهم القراء، فيهم خالي حرام، يقرؤون القرآن، ويتدارسون بالليل يتعلمون، وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه في المسجد، ويحتطبون فيبيعونه، ويشترون به الطعامَ لأهل الصُفَّة والفقراء، فبعثهم النبي ﷺ، فعرضوا لهم فقتلوهم، قبل أن يبلغوا المكان، فقالوا: اللهم أبلغ عنا نبيَّنا أنّا قد لقيناك فرضينا عنك، ورضيت عنا، قال: وأتى رجلٌ حَرَاماً -خال أنس- من خلفه، فطعنه برمح حتى أنفذه، فقال حرام: فزت، ورب الكعبة.

فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: (إن إخوانكم قد قُتلوا، وإنهم قالوا: اللهم أبلغ عنا نبيَّنا أنّا قد لقيناك فرضينا عنك، ورضيت عنا). متفق عليه، واللفظ لمسلم(٥٨٢).

---

(٥٨٠) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن: باب جمع القرآن، وفي غيرهما.

(٥٨١) صحيح البخاري: في الكتاب والباب السابقين.

(٥٨٢) صحيح البخاري: كتاب المغازي: باب غزوة الرجيع، ورعل وذكوان وبئر معونة. وصحيح مسلم: كتاب الإمارة: باب ثبوت الجنة للشهيد، رقم (١٤٧).

وقد قتلوا رضي الله تعالى عنهم في بئر معونة، غدر بهم بنو رِعْل وذكوان، ومن معهم، لذا مكث ﷺ يدعو على رِعْل وذكوان وعُصَيَّةَ وبني لحيان شهراً كاملاً في القنوت في صلاة الفجر، والله تعالى أعلم.

فإذا كان في حديثه الأول أربعة أو خمسة ممن جمع القرآن الكريم على عهد رسول الله ﷺ، ففي هذا الحديث سبعون ممن يسمّون القرّاء، وفي هذا دلالة على كثرة الحفاظ والقرّاء فيهم، والله تعالى أعلم.

ولما تفاخر الأوس والخزرج لم يفخر الخزرج إلاّ بالحفّاظ والقُرّاء.

* فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: افتخر الحيّان: الأوس والخزرج. فقالت الأوس: منا أربعة ليس فيكم مثلهم: منا من حمته الدَّبْر: عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، ومنا من أُجيزت شهادته بشهادة رجلين: خزيمة بن ثابت، ومنا غسيل الملائكة: حنظلة ابن الراهب، ومنا من اهتز له العرش: سعد بن معاذ.

فقال الخزرجيون: منا أربعة جمعوا القرآن لم يشاركهم غيرهم: معاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو زيد.

قيل لأنس: من أبو زيد؟ قال: أحدُ عمومتي. رواه أبو يعلى والبزار والطبراني برجال الصحيح، وصححه الحاكم وأقره الذهبي، وصححه الحافظ ابن حجر أيضاً[٥٨٣].

(٥٨٣) البحر الزخار (١٣: ٣٩٥) ومسند أبي يعلى (٥: ٣٢٩ -٣٣٠) والمعجم الكبير (٤: ١٠-١١ رقم ٣٤٨٨) والمستدرك (٤: ٨٠) ومجمع الزوائد (١٠: ٤١) والمختارة (٧: ١٣٦- ١٣٩من طرق) وكشف الأستار (٣: ٣٠٣) ومختصر زوائد البزار (٢: ٣٧٧) والمطالب العالية (٤: ٨١ رقم ٤٠٢٣).

ففي الحديث بيان فضل الأنصار رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم: أَوْسِهم وخَزرجِهم، لكن قولهم: لم يشاركهم غيرهم. يعني في زمن النبي ﷺ، كما هو في رواية أبي يعلى والطبراني، وإلاّ فهناك كثيرون ممن جمع القرآن الكريم، وأتمه بعد رسول الله ﷺ، والله تعالى أعلم.

٢٨- الاعتماد عليهم رضي الله تعالى عنهم وقت الشدة:

لقد وفّى الأنصار رضي الله تعالى عنهم بما التزموا به حينما أعلنوا أنهم صُدُقٌ عند اللقاء، صُبُرٌ عند الحرب، فكانوا سعيرَ كل حرب، ووقودَ كل ملحمة، ومقدمةَ كل جيش، لذا كان عدد الشهداء منهم في كل الغزوات أكثر من غيرهم رضي الله تعالى عنهم. كما سبق بيانه عند رقم (٢٠) من هذا الفصل.

وقد عرف النبي المصطفى الكريم ﷺ ذلك منهم، فكان يناديهم، إذا ابتعدوا، ويذكّرهم إذا حضروا، بل كانوا على يمينه ويساره ﷺ، حتى إن بعض المواقف لم يكن معهم غيرهم إلاّ القليل-كما في حديث أنس يوم أحد، وحديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنهما، وسيأتيان بعد قليل-فهم يكونون الأغلبية.

* فعن العباس بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه قال: شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين، فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسولَ الله ﷺ، فلم نفارقه، ورسولُ الله ﷺ على بغلة له بيضاء، أهداها له فروةُ بن نُفاثَةَ الجُذميُّ.

فلما التقى المسلمون والكفار، وَلّى المسلمون مدبرين، فطفق رسول الله ﷺ يركض البغلة قِبَلَ الكفار.

قال العباس: وأنا آخذٌ بلجام بغلة رسول الله ﷺ، أكفُّهـا، إرادةَ أن لا تسرع، وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله ﷺ.

فقال رسول لله ﷺ: (أي عباس، ناد أصحاب السَّمُرَة).

فقال عباس (وكان رجلاً صيِّتاً): فقلت بأعلى صوتي: أيـن أصـحاب السَّمُرَة.

قال: فوالله لكأَنَّ عَطْفَتَهم -حين سمعوا صوتي- عَطْفَةُ البقـرةِ علـى أولادها، فقالوا: يا لبيك، يا لبيك.

قال: فاقتتلوا والكفار. والدعوة في الأنصار، يقولون: يا معشر الأنصار، يا معشر الأنصار.

قال: ثم قُصرت الدعوةُ على بني الحارث بن الخزرج، فقالوا: يـا بـني الحارث بن الخزرج، يا بني الحارث بن الخزرج.

فنظر رسول الله ﷺ، وهو على بغلته، كالمتطاول عليهـا، إلى قتـالهم، فقال رسول الله ﷺ: (هذا حين حمي الوطيس) قال: ثم أخذ رسول الله ﷺ حَصَيات، فرمى بها وجوهَ الكفار، ثم قال: (انهزموا، ورب محمد).

قال: فذهبتُ أنظر، فإذا القتال على هيئته فيما أرى، قال: فو الله ما هو إلاّ أن رماهم بحصياته، فما زلت أرى حَدَّهم كليلاً، وأمرَهم مُدبراً. لفـظ مسلم(٥٨٤).

(٥٨٤) صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير: باب غزوة حنين، رقم (٧٦).

* فالذين ثبتوا مع رسول الله ﷺ -حين ولّى المسلمون مدبرين- إضافة إلى العباس وابن أخيه أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنهما: عشرة من بني هاشم وربيبان للنبي الكريم ﷺ، وسيأتي ذكرهم.

كما يوجد منهم مهاجرون، ولكن الأكثرية من الأنصار رضي الله تعالى عنهم جميعاً، وأكثر عدد وقفت عليه ممن ثبت مع رسول الله ﷺ نصان:

* عن عبد الله بن عُمَر رضي الله تعالى عنهما قال: لقد رأيتُنا يوم حنين، وإن الفئتين لموَلِّيتَين، وما مع رسول الله ﷺ مائة رجل. رواه الترمذي وحسنه، وفي كثير من النسخ التصحيح، وحسنه الحافظ في الفتح(٥٨٥).

* وبنحوه جاء عن جابر رضي الله تعالى عنه(٥٨٦).

* وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: كنت مع رسول الله ﷺ يوم حنين، قال: فولّى عنه الناس، وثبت معه ثمانون رجلاً من المهاجرين والأنصار، فنكصنا على أقدامنا نحواً من ثمانين قدماً ولم نولّهم الدُّبُر، وهم الذين أنزل الله عز وجل عليهم السكينة، قال: ورسول الله ﷺ على بغلته يمضي قدماً، فحادت به بغلته، فمال عن السرج، فقلت له: ارتفع رفعك الله. فقال: (ناولني كفاً من تراب) فضرب به وجوهَهم، فامتلأت

---

(٥٨٥) سنن الترمذي: كتاب الجهاد: باب ما جاء في الثبات عند القتال، رقم (١٦٨٩) وانظر بشرح تحفة الأحوذي، ونسخة حمص، وتحفة الأشراف (٦: ١٣٦) ففيها التصحيح. ونسخة العارضة (٧: ١٨٤) ففيها التحسين فقط، ولعله اختلاف نسخ، وفتح الباري (٨: ٢٩-٣٠).

(٥٨٦) دلائل النبوة للبيهقي (٥: ١٢٩).

أعينهم تراباً، ثم قال: (أين المهاجرون والأنصار) قلت: هم أولاء، قال: (اهتف بهم) فهتفتُ بهم، فجاءوا وسيوفُهم بأيمانهم كأنها الشهب، وولّى المشركون أدبارهم. رواه أحمد والطبراني والبزار والحاكم والبيهقي، وكلهم من طريق عفان بن مسلم، عن عبد الواحد بن زياد، عن الحارث بن حصيرة، عن القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، عن أبيه، عن جده.

وقال الهيثمي: رجال أحمد رجال الصحيح، غير الحارث بن حصيرة، وهو ثقة. اهـ[٥٨٧] قلت: كلهم رووه بنفس السند، فتنبه.

ولا تعارض بين حديثي ابن عمر، وابن مسعود رضي الله تعالى عنهم، لأن حديثَ ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ينفي أن يكونوا مائة، فهم أقل. بينهما حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنهم كانوا ثمانين، وهي أقل من المائة[٥٨٨].

(٥٨٧) مسند أحمد (١: ٤٥٣-٤٥٤) والبحر الزخار (٥: ٣٦٨ رقم ١٩٩٨) وكشف الأستار (٢: ٣٤٨-٣٤٩) والمعجم الكبير (١٠: ٢٠٩ رقم ١٠٣٥١) والمستدرك (٢: ١١٧) ودلائل النبوة (٥: ١٤٢) ومجمع الزوائد (٦: ١٨٠) وفتح الباري (٨: ٣٠).
قلت: وأما قول الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى في تلخيص المستدرك: الحارث وعبد الواحد [في التلخيص: عبد الله، وهو خطأ] ذو مناكير هذا منها، وفيه إرسال.اهـ. فهو متعقب. فعبد الواحد بن زياد العبدي، أحد الأعلام، ثقة ثبت. قال ابن عبد البر رحمه الله تعالى: أجمعوا، لا خلاف بينهم على أنه ثقة ثبت. وقال الحافظ في التقريب: (٣٦٧) ثقة. والحارث ابن حصيرة، وثقه كثيرون، ورمي بالرفض، وقال الحافظ في التقريب: صدوق يخطئ، ورمي بالتشيع.اهـ. فالحديث حسن، والله تعالى أعلم.

(٥٨٨) انظر فتح الباري (٨: ٣٠).

قلت: ويحتمل أن يكون المائة الذين ثبتوا مع رسول الله ﷺ، لم يكونوا جميعاً بين يدي رسول الله ﷺ، وإنما كانوا وراءه، كما في حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه، وإنما الذي ثبت معه ﷺ أربعة عشر من بني هاشم رضي الله تعالى عنهم، وعدد من المهاجرين، وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود رضي الله تعالى عنهم، وعدد من الأنصار رضي الله تعالى عنهم.

كما يحتمل أن يكون لما فاجأهم هوازنُ، وانكشف المؤلفة قلوبهم وأهل مكة والمخِفُّون،... وانفرد النبي ﷺ ومعه العباس، وأبو سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب، ثم نادى العباس، بالأنصار والمهاجرين: رجع إليه من كان قريباً منه، فكانوا مائة.

ويوضح هذا حديث العباس وجابر رضي الله تعالى عنهما-وقد رواهما ابن إسحق بسند صحيح-ولفظه فيهما: (يا عباس؛ اصرخ: يا معشر الأنصار، يا معشر أصحاب السَّمرة) قال: فأجابوا لبيك، لبيك، فجعل الرجل منهم يذهب ليعطف بعيره، فلا يقدر على ذلك، فيقذف درعه في عنقه، ويأخذ سيفه وترسه، ويقتحم بعيره، فيخلي سبيله، فيؤم الصوت، حتى ينتهي إلى رسول الله ﷺ، حتى إذا اجتمع منهم مائة، استقبلوا الناس، فاقتتلوا، وكانت الدعوة أول ما كانت بالأنصار، ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج، وكانوا صُبُراً عند الحرب،... فوالله ما رجعت راجعةُ الناس إلاّ والأسارى عند رسول الله ﷺ [٥٨٩].

(٥٨٩) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٣: ١٢٤- ١٢٦) ودلائل النبوة للبيهقي (٥: ١٢٩) =

وقد ذكر الواقدي وأبو نعيم(٥٩٠) تفصيل المائة: وهم ثلاثة وثلاثون من المهاجرين، وسبعة وستون من الأنصار.

والذين ثبتوا من بني هاشم هم: العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ ورضي الله تعالى عنه، وابنه الفضل بن العباس، وقثم بن العباس-وتعقب- وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وأخواه: ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وولده جعفر بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وعتبة بن أبي لهب بن عبد المطلب، وأخوه معتِّب بن أبي لهب بن عبد المطلب، وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب بن عبد المطلب، وأخوه عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب، فهؤلاء اثنا عشر رجلاً رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم.

وأسامة بن زيد، وأخوه لأمه أيمن ابن أم أيمن رضي الله تعالى عنهم، وهما مولى رسول الله ﷺ، فصاروا أربعة عشر رجلاً من بني هاشم رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، والله تعالى أعلم.

* وعن أبى هريرة رضي الله تعالى عنه قال:-في حديثه عن فتح مكة- ورسول الله ﷺ في كتيبة، قال: فنظر فرآني، فقال: (أبو هريرة؟) قلت: لبيك يا رسول الله.

قال: (لا يأتيني إلاّ أنصاري) وفي رواية (يا أبا هريرة؛ ادع لي الأنصار)

= وسبل الهدى والرشاد (٥: ٣٢٢-٣٢٣) والفتح الرباني (٢١: ١٧٢-١٧٣) والمغازي للواقدي (٣: ٨٩٨ وما بعد).

(٥٩٠) انظر المغازي للواقدي (٣: ٩٠١) وفتح الباري (٨: ٢٩).

فدعوهم، فجاءوا يهرولون [وفي رواية: فأطافوا به] فقال: (يا معشر الأنصار؛ هل ترون أوباش قريش؟) قالوا: نعم، قال: (انظروا، إذا لقيتموهم غداً أن تحصدوهم حصداً) وأخْفَى بيده، ووضع يمينه على شماله، وقال: (موعدكم الصفا). رواه مسلم(٥٩١).

فقد دعا ﷺ الأنصار رضي الله تعالى عنهم، للقضاء على جموع قريش من القبائل المختلفة، والله تعالى أعلم.

* وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ أُفرد يوم أُحُدٍ في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش، فلما رهقوه قال: (من يردهم عنا وله الجنة-أو هو رفيقي في الجنة؟) فتقدم رجل من الأنصار، فقاتل حتى قتل، ثم رهقوه أيضاً، فقال: (من يردهم عنا وله الجنة-أو هو رفيقي في الجنة؟) فتقدم رجلٌ من الأنصار، فقاتل حتى قُتل، فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة،... الحديث بطوله. رواه مسلم(٥٩٢).

* وعنه رضي الله تعالى عنه قال: لما كان يوم حنين؛ أقبلت هوازن وغطفان، بذراريهم ونَعَمهم، ومع النبي ﷺ يومئذ عشرة آلاف، ومعه الطلقاء، فأدبروا عنه، حتى بقي وحده، قال: فنادى يومئذٍ ندائين لم يخلط بينهما شيئاً، قال: فالتفتَ عن يمينه، فقال: (يا معشر الأنصار) فقالوا: لبيك يا رسول الله، أبشر نحن معك، قال: ثم التفتَ عن يساره، فقال: (يا معشر الأنصار) فقالوا: لبيك يا رسول الله، أبشر نحن معك.

(٥٩١) صحيح مسلم: كتاب الجهاد: باب فتح مكة، رقم (٨٤-٨٦).

(٥٩٢) صحيح مسلم: كتاب الجهاد: باب غزوة أحد، رقم (١٠٠).

قال: وهو على بغلة بيضاء. فَنَزَل، فقال: (أنا عبد الله ورسوله) فانهزم المشركون، وأصاب رسول الله ﷺ غنائم كثيرة، فقسم في المهاجرين والطلقاء، ولم يعط الأنصار شيئاً. فقالت الأنصار: إذا كانت الشدة فنحن ندعى، وتُعطى الغنائم لغيرنا !! فبلغه ذلك، فجمعهم في قبة فقال: (يا معشر الأنصار، ما حديث بلغني عنكم؟) فسكتوا.

* وفي رواية: فقال له فقهاء الأنصار: أما ذووا رَأْيِنا يا رسول الله فلم يقولوا شيئاً، وأما ناسٌ منا حديثةٌ أسنانُهم قالوا: يغفر الله لرسوله ﷺ، يُعطي قريشاً ويتركنا، وسيوفُنا تقطر من دمائهم؟ فقال رسول الله ﷺ: (أعطي رجالاً حديثي عهد بكفر أتألفهم. أفلا ترضون أن يذهب الناسُ بالأموال، وترجعون إلى رحالكم برسول الله؟ فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به) فقالوا: بلى يا رسول الله قد رضينا. الحديث. رواه مسلم[٥٩٣].

٢٩- الإخبار عن قلة الأنصار رضي الله تعالى عنهم:

لقد أخبرنا رسول الله ﷺ أن الأنصار رضي الله تعالى عنهم سيقلّون، حتى يكونوا بِمَنْزلة الملح في الطعام، من حيث قلته، وكثرة الطعام.

* فعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: خرج رسول الله ﷺ وعليه ملحفةٌ، متعطِّفاً بها على منكبيه، وعليه عصابةٌ دسماءُ، حتى جلس على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: (أما بعد، أيها الناس؛ إن الناس يكثرون وتقل الأنصار، حتى يكونوا كالملح في الطعام، فمن وَلِيَ منكم أمراً

(٥٩٣) صحيح مسلم: كتاب الزكاة: باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام، رقم (١٣٢- ١٣٤).

يضرُ فيه أحداً أو ينفعه، فليقْبل من محسنهم، ويتجاوز عن مسيئهم). رواه البخاري(٥٩٤).

* زاد في رواية أخرى(٥٩٥): فكان آخر مجلس جلس فيه النبي ﷺ.

* وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (إن الأنصار كَرِشي وعَيْبَتي، وإن الناس سيكثرون، ويقلون، فاقبلوا من محسنهم، واعفوا عن مسيئهم). متفق عليه(٥٩٦).

* وقد جاء هذا المعنى عن عدد من الصحابة، كأسيد بن حُضَير، وعائشة، وكعب بن مالك، وغيرهم رضي الله تعالى عنهم.

ومعنى قلة الأنصار رضي الله تعالى عنهم يحتمل عدة أمور:

أ - إما لدخول قبائل كثيرة من العرب والعجم في الإسلام، وهؤلاء سيكونون أضعاف قبائل الأنصار، لأنهم رضي الله تعالى عنهم مهما كانوا من الكثرة في التناسل لن يصلوا إلى الكثرة لمجموع القبائل الأخرى، وهذا مشاهد.

ب- يحتمل أن ذلك إشارة إلى كثرة من سيسكن المدينة من غير الأنصار، بحيث يكون عدد الأنصار بالنسبة لغيرهم فيها قلة، وهذا مشاهد

---

(٥٩٤) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار، باب قوله ﷺ: (اقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم).

(٥٩٥) صحيح البخاري: كتاب المناقب: باب علامات النبوة في الإسلام.

(٥٩٦) صحيح البخاري: في الكتاب والباب السابقين. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل الأنصار رضي الله تعالى عنهم، رقم (١٧٦).

أيضاً، إذ يسكنها من مختلف أقطار العالم الإسلامي.

ج- يحتمل أن يكون الله سبحانه وتعالى قد أطلع نبيَّه وصفيَّه ﷺ على أن الأنصار رضي الله تعالى عنهم سيقل نسلهم، فلا ينجبون إلاّ قلة، أو ينجبون ويتوفّون. فينقرض كثير منهم، وهذا مشاهد أيضاً، فلو قورن عدد من ينتسب إلى آل البيت، من أولاد الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما ممن يتحقق صحة نسبه إلى من ينتسب إلى الأنصار وجدنا الفرق شاسعاً. فآل البيت أضعاف من ينتسب إلى الأنصار، مع أن آل البيت يعودون إلى شخصين رضي الله تعالى عنهما بخلاف الأنصار، فيرجعون إلى قبائل، والله تعالى أعلم[٥٩٧].

وإذا كان الأنصار يقلون، فما موقف المسلمين منهم؟ إنه الاحترام والتقدير والإكبار، والله تعالى أعلم.

٣٠- ثناء الله تعالى عليهم رضي الله تعالى عنهم:

سبق في الباب الأول ذكر الآيات الكريمات التي فيها ثناء الله تعالى على الأنصار، وأذكر هنا بعض الأحاديث.

* فعن أبي أيوب وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك الأنصاريين رضي الله تعالى عنهم، عن رسول الله ﷺ في هذه الآية: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ فقال رسول الله ﷺ: (يا معشر الأنصار؛ إن الله قد أثنى عليكم خيراً في الطُهور، فما طهوركم هذا؟) قالوا: يا رسول الله؛

(٥٩٧) انظر فتح الباري (٧: ١٢٣).

نتوضأ للصلاة، ونغتسل من الجنابة.

فقال رسول الله ﷺ: (هل مع ذلك غيره؟).

قالوا: لا، غير أن أحدنا إذا خرج من الغائط أحب أن يستنجي بالماء.

فقال: (هو ذلك فعليكموه). رواه ابن ماجه وابن الجارود والدارقطني والبيهقي، وصححه الحاكم وأقره الذهبي، وحسنه الزيلعي(٥٩٨).

* وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾.

بعث رسول الله ﷺ إلى عُويم بن ساعدة، فقال: (...ما هذا الطُّهور الذي أثنى الله عليكم به؟) فقالوا: يا نبي الله؛ ما خرج منا رجلٌ ولا امرأةٌ من الغائط إلاّ غسل دُبره -أو قال: مقعدته- فقال النبي ﷺ: (ففي هذا). رواه الطبراني، وصححه الحاكم وأقره الذهبي، والبيهقي(٥٩٩).

* ورواه أحمد والطبراني-في الثلاثة-وصححه ابن خزيمة والحاكم من حديث عُويم بن ساعدة رضي الله تعالى عنه بنفسه(٦٠٠).

---

(٥٩٨) سنن ابن ماجه: كتاب الطهارة: باب الاستنجاء بالماء، رقم (٣٥٤) والمنتقى لابن الجارود (٢٤ رقم ٤٠) وسنن الدارقطني (١: ٦٢) والمستدرك (١: ١٥٥) (٢: ٣٣٤-٣٣٥) والسنن الكبرى للبيهقي (١: ١٠٥) ونصب الراية (١: ٢١٩) ومجمع الزوائد (١: ٢١٢، ٢١٣) وفتح القدير (٢: ٤٠٦).

(٥٩٩) المعجم الكبير (١١: ٦٧) والمستدرك (١: ١٨٧) والسنن الكبرى (١: ١٠٥) وتاريخ المدينة (١: ٤٩) ومجمع الزوائد (١: ٢١٢) وفتح القدير (٢: ٤٠٦).

(٦٠٠) انظر: مسند أحمد (٣: ٤٢٢) والمعجم الكبير (١٧: ١٤٠) والمعجم الأوسط (٦: ٨٩) =

* وقد جاء نحو هذا الحديث عن عدد من الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم، وذكرت في فضائل المدينة المنورة طائفةً منها.

٣١- البشارة والأمل:

ومن فضائل الأنصار رضي الله تعالى عنهم أن رسول الله ﷺ ما فتئ يبشّرهم بخيري الدنيا والآخرة، ويؤمّلهم ما يسرُّهم وكان كذلك.

* فعن عمرو بن عوف رضي الله تعالى عنه قال:...قدم أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه بمال من البحرين، فسمعت الأنصارُ بقدوم أبي عبيدة، فوافقت صلاةَ الصبح مع النبي ﷺ، فلما صلّى بهم الفجرَ، انصرف، فتعرضوا له، فتبسم رسول الله ﷺ حين رآهم، وقال: (أظنكم قد سمعتم أن أبا عبيدة قد جاء بشيء؟) قالوا: أجل يا رسول الله، قال: (فأبشروا، وأمِّلوا ما يسرُّكم،...) الحديث بطوله، متفق عليه(٦٠١).

٣٢- فيهم رضي الله تعالى عنهم من عاده جبريل عليه السلام:

ومن فضائل الأنصار رضي الله تعالى عنهم أن جبريل عليه السلام كان يعود مرضاهم، لفضلهم ومكانتهم، فقد جاء أن رجلاً منهم كان مريضاً، فأتى رسولُ الله ﷺ يعوده، فوجد جبريل عليه السلام، قد سبقه بعيادته،

= والمعجم الصغير (٢: ٨٦ وفيه خطأ مطبعي) وصحيح ابن خزيمة (١: ٤٥-٤٦) والمستدرك (١: ١٥٥- ١٥٦) ومجمع البحرين (١: ٢٩٨) ومجمع الزوائد (١: ٢١٢) وانظر مصنف ابن أبي شيبة (١: ١٥٣).

(٦٠١) صحيح البخاري: كتاب الجزية والموادعة: باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الزهد: رقم (٦).

على هيئة رجل، ولم يعرفه المريضُ.

* فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: عاد رسول الله ﷺ رجلاً من الأنصار، فلما دنا من مَنْزله، سمعه يتكلم في الداخل، فلما استأذن عليه، دخل، فلم ير أحداً، فقال رسول الله ﷺ: (سمعتك تكلم غيرَك) فقال: يا رسول الله؛ لقد دخلتُ الداخل اغتماماً من كلام الناس، مما بي من الحُمّى، فدخل عليَّ رجل ما رأيت رجلاً قط بعدك، أكرمَ مجلساً، ولا أحسن حديثاً منه، قال: (ذاك جبريل، وإن منكم لرجالاً، لو أن أحدهم يُقْسِم على الله لأبره). رواه البزار والطبراني في المعجمين الكبير والأوسط، بأسانيد حسنة، وحسنه الحافظ ابن حجر(٦٠٢).

هذا الصحابي رضي الله تعالى عنه أصابته الحمّى، فلما كثر الناس في عيادته اغتم من كثرة كلامهم، فدخل داخل البيت، ليرتاح من كثرة كلام العائدين، فدخل عليه جبريل عليه السلام بصورة شخص، وهو لا يعرفه، فظنه رجلاً، حتى أطلعه النبي المصطفى الكريم ﷺ على حقيقته.

كما بيَّن ﷺ مزيةَ بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وهو من لو أقسم على الله تعالى لأَبَرَّه، والله تعالى أعلم.

٣٣- فضل نساء الأنصار رضي الله تعالى عنهم:

ومن فضائل الأنصار رضي الله تعالى عنهم أن كان نساؤهن رضي الله تعالى عنهن أشد تصديقاً لكتاب الله عز وجل، وأسرع تطبيقاً، وأفضلَ إيماناً

(٦٠٢) كشف الأستار (٣: ٣٠٦-٣٠٧) ومختصر البزار (٢: ٣٧٦) والمعجم الكبير (٢: ١١-١٢) والمعجم الأوسط (٣: ٣٤٦-٣٤٧) ومجمع البحرين (٧: ١٧) ومجمع الزوائد (١٠: ٤١).

من غيرهن من النساء، ويشبهن في هذا نساء المهاجرين.

* فعن صفية بنت شيبة رضي الله تعالى عنها قالت: بينما نحن عند عائشة رضي الله تعالى عنها، قالت: فذكرنا نساء قريش وفضلهن، فقالت عائشة رضي الله تعالى عنها: إن لنساء قريش لفضلاً، وإني ما رأيت أفضلَ من نساء الأنصار، أشدَّ تصديقاً لكتاب الله، ولا إيماناً بالتَّنْزيل، لقد أنزلت سورة النور: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ انقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل الله إليهم فيها، ويتلو الرجل على امرأته، وابنته وأخته، وعلى كل ذي قرابته، فما منهن من امرأة إلاّ قامت إلى مرطها المُرَحَّل، فاعتجرت به، تصديقاً وإيماناً بما أنزل الله من كتاب، فأصبحن وراء رسول الله ﷺ معتجرات، كأن على رؤوسهن الغربان. رواه ابن أبي حاتم وأبو داود بنحوه، بإسنادين مختلفين، وكلاهما حسن(٦٠٣). وقد رواه مختصراً كثيرون، وتأتي رواية منها بعد أسطر.

* وعن أم سلمة رضي الله تعالى عنها قالت: لما نزلت ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ خرج نساء الأنصار، كأن على رؤوسهن الغربان من الأكسية. رواه أبو داود بإسناد حسن(٦٠٤).

ومن فضلهن رضي الله تعالى عنهن أهن لا يمنعهن الحياء أن يسألن عن

---

(٦٠٣) سنن أبي داود: كتاب اللباس: باب في قوله تعالى: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ رقم (٤١٠٠) وتفسير ابن أبي حاتم (٨: ٢٥٧٥) وتفسير بن كثير (٣: ٢٨٤).وانظر إتحاف المهرة (١٧: ٧٠٤-٧٠٥).

(٦٠٤) سنن أبي داود: كتاب اللباس: باب السابق، رقم (٤١٠١).

أمور دينهن، ويتفقهن فيه.

* فعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها، أن أسماء [بنت يزيد الأنصارية] سألت النبي ﷺ عن غسل الحيض،... الحديث، وفيه السؤال عن غسل الجنابة، وفي آخره: فقالت عائشة رضي الله تعالى عنها: نِعْم النساء نساء الأنصار، لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين. رواه مسلم والبخاري تعليقاً أيضاً(٦٠٥).

ولهذا كثرت أسئلة نساء الأنصار رضي الله تعالى عنهن رسول الله ﷺ عن أمور يستحيا من ذكرها، و لم يمنعهن الحياء أن يسألن عن الاحتلام، والحيض، والاغتسال...إلخ، والله تعالى أعلم.

٣٤-إن الأنصار رضي الله تعالى عنهم قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم:

لما بايع الأنصارُ الأُول رضي الله تعالى عنهم رسول الله ﷺ بيعةَ العقبة، التي كانت على السمع والطاعة في المنشط والمكره، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى القول بالحق، ولا يخافون في الله لومة لائم، وعلى أن ينصروا رسول الله ﷺ إذا قدم عليهم المدينة، وأن يمنعوه ﷺ مما يمنعون منه أنفسهم وأزواجهم وأولادهم،... على أن يكون لهم الجنة، إذا وَفّوا بذلك،... وقد أخبر رسول الله ﷺ -في آخر حياته بأبي هو وأمي- أنهم رضي الله تعالى عنهم قد وَفّوا بما شرط عليهم، وبقي لهم الذي شرط لهم

(٦٠٥) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب الحياء في العلم، وانظر تغليق التعليق، وصحيح مسلم: كتاب الحيض: باب استحباب استعمال المغتسلة من الحيض فرصة من مسك في موضع الدم، رقم (٦١).

وهو الجنة، فكانت شهادةً من رسول الله ﷺ لهم بذلك.

* فعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنها قال: مكث رسول الله ﷺ عشرَ سنين، يتَّبع الناسَ في منازلهم بعكاظ ومَجَنَّة، وفي المواسم بمنى يقول: (من يؤويني، من ينصرني، حتى أبلِّغ رسالة ربي وله الجنة)... حتى بعثنا الله إليه من يثرب، فآويناه، وصدَّقناه، فيخرج الرجل منا فيؤمن به، ويقرئه القرآن، فينقلب إلى أهله فيُسْلمون بإسلامه، حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلاّ وفيها رهط من المسلمين، يظهرون الإسلام.

ثم ائتمروا جميعاً، فقلنا: حتى متى نترك رسولَ الله ﷺ، يُطرد في جبال مكة، ويخاف؟ فرحل إليه سبعون رجلاً، حتى قدموا عليه الموسم، فواعدناه شِعْبَ العَقَبَة، فاجتمعنا عليه من رجل ورجلين، حتى توافينا.

فقلنا: يا رسول الله [على] ما نبايعك؟

قال: (تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تقولوا في الله، لا تخافون في الله لومة لائم، وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم، مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم، ولكم الجنة).

قال: فقمنا إليه فبايعناه،... فأخذ علينا وشرط، ويعطينا على ذلك الجنة. رواه أحمد -واللفظ له- ورواه مطولا ومختصراً: البزار وأبو يعلى والطبراني في المعاجم الثلاثة والبيهقي ورجالهم ثقات-أغلبهم رجال الصحيح-وصححه ابن حبان والحاكم وأقره الذهبي، وحسنه الحافظ في

الفتح، وصححه في المطالب وعزاه لابن أبي شيبة، وأبي يعلى(٦٠٦).

* ورواه أحمد والطبراني من حديث عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه -مثله- وأصل الحديثين في الصحيحين(٦٠٧).

ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة المنورة خطَب خُطباءُ الأنصار رضي الله تعالى عنهم جميعاً مذكِّرين بما كانوا قد بايعوا عليه رسول الله ﷺ يوم العقبة، وبما لهم إن وفّوا.

* فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: خطب ثابت بن قيس ابن شماس رضي الله تعالى عنه مقدمَ رسول الله ﷺ المدينة، فقال: نمنعك ما نمنع منه أنفسنا وأولادنا، فما لنا يا رسول الله؟ قال: (لكم الجنة) قال: رضينا. رواه النسائي وابن أبي عاصم وأبو يعلى، و صححه الحاكم ووافقه الذهبي، وعزاه

---

(٦٠٦) مسند أحمد (٣: ٣٢٢-٣٢٣، ٣٣٩-٣٤٠) والمعجم الكبير (٢: ٢٠٢) والمعجم الأوسط (٨: ٦٢-٦٣) والمعجم الصغير (٢: ٢٢٩) ومسند أبي يعلى (٣: ٤٠٥) وكشف الأستار (٢: ٣٠٧-٣٠٨) وصحيح ابن حبان (١٤: ١٧٢-١٧٤) (١٥: ٤٧٤-٤٧٦) والمستدرك (٢: ٦٢٤-٦٢٥) ودلائل النبوة (٢: ٤٤٢-٤٤٤) والسنن الكبرى له (٩: ٩) ومجمع الزوائد (٦: ٤٦) وقال: رجال أحمد رجال الصحيح، و(٦: ٤٨-٤٩) وقال: رجاله ثقات. ومجمع البحرين (٥: ٨٦-٨٧) والمطالب العالية (٤: ٢٠٥) وإتحاف الخيرة المهرة (٩: ٤٦٣-٤٦٤) وصححه، وفتح الباري (٧: ٢٢١-٢٢٣).

(٦٠٧) مسند أحمد (٥: ٣٢٥) وفتح الباري (١: ٦٦) وعزاه في إتحاف المهرة (٦: ٤٤٧) لأحمد والدارمي وابن الجارود وأبي عوانة والطحاوي والدارقطني وابن حبان والحاكم.
وانظر: صحيح البخاري: كتاب الفتن: باب قول النبي ﷺ: (ستلقون بعدي أموراً تنكرونها)، وكتاب الأحكام: باب كيف يبايع الإمام الناس. وصحيح مسلم: كتاب الإمارة: باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، رقم (٤١-٤٢).

الحافظ في الإصابة لابن السكن، ورجالهم رجال الصحيح[٦٠٨].

وقد شهد ﷺ لهم رضي الله تعالى عنهم أنهم قد أدوا الذي عليهم، ووفوا بما عاهدوا عليه، وبقي لهم الثمن -وهو دخول الجنة في الآخرة، إن شاء الله تعالى- وأداء حقوقهم من قبل المسلمين الآخرين.

* فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: مر أبو بكر والعباس رضي الله تعالى عنهما بمجلس من مجالس الأنصار وهم يبكون، فقال: ما يبكيكم؟ قالوا: ذكرنا مجلس النبي ﷺ منا، فدخل على النبي ﷺ، فأخبره بذلك، قال: فخرج النبي ﷺ، وقد عصب على رأسه حاشيةَ بُرْد، قال: فصعد المنبر -ولم يصعده بعد ذلك اليوم- فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: (أوصيكم بالأنصار، فإنهم كَرِشي وعَيْبَتِي، وقد قضوا الذي عليهم، وبقي الذي لهم، فاقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم) لفظ البخاري[٦٠٩]. وقد ساقه مسلم مختصراً.

قال الحافظ ابن حجر[٦١٠] رحمه الله تعالى في قوله ﷺ: (وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم) يشير إلى ما وقع لهم ليلة العقبة من المبايعة،

---

(٦٠٨) السنن الكبرى للنسائي: كتاب المناقب: باب ثابت بن قيس بن شماس رضي الله تعالى عنه (٥: ٦٤) والآحاد والمثاني (٣: ٣٨٩) ومسند أبي يعلى (٦: ٤١٠) والمستدرك (٣: ٢٣٤) والإصابة (١: ٣٩٥) ومجمع الزوائد (٦: ٤٨).

(٦٠٩) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار: باب قول النبي ﷺ: (اقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم). وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل الأنصار، رقم (١٧٦).

(٦١٠) فتح الباري (٧: ١٢٢).

فإنهم بايعوا على أن يؤووا النبي ﷺ وينصروه، على أن لهم الجنة. فوفوا بذلك.اهـ.

يضاف إلى ما ذكرته من فضائل، ما ذكرته في آخر فضائل المهاجرين رضي الله تعالى عنهم: من الدعاء للمهاجرين والأنصار، وأن بعضهم أولياء بعض، وأنهم الذين يَلُون رسول الله ﷺ، والمؤاخاة بينهم،...إلخ. ما لهم من الفضل رضي الله تعالى عنهم.

وما ذكرته من فضائل إنما هو بعض ما ورد في فضائلهم رضي الله تعالى عنهم، كما أنه هو جزء مما صح في هذه الموضوعات التي ذكرتها، وقصدي -مع الاختصار- التنبيه على علو مقامهم، ورفعة شأنهم، وارتفاع مكانتهم، وسامق قدرهم، ورفعة قدرهم،... مما يتوجب علينا تبجيلهم واحترامهم، والثناء عليهم، والاستغفار لهم، وطلب الرحمة لهم، والترضي عنهم، وحفظ قلوبنا من الغيظ والكيد والبغض،... لهم، لأن الله سبحانه وتعالى جعل علامةَ الإيمان حبَّهم، كما جعل بغضهم نفاقاً وضلالاً، والعياذ بالله تعالى، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى في الفصل الثاني من الباب الرابع.

لذا فليتق الله تعالى المسلم المؤمن من الوقوع في صحابة رسول الله ﷺ، ورضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، وليحذر من الوقيعة فيهم، أو بغضهم، أو كراهتهم، أو النيل منهم، أو التحامل عليهم،... حتى لا يخسر دينه وإيمانه، ويصبح منافقاً ضالاً، والعياذ بالله تعالى.

أسأله سبحانه وتعالى أن يرزقنا حسن الظن بهم، والموت على حبِّهم،

وينظمنا بسلكهم، وأن يهبنا لواحد منهم، والحشر معهم، تحت لواء الحبيب المصطفى الكريم عليه وآله الصلاة والسلام، إنه جواد كريم، قادر على ذلك، والحمد لله رب العالمين.

وصلى الله تعالى وسلَّم وتكرّم على سيدنا ومولانا وحبيبنا محمد وعلى آله الطَّيِّبين الطَّاهرين وصحبه الكرام المبجّلين وعلى من تبعهم بإحسان.



الفصل الرابع

ما ورد في السنة النبوية المطهَّرة من الثناء على أشخاص مخصوصين منهم رضي الله تعالى عنهم

إن الأحاديث التي وردت في بيان فضائل بعض الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم كثيرة جدًّا، لكني سأقتصر على ذكر بعضها، تتميماً للفائدة، ولا يعني ذكرُ هذا العدد القليل عدمَ وجود فضائل لغيرهم، إنما هو للتنبيه على فضائل غيرهم، لأن استيعاب ما جاء فيهم جميعاً يخرجنا عن حدِّ الاختصار، لذا اقتصرت على (٣٤) عنواناً للتذكير، ومن هؤلاء:

١- فيهم رضي الله تعالى عنهم من تحركت الجبال تحت أقدامهم مع رسول الله ﷺ:

ومن فضائل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم أن رسول الله ﷺ كان يصطحبهم معه، وقد يحدث لهم من الخوارق ما لم يحدث لغيرهم من أتباع الأنبياء عليهم السلام، ومن ذلك: اهتزاز الجبال تحت أقدامهم، وهم في معية رسول الله ﷺ.

* عن أنس رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ صعد أُحُداً، وأبو بكر، وعمر، وعثمان -رضي الله تعالى عنهم- فرجف بهم، فضربه برجله، وقال: (اثبت أُحُد؛ فما عليك إلاّ نبيٌّ، أو صِدّيقٌ، أو شهيد).

وفي رواية: (فإنما عليك نبيٌّ، وصِدّيقٌ، وشهيدان). رواه البخاري(٦١١).

* وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ كان على حِراء، هو وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير [زاد في الرواية الثانية: وسعد بن أبي وقاص] رضي الله تعالى عنهم، فتحركت الصخرةُ. فقال رسول الله ﷺ: (اهدأ، فما عليك إلاّ نبيٌّ، أو صِدّيقٌ، أو شهيد). رواه مسلم(٦١٢).

* وعن ثُمامةَ بنِ حَزن القُشيريِّ رحمه الله تعالى قال: شهدتُ الدارَ حين أشرف عليهم عثمانُ رضي الله تعالى عنه فقال:...أنشدكم بالله والإسلام، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ كان على ثَبير: ثبير مكةَ، ومعه أبو بكر، وعُمر، وأنا، فتحرَّك الجبلُ، فركضه رسولُ الله ﷺ برِجلِه، وقال: (اسكن ثبير، فإنما عليك نبيٌّ، وصِدِّيقٌ، وشهيدان)؟ قالوا: نعم. قال: اللهُ أكبرُ، شهدوا لي وربِّ الكعبةِ، يعني: أني شهيد. رواه الترمذي-وحسَّنه- والنسائي والدارقطني.

* ورواه النسائيُّ والدارقطني من طريق آخر بنحوه، برجال ثقات، وسند صحيح(٦١٣).

---

(٦١١) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة: باب قول النبيِّ ﷺ: (لو كنتُ متَّخذاً خليلاً)، وباب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، وفي غيرها.

(٦١٢) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب فضائل طلحة والزبير رضي الله تعالى عنهما، رقم (٥٠) وانظر فضائل المدينة المنورة (٣: ٧٧-٧٩) ومكانة الحرمين الشريفين، فقد ذكرت الروايات في هذا الموضوع.

(٦١٣) سنن الترمذي: كتاب المناقب: باب في مناقب عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، رقم =

وقوله ﷺ: (شهيد) يريد به -والله تعالى أعلم-: الجنس، لا يريد واحداً منهم، لأن كلَّ من ذكر في الحديثين قد استشهد، إلاّ الصِدّيق، فهو (صِدّيق) وكذلك سعد رضي الله تعالى عنه، لكن يقال عنه وعن غيره ممن لم يذكره هنا شهداء، لأنهم مشهودٌ لهم بالجنة.

فقد قُتل عمرُ وعثمانُ رضي الله تعالى عنهما بالمدينة، وقُتل عليٌّ رضي الله تعالى عنه بالكوفة، وقُتل طلحةُ رضي الله تعالى عنه في معركة الجمل، وقُتل الزبيرُ رضي الله تعالى عنه بعدها.

٢- فيهم رضي الله تعالى عنهم من رجح بالأمة:

ومن فضائل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم: أن فيهم من رجح بالأمة كلها.

* عن عبد الله بن عُمر رضي الله تعالى عنهما قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ذات غداة بعد طلوع الشمس، فقال: (رأيت قُبيل الفجر؛ كأني أُعطيتُ المقاليدَ والموازين. فأما المقاليد: فهذه المفاتيح. وأما الموازين: فهي التي تزنون بها. فوُضعتُ في كفة ووُضعت أمتي في كفة، فوزنتُ بهم، فرجحت. ثم جيء بأبي بكر، فوُزن بهم فوزن. ثم جيء بعمر، فوزن بهم، فوزن، ثم جيء بعثمان فوزن بهم. ثم رُفعت). رواه ابن أبي شيبة وأحمد والطبراني برجال ثقات، وابن أبي عاصم(٦١٤).

= (٣٧٠٣) وسنن النسائي: كتاب الأحباس: باب وقف المساجد (٦: ٢٣٥-٢٣٦، ٢٣٦) والسنن الكبرى له (٤: ٩٧، ٩٧-٩٨) والسنة لابن أبي عاصم (٢: ٨٧٤-٨٧٦، ٨٧٧-٨٧٨) وسنن الدارقطني (٤: ١٩٦).

(٦١٤) مصنف ابن أبي شيبة (١١: ٦١-٦٢) ومسند أحمد (٢: ٧٦) والسنة (٢: ٧٦٤-٧٦٥) =

وقد جاء هذا الحديث عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم(٦١٥).

٣- فيهم رضي الله تعالى عنهم من سبَّح الحصى بيده:

ومن فضائل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم: أن فيهم من سبّح الحصى بيده، بعد أن سبّحت بيد النبي المصطفى الكريم ﷺ.

* فعن أبي ذر الغفاري رضي الله تعالى عنه قال: إني لشاهدٌ عند النبيِّ ﷺ في حلقة، وفي يده حصيات. فسبَّحن في يده -وفينا أبو بكر وعمر وعثمان وعلي- يَسمع تسبيحَهن مَن في الحلقة، ثم دفعهنّ النبيُّ ﷺ إلى أبي بكر، فسبَّحن مع أبي بكر رضي الله تعالى عنه، يَسمع تسبيحَهن مَن في الحلقة، ثم دفعهن النبيُّ ﷺ إلى عمر رضي الله تعالى عنه فسبّحن في يده، يَسمع تسبيحَهن مَن في الحلقة، ثم دفعهن النبيُّ ﷺ إلى عثمان رضي الله تعالى عنه، فسبّحن في يده، ثم دفعهن إلينا، فلم يُسبِّحن مع أحدٍ منا. رواه ابن أبي عاصم بإسناد جيد، ورواه البزار بإسنادين أحدهما برجال ثقات، ورواه أبو نعيم في دلائل النبوة بإسنادين أحدهما برجال ثقات، ورواه البيهقي والطبراني من طريقين أحدهما صحيح، ورواه التيمي مختصراً ومطوَّلاً، وقال الهيثمي -عن إسناد البزار الأول: إسناده صحيح، وقال في موطن آخر: رواه البزار بإسنادين، ورجال أحدهما ثقات، وفي بعضهم ضعف(٦١٦).

= وجمع الزوائد (٩: ٥٨-٥٩).

(٦١٥) انظر: مصنف ابن أبي شيبة (١١: ٦٠-٦١) ومسند أحمد (٣: ٣٥٥) وسنن أبي داود: كتاب السنة: باب في الخلفاء، رقم (٤٦٣٦) والسنة (٢: ٧٦٤) والمستدرك (٣: ٧١-٧٢) ومجمع الزوائد (٩: ٥٨-٦٠) وكنز العمال (١١: ٦٣٢-٦٣٤، ٦٤١).

(٦١٦) السنة (٢: ٧٧٠-٧٧١) وكشف الأستار (٣: ١٣٥-١٣٦) والمعجم الأوسط (٢: =

قلت: وإسناد أبي نعيم الأول، وإسناد البزار الثاني، وسند الطبراني كافية لصحة الحديث، والله تعالى أعلم.

٤- فيهم رضي الله تعالى عنهم أول من يبعث بعد رسول الله ﷺ:

ومن فضائل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم: أن فيهم أول من تنشق عنه الأرضُ بعد رسول الله ﷺ، حينما ينفخ إسرافيل بالصور.

* عن عبد الله بن عُمَر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (أنا أولُ من تنشقُّ عنه الأرضُ، ثم أبو بكر، ثم عمر-رضي الله تعالى عنهما- ثم آتي أهلَ البقيع فيُحشرون معي، ثم أنتظر أهلَ مكة، فأُحشر بين الحرمين). رواه أحمد والترمذي وحسنه، والطبراني، وصححه ابن حبان والحاكم، وحسنه السيوطي(٦١٧). وللحديث شواهد.

= ١٤٢-١٤٣) ومسند الشاميين (٣: ٧٩-٨١) (٤: ٢٤٦-٢٤٧) ودلائل النبوة لأبي نعيم (٢: ٥٥٥، ٥٥٦) وللبيهقي (٦: ٦٤-٦٥) وللتيمي (٤٧، ٢١٥) ومجمع البحرين (٦: ١٥٢، ١٥٣) ومجمع الزوائد (٥: ١٧٩) (٨: ٢٩٨-٢٩٩) وانظر الشمائل لابن كثير (٢٥٦-٢٥٨).

(٦١٧) فضائل الصحابة (١: ١٥٠، ٢٣١، ٣٥١) وسنن الترمذي: كتاب المناقب: باب في مناقب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، رقم (٣٦٩٢) والمعجم الكبير (١٢: ٣٠٥) وصحيح ابن حبان (١٥: ٣٢٤) والمستدرك (٣: ٦٨) (٢: ٤٦٥-٤٦٦) والكامل لابن عدي (٥: ١٨٧٠، ١٨٧٢) ومصابيح السنة (٤: ١٥٢) والجامع الصغير (١: ٤١٢-٤١٣) وانظر لتحسين الترمذي: تحفة الأشراف (٥: ٤٥٧) والثقات لابن شاهين (١٥١) والنهاية لابن كثير (١: ٢٠٦) وكنز العمال (١١: ٤٣٣) ووفاء الوفاء (١: ٥٠) (٣: ٨٨٨) وأخبار مدينة الرسول (١٥٠- ١٥١).

٥- فيهم رضي الله عنهم من يكون معه جبريل وميكائيل عليهما السلام:

ومن فضائل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم: أن فيهم من يكون معه جبريل عليه السلام، وفيهم من يكون معه ميكائيل عليه السلام، أثناء الحرب.

* فعن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ ولأبي بكر رضي الله تعالى عنه يوم بدر: (مع أحدكما جبريل، ومع الآخر ميكائيل. وإسرافيل مَلَكٌ عظيم يشهد القتال-أو يكون في الصف). رواه ابن أبي شيبة وأحمد وابن أبي عاصم والبزار وأبو يعلى -كلهم برجال الصحيح- وصححه الحاكم وأقره الذهبي(٦١٨).

ففي هذا الحديث الشريف منقبة ظاهرة، وفضيلة باهرة، وكرامة جليلة، ومَنْزلة رفيعة،... للصحابيين الجليلين؛ أبي بكر وعلي رضي الله تعالى عنهما، خاصة والحديث مرويٌّ من حديث عليٍّ رضي الله تعالى عنه.

٦- فيهم رضي الله تعالى عنهم من تعتبر شهادته بشهادة رجلين:

ومن فضائل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم: أن فيهم من تعتبر شهادته كافية، فمن شهد له فهي بشهادة رجلين:

* فعن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه قال: نسختُ الصحف في

---

(٦١٨) مصنف ابن أبي شيبة (١٢: ١٦) ومسند أحمد (١: ١٤٧) والسنة (٢: ٨١٧-٨١٨) ومسند أبي يعلى (١: ٢٨٣-٢٨٤) والبحر الزخار (٢: ٣٠٣-٣٠٤) وكشف الأستار (٢: ٣١٤) والمستدرك (٣: ٦٨، ١٣٤) وإتحاف الخيرة المهرة (٩: ٢١١-٢١٢) ومجمع الزوائد (٦: ٨٢) (٩: ٥٨).

المصاحف، ففقدتُ آية من سورة الأحزاب، كنتُ أسمع رسولَ الله ﷺ يقرأ بها، فلم أجدها إلاّ مع خزيمة بن ثابت الأنصاريِّ، الذي جعل رسول الله ﷺ شهادتَه شهادةَ رجلين، وهو قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ﴾(٦١٩). رواه البخاري(٦٢٠).

* وعن عُمارة بن خزيمة رضي الله تعالى عنهما، أن عمَّه حدَّثه -وهو من أصحاب النبيِّ ﷺ- أن النبيَّ ﷺ ابتاع فرساً من أعرابي، فاستتبعه النبيُّ ﷺ ليقضيه ثمن فرسه، فأسرع رسولُ الله ﷺ المشيَ، وأبطأ الأعرابيُّ. فطفق رجال يعترضون الأعرابيَّ فيساومونه بالفرس ولا يشعرون أن النبيَّ ﷺ ابتاعه [حتى زاد بعضُهم في السوم على ما ابتاعه به منه].

فنادى الأعرابيُّ رسولَ الله ﷺ فقال: إن كنتَ مبتاعاً هذا الفرس وإلاّ بعتُه. فقام النبيُّ ﷺ حين سمع نداءَ الأعرابيِّ فقال: (أوليس قد ابتعتُه منك؟) فقال الأعرابيُّ: لا، والله ما بعتُكَه. فقال النبيُّ ﷺ: (بلى قد ابتعتُه منك) [فطفق الناس يلوذون بالنبي ﷺ وبالأعرابي، وهما يتراجعان] فطفق الأعرابيُّ يقول: هلمَّ شهيداً [يشهد أني قد بعتُكَه] فقال خزيمةُ بنُ ثابت: أنا أشهد أنك قد بايعتَه. فأقبل النبيُّ ﷺ على خزيمة فقال: (بمَ تشهد؟) فقال: بتصديقك يا رسول الله. فجعل رسول الله ﷺ شهادةَ خزيمة بشهادة رجلين.

---

(٦١٩) سورة الأحزاب (٢٣).

(٦٢٠) صحيح البخاري: كتاب الجهاد: باب قول الله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا﴾، وفي غيرهما.

رواه أبو داود والنسائي بإسناد صحيح، وصححه الحاكم وأقره الذهبي، وعزاه الحافظ لجزء الذهلي(٦٢١).

* وعن خزيمة بن ثابت رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ ابتاع من سواء بن الحارث المحاربيِّ فرساً فجحده، فشهد له خزيمةُ بن ثابت. فقال له رسول الله ﷺ: (ما حملك على الشهادة و لم تكن معه؟) قال: صدقتَ يا رسول الله. ولكن صدَّقتُك بما قلتَ، وعرفتُ أنك لا تقول إلاّ حقّاً. فقال: (من شهد له خزيمة أو شهد عليه فحسبه). رواه الطبراني وابن شاهين برجال ثقات، وصححه الحاكم، ورواه البخاري في تاريخه مختصراً على المرفوع(٦٢٢).

قال الحافظ رحمه الله تعالى(٦٢٣): فيه فضيلة الفطنة في الأمور، وأنها ترفع مَنْزلة صاحبها، لأن السببَ الذي أبداه خزيمة حاصلٌ في نفس الأمر، يعرفه غيرُه من الصحابة، وإنما هو لما اختص بتفطنه لما غفل عنه غيره -مع وضوحه-: جوزي على ذلك بأن خُص بفضيلة من شهد له خزيمة أو عليه فحسبه.اهـ.

(٦٢١) سنن أبي داود: كتاب الجهاد: باب إذا علم الحاكم صدقَ الشاهد الواحد يجوز له أن يحكم به، رقم (٣٦٠٧) وسنن النسائي: كتاب البيوع: باب التسهيل في ترك الإشهاد على البيع (٧: ٣٠١-٣٠٢) والسنن الكبرى له (٤: ٤٨)والمستدرك (٢: ١٧-١٨) وفتح الباري (٨: ٥١٨-٥١٩).

(٦٢٢) التاريخ الكبير (١: ٨٦-٨٧) والمعجم الكبير (٤: ١٠١) والمستدرك (٢: ١٨) ومجمع الزوائد (٩: ٣٢٠) وفتح الباري (٨: ٥١٩) وأسد الغابة (٢: ٢٢١) والإصابة (٣: ٢١٥).

(٦٢٣) فتح الباري (٨: ٥١٩).

٧- فيهم رضي الله تعالى عنهم من يكره الله تعالى أن يخطئ:

ومن فضائل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم: أن فيهم من يكره الله تعالى أن يخطئ.

* فعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله تعالى عنهما قال: استشار رسول الله ﷺ أبا بكر وعمر -رضي الله تعالى عنهما- فأشارا عليه. فأصاب أبو بكر. فقال رسول الله ﷺ: (يا عمر؛ إن الله يكره أن يُخطئ أبو بكر) رضي الله تعالى عنه. رواه الطبراني برجال ثقات[٦٢٤]. وله شواهد[٦٢٥].

وحديث سهل رضي الله تعالى عنه يكفي لصحة الحديث.

٨- فيهم رضي الله تعالى عنهم من جعل الله تعالى الحقَّ على لسانه وقلبه:

ومن فضائل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم: أن فيهم من جعل الله تعالى الحقَّ على لسانه وقلبه، فما يقوله يكون صواباً، فلا ينطق إلاّ بالحق، ولا يقول إلاّ الحق، لذا نزل القرآن على نحو ما يقول.

* فعن عبد الله بن عُمر رضي الله تعالى عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله جعل الحقَّ على لسان عُمر وقلبه).

قال عبد الله رضي الله تعالى عنهما: ما نزل بالناس أمر قط فقالوا فيه، وقال فيه عمر -أو قال ابنُ الخطاب- إلاّ نزل القرآن على نحو ما قال عمر

---

(٦٢٤) المعجم الأوسط (٤: ١٩٣) ومجمع البحرين (٦: ٢١٧-٢١٨) ومجمع الزوائد (٩: ٤٦).

(٦٢٥) انظر: المعجم الكبير (٢٠: ٦٧-٦٨) ومسند الشاميين (٣: ٢٧٥) وبغية الباحث (٢: ٨٨٦) ومجمع الزوائد (١: ١٧٨) (٩: ٤٦) والمطالب العالية (٤: ٣٣) وكنز العمال (١١: ٥٤٨، ٥٥٨) لحديث معاذ رضي الله تعالى عنه.

رضي الله تعالى عنه. رواه ابن سعد وأحمد وعبد بن حُميد في آخرين، وصححه الترمذي وابن حبان(٦٢٦).

* وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله جعل الحقَّ على لسان عمر وقلبه). رواه ابن أبي شيبة وأحمد وابن أبي عاصم والبزار، وصححه ابن حبان(٦٢٧).

* وعن أبي ذرٍّ رضي الله تعالى عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (إن الله وضع الحقَّ على لسان عمر، يقول به). رواه ابن أبي شيبة وابن سعد وأحمد أبو داود وابن ماجه والفسوي في آخرين بإسناد صحيح، وصححه الحاكم(٦٢٨). وقد ورد نحوه عن عدد من الصحابة كبلال ومعاوية وعائشة.

(٦٢٦) الطبقات الكبرى (٢: ٣٣٥) ومسند أحمد (٢: ٥٣، ٩٥) وفضائل الصحابة له (١: ٢٥٠-٢٥١، ٢٩٩) ومسند عبد بن حُميد (٢٤٥) والمعرفة والتاريخ (١: ٤٦٧) وسنن الترمذي: كتاب المناقب: باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، رقم (٣٦٨٢) والمعجم الأوسط (١: ٩٥) (٣: ٣٣٨)وأخبار أصبهان (٢: ٣٢٧) وصحيح ابن حبان (١٥: ٣١٨) وشرح السنة (١٤: ٨٥) ومصابيح السنة (١: ١٥٦) والتمهيد (٨: ١٠٩).

(٦٢٧) مصنف ابن أبي شيبة (١٢: ٢٥) ومسند أحمد (٢: ٤٠١) وفضائل الصحابة (١: ٢٥١، ٣٥٨، ٤٣١) والسنة (٢: ٨٣٧-٨٣٨، ٨٣٩) وكشف الأستار (٣: ١٧٤) وصحيح ابن حبان (١٥: ٣١٢-٣١٣) ومجمع البحرين (٦: ٢٤٥) ومجمع الزوائد (٩: ٦٦).

(٦٢٨) مصنف ابن أبي شيبة (١٢: ٢١) والطبقات الكبرى (٢: ٣٣٥) ومسند أحمد (٥: ١٤٦، ١٦٥، ١٧٧) وفضائل الصحابة له (١: ٢٥١، ٢٥٢، ٣٥٧) وسنن أبي داود: كتاب الخراج والإمارة: باب في تدوين العطاء، رقم (٢٩٦٢) وسنن ابن ماجه: المقدمة، رقم (١٠٨) والمعرفة والتاريخ (١: ٤٦١) والسنة (٢: ٨٣٨) والبحر الزخار (٩: ٤٤٦) والمعجم الكبير (١: ٣٣٨) ومسند الشاميين (٢: ٣٨٢) (٤: ٣٦٣) والمستدرك (٣: =

* وعن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنه قال على المنبر: ما كنا نبعد [معشر الصحابة] أن السكينة تنطق على لسان عمر رضي الله تعالى عنه. رواه عبد الرزاق وأحمد والفسوي والطبراني وغيرهم، بسند صحيح(٦٢٩).

٩- فيهم رضي الله تعالى عنهم من يفر الشيطان منه:

ومن فضائل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم: أن فيهم من إذا رآه الشيطان فإنه يفر منه، خوفاً وفزعاً.

* فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال: استأذن عُمرُ بن الخطاب رضي الله تعالى عنه على رسول الله ﷺ -وعنده نسوةٌ من قريش، يكلّمنه ويستكثرنه، عاليةً أصواتُهن على صوته. فلما استأذن عُمرُ بن الخطاب -رضي الله تعالى عنه- قمن فبادرن الحجاب، فأذن له رسولُ الله ﷺ، فدخل عمر، ورسولُ الله ﷺ يضحك، فقال [عُمر]: أضحك الله سنَّك يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: (عجبتُ من هؤلاء اللائي كنّ عندي، فلما سمعن صوتَك ابتدرن الحجابَ).

قال عُمر -رضي الله تعالى عنه-: فأنت أحقُّ أن يهبنَ يا رسول الله. ثم

= ٨٦-٨٧) وشرح السنة (١٤: ٨٥) ومجمع الزوائد (٩: ٦٦).

(٦٢٩) مصنف عبد الرزاق (١١: ٢٢٢) ومسند أحمد (١: ١٠٦) وفضائل الصحابة له (١: ٢٤٩، ٣٣٠، ٣٥٨، ٣٩٥، ٤٠١، ٤١٠، ٤٤٢) والمعرفة والتاريخ (١: ٤٦١-٤٦٢) وحلية الأولياء (١: ٤٢) (٨: ٢١١) والمعجم الأوسط (٥: ٣٥٩) وشرح السنة (١٤: ١٠٦) ودلائل النبوة (٦: ٣٦٩-٣٧٠) ومجمع البحرين (٦: ٢٤٦-٢٤٧) ومجمع الزوائد (٩: ٦٧) والمطالب العالية (٤: ٤٠).

قال عُمر -رضي الله تعالى عنه-: أي عدوات أنفسهن، أتهبنني ولا تهبن رسول الله ﷺ؟

فقلن: نعم، أنت أفظُّ وأغلظ من رسول الله ﷺ.

فقال رسول الله ﷺ: (إيهاً يا ابن الخطاب؛ والذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطانُ سالكاً فجّاً، إلاّ سلك فجّاً غيرَ فجِّك). متفق عليه(٦٣٠).

* وروى مسلم(٦٣١) نحوَه من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

وقولهن: أنت أفظ وأغلظ،... هذه ليست على بابها، وإنما معناهما: أنت فظ وغليظ. لأن النبي المصطفى الكريم ﷺ في غاية الرقة واللطف والحنان، والله تعالى أعلم.

* وعن بُريدة رضي الله تعالى عنه قال: خرج رسول الله ﷺ في بعض مغازيه، فلما انصرف جاءت جارية سوداء، فقالت: يا رسول الله؛ إني كنت نذرتُ إن ردَّك الله صالحاً أن أضرب بين يديك بالدُّفِّ وأتغنى.

فقال لها رسول الله ﷺ: (إن كنتِ نذرتِ فاضربي، وإلاّ فلا) فجعلت تضرب.

فدخل أبو بكر -رضي الله تعالى عنه- وهي تضرب، ثم دخل عليٌّ -رضي الله تعالى عنه- وهي تضرب، ثم دخل عثمان -رضي الله تعالى عنه-

(٦٣٠) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة: باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، رقم (٢٢).

(٦٣١) صحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، فقد أحاله على حديث سعد رضي الله تعالى عنه.

وهي تضرب، ثم دخل عمر رضي الله تعالى عنه، فألقت الدُّفَّ تحت إستها، ثم قعدت عليه.

فقال رسول الله ﷺ: (إن الشيطان ليخاف منك يا عمر. إني كنتُ جالساً وهي تضرب، فدخل أبو بكر وهي تضرب، ثم دخل عليٌّ وهي تضرب، ثم دخل عثمان وهي تضرب، فلما دخلتَ أنت يا عمر، ألقت الدُّف). رواه ابن أبي شيبة وأحمد وابن أبي عاصم والبيهقي، وصحّحه الترمذي وابن حبان -مختصراً- والبغوي[٦٣٢].

* وفي حديث السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها -في قصة الحبشية التي كانت تَزْفِن في المسجد، وقد اجتمع الناس عليها- فلما طلع عُمر رضي الله تعالى عنه ارفضَّ الناس عنها. فقال رسول الله ﷺ: (إني لأنظر إلى شياطين الإنس والجن قد فرُّوا من عمر) رضي الله تعالى عنه. صححه الترمذي والبغوي[٦٣٣].

وهذان الحديثان كانا قبل ضرب الحجاب، فتنبه.

١٠- فيهم رضي الله تعالى عنهم من تستحيي منه الملائكة:

ومن فضائل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم أن فيهم

---

(٦٣٢) مصنف ابن أبي شيبة (١٢: ٢٩) ومسند أحمد (٥: ٣٥٣) وفضائل الصحابة له (١: ٣٣٣، ٣٩٢) والسنة (٢: ٨٣٩-٨٤٠) وسنن الترمذي: كتاب المناقب: باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، رقم (٣٦٩٠) وصحيح ابن حبان (١٥: ٣١٥) والسنن الكبرى (١٠: ٧٧) ومصابيح السنة (٤: ١٥٨- ١٥٩).

(٦٣٣) سنن الترمذي: كتاب المناقب: باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، رقم (٣٦٩١) ومصابيح السنة (٤: ١٥٩).

من تستحيي منه الملائكة.

* فعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان رسول الله ﷺ مضطجعاً في بيتي، كاشفاً عن فخذيه -أو ساقيه- فاستأذن أبو بكر -رضي الله تعالى عنه- فأَذن له، وهو على تلك الحال، فتحدَّث. ثم استأذن عمر -رضي الله تعالى عنه- فأذن له، وهو كذلك، فتحدّث. ثم استأذن عثمان -رضي الله تعالى عنه- فجلس رسولُ الله ﷺ، وسوّى ثيابه (قال محمد -يعني ابن حرملة- أحد رواة السند: ولا أقول ذلك في يوم واحد) فدخل، فتحدّث. فلما خرج قالت عائشة -رضي الله تعالى عنها-: دخل أبو بكر، فلم تَهْتَشَّ له و لم تُباله. ثم دخل عمر فلم تَهتَشَّ له و لم تُباله. ثم دخل عثمان فجلستَ وسوَّيتَ ثيابك؟

فقال: (ألا أستحي مِن رجلٍ تستحي منه الملائكة؟). رواه مسلم(٦٣٤).

وقولها: كاشفاً عن فخذيه أو ساقيه: هكذا بالشك، وقد جاء من طرق عنه ﷺ أن الفخذ عورة، لذا يحمل الشك هنا على المجزوم به.

١١- فيهم رضي الله تعالى عنهم من شهد له رسول الله ﷺ أنه يحبه الله تعالى ورسوله ﷺ وهو يحب الله ورسولَه:

ومن فضائل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم: أن فيهم من شهد له رسول الله ﷺ بأنه يحب الله تعالى ورسولَه ﷺ، ويحبه الله تعالى ورسولُه.

* فعن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنهما، أن رسول الله ﷺ قال

(٦٣٤) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، رقم (٢٦).

يوم خيبرَ: (لأُعطينَّ هذه الرايةَ رجلاً يفتح الله على يديه، يحبُّ الله ورسولَه، ويحبُّه الله ورسولُه) قال: فبات الناسُ يدوكون ليلتَهم أيُّهم يُعطاها. قال: فلما أصبح الناسُ، غدَوا على رسول الله ﷺ، كلهم يرجون أن يُعطاها.

فقال: (أين عليُّ بنُ أبي طالب؟) فقالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينَيه. قال: (فأرسلوا إليه) فأُتِي به. فبصق رسولُ الله ﷺ في عينيه، ودعا له بالخير، حتى كأن لم يكن به وَجَعٌ. فأعطاه الراية.

فقال عليٌّ رضي الله تعالى عنه: يا رسول الله؛ أقاتلهم حتى يكونوا مثلَنا؟ فقال: (انفُذْ على رِسْلك، حتى تنـزلَ بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهديَ الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمْرِ النَّعَم). متفق عليه(٦٣٥).

* وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يوم خيبر يقول: (لأُعطين الرايةَ رجلاً يحبُّ الله ورسولَه، ويحبُّه الله ورسولُه) قال: فتطاولنا لها. فقال: (ادعوا لي عليّاً) فأُتِيَ به أرمد، فبصق في عينيه. ودفع الراية له. ففتح الله عليه. رواه مسلم(٦٣٦).

* وعن سلمة بن الأكوع رضي الله تعالى عنه قال: كان عليٌّ -رضي الله تعالى عنه- قد تخلّف عن النبيِّ ﷺ في خيبر، وكان به رمَدٌ. فقال: أنا

---

(٦٣٥) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة: باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، رقم (٣٤).

(٦٣٦) صحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (٣٢).

أتخلّف عن رسول الله ﷺ ! فخرج عليٌّ، فلحق بالنبي ﷺ. فلما كان مساء الليلة التي فتحها الله في صباحها، قال رسول الله ﷺ: (لأعطين الرايةَ -أو ليأخذنَّ الرايةَ- غداً رجلاً يحبُّه الله ورسولُه -أو قال: يحبُّ الله ورسولَه- يفتح الله عليه) فإذا نحن بعليٍّ وما نرجوه. فقالوا: هذا علي. فأعطاه رسول الله ﷺ الراية، ففتح الله عليه. متفق عليه(٦٣٧).

* وقد رواه مسلم(٦٣٨) بنحوه، من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، وفيه كيفية دعائهم قبل قتالهم.

١٢- فيهم رضي الله تعالى عنهم من فداه رسول الله ﷺ بأبيه وأمه:

ومن فضائل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم: أن فيهم من جمع له رسول الله ﷺ بين أبويه، ففداه بهما.

* فعن عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال: ما جمع رسول الله ﷺ أبويه لأحد، غير سعد بن مالك [ابن أبي وقاص] فإنه يقول يوم أُحُد: (ارم، فداك أبي وأمي). متفق عليه(٦٣٩).

* وفي رواية للبخاري عنه رضي الله تعالى عنه قال: ما سمعتُ النبيَّ ﷺ

(٦٣٧) صحيح البخاري: في الكتاب والباب السابقين، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (٣٥).

(٦٣٨) صحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (٣٣).

(٦٣٩) صحيح البخاري: كتاب الأدب: باب قول الرجل: فداك أبي وأمي، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب في فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه، رقم (٤١).

جمع أبويه لأحد، إلاّ لسعد بن مالك. فإني سمعتُه يقول يومَ أُحُدٍ: (يا سعد؛ ارم، فداك أبي وأمي).

* وعن سعد رضي الله تعالى عنه قال: لقد جمع لي رسول الله ﷺ أبويه يومَ أحد). متفق عليه[٦٤٠].

* وفي رواية للبخاري[٦٤١] عنه رضي الله تعالى عنه قال: نثل لي النبيُّ ﷺ كنانتَه يوم أحُدٍ، فقال: (ارم، فداك أبي وأمي).

* وفي رواية لمسلم[٦٤٢] عنه رضي الله تعالى عنه، أن النبيَّ ﷺ جمع له أبويه يومَ أُحُدٍ. قال: كان رجلٌ من المشركين قد أحرق المسلمين. فقال له النبيُّ ﷺ: (ارم، فداك أبي وأمي) قال: فنزعتُ له بسهم ليس فيه نصل. فأصبتُ جنبَه. فسقط. فانكشفت عورته. فضحك رسول الله ﷺ حتى نظرتُ إلى نواجذه.

قلت: وحصر عليٍّ رضي الله تعالى عنه، محمول على أحد أمرين: إما أنه لم يطّلع على غير ذلك، أو أن يكون أراد يوم أحد، لأن النبي المصطفى الكريم ﷺ قال ذلك لغير سعد رضي الله تعالى عنه.

وضحك رسول الله ﷺ إنما هو لقتل المشرك الذي أحرق المسلمين، وليس لانكشاف عورته، فتنبه.

---

(٦٤٠) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة: باب مناقب سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه. وصحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (٤٢).

(٦٤١) صحيح البخاري: كتاب المغازي: باب ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾.

(٦٤٢) صحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، نفس الرقم.

* عن عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما قال: كنتُ يومَ الأحزاب جُعلتُ أنا وعُمر بن أبي سلمة في النساء [في أطم حسان، فكان يُطأطئُ لي مرةً فأنظر، وأُطأطئ له مرةً فينظر] فإذا أنا بالزبير على فرسه يختلف إلى بني قريظة، مرتين أو ثلاثاً. فلما رجعتُ. قلت: يا أبت؛ رأيتُك تختلف؟ قال: أَوَ هل رأيتَني يا بُني؟ قلت: نعم. قال: كان رسول الله ﷺ قال: (من يأت بني قريظة فيأتيني بخبرهم؟) فانطلقتُ. فلما رجعتُ جمع لي رسول الله ﷺ أبويه، فقال: (فداك أبي وأمي). متفق عليه(٦٤٣).

* وعن الزبير بن العوام رضي الله تعالى عنه قال: جمع لي رسول الله ﷺ أبويه يوم أحد. رواه أحمد والنسائي وابن ماجه وأبو يعلى والضياء بإسناد صحيح(٦٤٤).

قلت: إن صح يكون النبي المصطفى الكريم ﷺ قد قال ذلك يوم أحد لسعد والزبير رضي الله تعالى عنهما، وأن عليّاً رضي الله تعالى عنه لم يسمع ما قيل للزبير، والله تعالى أعلم.

١٣ - فيهم رضي الله تعالى عنهم أمين هذه الأمة:

ومن فضائل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم: أن فيهم أمين هذه

(٦٤٣) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة: باب مناقب الزبير بن العوام رضي الله تعالى عنه. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل طلحة والزبير رضي الله تعالى عنهما، رقم (٤٩).

(٦٤٤) مسند أحمد (١: ١٦٤) وفضائل الصحابة (٢: ٧٣٥) وعمل اليوم والليلة (٢٢٦ رقم ٢٠٠) وسنن ابن ماجه: المقدمة: فضل الزبير رضي الله تعالى عنه، رقم (١٢٣) ومسند أبي يعلى (٢: ٣٥ رقم ٦٧٢) والأحاديث المختارة (٣: ٨٥ رقم ٨٩٣).

الأمة، ذلك أن لكل أمة أميناً، وأمينُ هذه الأمة هو أحد الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم. وهو أبو عُبيدة بن الجرّاح رضي الله تعالى عنه.

* عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن لكل أمّة أميناً، وإن أمينَنا أيتها الأمةُ: أبو عُبيدة بن الجراح). متفق عليه[645].

* وفي رواية لمسلم[646] عنه رضي الله تعالى عنه، أن أهلَ اليمن قدموا على رسول الله ﷺ، فقالوا: ابعث معنا رجلاً يعلمنا السُّنَّةَ والإسلام. قال -فأخذ بيد أبي عُبيدة- فقال: (هذا أمينُ هذه الأمة).

* وعن حُذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنهما قال: جاء أهلُ نجران إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله؛ ابعث إلينا رجلاً أميناً. فقال: (لأبعثَنَّ إليكم رجلاً أميناً حقَّ أمين) قال: فاستشرف لها الناسُ. قال: فبعث أبا عُبيدة بن الجراح رضي الله تعالى عنه. متفق عليه[647].

* وفي رواية للبخاري[648] عنه رضي الله تعالى عنه قال: جاء العاقب والسيِّدُ -صاحبا نجران- إلى رسول الله ﷺ، يريدان أن يلاعناه. قال: فقال أحدُهما لصاحبه: لا تفعل، فوالله لئن كان نبيّاً فلاعَنَنا لا نفلح نحن ولا عقبُنا

(645) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة: باب مناقب أبي عُبيدة بن الجراح رضي الله تعالى عنه، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل أبي عُبيدة بن الجراح رضي الله تعالى عنه، رقم (53).

(646) صحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (54).

(647) صحيح البخاري كتاب المغازي: باب قصة أهل نجران، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (55).

(648) صحيح البخاري: في الكتاب والباب السابقين.

من بعدنا، قالا: إنا نعطيك ما سألتنا، وابعث معنا رجلاً أمينا، ولا تبعث معنا إلاّ أميناً. فقال: (لأبعثنَّ معكم رجلاً أميناً حقَّ أمين) فاستشرف له أصحابُ رسول الله ﷺ. فقال: (قم يا أبا عُبيدة) فلما قام، قال رسول الله ﷺ: (هذا أمينُ هذه الأمة).

* وقد ورد نحو ذلك من حديث عُمَر وابن عُمَر وخالد بن الوليد وعبد الله بن مسعود،... رضي الله تعالى عنهم.

١٤- فيهم رضي الله تعالى عنهم من سماه رسول الله ﷺ سيف الله:

ومن فضائل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم: أن فيهم من سماه رسول الله ﷺ سيف الله، وصار علَماً عليه، حتى اشتهر هذا الوصف له عند المسلمين وعند الأعداء.

* فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ نعى زيداً وجعفراً وابنَ رواحة للناس قبل أن يأتيَهم خبرُهم، فقال: (أخذ الرايةَ زيدٌ فأصيب، ثم أخذ جعفرٌ فأصيب، ثم أخذ ابنُ رواحةَ فأصيب -وعيناه تذرفان- ثم أخذها خالد بنُ الوليد سيفٌ من سيوف الله [من غير إمرةٍ] حتى فتح الله عليهم). رواه البخاري(٦٤٩).

* وعن عبد الله بن جعفر رضي الله تعالى عنهما قال: بعث رسول الله ﷺ جيشاً، واستعمل عليهم زيدَ بنَ حارثة، وقال: (إن قُتل زيدٌ -أو

(٦٤٩) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة: باب مناقب خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه، وفي غيرها.

استشهد- فأميرُكم جعفر بن أبي طالب، فإن قُتل-أو استُشهد-فأميرُكم عبدُ الله بن رواحة).

فلقوا العدوَّ، فأخذ الرايةَ زيدٌ، فقاتل حتى قُتل. ثم أخذ الرايةَ جعفرٌ، فقاتل حتى قُتل. ثم أخذ الراية عبدُ الله بنُ رواحة، فقاتل حتى قُتل. ثم أخذ الرايةَ خالدُ بنُ الوليد، ففتح الله عليه. وأتى خبرهم النبيّ ﷺ.

فخرج إلى الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: (إن إخوانكم لقوا العدوَّ، فأخذ الرايةَ زيدُ بن حارثةَ، فقاتل حتى قُتل -أو استشهد- ثم أخذ الرايةَ جعفر، فقاتل حتى قُتل -أو استُشهد- ثم أخذ الرايةَ عبدُ الله بنُ رواحة، فقاتل حتى قُتل -أو استُشهد- ثم أخذ الرايةَ سيفٌ من سيوف الله؛ خالدُ بنُ الوليد، ففتح الله عليه)... الحديث بطوله، رواه أحمد والنسائي وابن سعد والطبراني برجال الصحيح، ورواه الحاكم مختصراً وصححه وأقره الذهبي، وصححه الحافظ[٦٥٠].

ورواه أحمد وابن أبي شيبة والنسائي والطحاوي والبيهقي وابن حبان من حديث أبي قتادة الأنصاري رضي الله تعالى عنه[٦٥١] ورواه آخرون مختصراً.

* وعن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله تعالى عنه قال: شكى عبدُ

---

(٦٥٠) الطبقات الكبرى (٤: ٣٦-٣٧) ومسند أحمد (١: ٢٠٤) والسنن الكبرى (٥: ١٨٠-١٨١) والمعجم الكبير (٢: ١٠٤-١٠٥) والمستدرك (٣: ٢٩٨) ومجمع الزوائد (٦: ١٥٦-١٥٧) وفتح الباري (٧: ٥١١).

(٦٥١) مصنف ابن أبي شيبة (١٤: ٥١٢) ومسند أحمد (٥: ٢٩٩، ٣٠٠-٣٠١) وفضائل الصحابة للنسائي، رقم (٥٦، ١٤٥، ١٧٧) وشرح مشكل الآثار (١٣: ١٦٦-١٦٧) وصحيح ابن حبان (١٥: ٥٢٢-٥٢٣) ودلائل النبوة (٤: ٣٦٧-٣٦٨).

الرحمن ابنُ عوف خالدَ بنَ الوليد إلى رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: (يا خالد؛ لِمَ تؤذي رجلاً من أهل بدر؟ لو أنفقتَ مثل أُحُدٍ ذهباً لم تُدرك عملَه) فقال: يا رسول الله، يقعون فيَّ، فأردُّ عليهم.

فقال رسول الله ﷺ: (لا تُؤذوا خالداً، فإنه سيفٌ من سيوف الله صبَّه الله على الكفّار). رواه عبد الله بن أحمد والبزار والطبراني برجال ثقات، وصححه ابن حبان والحاكم(٦٥٢).

وقد عُرف بهذا الوصف عند الصحابة رضي الله تعالى عنهم أيضاً.

* فعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه في قصة ذي الخويصرة، وما قاله للنبي الكريم ﷺ عند تقسيم الذُّهيبة التي أرسلها عليٌّ رضي الله تعالى عنه من اليمن، وفيه: فقام إليه عمرُ بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فقال: يا رسول الله؛ ألا أضربُ عنقه؟ قال: (لا) قال: ثم أدبر فقام إليه خالد -سيف الله- فقال: يا رسول الله؛ ألا أضربُ عنقه؟ قال: (لا). متفق عليه(٦٥٣). وللحديث روايات أخرى متعددة.

---

(٦٥٢) فضائل الصحابة (١: ٥٦، ٥٧) والمعجم الكبير (٤: ١٢١) والمعجم الصغير (١: ٣٤٨) والبحر الزخار (٨: ٢٩٣-٢٩٤) وكشف الأستار (٣: ٢١١، ٢٦٦) وتاريخ بغداد (١٢: ١٤٩-١٥٠) وصحيح ابن حبان (١٥: ٥٦٥-٥٦٦) والمستدرك (٣: ٢٩٨) ومجمع الزوائد (٩: ٣٤٩).

(٦٥٣) صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء: باب علامات النبوة في الإسلام، وفي غيرهما. حيث رواه في فضائل القرآن، والأدب، واستتابة المرتدين، في أبواب عدة فيها. وصحيح مسلم: كتاب الزكاة: باب ذكر الخوارج، رقم (١٤٥).

١٥- فيهم رضي الله عنهم من يُشهده رسول الله ﷺ وهو غير موجود:

ومن فضائل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم: أن فيهم من أخبر رسول الله ﷺ عنهم أنهم يؤمنون بما ذَكَر، وهم غير حاضرين.

* فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: صلّى رسول الله ﷺ صلاةَ الصبح، ثم أقبل على الناس فقال: (بينا رجلٌ يسوق بقرةً [وفي رواية: قد حمل عليها] إذ ركبها، فضربها [وفي رواية: التفتَت إليه] فقالت: إنّا لم نُخلق لهذا، إنما خُلقنا للحرث) فقال الناسُ: سبحان الله، بقرةٌ تكلّم؟ فقال رسول الله ﷺ: (فإني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر) وما هما ثَمَّ.

(وبينما رجلٌ في غنمه، إذ عدا [عليه] الذئبُ، فذهب منها بشاةٍ، فطلبه حتى كأنه استنقذها منه. فقال له الذئبُ: هذا استنقذها مني ! فمن لها يوم السَّبُع، يوم لا راعيَ لها غيري؟) فقال الناس: سبحان الله، ذئبٌ يتكلّم؟ فقال رسول الله ﷺ: (فإني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر) وما هم ثَمَ. متفق عليه، واللفظ للبخاري(٦٥٤).

١٦- فيهم رضي الله عنهم من أُعطي مزماراً من مزامير داود عليه السلام:

ومن فضائل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم: أن فيهم من أعطاه الله تعالى صوتاً حسناً يؤثّر في المستمع، لأنه أُعطي مزماراً من مزامير داود عليه السلام.

(٦٥٤) صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء: باب (٥٤) حدَّثنا أبو اليمان، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل أبي بكر رضي الله تعالى عنه، رقم (١٣).

* عن بُريدة بن الحُصَيْب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن عبدَ الله بنَ قيس -أو الأشعري- أُعطي مزماراً من مزامير آل داود). رواه مسلم(٦٥٥).

* وعن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ لأبي موسى: (لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة، لقد أُوتيتَ مزماراً من مزامير آل داود). متفق عليه، واللفظ لمسلم(٦٥٦).

* وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: دخل رسول الله ﷺ المسجد، فسمع قراءةَ رجل، فقال: (مَن هذا؟) قيل: عبدَ الله بنَ قيس [هو أبو موسى الأشعري] فقال: (لقد أُوتِي هذا من مزامير آل داود). رواه ابن سعد وابن أبي شيبة وأحمد والدارمي والنسائي وابن ماجه والطبراني والطحاوي بإسناد صحيح، وصححه ابن حبان(٦٥٧).

* كما ورد بنحوه عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

---

(٦٥٥) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين: باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن، رقم (٢٣٥).

(٦٥٦) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن: باب حسن الصوت بالقراءة. وصحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (٢٣٦).

(٦٥٧) الطبقات الكبرى (٤: ١٠٧) ومصنف ابن أبي شيبة (١٠: ٤٦٣) ومسند أحمد (٢: ٣٥٤، ٣٦٩، ٤٥٠) وسنن الدارمي (٣: ٣٤٠) وسنن النسائي: كتاب الافتتاح: باب تزيين القرآن بالصوت (٢: ١٨٠) والسنن الكبرى له (١: ٣٤٨-٣٤٩) وسنن ابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة: باب في حسن الصوت بالقرآن، رقم (١٣٤١) وشرح مشكل الآثار (٣: ١٩٩) والمعجم الأوسط (٣: ١٢٤) وصحيح ابن حبان (١٦: ١٦٨) وشرح السنة (٤: ٤٨٨).

١٧ - فيهم رضي الله تعالى عنهم مستجاب الدعوة:

ومن فضائل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم: أن فيهم من دعا له رسول الله ﷺ باستجابة الدعوة، فاستجاب الله تعالى دعوةَ نبيِّه الكريم ﷺ فيه، فصار إذا دعا استجاب الله تعالى له، حتى عُرف بذلك، وهذا باب واسع، أقتصر على ذكر صحابيين كريمين رضي الله تعالى عنهما للتنبيه.

* فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال: سمعني النبيُّ ﷺ وأنا أدعو، فقال: (اللهم استجب له إذا دعاك).

وفي رواية قال ﷺ: (اللهم سدِّد رميَّته، وأجب دعوته). رواه البزار، وابن أبي عاصم، وصححه ابن حبان والحاكم وأقره الذهبي، والترمذي والبغوي والضياء في المختارة[٦٥٨].

وقد عُرف رضي الله تعالى عنه بذلك، حتى صار كبارُ الصحابة يتقون دعوته[٦٥٩] وأقتصر على حادثتين فيهما استجابة دعوته رضي الله تعالى عنه.

* فعن عامر بن سعد رضي الله تعالى عنهما قال: بينما سعد رضي الله

---

(٦٥٨) السنة (٢: ٩٣٥) وفضائل الصحابة (٢: ٧٥٠) وسنن الترمذي: كتاب المناقب: باب مناقب سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه، رقم (٣٧٥١) والبحر الزخار (٤: ٥٠، ٥٤) وحلية الأولياء (١: ٩٣) ومعرفة الصحابة (١: ٤٠٩) وصحيح ابن حبان (١٥: ٤٥٠) والمستدرك (٣: ٢٦، ٤٩٩) ومصابيح السنة (٤: ١٨٢) وشرح السنة (١٤: ١٢٤-١٢٥) والأحاديث المختارة (٣: ٢٣٢) وكشف الأستار (٢: ٢٠٧، ٣٢٣-٣٢٤) ومجمع الزوائد (٩: ١٥٣) ومختصر زوائد البزار (٢: ٣٢٥).

(٦٥٩) انظر: مجابو الدعوة (٦٩-٧٣) والمعجم الكبير (١: ١٠١-١٠٤) والمستدرك (٣: ٤٩٩-٥٠١) ومجمع الزوائد (٩: ١٥٣-١٥٤).

تعالى عنه يمشي، إذ مرَّ برجل وهو يشتم عليّاً وطلحةَ والزّبير. فقال له سعد: إنك تشتم قوماً قد سبق لهم من الله ما سبق، فوالله لتكفَّن عن شتمهم، أو لأدعونَّ الله عز وجل عليك. فقال: تخوِّفني كأنك نبي؟.

فقال سعد رضي الله تعالى عنه: اللهم إن هذا يشتم أقواماً سبق لهم منك ما سبق، فاجعله اليوم نكالاً. فجاءت بختية، فأفرج الناس لها، فتخبطته. فرأيت الناس يتبعون سعداً، ويقولون: استجاب الله لك يا أبا إسحاق. رواه الطبراني برجال الصحيح(٦٦٠).

* وعن جابر بن سمُرة رضي الله تعالى عنهما قال: شكا أهلُ الكوفة سعداً إلى عمر رضي الله تعالى عنهما، فعزله، واستعمل عليهم عمّاراً -رضي الله تعالى عنه- فشكَوا، حتى ذكروا أنه لا يُحسن يصلّي، فأرسل إليه، فقال: يا أبا إسحاق، إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلّي.

قال أبو إسحق: أمّا أنا -والله- فإني كنتُ أصلّي بهم صلاةَ رسول الله ﷺ، ما أخرم عنها. أصلّي العِشاءَ، فأركُدُ في الأولين، وأخفُّ في الأخرين.

قال: ذاك الظن بك يا أبا إسحاق. فأرسل معه رجلاً-أو رجالاً-إلى الكوفة، فسأل عنه أهلَ الكوفة، و لم يدَع مسجداً إلاّ سأل عنه، ويُثنون عليه معروفاً، حتى دخل مسجداً لبني عَبْس، فقام رجل منهم يقال له: أسامةُ ابنُ قتادة يُكْنى أبا سَعدة قال: أما إذ نشدتَنا؛ فإن سعداً كان لا يسير بالسَّريّة، ولا يقسم بالسَّويّة، ولا يعدل في القضية.

قال سعد -رضي الله تعالى عنه-: أما والله لأدْعُوَنَّ بثلاث؛ اللهم إن كان

(٦٦٠) المعجم الكبير (١: ١٠٢) ومجمع الزوائد (٩: ١٥٤).

عبدُك هذا كاذباً قام رياءً وسمعةً، فأطِل عمُرَه، وأطل فقرَه، وعرِّضه للفتن.

قال: وكان بعدُ إذا سُئل يقول: شيخٌ كبير مفتون أصابتني دعوة سعد.

قال عبد الملك [بن عُمير، الراوي عن جابر بن سمُرة رضي الله تعالى عنهما]: فأنا رأيته بعدُ، قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، وإنه ليتعرَّض للجواري في الطريق يغمزهن. رواه البخاري، وروى مسلم(٦٦١) أولَه إلى قوله: ذاك الظن بك يا أبا إسحاق.

* وعن عروة بن الزبير رضي الله تعالى عنهما -أن أروى بنت أويس ادّعت على سعيد بن زيد رضي الله تعالى عنه أنه أخذ شيئاً من أرضها. فخاصمته إلى مروان بن الحكم [وكان والياً في المدينة] فقال سعيد رضي الله تعالى عنه: أنا كنتُ آخذ من أرضها شيئاً بعد الذي سمعتُ من رسول الله ﷺ؟

قال [مروان]: وما سمعتَ من رسول الله ﷺ؟

قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (من أخذ شبراً من الأرض ظلماً؛ طُوِّقه [يومَ القيامة] إلى سبع أرضين).

فقال له مروان: لا أسألك بيِّنةً بعد هذا.

فقال [سعيد]: اللهم إن كانت كاذبةً؛ فعَمِّ بصرَها، واقتلها في أرضها.

قال [عروة] فما ماتت حتى ذهب بصرُها، ثم بينا هي تمشي في أرضها إذ وقعت في حفرة، فماتت. متفق عليه، واللفظ لمسلم(٦٦٢). وللحديث طرق أخرى.

---

(٦٦١) صحيح البخاري: كتاب الأذان: باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها. وصحيح مسلم: كتاب الصلاة: باب القراءة في الظهر والعصر، رقم (١٥٨-١٥٩).

(٦٦٢) صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق: باب ما جاء في سبع أرضين، وفي غيرهما. وصحيح =

* وفي رواية ثانية عند مسلم[٦٦٣] عن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهم، عن سعيد بن زيد، أن أروى خاصمته في بعض داره، فقال: دعوها وإياها، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من أخذ شبراً من الأرض بغير حقه؛ طُوِّقه في سبع أرضين يوم القيامة) اللهم إن كانت كاذبة، فأعم بصرَها، واجعل قبرها في دارها.

قال محمد: فرأيتها عمياء تلتمس الجُدُر، تقول: أصابتني دعوة سعيد ابن زيد.

فبينما هي تمشي في الدار، مرت على بئر في الدار، فوقعت فيها، فكانت برَها.

لما ادعت باطلاً أنه غصبها أرضها وأنه ظلمها: تبيّن لَمّا جاء السيل، وكشف منار الأرض، أنها هي الظالمة، والآخذة من أرضه، لا العكس[٦٦٤].

لذا صارت مضرب المثل: يقولون فيمن يدعون عليه: عمى أروى.

١٨ - فيهم رضي الله تعالى عنهم من أمر رسول بالأخذ بسنته وهديه:

ومن فضائل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم: أن فيهم من أمر رسولُ الله ﷺ بالاقتداء بسنتهم، كما أمر بالاهتداء بهدي بعضهم.

* فعن العرباض بن سارية رضي الله تعالى عنه قال: صلّى بنا رسول الله ﷺ الصبحَ، فوعظَنا موعظةً بليغةً، ذرَفت منها العيون، ووجلت منها القلوب.

فقال قائل: يا رسول الله؛ كأنها موعظةُ موَدِّع، فأوصنا.

فقال: (أُوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن كان عبداً حبشيّاً،

= مسلم: كتاب المساقاة: باب تحريم الظلم وغصب الأرض وغيرها، رقم(١٣٩).

(٦٦٣) صحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (١٣٨).

(٦٦٤) انظر فتح الباري (٥: ١٠٤) لبيان الروايات في ذلك.

فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، فتمسَّكوا بها، وعضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كلَّ مُحدثَة بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ). رواه أحمد والدارمي وأبو داود وابن ماجه والبيهقي في المدخل والطحاوي والآجري، وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم من طرق عدة، وأقره الذهبي(٦٦٥).

* وعن حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (اقتدوا باللَّذَين من بعدي؛ أبي بكر وعمر، واهتدوا بهدي عمّار، وتمسكوا بعهد ابن أم عبد) رضي الله تعالى عنهم. رواه الحميدي وابن سعد وابن أبي شيبة وأحمد والفسوي وابن أبي عاصم، والترمذي وحسنه، وابن ماجه والطحاوي، والحاكم وصححه وأقره الذهبي، وابن حبان والطحاوي والبغوي في آخرين(٦٦٦). ورواه بعضهم مختصراً.

---

(٦٦٥) مسند أحمد (٤: ١٢٦، ١٢٧) وسنن الدارمي (١: ٤٣-٤٤ رقم ٩٦) وسنن أبي داود: كتاب السنة: باب في لزوم السنة، رقم (٤٦٠٧) وسنن الترمذي: كتاب العلم: باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، رقم (٢٦٧٦) وسنن ابن ماجه: المقدمة: باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، رقم (٤٢-٤٤) والشريعة (١: ١٧١، ١٧٢) وشرح مشكل الآثار (٣: ٢٢١-٢٢٤) والسنة (٢: ٧٠-٧٢) والمعجم الكبير (١٨: ٢٤٥-٢٤٩، ٢٥٧ من طرق) ومسند الشاميين (٣: ١٧٢-١٧٣) وشرح السنة (١: ٢٠٥) وحلية الأولياء (٥: ٢٢٠-٢٢١) (١٠: ١١٤، ١١٥) وصحيح ابن حبان (١: ١٧٨-١٧٩) والمستدرك (١: ٩٥-٩٧من طرق) والسنن الكبرى (١٠: ١١٤) والمدخل إلى السنن الكبرى (١١٥، ١١٦) ودلائل النبوة (٦: ٥٤١).

(٦٦٦) مسند الحميدي (١: ٢١٤) والطبقات الكبرى (٢: ٣٣٤) ومصنف ابن أبي شيبة (١٢: ١١) ومسند أحمد (٥: ٣٨٢، ٣٨٥، ٣٩٩، ٤٠٢) وفضائل الصحابة (١: ١٨٦- =

* وعن عَمْرو بن حُريث رضي الله تعالى عنه -في قصة قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه على رسول الله ﷺ سورة النساء- وفي آخره قال رسول الله ﷺ: (رضيتُ لكم ما رضي لكم ابنُ أم عبد). رواه الحاكم وصححه وأقره الذهبي(٦٦٧).

* وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (رضيت لأمتي ما رضيَ لها أبنُ أم عبد). رواه الحاكم وصححه وأقره الذهبي(٦٦٨).

١٩- فيهم رضي الله تعالى عنهم من هو أهل للنبوة لولا انقطاعها:

ومن فضائل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم: أن فيهم من هو أهلٌ للنبوة، لولا استحالة ذلك بكونه ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، وبه ختمت النبوة والرسالة. لقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ

= ١٨٧، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٥٩) وسنن الترمذي: كتاب المناقب: باب مناقب أبي بكر رضي الله تعالى عنه، رقم (٣٦٦٢، ٣٦٦٣) وباب مناقب عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه (١٠: ٢٩٩-٣٠٠) من نسخة تحفة الأحوذي لسقوطه من نسخة إبراهيم عطوة، وسنن ابن ماجه: المقدمة، رقم (٩٧) والمعرفة والتاريخ (١: ١٧٧) والسنة (٢: ٧٧٤، ٧٧٥، ٩٤٥) وشرح مشكل الآثار (٣: ٢٥٦-٢٥٩) وشرح السنة (١٤: ١٠١) وحلية الأولياء (٩: ١٠٩) وصحيح ابن حبان (١٥: ٣٢٧-٣٢٨) والمستدرك (٣: ٧٥) والفقيه والمتفقه (١: ١٧٧) وتاريخ بغداد (١٢: ٢٠) وانظر: جامع بيان العلم (٢: ٢٢٣) والتلخيص الحبير (٤: ١٩٠) وعقود الجواهر المنيفة (١: ٣١) وفيض القدير (٢: ٥٦).

(٦٦٧) المستدرك (٣: ٣١٩).

(٦٦٨) المستدرك (٣: ٣١٧-٣١٨).

وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[٦٦٩].

* عن عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لو كان بعدي نبيٌّ لكان عُمر بن الخطاب) رضي الله تعالى عنه. رواه أحمد والفسوي والترمذي -وحسنه- والطبراني والقطيعي والروياني، وصححه الحاكم وأقره الذهبي، وعزاه الحافظ في الفتح لابن حبان و لم أره فيه[٦٧٠].

٢٠- فيهم رضي الله تعالى عنهم من يغضب الله تعالى لغضبهم:

ومن فضائل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم: أن فيهم من يغضب الله تعالى لغضبهم، وذلك لمكانتهم عند الله تعالى، ورفعة شأنهم عنده. لذا حذّر رسول الله ﷺ من أن يغضبهم أحد، حتى لا يغضب الله تعالى عليهم.

* فعن عائذ بن عَمْرو رضي الله تعالى عنه، أن أبا سفيان أتى على سلمان وصُهيب وبلال في نفر [يعني من فقراء المسلمين] فقالوا: والله، ما أخذت سيوفُ الله من عُنق عدو الله مأخذَها. قال: فقال أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيِّدهم؟

فأتى النبيَّ ﷺ فأخبره. فقال: (يا أبا بكر؛ لعلّك أغضبتَهم. لئن كنتَ أغضبتَهم لقد أغضبتَ ربَّك).

---

(٦٦٩) سورة الأحزاب (٤٠).

(٦٧٠) مسند أحمد (٤: ١٥٤) وفضائل الصحابة (١: ٣٤٦، ٣٥٦، ٤٣٦) والمعرفة والتاريخ (١: ٤٦١) (٢: ٥٠٠) وسنن الترمذي: كتاب المناقب: باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، رقم (٣٦٨٦) والمعجم الكبير (١٧: ٢٩٨، ٣١٠) ومسند الروياني (١: ١٧١، ١٧٤) والمستدرك (٣:٨٥) وانظر مجمع الزوائد (٩:٩٨) وفتح الباري (٧:٥١).

فأتاهم أبو بكر فقال: يا إخوتاه؛ أغضبتُكم؟ قالوا: لا، يغفرُ الله لـك. يا أُخَي. رواه مسلم(٦٧١).

٢١- فيهم رضي الله تعالى عنهم من كانت مَنْزلته كمَنْزلة هارون من موسى عليهما السلام:

ومن فضائل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم: أن فيهم من أَخبر رسولُ الله ﷺ أن مَنْزلته كمَنْزلة هارون من موسى عليهما السلام، إلاّ أنه لا نبيَّ بعد رسول الله ﷺ.

* فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال: خلَّف رسـول الله ﷺ عليَّ بنَ أبي طالب في غزوة تبوك، فقال: يا رسول الله؛ تُخلِّفْني في النساء والصبيان؟ فقال: (أما ترضى أن تكون مني بمَنْزلة هرون من موسى، غير أنه لا نبيَّ بعدي!). متفق عليه(٦٧٢).

* وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ لعليٍّ: (أنتَ مني بمَنْزلة هارون من موسى، إلاّ أنه لا نبيَّ بعدي). رواه أحمد وابن أبي عاصم والبزار وأبو نعيم(٦٧٣). وسنده حسن، وشاهده ما سبق.

(٦٧١) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل سلمان وصُهيب وبلال رضي الله تعالى عنهم، رقم (١٧٠).

(٦٧٢) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة: باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل علي بـن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، رقم (٣٠-٣١).

(٦٧٣) مسند أحمد (٣: ٣٢) والسنة (٢: ٩١٧، ٩١٧-٩١٨) وكشف الأستار (٣: ١٨٥) وحلية الأولياء (٨: ٣٠٧) والشريعة (٣: ٢٠٩) ومجمع الزوائد (٩: ١٠٩).

* وعن أسماء بنت عُميس رضي الله تعالى عنها، أن رسول الله ﷺ قال لعليٍّ رضي الله تعالى عنه: (أنت مني بمَنْزلة هارون من موسى، إلاّ أنه ليس بعدي نبي). رواه ابن أبي شيبة وأحمد وابن أبي عاصم والنسائي والطبراني، بإسناد صحيح(٦٧٤).

٢٢- منهم رضي الله تعالى عنهم من لو أقسم على الله تعالى لأبره:

ومن فضائل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم: أن فيهم من لو أقسم على الله تعالى لأبره -كما قال رسول الله ﷺ- وذكر أن منهم البراء بن مالك رضي الله تعالى عنه.

* فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (كم من ضعيف متضعِّفٍ ذي طِمرين؛ لو أقسم على الله لأبرَّ قسمَه. منهم البراءُ بن مالك).

فإن البراء لقي زحفاً من المشركين، وقد أوجع المشركون في المسلمين، فقالوا: يا براء؛ إن رسول الله ﷺ قال: إنك لو أقسمت على الله لأبرّك. فأقسم على ربّك. فقال: أقسمتُ عليك يا ربّ، لما منحتَنا أكتافَهم. ثم التقوا على قنطرة السوس، فأوجعوا في المسلمين، فقالوا له: يا براء؛ أقسم على ربك. فقال: أقسمتُ عليك يا ربِّ لما منحتنا أكتافهم، وألحقتني بنبيِّك ﷺ.

---

(٦٧٤) مصنف ابن أبي شيبة (١٢: ٦٠-٦١) ومسند أحمد (٦: ٣٦٩، ٤٣٨) وفضائل الصحابة (٢: ٥٩٨، ٦٤٢) والسنة (٢: ٨٩٨) والسنن الكبرى للنسائي (٥: ٤٤-٤٥) خصائص علي (رقم ٦٢-٦٤) والمعجم الكبير (٢٤: ١٤٦-١٤٧من طرق) وتاريخ بغداد (٣: ٤٠٦) (١٠: ٤٣) (١٢: ٣٢٣) ومجمع الزوائد (٩: ١٠٩).

فمنحوا أكتافَهم، وقتل البراء شهيداً رضي الله تعالى عنه. رواه الحاكم ورواه الترمذي -مختصراً- وصححاه(٦٧٥).

٢٣- فيهم رضي الله تعالى عنهم من يدخل من أبواب الجنة الثمانية:

لقد جعل الله تعالى للجنة ثمانية أبواب، وجعل لكل باب منها جزءاً معيناً من المُكرَمين يدخلون منه، لا يدخل غيرهم منه، فالصُّوّام يدخلون من باب الرّيّان، والمجاهدون يدخلون من باب الجهاد، والمصلون يدخلون من باب الصلاة، والمتصدّقون يدخلون من باب الصدقة،... وهكذا.

لكن الله تعالى أكرم الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم بإكرامات وفضائل لا توجد لغيرهم من قَبْلُ ولا من بعد. ومن ذلك أن جعل الله تعالى فيهم من يدخل من أبواب الجنة الثمانية، وهذه لا توجد لغيرهم.

* فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (من أنفق زوجين في سبيل الله، نودي من أبواب الجنة: يا عبد الله؛ هذا خير [وفي رواية عندهما: دعاه خزنةُ الجنة، كلُّ خزنةِ بابٍ: أي فل -يعني يا فلان- هلم].

فمن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة).

---

(٦٧٥) سنن الترمذي: كتاب المناقب: باب مناقب البراء بن مالك رضي الله تعالى عنه، رقم (٣٨٥٤) وحلية الأولياء (١: ٣٥٠) والمستدرك (٣: ٢٩١-٢٩٢) والمختارة (٤: ٤٢٠، ٤٢١) (٧: ٢١٧-٢١٨) وانظر الزهد للإمام أحمد (٢٥) لكن سماه عبدُ الله: (البراء بن معرور).

فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما على من دُعي من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يُدعى أحدٌ من تلك الأبواب كلها؟ فقال رسول الله ﷺ: (نعم، وأرجو أن تكون منهم). متفق عليه(٦٧٦).

هكذا جاء بلفظ (وأرجو) والرجاء من الله تعالى ومن نبيه ﷺ واقع.

* وقد جاء هذا اللفظ -من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما(٦٧٧)- بصيغة الجزم. فقال رسول الله ﷺ: (أجل، أنت هو يا أبا بكر). رواه ابن حبان والطبراني في الكبير والوسط. وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح غير أحمد بن أبي بكر السالمي، وهو ثقة.اهـ.

٢٤- فيهم رضي الله تعالى عنهم المحدَّثون:

المحدَّثون: هم الملهمون، والملْهَم: الذي يُلقى في نفسه شيء فيخبر به حدساً وظنّاً وفراسة، فيقع كما أخبر، وهذا مما يخص الله تعالى به من يشاء من عباده الذين اصطفاهم، أمثال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه.

* فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناسٌ محدَّثون، فإن يكن في أمتي أحد فإنه عمر)

---

(٦٧٦) صحيح البخاري: كتاب الصوم: باب الريان للصائمين، وكتاب الجهاد: باب فضل النفقة في سبيل الله، وفي غيرها. وصحيح مسلم: كتاب الزكاة: باب من جمع الصدقة وأعمال البر، رقم (٨٥-٨٦).

(٦٧٧) صحيح ابن حبان (١٥: ٢٨٢-٢٨٣) والمعجم الكبير (١١: ٩٨) والمعجم الأوسط (١:١٥٤) (٦:١٩٤-١٩٥) ومجمع البحرين (٦:٢٢٤-٢٢٥) ومجمع الزوائد (٩:٤٦).

رضي الله تعالى عنه. وهذا لفظ البخاري[٦٧٨].

* وعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها، عن النبي ﷺ أنه كان يقول: (قد كان يكون في الأمم قبلكم محدَّثون، فإن يكن في أمتي منهم أحد، فإن عمر بن الخطاب منهم). رواه مسلم[٦٧٩].

* وعن علي رضي الله تعالى عنه قال: ما كنا نبعد -أصحاب محمد ﷺ- أن السكينة تنطق على لسان عمر في غضبه ورضاه. رضي الله تعالى عنه. رواه عبد الرزاق وأحمد والفسوي والطبراني وأبو نعيم بأسانيد صحيحة[٦٨٠].

* وقد جاء نحوه عن ابن مسعود وطارق بن شهاب،... رضي الله تعالى عنهم.

ففي هذه الأحاديث بيانُ فضل أمير المؤمنين عمر رضي الله تعالى عنه، وبيان مَنْزلته عند الله تعالى، حيث يُلهمه الحقَّ، ويجري على لسانه الصواب، وينطق بالعدل، واتضح ذلك من كثرة موافقاته للقرآن الكريم، حيث نزل

---

(٦٧٨) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة: باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، وفي غيرهما.

(٦٧٩) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب ومن فضائل عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، رقم (٢٣).

(٦٨٠) مصنف عبد الرزاق (١١: ٢٢٢-٢٢٣) ومسند أحمد (١: ١٠٦) وفضائل الصحابة له (١: ٢٤٩، ٣٣٠، ٣٥٨، ٣٩٥، ٤٠١، ٤١٠، ٤٤٢) والمعرفة والتاريخ (١: ٤٦١-٤٦٢) والمعجم الأوسط (٥: ٣٥٩) وحلية الأولياء (١: ٤٢) (٨: ٢١١) وشرح السنة (١٤: ١٠٦) ودلائل النبوة للبيهقي (٦: ٣٦٩-٣٧٠) ومجمع البحرين (٦: ٢٤٦-٢٤٧) ومجمع الزوائد (٩: ٦٧) والمطالب العالية (٤: ٤٠).

القرآن على وفق ما قال رضي الله تعالى عنه، كما سيأتي بيانه في الفقرة التالية إن شاء الله تعالى.

٢٥- منهم رضي الله تعالى عنهم من نزل القرآن على رأيه:

ومن فضائل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم أن وافقوا ربهم عز وجل فيما أراد، فوافقهم فيما قالوا، فأنزل القرآن الكريم على وفق ما قالوا.

* فعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: وافقت ربي في ثلاث: فقلت: يا رسول الله؛ لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى، فنَزلت ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ وآية الحجاب، قلت: يا رسول الله؛ لو أمرتَ نساءَك أن يحتجبن، فإنه يكلِّمهن البَرُّ والفاجرُ، فنَزلت آيةُ الحجاب، واجتمع نساءُ النبي ﷺ في الغَيْرة عليه، فقلت لهن: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ فنَزلت هذه الآية. رواه البخاري[٦٨١].

* وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال عمر رضي الله تعالى عنه: وافقت ربي في ثلاث، في مقام إبراهيم، وفي الحجاب، وفي أُسارى بدر. رواه مسلم[٦٨٢].

وقوله رضي الله تعالى عنه: وافقت ربي،... معناه: وافقني ربي، فأنزل القرآن على وفق ما رأيت، لكن لرعاية الأدب أسند الموافقة إلى نفسه، أو أشار إلى حدوث رأيه وقِدَم الحُكم.اهـ من الفتح[٦٨٣]، والله تعالى أعلم.

---

(٦٨١) صحيح البخاري: كتاب الصلاة: باب ما جاء في القبلة،... وفي غيرهما.

(٦٨٢) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: الباب السابق، رقم (٢٤).

(٦٨٣) فتح الباري (١: ٥٠٥).

قلت: صارت أربعاً، لكن ليست هذه هي التي وافق فيها عمر رضي الله تعالى عنه ربَّه عز وجل. بل هي أكثر، كتحريم الخمر، ومنع الصلاة على المنافقين، حتى أوصلها بعضُهم إلى خمس عشرة واقعة بالتعيين(٦٨٤)، والله تعالى أعلم.

* ويدل على هذا -ما سبق ذكرُه- قال عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنهما: قال رسول الله ﷺ: (إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه).

قال ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: ما نزل بالناس أمر قط فقالوا فيه، وقال فيه عمر -أو قال ابن الخطاب- إلاّ نزل فيه القرآنُ على نحو ما قال عمر، رضي الله تعالى عنه. رواه أحمد وابن سعد وعبد بن حُميد والفسوي، في آخرين، وصححه الترمذي وابن حبان(٦٨٥).

وهذا دال على كثرة موافقته، رضي الله تعالى عنه، والله تعالى أعلم.

٢٦- فيهم رضي الله عنهم من سلَّم الله تعالى وجبريل عليه السلام عليهم:

ومن فضائل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم: أن نزل جبريل عليه السلام ليطلب من رسول الله ﷺ أن يقرأ السلام على بعض أصحابه الكرام

(٦٨٤) فتح الباري (١: ٥٠٥) ومنهم من أوصلها إلى ثلاثين واقعة، والله تعالى أعلم.

(٦٨٥) الطبقات الكبرى (٢: ٣٣٥) ومسند أحمد (٢: ٥٣، ٩٥) وفضائل الصحابة له (١: ٢٥٠-٢٥١، ٢٩٩) ومسند عبد بن حُميد (٢٤٥رقم ٧٥٨) والمعرفة والتاريخ (١: ٤٦٧) وسنن الترمذي: كتاب المناقب: باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، رقم (٣٦٨٢) والمعجم الأوسط (١: ٩٥) (٣: ٣٣٨) وأخبار أصبهان (٢: ٣٢٧) وصحيح ابن حبان (١٥: ٣١٨) وشرح السنة (١٤: ٨٥) ومصابيح السنة (١: ١٥٦) والتمهيد (٨: ١٠٩) فتح الباري (١: ٥٠٥).

رضي الله تعالى عنهم، سواء كان السلامُ من الله سبحانه وتعالى ينقله جبريل عليه السلام، أو كان السلامُ من جبريل عليه السلام نفسه.

* فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: أتى جبريلُ عليه السلام النبيَّ ﷺ فقال: يا رسول الله؛ هذه خديجة -رضي الله تعالى عنها- قد أتتك، معها إناء فيه إدام -أو طعام، أو شراب- فإذا أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها عز وجل ومني، وبشِّرها ببيت في الجنة، من قصب، لا صخب فيه، ولا نصب). متفق عليه(٦٨٦).

* وعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ يوماً: (يا عائش؛ هذا جبريل -عليه السلام- يُقرئك السلام) فقلت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، تَرى ما لا أرى، تريد رسولَ الله ﷺ. متفق عليه(٦٨٧).

وقد جاء إبلاغ السلام لغيرهما أيضاً، والله تعالى أعلم.

٢٧- فيهم رضي الله تعالى عنهم من اهتز عرش الرحمن لموته:

ومن فضائل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم: أن اهتز عرشُ الرحمن لموت بعضهم، وقد أخبر رسول الله ﷺ به، وخرج بجنازته رضي الله

(٦٨٦) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار: باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها، رقم (٧١).

(٦٨٧) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة: باب فضل عائشة رضي الله عنها، وفي غيرها. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب فضل عائشة رضي الله عنها، رقم (٩٠-٩١).

تعالى عنه، ولا نعلم هذا لأحد سواه، فلا في الأمم السابقة، ولا في هذه الأمة، وهذه مزية له رضي الله تعالى عنه نالها باتّباعه لرسول الله ﷺ.

وقد تواتر هذا الحديث عن رسول الله ﷺ(٦٨٨)، عندما أخبر عن موت سعد بن معاذ رضي الله عنه.

* فعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ) رضي الله تعالى عنه. متفق عليه(٦٨٩).

* وفي رواية لمسلم(٦٩٠) عنه رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ -وجنازة سعد بن معاذ- رضي الله تعالى عنه -بين أيديهم-: (اهتز لها عرش الرحمن).

* وفي رواية لمسلم(٦٩١) عن أنس رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ قال: -وجنازته موضوعة -يعني: سعداً- (اهتز لها عرش الرحمن)، والله تعالى أعلم.

---

(٦٨٨) انظر: الأزهار المتناثرة (٣٩ رقم ١٠٤) وقطف الأزهار المتناثرة (٢٨٨ رقم ١٠٦) ونظم المتناثر (١٢٦رقم ٢٣٨) وإتحاف ذوي الفضائل المشتهرة (١٣٣).

(٦٨٩) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار: باب مناقب سعد بن معاذ رضي الله عنه. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل سعد بن معاذ رضي الله عنه، رقم (١٢٤).

(٦٩٠) صحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (١٢٣).

(٦٩١) صحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (١٢٥).

٢٨- فيهم رضي الله تعالى عنهم من تظلّله الملائكة بأجنحتها:

ومن فضائل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم: أنّ من قُتل منهم فإن الملائكة تظله بأجنحتها، حتى يُرفع من الأرض، ويُدفن.

* فعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: لما قُتل أبي [وفي رواية: جيء بأبي يوم أُحُدٍ قد مُثِّل به، حتى وضع بين يَدَي رسول الله ﷺ، وقد سُجِّي ثوباً] جعلتُ اكشف الثوبَ عن وجهه أبكي، وينهوني، والنبي ﷺ لا ينهاني، فجعلتْ عمتي فاطمة تبكي.

فقال النبيُّ ﷺ: (تبكين أو لا تبكين، ما زالت الملائكة تُظله بأجنحتها حتى رفعتموه). متفق عليه[٦٩٢].

وقوله ﷺ: (تبكين أو لا تبكين) معناه: سواء بكيت عليه أم لا، فما زالت الملائكة تُظلّه بأجنحتها، لحصول هذه الكرامة وغيرها، لذا فمثلُ هذا لا ينبغي البكاء عليه، والله تعالى أعلم.

٢٩- منهم رضي الله تعالى عنهم من تنزل الملائكة والسكينة عليه عند قراءته القرآن:

ومن فضائل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم: أن الملائكةَ الكرام وكذا السكينة، تنزل على بعضهم عند قراءته القرآن الكريم، لتسمع قراءتَه، لجمال صوته، وخشوعه عند قراءته، وهذا ما نبّه عليه النبي الكريم ﷺ.

---

(٦٩٢) صحيح البخاري: كتاب الجهاد: باب قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾. وصحيح مسلم: كتاب الإمارة: باب ثبوت الجنة للشهيد، رقم (١٤٨).

* فعن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف، وعنده فرس مربوط بشَطَنَين، فتغشته سحابة، فجعلت تدور وتدنو، وجعل فرسُه ينفر منها، فلما أصبح أتى النبي ﷺ، فذكر ذلك له، فقال: (تلك السكينة تنزَّلت للقرآن). متفق عليه(٦٩٣).

* وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه، أن أسيد بن حضير رضي الله تعالى عنه بينما هو ليلةً يقرأ في مِرْبده، إذ جالت فرسُه، فقرأ، ثم جالت أخرى، فقرأ، ثم جالت أيضاً. قال أسيد: فخشيت أن تطأ يحيى [يعني ولده كان قريباً من فرسه] فقمتُ إليها، فإذا مثل الظُّلَّة فوق رأسي، فيها أمثالُ السُّرج، عرجت في الجو حتى ما أراها.

قال: فغدوت على رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله؛ بينما أنا البارحة من جوف الليل أقرأُ في مِرْبدي إذ جالت فرسي، فقال رسول الله ﷺ: (اقرأ ابنَ حُضير) قال: فقرأت، ثم جالت أيضاً، فقال رسول الله ﷺ: (اقرأ ابنَ حُضير) قال: فقرأت، ثم جالت أيضاً، فقال رسول الله ﷺ: (اقرأ ابنَ حُضير) قال: فانصرفت، وكان يحيى قريباً منها، خشيت أن تطأه، فرأيتُ مثلَ الظُّلة، فيها أمثالُ السُّرج عرجت في الجو، حتى ما أراها.

فقال رسول الله ﷺ: (تلك الملائكة كانت تستمع لك، ولو قرأتَ لأصبحتْ يراها الناس، ما تستتر عنهم). رواه مسلم.

---

(٦٩٣) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن: باب سورة الكهف، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين: باب نزول السكينة لقراءة القرآن، رقم (٢٤٠-٢٤١).

ورواه البخاري[٦٩٤] -تعليقاً- من حديث أسيد رضي الله تعالى عنه نفسه، والله تعالى أعلم.

٣٠- منهم رضي الله تعالى عنهم من أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يقرأ عليهم القرآن، وسماهم له:

ومن فضائل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم: أن يأمر الله تعالى نبيَّه الكريمَ ﷺ أن يقرأ على بعضهم القرآن، وقد سمّاهم تعالى له بأسمائهم.

وهذه منقبة عزيزة جليلة غالية نادرة، لكنهم رضي الله تعالى عنهم هم أهلٌ لها، لأن الله تعالى هو الذي اصطنعهم واصطفاهم.

* فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ لأُبيِّ بن كعب رضي الله تعالى عنه: (إن الله عز وجل أمرني أن أقرأ عليك ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾[٦٩٥]. قال: وسماني لك؟ قال: (نعم) قال: فبكى. متفق عليه[٦٩٦].

* وفي رواية للبخاري[٦٩٧] عنه رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ قال

---

(٦٩٤) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن: باب نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن. وصحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (٢٤٢) وانظر فتح الباري (٩: ٦٣) وتغليق التعليق (٤: ٣٨٦-٣٨٧) لبيان من وصله.

(٦٩٥) سورة البينة (١).

(٦٩٦) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار: باب مناقب أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين: باب استحباب قراءة القرآن على أهل الفضل والحذاق فيه،... رقم (٢٤٥- ٢٤٦).

(٦٩٧) صحيح البخاري: كتاب التفسير: سورة ﴿لَمْ يَكُنِ﴾.

لأُبي ابن كعب رضي الله تعالى عنه: (إن الله أمرني أن أُقرئك القرآن) قال: آلله سماني لك؟ قال: (نعم) قال: وقد ذُكرتُ عند رب العالمين؟ قال: (نعم) فذرفت عيناه.

وسببُ بكاء أُبيٍّ رضي الله تعالى عنه، إما أن يكون فرحاً وسروراً، حيث ذكره الله عز وجل باسمه في الملأ الأعلى. وإما أن يكون خشوعاً وخوفاً من التقصير في شكر تلك النعمة. وإما أن يكون تواضعاً وهضماً للنفس، حيث لا يرى رضي الله تعالى عنه نفسَه أهلاً أن يذكره الله سبحانه وتعالى باسمه،... والله تعالى أعلم.

وفي كل الأحوال فهو تشريف عظيم، ومقام كريم، وفضل كبير،... أن يخصّه الله تعالى بهذه المنقبة الجليلة، والمزية الرفيعة، والله تعالى يختص بفضله من يشاء، والله تعالى أعلم.

٣١- منهم رضي الله تعالى عنهم من أيده الله تعالى بجبريل عليه السلام:

ومن فضائل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم، وعلو شأنهم عنده، ورفعة مكانتهم لديه: أن الله تعالى يسدِّد من يدافع عن رسول الله ﷺ وعن الإسلام، ويرسل جبريل عليه السلام ليؤيده ويقوّيه في أداء المهمة المنوطة به في نصرة هذا الدِّين.

* عن أبي سلمة بن عبد الرحمن رحمه الله تعالى؛ أنه سمع حسانَ بن ثابت الأنصاريَّ يسأل أبا هريرة رضي الله تعالى عنهما: أنشدك الله؛ هل سمعتَ رسولَ الله ﷺ يقول: (يا حسان؛ أجب عن رسول الله ﷺ، اللهم أيِّدْه

بروح القدس؟) قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه: اللهم نعم. متفق عليه(٦٩٨).

* وعن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول [يوم قريظة] لحسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه: (اهجُهُم -أو هاجهم- وجبريل معك). متفق عليه(٦٩٩).

* وعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول لحسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه: (إن روح القدس لا يزال يؤيدك، ما نافحت عن الله ورسوله -ﷺ-). رواه مسلم(٧٠٠). وأصل الحديث متفق عليه، والله تعالى أعلم.

٣٢- منهم رضي الله تعالى عنهم من يطير في الجنة بجناحيه:

ومن فضائل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم: أن منهم من أبدله الله تعالى بيديه اللتين قُطعتا في الحرب -وهو يحمل اللواء- جناحَين، يطير بهما في الجنة حيث شاء.

وذلك أن سيدنا جعفر بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه لما قُطعت يداه اليمنى ثم اليسرى بعدها، وهو حاملٌ لواءَ المسلمين، وهو قائدهم -يوم

---

(٦٩٨) صحيح البخاري: كتاب الصلاة: باب الشعر في المسجد، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب فضائل حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه، رقم (١٥٢-١٥٢).

(٦٩٩) صحيح البخاري: كتاب بدأ الخلق: باب ذكر الملائكة، وكتاب المغازي: باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب، وفي غيرها. وصحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (١٥٣).

(٧٠٠) صحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (١٥٧).

مؤتة- رضي الله تعالى عنه، فلما قُتل، أبدله الله تعالى بيديه جناحين يطير بهما في الجنة، مع الملائكة حيث شاء، لذا عُرف جعفر بالطيار، رضي الله تعالى عنه وأرضاه.

* فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (مرّ بي جعفر الليلةَ، في ملأ من الملائكة، وهو مخضب الجناحَين بالدم، أبيض الفؤاد). رواه الحاكم وصححه وأقره الذهبي، والحافظ في الفتح(٧٠١).

* وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: بينما رسول الله ﷺ جالس، وأسماءُ بنتُ عُميس قريبة منه، إذ ردَّ السلامَ، فأشار بيده ثم قال: (يا أسماء، هذا جعفر بن أبي طالب مع جبريل وميكائيل [وإسرافيل] مَرُّوا فسلموا علينا، فرُدّي عليهم السلامَ، وقد أخبرني أنه لقي المشركين يوم كذا وكذا -قبل ممرِّه على رسول الله ﷺ بثلاث أو أربع- فقال: لقيت المشركين، فأُصبت في جسدي، من مقاديمي: ثلاثاً وسبعين، بين طعنة ورمية، فأخذتُ اللواءَ بيدي اليمنى، فقُطعت، ثم أخذته بيدي اليسرى فقطعت، فعوَّضني الله من يديَّ جناحين أطير بهما في الجنة، مع جبريل وميكائيل عليهما السلام، [أنزلُ من الجنة حيث شئتُ] وآكل من ثمارها ما شئت). رواه الحاكم والطبراني، وجوَّده الحافظ في الفتح، وحسنه الهيثمي في المجمع(٧٠٢).

* وعن عبد الله بن جعفر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله

(٧٠١) المستدرك (٣: ٢١٢) وفتح الباري (٧: ٧٦).

(٧٠٢) المستدرك (٣: ٢٠٩-٢١٠، ٢١٢) ومجمع الزوائد (٩: ٣٧٢-٣٧٣) ومجمع البحرين (٦: ٣١٩-٣٢٠) وفتح الباري (٧: ٧٦).

ﷺ: (هنيئاً لك يا عبد الله بن جعفر، أبو ك يطير مع الملائكة في السماء). رواه الطبراني بإسناد حسن، كما قال الحافظان الهيثمي وابن حجر(٧٠٣) رحمهما الله تعالى.

وقد اشتُهر كون جعفر رضي الله تعالى عنه بالطيار، وأن له جناحين يطير بهما، من بين الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

فقد كان عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنهما إذا سلم على [عبدالله] ابن جعفر، قال: السلام عليكم يا ابن ذي الجناحين. رواه البخاري(٧٠٤)، والله تعالى أعلم.

٣٣- منهم رضي الله تعالى عنهم من سُمع خشف نعليه في الجنة:

ومن فضائل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم: أن منهم من سمع رسول الله ﷺ صوتَ نعليه في الجنة، عندما دخلها، وهو حي يرزق، وقد اشترك في ذلك الرجالُ والنساء.

* فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ لبلال - رضي الله تعالى عنه- عند صلاة الغداة: (يا بلال؛ حدثني بأرجى عمل عملتَه عندك في الإسلام منفعةً، فإني سمعتُ الليلة خَشْفَ نعليك بين يديَّ في الجنة).

قال بلال رضي الله تعالى عنه: ما عملتُ عملاً في الإسلام أرجى عندي

---

(٧٠٣) مجمع الزوائد (٩: ٣٧٩) وفتح الباري (٧: ٦٧) وانظر كنز العمال (١٠: ٦٦٣-٦٦٥) لروايات عدد من الصحابة الآخرين.

(٧٠٤) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة: باب مناقب جعفر بن أب طالب رضي الله تعالى عنه، وفي غيرهما.

منفعة من أني لا أتطهَّرُ طَهوراً تامّاً في ساعة من ليل أو نهار إلاّ صليتُ بذلك الطَّهور ما كتب الله لي أن أصلي. متفق عليه[٧٠٥].

* وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (رأيتني دخلتُ الجنةَ، فإذا أنا بالرُّمَيصاء امرأةِ أبي طلحة، وسمعت خشفةً، فقلت: من هذا؟ فقال: هذا بلال،...). متفق عليه[٧٠٦].

* ولفظ مسلم: (ثم سمعت خشفةً أمامي، فإذا بلال).

* وعن أنس رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: (دخلتُ الجنةَ، فسمعت خشفةً، فقلت: من هذا؟ قالوا: هذه الغُمَيصاء بنت ملحان، أم أنس بن مالك). رواه مسلم[٧٠٧].

والخشفةُ: حركة المشي وصوته، والله تعالى أعلم.

٣٤- فيهم رضي الله تعالى عنهم من هم خير العالمين:

ومن فضائل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم: أن جعل الله تعالى فيهم من هم خير نساء العالمين مِن قبْلُ ومِن بعدُ- بعد الأنبياء والمرسلين عليهم السلام.

(٧٠٥) صحيح البخاري: كتاب التهجد: باب فضل الطهور في الليل والنهار، وفضل الصلاة بعد الوضوء بالليل. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل بلال رضي الله تعالى عنه، رقم (١٠٨).

(٧٠٦) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة: باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل أم سُليم رضي الله تعالى عنها، رقم (١٠٦).

(٧٠٧) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: الباب السابق، رقم (١٠٥).

* فعن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة بنت خُويلد). متفق عليه(٧٠٨).

* زاد مسلم في روايته قال أبو كريب: وأشار وكيع إلى السماء والأرض.

* قال الإمام الطيبي رحمه الله تعالى(٧٠٩): وإشارة وكيع إلى السماء والأرض منبئةٌ عن كونهما خيراً ممن هو فوق الأرض وتحت أديم السماء،...إلخ.

* وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (حسبك من نساء العالمين [وفي رواية: خير نساء العالمين] مريمُ بنتُ عِمران، وخديجةُ بنت خُويلد، وفاطمةُ بنت محمد ﷺ، وآسيةُ امرأةُ فرعون). رواه عبد الرزاق وأحمد والطحاوي، وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم، وأقره الذهبي(٧١٠).

---

(٧٠٨) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار: باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها، رقم (٦٩).

(٧٠٩) شرح الطيبي (١١: ٣١١) وفتح الباري (٧: ١٣٥).

(٧١٠) مصنف عبد الرزاق (١١: ٤٣٠) ومسند أحمد (٣: ١٣٥) وفضائل الصحابة له (٢: ٧٥٥، ٧٥٨، ٧٦٠). وسنن الترمذي: كتاب المناقب: باب مناقب خديجة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها، رقم (٣٨٧٨) وشرح مشكل الآثار (١: ٥٠) والمعجم الكبير (٢٢: ٤٠٢) (٢٣: ٧) وصحيح ابن حبان (١٥: ٣٠١ -٣٠٢، ٤٦٤) وموارد الظمآن، رقم (٢٢٢٢) والمستدرك (٣: ١٥٧، ١٥٧-١٥٨) وشرح السنة (١٤: ١٥٧) ومصابيح السنة (٤: ٢٠٢) وحلية الأولياء (٢: ٣٤٤).

* وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: خط رسـول الله ﷺ في الأرض خطوطاً أربعة، قال: (أتدرون ما هذا؟) قالوا: الله ورسـوله أعلـم. فقال رسول الله ﷺ: (أفضلُ نساء أهل الجنة: خديجةُ بنت خُويلد، وفاطمـةُ بنت محمد -ﷺ- ومريمُ بنتُ عِمران، وآسيةُ بنتُ مزاحم امرأةُ فرعـون). رواه أحمد والنسائي والطحاوي وأبو يعلى والطبراني، وصححه ابن حبـان والحاكم وأقره الذهبي، وصححه الحافظان الهيثمي وابن حجر(٧١١).

ملحوظة: قد ورد أن الله تعالى زوج رسوله الكريم ﷺ مريم وآسية رضي الله تعالى عنهما في الجنة(٧١٢).

* وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (فضلُ عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعـام). متفـق عليه(٧١٣).

والنصوص في ذلك كثيرة، والحمد لله على فضله وتوفيقه.

---

(٧١١) مسند أحمد (١: ٢٩٣، ٣١٦، ٣٢٢) وفضائل الصحابة له (٢: ٧٦٠-٧٦١) وفضائل الصحابة للنسائي (١٩٦، ١٩٧، ١٩٩-٢٠٠) وشرح مشكل الآثار (١: ٥٠) ومسند أبي يعلى (٥: ١١٠) والمعجم الكبير (١١: ٣٣٦) (٢٢: ٤٠٧) (٢٣: ٧) وصحيح ابن حبان (١٥: ٤٧٠) والمستدرك (٢: ٥٩٤) (٣: ١٦٠، ١٨٥) ومجمع الزوائد (٩: ٢٢٣) وفتح الباري (٧: ١٣٥).

(٧١٢) انظر: المعجم الكبير (٦: ٦٤) (٨: ٣٠٩) (٢٢: ٤٥١-٤٥٢) ومجمـع الزوائـد (٩: ٢١٨) وكنـز العمال (١١: ٤١٤، ٤٢٤) (١٢: ١٣٢).

(٧١٣) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة: باب فضل عائشة رضي الله تعالى عنـها، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب في فضل عائشة رضي الله تعـالى عنها، رقم (٨٩).

وما ذكرته فهو قليل في بيان فضلهم، وعلو مقامهم، ورفعة شأهم، رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، وإلاّ فهناك نصوص كثيرة في بيان فضلهم - سواء من ذكرهم ومن لم أذكرهم- تركتها، لأن القصد هو التنبيه والاختصار، لا التطويل والاستيعاب.

أسأله تعالى أن يمنَّ علينا برضاه، ويرزقنا حسن الظن بهؤلاء الأخيار الكرام رضي الله تعالى عنهم، وأن يحشرنا معهم، تحت لواء سيد الرسل والأنبياء، وفخر الكائنات عليه وآله والصلاة والسلام، إنه قادر عليه، وهو نعم المولى ونعم النصير.

وصلّى الله تعالى وسلّم على سيدنا وحبيبنا ومولانا محمد وعلى آله الطّيّبين الطاهرين وأصحابه الكرام المبجّلين، ومن تبعهم إلى يوم الدِّين.



خاتمة الباب الثاني

وفي ختام هذا الباب، الذي ذكرتُ فيه مكانة الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم في السنة النبوية، فإني أحب أن أذكر فضلهم رضي الله تعالى عنهم ومكانتهم على الإجمال، بما ورد في السنة النبوية:

من خلال الأحاديث النبوية الشريفة التي ذكرتُها أخلص إلى بيان وصف الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم، بما أثنى عليهم رسول الله ﷺ، من وصفهم بكريم الخصال، ومدحهم بجميل الفعال، وإكرامهم بمنح العطايا، وما خصوا بالصفات الكريمة، والمنح الجليلة، والأوصاف الكريمة النبيلة، والأسماء العالية الشريفة، والنعوت السامقة المنيفة.

هم رضي الله تعالى عنهم خير قرون بني آدم من بدء الخليقة إلى نهايتها، وهم أمنةٌ لهذه الأمة، اختارهم الله تعالى ليكونوا صحابةً لرسوله ﷺ، هم كالملح للطعام، ولا يصلح الطعام بدونه، ولا تزال الأمة بخير ما بقي أحدٌ منهم، هم شهداء الله تعالى في أرضه، يُفتح على الجيش إذا كان فيه منهم أحدٌ، لقد شهد لهم رسول الله ﷺ، وأوصى بهم خيراً، وأمر بإكرامهم، والدعاء لهم، والاستغفار لهم، ونهى ﷺ عن سبّهم رضي الله تعالى عنهم.

خصهم الله تعالى بالرؤية والصحبة، فطوبى لهم، فلن يصل أحدٌ إلى درجاتهم وثوابهم، هم في معية رسول الله ﷺ، فلا تمسهم النارُ يوم القيامة.

من شهد منهم بدراً أو الحُدَيْبِيَة فهم أفضلُ الناس، فلا يدخل النارَ منهم أحدٌ أبداً، وتجب لهم الجنة، لأن رسول الله ﷺ أوجب لهم الجنة،...

وفي الصحابة رضي الله تعالى عنهم سادات أهل الجنة، جعل الله تعالى قلوبَهم خيرَ قلوب العباد، وإذا مات صحابيٌّ بأرض بُعث قائداً ونوراً لتلك الأرض، جعل المعذورَ فيهم يشارك غيره في الأجر، ويشارك المجاهدين في الثواب، فيهم من نزلت بسببه آياتٌ تتلى، وجعل تعالى عنايته محيطة بهم، أكرمهم في ساعة الضيق، وأنقذهم في لحظة الشدة، كثر المبشَّرون منهم بالجنة، وخص أوائلهم بمزيد عناية وتكريم، فكانوا رحمةً على الأمة.

كان رسول الله ﷺ سيد المهاجرين، أوقع أجر المهاجرين على الله تعالى، وبيّن ﷺ أن أمر الهجرة شديد، وأنها ذهبت لأهلها، وأن المهاجر خيرُ المسلمين، لأن الهجرة تجبُّ ما قبلها، فهم أول من يدخل الجنة، وأول من يَرِد على الحوض، وأول من يجتاز الصراط، ولهم نور كضوء الشمس يوم القيامة، لأن الهجرة سبب لغفران الذنوب، وسبب لدخول الجنة.

دعا لهم رسول الله ﷺ بإمضاء هجرتهم، وأوصى بهم وبأبنائهم من بعدهم، وجعل المهاجر مقدَّماً على غيره. وفضّل السابق بالهجرة، لذا كانوا حرصين على هجرتهم، لذا حرم رجوع المهاجر إلى بلده للاستيطان فيه، ويختص مهاجرة الحبشة بمضاعفة الأجر، كما يتميّز نساء المهاجرين وفيهم العشرة المبشَّرون والخلفاء الراشدون.

لقد آخى ﷺ بين المهاجرين والأنصار رضي الله تعالى عنهم، كان ﷺ

يكثر الدعاء لهم جميعاً، وطلب أن يلوه جميعاً، فهم أولياء بعضهم لبعض.

إن الله تعالى هو الذي سمى الأنصار بهذا الاسم، وجعل آية الإيمان حبهم، وآية النفاق بغضهم، ولا يبغضهم مؤمن، من أحبهم أحبه الله عز وجل، فهم موالي رسول الله ﷺ ليس لهم مولى إلاّ الله ورسوله ﷺ، وهم من أحب الناس إلى رسول الله ﷺ، ولولا الهجرة لتمنى رسول الله ﷺ أن يكون منهم، ولو سلك الناس وادياً لسلك ﷺ واديَهم، هم موضع سرِّه ﷺ وأمانته، وبطانته وخاصته ﷺ، والمحيا محياهم، والممات مماتهم، هم يقلّون والناسُ يكثرون، وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم، وعلى المسلمين أن يقبلوا من محسنهم ويتجاوزوا عن مسيئهم، لقد أثنى الله تعالى عليهم، هم لا يهاجرون، لأن الهجرة إليهم، ومدينتهم هي دار الهجرة.

لقد أوصى رسول الله ﷺ بهم، وأكثر الدعاء لهم ولأبنائهم، هم أهل الإيثار والمساواة، وأهل الانتصاف، والثواب الجزيل، وأهل الخيرية، شهد لهم رسول الله ﷺ بالأمانة والعفة والصبر، من أخافهم أخاف رسول الله ﷺ، وعليه لعنة الله تعالى والملائكة والناس أجمعين، ولا يقبل له عمل، كما خُص نساؤهم بمزيد عناية وثناء.

لقد خصوا بالعناية بالقرآن الكريم، صدقوا رسول الله ﷺ فيما بايعوه، فكثر شهداؤهم في الإسلام، كانوا حرصين على الآخرة، لذا بشرهم ﷺ وأملهم، ففازوا بانفرادهم برسول الله ﷺ.

خصهم الله تعالى أن جعل فيهم من تحركت الجبال تحت أقدامهم مع

رسول الله ﷺ، ومن رجَح بالأمة، وفيهم من سبَّح الحصى بيده، وجعل فيهم أول من يبعث بعد رسول الله ﷺ، وفيهم من يكون معه جبريل وميكائيل عليهما السلام أثناء القتال، وفيهم من تُعتبر شهادته بشهادة اثنين، فمن شهد له كفاه، وفيهم من يَكره الله تعالى أن يُخطئ، وفيهم من جعل الله تعالى الحقَّ على لسانه وقلبه، وفيهم من يفرُّ الشيطانُ منه، وفيهم من تستحيي منه الملائكة، وفيهم من شهد له رسول الله ﷺ أن الله تعالى يحبُّه ورسولُه، وهو يحبُّ الله ورسولَه، وفيهم من فداه رسول الله ﷺ بأبيه وأمه، وجعل تعالى أمين هذه الأمة منهم، وفيهم من سماه رسول الله ﷺ سيف الله، وفيهم من يُشهده رسول الله ﷺ وهو غير موجود، وفيهم من أُعطي مزماراً من مزامير آل داود عليه السلام، وجعل الله تعالى فيهم رضي الله تعالى عنهم من تستجاب دعوته، وفيهم من أُمرنا بالأخذ بسنته وهديه، وفيهم من هو أهلٌ للنبوة لولا انقطاعها ببعثة رسول الله ﷺ.

فيهم من يغضب الله تعالى لغضبهم، وفيهم من كانت مَنْزلته كمَنْزلة هرون من موسى عليهما السلام، وفيهم من لو أقسم على الله تعالى لأبره.

وفيهم من يدخل من أبواب الجنة الثمانية، وفيهم المحَدَّثون، وفيهم من نزل القرآن على رأيه، وفيهم من سَلَّم الله تعالى وجبريل عليه السلام عليه، وفيهم من اهتز عرش الرحمن لموته، وفيهم من تظلّله الملائكة بأجنحتها، ومن تنزل الملائكة والسكينة عليه عند قراءته القرآن، وفيهم من أمر الله تعالى نبيَّه الكريم ﷺ أن يقرأ عليهم القرآن، وسمّاهم له، وفيهم من أيده الله تعالى

بجبريل عليه السلام، وفيهم من يطير في الجنة بجناحيه، وفيهم من سُمع خشفُ نعليه في الجنة وهو حي، فيهم من عاده جبريل عليه السلام في مرضه، وفيهم من هم خير العالمين. رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، وحشرنا معهم تحت لواء النبي ﷺ. اللهم آمين.



الباب الثالث

حرص الصحابة رضي الله تعالى عنهم على السنة النبوية ومحافظتهم عليها

وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول : محبتهم رضي الله تعالى عنهم لرسول الله ﷺ وتوقيره وتعظيمه.

الفصل الثاني : حرصهم رضي الله تعالى عنهم على السنة النبوية في حياة النبيِّ الكريم ﷺ.

الفصل الثالث : محافظتهم رضي الله تعالى عنهم على السنة النبوية بعد وفاته ﷺ.

الفصل الرابع : منهجهم رضي الله تعالى عنهم في تحمل السنة النبوية.

الفصل الخامس: منهجهم رضي الله تعالى عنهم في أداء السنة النبوية.

مقدمة الباب الثالث

إن مما امتاز به رسول الله ﷺ عن غيره من الأنبياء عليهم السلام: أن أكرمه الله تعالى بصحابة كرام، اختارهم الله عز وجل؛ ليكونوا له أنصاراً وأصهاراً وأرحاماً، وحملةَ لواء؛ معه وبعده ﷺ، ورضي الله تعالى عنهم.

وقد وَلِه الصحابة رضي الله تعالى عنهم برسول الله ﷺ، وأحبوه، وفدوه، وأكرموه وبجّلوه،... لِما رأوا فيه من صفات الجمال والكمال، ولما حوى من كمال الذات وجميل الصفات، لذا نظروا إليه أنه رسول الله ﷺ، واجب المحبة والطاعة والامتثال والتوقير والتكريم والتعزير،... حتى قدَّموه على كلِّ غال بما في ذلك النفوس، ثم جاء الأمر الرباني بذلك كله.

لقد أمر الله عز وجل هؤلاء الصحابة رضي الله تعالى عنهم بالاقتداء برسول الله ﷺ، واتباعه، وطاعته، وتحكيمه، وامتثال أمره، وتقديمه ومحبته، وتوقيره وتكريمه،... والمحافظة على شرعه، وتطبيق سنته،...

فقاموا رضي الله تعالى عنهم بذلك خيرَ قيام، لذا لا يُعرف في تاريخ البشرية من حُفظت سيرتُه وحياتُه وأيامُه ولياليه وشمائلُه ومغازيه وسِلمُه وحربُه وعلاقاتُه الخاصة والعامة،... بمثل ما فعله الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم.

ذلك أنهم يرون أن ما يصدر عنه ﷺ وما يتعلق به وما يمسه كله دِين، يجب حفظه وتبليغه، مع محبتهم له ﷺ، الحبَّ الذي لم تعرفه البشرية، و لم

ينله زعيم أو عظيم،... ولم يقع من تابع من قَبْلُ ولا من بعد رسوله ﷺ كما كانوا، ومع هذا لم يخرجوه ﷺ عن واقع البشرية، فلم يُقطِّعوا أيديهم، كما فُعل مع يوسف عليه السلام، مع أنه ﷺ أجمل منه، بل حاز الجمال كلَّه كما حاز الكمال، ولم يعبدوه أو يتخذوه إلهاً، كما فُعل مع عيسى عليه السلام، مع أنه ﷺ أُعطي من المعجزات ما هو أكبر من معجزات عيسى عليه السلام،... ولم،...(٧١٤).

لذا كانوا خيرَ جيل عرفته البشرية من قبل ومن بعد، لذا جعلهم الله تعالى قدوةً لمن بعدهم بعد رسول الله ﷺ، وأمر باقتفاء آثارهم والاقتداء بهم، وحذّر من الخروج عن منهجهم وسبيلهم، فقال عز وجل: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾(٧١٥).

لقد سمع الصحابةُ الكرامُ رضي الله تعالى عنهم أمرَ الله تعالى بطاعةِ نبيه الكريم ﷺ، كما سمعوا أمرَ النبي الكريم ﷺ بذلك، وعرفوا أن النبيَّ الكريمَ ﷺ هو المبيِّنُ لأحكام القرآن الكريم، وآيهِ، وأوامرِ الله عز وجل وتوجيهاتِه، لذا كانت نظرتُهم إلى السنةِ النبويةِ الشريفةِ الصادرةِ عنه ﷺ نظرتَهم إلى القرآن الكريم، فأكبوا على اتباعه ﷺ، والتقيدِ بأوامره ونواهيه، والتزموا بطاعته ﷺ أمراً ونهياً، وتوجيهاً، في جميع الشؤون؛ من عبادةٍ إلى جهادٍ، ومن

(٧١٤) انظر: الحب المتبادل، ومكانة النبيِّ الكريم ﷺ بين الأنبياء عليهم السلام.

(٧١٥) سورة النساء (١١٥).

أخلاقٍ إلى معاملاتٍ، ومن أحكامٍ إلى حدودٍ،... وهكذا.

ولهذا حرصوا رضي الله تعالى عنهم على تلقي السنة النبوية من النبي الكريم ﷺ مشافهة -وهذا هو الغالبُ والأكثرُ- أو سماعاً من صحابي عنه ﷺ، وهذا نادر، لكنه وارد كثيراً، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى، لذا حرصوا رضي الله تعالى عنهم على تطبيقها، حرصَهم على حفظها ونشرها.

حفظوا عنه ﷺ أقوالَه وأفعالَه، ونومَه ويقظتَه، وحركاته وسكونَه، وقيامَه وقعودَه، واجتهادَه، وعبادتَه، وسيرتَه، وسراياه، ومغازيه، ومزاحَه، وزجرَه، وخطبتَه، وأكلَه وشربَه، ومشيَه، وسكوتَه، وملاعبتَه أهله، وتأديبَه فرسَه، وكتبتَه إلى المسلمين والمشركين، وعهودَه، ومواثيقَه، وألحاظَه، وأنفاسَه، وصفاته، هذا سوى ما حفظوه عنه من أحكام الشريعة، وما سألوا عن العبادات والحلال والحرام، وتحاكموا فيه إليه[٧١٦].

فلم يتركوا رضي الله تعالى عنهم لنا شيئاً مما يصدر عنه أو يتصل به ﷺ إلاّ ذكروه، حتى ولو كان شيئاً عرضياً، أو أمراً لا يُؤْبه به، وما ذاك إلاّ الحب الذي جعلهم ينظرون إلى كل ما يصدر عنه ﷺ على أنه من الدِّين؛ الذي أُلزموا باتباعه وأخذه، رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم.

لقد عرف الصحابةُ الكرامُ رضي الله تعالى عنهم أهميةَ السنة النبوية، بما سمعوه من كتاب الله تعالى، وحثّ القرآن الكريم على طاعةِ رسولِ الله ﷺ، وأَمْرِ الله تعالى لهم بذلك، ونهيِهم عن مخالفته ومعصيته ﷺ، وعدمِ الخروج

(٧١٦) انظر: المدخل إلى أصول الحديث (٨٧-٨٨) ضمن مجموع الرسائل الكمالية.

عن سنته ﷺ، وكذا بما سمعوا من حديث النبي الكريم ﷺ، من حثّهم على طاعته واتباع سنته ﷺ[٧١٧]،... وما شاهدوه، وما رأوه من حالِه، وعلاماتِ نبوته ﷺ،... يضاف إلى ذلك محبتهم المتناهية له ﷺ، وحرصهم على كل ما يصدر عنه ﷺ: كلٌّ ذلك وغيره كثير حملهم على التمسك بسنته، والأخذ بها، والحرص عليها، ومعرفة ما يصدر عنه ﷺ، وحفظه ونقله، والتثبت فيه قبل ذلك، وصاروا ينظرون إلى كل ما يصدر عنه ﷺ على أنه دينٌ لا يجوز الخروج عنه، ولا التهاون فيه، والبعد عنه.

ولما جعلهم الله تعالى لنا قدوةً، وحذّرنا من انتهاج غير سبيلهم،... صاروا خيرَ من يمثّل الاقتفاء والاقتداء، لذا سيكون الحديث في هذا الباب عن منهجهم واتّباعهم، وحرصهم على سنة النبي الكريم ﷺ، ومحافظتهم عليها، وتثبتهم فيها، ودفاعهم عنها، وتطبيقهم لها، ونشرها وتبليغها،...

كما أن السنة النبوية انتشرت في زمن الصحابة رضوان الله تعالى عنهم، أكثر من انتشارها في بدء الدعوة المحمديّة، وتمسكوا بها رضي الله تعالى عنهم، كما كانوا في زمن النبي الكريم ﷺ، وحافظوا عليها، واحتاطوا في أدائها، وعملوا على نشرها وتطبيقها، وَ... فما الذي حملهم على ذلك؟

واستكمالاً للفائدة، فقد جعلتُ هذا الباب في خمسة فصول، هي:

---

(٧١٧) انظر: شبهات حول السنة ودحضها، ومحبة النبيِّ ﷺ وطاعته بين الإنسان والجماد، فقد ذكرت الأدلة الكثيرة على وجوب طاعة النبي المصطفى الكريم ﷺ، كما ذكرت مختصراً لذلك في (نشأة علوم الحديث).

الفصل الأول: محبتهم رضي الله تعالى عنهم لرسول الله ﷺ وتوقيره وتعظيمه.

الفصل الثاني: حرصهم رضي الله تعالى عنهم على السنة النبوية في حياة النبي الكريم ﷺ.

الفصل الثالث: محافظتهم رضي الله تعالى عنهم على السنة النبوية بعد وفاته ﷺ.

الفصل الرابع: منهجهم رضي الله تعالى عنهم في تحمُّل الحديث.

الفصل الخامس: منهجهم رضي الله تعالى عنهم في أداء الحديث.

- **الخاتمة**، أحسن الله تعالى ختامنا جميعاً.

وجعلتُ الحديث عن محبتهم لرسول الله ﷺ وتوقيره وتعظيمه، لأني رأيت -بعد دراستي المستفيضة لعشرات السنين- أن الذي حملهم رضي الله تعالى عنهم على التمسك بالسنة والحرص عليها والمحافظة عليها والدفاع عنها ونشرها،... إنما مبعثه -بعد طاعة الله تعالى وامتثال أمره- هو الحب الذي يُكنّونه لرسول الله ﷺ، والتعظيم الذي وقر في قلوبهم،... فصاروا ينظرون إلى كل ما يصدر عن رسول الله ﷺ هو دِين يجب المحافظة عليه.

وقد كتبت حالهم مع رسول الله ﷺ في عدة كتب، لذا فإني سأقتصر في هذا الكتاب على ما يتعلق به، ولن أطيل إن شاء الله تعالى.

وقد ظهر هذا الحرص والتثبتُ منهم رضي الله تعالى عنهم على سماع الحديث الشريف، والمحافظة عليه وعلى معرفته وتطبيقه وتبليغه منهم -بعد سماعهم حثَّه ﷺ على ذلك- بعدة أمور، أتحدَّث عنها باختصار، لأن البحث فيها مطوّلاً لا تكفيه عدة مجلدات.

رضي الله تعالى عن صحابة نبيّه الكريم ﷺ، وجزاهم عن الإسلام وأهله كلَّ خير، ورزقنا حبهم، واقتفاء أثرهم، والحشر معهم، تحت لـواء الـنبي المصطفى الكريم ﷺ، والحمد لله رب العالمين.



الفصل الأول

محبتهم رضي الله تعالى عنهم لرسول الله ﷺ وتوقيره وتعظيمه

- مقدمة الفصل:

إن من مستلزمات المحبة: الطاعة، ولا يُتصوَّر وجودُ محبٌّ غير مطيع لمحبوبه، وكلَّما قويت المحبةُ في نفس المحِب: ازداد طاعةً، وبقدر نقصان المحبة يقل الالتزام بالطاعة، لأن من صفات المحب اتباعَ محبوبه ومحاكاته، حتى يصير نسخةً مصغرةً -أو مكبّرةً- عنه.

لهذا أمر الله تعالى بمحبة نبيِّه الكريم ﷺ وتوقيره وتعظيمه: لتكون الطاعةُ له تامّةً، والالتزام به متيناً، والاتّباع له متحقّقاً، إذ لا يُتصوَّر وجود محبٌّ غير متَّبع، كيف وقد جعل الله تعالى الاتّباع عنوانَ المحبة وبرهانها(٧١٨).

كما أن بيان الله تعالى مَنْزلة النبي المصطفى الكريم ﷺ عنده، ومكانته العالية لديه، ورفيع مقامه عنده، وعِظم قدره ﷺ، ورفعة مكانته،...(٧١٩).

كل ذلك: يقتضي من أمته ﷺ اتباعَه وطاعتَه ﷺ، لأن الله تعالى ما جعله

(٧١٨) انظر: الشوق إلى رسول الله ﷺ من الجذع إلى ثوبان، ومحبة النبيّ ﷺ وطاعته بين الإنسان والجماد.

(٧١٩) انظر: الخصائص التي انفرد بها ﷺ عن جميع الأنبياء عليهم السلام، وعظيم قدره ﷺ ورفعة مكانته عند ربه عز وجل، والأمانة العظمى ونبيها ﷺ.

كذلك إلاّ ليُحب ويُطاع ويُتَّبع.

إن خيرَ من يمثّل المحبةَ للنبي الكريم ﷺ والتوقير والتعظيم له، وما ينتج عن ذلك من مظاهر الطاعة والامتثال والالتزام: إنما هم الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم، حيث برزت تلك المظاهر عمليّاً في حياتهم معه ﷺ، وحسن تعاملهم له.

ومحبة النبي الكريم ﷺ وتوقيره وتعظيمه...: يقتضي طاعته واتّباعه، والأخذ بكل ما جاء به -أمراً أو نهياً، فعلاً أو قولاً أو تقريراً- كما يقتضي المحافظة على كل ذلك، مع تعظيمه وتوقيره وحفظه ونشره، لأن من شأن المحب السعي لكي يكون الآخرون على وفق هدي المحبوب، ولا يكون ذلك إلاّ بنشره وتعليم الناس ذلك.

لقد ضرب الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم أروعَ الأمثلة في محبتهم لرسول الله ﷺ، وتوقيره، واحترامه، وتعظيمه، وتبجيله، وامتثال أمره، وطاعته، والنصح له، والتفاني في خدمته، وموالاة من والاه، ومعاداة من عاداه، حتى لو كان أحبَّ وأعز الناس إليهم، امتثالاً لأمر الله تعالى، وأمرِ رسوله الكريم ﷺ، ولِما أفرد به ﷺ من صفات الجمال والكمال في ذاته وصفاته، ثم لحقّه على الأُمة.

ولا يسعني ذكر أدلة ذلك، وقد توسّعت في بيان ذلك في (الشوق إلى رسول الله ﷺ من الجذع إلى ثوبان) لذا سأذكر مختصراً صغيراً أذكر فيه بعضَ النصوص في التدليل على مدى محبتهم وأدبهم رضي الله تعالى عنهم وتوقيرهم وتعظيمهم لحبيبهم ومصطفاهم ﷺ، تكون نبراساً لنا معشر المسلمين المتأخرين، لعلنا نقتفي أثرهم، ونتَّبع آثارَهم، وإن كنا لن نصل إلى

أحوالهم، ولكن من باب:

إِنْ لَمْ تكونوا مثلَهم فتَشبَّهوا   إِنَّ التَّشبُّهَ بالكرامِ فَلاحُ

ذلك أن الله تعالى أمر المسلمين أن تكون محبة رسول الله ﷺ مقدمة على محبة جميع المخلوقات، ومن قدم محبة شيء منها فهو على خطر عظيم.

* عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (والذي نفسي بيده؛ لا يؤمن أحدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من والده وولده). رواه البخاري[٧٢٠].

* وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يؤمن أحدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من والده وولده والناس أجمعين) متفق عليه[٧٢١].

* وفي رواية لمسلم[٧٢٢] عنه رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يؤمن عبدٌ -وفي رواية: الرجل- حتى أكونَ أحبَّ إليه من أهله وماله والناس أجمعين).

* وعن عبد الله بن هشام رضي الله تعالى عنه قال: كنا مع النبيِّ ﷺ، وهو آخذٌ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: يا رسول الله؛ لأنت أحبُّ إليَّ من كلِّ شيء إلاّ من نفسي. فقال النبيُّ ﷺ: (لا، والذي نفسي بيده، حتى أكونَ أحبَّ إليكَ من نفسك) فقال له عمر: فإنه -الآن- والله، لأنتَ أحبُّ

(٧٢٠) صحيح البخاري: كتاب الإيمان: باب حب الرسول ﷺ من الإيمان.

(٧٢١) صحيح البخاري: في الكتاب والباب السابقين. وصحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين، رقم (٧٠).

(٧٢٢) صحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (٦٩).

إليَّ من نفسي. فقال النبيُّ ﷺ: (الآن يا عمر). رواه البخاري[٧٢٣].

وقال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[٧٢٤].

فحصل من مجموع ما في الآية الكريمة والأحاديث الشريفة: النفس، والوالد، والولد، والإخوة، والأزواج، والأهل، والعشيرة، وبقية الناس، والأموال، والتجارات، والمساكن. فإن كانت محبة هؤلاء جميعاً -أو فرادى- مقدمة على محبة الله تعالى ورسوله الكريم ﷺ فهذا دالٌّ على الخطورة، وسيناله الوعيد والتهديد: ﴿فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[٧٢٥].

لذا لما عرف الصحابة رضي الله تعالى عنهم هذا الأمر، وهذا التهديد والوعيد، إضافة لجميع ما ذُكر: ولهو به ﷺ، وقدموه على كل محبوب مهما كان، وأعطوه من المحبة والتقدير والتوقير،... ما هو أهله، كما سنرى.

* وعن المسور بن مخرمة ومروان -يصدِّق كلٌّ واحد منهما حديثَ صاحبه- قالا: خرج رسول الله ﷺ زمن الحُدَيْبِيَة،... الحديث بطوله، وفيه:

* فقال عروة بنُ مسعود: أي محمد؛ أرأيتَ إن استأصلتَ أمرَ قومك،

(٧٢٣) صحيح البخاري: كتاب الأيمان والنذور: باب كيف كانت يمين النبيِّ ﷺ.

(٧٢٤) سورة التوبة (٢٤).

(٧٢٥) انظر: محبة النبيِّ ﷺ وطاعته بين الإنسان والجماد (١٣٥-١٥١).

هل سمعتَ بأحد من العرب اجتاح أهلَه قبلك؟ وإن تكن الأخرى، فإني -والله- لا أرى وجوهاً، وإني لأرى أَوْشاباً من الناس خليقاً أن يفرّوا ويدعوك. فقال له أبو بكر -رضي الله تعالى عنه-: امصُص بَظْرَ اللّات، أنحن نفر عنه وندعه ! فقال: من ذا؟ قالوا: أبو بكر. قال: أما والذي نفسي بيده، لولا يدٌ كانت لك عندي لم أجزك بها لأجبتك.

* قال وجعل يكلّم النبيَّ ﷺ، فكلما تكلّم كلمةً أخذ بلحيته [أي: أخذ بلحية النبي الكريم ﷺ، كما هي عادتهم] والمغيرةُ بنُ شعبة [وهو ابنُ أخي عروة بن مسعود] قائم على رأس النبيِّ ﷺ ومعه السيف، وعليه المِغفَر، فكلما أهوى عروةُ بيده إلى لحية النبيِّ ﷺ ضرب يدَه بنعل السيف، وقال له: أخِّر يدَك عن لحية رسول الله ﷺ، فرفع عروةُ رأسَه، فقال: من هذا؟ قال: المغيرة بن شعبة، فقال: أي غُدَر، ألستُ أسعى في غدرتك!،...

* ثم إن عروة جعل يرمق أصحابَ النبيِّ ﷺ بعينيه. قال: فوالله ما تنخّم رسولُ الله ﷺ نخامةً إلاّ وقعت في كفّ رجل منهم، فدلك بها وجهَه وجلدَه، وإذا أمرهم ابتدروا أمرَه، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وَضوئه، وإذا تكلّموا خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدّون إليه النظر تعظيماً له.

* فرجع عروة إلى أصحابه فقال: أيْ قوم؛ والله لقد وفدتُ على الملوك، ووفدتُ على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت مليكاً يعظّمه أصحابُه ما يعظّم أصحابُ محمد -ﷺ- محمداً،... ثم ذكر لهم ما رآه. رواه البخاري[٧٢٦].

---

(٧٢٦) صحيح البخاري: كتاب الشروط: باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط.

في هذا الحديث أمور كثيرة فيها بيان تفاني الصحابة رضي الله تعالى عنهم في محبتهم وأدبهم وتوقيرهم وتعظيمهم لرسول الله ﷺ، وتنفيذ أمره.

- ردّ أبي بكر رضي الله تعالى عنه على عروةَ دعواه انهزام الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وما درى أن مودّة الإسلام أقوى من مودّة القرابة.

- ضرب المغيرة بن شعبة رضي الله تعالى عنه يدَ عمِّه عروة بن مسعود -مع أنه عمُّه- إذا مدَّها إلى لحية رسول الله ﷺ، مع أنها كانت عادةً موجودة لهم.

- ملاحظة عروة بن مسعود من تعظيم الصحابة رضي الله تعالى عنهم رسول الله ﷺ، وتبركهم به، وإجلالهم له ﷺ، والإسراع في تنفيذ أمره.

وهذا كله صادر عن محبة وتعظيم لا يُدانى -والله تعالى أعلم- مثل التبرك بنخامته، والاقتتال على وَضوئه، وخفض الصوت بحضرته ﷺ، وعدم حد النظر إليه ﷺ تعظيماً له، ومبادرتهم أمره ﷺ.

وقد جاءت نصوص كثيرة في كل ذلك.

* وعن أبي جُحيفة رضي الله تعالى عنه قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ في قُبّةٍ حمراء من أدم، ورأيتُ بلالاً أخذ وَضوءَ رسول الله ﷺ، ورأيتُ الناسَ يبتدرون ذاك الوَضوءَ، فمن أصاب منه شيئاً تمسَّح به، ومن لم يُصب منه شيئاً أخذ من بلل يد صاحبه،... الحديث بطوله، متفق عليه[٧٢٧]. وله طرق وروايات متعددة.

(٧٢٧) صحيح البخاري: كتاب الصلاة: باب الصلاة في الثوب الأحمر، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الصلاة: باب سترة المصلي، رقم (٢٤٩-٢٥١).

وهذا باب واسع، والأحاديث فيه كثيرة جدّاً، ويكفي ما ذكرته(٧٢٨).

* وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: لم يكن شخصٌ أحبَّ إليهم من رسول الله ﷺ،... الحديث بطوله، رواه ابن أبي شيبة وأحمد، والبخاري في الأدب المفرد، والترمذي وصححه، في آخرين(٧٢٩).

* وعنه رضي الله تعالى عنه قال: لقد رأيتُ رسول الله ﷺ والحلّاقُ يحلقه، وأطاف به أصحابه، فما يريدون أن تقع شعرةٌ إلاّ في يد رجل. رواه مسلم(٧٣٠).

فما الذي حملهم على هذا؟ إنه الحبُّ المتناهي.

* وعن جابر رضي الله تعالى عنه -في قصة وفاء دَين أبيه رضي الله تعالى عنه- وفيه قوله: والله إن مجلس بني سَلِمة لينظرون إليه [أي إلى رسول الله ﷺ] هو أحبُّ إليهم من عيونهم، ما يقربه رجلٌ منهم مخافة أن يؤذوه. رواه أحمد والدارمي والحاكم برجال الصحيح، وحسنه الحافظ(٧٣١).

(٧٢٨) انظر واجب الأمة نحو نبي الرحمة ﷺ، والشوق إلى رسول الله ﷺ من الجذع إلى ثوبان، ومحبة النبيِّ ﷺ وطاعته بين الإنسان والجماد.

(٧٢٩) مصنف ابن أبي شيبة (٨: ٥٨٦) ومسند أحمد (٣: ١٣٢، ٢٥٠-٢٥١) والأدب المفرد (٣١٦) وسنن الترمذي: كتاب الأدب: باب ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل، رقم (٢٧٥٤) والشمائل له (٢٧٦ رقم ٣٣٦) وشرح السنة (١٢: ٢٩٤) والشمائل له (١: ٣٠٢) ومسند أبي يعلى (٦: ٤١٧-٤١٨) وأخلاق النبيّ ﷺ (٦٣) وشعب الإيمان (٦: ٤٦٩).

(٧٣٠) صحيح مسلم: كتاب الفضائل: باب قرب النبيّ ﷺ من الناس وتبركهم به، رقم (٧٥).

(٧٣١) سنن الدارمي (١: ٢٨-٢٩) ومسند أحمد (٣: ٣٩٧-٣٩٨) والمستدرك (٤: ١١٠- =

* وعن عَمْرِو بنِ العاص رضي الله تعالى عنه قال:...وما كان أحدٌ أحبَّ إليَّ من رسول الله ﷺ، ولا أجلَّ في عيني منه، وما كنتُ أطيق أن أملأ عينيَّ منه، إجلالاً له، ولو سُئلتُ أن أصفه ما أطقتُ، لأني لم أكن أملأ عينيَّ منه،... الحديث، رواه مسلم[٧٣٢].

وليس هذا شأن عَمْرو بن العاص رضي الله تعالى عنه، بل هو شأن عامة الصحابة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم. فإذا كانت هذه حالهم في محبتهم وتوقيرهم وتبركهم به ﷺ، فكيف تكون طاعتهم رضي الله تعالى عنهم له ﷺ؟

- فداء الصحابة رضي الله تعالى عنهم له ﷺ بآبائهم وأمهاتهم:

ومن مظاهر محبتهم وتعظيمهم رضي الله تعالى عنهم للنبيِّ الكريم ﷺ: فداؤهم له ﷺ بآبائهم وأمهاتهم وأنفسهم[٧٣٣]، ودفاعهم عنه، والحيلولة دون وصول الأذى إليه ﷺ، وأنهم يستهينون بكل غالٍ في سبيل إسعاده وهناءته ﷺ، وهذا باب واسع جدًّا، ذكرت جملة صالحة في (الشوق إلى رسول الله ﷺ،...).

فإذا بلغ الأمر فيهم إلى حد الفداء بالأب والأم والنفس -والدافع لهم

= ١١١ ولم يكمله) ومجمع الزوائد (٤: ١٣٥- ١٣٦) وفتح الباري (٧: ٣٩٨).

(٧٣٢) صحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج، رقم (١٩٢).

(٧٣٣) انظر: واجب الأمة نحو نبي الرحمة ﷺ، فقد ذكرت عشرة أحاديث مما ورد في الصحيحين أو أحدهما، إضافة لشعر حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه، وفيه قوله:

فَإنَّ أَبي وَوَالِدَهُ وَعِرْضي ... لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقاء

وانظر السيرة النبوية لابن هشام (٤: ٩١-٩٣) ولابن كثير (٣: ٥٨٧-٥٨٩).

على ذلك هو الحب والتعظيم- فكيف يكون ما هو أدنى من ذلك؛ من السمع والطاعة؟

- البدء به ﷺ لمن قدم من سفر، قبل ذهابهم إلى أهليهم:

ومن مظاهر محبتهم وتعظيمهم وتوقيرهم رضي الله تعالى عنهم للنبي الكريم ﷺ: أنْ إذا قدموا من سفر بدؤوا به ﷺ، فنظروا إليه، وسلّموا عليه قبل أن يذهبوا إلى بيوتهم.

* فعن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنهما قال: بعث رسولُ الله ﷺ جيشاً، واستعمل عليهم عليَّ بنَ أبي طالب،... الحديث، وفيه: وكان المسلمون إذا رجعوا من السفر بدؤوا برسول الله ﷺ، فسلّموا عليه، ثم انصرفوا إلى رحالهم،... الحديث بطوله، رواه الطيالسي وابن أبي شيبة وأحمد، والترمذي وحسنه، والنسائي، وابن حبان والحاكم وصححاه، في آخرين(٧٣٤).

فإذا كانوا كذلك، فكيف تكون طاعتهم واتّباعهم له ﷺ؟

- تكريم ما مسه ﷺ بيده الشريفة أو أي عضو من أعضائه:

ومن مظاهر محبتهم وتوقيرهم وتعظيمهم رضي الله تعالى عنهم له ﷺ: تكريمهم ما مس يده الشريفة ﷺ، أو فمه، أو أي عضو من أعضائه.

---

(٧٣٤) مسند الطيالسي (١١١ رقم ٨٢٩) ومصنف ابن أبي شيبة (١٢: ٧٩-٨٠) ومسند أحمد (٤: ٤٣٧-٤٣٨) وسنن الترمذي: كتاب المناقب: باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، رقم (٣٧١٢) وخصائص علي رضي الله تعالى عنه (رقم ٨٩) ومسند أبي يعلى (١: ٢٩٣) والمعجم الكبير (١٨: ١٢٨-١٢٩) ومسند الروياني (١: ١٢٤-١٢٥) وحلية الأولياء (٦: ٢٩٤) وصحيح ابن حبان (١٥: ٣٧٣-٣٧٤) والمستدرك (٣: ١١٠-١١١) في آخرين.

* عن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه قال: ما تغنَّيتُ، ولا تمنَّيتُ، ولا مسستُ ذكري بيميني منذ بايعتُ بها رسول الله ﷺ. رواه ابن ماجه وابن أبي عمر(٧٣٥) ورواه ابن أبي شيبة وآخرون من وجه آخر بنحوه. والحديث حسن.

* وعن عمران بن حُصين رضي الله تعالى عنهما قال: ما مسست فرجي بيميني منذ بايعتُ بها رسولَ الله ﷺ. رواه ابن سعد وأحمد والحاكم وصححه وأقره الذهبي(٧٣٦).

* وعن كبشة رضي الله تعالى عنها، أن النبيَّ ﷺ دخل عليها، فشرب من فمِ القِربة -وهو قائمٌ- فقامت إليه فقطعته، فأمسكته- زاد في رواية: تبتغي بركةَ موضع فِي رسول الله ﷺ -رواه الحُميدي وأحمد وابن ماجه- وصححه الترمذي وابن حبان(٧٣٧).

(٧٣٥) مصنف ابن أبي شيبة (١٢: ٥٣) والسنة (٢: ٨٧٦-٨٧٧) وسنن ابن ماجه: كتاب الطهارة: باب كراهة مس الذكر باليمين، رقم (٣١١) والمعرفة والتاريخ (٢: ٤٨٨-٤٨٩) وتاريخ المدينة لابن شبة (٤: ١١٥٦-١١٥٧) والمعجم الكبير (١: ٤١) ومصباح الزجاجة (١: ٤٥) والمطالب العالية (٤: ٢٣٧) ومجمع الزوائد (٩: ٨٦).

(٧٣٦) الطبقات الكبرى (٤: ٢٨٧) ومسند أحمد (٤: ٤٣٩) والزهد له (١٤٩) والمعجم الكبير (١٨: ١٠٤، ٢٠٣) والمستدرك (٣: ٤٧٢) ومجمع الزوائد (٩: ٣٨١).

(٧٣٧) مسند الحميدي (١: ١٧٢) ومسند أحمد (٦: ٤٣٤) وسنن الترمذي: كتاب الأشربة: باب ما جاء في الرخصة في ذلك، رقم (١٨٩٢) والشمائل المحمدية (٣٤٦ -٣٤٧ رقم٢١٢) وسنن ابن ماجه: كتاب الأشربة: باب الشرب قائماً، رقم (٣٤٢٣) وصحيح ابن حبان (١٢: ١٣٨-١٣٩) والمعجم الكبير (٢٥: ١٥) ومسند الشاميين (١رقم ٦٣٩) وشرح السنة (١١: ٣٧٨-٣٧٩).

وقد ورد مثله من حديث غيرها أيضاً(٧٣٨).

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى(٧٣٩): قَطعُها لفم القِربة فعَلَتْه لوجهين:

- أحدهما: أن تصون موضعاً أصابه فمُ رسول الله ﷺ عن أن يُبتذل، ويمسّه كلٌّ أحد.

- والثاني: أن تحفظه للتبرك به، والاستشفاء، والله تعالى أعلم.اهـ.

قلت: ولا يبعد الأمران. فالأول واضح، ولذا ذكرتُ الحديثَ هنا، والزيادة في رواية ابن ماجه والطبراني والبغوي -ومثله رواية أنس- تدل على الثاني، والله تعالى أعلم.

وعلى أي الحالتين؛ فإذا كانت حريصةً على ما مسَّ جسدَه الشريف فكيف تكون طاعتها له ﷺ؟.

- تعظيمهم لآثاره ﷺ، ومحافظتهم عليها، وتبركهم بها:

ومن مظاهر محبتهم وتوقيرهم وتعظيمهم رضي الله تعالى عنهم له ﷺ: محافظتهم على آثاره، وتبرّكهم بها -سواء في حياته أو بعد وفاته ﷺ- وهذا باب واسع جدّاً، والنصوص في ذلك أكثر من أن تحصى، لكني أقتصر على بعض ما ورد في الصحيحين، وتبركهم بها بعد وفاة رسول الله ﷺ.

* عن عثمان بن عبد الله بن موهب رحمه الله تعالى قال: دخلتُ على أمِّ

---

(٧٣٨) رواه أحمد والدارمي والترمذي في الشمائل والبغوي وأبو الشيخ في أخلاق النبيّ ﷺ في آخرين، من حديث أنس رضي الله تعالى عنه، وأن الذي قطع فمَ القربة: أمُّ سُليم رضي الله تعالى عنها، من طرق هو بها حسن.

(٧٣٩) شرح صحيح مسلم (١٣: ١٩٤).

سلمة رضي الله تعالى عنها فأخرجت إلينا شَعراً من شَعر النبيّ ﷺ مخضوباً.

* وفي لفظ قال: أرسلني أهلي إلى أمِّ سلمة -رضي الله تعالى عنها- بقدحٍ من ماءٍ -وقبض إسرائيلُ ثلاث أصابع- من قُصة فيها شَعرٌ من شعر النبيِّ ﷺ. وكان إذا أصاب الإنسانَ عينٌ أو شيءٌ بعث إليها مِخْضَبَه، فاطَّلعتُ في الجلجل، فرأيت فيه شعراتٍ حمر. رواه البخاري(٧٤٠).

قلت: الذي يظهر أن في الرواية اختصاراً يوضحه رواية الحُميدي في الجمع بين الصحيحين(٧٤١). ولفظه:

* عن عثمان رحمه الله تعالى قال: أرسلني أهلي إلى أم سلمة بقدح من ماء، فجاءت بجلجل من فِضَّة، فيه شَعرُ النبيِّ ﷺ، وكان إذا أصاب الإنسانَ عينٌ،... ثم ذكر مثله.

فقوله (من فضة): هو صفة للجلجل الذي فيه شعرات النبيِّ ﷺ.

* وعن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنهما -في قصة الجونية- وفيه: فأقبل النبيُّ ﷺ يومئذٍ حتى جلس في سقيفة بني ساعدة هو وأصحابه. ثم قال: (أسقِنا يا سهل) فأخرجتُ لهم هذا القدح، فأسقيتُهم فيه.

[قال أبو حازم]: فأخرج لنا سهلٌ ذلك القدحَ، فشربنا فيه، قال: ثم استوهبه عُمرُ بنُ عبد العزيز بعد ذلك، فوهبه له. متفق عليه(٧٤٢).

(٧٤٠) صحيح البخاري: كتاب اللباس: باب ما يذكر في الشيب.

(٧٤١) الجمع بين الصحيحين للحميدي (٤: ٢٣٣) وانظر فتح الباري (١٠: ٣٥٣).

(٧٤٢) صحيح البخاري: كتاب الأشربة: باب الشرب من قدح النبيِّ ﷺ وآنيته. وصحيح مسلم: =

* وعن عاصم الأحول قال: رأيت قدحَ النبيِّ ﷺ عند أنس بن مالك -وكان قد انصدع، فسلْسله بفضة، قال: وهو قدح جيِّدٌ عريضٌ من نُضّار-.

قال أنس: لقد سقيت رسولَ الله ﷺ في هذا القدح أكثر من كذا وكذا.

- زاد في رواية: قال عاصم: وشربتُ فيه.

قال ابن سيرين: إنه كان فيه حلقة من حديد، فأراد أنس أن يجعل مكانها حلقةً من ذهب أو فضة، فقال له أبو طلحة: لا تُغيِّرنَّ شيئاً صنعه رسول الله ﷺ. فتركه. رواه البخاري.

* وفي رواية لمسلم[٧٤٣]: عن أنس قال: سقيتُ رسولَ الله ﷺ بقدحي هذا الشرابَ كلَّه؛ العسلَ والنبيذَ والماءَ واللبنَ.

وذكر القرطبي -في مختصر البخاري- أنه رأى في بعض النسخ القديمة من صحيح البخاري: قال أبو عبد الله البخاري: رأيتُ هذا القدحَ بالبصرة وشربت منه، وكان اشتُري من ميراث النضر بن أنس بثمانمائة ألف.اهـ[٧٤٤].

* وعن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنهما قال: قدمتُ المدينة، فلقيني عبدُ الله بن سَلام فقال لي: انطلق إلى الْمَنْزل، فأسقيك

= كتاب الأشربة: باب إباحة النبيذ الذي لم يشتد و لم يصر مسكراً، رقم (٨٨).

(٧٤٣) صحيح البخاري: كتاب فرض الخمس: باب ما ذُكر من درع النبيِّ ﷺ وعصاه وسيفه وخاتمه، وما استعمل الخلفاء بعده من ذلك مما لم يُذكر قسمته، ومن شعره ونعله وآنيته مما يتبرك أصحابه وغيرهم بعد وفاته، وكتاب الأشربة: باب الشرب من قدح النبيّ ﷺ وآنيته. وصحيح مسلم: كتاب الأشربة: الباب السابق، رقم (٨٩).

(٧٤٤) من فتح الباري (١٠: ١٠٠).

في قدحٍ شرب فيه رسولُ الله ﷺ، وتصلي في مسجدٍ صلّى فيه النبيُّ ﷺ، فانطلقتُ معه، فأسقاني سويقاً، وأطعمني تمراً، وصلّيتُ في مسجده.

وفي رواية: ألا تجيء فأطعمك سويقاً وتمراً، وتدخل في بيتٍ؟... رواه البخاري[745]

ووجه تعظيم البيت: أن النبي الكريم ﷺ دخل فيه، أو صلّى فيه، لذا سمّاه مسجداً، والله تعالى أعلم.

* وعن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنهما قال: جاءت امرأةٌ إلى النبيّ ﷺ ببردة،... فقالت: يا رسول الله؛ أكسوك هذه، فأخذها النبي ﷺ محتاجاً إليها، فلبسها، فرآها عليه رجلٌ من الصحابة، فقال: يا رسول الله؛ ما أحسن هذه، فاكسنيها. فقال: (نعم) فلما قام النبيُّ ﷺ، لامَه أصحابُه، فقالوا: ما أحسنتَ حين رأيتَ النبيَّ ﷺ أخذها محتاجاً إليها، ثم سألتَه إياها، وقد عرفتَ أنه لا يُسألُ شيئاً فيَمنَعُه. فقال: رجوتُ بركتَها حين لبسَها النبيُّ ﷺ، لعلّي أُكفَّنُ فيها. رواه البخاري[746].

- ويقال: إن الرجل الذي سألها هو عبد الرحمن بن عوف، وقيل: هو سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنهما، والله تعالى أعلم[747].

(٧٤٥) صحيح البخاري: كتاب الاعتصام: باب ما ذكر النبيّ ﷺ وحض على اتفاق أهل العلم، وكتاب مناقب الأنصار: باب مناقب عبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنه.

(٧٤٦) صحيح البخاري: كتاب الأدب: باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل، وفي غيرهما.

(٧٤٧) انظر: فتح الباري (٣: ١٤٣-١٤٤).

* وعن عيسى بن طَهمان رحمه الله تعالى قال: أخرج إلينا أنس نعلين جرداوَين لهما قِبالان، فحدَّثني ثابت البُناني بعدُ عن أنسٍ؛ أهما نعلا النبيّ ﷺ. رواه البخاري(٧٤٨).

* وعن عبد الله مولى أسماء بنت أبي بكر -رضي الله تعالى عنهما قالت- في معرض جوابها على عبد الله بن عُمر رضي الله تعالى عنهما-: هذه جبَّةُ رسول الله ﷺ، فأخرجت إليَّ جبةَ طيالسةٍ كِسروانِيَّةً، لها لِبنةُ ديباجٍ، وفَرجَيْها مكفوفَيْن بالدِّيباج. فقالت: هذه كانت عند عائشة حتى قُبضت، فلما قُبضت قبضتُها. وكان النبيُّ ﷺ يلبسها، فنحن نغسلُها للمرضى يُستشفى بها. رواه مسلم(٧٤٩).

* وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما -في قصة بيع جمله وهم متوجهون إلى تبوك، وفيه: فلما قدمنا المدينة قال ﷺ: (يا بلال؛ اقضه حقَّه وزده) فأعطاه أربعةَ دنانير، وزاده قيراطاً.

قال جابر: لا تفارقني زيادةُ رسول الله ﷺ، فلم يكن القيراط يفارق جِراب جابر بن عبد الله. متفق عليه(٧٥٠).

---

(٧٤٨) صحيح البخاري: كتاب فرض الخمس: باب ما ذُكر من درع النبيّ ﷺ وعصاه وسيفه وقدحه وخاتمه،... وفي غيرهما.

(٧٤٩) صحيح مسلم: كتاب اللباس والزينة: باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء،... رقم (١٠).

(٧٥٠) صحيح البخاري: كتاب الوكالة: باب إذا وكّل رجلٌ رجلاً أن يُعطي شيئاً و لم يبين له كم يعطي، فأعطى على ما تعارفه الناس، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب المساقاة: باب بيع البعير واستثناء ركوبه، رقم (١٠٩-١١٧).

زاد مسلم في رواية: فأخذه أهلُ الشام يومَ الحرة.

والنصوص في محافظة الصحابة رضي الله تعالى عنهم على الآثار النبوية كثيرةٌ جدّاً، لكني اقتصرت على بعض ما في الصحيحين للاختصار، وإلاّ ففي السنن كثير جدّاً، والله تعالى هو الحافظ والمعين.

فإذا كانت هذه عنايتهم رضي الله تعالى عنهم بأدوات وآثار رسول الله ﷺ، ومحافظتهم عليها، لأنها مست جسده الشريف؛ فكيف تكون طاعتهم لصاحب هذه الآثار والأدوات، واتّباعهم له ﷺ؟

- عدم ابتدائهم بالأكل قبله ﷺ إذا كانوا معه:

ومن مظاهر محبتهم وتعظيمهم وتوقيرهم رضي الله تعالى عنهم له ﷺ: عدم ابتدائهم بالأكل قبله ﷺ إذا كانوا معه.

* عن حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنهما قال: كنا إذا حضرنا مع النبيِّ ﷺ طعاماً لم نضع أيدينا، حتى يبدأَ رسولُ الله ﷺ، فيضع يده،... الحديث بطوله في قصة الجارية والأعرابي، واستحلال الشيطان للطعام الذي لا يُذكر اسمُ الله عليه. رواه مسلم(٧٥١).

* وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال: كنا إذا أكلنا مع رسول الله ﷺ طعاماً؛ لا نبدأ حتى يكونَ رسولُ الله ﷺ هو يبدأ. رواه أحمد وأبو يعلى في آخرين، وصحّحه الحاكم، وأقره الذهبي(٧٥٢).

---

(٧٥١) صحيح مسلم: كتاب الأشربة: باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، رقم (١٠٢).

(٧٥٢) مسند أحمد (٣: ٣٥١، ٣٦٥) ومسند أبي يعلى (٤: ٩١) والمستدرك (٤: ١٠٩، ٢٣٤- =

* وورد نحوه من حديث رجل من الأنصار رضي الله تعالى عنه، عند أحمد والطحاوي والبيهقي والدارقطني بأسانيد صحيحة.

فإذا كان هذا أدبهم معه ﷺ فكيف تكون طاعتهم له ﷺ؟

- عدم صبرهم عن البعد عنه ﷺ:

ومن مظاهر محبتهم وتوقيرهم وتعظيمهم رضي الله تعالى عنهم له ﷺ: أنهم لا يصبرون عن البعد عنه، بل إن بعضهم إذا لم يره ﷺ في اليوم يخرج يبحث عنه حتى يراه، بل بلغ ببعضهم حين سأله ﷺ هل له حاجة لم يسأل إلاّ قربَه ﷺ يوم القيامة،...

والنصوص في ذلك كثيرة، أقتصر على ذكر بعضها.

* عن جَبَلة بن حارثة-أخي زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهم-قال: قدمتُ على رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله؛ ابعث معي أخي زيداً. قال: (هو ذا، قال: فإن انطلق معك لم أمنعه) قال زيد: يا رسول الله؛ لا أختار عليك أحداً.

قال: فرأيتُ رأْيَ أخي أفضلَ من رأيي. رواه الترمذي وحسنه، والحاكم وصححه وأقره الذهبي، ورواه آخرون(٧٥٣).

= ٢٣٥) وأخلاق النبيّ ﷺ (٢٠٨) والشمائل للبغوي (٢: ٦١٠).

(٧٥٣) سنن الترمذي: كتاب المناقب: باب مناقب زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه، رقم (٣٨١٥) والتاريخ الكبير (٢: ٢١٧-٢١٨) والمعجم الكبير (٢: ٣٢١-٣٢٢) والمستدرك (٣: ٢١٤) ومعجم الصحابة لابن قانع (١: ١٦١-١٦٢) ومعرفة الصحابة لأبي نعيم (٢: ٥٨٧) والإصابة (١: ٤٥٦) وعزاه لأبي يعلى، وكنز العمال (١٣: ٣٩٧).

* وعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: جاء رجل إلى النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله؛ والله إنك لأحبُّ إليَّ من نفسي، وإنك لأحبُّ إليَّ من أهلي، ومالي، وأحبُّ إليَّ من ولدي، وإني لأكون في البيت، فأذكرك، فما أصبر حتى آتيك، فأنظرُ إليك. فإذا ذكرتُ موتي وموتَك، عرفتُ أنك إذا دخلتَ الجنةَ رُفعتَ مع النبيِّين، وإني إذا دخلتُ الجنة: خشيتُ أن لا أراك. فلم يردَّ عليه النبيُّ ﷺ شيئاً، حتى نزل جبريلُ عليه السلامُ بهذه الآية ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾[٧٥٤] الآية. رواه الطبراني بإسناد صحيح، ونقل السيوطي عن الضياء تحسينه[٧٥٥].

* وورد نحوه من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، كما ورد عن عدد من التابعين مرسلاً، فالحديث صحيح بطرقه[٧٥٦].

* وعن ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله تعالى عنه قال: كنتُ أبيتُ مع رسول الله ﷺ، فأتيتُه بوَضوئه وحاجته، فقال لي: (سل) فقلتُ: أسألك مرافقَتَك في الجنة. قال: (أو غيرَ ذلك؟) قلتُ: هو ذاك. قال: (فأعنّي على

---

(٧٥٤) سورة النساء (٦٩).

(٧٥٥) المعجم الأوسط (١: ١٥٢-١٥٣) والمعجم الصغير (١: ٥٣-٥٤) ومجمع البحرين (٦: ١٦) ومجمع الزوائد (٧: ٧) وقال: رجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن عمران العابدي وهو ثقة. والدر المنثور (٢: ٥٨٨) وعزاه لأبي نعيم، وحسنه الضياء في صفة الجنة.

(٧٥٦) انظر: المعجم الكبير (١٢: ٨٦-٨٧) ومجمع الزوائد (٧: ٦-٧) والدر المنثور (٢: ٥٨٨-٥٩٠).

نفسك بكثرة السجود). رواه مسلم[٧٥٧].

وهذا ما كان من دعاء الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم.

* مر رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما بعبد الله بنِ مسعود رضي الله تعالى عنه -وهو يدعو- فقال ﷺ: (سل تعطه) فكان من دعائه رضي الله تعالى عنه الذي لا يتركه: اللهم إني أسألك إيماناً لا يرتد، ونعيماً لا ينفد، ومرافقة نبيك محمد ﷺ في أعلى جنة الخلد. رواه الكثيرون، وهو حديث صحيح[٧٥٨].

فإذا كانت هذه حالهم رضي الله تعالى عنهم معه ﷺ، فكيف تكون طاعتهم له ﷺ؟

- تأنيب النساء أبناءهن إذا أبطأوا عن رؤيته ﷺ:

لم يقتصر الحب والتعظيم والتوقير لرسول الله ﷺ على الرجال، بل شمل النساء أيضاً، لذا فإن من مظاهر محبة النساء وتوقيرهن وتعظيمهن رضي الله تعالى عنهن له ﷺ: أنه إذا أبطأ أولادُهن عن رؤية رسول الله ﷺ يعاتبونهم ويؤنّبونهم.

(٧٥٧) صحيح مسلم: كتاب الصلاة: باب فضل السجود والحث عليه، رقم (٢٢٦).

(٧٥٨) انظر: مسند الطيالسي (٤٥ رقم ٣٤٠) ومصنف ابن أبي شيبة (١٠: ٣٣٢) ومسند أحمد (١: ٣٨٦، ٤٠٠، ٤٣٨، ٤٤٥-٤٤٦، ٤٥٤) والمعرفة والتاريخ (٢: ٥٣٨) وعمل اليوم والليلة للنسائي (رقم ٨٦٩) ومسند أبي يعلى (١: ٢٦-٢٧) (٨: ٤٧١-٤٧٣ من طريقين) والمعجم الكبير (٩: ٦٠-٦١، ٦٢) وصحيح ابن حبان (٥: ٣٠٣) (١٥: ٥٤٣-٥٤٤) والمستدرك (١: ٥٢٣، ٥٢٦) (٣: ٣١٧) ورواه كثيرون مختصراً.

* عن حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنهما قال: سألتني أمي متى عهدُك؟ -تعني بالنبي ﷺ- فقلت: ما لي به عهدٌ منذ كذا وكذا. فنالت مني [وسبّتني] فقلت لها: دعيني آتي رسولَ الله ﷺ، فأصلي معه المغربَ، وأسأله أن يستغفر لي ولكِ،... الحديث بطوله، رواه أحمد، والترمذي وحسّنه، والنسائي، وصححه ابن حبان(٧٥٩).

فما الذي حملها على أن تسب ولدَها وتنال منه؟ إنه الحب والتعظيم، فإذا كانت هذه حالهم رضي الله تعالى عنهم فكيف تكون طاعتهم له ﷺ؟

- عدم صعود أحدهم بيتاً يكون رسول الله ﷺ فيه:

ومن مظاهر محبتهم وتوقيرهم وتعظيمهم رضي الله تعالى عنهم له ﷺ: أن أحدَهم لا يرضى أن يعلو بيتاً، يكون رسول الله ﷺ فيه، أي لا يرضى أحدُهم أن يكون رسول الله ﷺ في الدور الأرضي، وهو في الدور الذي هو أعلى منه.

* عن أبي أيوب رضي الله تعالى عنه، أن النبيَّ ﷺ نزل عليه، فنزل النبيُّ ﷺ في السّفل وأبو أيوب في العلو. قال: فانتبه أبو أيوب ليلةً، فقال: نمشي فوق رأس رسول الله ﷺ! فتنحّوا، فباتوا في جانب، ثم قال للنبي ﷺ. فقال النبيُّ ﷺ: (السّفلُ أرفق) فقال: لا أعلو سقيفةً أنت تحتها. فتحوَّل النبيُّ

(٧٥٩) مسند أحمد (٥: ٣٩١-٣٩٢) وسنن الترمذي: كتاب المناقب: باب مناقب الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما، رقم (٣٧٨١) والسنن الكبرى (٥: ٨٠-٨١، ٩٥ رقم ٨٢٩٨، ٨٣٦٥) وفضائل الصحابة له (١٧٢، ٢٠٠) وصحيح ابن حبان (١٦: ٦٨-٦٩).

ﷺ في العلو، وأبو أيوب في السّفل.

فكان يصنع للنبي ﷺ طعاماً، فإذا جيء به إليه؛ سأل عن موضع أصابعه، فيتتبَّع موضعَ أصابعه، فصنع له طعاماً فيه ثوم. فلما رُدَّ إليه سأل عن موضع أصابع النبيِّ ﷺ. فقيل له: لم يأكل. ففزع، وصعد إليه، فقال: أحرامٌ هو؟ فقال النبيُّ ﷺ (لا، ولكني أكرهه) قال: فإني أكره ما تكره -أو ما كرهتَ- قال: وكان النبيُّ ﷺ يُؤتى. رواه مسلم(٧٦٠).

ففي الحديث أمورٌ مهمةٌ دالّةٌ على مدى المحبة والتوقير، من إبائه أن يبقى في الدور الأعلى، ومبيته في جانب الغرفة حتى الصباح، ومن تبركه بآثار أصابع النبي المصطفى الكريم ﷺ، وتركه الثوم وكراهته له بعد أن علم كراهة النبيّ الكريم ﷺ له،...

فإذا كانت هذه حاله رضي الله تعالى عنه فكيف تكون طاعته له ﷺ؟

- تعظيم أجزائه وأدواته ﷺ.

ومن مظاهر محبتهم وتعظيمهم وتوقيرهم رضي الله تعالى عنهم له ﷺ: تعظيم أجزائه وأدواته، حتى لا يمسها مشرك.

* كما فعل خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه بقلنسوته لما سقطت من رأسه -في معركة اليرموك، وغيرها- وكيف غامر وألقى نفسه بين العدو، حتى لا تطأها قدمُ كافر، لأن فيها شعرات من ناصية رسول الله ﷺ(٧٦١).

(٧٦٠) صحيح مسلم: كتاب الأشربة: باب إباحة أكل الثوم وأنه ينبغي لمن أراد خطاب الكبار تركه،... رقم (١٧١).

(٧٦١) انظر: المعجم الكبير (٤: ١٢٢) ومسند أبي يعلى (٦: ٣٥٩) والمستدرك (٣: ٢٩٩) =

* كيف فعلت أمُّ حبيبة رضي الله تعالى عنها مع أبيها أبي سفيان عندما دخل عليها -قبل إسلامه- وطوت فراش رسول الله ﷺ حتى لا يجلس عليه، لأنه كافر. كما في حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما(٧٦٢).

* وكيف فعل أبو دجانة رضي الله تعالى عنه بسيف رسول الله ﷺ، فلم يقتل به هنداً زوجَ أبي سفيان عندما وَلْوَلَت وعرف أنها امرأة، إكراماً لسيف رسول الله ﷺ أن يقتل به امرأة. كما في حديث الزبير بن العوّام رضي الله تعالى عنه، عند البزار والحاكم وصححه، والبيهقي(٧٦٣).

إذا كان هذا تعظيمهم وتكريمهم لأجزائه وأدواته ﷺ، فكيف تكون طاعتهم وامتثالهم ومتابعتهم له ﷺ؟

- استمرارهم على ما كان تركهم عليه رسول الله ﷺ:

ومن مظاهر محبتهم وتوقيرهم وتعظيمهم رضي الله تعالى عنهم له ﷺ: أن يستمروا على ما كان رسول الله ﷺ قد تركهم عليه، أو نحو ذلك. وقد ذكرت في (نشأة علوم الحديث) نماذج كثيرة في ذلك.

= ودلائل النبوة لأبي نعيم (٢: ٥٧٣) وللبيهقي (٦: ٢٤٩) وإتحاف الخيرة المهرة (٩: ١١١، ٣٦١) ومجمع الزوائد (٩: ٣٥٢) والمطالب العالية (٤: ٩٠) والإصابة (٢: ٢٥٣-٢٥٤) وفتح الباري (٧: ١٠١) وسير أعلام النبلاء (١: ٣٧٥) وصححه البوصيري والحافظ الهيثمي، والإصابة (٢: ٢٥٣-٢٥٤).

(٧٦٢) انظر سيرة ابن هشام (٤: ٥٥) ودلائل النبوة للبيهقي (٥: ٨) وهو عند غيرهما.

(٧٦٣) البحر الزخار (٣: ١٩٣- ١٩٤) وكشف الأستار (٢: ٣٢٢-٣٢٣) والمستدرك (٣: ٢٣٠-٢٣١) وأقره الذهبي، ودلائل النبوة (٣: ٢٣٢-٢٣٣) ومجمع الزوائد (٦: ١٠٩) وقال: رجاله ثقات.

* عن عبد الله بن عَمْرٍو رضي الله تعالى عنهما قال: أَنْكَحَني أبي امرأةً ذاتَ حَسَب، فكان يتعاهد كَنَّتَه، فيسألها عن بعلها، فتقول: نِعم الرجلُ من رجل، لم يطأ لنا فراشاً، ولم يفتِّش لنا كَنَفاً منذ أتيناه، فلما طال ذلك عليه؛ ذكر للنبي ﷺ، فقال: (الْقَني به) فلقيتُه بعدُ، فقال: (كيف تصوم؟) قلت: أصوم كلَّ يوم، قال: (وكيف تختم؟) قلت: كلَّ ليلة، قال: (صُم في كل شهر ثلاثةً، واقرأ القرآن في كل شهر) قال: قلت: أُطيق أكثر من ذلك، قال: (صُم ثلاثةَ أيام في الجمعة) قال: قلت: أُطيق أكثر من ذلك، قال: (أفطر يومين وصُم يوماً) قال: قلت أُطيق أكثر من ذلك، قال: (صُم أفضل الصوم؛ صوم داود؛ صيام يومٍ وإفطار يومٍ، واقرأ في كل سبع ليالٍ مرةً).

فليتني قبلتُ رخصةَ رسول الله ﷺ، وذاك أني كبرت وضعفت.

فكان عبد الله يقرأ على بعض أهله السُّبعَ من القرآن بالنهار، والذي يقرؤه يعرضه من النهار ليكون أخفَّ عليه بالليل، وإذا أراد أن يتقوى أفطر أياماً وأحصى، وصام مثلهن، كراهية أن يترك شيئاً فارق النبي ﷺ عليه. متفق عليه، واللفظ للبخاري(٧٦٤).

وفي لفظ لمسلم: فلما كبرتُ وددت أني كنت قبلتُ رخصةَ نبي الله ﷺ.

* وفي لفظ لأحمد -وبنحوه عند ابن خزيمة(٧٦٥)- لأن أكون قبلتُ

---

(٧٦٤) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن: باب في كم يقرأ القرآن، وكتاب الصوم: باب حق الجسم في الصوم. وصحيح مسلم: كتاب الصيام: باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به،... رقم (١٨١-١٨٢).

(٧٦٥) مسند أحمد (٢: ١٥٨) وصحيح ابن خزيمة (٣: ٢٩٣-٢٩٤).

رخصةَ رسول الله ﷺ أحبّ إلي مما عُدل به أو عَدَل، لكني فارقته على أمر أكره أن أخالفه إلى غيره.اهـ.

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى[٧٦٦]: معناه أنه كبر وعجز عن المحافظة على ما التزمه ووظَّفه على نفسه عند رسول الله ﷺ، فشق عليه فعله [لعجزه] ولا يمكنه تركه، لأن النبي ﷺ قال له: (يا عبد الله؛ لا تكن مثل فلان، كان يقوم الليل فترك قيامَ الليل).اهـ.

فلم يعجبه رضي الله تعالى عنه أن يتركه لالتزامه له، فتمنى أن لو قَبِل الرخصة، فأخذ بالأخف.

ومع عجزه رضي الله تعالى عنه وتمنيه بالأخذ بالرخصة؛ لم يترك العمل بما التزمه أمام النبي ﷺ، بل صار يتعاطى فيه نوعَ تخفيف، كما قال الحافظ رحمه الله تعالى[٧٦٧]. والنصوص في هذا كثيرة. مثل:

* **عدم سؤالهم شيئاً لأنهم بايعوه ﷺ على ذلك**، حتى قال الراوي: فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوطُ أحدهم، فما يسألُ أحداً يناوله إياه. رواه مسلم[٧٦٨].

* **وصايته ﷺ بعضهم** بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وصلاة الضحى، والتسبيح عند النوم، والوتر قبل النوم، وأنهم ما تركوه. كما سيأتي.

* **ومن ذلك إبقاء بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم ناصيته**، فلم يجزها،

---

(٧٦٦) شرح صحيح مسلم للإمام النووي (٨: ٤٣).

(٧٦٧) فتح الباري (٤: ٢٢٠).

(٧٦٨) صحيح مسلم: كتاب الزكاة: باب كراهة المسألة للناس، رقم (١٠٨).

لأن رسول الله ﷺ مسّها. كما في قصة أبي محذورة رضي الله تعالى عنه[٧٦٩].

* ومما يدخل في ذلك: **إرسال أبي بكر رضي الله تعالى عنه جيشَ أسامة رضي الله تعالى عنه، ورفضه حلّ لواءٍ عقده رسولُ الله ﷺ**[٧٧٠].

* ومما يدخل في ذلك: **اختيارُ أمهات المؤمنين رضي الله تعالى عنهن الله تعالى ورسولَه الكريمَ ﷺ والدارَ الآخرة -مع شظف العيش، وقلة ذات اليد-** عندما خيَّرهن رسولُ الله ﷺ. كما في حديث السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها المتفق عليه، وحديث جابر رضي الله تعالى عنه عند مسلم[٧٧١].

وغير ذلك كثير مما ذكرته في الكتاب المذكور.

وكل هذا يدل على منتهى الطاعة منهم لرسول الله ﷺ، **مع تعظيمهم وتوقيرهم له ﷺ حتى في حال غيبته ﷺ عنهم.**

- عدم إزعاجه ﷺ برفع صوت أو إحداد نظر أو رفع رأس:

ومن مظاهر محبتهم وتوقيرهم وتعظيمهم رضي الله تعالى عنهم للنبيِّ

---

(٧٦٩) انظر: مصنف عبد الرزاق (١: ٤٥٧-٤٥٩) ومسند أحمد (٣: ٤٠٨) وسنن أبي داود: كتاب الصلاة: باب كيف الأذان، رقم (٥٠١) والمعجم الكبير (٧: ٢٠٦-٢٠٧، ٢١٠-٢١١) وسنن الدارقطني (١: ٢٣٥) والمستدرك (٣: ٥١٤) والسنن الكبرى للبيهقي (١: ٣٩٣) وأصل الحديث رواه الكثيرون.

(٧٧٠) الطبقات الكبرى (٤: ٦٦، ٦٧) ومختصر تاريخ دمشق (٤: ٢٥١) وسير أعلام النبلاء (٢: ٥٠٣).

(٧٧١) صحيح البخاري: كتاب التفسير: سورة الأحزاب: باب ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الطلاق: باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلاّ بالنية، رقم (٢٢-٢٩).

الكريم ﷺ: عدم إزعاجه، سواء برفع صوت، أو إحداد نظر، أو رفع رأس، أو إحداد بصر،...إلخ.

أ - **فمن محبتهم وتوقيرهم وتعظيمهم رضي الله تعالى عنهم له ﷺ: أن كبارهم كأبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهم كانوا إذا حدّثوه ﷺ حدّثوه كأخي السِّرار،** لم يُسمعوه حتى يستفهمهم، كما عند البخاري لفعل عمر، والحاكم لفعل أبي بكر رضي الله تعالى عنهما(٧٧٢).

ب- **كان ﷺ إذا دخل عليهم رضي الله تعالى عنهم لم يرفعوا إليه رؤوسهم، إعظاماً له ﷺ**، كما في حديث بُريدة رضي الله تعالى عنه عند الحاكم وصححه(٧٧٣).

ج- **وإذا جلسوا معه ﷺ كأن على رؤوسهم الطير**، كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه عند البخاري، وحديث البراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما عند أحمد والنسائي وابن ماجه وصححه الحاكم وأقره الذهبي، وحديث أسامة بن شريك رضي الله تعالى عنه عند الطيالسي وأحمد وأبي داود، وصححه ابن حبان والحاكم، في آخرين(٧٧٤).

---

(٧٧٢) انظر: صحيح البخاري: كتاب التفسير: سورة الحجرات: باب قوله تعالى: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾، وفي غيرهما. والمستدرك (٢: ٤٦٢) وانظر الدر المنثور (٧: ٥٤٨) والمطالب العالية (٤: ٢٢٠) لرواية أخرى.

(٧٧٣) المستدرك (١: ١٢٠-١٢١).

(٧٧٤) صحيح البخاري: كتاب الجهاد: باب فضل النفقة في سبيل الله، ومسند الطيالسي (١٧١ رقم ١٢٣٢) ومصنف ابن أبي شيبة (٨: ١: ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٨٨) (١٠: ٣١٠) ومسند أحمد (٤: ٢٧٨، ٢٨٧، ٢٩٥) وسنن أبي داود: كتاب الطب: باب في الرجل يتداوى، =

د- **وكانوا لا يرفعون أصواهم عنده ﷺ**، وإذا رفع أحدٌ صوتَه عنده زجروه، وأمروه بخفض صوته، كما في حديث صفوان بن عسّال رضي الله تعالى عنه(٧٧٥). كما قد مر حديثا جابر وعَمْرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما في عدم إزعاجه ﷺ بإحداد النظر إليه، وعدم رفع الصوت مخافة إيذائه ﷺ.

- تقديم قرابته ﷺ على قراباتهم:

ومن محبتهم وتوقيرهم وتعظيمهم رضي الله تعالى عنهم له ﷺ: تقديم قرابته وأهله رضي الله تعالى عنهم على أقربائهم وأهليهم وذويهم، وإن كانوا محتاجين، فمن ذلك:

أ - فرحهم بإسلام عمّه العباس رضي الله تعالى عنه أكثر من فرحهم بإسلام آبائهم. كما في حديث عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما، رواه إسحق وغيره بإسناد صحيح(٧٧٦).

= رقم (٣٨٥٥) وسنن النسائي: كتاب الجنائز: باب الوقوف للجنائز (٤: ٧٨) وسنن ابن ماجه: كتاب الجنائز: باب ما جاء في الجلوس في المقابر، رقم (١٥٤٩) وصحيح ابن حبان (٢: ٢٣٦-٢٣٧) والموارد (٤٧٥) والمستدرك (١: ١٢٠، ١٢١) (٤: ٣٩٩-٤٠٠) والمعجم الكبير (١: ١٤٤-١٤٥، ١٤٧، ١٥٢) والسنن الكبرى (٩: ٣٤٣) والآداب (٤٥٠ رقم ٩٩٨) وشعب الإيمان (٢: ٢٠٠) وغيرها.

(٧٧٥) مصنف عبد الرزاق (١: ٢٠٥-٢٠٦) ومسند الطيالسي (١٦٠) ومسند الحميدي (٢: ٣٨٨-٣٨٩) ومسند أحمد (٤: ٢٤٠) وسنن الترمذي: كتاب الدعوات: باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله بعباده، رقم (٣٥٣٥، ٣٥٣٦) وصحيح ابن حبان (٢: ٣٢٢) (٤: ١٤٩-١٥١) والمعجم الكبير (٨: ٦٤-٦٥، ٦٨-٧٠، ٧٢) وهو مروي من طرق مختصراً ومطولاً عند كثير من المصنفات.

(٧٧٦) سيرة ابن هشام (٤: ٦٤) والمعجم الكبير (٨: ١٠-١٥) ودلائل النبوة (٥: ٣٢-٣٥) =

ب- وقال أبو بكر الصِّدّيق رضي الله تعالى عنه: والذي نفسي بيده لقرابةُ رسول الله ﷺ أحبُّ إليَّ أن أصل من قرابتي.

ج- وقال رضي الله تعالى عنه: ارقبوا محمداً ﷺ في أهل بيته. رواهما البخاري(٧٧٧).

قال الحافظ رحمه الله تعالى(٧٧٨): المراقبة للشيء: المحافظة عليه، يقول: احفظوه فيهم، فلا تؤذوهم، ولا تسيؤوا إليهم.اهـ.

د- وقدَّم عُمر رضي الله تعالى عنه أسامةَ بن زيدٍ رضي الله تعالى عنهما في العطاء على ولده عبدِ الله رضي الله تعالى عنه، لأن أسامة: الحِبُّ ابنُ الحِبِّ رضي الله تعالى عنهما، رواه الترمذي وحسنه، وابن سعد(٧٧٩).

فإذا كان هذا توقيرهم لقرابته ﷺ -وهو ناشئ عن تعظيمه وتوقيره هو ﷺ- فكيف تكون طاعتهم له ﷺ ومحافظتهم على سنته؟

- تمني أحدهم أن يقطّع أوصالاً ولا يصاب ﷺ بأدنى أذى:

ومن محبتهم وتعظيمهم وتوقيرهم رضي الله تعالى عنهم له ﷺ: أن أحدَهم يتمنّى أن يقطَّع أوصالاً بيد الأعداء، ولا يصاب رسول الله ﷺ

= المطالب العالية (٤: ٤١٨-٤٢٠) وإتحاف الخيرة المهرة (٦: ٤٨٣-٤٨٦) ومجمع الزوائد (٦:١٦٤-١٦٧) وصححه الحافظ ابن حجر والبوصيري، وقال الهيثمي: برجال الصحيح.

(٧٧٧) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة: باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ، وفي غيرهما.

(٧٧٨) فتح الباري (٧: ٧٩).

(٧٧٩) سنن الترمذي: كتاب المناقب: باب مناقب زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه، رقم (٣٨١٣) والطبقات الكبرى (٤: ٧٠) ومختصر تاريخ دمشق (٤: ٢٥٢) وتهذيب الكمال (٢: ٣٤٤-٣٤٥).

بشوكة، وهو بين أهله وأصحابه، كما في قصة خُبيب وزيد بن الدثنة رضي الله تعالى عنهما(٧٨٠).

* لما رفع كفّار قريش خُبيباً رضي الله تعالى عنه على الخشبة، ووضعوا فيه السلاحَ وهو مصلوب، نادوه وناشدوه: أتحب أن محمداً مكانك؟ قال: لا، والله العظيم، ما أحب أن يفديني بشوكة يشاكها في قدمه.

* وقال أبو سفيان لزيد -حين قُدِّم ليُقتل-: أنشدك الله يا زيد؛ أتحب أن محمداً عندنا الآن في مكانك نضرب عنقَه، وأنك في أهلك؟ قال: والله، ما أحبُّ أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه، تصيبه شوكةٌ تؤذيه، وإني جالس في أهلي.

قال أبو سفيان: ما رأيتُ من الناس أحداً يحبُّ أحداً كحبِّ أصحاب محمد محمداً.

رحم الله تعالى زيداً وخُبيباً ورضي الله تعالى عنهما، فقد أعطيا المؤمنين المحبّين درساً في الفداء، لن تصل إليه عقول الناس بعد. إن كلَّ واحد منهما أبى أن يصاب رسولُ الله ﷺ بشوكة في قدمه، وهو بين أصحابه -وما تفعل الشوكة، وما إيذاؤها- ويكون هو متنعِّماً في بيته، وبين أهله وذويه، ولكنه

(٧٨٠) انظر: صحيح البخاري: كتاب الجهاد: باب هل يستأسر الرجل؟ ومن لم يستأسر،... وكتاب المغازي: باب غزوة الرجيع ورعل وذكوان،... وعاصم بن ثابت وخُبيب وأصحابه، وفي غيرها. وسيرة ابن هشام (٣: ٢٤١-٢٦٠) والطبقات الكبرى (٢: ٥٥-٥٦) وتاريخ الطبري (٢: ٥٣٨-٥٤١) ودلائل النبوة (٣: ٣٢٣-٣٢٥) والسيرة النبوية لابن كثير (٣: ١٢٣ وما بعد) وسبل الهدى والرشاد (٦: ٤٢ وما بعد) لبيان تلك الواقعة، وما قيل فيها من شعر، وفتح الباري (٧: ٣٨٤) وفي عامة كتب السير.

الحب الذي غطى على كل شيء، وملأ عليهم كل شيء.

كما كان لموقفهما أكبر الأثر في نفوس المشركين؛ ساعة قتلهما، وبقي بعدهما بزمن طويل، كما كان ضربةً قاصمة لكبرياء قريش، واعترافهم بمدى محبة الصحابة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم لرسول الله ﷺ، والله تعالى أعلم.

* كما مر قول عروة بن مسعود: فوالله ما تنخّم رسول الله ﷺ نخامةً إلاّ وقعت في كفّ رجل منهم، فدلك بها وجهَه وجلدَه، وإذا أمرهم ابتدروا أمرَه، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وَضوئه، وإذا تكلّموا خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدّون إليه النظر تعظيماً له،... رواه البخاري.

- قتلهم أقاربهم إذا كانوا أعداء لله تعالى ولرسوله ﷺ:

ومن محبتهم وتوقيرهم وتعظيمهم رضي الله تعالى عنهم له ﷺ: قتلُ أحدهم أباه أو أخاه أو زوجه أو قريبه،... إذا كان عدوّاً لله تعالى ولنبيِّه الكريم ﷺ، كما حصل مع أبي عُبيدة بن الجراح رضي الله تعالى عنه حيث قتل أباه يوم بدر، ومحاولة أبي بكر رضي الله تعالى عنه قتل ولده يوم بدر، وطلب عبد الله بن عبد الله بن أُبيٍّ ابن سلول قتل أبيه، وغيرهم رضي الله تعالى عنهم(٧٨١).

فإذا بلغ بهم الحب والتقدير هذا الحد، فالطاعة أولى من ذلك.

- اشتياقهم إليه ﷺ عند القدوم، وعند الاحتضار:

ومن مظاهر محبتهم وشوقهم لرسول الله ﷺ: قولهم عند قدومهم إلى

(٧٨١) انظر: واجب الأمة نحو نبيِّ الرحمة ﷺ، الباب الثالث، فقد ذكرت نماذج كثيرة.

المدينة، وكذا عند الاحتضار: غداً ألقى الأحبة؛ محمداً وحزبَه، رضي الله تعالى عنهم.

* عن أنس رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (يقدم قوم هم أرق أفئدةً منكم) فقدم الأشعريون؛ فيهم: أبو موسى، فجعلوا يرتجزون يقولون:

غداً نلقى الأحبة؛ محمداً وحزبه. رواه ابن أبي شيبة وأحمد والنسائي وأبو يعلى بإسناد صحيح، وصححه ابن حبان(٧٨٢).

* ولما احتضر بلالٌ رضي الله تعالى عنه قال: غداً نلقى الأحبّةَ؛ محمداً وحزبه. وتقول امرأتُه: وابلاه. ويقول: وافرحاه(٧٨٣).

- امتناعهم عن القيام بعمل قبل فعله ﷺ له:

ومن محبتهم وتوقيرهم وتعظيمهم رضي الله تعالى عنهم له ﷺ:

* امتناع عثمان بن عفّان رضي الله تعالى عنه عن الطواف -عندما طلب منه كفارُ قريش ذلك قُبيل وقوع صلح الحُدَيْبِيَة- لأن النبي الكريم ﷺ

---

(٧٨٢) الطبقات الكبرى (٤: ١٠٦) ومصنف ابن أبي شيبة (١٢: ١٢٢) ومسند أحمد (٣: ١٠٥، ١٥٥، ١٨٢، ٢٢٣، ٢٦٣) وفضائل الصحابة له (١٦٥٥) والسنن الكبرى للنسائي (٥: ٩٢) وفضائل الصحابة له (٢٤٧) ومسند عبد بن حُميد (٤١٣ رقم ١٤١٠) وشرح مشكل الآثار (٢: ٢٧٧) ومسند أبي يعلى (٣: ١٨٢) وصحيح ابن حبان (١٦: ١٦٤-١٦٥، ١٦٥) ودلائل النبوة (٥: ٣٥١).

(٧٨٣) انظر تاريخ دمشق (١٠: ٤٧٥-٤٧٦) ومختصره لابن مظور (٥: ٢٦٧) وسير أعلام النبلاء (١: ٣٥٩).

لم يطف به. وقال لهم: ما كنت لأفعل حتى يطوف رسول الله ﷺ[(٧٨٤)].

فإذا امتنع رضي الله تعالى عنه عن الطواف بالبيت -والكعبة أمامه- لا لشيء إلاّ لأن رسول الله ﷺ لم يطف به قبله -تعظيماً وتوقيراً له ﷺ- فكيف يتصوّر وجود الطاعة لديه رضي الله تعالى عنه ومحافظته على سنته؟.

- ذكر ما حصل لهم رضي الله تعالى عنهم يوم وفاته ﷺ:

ومن مظاهر محبتهم وتوقيرهم وتعظيمهم رضي الله تعالى عنهم له ﷺ: ما حصل معهم يومَ وفاته ﷺ، فمنهم من صُعق، ومنهم من أُقعد، ومنهم من ذهل، ومنهم من كف بصره،... بل منهم من مات، رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، حتى قام الصِّدّيق رضي الله تعالى عنه ذلك المقام، الذي حمده عليه الأولون والآخِرون[(٧٨٥)].

- بكاؤهم إذا ذكروه ﷺ:

ومن فرط محبتهم وتعظيمهم وتوقيرهم رضي الله تعالى عنهم له ﷺ بعد وفاته: أن أحدَهم إذا ذكره بكى، ويصعب عليه الكلام، بل منهم من إذا مرّ بجوار داره ﷺ أشاح بوجهه، لعدم صبرهم على الفراق، كما أن كثيراً منهم خرج من المدينة للجهاد حرصاً على الشهادة للحاق به ﷺ، وقولُ عمر رضي الله تعالى عنه في سبب جمع القرآن دليل صريح في ذلك.

(٧٨٤) انظر مسند أحمد (٤: ٣٢٤-٣٢٥) وسيرة ابن هشام (٣: ٤٣٧) ومصنف ابن أبي شيبة (١٤: ٤٤٢-٤٤٣) والطبقات الكبرى (٢: ٩٧) وتاريخ الطبري (٢: ٦٣١) وأغلب طرقه صحيح.

(٧٨٥) انظر الكتب الثلاثة لبيان مصدر كل قول.

* جاء من طرق كثيرة عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أنه قام على المنبر -وفي رواية بجانب المنبر- بعد وفاة رسول الله ﷺ بقليل، فذكر رسول الله ﷺ فقال: قد علمتم ما قام به رسول الله ﷺ وبكى، ثم أعادها ثم بكى، ثم أعادها ثم بكى، ثم قال: إن الناس لم يُعطَوا في هذه الدنيا شيئاً أفضل من العفو والعافية، فسلوهما الله عز وجل، الحديث برواياته، رواه الحُميدي وابن أبي شيبة وأحمد والبخاري في الأدب المفرد، والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان، في آخرين(٧٨٦).

* وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه -بعد وفاة رسول الله ﷺ- لعمر: انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها، كما كان رسول الله ﷺ يزورها. فلما انتهيا إليها بكت. فقالا لها: ما يبكيك؟ ما عند الله خيرٌ لرسوله ﷺ. فقالت: ما أبكي أن لا أكون أعلم أن ما عند الله خيرٌ لرسوله ﷺ، ولكن أبكي أن الوحيَ قد انقطع من السماء. فهيّجتهما على البكاء، فجعلا يبكيان معها. رواه مسلم(٧٨٧).

---

(٧٨٦) مسند الطيالسي (٣ رقم ٥) و مسند الحميدي (١: ٥-٦) ومصنف ابن أبي شيبة (١٠: ٢٠٥) ومسند أحمد (١: ٣-١١) وسنن الترمذي: كتاب الدعوات: باب (١٠٦) رقم (٣٥٥٨) وعمل اليوم والليلة (رقم ٨٧٩-٨٨٨) وسنن ابن ماجه: كتاب الدعاء: باب الدعاء بالعفو والعافية، رقم (٣٨٤٩) والأدب المفرد (٢٤٤ رقم ٧٢٥) ومسند أبي بكر للمروزي (٩٢-٩٥) ومسند أبي يعلى (١: ٤٩، ٧٥-٧٧، ٨٦-٨٨، ١١٢، ١١٣) والبحر الزخار (١: ٩٢، ١٤٦-١٤٨) والمستدرك (١: ٥٢٩) وصحيح ابن حبان (٣: ٢٣٠-٢٣١، ٢٣٢-٢٣٣) وشرح السنة (٥: ١٧٨) ومجمع الزوائد (١٠: ١٧٣).

(٧٨٧) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل أم أيمن رضي الله تعالى عنها، رقم (١٠٣).

إنها رضي الله تعالى عنها كانت مولاة رسول الله ﷺ وحاضنته.

* وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما كان لا يذكر النبيَّ ﷺ إلاّ بكى. رواه ابن سعد والدارمي(٧٨٨).

والنصوص عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما كثيرة جداً في شدة متابعته لرسول الله ﷺ، سواء في الأماكن أو اللباس أو تتبع الآثار،... ولا يسعها مثل هذا المختصر.

* وعن عَمْرو بن ميمون رحمه الله تعالى قال: كنتُ لا تفوتني عشيةَ خميس إلاّ آتي فيها عبدَ الله بنَ مسعود -رضي الله تعالى عنه- فما سمعتُه يقول لشيء قط: قال رسول الله ﷺ، حتى كانت ذاتَ ليلة فقال: قال رسول الله ﷺ. قال: فاغرورقت عيناه، وانتفخت أوداجُه، فأنا رأيتُه محلولةً أزرارُه،... رواه الطيالسي وأحمد والدارمي وابن ماجه بإسناد صحيح، وصححه الحاكم على شرطهما، في آخرين(٧٨٩).

إذا كان هذا حبهم وشوقهم وحنينهم له ﷺ، فكيف تكون طاعتهم له ﷺ، -والطاعة مظهر المحبة- ومحافظتهم على سنته؟

(٧٨٨) الطبقات الكبرى (٤: ١٦٨) وسنن الدارمي (١: ٤٠) وسير أعلام النبلاء (٣: ٢١٤).

(٧٨٩) مسند الطيالسي (٤٣) وسنن الدارمي (١: ٧٢) و مسند أحمد (١: ٤٥٢) وسنن ابن ماجه: المقدمة: باب التوقي في حديث رسول الله ﷺ، رقم (٢٣) والمستدرك (١: ١١١) (٣: ٣١٤) والمحدث الفاصل (٥٤٩-٥٥٠) والبحر الزخار (٥: ٢٤٨-٢٤٩) والمعجم الكبير (٩: ١٢٩-١٣٣من طرق) ومسند الشاشي (٢: ١٢٩- ١٣١) والشفا (٢: ٥٩٩-٦٠٠) وشرحه لملا علي القاري، والإلماع (١٧٦-١٧٧) وجامع بيان العلم (١: ٧٩) ومصباح الزجاجة (١: ٧).

- رؤيتهم أن وفاة أمهات المؤمنين رضي الله تعالى عنهن آية تستلزم السجود:

ومن مظاهر محبتهم وتوقيرهم وتعظيمهم رضي الله تعالى عنهم له ﷺ: أن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يرى أن موت زوجات النبي المصطفى الكريم ﷺ ورضي الله تعالى عنهن من الآيات التي تستلزم السجود.

* لما قيل له رضي الله تعالى عنهما -بعد صلاة الصبح-: ماتت فلانة - لبعض أزواج النبيّ ﷺ، سجد، فقيل له: أتسجد هذه الساعة؟ فقال: أليس قد قال رسول الله ﷺ: (إذا رأيتم آية فاسجدوا)؟ فأي آية أعظمُ من ذهاب أزواج النبيّ ﷺ؟ رواه أبو داود، والترمذي والبغوي وحسّناه[٧٩٠].

وسماها البغوي: صفية بنت حُيي رضي الله تعالى عنها.

إذا كان رضي الله تعالى عنه يرى أن فَقدَ واحدةٍ من أمهات المؤمنين رضي الله تعالى عنهن كارثة تستوجب السجود لله تعالى، فكيف يكون اتّباعه وطاعته لقول رسول الله ﷺ وحاله؟

- محبتهم لما يحبه ﷺ وكراهيتهم لما يكرهه ﷺ:

ومن مظاهر محبة الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم لرسول الله ﷺ: محبتهم لما كان يحبه، وكراهتهم لما كان يكرهه، وفعلهم ما كان يفعله. وأقتصر على بعض النصوص في الحب، وأُخرى في الكراهة.

* عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، أن خيّاطاً دعا رسول الله ﷺ

(٧٩٠) سنن أبي داود: كتاب الصلاة: باب السجود عند الآيات، رقم (١١٨٥) وسنن الترمذي: كتاب المناقب: باب فضل أزواج النبيّ ﷺ، رقم (٣٨٩١) وشرح السنة (٤: ٣٩٧).

لطعامٍ صنعه. قال أنس بنُ مالك: فذهبتُ مع رسول الله ﷺ إلى ذلك الطعام. فقرَّب إلى رسول الله ﷺ خبزاً من شعير ومرقاً فيه دُبّاء وقَديد.

قال أنس: فرأيت رسول الله ﷺ يتتبّع الدُّبّاءَ من حوالي الصحفة. [زاد في رواية: فلما رأيت ذلك جعلتُ أُلقيه إليه ولا أطعمه] قال: فلم أزل أحبُّ الدُّبّاءَ منذ يومئذ. متفق عليه(٧٩١). وللحديث روايات أخرى.

* زاد في رواية لمسلم: قال أنس رضي الله تعالى عنه: فما صُنع لي طعامٌ بعدُ-أقدر على أن يُصنع فيه دُبّاء إلاّ صُنع.

* جاء في رواية أبي الشيخ -برجال ثقات- قال: فأنا أحبُّ القرعَ لحُبِّ رسول الله ﷺ إياه.

* وقد مر قولُ أبي أيوب الأنصاري رضي الله تعالى عنه لرسول الله ﷺ عندما أخبره أنه لم يأكل من الطعام لوجود الثوم فيه، وأنه ﷺ يكرهه. قال أبو أيوب: فإني أكره ما تكره- أو ما كرهتَ. رواه مسلم.

* عن كريمة بنت همّام رحمها الله تعالى، أن امرأةً أتت عائشةَ رضي الله تعالى عنها فسألتها عن خضاب الحناء. فقالت: لا بأس به، ولكني أكرهه. كان حبيبي رسولُ الله ﷺ يكره ريحَه. رواه أحمد وأبو داود والنسائي والبيهقي، وسكت عنه أبو داود والمنذري رحمهما الله تعالى(٧٩٢).

(٧٩١) صحيح البخاري: كتاب البيوع: باب الخياط، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الأشربة: باب جواز أكل المرق واستحباب أكل اليقطين، رقم (١٤٤-١٤٥) وأخلاق النبيّ ﷺ (٢٣٠).

(٧٩٢) مسند أحمد (٦: ٢١٠) وسنن أبي داود: كتاب الترجل: باب في الخضاب للنساء، رقم =

* وعن معاوية بن قرة بن إياس، عن أبيه رضي الله تعالى عنه قال: أتيتُ رسول الله ﷺ في رهطٍ من مُزَيْنَة، فبايعناه، وإن قميصَه لمطلقُ الأزرار. قال: فبايعتُه، ثم أدخلتُ يدي في جيب قميصه، فمسستُ الخاتم.

قال عروة [بن عبد الله، الراوي عن معاوية]: فما رأيتُ معاوية ولا ابنَه قط إلاّ مطلقي أزرارهما في شتاء ولا حر، ولا يزرِّران أزرارَهما أبداً. رواه الطيالسي وابن أبي شيبة وأحمد وأبو داود وابن ماجه وابن الجعد وابن حبان، في آخرين، بسند صحيح(٧٩٣).

* ولما سأل عُبيد بن جُريج رحمه الله تعالى عبدَ الله بن عُمَر رضي الله تعالى عنهما عن مس الركنين، ولبس النعال السِّبْتِيَّة، والصبغ بالصفرة، والإهلال يوم التروية.

قال عبدُ الله رضي الله تعالى عنه: أما الأركان؛ فإني لم أر رسول الله ﷺ يمس إلاّ اليمانِيَّيْن. وأما النعال السِّبْتِيَّة؛ فإني رأيتُ رسول الله ﷺ يلبس النعالَ

= (٤١٦٤) وسنن النسائي: كتاب الزينة: باب كراهية ريح الحناء (٨: ١٤٢) وفي الكبرى (٥: ٤١٩) والسنن الكبرى للبيهقي (٥: ٦١-٦٢) (٧: ٣١١-٣١٢) والآداب له (٣٨٠) ومختصر سنن أبي داود (٦: ٨٦) وكريمة، قال الحافظ عنها في التقريب: مقبول.

(٧٩٣) مسند الطيالسي (١٤٤رقم ١٠٧٢) ومصنف ابن أبي شيبة (٨: ٣٨٥-٣٨٦) ومسند أحمد (٣: ٤٣٤) (٤: ١٩) (٥: ٣٥) ومسند ابن الجعد (٣٩٢-٣٩٣) وسنن أبي داود: كتاب اللباس: باب حل الإزار، رقم (٤٠٨٢) والشمائل المحمدية للترمذي (١٥٦-١٥٧ رقم ٥٨) وسنن ابن ماجه: كتاب اللباس: باب حل الإزار، رقم (٣٥٧٨) وشرح السنة (١٢: ١٥) والمعجم الكبير (١٩: ٢١-٢٢) وصحيح ابن حبان (١٢: ٢٦٦-٢٦٧) وأخلاق النبيّ ﷺ (١٠٩).

التي ليس فيها شَعَر، ويتوضأ فيها. فأنا أحب أن ألبسها. وأما الصفرة، فإني رأيت رسول الله ﷺ يصبغ بها. فأنا أحب أن أصبغ بها،... الحديث، متفق عليه[794].

هكذا شأن الحب؛ أورث طاعةً، لذا لا يُتصوّر وجود محبٍّ غير مطيع، وإلاّ كان مُدَّعِياً.

- المبالغة في توقيره ﷺ وتعظيمه وتفديته والدفاع عنه:

ومن مظاهر محبتهم وتوقيرهم وتعظيمهم رضي الله تعالى عنهم له ﷺ: المبالغةُ في توقيره وتعظيمه، وفداؤهم له ﷺ، والدفاعُ عنه، ومحاولةُ قتل من يؤذيه -وقد قتل بعضُهم من آذاه وعاداه- والاستهانةُ بكل شيء في سبيل المحافظة عليه،... كما أوضحته في غير هذا الكتاب[795]. أقتصر على نص واحد، ومن غير تعليق، لأنه قد سبق ذكره والتعليق عليه.

* فعن المسور بن مخرمة ومروان -يصدِّق كلُّ واحد منهما حديثَ صاحبه- قالا: خرج رسول الله ﷺ زمن الحُدَيْبِيَة،... الحديث بطوله، وفيه:

فقال عروة بنُ مسعود: أي محمد؛ أرأيتَ إن استأصلتَ أمرَ قومك، هل سمعتَ بأحد من العرب اجتاح أهلَه قبلك؟ وإن تكن الأخرى، فإني -والله- لا أرى وجوهاً، وإني لأرى أشواباً من الناس خليقاً أن يفرّوا ويدعوك. فقال له أبو بكر -رضي الله تعالى عنه-: امصُص بَظْرَ اللّات، أنحن نفر عنه وندعه

---

(٧٩٤) صحيح البخاري: كتاب الوضوء: باب غسل الرجلين في النعلين ولا يمسح على النعلين، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الحج: باب الإهلال من حيث تنبعث الراحلة، رقم (٢٥).

(٧٩٥) انظر: (رحمة النبي الكريم ﷺ بالكفار) وَ (واجب الأمة نحو نبي الرحمة ﷺ).

! فقال: من ذا؟ قالوا: أبو بكر. قال: أما والذي نفسي بيده، لولا يدٌ كانت لك عندي لم أجزك بها لأجبتك.

قال وجعل يكلّم النبيَّ ﷺ، فكلما تكلّم كلمةً أخذ بلحيته [أي: أخذ بلحية النبي الكريم ﷺ، كما هي عادهم] والمغيرةُ بنُ شعبة [وهو ابنُ أخي عروة بن مسعود] قائم على رأس النبيِّ ﷺ ومعه السيف، وعليه المِغفَر، فكلما أهوى عروةُ بيده إلى لحية النبيِّ ﷺ ضرب يدَه بنعل السيف، وقال له: أخِّر يدَك عن لحية رسول الله ﷺ، فرفع عروةُ رأسَه، فقال: من هذا؟ قال: المغيرة بن شعبة، فقال: أي غُدَر، ألستُ أسعى في غدرتك،...

ثم إن عروة جعل يرمق أصحابَ النبيِّ ﷺ بعينيه. قال: فوالله ما تنخّم رسولُ الله ﷺ نخامةً إلاّ وقعت في كفّ رجل منهم، فدلك بها وجهَه وجلدَه، وإذا أمرهم ابتدروا أمرَه، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وَضوئه، وإذا تكلّموا خفضوا أصواهم عنده، وما يحدّون إليه النظر تعظيماً له.

فرجع عروة إلى أصحابه فقال: أي قوم؛ والله لقد وفدتُ على الملوك، ووفدتُ على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت مليكاً يعظّمه أصحابُه ما يعظّم أصحابُ محمد -ﷺ- محمداً،... ثم ذكر لهم ما رآه. رواه البخاري[٧٩٦].

في هذا الحديث أمور كثيرة فيها بيان تفاني الصحابة رضي الله تعالى عنهم في محبتهم وأدهم وتوقيرهم وتعظيمهم لرسول الله ﷺ، وتنفيذ أمره

(٧٩٦) صحيح البخاري: كتاب الشروط: باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط.

- محافظتهم على سنته ﷺ والعمل بها ونشرها:

ومن مظاهر محبتهم وتوقيرهم وتعظيمهم رضي الله تعالى عنهم له ﷺ: حفظُهم لسنته ﷺ، ومحافظتُهم عليها، والعملُ بها، وتطبيقها، والاعتماد عليها، والإنكارُ على من خالفها -ولو كانت المخالفة يسيرة- والاستدلال لحجِّيَّتها، والعمل على نشرها، وعقد المجالس لتذكّرها،... وقد توسعت في بيان ذلك في غير هذا الكتاب. وسيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله تعالى في الفصل الرابع، من هذا الباب.

- اتباعه ﷺ في جميع الأمور؛ في جلائلها وصغيرها:

إن من محبة النبي ﷺ اتباعَه، وطاعةَ أمره، ولهذا أمر الله تعالى باتباعه، واتباع ما جاء به، فمن سلك سبيله، واقتفى أثره، ونهج مسلكه، وتعبَّد بطريقته، نال الفلاح، وحلَّت عليه محبةُ الله عز وجل، وغَفر الله تعالى له ذنوبه، ونال مرافقة نبيه وصفيِّه ﷺ، ذلك لأن الاتباعَ ناشئٌ عن المحبة، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا

ﭐلَّذِى لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلۡأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾(٧٩٧).

فقد بيَّن سبحانه وتعالى من ينال رحمَته التي وسعت كل شيء، إنما هي للمتقين المؤمنين، الذين يتبعون الرسول الكريم ﷺ، الموصوف في الكتب السابقة بأنه نبيٌّ، رسولٌ، أُمِّيٌّ، يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويحل الطيبات، ويحرِّم الخبائثَ، ويضع عنهم الشِّدَّةَ والضيقَ،... فالذين عظَّموه، ووقَّروه، ونصروه، واتبعوا ما جاء به: هؤلاء هم المفلحون في الدنيا وفي الآخرة.

ثم يأمر الله تعالى نبيَّه وصفيَّه ﷺ أن يُعلن عمومَ رسالته؛ لأنه خاتم النبيين الذي عظَّمه الله تعالى وشرَّفه، ثم يأمر الله تعالى الناس جميعاً بالإيمان به وبرسوله النبيِّ الأمي ﷺ، وباتباعه واقتفاء أثره، وسلوك طريقه ﷺ لعلهم يهتدون إلى الصراط المستقيم.

والاتباع يبدأ من الإيمان به ﷺ، ثم يستمر في الاقتداء به، وسماع قوله، واعتناق فكره ورأيه، وسلوك طريقه، والإقبال عليه بالكلية، والتوغل في الاقتداء؛ لأن هذا هو معنى الاتباع، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

لأن الله تعالى أخبرنا عن نبيه الكريم ﷺ أنه لا يتَّبع إلاّ ما يوحى إليه، كما قال تعالى عنه: ﴿إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ﴾(٧٩٨) و﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ﴾(٧٩٩). وليس متبعاً أهواء الناس، مهما كانوا، كما قال الله تعالى عنه:

---

(٧٩٧) سورة الأعراف (١٥٦- ١٥٨).

(٧٩٨) سورة الأنعام (٥٠) وسورة يونس (١٥) وسورة الأحقاف (٩).

(٧٩٩) سورة الأعراف (٢٠٣).

﴿قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ﴾[(٨٠٠)]. لهذا أمر الله تعالى جميع الناس باتباعه ﷺ؛ لأن في اتباعه ﷺ تمام الامتثال لله تعالى الذي أوحى إليه، وشهد له بذلك، فمن اتبعه ﷺ كان غاية الطاعة لربه عز وجل، ولهذا جعل وصايته في اتباعه، وأثبت لهم الهداية والفلاح: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

لقد جعل الله تعالى نبيَّه المصطفى الكريمَ ﷺ حادياً يحدو بقلوب أمته، لاتباعه وطاعته والسير خلفه، لأنه ﷺ دليلٌ يسلك بهذه الأمة في الدروب الصعبة المسالك، وفي المتاهات التي لا يعلمها إلاّ من اتّبعه وسلك سبيله، إذ كلُّ الطرق والسُّبل مهلِكةٌ إلاّ الطريق الذي يسلكه، لأنه هو صراط الله تعالى المستقيم ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾[(٨٠١)].

فمن مشى خلفه ﷺ، واتّبع سبيلَه، وسلك مسلكَه،... نجا وسعد، ووصل شاطئ السلامة، ومن اتّبع غير سبيله، وسار غيرَ مسيره،... ضل وهلك ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[(٨٠٢)] فوحّد صراطَه؛ لأنه واحد، وطريقُ الحق واحدٌ، وجمع السُّبلَ لأنها متشعِّبةٌ متفرقةٌ، كالظلمات كثيرة، وأسبابها متعددة، والله تعالى يُخرج من الظلمات المتعددة إلى النور الواحد، بينما الطاغوت فإنه يُخرج من النور الواحد إلى الظلمات المتعددة، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم

---

(٨٠٠) سورة الأنعام (٥٦).

(٨٠١) سورة الشورى (٥٢-٥٣).

(٨٠٢) سورة الأنعام (١٥٣).

مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾(٨٠٣).

لقد جعل الله تعالى صوتَ نبيّه الكريم ﷺ ينادي في أعماق الكون دائماً ﴿فَٱتَّبِعُونِي﴾ لتنالوا ﴿يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ﴾.

وهذه سعادة لا تقابلها سعادة، في الدنيا والآخرة. حيث جعل تعالى السبيل إلى محبة الله جل شأنه هو اتّباع النبي الكريم ﷺ، واستحقّ المتَّبِعُ هذا الاسم، ونال هذا اللقب (محب لله تعالى) بمتابعته ﷺ.

فمتّبع النبيِّ الكريم ﷺ هو حبيبٌ ومحبوبٌ.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾(٨٠٤).

فبهذا الميزان الشرعي الدقيق ﴿فَٱتَّبِعُونِي﴾ يُزان مدّعي الإيمان ومحبة الله تعالى، ولا ينجح فيه إلاّ المتَّبع؛ كاملُ الاتِّباع له ﷺ، في الأقوال والأفعال والأخلاق والأحوال،... فمن حاد فقد طف به الميزان.

وهذا الحال الذي ظهر به ﷺ بهذا المقياس، هو الذي كان قد طبَّقه عملياً مع أصحابه رضي الله تعالى عنهم، فهو إمامُهم وهم مأمومه، هو قدوتُهم وهم تابعوه، هو قائدُهم وهم جنوده، هو سيدُهم وهم مرافقوه، هو أسوهم وهم متبعوه،... فهو القدوة والأسوة في كل شيء، لذا كان ﷺ

(٨٠٣) سورة البقرة (٢٥٧).

(٨٠٤) سورة آل عمران (٣١).

يطلب منهم أن يقتدوا به، ويرقبوا فعله، حتى يفعلوا مثل ما فعل.

* فعن أبي حازم [سلمة] بن دينار رحمه الله تعالى قال: سألوا سهلَ بنَ سعدٍ رضي الله تعالى عنهما: من أي شيء المنبر؟ فقال: ما بقي في الناس أعلم مني، هو من أَثْل الغابة، عمِلَه فلانٌ -مولى فلانة- لرسول الله ﷺ، وقام عليه رسول الله ﷺ -حين عمل ووضع- فاستقبل القبلة، كبَّر، وقام الناس خلفه، فقرأ، وركع، وركع الناس خلفه، ثم رفع رأسه، ثم رجع القهقرى، فسجد على الأرض، ثم عاد إلى المنبر، ثم ركع، ثم رفع رأسه، ثم رجع القهقرى، حتى سجد بالأرض، ثم عاد، حتى فرغ من آخر صلاته، ثم أقبل على الناس فقال: (يا أيها الناس؛ إني صنعت هذا لِتَأْتَمُّوا بي، ولتعلموا صلاتي). متفق عليه، واللفظ للبخاري(٨٠٥) من موضعين.

* وعن مالك بن الحويرث رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (...صلوا كما رأيتموني أصلي،...). متفق عليه، واللفظ للبخاري(٨٠٦)، وهو جزء من حديث طويل.

* وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: رأيت النبي ﷺ يرمي على راحلته يوم النحر، ويقول: (لتأخذوا عني مناسككم، فإني لا

---

(٨٠٥) صحيح البخاري: كتاب الصلاة: باب الصلاة على السطوح والمنبر والخشب، وكتاب الجمعة: باب الخطبة على المنبر. وصحيح مسلم: كتاب المساجد: باب جواز الخطوة والخطوتين في الصلاة، رقم (٤٤-٤٥).

(٨٠٦) صحيح البخاري: كتاب الأذان: باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة والإقامة. وصحيح مسلم: كتاب المساجد: باب من أحق بالإمامة، رقم (٢٩٢-٢٩٣).

أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه). هذا لفظ مسلم[٨٠٧].

* وعند أحمد وأهل السنن (خذوا عني مناسككم).

والاتّباع[٨٠٨]: من تَبع، وهو التُّلوّ والقَفْوُ، يقال: تبعتُ فلاناً إذا تلوته، واتّبعتُه وأتْبعتُه إذا لحقته. وقال أبو زيد: يقال تابع الرجلُ عملَه إذا أتقنه وأحكمه، وتتبّعتُ الشيءَ تتبُّعاً إذا تطلَّبتُه متتبِّعاً له. وقال أبو حيّان: معنى اتَّبعوا، أي اقتدوا به إماماً، أو فضّلوا -لأن من اتّبع شيئاً فضَّله- أو قصدوا ويقال: تتابع المطر: إذا سقطت نقطة وراء نقطة، وتتابعت الإبل: إذا جاء بعضُها إثرَ بعض.

فالاتِّباعُ إذاً: هو التوغل والتمحّضُ فيه، والإقبالُ عليه بالكلِّيَّة. وهو التوغل في الاقتداء والقَفْو، مع تفضيل المتَّبَع.

فهو: السيرُ وراءه، وفعلُ أفعاله، والاقتداءُ بكل تصرفاته، وقُفوُ أثره، وإتقانُ أحواله، وعدمُ الخروج عنه، فيسير حيث سار، ويقف حيث يقف، ويفعل نفسَ الفعل، ويتلفّظ نفس اللفظ،... مع إتقان ذلك وإحكامه، وعدم العنود عن الاتصاف بكل ما جاء به وعنه،... وكل ذلك يدل على شدة الملازمة، والتوغل بالاتصاف، والإخلاص في الاقتداء، ومنح الإرادة، حتى يكون هواه تبعاً لما جاء به المتبوع،... وكل ذلك يكون في صغائر الأمور

---

(٨٠٧) صحيح مسلم: كتاب الحج: باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكباً، رقم (٣١٠).

(٨٠٨) معجم مقاييس اللغة (١: ٣٦١-٣٦٢) ومجمل اللغة (١: ١٥٣) والصحاح (١١٨٩-١١٩٠) ولسان العرب (٨: ٢٧-وما بعد) وغريب الحديث لأبي عبيد (٤: ١٧٢-١٧٣) وكتاب الغريبين (١: ٢٤٦) وتفسير أبي السعود (١: ٢٢٣-٢٢٤) وروح المعاني (١: ٣٣٧) وروح البيان (١: ١٩٠).

كما يكون في عظائمها،... فمن خالف ذلك كان ناقص الاتباع.

* ويوضِّح هذا المعنى قوله ﷺ -كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه-: (لتتبعن سنن من قبلكم شِبراً بشبرٍ، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا في جُحر ضَبٍّ لاتبعتموهم)،... متفق عليه(٨٠٩).

فإنهم لشدة اقتفائهم آثارهم، واتّباعهم طرائقهم، ودقة اتصافهم بهم، وتوغّلهم في ملازمتهم،... لو دخلوا في مثل هذا الجُحر الضَّيِّق الرديء: لتبعوهم، كما قال الحافظ رحمه الله تعالى.

والمراد بالشبر والذراع والجُحر: التمثيل لشدة الموافقة لهم، كما قال الإمام النووي رحمه الله تعالى.

وبهذا يتضح معنى الاتباع، حتى لو دخلوا في جُحْرٍ ضَيِّقٍ متعَرِّجٍ لتبعوهم، ودخلوا خلفهم فيه، بل لو نكح أحدُهم زوجَه -أو أمه- بالطريق لفعلموه-كما في حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما(٨١٠).

ومن هنا يتضح **الفرق** بين **الاتباع والطاعة:**

فالطاعة: مرتبطة بالأمر والنهي، وقد يكون الحامل عليها الخوف من العقوبة، وقد يكون المحبة.

أما الاتباع: فلا حامل له إلاّ نفس المتَّبِع محبةً ورغبةً وتقليداً،... ويدل على التفريق بينهما قولُه تعالى على لسان هرون عليه السلام: ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ

---

(٨٠٩) صحيح البخاري: كتاب الاعتصام: باب قول النبيّ ﷺ: (لتتبعن سنن من كان قبلكم)، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب العلم: باب اتباع اليهود والنصارى، رقم (٦).

(٨١٠) المستدرك (٤: ٤٥٥) وصححه وأقره الذهبي، وكشف الأستار (٤: ٩٨) برجال ثقات، ومختصر زوائد البزار (٢: ١٧٦-١٧٧) ومجمع الزوائد (٧: ٢٦١).

ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِي ﴾[٨١١]. حيث أمر باتباعه وطاعة أمره، والعطف يقتضي المغايرة، والله تعالى أعلم.

ولهذا أوجب الله عز وجل لمتَّبع نبيِّه الكريم ﷺ محبتَه تعالى للمتَّبع، مع مغفرة ذنوبه، ثم أردفها تعالى بالأمر بطاعته تعالى وطاعة رسوله الكريم ﷺ ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ ...﴾.

لكن لابد للمؤمن من الإثنين: الاتباعِ للنبي الكريم ﷺ -ويكون نابعاً من نفسه؛ محبة ورغبة وتقليداً- والطاعةِ لله تعالى ولرسوله الكريم ﷺ -سواء عن محبة ورغبة، أو خوف العقاب الدنيوي أو الأخروي- والأول أولى وأنفع وأجدى، والله تعالى أعلم.

ومَن أَوْلى من الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم بهذا الاتباع؟ وهم الذين اختارهم الله تعالى ليكونوا صحابةَ رسوله الكريم ﷺ، فكانوا حظَّه من الأمم، كما كان ﷺ حظَّهم من الأنبياء عليهم السلام، لذا كانوا أفضلَ الخلق -عدا الأنبياء عليهم السلام- منذ خلق آدم عليه السلام حتى قيام الساعة. كما أوضحته في غير هذا الكتاب[٨١٢].

هذا مع حثه ﷺ لهم باتباعه، والاقتفاء به، والائتمام به، كما بينته في

---

(٨١١) سورة طه (٩٠).

(٨١٢) انظر: فضائل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم، ومناقب الأصحاب كما وردت في آي الكتاب.

غير هذا الموضع.

وقد نفّذ الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم ذلك بكل دقة، خاصة بعد ما علموا أن الله تعالى قد جعل رسوله الكريم ﷺ: قدوتَهم وإمامَهم ومتبوعَهم وأُسوتَهم، لذا وصل بهم الأمر بالاتباع والامتثال الحد الأقصى والأكمل، الذي لا يدانيه فعلُ أتباع نبيٍّ من الأنبياء عليهم السلام(٨١٣).

لقد اتبعوه ﷺ، ولو لم يَطلب ذلك منهم صراحة، بل كان يكفيهم فعله ﷺ لا غير، فإذا رأوه فعل شيئاً فعلوه، لا لشيء إلاّ لأنه ﷺ فعله، حتى لو لم يعرفوا علة ذلك، ما لم يكن خاصّاً به ﷺ. وأذكر بعضَ الأمثلة للتقريب:

* عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: بينما رسول الله ﷺ يصلي بأصحابه، إذ خلع نعليه، فوضعهما عن يساره، فخلعوا نعالَهم. فلما قضى صلاتَه قال: (ما حملكم على إلقائكم نعالكم؟) قالوا: رأيناك خلعتَ فخلعنا،... الحديث، رواه عبد الرزاق والطيالسي وابن أبي شيبة وإسحق وابن سعد وأحمد وأبو داود وأبو يعلى، وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم وأقره الذهبي، في آخرين(٨١٤).

---

(٨١٣) انظر ما كتبته في المقارنة بين الصحابة وبين أتباع الأنبياء عليهم السلام: مكانة النبيّ الكريم ﷺ بين الأنبياء عليهم السلام، وشوق الجمادات واستجابتها له ﷺ، ومحبة النبيّ ﷺ وطاعته بين الإنسان والجماد. وانظر الباب الرابع من هذا الكتاب.

(٨١٤) مصنف عبد الرزاق (١: ٣٨٨) ومسند الطيالسي (٢٨٦ رقم ٢١٥٤) ومصنف ابن أبي شيبة (٢: ٤١٧) والطبقات الكبرى (١: ٤٨٠) ومسند أحمد (٣: ٢٠، ٩٢) ومسند عبد بن حُميد (٢٧٨ رقم ٨٨٠) وسنن الدارمي (١: ٣٢٠) وسنن أبي داود: كتاب الصلاة: باب الصلاة في النعلين، رقم (٦٥٠) ومسند أبي يعلى (٢: ٤٠٩) وصحيح ابن خزيمة =

* وعن الزبير بن عربي رحمه الله تعالى قال: سأل رجلٌ ابنَ عمر رضي الله تعالى عنهما عن استلام الحَجَر فقال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ يستلمه ويقبله، قال قلتُ: أرأيتَ إن زُحِمْتُ، أرأيتَ إن غُلِبْتُ؟ قال: اجعل أرأيتَ باليمن، رأيت رسول الله ﷺ يستلمُه ويُقبِّلُه. رواه البخاري[٨١٥].

* ولهذا كان رضي الله تعالى عنه يستلمه، ثم يضع شفتيه عليه طويلاً -كما رواه الشافعي- وما تركه منذ رأى رسول الله ﷺ يفعله، حتى في وقت الزحام، وإن أدى ذلك إلى خروج الدم من أنفه رضي الله تعالى عنه، وكأنه كان لا يرى الزحام عذراً في تركه، رضي الله تعالى عنهما[٨١٦].

بل قد يفعلون شيئاً -وإن لم تظهر حكمته- إنما هو الاتباع والاقتداء، وقول عمر رضي الله تعالى عنه يمثّل هذا خير تمثيل.

* فعن أسلم مولى عمر، أن عمر بنَ الخطاب رضي الله تعالى عنه قال للركن [الحجر الأسود]: أما والله إني لأعلم أنك حجرٌ لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيتُ النبي ﷺ استلمَك ما استلمتُك، فاستلمه.

[وفي رواية لهما: ولولا أني رأيتُ رسول الله ﷺ يقبِّلك ما قبَّلتُكَ].

ثم قال: ما لنا وللرَّمَلِ؟ إنما كنا راءَيْنا به المشركين، وقد أهلكهم الله، ثم

= (٢: ١٠٧) وصحيح ابن حبان (٥: ٥٦٠) والموارد، رقم (٣٦٠) والمستدرك (١: ٢٦٠) والسنن الكبرى (٢: ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٣١) والعلل لابن أبي حاتم (١: ١٢١) ونصب الراية (١: ٢٠٨) والتلخيص الحبير (١: ٢٧٨).

(٨١٥) صحيح البخاري: كتاب الحج: باب تقبيل الحجر الأسود.

(٨١٦) انظر: فتح الباري (٣: ٤٧٥-٤٧٦).

قال: شيءٌ صنعه النبي ﷺ، فلا نحب أن نتركه. متفق عليه، واللفظ للبخاري[817]. وله ألفاظ أخرى عندهم.

بل من اتباعهم رضي الله تعالى عنهم أنهم يقولون: إنما نفعل ما فعله ﷺ، لأنهم كانوا ضُلّالاً فهداهم الله تعالى به، وجهّالاً فعلّمهم الله تعالى به، لذا فهم مُتَّبِعون وليسوا مبتدعين، هم مُقتَفون وليسوا مخترعين، رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، ويوضح هذا المعنى ما يلي:

* عن أمية بن عبد الله بن خالد رحمه الله تعالى، أنه قال لعبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما: إنّا نجد صلاةَ الحضر وصلاة الخوف في القرآن، ولا نجد صلاة السفر في القرآن؟

فقال عبدُ الله بنُ عمر: يا ابن أخي؛ إن الله عز وجل بعث إلينا محمداً ﷺ، ولا نعلم شيئاً، وإنما نفعل كما رأينا محمداً ﷺ يفعل. رواه أحمد والنسائي وابن ماجه، وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم، ورواه مالك وأحمد منقطعاً، لكن يعضده الرواية الأولى[818].

---

(٨١٧) صحيح البخاري: كتاب الحج: باب الرمل في الحج والعمرة. وصحيح مسلم: كتاب الحج: باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف، رقم (٢٤٨-٢٥٠).

(٨١٨) الموطأ (١: ١٤٥-١٤٦) ومصنف عبد الرزاق (٢: ٥١٧-٥١٨) ومسند أحمد (٢: ٦٥-٦٦، ٩٤، ١٤٨) والمعرفة والتاريخ (١: ٣٧٢) وسنن النسائي: كتاب تقصير الصلاة: الباب الأول (٣: ١١٧) وسنن ابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة: باب تقصير الصلاة في السفر، رقم (١٠٦٦) وصحيح ابن خزيمة (٢: ٧٢) وصحيح ابن حبان (٤: ٣٠١) (٦: ٤٤٤) والموارد (٥٦ رقم ١٠١) والمستدرك (١: ٢٥٨) والسنن الكبرى للبيهقي (٣: ١٣٦) وانظر التقصي (١٥٠رقم ٤٧٤) والتمهيد (١١: ١٦١-١٦٤).

* وفي رواية للنسائي[819] أنه قال لابن عمر رضي الله تعالى عنهما: كيف تُقصر الصلاة، وإنما قال الله عز وجل: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ﴾؟ فقال ابنُ عُمَر رضي الله تعالى عنهما: يا ابن أخي؛ إن رسول الله ﷺ أتانا ونحن ضُلّال، فعلّمنا، فكان فيما علّمنا؛ أن الله عز وجل أمرنا أن نصلّي ركعتين في السفر.اهـ.

* ومما يدخل في هذا المعنى **رواية الأحاديث المسلسلة**، والتي يرويها الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وعنهم من بعدهم، كما صدر عن النبي ﷺ؛ من تبسُّمٍ، أو حركة، أو فعل، أو قول، أو حالة، أو قراءة،... ونحو ذلك، وقد اعتنى علماء الحديث بذكر المسلسلات، وألفوا فيها كتباً[820]، وإن كان الصحيح المسلسل قليلاً، والله تعالى أعلم.

والنصوص في هذا الباب كثيرة جدّاً، وإلاّ فما يحمل من يبقي أزرار قميصه مطلقاً، وثوبه قصيراً، وناصيته لا تقص، وكذا في الأكل والشرب، واللباس، والمحبة والكراهية، والنوم، والأذكار، وغير ذلك، إنما هو لشدة الاتباع، والله تعالى أعلم.

وقد ذكرت أحوالهم رضي الله تعالى عنهم معه ﷺ في (الشوق إلى رسول الله ﷺ من الجذع إلى ثوبان). والله تعالى الموفق والهادي إلى سواء الصراط.

---

(٨١٩) سنن النسائي: كتاب الصلاة: باب كيف فرضت الصلاة (١: ٢٢٦).

(٨٢٠) انظر: المناهل السلسلة في الأحاديث المسلسلة، للشيخ محمد عبد الباقي الأنصاري رحمه الله تعالى فقد جمع (٢١٢) مسلسلاً.

تنبيه: لم يرد في كتاب الله تعالى إضافةُ الاتباع إلى الله تعالى، إنما هو إلى رسول الله ﷺ، وذلك لأن المتَّبِع لابد من رؤية متبوعه، حتى يسير وراءه، وهذا غيرُ ممكن بالنسبة لله تعالى، إنما هو للنبي الكريم ﷺ، والله تعالى أعلم.

- شدة اشتياقهم إلى رؤيته ﷺ:

إذا كان رسول الله ﷺ قد طلب من الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم إدامة مجالسته، وإدامة النظر إلى طلعته البهية، لأنه سيأتي على أحدهم يوم -بعد وفاته ﷺ- يتمنّى أحدُهم لو يرى فيه رسول الله ﷺ لحظة، ثم لا يراه بعدها، ويدفع مقابل ذلك أهلَه وماله جميعاً.

* عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (والذي نفسي بيده؛ ليأتين على أحدكم يومٌ ولا يراني، ثم لأن يراني أحبُّ إليه من أهله وماله معهم). رواه مسلم[821].

فإنه ﷺ أخبر أن من سيأتي بعده ممن غلب عليه حبُّه-ولكن لم يسعد برؤياه-فإنه على استعداد أن يدفع أهلَه وماله في سبيل أن يرى رسول الله ﷺ مرةً واحدة، ثم لا يراه بعدها أبداً.

* وعنه رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (مِن أشدِّ أمتي لي حُبّاً؛ ناسٌ يكونون بعدي، يودُّ أحدُهم لو رآني بأهله وماله). رواه مسلم[822].

فما الذي حمل الفريقَيْن -من الصحابة فمن بعدهم رضي الله تعالى

(٨٢١) صحيح مسلم: كتاب الفضائل: باب فضل النظر إليه ﷺ، وتمنّيه، رقم (١٤٢).

(٨٢٢) صحيح مسلم: كتاب الجنة: باب فيمن يود رؤية النبيِّ ﷺ بأهله وماله، رقم (١٢).

عنهم -على أن يدفع أحدُهم أهلَه ومالَه في رؤيةٍ واحدة، يُمتِّع بها ناظرَه بالطلعة البهية؟ إنما هو الحب الحقيقي الإيماني، والشوق والهيام والوله،... ومن كان كذلك كيف تكون طاعتُه وامتثالُه له ﷺ؟

ولما كان ما جزاء من يُحِبُّ إلاّ يُحَب، وما جزاء من يَشتاق إلاّ الاشتياق إليه، فما جزاء هؤلاء؟

لقد كان ﷺ يشتاق إلى رؤية هؤلاء المحبّين، وسمّاهم إخوانه، كيف وهم محبوه ومتّبعوه ومطيعوه ومؤمنون به،... وسمّاهم إخواناً له، وإن لم يدركوه ﷺ، و لم يسعدوا برؤيته، و لم تكتحل أعيُنهم بالنظر إلى وجهه المنير، فحصل الاشتياق من الطرفين، والحرص على الرؤية من الجانبين.

* عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة، فقال: (السلام عليكم دارَ قوم مؤمنين، وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون. وددتُ أنّا قد رأينا إخوانَنا) قالوا: أَوَلسنا إخوانَك يا رسول الله؟ قال: (أنتم أصحابي، وإخوانُنا الذين لم يأتوا بعد).

فقالوا: كيف تعرف من لم يأت بعدُ من أمّتِك يا رسول الله؟ فقال: (أرأيتَ لو أن رجلاً له خيلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بين ظهرَي خيلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ ألا يعرف خيلَه؟) قالوا: بلى يا رسول الله. قال: (فإنهم يأتون غُرّاً مُحَجَّلين من الوضوء، وأنا فرطُهم على الحوض،...). رواه مسلم[٨٢٣].

وقوله ﷺ: (بل أنتم أصحابي) ليس نفياً لأُخوّتهم رضي الله تعالى عنهم،

---

(٨٢٣) صحيح مسلم: كتاب الطهارة: باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، رقم (٣٩).

ولكن ذكر مرتبتَهم الزائدة بالصحبة، فهم أخوة صحابة، والذين لم يـــأتوا أخوة ليسوا بصحابة، لذا كان الصحابة رضي الله تعالى عنهم أفضل لجمعهم مَرتَبَتَيْن، وتميّزهم بالصحبة التي لا يلحقهم بها أحد(٨٢٤)، والله تعالى أعلم.

فإذا كان هذا هو حبهم وتوقيرهم وولهم وشوقهم، لـــه ﷺ فكيـــف تكون طاعتهم له ﷺ وحرصهم على سنته، ومحافظتهم عليها.

—•◈♦◆♦◈•—

(٨٢٤) انظر: شرح الباجي على الموطأ (١: ٦٩-٧٠) وشرح صحيح مسلم، للإمام النووي (٣: ١٣٨).

الفصل الثاني

حرصهم رضي الله تعالى عنهم على السنة النبوية الشريفة في حياة النبيِّ الكريم ﷺ

- المقدمة:

لقد أكرم الله تعالى رسوله المجتبى ونبيَّه المصطفى ﷺ بصحابة كرام، اختارهم الله تعالى؛ ليكونوا له أنصاراً وأصهاراً وأرحاماً، وحملةَ لواء،... رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم.

* لقد أمر الله عز وجل هؤلاء الصحابة رضي الله تعالى عنهم بطاعة نبيِّه الكريم ﷺ، واتباعه، وتحكيمه، وامتثال أمره، وجوب النزول لحكمه ﷺ، وتقديمه، ومحبته، وتوقيره وتكريمه، والمحافظة على شرعه، وتطبيق سنته. والاقتداء به ﷺ، لأن الله تعالى جعله أسوة حسنة، وقدوة واجبةَ الاتباع، كما جعل طاعته ﷺ طاعةً لله تعالى، ومبايعته ﷺ مبايعة لله تعالى. وجعل الإتيان إليه ﷺ كالإتيان إلى كتاب الله تعالى. كما جعل الاستجابة له ﷺ حياة للمستجيب، وجعل اتباعه مكتَنَفاً بين المحبتين، وأنها سبب محبة الله تعالى للمتَّبِع، وغفران ذنوبه ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾...

* كما حرَّم عليهم مخالفته ﷺ ومعصيته ومشاقَقته، وتوعد من يرتكبها

بالخلود في النار، وجعل الإعراض عن تحكيمه ﷺ من علامات النفاق، وجعل التولّي عنه ﷺ من صفات الكافرين، ونَفى صفةَ الإيمان عمن لم يسلّم له ﷺ في قضائه وحكمه، وجعل الله تعالى مِن لوازم الإيمان؛ أن لا يذهب من كان معه ﷺ حتى يستأذنه، فما بال من أراد الذهاب لاعتناق عقيدة أو فكر أو مذهب،...؟ وقد كثرت الآيات القرآنية في ذلك كله(٨٢٥).

- وأخيراً؛ لقد جعل الله عز وجل سنة نبيه المصطفى الكريم ﷺ مبيِّنةً، ومفصِّلةً، وموضِّحةً، ومقيِّدةً، ومخصِّصةً،... لمجمل الآيات القرآنية وعامِّها ومطلقها،... وغير ذلك(٨٢٦).

* كما حثّهم رسول الله ﷺ على سماع حديثه وفهمه وحفظه ونقله،... كما أذن لبعضهم بتدوين ما يسمعون منه ﷺ. وقد ذكرت الأحاديث في غير هذا الكتاب، أقتصر على ذكر خمسة منها.

* عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: جاء ثلاثةُ رَهْطٍ إلى أزواج النبي ﷺ، يسألون عن عبادةِ النبي ﷺ، فلما أُخبروا بها كأنهم تقالّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؛ وقد غَفر الله له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخر؟... الحديث بطوله، وفيه: فجاء رسولُ الله ﷺ فقال: (أنتم الذين قلتم كذا

---

(٨٢٥) انظر: محبة النبيِّ ﷺ وطاعته بين الإنسان والجماد، وشبهات حول السنة ودحضها، وبدعة دعوى الاعتماد على الكتاب دون السنة، فقد استقصيت ما ورد في ذلك.

(٨٢٦) انظر: محبة النبي ﷺ وطاعته بين الإنسان والجماد، وشوق الجمادات واستجابتها له ﷺ، وشبهات حول السنة ودحضها، ونشأة علوم الحديث. فقد أطلت النفس في بيان الاستدلال لذلك من الكتاب والسنة وفعل الصحابة رضي الله تعالى عنهم،...

وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له،... فمن رغب عن سنتي فليس مني). متفق عليه، واللفظ للبخاري[٨٢٧].

* عن العرباض بن سارية رضي الله تعالى عنه قال: صلى بنا رسولُ الله ﷺ الصبحَ ذات يوم؛ ثم أقبل علينا فوعظنا موعظةً بليغةً، ذرفت منها العيونُ، ووجلت منها القلوبُ، فقال قائل: يا رسول الله؛ كأن هذه موعظةُ مودِّعٍ، فماذا تعهد إلينا؟ فقال: (أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن كان عبداً حبشياً، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنةِ الخلفاءِ الراشدين المهديين، فتمسَّكوا بها، وعضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثاتِ الأمور، فإن كلَّ مُحدثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ). رواه أحمد والدّارِمي وأبو داود وابن ماجَه والبيهقي في المدخل والطحاوي والآجري، وصححه الترمذي وابن حِبّان والحاكم من طرق عدة، وأقره الذهبي[٨٢٨].

---

(٨٢٧) صحيح البخاري: كتاب النكاح: باب الترغيب في النكاح. وصحيح مسلم: كتاب النكاح: باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، رقم (٥).

(٨٢٨) مسند أحمد (٤: ١٢٦، ١٢٧) وسنن الدّارِمي (١: ٤٣-٤٤ رقم ٩٦) وسنن أبي داود: كتاب السنة: باب في لزوم السنة، رقم (٤٦٠٧) وسنن الترمذي: كتاب العلم: باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، رقم (٢٦٧٦) وسنن ابن ماجَه: المقدمة: باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين رقم (٤٢-٤٤) والشريعة (١: ١٧١، ١٧٢) وشرح مشكل الآثار (٣: ٢٢١-٢٢٤) والسنة (٢: ٧٠-٧٢) والمعجم الكبير (١٨: ٢٤٥-٢٤٩، ٢٥٧ من طرق) ومسند الشاميين (٣: ١٧٢-١٧٣) وشرح السنة (١: ٢٠٥) وحلية الأولياء (٥: ٢٢٠-٢٢١) (١٠: ١١٤، ١١٥) وصحيح ابن حِبّان (١: ١٧٨-١٧٩) والمستدرك (١: ٩٥-٩٧) والسنن الكبرى (١٠: ١١٤) والمدخل إلى السنن الكبرى (١١٥، ١١٦) ودلائل النبوة (٦: ٥٤١).

* وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من أطاعني فقد أطاع اللهَ، ومن عصاني فقد عصى اللهَ،...) الحديث، متفق عليه(٨٢٩).

* وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: (جاءت ملائكةٌ إلى النبي ﷺ وهو نائمٌ فقال بعضُهم: إنه نائم. وقال بعضهم: إن العينَ نائمةٌ والقلبَ يقظان. فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلاً،... فقالوا: مَثلُه كمثل رجُلٍ بنى داراً، وجعل فيها مأدبةً، وبعث داعياً، فمن أجاب الداعيَ دخل الدارَ، وأكلَ من المأدبةِ، ومن لم يُجب الداعيَ لم يدخل الدار، ولم يأكل من المأدبةِ. فقالوا: أَوِّلوها له يفقهُها،... فقالوا: فالدارُ الجنةُ، والداعي محمدٌ ﷺ، فمن أطاع محمداً ﷺ فقد أطاع الله، ومن عصى محمداً ﷺ فقد عصى اللهَ، ومحمدٌ فرقٌ بين الناس). رواه البخاري(٨٣٠).

* وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن رسولَ الله ﷺ قال: (كُلُّ أمتي يدخلون الجنةَ إلا من أبى) قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: (من أطاعني دخل الجنةَ، ومن عصاني فقد أبى). رواه البخاري(٨٣١).

* ثم ما اتصف به ﷺ من صفات الجمال والكمال، والخصائص التي أكرمه الله تعالى بها، والمكرمات التي منحه الله تعالى إياها، فلم يقاربه أو

(٨٢٩) صحيح البخاري: كتاب الأحكام: باب قول الله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾، وكتاب الجهاد: باب يقاتل من وراء الإمام. وصحيح مسلم: كتاب الإمارة: باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، رقم (٣٢، ٣٣).

(٨٣٠) صحيح البخاري: كتاب الاعتصام: باب الاقتداء بسنة رسول الله ﷺ.

(٨٣١) صحيح البخاري: في الكتاب والباب السابقين.

يدانيه أحدٌ من الخلق، حيث زادت خصائصه على (٣٥٠) خصلة، لا يوجد في الأنبياء من يتصف بواحدة منها(٨٣٢).

* ومن جملة ما اختصه الله تعالى به: الوحي. فهو ينــذِر بــه ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ﴾ وأنه ﷺ لا ينطق إلاّ به ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ وأنه ﷺ لا يتّبع إلاّ إياه ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ ﴿إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ وقد بين ﷺ أنه قد امتاز به.

* عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ما مِن الأنبياء نبي إلا أُعطي مِن الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الــذي أُتيتُه وحياً أوحاه الله إليَّ، فأرجو أن أكونَ أكثرَهم تابعاً يوم القيامة). متفق عليه(٨٣٣).

* لقد جعل الله تعالى عنوان محبته جل شأنه هو اتّباع النبي المــصطفى الكريم ﷺ، فقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ وقد سبق في الفصل الأول معنى الاتّباع، والفرق بينه وبين الطاعة.

* ثم إن من محبة الله تعالى ورحمته بهذه الأمة أنه لم يدعها تتيه في بيداء

(٨٣٢) انظر: الخصائص التي انفرد بها ﷺ عن جميع الأنبياء عليهم السلام، وعظــيم قــدره ﷺ، والأمانة العظمى، ومكانة النبيِّ الكريم ﷺ بين الأنبياء عليهم السلام، وفضائل النبيِّ الكريم ﷺ كما وردت في القرآن العظيم.

(٨٣٣) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن: باب كيف نزل الوحي، وفي غيرهما. وصــحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس، رقــم (٢٣٩).

الدنيا، وتضيع في غياهب البحث والتفتيش عن قدوة تقتدي بها، وأسوةٍ كاملةٍ تأتسي بها، وإمامٍ كاملٍ تأتمّ به، فأراحها تعالى من ذلك كله، ودلّها تعالى على مَن أكمله وجمَّله، وجعله لها المرجع والأساس، والقدوةَ والمثال.

لقد خلق لها تعالى رسولَه الكريم ﷺ، وأدَّبه على عينه، وأتقنه في ذاته وصفاته وأخلاقه وأحواله، وكمَّله في ذاته وصفاته، وفضَّله على جميع مخلوقاته، وبيّن لهم مَنْزلتَه لديه، ومكانتَه عنده، بعد رفع قدره، وجعله أهلاً أن يُؤتَسى به، وقدوةً يُقتدى بها ﷺ، ثم قدّمه لها؛ إماماً يقتدى به، وأسوة حسنة يؤتسى بها، ودعاها للاقتداء به، والائتساء بشخصه، واتِّباعه في جميع أحواله وأقواله وأفعاله،... ليكونوا معه، وينالوا محبة الله تعالى، ومغفرته لهم ذنوبهم، والله تعالى أعلم.

فقال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[834].

* ثم بيّن الله تعالى ورسولُه الكريم ﷺ أن من أطاع رسولَ الله ﷺ، فقد أطاع الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾[835].

* وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله) الحديث، متفق عليه[836].

---

(٨٣٤) سورة الأحزاب (٢١).

(٨٣٥) سورة النساء (٨٠).

(٨٣٦) صحيح البخاري: كتاب الأحكام: باب قول الله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ﴾ =

حيث عبَّر عن طاعة رسوله ﷺ بالمضارع ﴿يُطِعِ﴾ وهو الذي يقتضي الحال والمستقبل، وعبَّر عن طاعته تعالى بالماضي ﴿أَطَاعَ﴾ الذي يدل على الوقوع والتحقُّق. فمن أطاع رسولَ الله ﷺ حالاً، يكون-في الحقيقة-مطيعاً لمرسِله، وهو الله عز وجل-قبل أن يطيع رسوله ﷺ، ومن عصاه ﷺ، كان-في الحقيقة-عاصياً لمرسِله تعالى، قبل أن يعصي رسوله ﷺ.

* كلُّ ذلك وغيره كثير حملهم على التمسك بسنته ﷺ، والأخذ بها، والحرص عليها، ومعرفة ما يصدر عنه ﷺ، وحفظه والتثبت فيه، ونقله، وصاروا ينظرون إلى كل ما يصدر عنه ﷺ على أنه دِينٌ لا يجوز الخروج عنه، ولا التهاون فيه، والبعد عنه.

* لقد حرصوا رضي الله تعالى عنهم على طاعته ﷺ، فأكبوا على اتباعه ﷺ، والتقيُّدِ بأوامره ونواهيه، والتزموا بطاعته ﷺ أمراً ونهياً، وتوجيهاً، في جميع الشؤون؛ من عبادةٍ إلى جهادٍ، ومن أخلاقٍ إلى معاملاتٍ، ومن أحكامٍ إلى حدودٍ،... وهكذا.

* لقد حفظوا أقوالَه ﷺ وأفعالَه، ونومَه ويقظتَه، وحركاته وسكونَه، وقيامَه وقعودَه، واجتهادَه، وعبادتَه، وسيرتَه، وسراياه، ومغازيه، ومزاحَه، وزجرَه، وخطبتَه، وأكلَه وشربَه، ومشيَه، وسكوتَه، وملاعبتَه أهله، وتأديبَه فرسَه، وعهودَه، ومواثيقَه، وكتبَه إلى المسلمين والمشركين، وألحاظَه،

= مِنكُمْ﴾، وكتاب الجهاد: باب يقاتل من وراء الإمام. وصحيح مسلم: كتاب الإمارة: باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، رقم (٣٢، ٣٣).

وأنفاسَه، وصفاته، هذا سوى ما حفظوه عنه من أحكام، وما سألوا عن العبادات والحلال والحرام، وتحاكموا فيه إليه(٨٣٧).

لذا صاروا رضي الله تعالى عنهم حريصين غاية الحرص على سماعها منه ﷺ، وملازمته ﷺ لسماع سنته وحفظها، أو من صحابي عنه ﷺ، وأنهم كانوا في غاية التثبت فيما لا يعرفون؛ ومن كان يأخذه الحياء فلم يستطع سؤاله ﷺ فإنه يكلف غيره بالسؤال. وإذا عُرضت على أحدهم المسألة من العلم فلم يعرف جوابها فإنه يرحل إليه ﷺ ليعرف حكمها. وقد كانت الوفود تأتيه ﷺ ليعرفوا السنة والدِّين. كانوا يتذاكرونها بينهم إذا قام عنهم ﷺ، ويُحضرون الصغار مجالسَه ﷺ. بل بلغ بهم الأمر في الحفاظ عليها: تدوينُ بعضهم لها، وحفظُهم لها، والتطبيقُ العملي لمفرداتها، والنشاطُ الذي بذلوه في المحافظة عليها ونشرها. وقد شارك النساءُ الرجالَ في ذلك. بل إن بعض النسوة قد سبقن الرجالَ، ولولا أمهات المؤمنين رضي الله تعالى عنهن لما عرفنا كثيراً من أحوال النبي الكريم ﷺ البيتية والأسرية،...

* ثم إن الله تعالى قد أكرم الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم بإكرامات، وخصّهم بخصائص لا توجد عند أتباع الأنبياء، لذا كانوا خيرَ جيل عرفته البشرية من قبل ومن بعد، وقد سبق في البابين الأول والثاني ذكرُ بعض ما اختصوا به.

حيث أحبهم الله تعالى، ورضي عنهم، وشهد لهم بالإيمان، واليقين،

---

(٨٣٧) انظر: المدخل إلى أصول الحديث (٨٧-٨٨) وهو ضمن مجموع الرسائل الكمالية.

وكمال الأخلاق، وأوجب لهم الخلودَ في الجنة، وأنهم أهلٌ لكلمة التقوى.

لذا جعلهم الله تعالى قدوة لمن بعدهم بعد رسول الله ﷺ، وأمر باقتفاء آثارهم، والاقتداء بهم، وحذّر من الخروج عن منهجهم، ومن انتهاج غير سبيلهم، فقال عز وجل: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾(٨٣٨).

فكيف كان حرصُهم رضي الله تعالى عنهم على سنة النبي الكريم ﷺ، وأخذهم لها، وتمسكهم بها، ودفاعهم عنها، وكيف أدّوها لمن بعدهم، وما هو منهجهم في ذلك، حتى صاروا خيرَ من يمثّل الاقتفاء والاقتداء، والحرص على سنة النبي الكريم ﷺ والتثبت فيها، والدفاع عنها، وتطبيقها، في حال حياته ﷺ، ومحافظتهم عليها بعد وفاته ﷺ؟

هذا ما سيكون الحديث عنه في هذا الفصل إن شاء الله تعالى وهو بيان حرصهم على السنة النبوية في حال حياة النبي المصطفى الكريم ﷺ.

* لقد ظهر هذا الحرص منهم رضي الله تعالى عنهم على السنة النبوية الشريفة في زمن رسول الله ﷺ بعدة أمور، أذكر منها:

- ملازمة بعض الصحابة لسماع الحديث وحفظه منه ﷺ:

فمن شدة حرص بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم على سماع الحديث من رسول الله ﷺ: ملازمتُهم له ﷺ من أجل سماعهم.

* ويمثل هذا الأمرَ راويةُ الإسلام الأول: أبو هريرة رضي الله تعالى عنه،

---

(٨٣٨) سورة النساء (١١٥).

حيث يقول: إنه لم يكن يشغلني عن رسول الله ﷺ غرسُ الوَدِيِّ، ولا صفقٌ بالأسواق، إني كنت أطلب من رسول الله ﷺ كلمةً يُعَلِّمُنيها، وأكلةً يُطْعِمُنيها.

فقال له عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما: أنت يا أبا هريرة كنتَ ألزمَنا لرسول الله ﷺ وأعلَمنا بحديثه. رواه عبد الرزاق وأحمد بإسناد صحيح، وحسنه الترمذي، وصححه الحاكم وأقره الذهبي، وقال في السير: رجاله ثقات، وجوّد الحافظ إسناده، وأما المرفوع فهو متفق عليه(٨٣٩)، وهو الآتي.

وبهذا يَرُدُّ رضي الله تعالى عنه على من يقول: أكثر أبو هريرة. ما بال المهاجرين والأنصار رضي الله تعالى عنهم لا يحدثون عن رسول الله ﷺ مثلَ حديثه.

* قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه: إن الناس يقولون أكثر أبو هريرة، ولولا آيتان في كتاب الله ما حدَّثتُ حديثاً، ثم يتلو ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفقُ بالأسواق، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العملُ في أموالهم، وإن أبا هريرة كان يلزم رسولَ الله ﷺ بشبع بطنه، ويحضر ما لا يحضرون، ويحفظ ما لا يحفظون.

* وفي رواية: وكنتُ ألزم رسولَ الله ﷺ على ملء بطني، فأشهد إذا غابوا، وأحفظ إذا نسوا، ولقد قال رسول الله ﷺ يوماً: (أيكم يبسط ثوبه

(٨٣٩) مصنف عبد الرزاق (٣: ٤٥٠) ومسند الطيالسي (رقم ٢٥٨١) ومسند أحمد (٢: ٣، ٣٨٧) وسنن الترمذي: كتاب المناقب: باب مناقب لأبي هريرة رضي الله تعالى عنه، رقم (٣٨٣٦) والمستدرك (٣: ٥١٠-٥١١) وتاريخ دمشق (٦٧: ٣٤٧) وسير أعلام النبلاء (٢: ٦١٦-٦١٧) والإصابة (٧: ٤٣٩-٤٤٠).

فيأخذ من حديثي هذا، ثم يجمعه إلى صدره، فإنه لم ينس شيئاً سمعه) فبسطت بردةً عَليَّ، حتى فرغ من حديثه، ثم جمعتُها إلى صدري، فما نسيت بعد ذلك اليوم شيئاً حدثني به. متفق عليه(٨٤٠).

* وفي رواية للبخاري(٨٤١) قلت: يا رسول الله؛ إني أسمع منك حديثاً كثيراً أنساه، قال: (أبسط رداءك) فبسطته، قال: فغرف بيديه، ثم قال: (ضمه) فضممته، فما نسيت شيئاً بعده.

ففي الحديثين: فضيلةٌ ظاهرةٌ لأبي هريرة رضي الله تعالى عنه، ومعجزةٌ واضحةٌ من علامات النبوة، لأن النسيان من لوازم الإنسان، وقد اعترف أبو هريرة رضي الله تعالى عنه بأنه كان كثيرَ النسيان، ثم تَخلَّف ذلك عنه ببركة النبي الكريم ﷺ(٨٤٢). وسيأتي في الفصل القادم إن شاء الله تعالى عوامل قوة حفظه رضي الله تعالى عنه.

- حرص بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم على سماع الحديث من رسول الله ﷺ مباشرة:

ويمثل هذا عددٌ كبيرٌ من الصحابة رضي الله تعالى عنهم، حيث إنهم كانوا حريصين على معرفة أحواله ﷺ؛ ليقتدوا به، ويعرفوا سنتَه ﷺ؛ ليطبقوها، سواء كان سماعُهم منه ﷺ مباشرةً، أو بواسطة.

---

(٨٤٠) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب حفظ العلم، وكتاب البيوع: باب ما جاء في قول الله عز وجل: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَوٰةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل أبي هريرة الدوسي رضي الله تعالى عنه، رقم (١٥٩-١٦٠).

(٨٤١) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب حفظ العلم.

(٨٤٢) انظر: المستدرك (٣: ٥٠٨) وفتح الباري (١: ٢١٥).

* عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال: قيل يا رسول الله؛ مَن أسعدُ الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: (لقد ظننتُ يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ أول منك، لما رأيتُ من حرصك على الحديث، أسعدُ الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلاّ الله؛ خالصاً من قلبه، أو نفسه). رواه البخاري(٨٤٣).

* وسيأتي حديث إرسال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما إلى بيت خالته ميمونة رضي الله تعالى عنها لمعرفة أحوال النبي الكريم ﷺ في بيته.

- تناوب المشغولين في الحضور عند رسول الله ﷺ:

ومن شدة حرصهم رضي الله تعالى عنهم على سماعها: تناوبُهم في النزول على رسول الله ﷺ، مع انشغال الآخرين بأعمالهم، فيرجع من نزل إلى من بقي فيخبره بما سمع من النبي المصطفى الكريم ﷺ.

* عن عبد الله بن عباس، عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهم قال: كنت أنا وجارٌ لي من الأنصار، في بني أمية بن زيد-وهي من عوالي المدينة-وكنا نتناوب النزولَ على رسول الله ﷺ، ينزل يوماً، وأنزل يوماً، فإذا نزلتُ جئتُه بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعلَ مثلَ ذلك،... الحديث بطوله، متفق عليه(٨٤٤).

وسيأتي حديث البراء رضي الله تعالى عنه بنحو ذلك بعد قليل.

(٨٤٣) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب الحرص على الحديث.

(٨٤٤) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب التناوب في العلم، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الطلاق: باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن، رقم (٣٠-٣٥).

- إرسالهم إلى بيوت أمهات المؤمنين ليعلموا حاله ﷺ وهديه:

ومن شدة حرصهم رضي الله تعالى عنهم على سماعها: أنهم كانوا يرسلون إلى بيوت أزواج النبي ﷺ -ليروا ما يفعل ﷺ- إن كان المرسَل مَحْرَماً، أو ليسألوا أزواجَه ﷺ ورضي الله تعالى عنهن؛ عن أفعاله وأحواله وأقواله ﷺ، وسيأتي ذكر عدد من الأحاديث الشريفة بالنسبة للسؤال عن أحواله ﷺ في (ذكر أثر النساء في الرواية) إن شاء الله تعالى.

* أما الدخولُ على أمهات المؤمنين رضي الله تعالى عنهن، ومعرفةُ الداخل عن أحوال النبي المصطفى الكريم ﷺ عن كثب؛ فذلك كثير، كما في قصة إرسال العباس بن عبد المطلب ولدَه عبدَ الله بن العباس رضي الله تعالى عنهما إلى بيت خالته أم المؤمنين ميمونة رضي الله تعالى عنها، وذَكَرَ كيف كانت صلاةُ رسول الله ﷺ في الليل، وكيف فعل في تلك الليلة، والحديث متفق عليه، وقد رواها الإمامُ البخاري رحمه الله تعالى في تسعة عشر موضعاً من صحيحه(٨٤٥).

- التثبت مما لا يعرفون حتى يرجعوا إلى النبي الكريم ﷺ:

ومن شدة حرصهم رضي الله تعالى عنهم على السنة النبوية: تثبتهم مما لا يعرفون، أو عند تشككهم، وهذا أنواع:

---

(٨٤٥) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب السمر في العلم، وكتاب الوضوء: باب قراءة القرآن بعد الحدث وغيره، وفي غيرها. وانظر طبعة فتح الباري (١: ٢١٢) لبيان أرقام العزو. وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين: باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، رقم (١٨١-١٩٤).

أ – أنهم رضي الله تعالى عنهم كانوا يراجعونه ﷺ فيما يصدر عنه، مما لا يعرفون، أو لم تستوعبه عقولُهم،... حتى يعرفوا الحكمَ في ذلك. كما هو الحال في السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها؛ أنها كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلاّ راجعت فيه حتى تعرفه.

* فعنها رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (ليس أحد يحاسَب يوم القيامة إلاّ هلك) فقلت: يا رسول الله؛ جعلني الله فداك، أليس يقول الله عز وجل: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾؟ فقال رسول الله ﷺ: (إنما ذلك العرض، يُعرضون، ومن نُوقش الحساب هلك). متفق عليه، واللفظ للبخاري(٨٤٦).

ب– إذا حصلت لأحدهم مشكلة، أو أفتاه بعضُهم بحكم معين؛ ثم شك،... رجعوا إلى رسول الله ﷺ ليعرفوا الحكمَ الصحيحَ، ويسمعوه منه ﷺ. مثال ذلك:

* عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: انطلق نفرٌ من أصحاب النبي ﷺ في سَفْرةٍ سافروها، حتى نزلوا على حيٍّ من أحياء العرب، فاستضافوهم، فأبَوا أن يُضَيِّفوهم، فلُدغ سيدُ ذلك الحيِّ، فسعَوا له بكل شيء، لا ينفعه شيء، فقال بعضهم: لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا، لعله أن يكون عند بعضهم شيء.

(٨٤٦) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب من سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه، وكتاب التفسير: سورة ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾: باب ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾. وصحيح مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها: باب إثبات الحساب، رقم (٧٩-٨٠).

فأَتَوهم، فقالوا: يا أيها الرهطُ؛ إن سيدَنا لُدغ، وسعينا له بكل شيء، لا ينفعه، فهل عند أحد منكم من شيء؟ فقال بعضهم: نعم والله، إني لأرقـي، ولكن والله لقد استضفناكم فلم تُضيفونا، فما أنا بِراقٍ لكم حتى تجعلوا لنـا جُعلاً. فصالحوهم على قطيع من الغنم، فانطلق يتفل عليه ويقـرأ {پ پ ڀ ڀ} فكأنما نشط من عقال، فانطلق يمشي وما به قَلَبَةٌ. قال: فأوفوهم جُعلَهم الذي صالحوهم عليه. فقال بعضهم: اقْسِموا، فقال الذي رقى: لا تفعلـوا حتى نأتيَ النبيَّ ﷺ، فنذكرَ له الذي كان، فننظرَ ما يأمرنا.

فقدموا على رسول الله ﷺ، فذكروا له فقال: (وما يدريك أنها رقية؟) ثم قال: (قد أصبتم، اقسِموا، واضربوا لي معكم سهماً) فضحك الـنبيُّ ﷺ. متفق عليه، واللفظ للبخاري(٨٤٧).

* ومثل ذلك حديثُ أبي قتادة رضي الله تعالى عنه، عندما صاد حمـاراً وحشياً، واختلف أصحابه الذين كانوا معه رضي الله تعالى عنهم في أكله- لأنهم محرمون، وهو حلال-فسأل رسولَ الله ﷺ حين قدم عليه، فقال ﷺ: (هو حلال فكلوه). متفق عليه(٨٤٨) وقد رواه البخاري في اثني عشر موضعاً.

ج- كانوا رضي الله تعالى عنهم إذا سمعوا من رسول الله ﷺ شيئاً، ثم سمعـوا

(٨٤٧) صحيح البخاري: كتاب الإجارة: باب ما يعطى في الرقية على أحياء العـرب بفاتحـة الكتاب، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب السلام: باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار، رقم (٦٥-٦٦).

(٨٤٨) صحيح البخاري: كتاب جزاء الصيد: باب إذا صاد الحلالُ فأهدى للمُحْرِم الصيدَ أكله، وانظر طبعة فتح الباري لبيان أرقام العزو (٤: ٢٤) وصحيح مسلم: كتاب الحج: بـاب تحريم الصيد للمحرم، رقم (٥٦-٦٤).

من غيره خلافَه، أنكروا على من سمعوه منهم، ثم أخذوهم إلى رسول الله ﷺ ليسمعوا الصواب في ذلك. مثال ذلك:

* عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: سمعت هشامَ بن حكيم يقرأ سورةَ الفرقان؛ في حياة رسول الله ﷺ، فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة؛ لم يُقرئنيها رسولُ الله ﷺ، فكدتُ أساوره في الصلاة، فتصبَّرتُ حتى سلَّم، فلببته بردائه، فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتُك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسولُ الله ﷺ. فقلتُ: كذبتَ، فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأتَ.

فانطلقتُ به أقوده إلى رسول الله ﷺ، فقلت: إني سمعتُ هذا يقرأ بسورة الفرقان على حرف لم تقرئنيها، فقال ﷺ: (أرسله، اقرأ يا هشام) فقرأ عليه القراءةَ التي سمعتُه يقرأ، فقال رسول الله ﷺ: (كذلك أنزلت) ثم قال: (اقرأ يا عمر) فقرأتُ القراءةَ التي أقرأنيها، فقال رسول الله ﷺ: (كذلك أنزلت، إن هذا القرآنَ أُنزل على سبعة أحرف، فاقرؤوا ما تيسر منه). متفق عليه[٨٤٩].

* وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: سمعتُ رجلاً قرأ آية سمعتُ من النبيِّ ﷺ خلافَها. فأخذتُ بيده، فأتيتُ به رسول الله ﷺ،

---

(٨٤٩) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن: باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين: باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف، رقم (٢٧٠-٢٧١).

فقال: (كلاكما محسن)... الحديث، رواه البخاري[٨٥٠].

أي أن كلَّ واحد يقرأ على حرْف خلاف حرف صاحبه، كما يوضحه:

* وعن أُبَي بن كعب رضي الله تعالى عنه قال: كنت في المسجد، فدخل رجلٌ يصلي، فقرأ قراءةً أنكرتُها عليه، ثم دخل آخر، فقرأ قراءةً سوى قراءة صاحبه، فلما قضينا الصلاة؛ دخلنا جميعاً على رسول الله ﷺ، فقلت: إن هذا قرأ قراءةً أنكرتُها عليه، ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه. فأمرهما رسول الله ﷺ فقرآ، فحسَّن النبيُّ ﷺ شأنَهما.

فسُقِطَ في نفسي من التكذيب، ولا إذ كنت في الجاهلية. فلما رأى رسول الله ﷺ ما قد غشيني؛ ضرب في صدري، ففضت عرقاً، وكأنما أنظر إلى الله عز وجل فَرَقاً، فقال لي: (يا أُبي، أُرسل إليَّ أن اقرأ القرآنَ على حرف، فرددتُ إليه أن هَوِّن على أمتي،...) الحديث بطوله، رواه مسلم[٨٥١].

د- كانوا رضي الله تعالى عنهم إذا سمعوا من رسول الله ﷺ قولاً، ولم تستوعبه عقولهم، أو حدثهم ما يخافون من استغلال الناس له، فيتركوا العمل متوكلين على ما سمعوا،... فإنهم يأخذون من حدّثهم إلى رسول الله ﷺ ليتأكدوا من صحة النقل، ومن ثم ليبدوا وجهة نظرهم.

* عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: كنا جلوساً حول رسول الله

---

(٨٥٠) صحيح البخاري: كتاب الخصومات: باب ما يذكر في الأشخاص والخصومة بين المسلم واليهود، وفي غيرهما.

(٨٥١) صحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (٢٧٣).

ﷺ، معنا أبو بكر وعمر، في نفر.

فقام رسول الله ﷺ من بين أظهرنا، فأبطأ علينا، وخشينا أن يقتطع دوننا. وفزعنا، فقمنا، فكنت أولَ من فزع،... الحديث بطوله، فدخلت على رسول الله ﷺ،... وفيه: فقال: (يا أبا هريرة) (وأعطاني نعليه) قال: (اذهب بنعلي هاتين، فمن لقيتَ من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلاّ الله، مستيقناً بها قلبُه، فبشِّره بالجنة).

فكان أولَ من لقيتُ عمر. فقال: ما هذان النعلان يا أبا هريرة؟ فقلت: هاتان نعلا رسول الله ﷺ، بعثني بهما، من لقيتُ يشهد أن لا إله إلاّ الله مستيقناً بها قلبُه؛ بشَّرتُه بالجنة. فضرب عمر بيده بين ثديَّ، فخررت لإستي، فقال: ارجع يا أبا هريرة، فرجعت إلى رسول الله ﷺ، فأجهشتُ بكاءً، وركبني عمر، فإذا هو على أَثَري.

فقال لي رسول الله ﷺ: (مالك يا أبا هريرة؟) قلت: لقيتُ عمرَ فأخبرتُه بالذي بعثتني به، فضرب بين ثديَيَّ، خررت لإستي، قال: ارجع

فقال له رسول الله ﷺ: (يا عمر؛ ما حملك على ما فعلتَ؟).

قال: يا رسول الله ﷺ؛ بأبي أنت وأمي، أبعثتَ أبا هريرة بنعليك؛ من لقي يشهد أن لا إله إلاّ الله مستيقناً بها قلبُه؛ بشَّره بالجنة؟

قال: (نعم).

قال: فلا تفعل، فإني أخشى أن يتكل الناس عليها، فخلِّهم يعملون. قال رسول الله ﷺ: (فخلهم). رواه مسلم(٨٥٢).

(٨٥٢) صحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، رقم (٥٢).

ففي الحديث أمور، يهمني منها ما يلي:

- تبليغ أبي هريرة لعمر رضي الله تعالى عنهما ما أراده رسول الله ﷺ، فكأنه هو المبشَّر بذلك، فحصل التبليغ، والله تعالى أعلم.

- موقف عمر رضي الله تعالى عنه من أبي هريرة لما خشي من وجـود خطأ أو وهم في النقل، وعدم نشر ذلك خشية اعتماد الناس عليه.

لكن لا يقال إن عمر رضي الله تعالى عنه عارض ما أراد رسول الله ﷺ تبليغَه، لأن أبا هريرة رضي الله تعالى عنه بلَّغ عمر رضي الله تعالى عنه.

- تأكد عمر رضي الله تعالى عنه من رسول الله ﷺ من صحة ما نقله أبو هريرة رضي الله تعالى عنه، فأقر رسول الله ﷺ بصحة ذلك.

- لعل هذه الحادثة كانت قبل حادثة معاذ رضي الله تعالى عنه، وفيهـا نهيه ﷺ عن تبليغه الناس، فأخبر به معاذ رضي الله تعالى عنه عند موته خشية كتم العلم، ولفظه:

* عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، أن النبيَّ ﷺ -ومعاذٌ رديفُـه على الرَّحْل- قال: (يا معاذ بنَ جبل) قال: لبيك يا رسول الله وسـعديك. قال: (يا معاذُ) قال: لبيك يا رسول الله وسعديك (ثلاثاً) قال: (ما من أحد يشهد أن لا إله إلاّ الله، وأن محمداً رسولُ الله صدقاً من قلبه؛ إلاّ حرَّمـه الله على النار) قال: يا رسول الله؛ أفلا أخبرُ به الناس فيستبـشروا؟ قـال: (إذاً يتَّكِلوا) وأخبر بها معاذٌ عند موته تأثُّماً. رواه البخاري[٨٥٣].

(٨٥٣) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا. وصحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنـة قطعاً، رقم (٤٨).

ورواه مسلم من حديث أنس عن معاذ رضي الله تعالى عنهما، من غير الجملة الأخيرة.

فقوله: وأخبر بها معاذ عند موته تأثُّماً: أي خشية الوقوع في الإثم، من كتم العلم، وصنيعُ إخبار معاذٍ رضي الله تعالى عنه بها عند موته؛ على أنه عرف أن النهيَ عن التبشير ليس على التحريم، إنما هو للتَّنْزيه، وإلاّ لما أخبر به أصلاً[٨٥٤]، والله تعالى أعلم.

هـ- كانوا رضي الله تعالى عنهم إذا سمعوا من صحابيٍّ أمراً واستغربوه، لعدم وجود ذلك من قبل، فإنهم يرجعون إلى رسول الله ﷺ، ويسألونه عما استغربوه، حتى يعرفوا الحكم،...

* عن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها، أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً على سريَّةٍ، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم، فيختمُ بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فلما رجعوا؛ ذُكِر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: (سلوه، لأي شيءٍ يصنع ذلك؟) فسألوه. فقال: لأنها صفة الرحمن، فأنا أحبُّ أن أقرأ بها. فقال رسول الله ﷺ: (أخبروه أن الله يحبه). متفق عليه[٨٥٥].

* وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: أتاني معاذ بن جبل،

---

(٨٥٤) انظر فتح الباري (١: ٢٢٧) وانظر صفات المؤمنين في ضوء السنة النبوية، فقد بينتُ حكم هذه المسألة.

(٨٥٥) صحيح البخاري: كتاب التوحيد: باب ما جاء في دعاء النبيِّ ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى. وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين: باب فضل قراءة قل هو الله أحد، رقم (٢٦٣).

فقلت: من أين جئتَ يا معاذ؟ قال: جئتُ من عند النبيِّ ﷺ. فقلت: ما قال لك؟ قال: (من شهد أن لا إله إلاّ الله مخلصاً: دخل الجنةَ) فقلت: فأذهبُ فأسأل النبيَّ ﷺ؟ قال: اذهب. فأتيتُ النبيَّ ﷺ فقلت: يا نبيَّ الله؛ حدَّثني معاذ بن جبل، أنك قلتَ: (من شهد أن لا إله إلاّ الله مخلصاً: دخل الجنةَ) قال: (صدق معاذ، صدق معاذ، صدق معاذ). رواه الطبراني وابن خزيمة، بإسناد ضعيف، وأحمد بنحوه، ولكن الحديث متفق عليه من حديث معاذ، وقد سبق ذكره قبل قليل(٨٥٦).

إلى غير ذلك من الأنواع، ولولا خشية الإطالة؛ لذكرت نماذج أخرى متعددة، لكن حسبي ما ذكرت، والله تعالى هو الموفق والمعين.

- عرض الصحابي على رسول الله ﷺ ما كان سمعه منه ليتأكد من صحة اللفظ:

ومن حرصهم رضي الله تعالى عنهم على السنة النبوية الشريفة، ونقلها بلفظها الذي سمعوه من رسول الله ﷺ: أنهم كانوا يعرضون عليه ما كانوا سمعوه منه، ليتأكّدوا من صحة اللفظ، حتى لا يقعوا في خلاف لا يحبونه.

* عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما قال: قال لي النبيُّ ﷺ: (إذا أتيتَ مضجعَك؛ فتوضّأ وُضوءَك للصلاة، ثم اضطجع على شقِّك الأيمن، ثم قل: اللهم أسلمتُ وجهيَ إليكَ، وفوَّضتُ أمري إليكَ، وألجأتُ ظهري إليكَ، رغبةً ورهبةً إليكَ، لا ملجأ ولا منجا منكَ إلاّ إليك، اللهم آمنتُ بكتابك الذي أنزلتَ، ونبيِّك الذي أرسلتَ، فإن متَّ من ليلتك فأنت على الفطرة، واجعلها آخرَ ما تتكلَّم به).

(٨٥٦) المعجم الكبير (٢٠: ٤٨) وكتاب التوحيد (٢: ٧٩١، ٧٩٢) ومسند أحمد (٥: ٢٢٩).

قال: فرددتُها على النبيِّ ﷺ، [لأستذكرهن] فلما بلغتُ (اللهم آمنتُ بكتابك الذي أنزلتَ) قلت: (ورسولِك) قال: (لا، ونبيِّك الذي أرسلتَ). متفق عليه(٨٥٧).

- تكليف بعضهم بالسؤال:

ومن حرصهم رضي الله تعالى عنهم على السنة النبوية الشريفة، ومعرفةِ الحكم من رسول الله ﷺ: أنهم كانوا يكلِّفون غيرَهم أن يسأل رسول الله ﷺ، إذا كان يمنعهم من مواجهة النبي المصطفى الكريم ﷺ مانعٌ؛ من حياءٍ، أو خجلٍ،... أو غير ذلك.

* عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال: كنت رجلاً مَذّاء، فاستحييتُ أن أسألَ رسولَ الله ﷺ لمكان ابنته مني، فأمرت المقدادَ بن الأسود فسأله، فقال: (يغسل ذَكَرَه، ويتوضأ). متفق عليه(٨٥٨).

* وعن زينب امرأة عبد الله [بن مسعود] رضي الله تعالى عنهما قالت: قال رسول الله ﷺ: (تصدَّقن، يا معشر النساء، ولو من حَلْيِكُن) قالت: فرجعت إلى عبد الله فقلت: إنك رجلٌ خفيفُ ذات اليد، وإن رسول الله ﷺ

(٨٥٧) صحيح البخاري: كتاب الوضوء: باب فضل من بات على الوضوء، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الذكر: باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، رقم (٥٦) وانظر: شرح صحيح مسلم للنووي (١٧: ٣٣-٣٤) وفتح الباري (١: ٣٥٨) وعمدة القاري (٣: ١٨٨- ١٨٩) وإرشاد الساري (١: ٣١٣) لبيان توجيه اللفظ.

(٨٥٨) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب من استحيا فأمر غيره بالسؤال، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الحيض: باب المذي، رقم (١٧- ١٩).

قد أمرنا بالصدقة، فأته فاسأله، فإن كان ذلك يَجزي عني وإلاّ صرفتُها إلى غيركم.

قالت: فقال لي عبدُ الله: بل ائتيه أنت.

قالت: فانطلقتُ، فإذا امرأة من الأنصار بباب رسول الله ﷺ حاجتي حاجتُها. قالت: وكان رسول الله ﷺ قد أُلقيت عليه المهابةُ. قالت: فخرج علينا بلالٌ. فقلنا له: ائت [سل] رسول الله ﷺ، فأخبره أن امرأتين بالباب تسألانك: أتجزئ الصدقةُ عنهما على أزواجهما وعلى أيتام في حجورهما؟ ولا تخبره من نحن.

قالت: فدخل بلالٌ على رسول الله ﷺ فسأله. فقال له رسول الله ﷺ: (مَن هما؟) فقال: امرأةٌ من الأنصار وزينبُ. فقال رسول الله ﷺ: (أيُّ الزنايب؟) قال: امرأةُ عبد الله. فقال له رسول الله ﷺ: (لهما أجران؛ أجر القرابةِ، وأجر الصدقة). متفق عليه(٨٥٩).

* وعن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنهما، أن عُوَيمراً العجلانيَّ جاء إلى عاصمِ بنِ عَدِيٍّ الأنصاريِّ، فقال له: يا عاصم؛ أرأيتَ رجلاً وجد مع امرأته رجلاً؛ أيقتُله فتقتلونه، أم كيف يفعل؟ سل لي يا عاصمُ عن ذلك رسولَ الله ﷺ. فسأل عاصمٌ رسولَ الله ﷺ عن ذلك، فكره رسولُ الله ﷺ المسائلَ وعابها، حتى كبر على عاصم ما سمع من رسول الله ﷺ،... الحديث

(٨٥٩) صحيح البخاري: كتاب الزكاة: باب الزكاة على الزوج والأيتام في الحجر. وصحيح مسلم: كتاب الزكاة: باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد والوالدين،... رقم (٤٥، ٤٦).

بطوله، في قصة اللعان. متفق عليه[٨٦٠].

والأحاديث فيه كثيرة، والله تعالى أعلم.

- السماع من صحابي سمع الحديثَ من النبي الكريم ﷺ:

ومن شدة حرصهم رضي الله تعالى عنهم على السنة النبوية: أنهم كانوا إذا فاتهم حديثٌ لم يسمعوه من رسول الله ﷺ مباشرة، فإنهم يسمعونه من صحابي آخر سمعه من رسول الله ﷺ، وهذا كثير جداً. يأتي ذكر نماذج من ذلك في الفصل الرابع، لكنهم كانوا على حالتين:

١- لا يذكرون أنهم سمعوا من غيره ﷺ، لثقتهم ببعضهم، وعدالتهم وأمانتهم،...

بعد تعديل الله تعالى ورسوله الكريم ﷺ لهم رضي الله تعالى عنهم[٨٦١].

وأنهم لا يكذِبُ بعضُهم بعضاً.

لقد مر حديث عمر بن الخطاب في تناوبه مع الأنصاري رضي الله تعالى عنهما.

* وهو من حديث عبد الله بن عباس، عنه رضي الله تعالى عنهم، والذي فيه قوله: كنتُ أنا وجارٌ لي من الأنصار في بني أمية بن زيد-وهي من عوالي المدينة-وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ،... الحديث بطوله،

(٨٦٠) صحيح البخاري: كتاب الطلاق: باب اللعان، ومن طلق بعد اللعان، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب اللعان، رقم (١-٣) وانظر فتح الباري (١٣: ٢٦٦-٢٦٨) فقد ذكر عدداً من الأحاديث والآثار عن الصحابة رضي الله تعالى عنهم في النهي عن السؤال، مع تعيين المراد بالسؤال المنهي عنه، وهو إما لم يقع، وإما ما كان على سبيل التعنت.

(٨٦١) سيأتي في الباب الرابع إن شاء الله تعالى بيان عدالة الصحابة رضي الله تعالى عنهم، والاستدلال لها.

وهو متفق عليه.

* وعن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما قال: ما كلُّ الحديث سمعنا من رسول الله ﷺ، كان يحدثنا أصحابنا، وكنا مشتغلين في رعاية الإبل. رواه أحمد برجال الصحيح، وصححه الحاكم وأقره الذهبي، ورواه غيرهما(٨٦٢). في أحاديث كثيرة.

* وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: والله ما كلُّ ما نحدِّثكم عن رسول الله ﷺ سمعناه منه، ولكن لم يكن يكذب بعضنا بعضاً. رواه ابن سعد والطبراني بإسناد صحيح، وصححه الحاكم وأقره الذهبي(٨٦٣).

٢- وقد يصرحون بمن سمعوا منه الحديثَ، وجاء هذا على نوعين:

أ - أن يصرح به مباشرة من غير تنقير من أحد عليه، وهذا كثير جداً، ومن نظر في تحفة الأشراف، رأى الكثير من ذلك.

مثل: رواية عبد الله بن عمر عن أخته حفصة، وروايته عن أبيه عمر، وروايته عن أبي سعيد، ورواية البراء بن عازب عن أبي أيوب، ورواية جابر بن سمرة عنه، ورواية جندب بن عبد الله عن حُذَيْفَة بن اليمان، ورواية ابن عباس عن أسامة بن زيد، وروايته عن معاذ، ورواية أنس بن مالك عن زيد

(٨٦٢) مسند أحمد (٤: ٢٨٣) والمعرفة والتاريخ (٢: ٦٣٤) بنحوه، ومعرفة الصحابة (١: ٣٨٥) والمحدث الفاصل (٢٣٥) والجامع لأخلاق الراوي (١: ١١٧) والمستدرك (١: ٩٥) ومجمع الزوائد (١: ١٥٤) وكنز العمال (١٠: ٢٨٨، ٢٩٦).

(٨٦٣) الطبقات الكبرى (٧: ٢١) والمعجم الكبير (١: ٢١٨) والمستدرك (٣: ٥٧٥) والكفاية (٥٤٨) ومجمع الزوائد (١: ١٥٤).

بن ثابت، ورواية ثمانية وعشرين منهم عن أبي هريرة،... وغيرهم كثير جداً، رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم.

ب- التصريح بمن سمع منه بعد التنقير عليه. فهو أقل من سابقه.

مثال ذلك:

* حديث (من أدركه الفجر جنباً فلا يصم). فقد قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه -بعد أن ذكره عن النبي ﷺ أولاً-: لم أسمعه من النبي ﷺ، إنما سمعتُ ذلك من الفَضل. فرجع أبو هريرة رضي الله تعالى عنه عما كان يقول في ذلك. كما عند الشيخين[٨٦٤].

* وحديث (لا ربا إلاّ في النسيئة). لما حدَّث به عبدُ الله بنُ عباس رضي الله تعالى عنهما، وسأله أبو سعيد الخُدْري رضي الله تعالى عنه: هل سمعته من النبي ﷺ؟ قال: أنتم أعلم برسول الله ﷺ مني، ولكن أخبرني أسامة بن زيد. كما عندهما أيضاً[٨٦٥] في أحاديث كثيرة.

رضي الله تعالى عنهم، فقد كانوا يعرفون قدرَ بعضهم، ولا يكذب بعضُهم بعضاً، ومتفقين على أخذ الأحكام من الكتاب والسنة.

- الرحلة إليه ﷺ؛ للسماع منه مباشرة، ومعرفةِ الحكم:

ومن حرصهم رضي الله تعالى عنهم على السنة النبوية الشريفة: أنهم إذا

(٨٦٤) صحيح البخاري: كتاب الصوم: باب الصائم يصبح جنباً. وصحيح مسلم: كتاب الصيام: باب صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب، رقم (٣٥).

(٨٦٥) صحيح البخاري: كتاب البيوع: باب بيع الدينار بالدينار نَساء. وصحيح مسلم: كتاب المساقاة: باب بيع الطعام مِثلاً بمثل، رقم (٩٩-١٠٤).

كانوا بعيدين عنه ﷺ، فإنهم لا يكتفون-أحياناً-بمعرفة الحكم من الصحابة، بل يرحل أحدُهم إليه ﷺ، ليسمع منه مباشرة، ويتثبت من صحة النقل، ويتأكد من صحة الحكم، ولو كانت المسافةُ بعيدةً، كمكة المكرمة مثلاً.

* عن عقبة بن الحارث رضي الله تعالى عنه، أنه تزوَّج ابنةً لأبي إهاب ابن عَزِيز، فأتته امرأة فقالت: إني قد أرضعتُ عقبةَ والتي تزوَّج بها، فقال لها عقبة: ما أعلم أنك أرضعتيني ولا أخبرتيني. فركب إلى رسول الله ﷺ بالمدينة، فسأله، فقال رسول الله ﷺ: (كيف وقد قيل؟) ففارقها عقبةُ، ونكحتْ زوجاً غيرَه. رواه البخاري(٨٦٦)، وقد عنون له [باب الرحلة في المسألة النازلة وتعليم أهله].

* ومثل ذلك أيضاً: مجيءُ ضِمام بن ثعلبة رضي الله تعالى عنه بعد أن كان رسولُ رسولِ الله ﷺ قد جاءه، وأخبره وأعلمه، فجاء يستثبت بنفسه، حتى سمع من النبيِّ ﷺ، كما في الصحيحين(٨٦٧)، وسيأتي ذكرُه بعد قليل إن شاء الله تعالى، والله تعالى أعلم.

* عن أبي هريرة وزيد بن خالد رضي الله تعالى عنهما قالا: كنا عند النبي ﷺ، فقام رجل فقال: أنشدُك الله إلا ما قضيتَ بيننا بكتاب الله، فقام خصمُه-وكان أفقه منه-فقال: اقض بيننا بكتاب الله، وائذن لي. قال: (قل)

(٨٦٦) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب الرحلة في المسألة النازلة وتعليم أهله.

(٨٦٧) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب القراءة والعرض على المحدث. وصحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب السؤال عن أركان الإسلام، رقم (١٠).

قال: إن ابني هذا كان عسيفاً على هذا، فزنى بامرأته، فافتديت منه بمائة شاة وخادم [وعند مسلم: ووليدة] ثم سألتُ رجالاً من أهل العلم؛ فأخبروني أن على ابني جَلْدَ مائةٍ وتَغْرِيبَ عامٍ، وعلى امرأته الرجمَ.

فقال النبي ﷺ: (والذي نفسي بيده، لأقضين بينكما بكتاب الله جل ذكرُه، المائةُ شاةٍ والخادمُ ردٌّ عليك، وعلى ابنك جلدُ مائةٍ وتغريبُ عام، واغدُ يا أُنَيْس على امرأة هذا، فإن اعترفت فارجمها) فغدا عليها، فاعترفت، فرجمها. متفق عليه(٨٦٨).

- الوفود وأثرها في حفظ السنة النبوية ونشرها:

كانت القبائل العربية-وخاصة النائية عن المدينة المنورة-تنتظر ما يكون بين النبي الكريم ﷺ وبين أهل مكة، فلما فتح رسولُ الله ﷺ مكةَ، وأرسل الرسلَ إلى تلك القبائل وزعمائها،... جاءته ﷺ وفودُ تلك القبائل-وعُرف ذلك العام بعام الوفود.

كما جاءه ﷺ الشباب منهم لا ليُمَثِّلوا أقوامَهم وقبائلَهم، ولكن لحب المعرفة، ولقاء النبي المصطفى الكريم ﷺ، والتبرك به.

* عن عَمْرو بن سَلَمة الجرمي رضي الله تعالى عنه قال: كنا بماء ممر الناس، وكان يمر بنا الركبان، فنسألهم: ما للناس، ما للناس، ما هذا الرجل؟ فيقولون: يزعم أن الله أرسله، أوحى الله إليه-أو أوحى الله بكذا-فكنت

---

(٨٦٨) صحيح البخاري: كتاب الحدود: باب الاعتراف بالزنى، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الحدود: باب من اعترف على نفسه بالزنى، رقم (٢٥). وانظر تعليقي على هذا الحديث في سنن الشافعي (٢: ١٧١-١٧٣).

أحفظ ذاك الكلام فكأنما يقرُّ في صدري، وكانت العرب تَلَوَّمُ بإسلامهم الفتحَ، فيقولون: اتركوه وقومه، فإنه إن ظهر عليهم فهو نبيٌّ صادق، فلما كانت وقعةُ أهل الفتح بادر كلُّ قوم بإسلامهم، وبدر أبي قومي بإسلامهم،... الحديث بطوله، رواه البخاري(٨٦٩).

وأقتصر على أنواع من الوفود؛ الزعماء، وغيرهم، والشباب، والجن.

* وما قصة ضِمام إلاّ واحدة من تلك الوفود الكثيرة، لكن جاء فيها التصريح -كما في صحيح مسلم- جاءنا رسولُك، وإن رسولَك،... وسيأتي ذكره في فقرة (حرصهم على أن يأتي الأعرابي فيسأل).

* وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: إن وفدَ عبد القيس لما أتوا النبيَّ ﷺ قال: (مَن القوم-أو مَن الوفد؟) قالوا: ربيعة، قال: (مرحباً بالقوم-أو بالوفد-غير خزايا ولا ندامى) فقالوا: يا رسول الله؛ إنّا لا نستطيع أن نأتيك إلاّ في الشهر الحرام، وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر، فمُرْنا بأمر فصل نُخبر به من وراءنا، وندخل به الجنة،... الحديث بطوله، وفي آخره: قال ﷺ: (احفظوهن، وأخبروا بهن مَن وراءَكم). متفق عليه(٨٧٠).

* وعن طلق بن علي رضي الله تعالى عنه قال: خرجنا وفداً إلى النبيِّ ﷺ، فبايعناه، وصلّينا معه، وأخبرناه أن بأرضنا بيعةً لنا، فاستوهبناه من فَضل طَهوره.

---

(٨٦٩) صحيح البخاري: كتاب المغازي: باب (٥٣) بعد باب مقام النبيِّ ﷺ بمكة زمن الفتح.

(٨٧٠) صحيح البخاري: كتاب الإيمان: باب أداء الخمس من الإيمان، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ وشرائع الدين،... رقم (٢٣-٢٥).

فدعا بماء؛ فتوضّأ، وتمضمض، ثم صبّه في إداوةٍ، وأمرنا. فقال: (اخرجوا، فإذا أتيتم أرضَكم: فاكسروا بيعتَكم، وانضحوا مكانَها بهذا الماء، واتّخذوها مسجداً).

قلنا: إن البلدَ بعيدٌ، والحرَّ شديدٌ، والماءَ ينشف. فقال: (مُدّوه من الماء، فإنه لا يزيده إلاّ طِيباً) فخرجنا، حتى قدمنا بلدَنا، فكسرنا بيعتَنا، ثم نضحنا مكانها، واتّخذناها مسجداً، فنادينا فيه بالأذان.

قال: والراهبُ رجلٌ من طيء، فلما سمع الأذانَ قال: دعوةُ حقٍّ. ثم استقبل تلعةً من تلاعنا، فلم نره بعد. رواه أحمد والنَّسائي والطبراني برجال ثقات، وصححه ابن حِبّان(٨٧١).

* وعن مالك بن الحويرث رضي الله تعالى عنه قال: أتينا إلى النبيِّ ﷺ، ونحن شَبَبَةٌ متقاربون، فأقمنا عنده عشرين يوماً وليلة، وكان رسولُ الله ﷺ رحيماً رقيقاً، فلما ظن أنّا قد اشتهينا أهلنا-أو قد اشتقنا-سألَنا عمن تركنا بعدنا، فأخبرناه، قال: (ارجعوا إلى أهليكم، فأقيموا فيهم، وعلّموهم، ومروهم) وذكر أشياء أحفظها -أوْ لا أحفظها- (وصلّوا كما رأيتموني أصلي، فإذا حضرت الصلاةُ فليؤذن لكم أحدُكم، وليؤمَّكم أكبرُكم). متفق عليه، واللفظ للبخاري(٨٧٢).

(٨٧١) مسند أحمد (٤: ٢٣) وسنن النَّسائي: كتاب المساجد: باب اتّخاذ البِيَع مساجد (٢: ٣٨-٣٩) والسنن الكبرى (١: ٢٥٨-٢٥٩) والمعجم الكبير (٨: ٣٩٨-٣٩٩) وصحيح ابن حِبّان (٣: ٤٠٥-٤٠٦) ودلائل النبوة للبيهقي (٢: ٥٤٢-٥٤٣).

(٨٧٢) صحيح البخاري: كتاب الأذان: باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة، وباب من قال: =

وليست الوفود خاصة بالبشر، فقد وفد على النبي المصطفى الكريم ﷺ وفدُ الجن.

* فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أنه كان يحمل مع النبيِّ ﷺ إداوةً لوُضوئه وحاجته. فبينما هو يتبعه بها فقال: (من هذا؟) فقال: أنا أبو هريرة. فقال: (ابغني أحجاراً أَستنفض بها، ولا تأتني بعظم ولا بروثةٍ) فأتيته بأحجار أحملها في طرف ثوبي، حتى وضعتُها إلى جنبه، ثم انصرفتُ. حتى إذا فرغ؛ مشيتُ معه، فقلت: ما بال العظم والرَّوثة؟ قال: (هما من طعام الجن، وإنه أتاني وفد نصيبين-ونعم الجنُّ-فسألوني الزّادَ. فدعوتُ الله لهم أن لا يمروا بعظم ولا روثةٍ إلاّ وجدوا عليها طعاماً). رواه البخاري[٨٧٣].

* وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه -وهو يتحدّث عن ليلة الجن- وفيه: فقلنا: يا رسول الله؛ فقدناك فطلبناك، فلم نجدْك، فبتنا بشرِّ ليلةٍ بات بها قومٌ. فقال: (أتاني داعي الجن، فذهبتُ معه، فقرأت عليهم القرآن) قال: فانطلَق بنا فأرانا آثارَهم وآثارَ نيرانهم. وسألوه الزاد. فقال: (لكم كلُّ عظْمٍ ذُكِرِ اسمُ الله عليه يقع في أيديكم، أوفرَ ما يكون لحماً. وكلُّ بعرةٍ علَفٌ لدوابِّكم).

فقال رسول الله ﷺ: (فلا تستنجوا بهما، فإنهما طعام إخوانكم). رواه مسلم[٨٧٤].

= ليؤذن في السفر مؤذن واحد، وفي غيرها. وصحيح مسلم: كتاب المساجد: باب من أحق بالإمامة، رقم (٢٩٢).

(٨٧٣) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار: باب ذكر الجن.

(٨٧٤) صحيح مسلم: كتاب الصلاة: باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن، رقم =

- إحضار الصغار مجالسَ رسول الله ﷺ:

ومن حرصهم رضي الله تعالى عنهم على الفائدة والاستفادة من النبي المصطفى الكريم ﷺ: أهم كانوا يُحضرون أبناءَهم إلى مجالس رسول الله ﷺ؛ ولو كانوا أبناءَ أربع سنين أو أكثر أو أقل.

* وقد وردت أحاديثُ كثيرةٌ عن صحابةٍ تحمَّلوا تلك الأحاديثَ وهم صغار، ولا يخفى رواياتُ أنس بن مالك وابن عباس وابن الزبير والبراء وابن عمر،... ونحوهم كثير رضي الله تعالى عنهم؛ حيث لقوا رسولَ الله ﷺ وهم دون البلوغ.

* بل منهم من تُوفي النبيُّ المصطفى الكريمُ ﷺ ولَمّا يبلغ بعد؛ كابن الزبير، والحسن، والحسين، وعُمر بن أبي سلمة، وابن عباس، ومحمود ابن الربيع، وعبد الله بن جعفر، والمِسْوَر بن مَخْرَمَة، وسهل بن أبي حثمة، وأبي الطفيل الكناني، والسائب بن يزيد، والنعمان بن بشير، وقرة بن إياس، وعبد الله بن حنظلة، ومسلمةُ بن مُخَلَّد، وقثم بن العباس،... وغيرهم رضي الله تعالى عنهم، وكلهم من الصحابة الذين رووا عن رسول الله ﷺ[(٨٧٥)].

وقد كان الصبيانُ يحضرون الصلاةَ مع رسول الله ﷺ.

* قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه -عندما أعتم النبيُّ ﷺ ليلةً بالعِشاء و لم يخرج-: نام النساء والصبيان،... الحديث بطوله، متفق عليه، من

= (١٥٠-١٥١).

(٨٧٥) انظر المحدث الفاصل (١٨٩-١٩٢) والكفاية (١٠٥-١١١).

حديث السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها(٨٧٦).

* كما كانوا يخرجون إلى المصلّى مع النبي الكريم ﷺ، لصلاة العيد ونحوها، وعليه عقد الإمام البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه(٨٧٧) على حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما.

* كما كانوا يصلّون على الجنائز معه ﷺ، وعليه عقد الإمام البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه(٨٧٨) على حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما.

* وكانوا يعلّمون صبيانَهم القرآنَ الكريمَ في عهده ﷺ، وعليه عقد الإمام البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه(٨٧٩).

* وكان ﷺ يُؤتَى بالصبيان فيُبَرِّكُ عليهم، ويدعو لهم، كما في الحديث المتفق عليه(٨٨٠).

---

(٨٧٦) صحيح البخاري: كتاب المواقيت: باب فضل العِشاء، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب المساجد: باب وقت العشاء وتأخيرها، رقم (٢١٨).

(٨٧٧) صحيح البخاري: كتاب العيدين: باب خروج الصبيان إلى المصلّى.

(٨٧٨) صحيح البخاري: كتاب الجنائز: باب صلاة الصبيان مع الناس على الجنائز.

(٨٧٩) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن: باب تعليم الصبيان القرآن.

(٨٨٠) صحيح البخاري: كتاب الدعوات: باب الدعاء للصبيان بالبركة ومسح رؤوسهم (فقد ذكر أحاديثَ السائب بن يزيد، وعبد الله بن هشام، ومحمود بن الربيع، وعبد الله بن ثعلبة ابن صُعير، وعائشة رضي الله تعالى عنهم). وصحيح مسلم: كتاب الطهارة: باب حكم بول الطفل الرضيع، رقم (١٠١-١٠٢) لحديث السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها أيضاً، مع أن أحاديث الباقين متفق عليها أيضاً.

وهذا باب واسع جداً، لأن عامة الصحابة رضي الله تعالى عنهم كانوا يأتون بصبيانهم بعد ولاداتهم إلى النبي الكريم ﷺ، فإذا كَبروا حضروا الصلاةَ معه ﷺ، مع أهليهم، ثم يستقلون بذلك.

وهذا من حرص الصحابة الكبار رضي الله تعالى عنهم على أولادهم؛ لينشؤوا نشأةً سليمةً صالحةً،... وكانوا لهم ما أرادوا، لذا روى لنا كثير من الصحابة الصغار-وليس فيهم صغير-رضي الله تعالى عنهم أحاديثَ كثيرةً جدّاً أيضاً، والله تعالى أعلم.

* عن قرة بن إياس رضي الله تعالى عنه قال: كان نبيُّ الله ﷺ إذا جلس يجلس إليه نفر من أصحابه، وفيهم رجل له ابنٌ صغيرٌ، يأتيه من خلف ظهره، فيقعده بين يديه. فهَلَكَ، فامتنع الرجلُ أن يحضر الحلقةَ لذكر ابنه، فحزن عليه.

ففقده النبيُّ ﷺ، فقال: (ما لي لا أرى فلاناً؟) قالوا: يا رسول الله؛ بُنَيّه الذي رأيتَه هلك، فلقيه النبيُّ ﷺ، فسأله عن بُنَيّه، فأخبره أنه هلك، فعزّاه عليه، ثم قال: (يا فلان؛ أيما كان أحبُّ إليك: أن تُمتَّع به عمرَك، أو لا تأتي غداً إلى باب من أبواب الجنة إلاّ وجدتَه قد سبقك إليه يفتحه لك؟) قال: يا نبي الله؛ بل يسبقني إلى باب الجنة فيفتحها لي لهو أحب إليَّ، قال: (فذاكَ لكَ). رواه الطَّيالسي وابن أبي شيبة وأحمد والنَّسائي والطبراني في آخرين، وصححه ابن حِبّان والحاكم، وأقره الذهبي[٨٨١].

(٨٨١) مسند الطَّيالسي (١٤٥رقم ١٠٧٥) ومصنف ابن أبي شيبة (٣: ٣٥٤) ومسند أحمد (٣: ٤٣٦) (٥: ٣٤-٣٥) وسنن النَّسائي: كتاب الجنائز: باب الأمر بالاحتساب والصبر عند نزول المصيبة، وباب التعزية (٤: ٢٢-٢٣، ١١٨) والسنن الكبرى (١: ٦١٣) والمعجم =

لذا كان من سنته ﷺ في الصلاة أنه يصفّ الرجال خلفه، ثم الصبيان، ثم النساء، والأحاديث في ذلك كثيرة. منها:

* عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: صليتُ أنا ويتيمٌ في بيتنا خلف النبيِّ ﷺ، وأمي أمُّ سُليم خلفنا. متفق عليه، واللفظ للبخاري(٨٨٢). وقد تكرر نحو ذلك بغيرهم أيضاً.

علماً بأن أنساً واليتيم رضي الله تعالى عنهما كلاهما دون البلوغ آنذاك.

* وعن أبي مالك الأشعري رضي الله تعالى عنه قال: ألا أحدثكم بصلاة رسول الله ﷺ؟ قال: فأقام الرجال، وصفّ خلَفهم الصبيان، وصف النساءَ خلف الصبيان. رواه أحمد وأبو داود والطحاوي والحارث والطبراني والبيهقي(٨٨٣)، ونسبه الإمام الزيلعي لابن أبي شيبة، وقد حسنه أحمد والبخاري والترمذي، ووثقه كثيرون، فالحديث حسن، وله شواهد متعددة.

= الكبير (١٩: ٢٦، ٣١) والمستدرك (١: ٣٨٤) وصحيح ابن حِبّان (٤: ٢٦٢) مختصراً، والآداب للبيهقي (٤٧٠).

(٨٨٢) صحيح البخاري: كتاب الأذان: باب المرأة وحدها تكون صفّاً. وصحيح مسلم: كتاب المساجد: باب جواز الجماعة في النافلة،... رقم (٢٦٦).

(٨٨٣) مسند أحمد (٥: ٣٤١-٣٤٤) وسنن أبي داود: كتاب الصلاة: باب مقام الصبيان من الصف، رقم (٦٧٧) وبغية الباحث (١: ٢٧٠ رقم ١٥١) وشرح معاني الآثار (١: ٢٦٩) والمعجم الكبير (٣: ٣١٩) والمعجم الأوسط (٤: ٢٩١-٢٩٢) والسنن الكبرى (٣: ٩٧) ونصب الراية (٢: ٣٦) ونسبه لابن أبي شيبة، وذكر سنده فيه، وميزان الاعتدال (٢: ٢٨٣-٢٨٥).

- **تذاكرهم رضي الله تعالى عنهم للحديث إذا اجتمعوا:**

ومن شدة حرصهم رضي الله تعالى عنهم على سنة نبيهم الكريم ﷺ، وسرعة تطبيقهم لأمر رهم تعالى: أنهم رضي الله تعالى عنهم إذا قاموا من مجلس رسول الله ﷺ، ثم التقوا فيما بينهم: يتذاكرون حديثَ رسول الله ﷺ، حتى يحفظوه، ويتعلّموا ما فيه؛ ليطبقوه، بل إذا التقى بعضهم ببعض يكون ديدنهم المذاكرة حتى ترسخ السنة في قلوبهم، بل إن أحدهم ليراجع الحديث بمفرده حتى ترسخ في قلبه.

* وقد سبق ذكرُ حديث البراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما،... كان يحدثنا أصحابنا،...إلخ. وبنحوه حديث أنس رضي الله تعالى عنه.

- **ومذاكرتُهم رضي الله تعالى عنهم على ثلاثة أنحاء:**

١- إما أن تكون على الانفراد.

* قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه: إني لأجزئ الليل ثلاثةَ أجزاء، فثلثٌ أنام، وثلثٌ أقوم، وثلثٌ أتذكّر أحاديثَ رسول الله ﷺ (٨٨٤).

٢- أو تكون المذاكرة بين اثنين مثلاً أو أكثر.

* كما في حديث أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه ومذاكرة حديث (بدأ هذا الأمر نبوة ورحمة، ثم كائن خلافة ورحمة،...) الحديث، حيث كان يتذاكره هو ومعاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه، وهو وبشير بن سعد والد النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنهم. رواه الطَّيالِسي وأبو يعلى والطبراني

---

(٨٨٤) سنن الدّارِمي (١: ١٧).

في الكبير والبَزّار وأبو نعيم، في آخرين[٨٨٥].

٣- أن تكون فيما بينهم رضي الله تعالى عنهم، ويكون العددُ كثيراً.

* قال أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه: كنا نكون عند النبي ﷺ -وربما نكون نحواً من ستين إنساناً- فيحدثنا رسولُ الله ﷺ، ثم يقوم، فنتراجعه بيننا؛ هذا وهذا، فنقوم وكأنما قد زرع في قلوبنا. رواه البَزّار وأبو يعلى والخطيب والبيهقي، وكلهم من طريق الرقاشي عنه[٨٨٦].

* لكن يشهد له حديثُ معاوية رضي الله تعالى عنه، الذي رواه الحاكم وصححه[٨٨٧]، وحديثُ عبد الله بن عَمْرو رضي الله تعالى عنهما، الذي رواه الطَّيالِسي والدّارِمي وابن ماجَه والبغوي والخطيب وغيرهم[٨٨٨]، والله تعالى أعلم.

---

(٨٨٥) انظر: مسند الطَّيالِسي (٣١) ومعرفة الصحابة (٢: ٢٩-٣١) من طرق، ومسند أبي يعلى (٢: ١٧٧-١٧٨) والبحر الزخار (٤: ١٠٨-١٠٩) وكشف الأستار (٢: ٢٣١-٢٣٢) والمعجم الكبير (١: ١١٩-١٢٠) (٢٠: ٥٣) والسنن الكبرى للبيهقي (٨: ١٥٩) ومجمع الزوائد (٥: ١٨٩).

(٨٨٦) مسند أبي يعلى (٧: ١٣١) والجامع لأخلاق الراوي (١: ٢٣٦) والفقيه والمتفقه (٢: ١٢٧) ومجمع الزوائد (١: ١٣٢، ١٦١) وإتحاف الخيرة المهرة (١: ٢٧٦-٢٧٧).

(٨٨٧) انظر المستدرك (١: ٩٤) ورواه البيهقي في المدخل إلى السنن (٢٨٧-٢٨٨).

(٨٨٨) انظر مسند الطَّيالِسي (٢٩٨ رقم ٢٢٥١) ومنحة المعبود (١: ٣٦) والزهد لابن المبارك (٤٨٨ رقم ١٣٨٨) وسنن الدّارِمي (١: ٨٤) وسنن ابن ماجَه: المقدمة: باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، رقم (٢٢٩) وبغية الباحث (١: ١٨٥ رقم ٤٠) وشرح السنة للبغوي (١: ٢٧٤-٢٧٥) والفقيه والمتفقه (١: ١٠-١١) من عدة طرق، وعند الجميع (عبد الرحمن ابن زياد بن أنعم) وكان رجلاً صالحاً، لكنه ضعيف في الحديث. وانظر مصباح الزجاجة (١: ٣٢).

- اتّباعهم رضي الله تعالى عنهم لفعله ﷺ:

ومن شدة حرصهم رضي الله تعالى عنهم على سنة نبيهم الكـــريم ﷺ، أنهم يفعلون ما يفعل، ويلبسون ما يلبس، وهذا كثير، يأتي بعض النماذج في الفصل القادم إن شاء الله تعالى. وأقتصر على ذكر نموذجين.

* عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنـــهما، أن رســـول الله ﷺ اصطنع خاتَماً من ذهب، فكان يجعل فصَّه في باطن كفِّه إذا لبسه. فـــصنع الناسُ. ثم إنه جلس على المنبر، فنـــزعه. فقال: (إني كنتُ ألبس هذا الخاتم، وأجعلُ فصَّه من داخل) فرمى به. ثم قال: (والله، لا ألبسه أبداً) فنبذ النـــاسُ خواتيمهم. متفق عليه[٨٨٩].

* ثم اتخذ بعده خاتماً من فضة، ونقش عليه (محمد رسول الله) وقـــال ﷺ: (لا ينقش أحدٌ على نقش خاتمي هذا). كما في حديث ابن عُمر رضي الله تعالى عنهما عند مسلم، وأنس رضي الله تعالى عنه المتفق عليه[٨٩٠].

فاتخاذ خاتم الذهب كان في أول الأمر ثم حرّمه ﷺ بعد ذلك.

* وعن معاوية بن قرة بن إياس، عن أبيه رضي الله تعالى عنه قال: أتيتُ رسول الله ﷺ في رهطٍ من مُزَيْنَة، فبايعناه، وإن قميصَه لمطلقُ الأزرار. قال:

---

(٨٨٩) صحيح البخاري: كتاب الأيمان: باب من حلف على الشيء وإن لم يُحلَّف، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب اللباس: باب تحريم خاتم الذهب على الرجال، ونسخ ما كان من إباحته في أول الإسلام، رقم (٥٣).

(٨٩٠) صحيح البخاري: كتاب اللباس: باب الخاتم في الخنصر، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (٥٥، ٢٠٩٠).

فبايعتُه، ثم أدخلتُ يدي في جيب قميصه، فمسستُ الخاتم.

قال عروة [بن عبد الله، الراوي عن معاوية]: فما رأيتُ معاوية ولا ابنَه قط إلاّ مطلقي أزرارهما في شتاء ولا حر، ولا يزرِّران أزرارَهما أبـداً. رواه الطَّيالِسي وابن أبي شيبة وأحمد وأبو داود وابن ماجَه وابن الجعد وابن حِبّان، في آخرين، بسند صحيح(٨٩١).

والنصوص في هذا الباب كثيرة جدّاً.

- اعتماد رواية الواحد إذا وثقوا به:

ومن حرص الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم على السنة النبويـة، واعتمادها، وأنها المصدر الأساسي -مع القرآن الكـريم- ولوجـود الثقـة ببعضهم، وعدم وجود الكذب بينهم،... اعتمادهم خبرَ الواحد في نقله عن رسول الله ﷺ، وإمضائه، وقد بحثت هذه المسألة في غير هذا الكتـاب(٨٩٢). أقتصر على ثلاثة نماذج مهمة، لأنها تمثل العبادة والمعاملة والحدود.

* فعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: بينما الناس بقباء في صلاة الصبح، إذ جاءهم آت فقال: إن رسول الله ﷺ قد أُنزل عليه الليلـةَ

---

(٨٩١) مسند الطَّيالِسي (١٤٤رقم ١٠٧٢) ومصنف ابن أبي شيبة (٨: ٣٨٥-٣٨٦) ومسـند أحمد (٣: ٤٣٤) (٤: ١٩) (٥: ٣٥) ومسند ابن الجعد (٣٩٢-٣٩٣) وسنن أبي داود: كتاب اللباس: باب حل الإزار، رقم (٤٠٨٢) والشمائل المحمدية للترمذي (١٥٦-١٥٧ رقم ٥٨) وسنن ابن ماجَه: كتاب اللباس: باب حل الإزار، رقم (٣٥٧٨) وشرح السنة (١٢: ١٥) والمعجم الكبير (١٩: ٢١-٢٢) وصحيح ابن حِبّـان (١٢: ٢٦٦-٢٦٧) وأخلاق النبيّ ﷺ (١٠٩).

(٨٩٢) انظر: خبر الواحد إفادته وحجيته.

قرآنٌ، وقد أُمر أن يستقبلَ الكعبةَ، فاستقبلوها.

وكانت وجوهُهم إلى الشام، فاستداروا إلى الكعبة. متفق عليه(٨٩٣).

* وعن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما قال: كان رسول الله ﷺ صلى نحو بيت المقدس ستة عشر -أو سبعة عشر- شهراً، وكان رسول الله ﷺ يُحب أن يُوجَّه إلى الكعبة، فأنزل الله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ فتوجَّه نحو الكعبة، وقال السفهاء من الناس -وهم اليهود-: ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

فصلى مع النبي ﷺ رجل، ثم خرج بعدما صلّى، فمرَّ على قوم من الأنصار في صلاة العصر نحو بيت المقدس، فقال: هو يشهد أنه صلّى مع رسول الله ﷺ، وأنه توجه نحو الكعبة، فتحرَّفَ القومُ، حتى توجهوا نحو الكعبة. متفق عليه، واللفظ للبخاري(٨٩٤).

* وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كنتُ أسقي أبا عُبَيدة بن الجرّاح وأبا طلحةَ وأُبَيَّ بنَ كعب: شراباً من فضيخٍ وتمرٍ. فأتاهم آتٍ فقال: إن الخمرَ قد حُرِّمت. فقال أبو طلحة: يا أنس؛ قم إلى هذه الجرَّة فاكسرها. فقمتُ إلى مهراسٍ لنا فضربتُها بأسفله، حتى تكسَّرت. متفق عليه(٨٩٥).

---

(٨٩٣) صحيح البخاري: كتاب الصلاة: باب ما جاء في القبلة، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب المساجد: باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة، رقم (١٣-١٤).

(٨٩٤) صحيح البخاري: كتاب الصلاة: باب التوجه نحو القبلة حيث كان، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب المساجد: باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة، رقم (١١-١٢).

(٨٩٥) صحيح البخاري: كتاب أخبار الآحاد: باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق،... =

* وعن أبي هريرة وزيد بن خالد رضي الله تعالى عنهما قالا: كنا عند النبي ﷺ، فقام رجل فقال: أنشدُك الله إلاّ ما قضيتَ بيننا بكتاب الله، فقام خصمُه -وكان أفقه منه- فقال: اقض بيننا بكتاب الله، وائذن لي. قال: (قل) قال: إن ابني هذا كان عسيفاً على هذا، فزنى بامرأته، فافتديت منه بمائة شاةٍ وخادم [وعند مسلم: ووليدة] ثم سألتُ رجالاً من أهل العلم؛ فأخبروني أن على ابني جَلْدَ مائةٍ وتَغْرِيبَ عامٍ، وعلى امرأته الرجمَ.

فقال النبي ﷺ: (والذي نفسي بيده، لأقضين بينكما بكتاب الله جل ذكرُه، المائةُ شاةٍ والخادمُ ردٌّ عليك، وعلى ابنك جلدُ مائةٍ وتغريبُ عام، واغدُ يا أُنَيْس على امرأة هذا، فإن اعترفت فارجمها) فغدا عليها، فاعترفت، فرجمها. متفق عليه(٨٩٦).

فإذا نظرنا في هذه الأحاديث الأربعة نراها تشترك في أمر واحد، وهو تنفيذ الصحابة رضي الله تعالى عنه لخبر واحدٍ أتاهم ليعلمهم بما جدَّ، وهذه الأمور هي من المكانة بمكان عال، فالصلاة أفضل العبادات، ومع كل هذا فقد استداروا عن قبلتهم لما أتاهم من أخبرهم بتحويلها، والخمر تعتبر من أكثر الأشربة في نفوسهم قنية، فلما جاءهم من أخبرهم بتحريمها كسروا الدنان، وسفكوا ما فيها في الشوارع حتى جرت الأزقة خمراً. وإقامة الحدِّ

= وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الأشربة: باب تحريم الخمر،... رقم (٣-٩) وانظر تحريم الخمر والمسكرات فقد ذكرتُ روايات الحديث.

(٨٩٦) صحيح البخاري: كتاب الحدود: باب الاعتراف بالزنى، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الحدود: باب من اعترف على نفسه بالزنى، رقم (٢٥). وانظر تعليقي على هذا الحديث في سنن الشافعي (٢: ١٧١-١٧٣).

على زانية بما فيه من إزهاق الروح، ومع هذا فقد نفّذوا أمرَ رسول الله ﷺ، وكلٌّ هذا دالٌّ على مدى حرصهم على السنة النبوية، وطاعتهم لأمر رسول الله ﷺ إذا كان المخبرُ من أهل الصدق والأمانة، علماً بأن الصحابة رضي الله تعالى عنهم كلهم عدول من أهل الصدق.

- لم تمنعهم الدنيا من معرفتها:

ومن حرص الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم على السنة النبوية: أنهم لم يمنعهم البيع والشراء من معرفتها، والحصول عليها. والنصوص في ذلك كثيرة، أشير إلى نص واحد للتنبيه.

* فعن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما قال: ابتاع أبو بكر من عازب -رضي الله تعالى عنهم- رحْلاً، فحملتُه معه. قال: فسأله عازبٌ عن مسير رسول الله ﷺ. قال: أُخذ علينا بالرَّصَد، فخرجنا ليلاً، فأحثثنا ليلتَنا ويومنا حتى قام قائمُ الظهيرة، ثم رُفعت لنا صخرةٌ، فأتيناها، ولها شيءٌ من ظل. قال: ففرشتُ لرسول الله ﷺ فروةً معي، ثم اضطجع عليها النبيُّ ﷺ. فانطلقتُ أنفض ما حوله، فإذا أنا براعٍ قد أقبل في غُنيمة يريد من الصخرة مثلَ الذي أردنا، فسألته: لمن أنت يا غلام؟ فقال: أنا لفلان. فقلتُ له: هل في غنمك مِن لبن؟ قال: نعم. فقلت له: هل أنت حالبٌ؟ قال: نعم. فأخذ شاةً من غنمه، فقلت له: انفض الضرعَ. قال: فحلب كُثبةً من لبن، ومعي إداوةٌ من ماء، عليها خرقةٌ قد روَّأتُها لرسول الله ﷺ، فصببتُ على اللبن حتى برد أسفله، ثم أتيتُ به النبيَّ ﷺ فقلت: اشرب، يا رسول الله، فشرب

رسول الله ﷺ حتى رضيتُ. ثم ارتحلنا، والطلبُ في إثرنا.

قال البراء: فدخلتُ مع أبي بكر على أهله، فإذا عائشةُ ابنتُه مضطجعةٌ قد أصابتها حُمّى، فرأيتُ أباها يقبِّلُ خدَّها، وقال: كيف أنتِ يا بُنيّة. متفق عليه، واللفظ للبخاري(٨٩٧).

ففي الحديث أمور كثيرة:

فعازب رضي الله تعالى عنه لم يمنعه بيعه من أن يسأل أبا بكر رضي الله تعالى عنه عن مسيرهم يوم الهجرة وما حصل فيها، ودقة وصف الصِّدِّيق رضي الله تعالى عنه لما حصل في تلك الرحلة المباركة.

مجيء الحديث مختصراً في رواية البخاري هنا، وهو مطوّل في غير هذا الموضع عنده كما هو مطول عند مسلم، وفيه قصة سراقة، ووصولهم المدينة، وتنازع أهل المدينة من هو الذي ينزل عليه رسول الله ﷺ.

وهذه الحادثة وقعت في أول مقدمهم المدينة، وكل من البراء وعائشة رضي الله تعالى عنهما كان صغيراً لم يبلغ بعد، وكانت الحُمى قد أصابت عائشة كما أصابت أباها وعامرَ بن فُهيرة وبلالاً وغيرهم من المهاجرين، رضي الله تعالى عنهم، عندما قدموا المدينة.

- حرص النساء على السنة، وأثرهن في الرواية:

وكما أن الرجال كانوا حريصين على سماع الحديث الشريف ومعرفته

---

(٨٩٧) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار: باب هجرة النبيِّ ﷺ وأصحابه إلى المدينة، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الزهد والرقائق: باب في حديث الهجرة، ويقال له: حديث الرَّحْل، رقم (٧٥).

وضبطه وإتقانه وحفظه ونشره، كان النساء حريصات على معرفة الأحكام، والسنة النبوية، مع حفظ الحديث وروايته، كما كن حريصات أيضاً على سماع الحديث من النبي المصطفى الكريم ﷺ، سواء كن من أمهات المؤمنين، أم من غيرهن رضي الله تعالى عنهن، وقد ظهر عدد من الصحابيات المكثرات من الحديث، كما هو الحال في الرجال.

فقد رَوى من النساء الصحابيات رضي الله تعالى عنهن في الكتب الستة الأصول -كما تحفة الأشراف-(١١٧) سبع عشرة ومائة امرأة بما فيهن المبهمات، ومجموع الأحاديث التي روينها في الكتب الستة فقط هو: (٢٦٧٧) سبعة وسبعون وستمائة وألفان، كما في تحفة الأشراف؛ للحافظ المزي رحمه الله تعالى، فهو أكثر من سُبع مجموع ما في الكتاب تقريباً، مما يدل على مدى عنايةِ النساء بالسنة النبوية، وحرصِهن رضي الله تعالى عنهن على الرواية.

* فقد روت السيدةُ عائشة رضي الله تعالى عنها (٢٠٨١) وروت أمُّ سَلمة (١٥٨) وروت نُسيبة بنت كعب (٥٢) وروت أسماءُ بنت أبي بكر (٤٢) وروت ميمونة (٣١) رضي الله تعالى عنهن جميعاً، في الكتب الستة الأصول خاصة، كما في تحفة الأشراف أيضاً، فما عدد أحاديثهن في غير هذه الكتب؟

لو نظرنا مسند الإمام أحمد لوجدنا فيه (٣٦٢٤) حديثاً بالمكرر، عن طريق (١١١) امرأة منهن، فكيف لو نظرنا غيره؟

وسيأتي مزيد بحث مع ذكر بعض الأمثلة في عوامل انتشار السنة النبوية، إن شاء الله تعالى.

وروايات هؤلاء الصحابيات رضي الله تعالى عنهن: إما أنهن سمعن ذلك من النبي الكريم ﷺ مباشرة؛ في مجالسه وخطبه،... أو سألنه ﷺ فأجابهن،... أو سمعن من غيرهن -من الرجال أو النساء- ممن سمع منه ﷺ، والله تعالى أعلم.

لقد كان رسول الله ﷺ يجعل لهن مجلساً يأتيهن ويعظهن ويذكّرهن كما يفعل مع الرجال.

* عن أبي سعيد الخُدْري رضي الله تعالى عنه قال: قالت النساءُ للنبي ﷺ: غلَبَنا عليك الرجالُ، فاجعل لنا يوماً من نفسك. فوعدهن يوماً لقيَهنَّ فيه، فوعظهن، وأمرهن،... الحديث بطوله. متفق عليه، واللفظ للبخاري(٨٩٨).

وقد يعظهن ﷺ بعد صلاة العيد، بعد صلاته بالرجال والنساء معاً، وخطبته ﷺ فيهم.

* عن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: شهدتُ صلاةَ الفطر مع نبيِّ الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله تعالى عنهم، فكلهم يصلّيها قبل الخطبة. ثم يخطب. قال: فنزل نبيُّ الله ﷺ كأني أنظر إليه حين يجلّسُ الرجالَ بيده، ثم أقبل يشقُّهم، حتى جاء النساء، ومعه بلال، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾(٨٩٩). فتلا هذه

(٨٩٨) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب البر والصلة: باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه، رقم (١٥٢).

(٨٩٩) سورة الممتحنة (١٢).

الآية حتى فرغ منها، ثم قال -حين فرغ منها-: (أنتنّ على ذلك؟) فقالت امرأةٌ واحدةٌ -لم يجبه غيرُها منهن: نعم، يا نبيَّ الله- لا يُدرى حينئذٍ من هي. فقال: (فتصدّقن)... الحديث بطوله، متفق عليه(٩٠٠).

* وفي رواية لهما: ثم خطب، فرأى أنه لم يُسمع النساء، فأتاهن، فذكَّرهن، ووعظهن، وأمرهن بالصدقة،... الحديث بطوله.

* وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: إن النبيَّ ﷺ قام يوم الفطر فصلّى، فبدأ بالصلاة قبل الخطبة. ثم خطب الناسَ. فلما فرغ نبيُّ الله ﷺ نزل، وأتى النساء فذكّرهن [وفي رواية: ثم مضى حتى أتى النساءَ فوعظهن وذكّرهن]،... الحديث بنحوه، متفق عليه(٩٠١).

وقد يأتين بيتَه ﷺ فيسألنه عما يردن معرفة حكمه.

* فعن زينب امرأة عبد الله [بن مسعود] رضي الله تعالى عنهما قالت: قال رسول الله ﷺ: (تصدَّقن، يا معشر النساء، ولو من حَلْيِكُن) قالت: فرجعت إلى عبد الله فقلت: إنك رجلٌ خفيفُ ذات اليد، وإن رسول الله ﷺ قد أمرنا بالصدقة، فأته فاسأله، فإن كان ذلك يَجزي عني وإلاّ صرفتُها إلى غيركم.

قالت: فقال لي عبدُ الله: بل ائتيه أنت.

---

(٩٠٠) صحيح البخاري: كتاب صلاة العيدين: باب موعظة الإمام النساء يوم العيد، وفي غيرهما.
وصحيح مسلم: كتاب صلاة العيد: في مقدمته، رقم (١، ٢).

(٩٠١) روياه في الكتابين والبابين السابقين، ورقمه عند مسلم (٣-٤).

قالت: فانطلقتُ، فإذا امرأة من الأنصار بباب رسول الله ﷺ حاجتي حاجتُها. قالت: وكان رسول الله ﷺ قد أُلقيت عليه المهابةُ. قالت: فخرج علينا بلالٌ. فقلنا له: ائتِ [سل] رسول الله ﷺ، فأخبره أن امرأتين بالباب تسألانك: أتجزئ الصدقةُ عنهما على أزواجهما وعلى أيتام في حجورهما؟ ولا تخبره من نحن.

قالت: فدخل بلالٌ على رسول الله ﷺ فسأله. فقال له رسول الله ﷺ: (مَن هما؟) فقال: امرأةٌ من الأنصار وزينبُ. فقال رسول الله ﷺ: (أيُّ الزنايب؟) قال: امرأةُ عبد الله. فقال له رسول الله ﷺ: (لهما أجران؛ أجر القرابةِ، وأجر الصدقة). متفق عليه(٩٠٢). وقد سبق ذكره.

والنصوص في هذا الباب كثيرة، يأتي ذكر بعضها في الفقرة التالية.

- لم يمنعهن الحياء أن يسألنه ﷺ:

ومن حرص الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم على السنة النبوية، ومِن ثم على معرفة الأحكام الشرعية-في زمن النبي المصطفى الكريم ﷺ-أن النساء الجليلات رضي الله تعالى عنهن لم يكن يمنعهن الحياء أن يسألن رسول الله ﷺ عما يحتجن إلى معرفته، ولو كان السؤال من خاصية المرأة، التي يستحيى من ذكره أمام الرجال.

---

(٩٠٢) صحيح البخاري: كتاب الزكاة: باب الزكاة على الزوج والأيتام في الحجر. وصحيح مسلم: كتاب الزكاة: باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد،... رقم (٤٥، ٤٦).

* فعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها، أن امرأةً قالت لرسول الله ﷺ: هل تغتسلُ المرأةُ إذا احتلمت، وأبصرت الماءَ؟ فقال: (نعم) فقالت لها عائشةُ: تربت يداك وأُلَّتْ. قالت: فقال رسول الله ﷺ: (دعيها، وهل يكون الشَّبهُ إلاّ مِن قِبَل ذلك. إذا علا ماؤُها ماءَ الرجل أشبه الولدُ أخوالَه، وإذا علا ماءُ الرجل ماءَها أشبه الولدُ أعمامَه). رواه مسلم(٩٠٣).

وروى(٩٠٤) نحوه من أحاديث أنس وأم سُليم وعائشة رضي الله تعالى عنهم.

* وعن أم سلمة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها قالت: جاءت أمُّ سُلَيم إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله ﷺ؛ إن الله لا يستحيي من الحق، فهل على المرأة من غُسل إذا احتلمت؟ قال النبيُّ ﷺ: (إذا رأت الماءَ).

فغطّت أمُّ سلمة -تعني وجهَها- وقالت: يا رسول الله؛ وتحتلمُ المرأةُ؟ قال: (نعم، تربتْ يمينُك، فبم يشبهُها ولدُها). متفق عليه(٩٠٥).

* وعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها، أن أسماء [بنتُ شَكَل الأنصارية] سألت النبيَّ ﷺ عن غُسل المحيض؟ فقال: (تأخذ إحداكن ماءَها وسدرَتَها فتطهَّر. فتُحسن الطُّهورَ، ثم تصب على رأسها فتدلُكُه دلْكاً شديداً، حتى تبلغَ شؤونَ رأسها. ثم تصبُّ عليها الماءَ.

(٩٠٣) صحيح مسلم: كتاب الحيض: باب وجوب الغسل على المرأة بخروج المني منها، رقم (٣٣). وانظر: العلوم والإيمان، في بيان الإعجاز العلمي في هذا الحديث وأمثاله.

(٩٠٤) صحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (٢٩-٣٤) وانظر العلوم والإيمان.

(٩٠٥) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب الحياء في العلم، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (٣٢).

ثم تأخذُ فرصةً مُمسَّكةً فتطهرُ بها) فقالت أسماءُ: وكيف أتطهر بها؟

فقال: (سبحان الله، تطهَّرين بها)

فقالت عائشة (كأنها تُخفي ذلك): تتبعين أثر الدم.

[وفي رواية عند مسلم: قالت: كيف أتطهَّر بها؟ قال: (تطهَّري بها، سبحان الله) واستتر. قال: قالت عائشةُ: واجتذبتُها إليَّ، وعرفتُ ما أراد النبيُّ ﷺ. فقلت: تتبعي بها أثر الدم].

وسألته عن غُسل الجنابة؟ فقال: (تأخذُ ماءً فتطهّرُ، فتحسِنُ الطُّهور -أو تُبلِغُ الطُّهور- ثم تصبُّ على رأسها فتدلُكُه. حتى تبلغَ شؤونَ رأسها. ثم تُفيضُ عليها الماءَ).

فقالت عائشة: نعم النساءُ نساءُ الأنصار، لم يكن يمنعُهنَّ الحياء أن يتفقّهن في الدين. رواه مسلم، ورواه البخاري تعليقاً(٩٠٦).

ذلك أن النبي المصطفى الكريم ﷺ يغلبه الحياء، فما كان يفصح عن الأمر المستقبح ذكره، بل كان يكنّي. لذا جذبتها عائشة رضي الله تعالى عنها، وفسّرت لها ما أراد ﷺ، ومع هذا فقد كان جوابُها أيضاً غاية الحياء.

وإذا كن يسألنه ﷺ عما يستحيا من ذكره فما بال ما هو أوضح؟!

- حرصهم على أن يأتي الأعرابي فيسأل:

ومن حرص الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم على الاستفادة من

(٩٠٦) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب الحياء في العلم، وانظر تغليق التعليق. وصحيح مسلم: كتاب الحيض: باب استحباب المغتسِلة من الحيض فرصةً من مسك في موضع الدم، رقم (٦٠، ٦١).

رسول الله ﷺ مباشرة، أهم بعدما مُنعوا من السؤال: صاروا يتمنّون أن يأتي الرجلُ الفطن اللقن من البادية فيسأل رسول الله ﷺ، ليستفيدوا منه.

* عن طلحة رضي الله تعالى عنه، أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا لأعرابي جاهل: سل رسول الله ﷺ عمّن قضى نحبه مَن هو؟ وكانوا لا يجترئون هم على مسألته، يوقّرونه ويهابونه.

فسأله الأعرابيُّ، فأعرض عنه، ثم سأله فأعرض عنه. ثم إني اطلعتُ من باب المسجد، وعليَّ ثيابٌ خضرٌ. فلما رآني رسولُ الله ﷺ قال: (أين السائلُ عمّن قضى نحبه؟) قال الأعرابيُّ: أنا يا رسول الله ﷺ. قال: (هذا ممن قضى نحبه). رواه الترمذي وحسنه، وابن أبي عاصم وأبو يعلى والبَزّار والضياء في المختارة، وإسناده حسن[٩٠٧]. وله شواهد عدة.

* وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: نُهينا [في القرآن] أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء، فكان يعجبنا أن يجيء الرجلُ من أهل البادية -العاقلُ- فيسألَه، ونحن نسمع. فجاء رجل من أهل البادية فقال: يا محمد؛ أتانا رسولُك، فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك؟ قال: (صدق) قال: فمن خلق السماءَ؟ قال: (الله) قال: فمن خلق الأرض؟ قال: (الله) قال: فمن نصب هذه الجبال، وجعل فيها ما جعل؟ قال: (الله) قال: فبالذي خلق

(٩٠٧) سنن الترمذي: كتاب التفسير: باب ومن سورة الأحزاب، وكتاب المناقب: باب مناقب طلحة بن عبيد الله رضي الله تعالى عنه، رقم (٣٠٢٢، ٣٠٢٣، ٣٧٤٢) والسنة (٢: ٩٢٨-٩٢٩) والبحر الزخار (٣: ١٥٨) ومسند أبي يعلى (٢: ٢٦-٢٧) وتفسير الطبري (٢٢: ٩٣) والمختارة (٣: ١٧-١٩) وانظر المعجم الكبير (١: ٧٦) والدر المنثور.

السماءَ وخلق الأرضَ ونصب هذه الجبال آلله أرسلك؟ قال: (نعم) قال: وزعم رسولُك أن علينا خمسَ صلوات في يومنا وليلتنا. قال: (صدق) قال: فبالذي أرسلك، آلله أمرك بهذا؟ قال: (نعم) قال: وزعم رسولُك أن علينا زكاةً في أموالنا. قال: (صدق) قال: فبالذي أرسلك، آلله أمرك بهذا؟ قال: (نعم) قال: وزعم رسولُك أن علينا صومَ شهر رمضان في سنَتِنا. قال: (صدق) قال: فبالذي أرسلك، آلله أمرك بهذا؟ قال: (نعم) قال: وزعم رسولُك أن علينا حَجَّ البيت من استطاع إليه سبيلاً. قال: (صدق).

قال: ثم ولّى. قال: والذي بعثك بالحقِّ، لا أزيد عليهن ولا أنقص منهن. فقال النبيُّ ﷺ: (لئن صدق ليدخلّن الجنة). متفق عليه، واللفظ لمسلم(٩٠٨).

وكأن أنساً رضي الله تعالى عنه يشير إلى قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ...﴾الآية(٩٠٩)، والله تعالى أعلم.

وقد بيّن النبي المصطفى الكريم ﷺ المراد منها بقوله:

* عن سعد بن أبي وقّاص رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (إن أعظم المسلمين جُرماً من سأل عن شيءٍ لم يُحرَّم، فحُرِّم من أجل مسألته). متفق عليه(٩١٠).

(٩٠٨) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب القراءة والعرض على المحدث. وصحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب السؤال عن أركان الإسلام، رقم (١٠).

(٩٠٩) سورة المائدة (١٠١).

(٩١٠) صحيح البخاري: كتاب الاعتصام: باب ما يكره من كثرة السؤال، ومن تكلّف ما لا =

* وستأتي رواية أخرى من حديث طلحة رضي الله تعالى عنه في الباب الرابع، إن شاء الله تعالى.

- حفظهم السنة النبوية في زمن النبي الكريم ﷺ:

لقد حرص الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم على حفظ السنة النبوية في زمن النبي الكريم ﷺ ونقلوا للناس كل شيء عنه ﷺ.

قال الإمامُ الحاكم رحمه الله تعالى[٩١١]: قد رَوى عنه ﷺ من الصحابة أربعةُ آلاف رجل وامرأة، وصحبوه نيفاً وعشرين سنة -بمكة قبل الهجرة ثم بالمدينة بعد الهجرة- وحفظوا عنه أقوالَه وأفعالَه، ونومَه ويقظتَه، وحركاته وسكونَه، وقيامَه وقعودَه، واجتهادَه، وعبادتَه، وسيرتَه، وسراياه، ومغازيه، ومزاحَه، وزجرَه، وخطبتَه، وأكلَه وشربَه، ومشيَه، وسكوتَه، وملاعبتَه أهله، وتأديبَه فرسَه، وكتبتَه إلى المسلمين والمشركين، وعهودَه، ومواثيقَه، وألحاظَه، وأنفاسَه، وصفاته، هذا سوى ما حفظوه عنه من أحكام الشريعة، وما سألوا عن العبادات والحلال والحرام، وتحاكموا فيه إليه.اهـ.

فلم يتركوا رضي الله تعالى عنهم لنا شيئاً مما يصدر عنه أو يتصل به ﷺ إلاّ ذكروه، حتى ولو كان شيئاً عرضياً، أو أمراً لا يُؤْبه به، وما ذاك إلاّ الحب الذي جعلهم ينظرون إلى كل ما يصدر عنه ﷺ على أنه من الدِّين؛ الذي أُلزموا باتباعه وأخذه، رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم.

= يعنيه. وصحيح مسلم: كتاب الفضائل: باب توقيره ﷺ، وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه،... رقم (١٣٢-١٣٣).

(٩١١) المدخل إلى أصول الحديث (٨٧-٨٨) ضمن مجموع الرسائل الكمالية.

ومن هذا الحرص الشديد، والامتثال الدقيق الذي نتج عما سمعوه من أقوال الله تعالى في كتابه الكريم وأقوال النبي الكريم ﷺ؛ بوجوب طاعة نبيِّه الأمين ﷺ، والأخذ بسنته، واتباعِ أمره، وجعله القدوةَ المثلى، والمثلَ الأعلى،... هذا الحرص جعلهم يحفظون سنة نبيهم عليه وآله الصلاة والسلام، حفظاً ندر له مثيل في الوجود، بل لا مثيل له.

وهذا الحفظ يتمثل بثلاثة أمور.

أولاً: التطبيق العملي:

وهذا واضح لا يحتاج إلى برهان، لكثرته ووضوحه، إذ العبادات والمعاملات والأخلاق،... وغيرها: كل ذلك جاء تفصيلُها عن رسول الله ﷺ، وقد طبَّق الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم ذلك على أنفسهم.

* كيف لا، وهم يسمعون رسول الله ﷺ يقول: (صلُّوا كما رأيتموني أُصلي). رواه البخاري، وهو جزء من حديث مالك بن الحويرث رضي الله تعالى عنه، وقد مر ذكره قبل قليل.

* ويقول ﷺ: (خذوا عني مناسككم). رواه مسلم[٩١٢]، من حديث جابر رضي الله تعالى عنه.

وأذكر مثالاً واحداً يوضح كيف كان تطبيقُ الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم لسنة نبيهم الكريم ﷺ، ومدى حرصهم على امتثال أمره ﷺ وفعله، وطاعتهم له، ولو لم يعرفوا علَّةَ ذلك وحِكمتَه.

(٩١٢) صحيح مسلم: كتاب الحج: باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكباً، رقم (٣١٠).

* عن أبي سعيد الخُدْري رضي الله تعالى عنه قال: بينما رسول الله ﷺ يصلي بأصحابه، إذ خلع نعليه فوضعهما عن يساره، فلما رأى ذلك القومُ ألقَوا نعالَهم، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاتَه قال: (ما حملكم على إلقائكم نعالكم؟) قالوا: رأيناك ألقيتَ نعليك فألقينا نعالنا. فقال رسول الله ﷺ: (إن جبريل ﷺ أتاني فأخبرني أن فيها قذراً). الحديث بطوله، رواه الطَّيالِسي وابن أبي شيبة والدّارِمي وابن سعد وعبد بن حُميد وأحمد وأبو داود، وصححه ابن خزيمة وابن حِبّان والحاكم(٩١٣). وهناك أمثلة كثيرة ذكرتها في غير هذا الكتاب.

ثانياً: الحفظ غيباً:

وهذا هو الغالب، لأن الغالب على الناس في ذلك الوقت: الأُمِّيَّة، لذا كانوا يعتمدون على الحفظ، وهو أمر يتوارثونه منذ الجاهلية، فكانوا يحفظون تواريخَهم وأشعارَهم وآدابَهم وأيامَهم،... حفظاً، ولم يكن من ذلك شيء مكتوب إلاّ نادراً(٩١٤).

وقد ذكر الله جلت قدرته أُمِّيَّةَ العرب، كما ذكرها النبي الكريم ﷺ.

(٩١٣) مسند الطَّيالِسي (رقم ٢١٥٤) والطبقات الكبرى (١: ٤٨٠) ومصنف ابن أبي شيبة (٢: ٤١٧) ومسند أحمد (٣: ٢٠، ٩٢) وسنن الدّارِمي (١: ٢٦٠) ومسند عبد بن حُميد (رقم ٨٨٠) وسنن أبي داود: كتاب الصلاة: باب الصلاة في النعل، رقم (٦٥٠-٦٥١) ومسند أبي يعلى (٢: ٤٠٩) وصحيح ابن خزيمة (١: ٣٨٤) والمستدرك (١: ٢٦٠) وصحيح ابن حِبّان (٣: ٣٠٥-٣٠٦) والسنن الكبرى للبيهقي (٢: ٤٠٢، ٤٣١) وشرح السنة (٢: ٩٢).

(٩١٤) انظر: أمية النبي الكريم ﷺ، فقد ذكرت الأدلة، والحكمة من إرساله ﷺ أمياً.

قال الله عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ...﴾(٩١٥).

وقال الله تعالى عن وصف نبيِّه الكريم ﷺ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ إلى قوله جل وعز: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ﴾(٩١٦).

والأُمِّيُّ: ليس هو الجاهل كما يتصوره ويظنه كثير من المعاصرين - تقليداً لما جاء من وراء الحدود- أن الأُمِّيَّ هو الجاهل، فهذا خطأ مشين، ولكن الأُمِّيَّ هو الذي لا يحسن القراءة والكتابة لا غير.

لهذا قد يكون أُمِّيّاً وهو من كبار العلماء الفصحاء البلغاء النبغاء، وهذا ما نجدُه. إذ كثيرٌ من الشعراء والخطباء،... والعلماء في الجاهلية وفي صدر الإسلام كانوا أُمِّيِّين -ومثلهم العميان- لا يقرؤون ولا يكتبون.

وقد بيَّن النبي المصطفى الكريم ﷺ معنى الأمية.

* عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما، عن النبي ﷺ قال: (إنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ، لا نكتب ولا نحسب، الشهرُ هكذا وهكذا وهكذا) وعقد الإبهام في الثالثة (والشهرُ هكذا وهكذا وهكذا) يعني: تمامَ الثلاثين. متفق عليه، واللفظ لمسلم(٩١٧).

---

(٩١٥) سورة الجمعة (٢).

(٩١٦) سورة الأعراف (١٥٧-١٥٨).

(٩١٧) صحيح البخاري: كتاب الصوم: باب قول النبي ﷺ: (لا نكتب ولا نحسب). وصحيح =

لكن ليس معنى ذلك أنه لا يوجد فيهم مَن يعرف القراءةَ والكتابة، بل كان فيهم من يعرف ذلك، لكنهم قلة بالنسبة لغيرهم، والعبرةُ بالغالب.

وقد فعلوا ذلك مع القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة-أي حفظاً-إلاّ أن النبي المصطفى الكريم ﷺ أمرهم بتدوين القرآن الكريم، مع حفظهم له في صدورهم، والأمرُ كان واجباً، أما بالنسبة للسنة النبوية الشريفة، فقد كان بعضُهم يكتب دون الأغلبية.

* وقد حثَّ رسولُ الله ﷺ الصحابةَ الكرام رضي الله تعالى عنهم، على حفظ السنة، فقال ﷺ: (نضر الله امرءاً سمع منا حديثاً فحفظه ثم بلغه،...). وغيره، لأن الحديث في هذا الباب متواتر(٩١٨).

لذا حرصوا رضي الله تعالى عنهم على حفظِها -في زمن النبي الكريم ﷺ، امتثالا لأمره ﷺ- ونقلِها نقلاً صحيحاً عنه ﷺ، إضافة إلى تطبيقها عملياً.

ثم إن كثيراً منهم رضي الله تعالى عنهم تخصّصوا في أمور أو علوم مختلفة، فمنهم بالقضاء، ومنهم بالمواريث، ومنهم بالحلال والحرام، ومنهم بالقراءة،... ومنهم بالحفظ،...إلخ.

* عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان

= مسلم: كتاب الصيام: باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال، رقم (١٥).

(٩١٨) انظر: الأزهار المتناثرة (٥-٦) وقطف الأزهار المتناثرة (٢٨ رقم ٢) ولقط اللآلئ المتناثرة (١٦١ رقم ٤٨) ونظم المتناثر (٢٤-٢٥) وإتحاف ذوي الفضائل المشتهرة (٥٢).

[وأقضاهم علي] وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، ألا وإن لكل أمة أميناً؛ وإن أمينَ هذه الأمة أبو عُبَيدة بن الجرّاح). رواه الطَّيالِسي وابن أبي عاصم وأحمد والنَّسائي وابن ماجَه والطحاوي، وصحّحه الترمذي وابن حِبّان والحاكم والحافظ في الفتح(٩١٩). وقد ورد من غير حديثه أيضاً.

ولهذا اشتهر عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم بكثرة الحفظ عن رسول الله ﷺ، وكان ممن اختص بالحفظ: أبو هريرة رضي الله تعالى عنه، وسيأتي بيان سبب قوة حفظه إن شاء الله تعالى في الباب الرابع، لكني أذكر حديثاً يدل على مدى حفظه رضي الله تعالى عنه.

* عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: حفظت من رسول الله ﷺ وعاءَين، فأما أحدهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم. رواه البخاري(٩٢٠).

(٩١٩) مسند الطَّيالِسي (٢٨١) والسنة (بأرقام ١٢٨٧، ١٣١٦-١٣١٨مفرقاً) ومسند أحمد (٣: ١٨٤، ٢٨١) وفضائل الصحابة له (١: ٤٩٤) وسنن الترمذي: كتاب المناقب: باب مناقب معاذ بن جبل وزيد بن ثابت،...رضي الله تعالى عنهم، رقم (٣٧٩٠، ٣٧٩١) وفضائل الصحابة للنسائي (١٣٤- ١٣٥، ١٦٤- ١٦٥) وسنن ابن ماجَه: المقدمة، رقم (١٥٤، ١٥٥) وشرح مشكل الآثار (٢: ٢٧٩) وشرح السنة (١٤: ١٣١) ومصابيح السنة (٤: ١٧٩-١٨٠) وحلية الأولياء (٣: ١٢٢) وصحيح ابن حِبّان (١٦: ٧٤، ٨٥، ٢٣٨) والمستدرك (٣: ٢٨١، ٤٢٢) والسنن الكبرى (٦: ٢١٠) وفتح الباري (٧: ٩٣).

(٩٢٠) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب حفظ العلم.

لقد حمل العلماء الوعاءَ الذي لم يبثه على الأحاديث التي فيها تبيين أسامي أمراء السوء وأحوالهم وزمنهم. وقد كان أبو هريرة رضي الله تعالى عنه يكني عن بعضه ولا يصرّح، خوفاً على نفسه منهم،... إذ لو كانت تلك الأحاديث من الأحكام الشرعية ما وسعه كتمانها، لما رواه هو من ذم كتم العلم،...

كما يحتمل أن يكون أراد ما يتعلّق بأشراط الساعة، وتغيّر الأحوال، والملاحم في آخر الزمان، فينكر ذلك من لم يألفه، ويعترض عليه من لا شعور له به(٩٢١).

ثالثاً: الكتابة:

إن عامة العرب في زمن النبوة وقبلها كانوا أُمِّيِّين؛ لا يقرؤون ولا يكتبون -كما ذكرتُ ذلك قبل قليل- لكن وُجد فيهم من يكتب، ولهذا كثر كُتّاب الوحي بين يدي النبي الكريم ﷺ، وأكثر من عدّهم ابنُ حديدة الأنصاري رحمه الله تعالى، فقد ذكر منهم (٤٤) أربعة وأربعين رجلاً، في كتابه (المصباح المضيء في كُتّاب النبي ﷺ الأُمِّي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي)(٩٢٢). وهذا عدا من كتب له ﷺ غير القرآن، من رسائل وكتب.

وقد أوصلهم الحافظ العراقي رحمه الله تعالى في ألفيته، إلى (٤٢) اثنين وأربعين رجلاً.

وأوصلهم البرهان الحلبي رحمه الله تعالى في حواشي الشفاء إلى (٤٣) ثلاثة وأربعين، بينما ذكر الحافظ ابن سيد الناس رحمه الله تعالى (٣٩) تسعة

---

(٩٢١) انظر: فتح الباري (١: ٢١٦-٢١٧).

(٩٢٢) وذلك من (١: ٢٩-٢٤٢).

وثلاثين، لكن لم يذكروا من اختص منهم بكتابة القرآن، بينما ذكر بعضُ العلماء أقل من هذا العدد بكثير.

وكلٌّ ذكر ما وصل إليه علمه، وقد ذكرتُ بعض ما فاهم[٩٢٣].

وإذا كان هذا العدد ممن كتب بين يديه ﷺ الوحي-عدا من كَتَب له ﷺ رسائلَه وكتبَه ومعاهداته،... فإنه يدل على وجود كُتّاب آخرين؛ ممن كانوا موجودين في زمانه ﷺ، وإن كانوا قلَّةً بالنسبة لكثرة الأُمِّيِّين.

وقد اشتهر عن بعض الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم الكتابة للحديث في زمن النبي الكريم ﷺ، كما عُرِف من كان يكتب السنةَ بين يديه ﷺ.

وممن اشتهر بكتابة السنة في زمن النبي ﷺ: عبدُ الله بن عمرو، وعلي بن أبي طالب، وجابر، وسعد بن عبادة،...رضي الله تعالى عنهم في آخرين.

وأقتصر على تسعة أحاديث فيها الدلالة على التدوين في زمن النبي المصطفى الكريم ﷺ. ومن أراد الزيادة فلينظر في (تدوين السنة،...).

* عن عبد الله بن عَمْرو رضي الله تعالى عنهما قال: كنتُ أكتبُ كلَّ شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه، فنهتني قريشٌ، وقالوا: رسولُ الله ﷺ بشر؛ يقول في السخط والرضا. قال: فأمسكت عن الكتابة، ثم ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: (أكتب-وأشار إلى فيه-والذي نفسي بيده ما

(٩٢٣) انظر: العجالة السنية (٢٤٤-٢٤٧) والتراتيب الإدارية (١: ١١٤وما بعد) وعيون الأثر (٢: ٣١٥-٣١٦) وجوامع السيرة (٢٦) وتلقيح الفهوم (٨٠) وزاد المعاد (١: ١١٧) وتهذيب الأسماء واللغات (١: ٢٩) ومختصر تاريخ دمشق لابن منظور (٢: ٣٣١-٣٤٦) وانظر: أمية النبي المصطفى الكريم ﷺ، فقد ذكرت بعض ما فاتهم أيضاً.

يخرج منه إلاّ حق). رواه ابن أبي شيبة وأحمد والدّارمي وأبو داود بإسناد صحيح، وصححه الحاكم وأقره الذهبي(٩٢٤).

* وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: ليس أحد من أصحاب رسول الله ﷺ أكثرَ حديثاً عن النبي ﷺ مني، إلاّ ما كان من عبد الله بن عمرو؛ فإنه كان يكتب ولا أكتب. رواه البخاري(٩٢٥).

* وعن أبي جُحَيْفَة رضي الله تعالى عنه، أنه قال لعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: هل عندكم شيء من الوحي إلاّ ما في كتاب الله؟ قال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ما أعلمه إلاّ فهماً يعطيه الله رجلاً في القرآن، وما في هذه الصحيفة، قال: قلت: وما في هذه الصحيفة؟ قال: العقلُ، وفكاكُ الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر. متفق عليه، لكن عند مسلم من غير طريق أبي جُحَيْفَة، إنما رواه -كما عند البخاري أيضاً- من طريق إبراهيم التيمي، عن أبيه، عن عليٍّ رضي الله تعالى عنه(٩٢٦).

وقد أخرج البخاري رحمه الله تعالى هذا الحديثَ في تسعة مواطن من صحيحه.

(٩٢٤) مصنف ابن أبي شيبة (٩: ٤٩-٥٠) ومسند أحمد (٢: ١٦٢، ١٩٢، ٢٠٨) وسنن الدّارمي: المقدمة: باب ما جاء في كتابة العلم (١: ١٠٣) وسنن أبي داود: كتاب العلم: باب كتابة العلم، رقم (٣٦٤٦) والمستدرك (١: ١٠٤-١٠٦من طرق) وجامع بيان العلم (١: ٧١) وتقييد العلم (٨٠).

(٩٢٥) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب كتابة العلم.

(٩٢٦) صحيح البخاري: في الكتاب والباب السابقين، وفي غيرهما. انظر أرقام الأحاديث في طبعة فتح الباري (١: ٢٠٤) وصحيح مسلم: كتاب الحج: باب فضل المدينة،... رقم (٤٦٧-٤٦٨).

* وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: لما فتح الله تعالى على رسوله ﷺ مكةَ، قام في الناس، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (إن الله حبس عن مكة الفيل، وسلَّط عليها رسوله -ﷺ- والمؤمنين، فإنها لا تَحِلّ لأحد كان قبلي، وإنها أُحلت لي ساعةً من نهار، وإنها لن تحلَّ لأحدٍ من بعدي، فلا يُنفَّر صيدها، ولا يُختلى شوكُها،...). الحديث بطوله، وفي آخره: فقام أبو شاهٍ-رجلٌ من أهل اليمن-فقال: اكتبوا لي يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: (اكتبوا لأبي شاهٍ). متفق عليه(٩٢٧).

ففي هذا الحديث: الأمر بكتابة الحديث، وهو في أواخر العهد النبوي، حيث كان في فتح مكة، كما هو مصرح به.

* وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما اشتد بالنبي ﷺ وجعُه [وفي رواية لهما: لما حضر رسول الله ﷺ] قال: (ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده،...). الحديث بطوله، وفي آخره: فاختلفوا وكثر اللغط، قال: (قوموا عني، ولا ينبغي عندي التنازع). متفق عليه(٩٢٨).

* وهذا الحديث إنما كان في آخر حياته ﷺ، كما هو واضح في الرواية الأخرى [لما حضر رسول الله ﷺ].

---

(٩٢٧) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب كتابة العلم، وكتاب اللقطة: باب كيف تُعرّف لقطة أهل مكة، وفي غيرها، وصحيح مسلم: كتاب الحج: باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها،... رقم (٤٤٧-٤٤٨).

(٩٢٨) صحيح البخاري: كتاب العلم: الباب السابق، وذكره في مواطن كثيرة أيضاً. وصحيح مسلم: كتاب الوصية: باب ترك الوصية، رقم (٢٠-٢٢).

* وذلك يوم الخميس، كما في الرواية الأخرى عندهما أيضاً(٩٢٩).

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: يوم الخميس، وما أدراك ما يوم الخميس، ثم بكى، حتى خضب دمعُه الحصباءَ، فقال: اشتد برسول الله ﷺ وجعُه يوم الخميس، فقال: (ائتوني بكتاب،...). الحديث.

وهذا الحديث: يدل على مشروعية الكتابة، لأنه كان في آخر حياته ﷺ، وهو ناسخٌ لكل نصٍّ يمنع الكتابةَ. كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

* وعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ -في مرضه-: (ادعي لي أبا بكر وأخاك، حتى أكتب كتاباً، فإني أخاف أن يتمنّى مُتمَنٍّ، ويقولَ قائلٌ: أنا أولى. ويأبى الله والمؤمنون إلاّ أبا بكر). متفق عليه، واللفظ لمسلم(٩٣٠). وقد ورد من غير حديثها.

فدلالة هذا الحديث كدلالة حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما. لأن كلاهما كان في مرض الوفاة.

* وعن أبي بكر بن محمد بن عَمْرو بن حزم، عن أبيه، عن جده، رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ كتب إلى أهل اليمن بكتاب فيه الفرائضُ والسنن والدِّيات. وبعث به مع عَمْرو بن حزم، فقُرئت على أهل اليمن،...

---

(٩٢٩) انظر صحيح البخاري: كتاب الجهاد: باب هل يستشفع إلى أهل الذمة، وكتاب الجزية: باب إخراج اليهود من جزيرة العرب، وفي غيرها. وصحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (٢١).

(٩٣٠) صحيح البخاري: كتاب الأحكام: باب الاستخلاف، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله تعالى عنه، رقم (١١).

الحديث بطوله، رواه النَّسائي، وأبو داود في مراسيله، وابن حِبّان والحاكم والبيهقي، وروى قطعاً منه-أو مُفَرَّقاً-مالك والشافعي وعبد الرزاق وابن أبي شيبة والدّارِمي والدارقطني وابن خزيمة والبغوي في شرح السنة(٩٣١). حيث جاء مرسلاً بأسانيد صحيحة.

* وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما، أن النبي ﷺ كتب الصدقة، فلم تخرج إلى عماله حتى قُبض رسولُ الله ﷺ، فلما قُبض أخذها أبو بكر رضي الله تعالى عنه، فعمل بها من بعده، فلما قُبض أبو بكر رضي الله تعالى عنه أخذها عمر رضي الله تعالى عنه، فعمل بها مِن بعدهما، ولقد قُتل عمر رضي الله تعالى عنه وإنها لمقرونة بسيفه، أو وصيته،... الحديث بطوله، رواه ابن أبي شيبة وأحمد وابنه وأبو داود والترمذي وحسنه، وابن ماجَه وأبو يعلى والدارقطني والبيهقي، وصححه ابن خزيمة والحاكم ، وأقره الذهبي، ورواه الشافعي والدّارِمي مختصراً(٩٣٢).

---

(٩٣١) سنن النَّسائي: كتاب القسامة: باب ذكر حديث عَمْرو بن حزم في العقول (٨: ٥٧-٥٩) والمستدرك (١: ٣٩٥-٣٩٧) وصحيح ابن حِبّان (٨: ١٨٠-١٨٢) والسنن الكبرى للبيهقي (٤: ٨٩-٩٠) والمراسيل لأبي داود (٢١٣) وانظر: الموطأ (٢: ٨٤٩) والرسالة للإمام الشافعي، ومصنف عبد الرزاق، رقم (٦٧٩٣) ومصنف ابن أبي شيبة (٩: ١٥٩) وسنن الدّارِمي (١: ٣٢٠، ٣٢١-٣٢٢) وصحيح ابن خزيمة (رقم ٢٢٦٩) وسنن الدارقطني (١: ١٢٢) (٢: ٢٨٥) (٣: ٢٠٩، ٢١٠) والسنن الكبرى للبيهقي (١: ٨٧-٨٨) (٨: ٢٥، ٢٨، ٧٣، ٨٠-٩٧) مفرقاً، والمراسيل (٢١١-٢١٢).

(٩٣٢) مصنف ابن أبي شيبة (٣: ١٢١) ومسند أحمد (٢: ١٤، ١٥) وسنن أبي داود: كتاب الزكاة: باب في زكاة السائمة، رقم (١٥٦٨-١٥٧٠) وسنن الترمذي: كتاب الزكاة: باب ما جاء في زكاة الإبل والغنم، رقم (٦٢١) وسنن ابن ماجَه: كتاب الزكاة: باب صدقة الإبل، وباب صدقة الغنم، رقم (١٧٩٨، ١٨٠٥) وصحيح ابن خزيمة (٤: ١٩) =

* وعن الحارث بن مسلم بن الحارث التميمي، عن أبيه رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ كتب له كتاباً بالوصاة له إلى مَن بَعده من ولاة الأمور، وختم عليه، ودفعه إليه. رواه أحمد وأبو داود والطبراني وابن حِبّان في آخرين، برجال ثقات(٩٣٣).

يضاف إلى ذلك: كتاباتُه ﷺ إلى الملوك والرؤساء؛ ككسرى وقيصر وهرقل وأكيدر والمقوقس،... ورؤساء السرايا، والمكاتبات مع الولاة،... والوجهاء، وغير ذلك(٩٣٤)، والله تعالى أعلم.

والنصوص في هذا الباب كثيرة جدّاً ولله الحمد، حيث جمعتُ نحواً من ثلاثمائة حديث في ذلك، وقد أفردها في رسالة، بعنوان (تدوين السنة من العهد النبوي إلى زمن التابعين) أسأله تعالى إخراجَها عن قريب.

وقد استوعب الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى طرق حديث عبد الله ابن عمرو رضي الله تعالى عنهما في استئذانه النبي ﷺ في الكتابة، في (تقييد العلم)(٩٣٥) وكذا طرق حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، فانظره فيهما،

= والمستدرك (١: ٣٩٢-٣٩٤) ومسند أبي يعلى (٩: ٣٥٩-٣٦٢) وسنن الدارقطني (٢: ١١٢، ١١٦-١١٧) والسنن الكبرى (٤: ٨٧، ٨٨، ٩٠-٩١، ١٠٥-١٠٦) وانظر: الأم (٢: ٤) والمسند (٨٩-٩٠) وسنن الدّارِمي (١: ٣١٩-٣٢٠).

(٩٣٣) مسند أحمد (٤: ٢٣٤) والتاريخ الكبير (٧: ٢٥٣) وسنن أبي داود: كتاب الأدب: باب ما يقول إذا أصبح، رقم (٥٠٨٠) والآحاد والمثاني (٢: ٤١٧، ٤١٧-٤١٨) والمعجم الكبير (١٩: ٤٣٤) وصحيح ابن حِبّان (٣: ٢٣٥) ومجمع الزوائد (٨: ٩٩).

(٩٣٤) انظر: صحيح ابن حِبّان (٨: ١٧٦) حيث قال: باب كتب النبي ﷺ.

(٩٣٥) تقييد العلم (٧٤-٨٥).

والله تعالى أعلم.

وكل ذلك دالٌّ على أن السنة النبوية كان قد بُدىء بتدوينها في عهد النبي الكريم ﷺ، والله تعالى أعلم.

- ما ورد من النهي عن كتابة غير القرآن:

فأصح ما ورد فيه حديثُ أبي سعيد الخُدْري رضي الله تعالى عنه.

* فعنه رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غيرَ القرآن فليمحه). رواه مسلم(٩٣٦).

وقد أجاب العلماء رحمهم الله تعالى عن هذا الحديث بإجابات متعددة، وجمعوا بينه وبين الأحاديث السابقة كالتالي:

* قال القاضي عِياض رحمه الله تعالى(٩٣٧): كان بين السلف من الصحابة والتابعين، اختلاف كثير في كتابة العلم، فكرهها كثير منهم، وأجازها أكثرُهم، ثم أجمع المسلمون على جوازها، وزال ذلك الخلاف.

واختلفوا في المراد بهذا الحديث الوارد في النهي:

- فقيل: هو في حق من يوثق بحفظه، ويخاف اتِّكالُه على الكتابة إذا كتب، ويُحمل الأحاديثُ الواردة بالإباحة على من لا يوثق بحفظه، كحديث (اكتبوا لأبي شاه) وحديثِ (صحيفة علي رضي الله تعالى عنه) وحديثِ

---

(٩٣٦) صحيح مسلم: كتاب الزهد والرقائق: باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم، رقم (٧٢).

(٩٣٧) انظر: إكمال المعلم (٨: ٥٥٣-٥٥٤) ونقله الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (١٨: ١٢٩- ١٣٠) والنقل منه، لأن فيه بعض الاختلاف، وانظر شرح السنة للبغوي (١: ٢٩٣-٢٩٧).

(كتاب عَمْرو بن حزم الذي فيه الفرائض والسنن والديات) وحديثِ (كتاب الصدقة ونُصُب الزكاة الذي بعث به أبو بكر رضي الله تعالى عنه أنساً رضي الله تعالى عنه حين وجهه إلى البحرين) وحديثِ أبي هريرة (أن ابن عَمْرو بن العاص كان يكتب ولا أكتب) وغير ذلك من الأحاديث.

- وقيل: إن حديثَ النهي منسوخٌ بهذه الأحاديث. وكان النهي حين خيف اختلاطه بالقرآن، فلما أُمن ذلك أُذن في الكتابة.

- وقيل: إنما نُهي عن كتابة الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة لئلا يختلط به، فيشتبه على القارئ، والله تعالى أعلم.اهـ.

* وقال الحافظ رحمه الله تعالى[٩٣٨]: والجمع بينهما أن النهي خاص بوقت نزول القرآن؛ خشية التباسه بغيره، والإذن في غير ذلك.

- أو أن النهي خاص بكتابة غير القرآن مع القرآن في شيء واحد، والإذن في تفريقهما.

- أو أن النهيَ متقدمٌ، والإذنَ ناسخٌ له عند الأمن من الالتباس، وهو أقربها، مع أنه لا ينافيها.

- وقيل: النهي خاص بمن خشي منه الاتكال على الكتابة دون الحفظ، والإذن لمن أمن منه ذلك.

- ومنهم من أَعَلَّ حديثَ أبي سعيد، وقال: الصواب وقفه على أبي سعيد. قاله البخاري وغيره.اهـ.

قلت: الحديث صحيح، وإذا أمكن الجمع فلا يعمد إلى الطعن.

(٩٣٨) فتح الباري (١: ٢٠٨).

* وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: وإنما نهى النبيُّ ﷺ عن كتابة غير القرآن في أول الإسلام لئلا يختلط القرآن بغيره، فلما عُلم القرآن وتميّز، وأُفرد بالضبط والحفظ، وأُمنت عليه مفسدة الاختلاط: أَذن في الكتابة.

* وقد جمع الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى جمعاً آخر، فقال(٩٣٩): إنما هي: لئلا يضاهي بكتاب الله تعالى غيره، أو يشتغل عن القرآن بسواه.

- ونهى عن كتب العلم في صدر الإسلام وجدته: لقلة الفقهاء في ذلك الوقت، والمميزين بين الوحي وغيره، لأن أكثرَ الأعراب لم يكونوا فقهوا في الدِّين، ولا جالسوا العلماء العارفين، فلم يُؤمن أن يلحقوا ما يجدون من الصحف بالقرآن، ويعتقدوا أن ما اشتملت عليه كلام الرحمن.

ثم قال: وأُمر الناس بحفظ السنن، إذ الإسناد قريب، والعهد غير بعيد، ونهى عن الاتكال على الكتاب، لأن ذلك يؤدي إلى اضطراب الحفظ، حتى يكاد يبطل، فإذا عُدم الكتابُ قوي لذلك الحفظ، الذي يصحب الإنسان في كل مكان.

ثم قال: إنما اتسع الناس في كتب العلم، وعوَّلوا على تدوينه في الصحف، بعد الكراهة لذلك، لأن الروايات انتشرت، والأسانيدَ طالت، وأسماءَ الرجال وكناهم وأنسابهم كثرت، والعبارات بالألفاظ اختلفت، فعجزت القلوب عن حفظ ما ذكرنا، وصار علمُ الحديث في هذا الزمان أثبتَ من علم الحافظ، مع رخصة رسول الله ﷺ لمن ضعف حفظه في

(٩٣٩) تقييد العلم (٥٧-٥٨، ٦٤-٦٥).

الكتاب، وعمل السلف من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من الخالفين بذلك.اهـ.

فالإجماع انعقد بعد الخلاف في تدوين السنة، والله تعالى أعلم.

* وقد نبه العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى إلى شيء غاية الأهمية فقال[940]: قد صح عن النبيِّ ﷺ النهيُ عن الكتابة والإذنُ فيها، والإذنُ متأخِرٌ، فيكون ناسخاً لحديث النهي، فإن النبيَّ ﷺ قال في غزاة الفتح: (اكتبوا لأبي شاه) يعني خطبتَه التي سأل أبو شاه كتابتَها، وأَذن لعبد الله بن عَمْرٍو في الكتابة، وحديثُه متأخِّرٌ عن النهي، لأنه لم يزل يكتب، ومات وعنده كتابته، وهي الصحيفة التي كان يسميها (الصادقة) ولو كان النهيُ عن الكتابة متأخِّراً لمحاها عبدُ الله، لأمر النبيِّ ﷺ بمحو ما كُتب عنه غير القرآن، فلما لم يمحها وأثبتَها؛ دلَّ على أن الإذنَ في الكتابة متأخِّرٌ عن النهي عنها، وهذا واضح، والحمد لله.اهـ. ثم ذكر بعض ما مر ذكره.

وسيأتي مزيد بحث إن شاء الله تعالى.



(٩٤٠) تهذيب سنن أبي داود (٥: ٢٤٥).

الفصل الثالث

محافظتهم رضي الله تعالى عنهم على السنة النبوية الشريفة بعد وفاة النبي الكريم ﷺ

لقد حفظ الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم سنة النبي الكريم ﷺ بشكل لم يُعهد له مثيل في العالم، فقد نقلوا لنا كل أمرٍ صدر عن النبي المصطفى الكريم ﷺ، حتى الأمور العَرَضيَّة، فلم يتركوا لنا شيئاً من أفعاله وأقواله وأحواله وأوصافه،... ﷺ إلاّ نقلوه لنا، حتى إن القارىء لسيرته وسنَّته ﷺ لَيتصوَّر ذلك أمامه، وكأنه أمام مشهدٍ حيٍّ، لما كان في ذلك الزمن؛ من دقَّةِ نقلِهم واستيعابِهم وشمولِهم، وعدم غفلتهم عن كل ما صدر عنه ﷺ، وما له صلةٌ به ﷺ، وماله علاقةٌ به ﷺ، ولو لم يكن ذلك جوهريّاً في نظر كثير من الناس.

وخير مثال على ذلك نقلهم لحجة الوداع، التي نقلوا فيها أموراً لا يمكن أن تخطر على بالِ شخصيَّةٍ مرافقةٍ لزعيمٍ من الزعماء، أو قائدٍ من القواد، ولكنه الحب الذي فعل فيهم ذلك، وجعلهم ينظرون إلى كل ما يصدر عنه ﷺ على أنه دِينٌ يجب أخذه ونقله والعمل به(٩٤١).

(٩٤١) انظر ما كتبه شيخنا العلامة السيد أبو الحسن الندوي رحمه الله تعالى في مقدمة (حجة الوداع) لشيخنا العلامة -شيخ الحديث بالهند- الشيخ زكريا الكاندهلوي رحمه الله تعالى.

بل بلغت بهم الدِّقَّة في الوصف أن ذكروا لنا دقيقةً قلَّ من يفطن لها، كعدد الشَّعرات البيضاء في لحيته ﷺ ورأسه،... وأين توجد، وذكروا لنا أحوالَه ﷺ في نومه وجلوسه، وحالات تبسُّمه، وكيفيّة نطقه، وصفة مشيه، وأحواله في بيته، وتعامله مع الخلق، حتى الصغار والنساء،...إلخ[٩٤٢].

ولهذا لا نعرف في تاريخ البشرية سيرةَ عظيمٍ أو زعيمٍ أو حتى نبي؛ نُقلتْ سيرتُه وسنَّته؛ ما نقلت سيرةُ النبي المصطفى الكريم ﷺ وسنَّته، حتى كأن القارىء لها رأي عين منها.

لكنه ﷺ نبّه أنه سيأتي زمان يرفض فيه بعضُ الناس ما ورد عنه ﷺ[٩٤٣] لذا حث ﷺ الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم، ومن بعدهم على حفظ السنة النبوية وإتقانها، وتبليغها لمن بعدهم،...

* عن أبي رافع -مولى رسول الله ﷺ رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (لا أُلْفِيَنَّ أحدَكم متكئاً على أريكته، يأتيه الأمرُ من أمري، مما أمرتُ به، أو نهيتُ عنه، فيقول: لا أدري، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه). رواه الشافعي وأحمد وأبو داود وابن ماجَه، وصححه الترمذي وابن حِبّان والحاكم وأقره الذهبي[٩٤٤] في آخرين.

---

(٩٤٢) انظر ما كتبته في (شمائل الرسول الأمين ﷺ).

(٩٤٣) انظر: شبهات حول السنة ودحضها، ومقدمة بدعة دعوى الاعتماد على الكتاب دون السنة.

(٩٤٤) الرسالة (٨٩) والمسند (٢٣٣-٢٣٤) ومسند الحُمَيْدي (١: ٢٥٢) ومسند أحمد (٦: ٨، ١٠) وسنن أبي داود: كتاب السنة، رقم (٤٦٠٥) وسنن الترمذي: كتاب العلم، رقم (٢٦٦٣) وسنن ابن ماجَه: في المقدمة، رقم (١٢) وشرح معاني الآثار (٤: ٢٠٩) =

* وعن المقدام بن معدي كَرِب الكندي رضي الله تعالى عنه قال: حرَّم رسول الله ﷺ أشياءَ يوم خيبر، منها: الحمار الأهلي، وغيره، فقال رسولُ الله ﷺ: (يوشك أن يقعد الرجلُ منكم على أريكته، يحدَّث بحديثي، فيقول: بيني وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه حلالاً استَحْلَلْناه، وما وجدنا فيه حراماً حرَّمناه، وإن ما حرَّم رسولُ الله ﷺ كما حرَّم الله). رواه أحمد والترمذي -وحسنه- والدّارمي وأبو داود والدارقطني في آخرين، والحاكم وصححه وأقره الذهبي(٩٤٥).

ففي النصين الأخيرين معجزة ظاهرة للنبي ﷺ، حيث أخبر أنه سيأتي أقوام ينتسبون لهذه الأمة لا يأخذون بالسنة، ولا يأخذون إلاّ بالقرآن الكريم. كما بيّن أن ما سنَّه رسول الله ﷺ كما بيّنه الله تعالى، والله تعالى أعلم.

* لقد استجاب الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم لأمر الله تعالى في

= والمعجم الكبير (١: ٢٩٥-٢٩٦، ٣٠٧) والمعجم الأوسط (٨: ٣٥٠-٣٥١) وصحيح ابن حبّان (١: ١٩٠) والمستدرك (١: ١٠٨، ١٠٩) وشرح السنة (١: ٢٠٠-٢٠١) وحسنه، والسنن الكبرى (٦: ٧٦) ودلائل النبوة (١: ٢٤) (٦: ٥٤٩).

(٩٤٥) مسند أحمد (٤: ١٣٠-١٣١، ١٣٢) وسنن الدّارمي (١: ١١٧ رقم ٥٩٢) وسنن أبي داود: كتاب السنة: باب في لزوم السنة، رقم (٤٦٠٤) وسنن الترمذي: كتاب العلم: باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ، رقم (٢٦٦٤) وسنن ابن ماجَه: المقدمة، رقم (١٣) وشرح معاني الآثار (٤: ٢٠٩) وسنن الدارقطني (٤: ٢٨٦-٢٨٧) والمعجم الكبير (٢٠: ٢٧٤-٢٧٥، ٢٨٣، ٢٨٣-٢٨٤) ومسند الشاميين (٢: ١٣٧) (٢: ١٠٣-١٠٤، ١٣٧-١٣٨) وصحيح ابن حبّان (١: ١٨٩) والمستدرك (١: ١٠٩) والسنن الكبرى (٧: ٧٦) (٩: ٣٣١-٣٣٢) ودلائل النبوة (٦: ٥٤٩) ورواه كثيرون.

وجوب طاعة رسوله ﷺ، واتباعه والاقتداء به، وتحريمِ معصيته،... ومخالفة أمره، فساروا بعد وفاته ﷺ على النهج الذي كانوا عليه معه ﷺ في حال حياته، وازدادوا احتياطاً خشية التقول على رسول الله ﷺ.

كما ازداد تمسكهم رضي الله تعالى عنهم بها، وعضوا عليها بالنواجذ، ودلّلوا على حجِّيتها، وحافظوا عليها حفاظاً عجيباً، واحتاطوا في أدائها وتلقيها، ونقلوها ونشروها في كل مكان.

هذه المحافظة على السنة النبوية منهم رضي الله تعالى عنهم قد ظهرت بمظاهر متعددة، يأتي بيانها؛ ابتداء من بدء ظهور نقد الرواة، والاحتياط الشديد في أدائها وروايتها، والتثبت في الرواية والأداء،... إلى بدء ظهور السند، الذي لم تعرفه البشرية من قبل. كما سيأتي بيانه في نهاية الفصل إن شاء الله تعالى.

مظاهر محافظتهم رضي الله تعالى عنهم على السنة النبوية:

وقد ظهرت محافظتهم رضي الله تعالى عنهم على السنة النبوية الشريفة، وتمسكهم بها، وتطبيقها، والقيام بحقّها ونشرها، وعدم التهاون بأمرها،... بصور كثيرة، أذكر منها الصورَ التالية:

- التطبيق العملي لها، والاقتداء برسول الله ﷺ:

هذا الاقتداء والتطبيق نابعٌ من إيمانهم برسول الله ﷺ؛ أنه رسول الله، ووجوب طاعته واتباعه ﷺ، ومحبتهم له، التي أخذت منهم كل مأخذ.

إن كثيراً منهم رضي الله تعالى عنهم طبّقوا ذلك حتى في الأمور الجِبِلِّيَّة، التي ليست من أمور التشريع، سواء في المأكل أو المشرب، أو النوم، أو

الجلوس، أو حتى في قضاء الحاجة، أو المشي،... وهكذا(٩٤٦).

وخير مثال على ذلك: سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما، الذي ضرب المثل الأعلى في الاتّباع، كان يتتبع أحوال النبي الكريم ﷺ، صغيرها وكبيرها، أين نام، وأين صلّى، وأين جلس، وكيف فعل،... حتى خِيف على عقله، من شدة اهتمامه بذلك رضي الله تعالى عنه(٩٤٧).

* فلم يدخل من باب النساء، لأن النبي المصطفى الكريم ﷺ قال: (لو تركنا هذا الباب للنساء)(٩٤٨).

* كان يتعهد شجرةً، فيصب في أصلها الماء لكيلا تيبس، لأن النبي المصطفى الكريم ﷺ نزل تحتَها(٩٤٩).

* كان يأخذ برأس راحلته، لعل خُفّاً منها يقع على مكانٍ وقع عليه خُفُّ راحلةِ النبي المصطفى الكريم ﷺ(٩٥٠).

* ولهذا لما سُئل رضي الله تعالى عنه عن استلام الحَجَر قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ يستلمُه ويقبِّلُه. قال: قلت: أرأيتَ إن زُحِمْتُ، أرأيتَ إن غُلِبْتُ؟ قال: اجعل أرأيتَ باليمن، رأيت رسول الله ﷺ يستلمُه ويُقبِّلُه. رواه البخاري(٩٥١).

---

(٩٤٦) انظر: الفقيه والمتفقه (١: ١٣٠-١٣١).

(٩٤٧) انظر: الحلية (١: ٣١٠) وسير أعلام النبلاء (٣: ٢١٣).

(٩٤٨) انظر: مسند الطَّيالِسي (٢٥١ رقم ١٨٢٩) والحلية (١: ٣١٣).

(٩٤٩) انظر: الطبقات لابن سعد (٤: ١٠٢) وأسد الغابة (٣: ٣٤١) وسير أعلام النبلاء (٣: ٢١٣).

(٩٥٠) انظر: حلية الأولياء (١: ٣١٠) وتاريخ بغداد (١: ١٧٢) وسير أعلام النبلاء (٣: ٢٣٧).

(٩٥١) صحيح البخاري: كتاب الحج: باب تقبيل الحجر، ورواه غيره.

* لذا كان رضي الله تعالى عنهما يستلمه، ثم يضع شفتيه عليه طويلاً، كما رواه الشافعي، وما تركه منذ رأى رسول الله ﷺ يفعله، حتى في وقت الزحام، وإن أدّى ذلك إلى خروج الدم من أنفه رضي الله تعالى عنه، وكأنه كان لا يرى الزِّحام عُذراً في تركه، رضي الله تعالى عنهما(٩٥٢).

* عن عُبيد بن جُرَيْج رحمه الله تعالى أنه قال لعبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما: يا أبا عبد الرحمن؛ رأيتك تصنع أربعاً لم أر أحداً من أصحابك يصنعها، قال: ما هي يا ابن جُريج؟ قال: رأيتك لا تَمسُّ من الأركان إلاّ اليمانيَّين، ورأيتك تلبس النعال السِّبْتيَّة، ورأيتك تصبغ بالصفرة، ورأيتك إذا كنت بمكة أهلَّ الناس إذا رأوا الهلال، و لم تَهلَّ أنت حتى كان يوم التروية.

قال عبد الله: أما الأركان؛ فإني لم أر رسول الله ﷺ يمسَّ إلاّ اليمانيّين، وأما النعال السِّبْتِيَّة؛ فإني رأيتُ رسول الله ﷺ يلبس النَّعل التي ليس فيها شَعَر، ويتوضأ فيها، فأنا أحب أن ألبسها، وأما الصُّفرة؛ فإني رأيت رسول الله ﷺ يصبغ بها، فأنا أحب أن أصبغ بها،...الحديث. متفق عليه(٩٥٣).

و لم يكن رضي الله تعالى عنه الوحيد في هذا، بل يشاركه الكثيرون في شدة الاتّباع.

* وقد يفعلون شيئاً -وإن لم تظهر حكمته- إنما هو الاتباع والاقتداء.

* وقول عمر رضي الله تعالى عنه يمثّل هذا خير تمثيل، عندما خاطب

---

(٩٥٢) انظر: فتح الباري (٣: ٤٧٥-٤٧٦).

(٩٥٣) صحيح البخاري: كتاب الطهارة: باب غسل الرجلين في النعلين، ولا يمسح على النعلين. وصحيح مسلم: كتاب الحج: باب الإهلال من حيث تنبعث الراحلة، رقم (٢٥-٢٦).

الركن -الحجر الأسود-: أما والله إني لأعلم أنك حجرٌ لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيتُ النبي ﷺ استلمك ما استلمتُك، فاستلمه. ثم قال: ما لنا وللرَّمَلِ؟ إنما كنا راءينا به المشركين، وقد أهلكهم الله، ثم قال: شيء صنعه النبي ﷺ فلا نحب أن نتركه. متفق عليه، واللفظ للبخاري(٩٥٤).

* وعند مسلم -وهي رواية للبخاري(٩٥٥)- ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يُقبِّلُك ما قَبَّلتُك.

وهذا مثال آخر، وإن كان يظهر في تطلبهم للبركة:

* فعن يزيد بن أبي عبيد رحمه الله تعالى قال: كنت آتي مع سلمةَ بن الأكوع رضي الله تعالى عنه فيصلي عند الأُسطوانة التي عند المصحف.

فقلت: يا أبا مسلم؛ أراك تتحرى الصلاةَ عند هذه الأُسطوانة؟ قال: فإني رأيتُ النبيَّ ﷺ يتحرى الصلاة عندها. متفق عليه(٩٥٦).

* وعن حُمْران مولى عثمان رحمه الله تعالى، أن عثمان رضي الله تعالى عنه دعا بوَضوء، فتوضّأ، فغسل كفَّيه ثلاثَ مرات. ثم مضمض واستنثر، ثم غسل وجهه ثلاث مرات، ثم غسل يدَه اليمنى إلى المرفق ثلاث مرات، ثم

---

(٩٥٤) صحيح البخاري: كتاب الحج: باب الرمل في الحج والعمرة. وصحيح مسلم: كتاب الحج: باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف، رقم (٢٤٨-٢٥٠).

(٩٥٥) صحيح البخاري: كتاب الحج: باب تقبيل الحجر. وصحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (٢٤٨-٢٥١).

(٩٥٦) صحيح البخاري: كتاب الصلاة: باب الصلاة إلى الأسطوانة. وصحيح مسلم: كتاب الصلاة: باب دنو المصلي من السترة، رقم (٢٦٣، ٢٦٤).

غسل يدَه اليسرى مثل ذلك، ثم مسح رأسَه، ثم غسل رجلَه اليمنى إلى الكعبين ثلاث مرات، ثم غسل رِجلَه اليسرى مثلَ ذلك. ثم قال: رأيتُ رسول الله ﷺ توضّأ نحوَ وُضوئي هذا ثم قال رسول الله ﷺ: (من توضّأ نحوَ وُضوئي هذا، ثم قام وركع ركعتين، لا يُحدِّث فيهما نفسَه: غُفِر له ما تقدّم من ذنبه). متفق عليه(٩٥٧).

* ورواه من وجه آخر وفيه التثليث في كل الأفعال، مع تخليل اللحية والأصابع: عبد الرزاق وابن أبي شيبة والدّارِمي والترمذي وصححه، وابن ماجَه والطحاوي وابن خزيمة وابن الجارود والبَزّار والدارقطني وابن حِبّان والحاكم والبيهقي(٩٥٨). وقال البخاري: أصح شيء عندي في التخليل حديث عثمان، قال الترمذي فقلت: إنهم يتكلمون في هذا الحديث فقال: هو حسن.اهـ. ورواه بعضُهم مختصراً.

والأحاديث في هذا الباب كثيرة جداً، ولهذا كثر عنهم رضي الله تعالى

(٩٥٧) صحيح البخاري: كتاب الوضوء: باب الوضوء ثلاثاً ثلاثاً، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الطهارة: باب صفة الوضوء وكماله، رقم (٣-٤).

(٩٥٨) مصنف عبد الرزاق (١: ٤١) ومصنف ابن أبي شيبة (١: ١٣) وسنن الدّارِمي (١: ١٤٤) ومسند عبد بن حُميد (٥٠-٥١) وسنن الترمذي: كتاب الطهارة: باب ما جاء في تخليل اللحية، رقم (٣١) وسنن الترمذي (١: ٤٥) وعلل الترمذي الكبير (١: ١١٥) وسنن ابن ماجَه: كتاب الطهارة: باب ما جاء في تخليل اللحية، رقم (٤٣٠) والمنتقى لابن الجارود (٣٤-٣٥) وشرح معاني الآثار (١: ٣٢) وصحيح ابن خزيمة (١: ٧٨، ٧٨-٧٩، ٨٦) وسنن الدارقطني (١: ٨٦، ٩١) والبحر الزخار (٢: ٤٩) وصحيح ابن حِبّان (٣: ٣٦٢-٣٦٣) والمستدرك (١: ١٤٨-١٤٩) والسنن الكبرى للبيهقي (١: ٥٤، ٦٣) ونصب الراية (١: ٢٣-٢٤) وتهذيب التهذيب (٥: ٦٩).

عنهم قولهم: رأيت رسول الله ﷺ فعل كذا،... أو: هكذا رأيت رسول الله ﷺ يفعل.

- إنكارُهم رضي الله تعالى عنهم على مَنْ خالفها:

ومن مظاهر محافظتهم رضي الله تعالى عنهم على سنة نبيهم ﷺ بعد وفاته: إنكارُهم على مَنْ خالفها، ولو كانت المخالفة يسيرة، وكذا من عارضها بذكر ما في كتب الحكمة ونحوها، وهذا بابٌ واسعٌ جداً، إذ النصوص الواردة عنهم رضي الله تعالى عنهم كثيرة جداً، كيف لا وهي سنة نبيهم عليه وآله الصلاة والسلام، وقد اختارهم الله تعالى ليحفظ بهم دينَه، فنقلوه كما أنزل، من غير زيادة فيه، ولا نقصان، رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم.

وأذكر بعضاً مما ورد من الأحاديث في هذا المجال، مستدلاً بها على إنكارهم على مَنْ خالفها.

فمما وَرَد في ذلك:

* عن أبي الأشعث [شراحيل بن آدة الصنعاني] قال: غزونا غزاة، وعلى الناس معاوية، فغنِمْنا غنائمَ كثيرةً، فكان فيما غنِمْنا؛ آنيةٌ من فضةٍ، فأمر معاوية رجلاً أن يبيعها في أعطيات الناس، فتسارع الناس في ذلك.

فبلغ عبادةَ بن الصامت، فقام فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن بيع الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبُر بالبُر، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح؛ إلاّ سواء بسواء، عيْناً بعيْنٍ، فمن زاد أو ازداد فقد

أربى. فردَّ الناسُ ما أخذوا. فبلغ ذلك معاوية، فقام خطيباً، فقال: ألا ما بالُ رجالٍ يتحدثون عن رسول الله ﷺ أحاديث، قد كنا نشهده ونصحبه، فلم نسمعها منه. فقام عبادة بن الصامت فأعاد القصة، ثم قال: لنحَدِّثَن بما سمعنا من رسول الله ﷺ وإن كره معاوية-أو قال: وإن رغم-ما أبالي أن لا أصحبه في جنده ليلة سوداء. رواه مسلم(٩٥٩).

* وعن عطاء بن يسار رحمه الله تعالى، أن معاوية بن أبي سفيان باع سقايةً من ذهبٍ -أو وَرِقٍ- بأكثر من وزنها، فقال أبو الدَّرْداء: سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن مِثْل هذا، إلاّ مثلاً بمثل، فقال له معاوية: ما أرى بمثل هذا بأساً، فقال أبو الدَّرْداء: مَنْ يَعْذِرُني من معاوية؟ أنا أخبره عن رسول الله ﷺ، ويخبرني عن رأيه، لا أساكنك بأرض أنت فيها.

ثم قدم أبو الدَّرْداء على عمر بن الخطاب، فذكر ذلك له، فكتب عمرُ ابن الخطاب إلى معاوية: أن لا تبيع ذلك إلاّ مثلاً بمثل، وزناً بوزْنٍ. رواه مالك والشافعي مطولاً، وأحمد والنَّسائي مختصراً(٩٦٠).

* وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (لا يمنع أحدُكم جارَه أن يغرز خشبةً في جداره).

(٩٥٩) صحيح مسلم: كتاب المساقاة: باب الصرف، وبيع الذهب بالورق نقداً، رقم (٨٠).

(٩٦٠) الموطأ: كتاب البيوع: باب بيع الذهب بالفضة تبراً وعيناً، رقم (٣٣) والرسالة (٤٤٦ فقرة ١٢٢٨) والمسند (٢٤٢-٢٤٣) والسنن (١: ٣١٨) ومسند أحمد (٦: ٤٤٨) وسنن النَّسائي: كتاب البيوع: باب بيع الذهب بالذهب (٧: ٢٧٩) وفي الكبرى (٤: ٣٠) مختصراً، والسنن الكبرى للبيهقي (٥: ٢٨٠) وانظر تعليقي على الحديث: السنن للشافعي(١: ٣١٩).

قال: ثم يقول أبو هريرة: ما لي أراكم عنها معرضين؟ والله لأَرمينَّ بها بين أكتافكم. متفق عليه(٩٦١).

* وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا تمنعوا نساءَكم المساجدَ؛ إذا استأذنّكم إليها).

قال: فقال بلال بن عبد الله: والله، لنمنعهن، قال: فأقبل عليه عبد الله فسبَّه سبّاً سيِّئاً، ما سمعته سبَّه مثلَه قط، وقال: أخبرك عن رسول الله ﷺ، وتقول: والله لنمنعهن ! متفق عليه، واللفظ لمسلم(٩٦٢).

فلم يسكت رضي الله تعالى عنه على ابنه عندما أعلن مخالفة السنة، مع أن الذي حمله على ذلك الغَيرة، لتغيُّر بعض النساء، وقد جاء هذا واضحاً في بعض الروايات(٩٦٣).

* وعن عبد الله بن عُكَيم رحمه الله تعالى قال: كنا مع حُذَيْفَة بالمدائن، فاستقى حُذَيْفَة، فجاءه دِهْقَانٌ بشراب في إناء من فضة، فرماه به، وقال: إني أخبركم أني قد أمرته أن لا يسقيني فيه، فإن رسول الله ﷺ قال: (لا تشربوا في إناء الذهب والفضة، ولا تلبسوا الديباج والحرير، فإنه لهم في الدنيا، وهو لكم في الآخرة يوم القيامة). متفق عليه(٩٦٤).

---

(٩٦١) صحيح البخاري: كتاب المظالم: باب لا يمنع جار جاره أن يغرز خشبة في جداره. وصحيح مسلم: كتاب المساقاة: باب غرز الخشب في جدار الدار، رقم (١٣٦).

(٩٦٢) صحيح البخاري: كتاب الأذان: باب خروج النساء إلى المساجد بالليل والغلس، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الصلاة: باب خروج النساء إلى المساجد إذا لم يترتب عليه فتنة، رقم (١٣٤-١٤٠).

(٩٦٣) انظر: فتح الباري (٢: ٣٤٨-٣٤٩).

(٩٦٤) صحيح البخاري: كتاب الأطعمة: باب الأكل في إناء مفضض، وكتاب الأشربة: باب =

فلم يسكت على زعيم فلاحي العَجَم، أو زعيم القرية ورئيسها، لأنه كان قد نهاه عن ذلك مرات، مما اضطره إلى حذفه بالإناء، ثم قال معتذراً عن سبب ذلك، والله تعالى أعلم.

* وعن عبد الله بن مُغفَّل رضي الله تعالى عنه، أنه رأى رجلاً يَخْذِف، فقال له: لا تَخْذِف، فإن رسول الله ﷺ نهى عن الخَذْفِ -أو كان يكره الخَذْفَ- وقال: (إنه لا يُصاد به صيدٌ، ولا يُنكأُ به عدوٌّ، ولكنها قد تكسر السِّنَّ، وتفقأُ العينَ).

ثم رآه بعد ذلك يخذف، فقال له: أحدثك عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن الخَذْفِ -أو كره الخَذْفَ- وأنتَ تخذف؟ لا أكلمك كذا وكذا.

وفي رواية لمسلم: لا أكلمك أبداً. متفق عليه(٩٦٥).

* وعن عُمارةَ بن رُؤَيْبَة رضي الله تعالى عنه، رأى بِشرَ بن مروان على المنبر رافعاً يديه، فقال: قبّح الله هاتين اليدين، لقد رأيت رسول الله ﷺ، ما يزيد على أن يقول بيده هكذا. وأشار بإصبَعِه المسبِّحة. رواه مسلم(٩٦٦).

* وعن كعب بن عُجرةَ رضي الله تعالى عنه، أنه دخل المسجدَ وعبدُ

= آنية الفضة، وفي غيرها. وصحيح مسلم: كتاب اللباس والزينة: باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء، رقم (٤).

(٩٦٥) صحيح البخاري: كتاب الذبائح والصيد: باب الخذف والبندقة، وكتاب الأدب: باب النهي عن الخذف. وصحيح مسلم: كتاب الصيد والذبائح: باب إباحة ما يستعان به على الاصطياد والعدو،... رقم (٥٤-٥٦).

(٩٦٦) صحيح مسلم: كتاب الجمعة: باب تخفيف الصلاة والخطبة، رقم (٥٣).

الرحمن ابنُ أُمِّ الحَكَم يخطب قاعداً. فقال: انظروا إلى هذا الخبيث يخطب قاعداً، وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾(٩٦٧). رواه مسلم(٩٦٨).

قلت: عبد الرحمن ابن أم الحكم: هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان،... الثقفي، وأمه هي أم الحكم بنت أبي سفيان، وخاله هو معاوية بن أبي سفيان، كان والياً لمعاوية(٩٦٩).

* وهذا الكلام يتضمن إنكار المنكر، والإنكار على ولاة الأمور إذا خالفوا السنة. ووجه استدلاله بالآية: أن الله تعالى أخبر أن النبيَّ ﷺ كان يخطب قائماً. وقد قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ مع قوله: ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ مع قوله ﷺ: (صلوا كما رأيتموني أصلي)(٩٧٠).اهـ. من النووي(٩٧١).

* وعن عمران بن حُصين رضي الله تعالى عنهما قال: قال النبيُّ ﷺ: (الحياءُ لا يأتي إلاّ بخير) فقال بُشَيرُ بن كعب: مكتوب في الحكمة: إن من

(٩٦٧) سورة الجمعة (١١).

(٩٦٨) صحيح مسلم: كتاب الجمعة: باب في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾، رقم (٣٩).

(٩٦٩) انظر الطبقات الكبرى (٥: ٥١٩).

(٩٧٠) صحيح البخاري: كتاب الأذان: باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة والإقامة. وصحيح مسلم: كتاب المساجد: باب من أحق بالإمامة، رقم (٢٩٢-٢٩٣).

(٩٧١) شرح صحيح مسلم (٦: ١٥٣).

الحياءوقاراً، وإن من الحياء سَكينةً. فقال له عِمران: أُحدِّثك عن رسـول الله ﷺ، وتحدِّثني عن صحيفتك !. متفق عليه[٩٧٢].

* وفي رواية لمسلم، عن أبي قتادة رحمه الله تعالى قال: كنا عند عمران ابن حُصين رضي الله تعالى عنهما في رهطٍ منا، وفينا بُشير بن كعب، فحدَّثنا عمران يومئذ قال: قال رسول الله ﷺ: (الحياءُ خيرٌ كلُّه) قـال: أو قـال: (الحياءُ كلُّه خيرٌ).

فقال بُشير بنُ كعب: إنّا لنجد في بعض الكتب-أو الحكمـة-أن منـه سكينةً ووقاراً لله، ومنه ضعفٌ. قال: فغضب عمران حتى احمرَّتا عيناه[٩٧٣]، وقال: ألا أُراني أُحدِّثك عن رسول الله ﷺ وتعارضُ فيه؟ قال: فأعاد عمرانُ الحديثَ. قال: فأعاد بُشيرٌ. فغضب عمران. قال: فما زلنا نقول فيه: إنه منّا يا أبا نُجيد، إنه لا بأس به.

وقولهم: (إنه منا، وإنه لا بأس به). معناه أنه ليس هو ممن يتهم بنفاق أو زندقة أو بدعة أو غيرها مما يخالف به أهل الاستقامة.اهـ من النووي.

* وأما إنكار عمران رضي الله تعالى عنه فلكونه قال: منه ضعف، بعد سماعه قولَ النبيِّ ﷺ: (إنه خير كله).

* ومعنى تعارض: تأتي بكلامٍ في مقابلته، وتعترض بما يخالفه.اهـ مـن

---

(٩٧٢) صحيح البخاري: كتاب الأدب: باب الحياء. وصحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب بيـان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها،... رقم (٦٠-٦١).

(٩٧٣) كذا هو في الأصول، وهو صحيحٌ، جارٍ على لغة (أكلوني البراغيث) وله نظائر في كتاب الله تعالى وفي سنة رسول الله ﷺ، وانظر شرح صحيح مسلم (٢: ٧-٨).

النووي رحمه الله تعالى.

قلت: وبُشير -بالتصغير- ليس صحابيّاً، بل هو بصريٌّ مخضرم.

* وسيأتي قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في الفقرة بعد التالية إن شاء الله تعالى.

والنصوص في هذا الباب كثيرة، والحمد لله تعالى.

- عدم سكوتهم رضي الله تعالى عنهم عن إظهار السنة:

ومن مظاهر محافظتهم رضي الله تعالى عنهم على سنة نبيهم وتمسكهم بها بعد وفاته ﷺ: أنهم ما كانوا يسكتون عن إظهارِها، ولو أدّى ذلك إلى الأذى، بل يُظهرونها أمام الحاكم الذي يخالفُها، ولا يأبهون بما يكون بعد ذلك.

والنصوص في هذا الباب كثيرةٌ، أذكر بعضاً منها للتنبيه:

* عن أبي سعيد الخُدْري رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلّى، فأول شيء يبدأ به الصلاة، ثم ينصرف، فيقوم مقابل الناس -والناسُ جلوسٌ على صفوفِهم- فيعظُهم، ويوصيهم، ويأمرُهم،...

قال أبو سعيد: فلم يزل الناس على ذلك؛ حتى خرجتُ مع مروان -وهو أمير المدينة- في أضحى أو فطر، فلما أتينا المصلّى؛ إذا منبرٌ بناه كثيرُ بن الصَّلْت، فإذا مروان يريد أن يرتقيه قبل أن يُصلِّيَ، فجبذتُ بثوبه، فجبذني، فارتفع فخطبَ قبل الصلاةِ، فقلت له: غيَّرتُم والله، فقال: أبا سعيد؛ قد ذهب ما تعلم. فقلت: ما أعلم -والله- خير مما لا أعلم، فقال: إن الناس لم

يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة، فجعلتُها قبل الصلاة. متفق عليه، واللفظ للبخاري[٩٧٤].

* وفي رواية لمسلم[٩٧٥]: أول من بدأ بالخطبة يوم العيد قبل الصلاة مروان، فقام إليه رجل، فقال: الصلاة قبل الخطبة، فقال: قد تُرك ما هنالك. فقال أبو سعيد: أمّا هذا فقد قضى ما عليه. الحديث[٩٧٦].

* وعن عِياض بن عبد الله بن سعد، أن أبا سعيد الخُدْري -رضي الله تعالى عنه- دخل يوم الجمعة، ومروان يخطب، فقام يصلي، فجاء الحرس ليجلسوه، فأبى حتى صلّى، فلما انصرف أتيناه، فقلنا: رحمك الله، إن كادوا ليقعوا بك، فقال: ما كنتُ لأتركهما بعدَ شيءٍ رأيتُه من رسول الله ﷺ. ثم ذكر أن رجلاً جاء يوم الجمعة في هيئة بذّة، والنبيُّ ﷺ يخطب يوم الجمعة، فأمره فصلّى ركعتين، والنبيُّ ﷺ يخطب، ...الحديث، وفيه الحث على الصدقة. رواه الشافعي والحُمَيْدي والدّارِمي وأبو داود والنَّسائي وابن ماجَه في آخرين، وصححه الترمذي وابن خزيمة وابن حِبّان والحاكم، ومنهم من رواه مقتصراً على المرفوع[٩٧٧].

---

(٩٧٤) صحيح البخاري: كتاب صلاة العيدين: باب الخروج إلى المصلّى بغير منبر، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب صلاة العيدين: في مقدمته، رقم (٩).

(٩٧٥) صحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب كون النهي عن المنكر من الإيمان، رقم (٧٨).

(٩٧٦) انظر: فتح الباري (٢: ٤٤٩-٤٥٠) لبيان الجمع بين الروايات، ويحتمل أنه أبو مسعود رضي الله تعالى عنه.

(٩٧٧) الأم (١: ١٧٥) والمسند (٦٤) ومسند الحُمَيْدي (٢: ٣٢٦-٣٢٧) ومسند أحمد (٣: ٢٥) وسنن الدّارِمي (١: ٣٠٣) وسنن أبي داود: كتاب الزكاة: باب الرجل يخرج من ماله، رقم (١٦٧٥) وسنن الترمذي: كتاب الصلاة: باب ما جاء في الركعتين إذا جاء =

* وعن أبي شُرَيح الخزاعي رضي الله تعالى عنه، أنه قال لعمرو بن سعيد [الأشدق] -وهو يبعث البعوث إلى مكة- ائذن لي أيها الأمير أحدثْك قولاً قام به النبي ﷺ الغدَ من يوم الفتح، سمعته أذناي، ووعاه قلبي، وأبصرته عيناي، حين تكلَّم به: حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: (إن مكة حرَّمها الله، ولم يُحرِّمها الناس، فلا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر: أن يسفك بها دماً، ولا يعضد بها شجرةً، فإن أحدٌ ترخَّص لقتال رسول الله ﷺ فيها فقولوا: إن الله قد أذن لرسوله ﷺ ولم يأذنْ لكم، وإنما أذِنَ لي فيها ساعة من نهارٍ، ثم عادت حرمتُها اليوم كحرمتِها بالأمس، وليبلغ الشاهد الغائب).

فقيل لأبي شُرَيح: ما قال عمرو؟ قال: أنا أعلم منك يا أبا شُريح؟ إن الحرم لا يُعيذ عاصياً، ولا فارّاً بدم، ولا فارّاً بخربة. متفق عليه(٩٧٨).

* وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: صلّى معاوية بالمدينة صلاةً فجهر فيها بالقراءةِ، فقرأ فيها: بسم الله الرحمن الرحيم، لأمِّ القرآن، ولم يقرأ بها

= الرجل والإمام يخطب، رقم (٥١١) وسنن النَّسائي: كتاب الجمعة: باب حث الإمام على الصدقة يوم الجمعة في خطبته (٣: ١٠٦-١٠٧) وكتاب الزكاة: باب إذا تصدق وهو محتاج إليه هل يرد عليه (٥: ٦٣) وسنن ابن ماجَه: كتاب إقامة الصلاة: باب ما جاء فيمن دخل المسجد والإمام يخطب، رقم (١١١٣) وشرح معاني الآثار (١: ٣٦٦) وصحيح ابن خزيمة (٣: ١٥٠-١٥١، ١٦٥) وصحيح ابن حِبّان (٦: ٢٤٩، ٢٥٠-٢٥١) والمستدرك (١: ٢٨٥) والسنن الكبرى (٤: ١٨١).

(٩٧٨) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب ليبلغ العلمَ الشاهدُ الغائبَ، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الحج: باب تحريم مكة وصيدها وخلالها وشجرها ولقطتها،... رقم (٤٤٦).

للسورة التي بعدها، حتى قضى تلك الصلاةَ، فلما سلَّم، ناداه من سمع ذلك من المهاجرين والأنصار من كل مكان: يا معاوية؛ أسرقتَ الصلاةَ أم نسيتَ؟ فلما صلَّى بعد ذلك قرأ بسم الله الرحمن الرحيم للسورة التي بعد أمِّ القرآن، وكبّر حين يهوي ساجداً. رواه الشافعي وعبد الرزاق والحاكم والدارقطني والبغوي والبيهقي وابن عبد البر، وهو صحيح على شرط مسلم(٩٧٩).

فمعاوية رضي الله تعالى عنه: إذ ذاك صاحبُ الأمر، وذو الحكم، وكان الناس من سطوته خائفين، ومن بأسه جدُّ حذرين، فلم يسامحوا أنفسهم، ولا رأوا في أديانهم أن يُقرّوه على أمر خالف فيه السنة، حتى إنهم أنكروا عليه أشنع إنكار، بقولهم: أسرقتَ الصلاةَ أم نسيتَ(٩٨٠)؟.

* وعن نافع بن جُبير، أن مروانَ بنَ الحكمِ خطبَ الناسَ، فذكرَ مكةَ وأهلَها وحرمتَها، ولم يذكر المدينةَ وأهلَها وحرمتَها، فناداه رافعُ بن خَديج-رضي الله تعالى عنه-فقال: ما لي أسمعك ذكرتَ مكةَ وأهلَها وحرمتَها، ولم تذكر المدينةَ وأهلَها وحرمتَها، وقد حرَّم رسولُ الله ﷺ ما بين لا بَتَيْها، وذلك عندنا في أَديمٍ خَوْلاني، إن شئتَ أقرأْتُكَه. قال: فسكت مروان، ثم قال: قد سمعتُ بعض ذلك. رواه مسلم(٩٨١).

(٩٧٩) الأم (١: ٩٣، ٩٣-٩٤) والمسند (٣٦-٣٧، ٣٧) والسنن للشافعي رقم (٤٤) ومصنف عبد الرزاق (٢: ٩٣) من طريق آخر، وسنن الدارقطني (١: ٣١١) وقال: رجاله ثقات، والمستدرك (١: ٢٣٣) وصححه على شرط مسلم، وأقره الذهبي، وشرح السنة (٣: ٥٥-٥٦) والسنن الكبرى (٢: ٤٩، ٤٩-٥٠) والإنصاف (١٧٨).

(٩٨٠) انظر الشافي شرح مسند الشافعي (١: ١٧٠ آ) وتعليقي على الحديث في السنن للشافعي.

(٩٨١) صحيح مسلم: كتاب الحج: باب فضل المدينة،... رقم (٤٥٧).

* وعن عبد الله بن عَمْرو رضي الله تعالى عنه، أنه مر بمعاذ بن جبل وهو قائم على بابه، يشير بيده-كأنه يحدِّث نفسَه-فقال عبدُ الله: ما شأنك يا أبا عبد الرحمن؛ تحدِّث نفسَك؟ قال: وما لي؟ يريد عدوُّ الله أن يلهيني عن كلامٍ سمعتُه من رسول الله ﷺ، قال: تكابد دهرك الآن في بيتك، ألا تخرج إلى المجلس فتحدِّث؟ وأنا سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (من جاهد في سبيل الله كان ضامناً على الله. ومن عاد مريضاً كان ضامناً على الله. ومن غدا إلى المسجد أو راح كان ضامناً على الله. ومن دخل على إمامٍ يعزِّره [أي يوقِّره وينصره] كان ضامناً على الله. ومن جلس في بيته لم يغتب أحداً بسوء كان ضامناً على الله) فيريد عدوُّ الله أن يخرجني من بيتي إلى المجلس. رواه أحمد والطبراني والبيهقي، وصححه ابن خزيمة وابن حِبّان والحاكم، وأقره الذهبي، وصححه في المهذب(٩٨٢).

* وعن أبي ذرٍّ رضي الله تعالى عنه قال: لو وضعتُم الصَّمْصامةَ على هذه-وأشار إلى قفاه-ثم ظننتُ أني أُنفِذ كلمةً سمعتُها من رسول الله ﷺ قبل أن تُجيزوا عليَّ لأنفذتُها. رواه البخاري تعليقاً(٩٨٣).

---

(٩٨٢) مسند أحمد (٥: ٢٤١) والمعجم الكبير (٢٠: ٣٧، ٣٨) والمعجم الأوسط (٨: ٢٨٨) وكشف الأستار (٢: ٢٥٧) وصحيح ابن خزيمة (٢: ٣٧٥-٣٧٦) وصحيح ابن حِبّان (٢: ٩٤-٩٥) والمستدرك (١: ٢١٢) (٢: ٩٠) والسنن الكبرى للبيهقي (٩: ١٦٦-١٦٧) والمهذب في اختصار السنن الكبير (٧: ٣٧٢٠) ومجمع الزوائد (٥: ٢٧٧) (١٠: ٣٠٤).

(٩٨٣) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب العلم قبل القول والعمل،... بصيغة الجزم. وانظر فتح الباري (١: ١٦١) لبيان من وصله.

والنصوص في هذا الباب كثيرةٌ -والحمد لله- وكلها تُنبيء عن مدى عنايةِ الصحابة الكرام، وتمسكِهم ومحافظتِهم على سنة نبيهم عليه وآله الصلاة والسلام، ورضي الله تعالى عنهم، وحشرنا معهم.

- احتجاجهم بكتاب الله تعالى على حُجِّيَّتها، ووجوب تطبيقها:

ومن مظاهر محافظتهم رضي الله تعالى عنهم على سنة نبيهم وتمسكهم بها بعد وفاته ﷺ: احتجاجُهم بكتاب الله عز وجل على حُجِّيَّتها، ووجوب تطبيقها، على الذين يخالفونها، أو على الذين لم يظهر لهم ذلك.

* عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: لعن الله الواشمات، والمستوشمات، والنَّامصات، والمتنمِّصات، والمتفلجات للحُسْن؛ المغيراتِ خلْقَ الله.

قال: فبلغ ذلك امرأة من بني أسدٍ، يقال لها: أم يعقوب، وكانت تقرأ القرآن، فأتته فقالت: ما حديث بلغني عنك؟ أنك لعنت الواشمات، والمستوشمات، والنّامصات، والمتنمِّصات، والمتفلجات للحُسْن المغيراتِ خلْقَ الله.

فقال عبد الله: وما لي لا ألعنُ من لعن رسولُ الله ﷺ؟ وهو في كتاب الله.

فقالت المرأة: لقد قرأتُ ما بين لوحي المصحف فما وجدته، فقال: لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه، قال الله عز وجل: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾.

فقالت المرأة: فإني أرى شيئاً من هذا على امرأتك الآن. قال: اذهبي فانظري، قال: فدخلَتْ على امرأة عبد الله، فلم تر شيئاً. فجاءت إليه فقالت: ما رأيتُ شيئاً. فقال: لو كان ذلك؛ لم نجامعها.

متفق عليه، واللفظ لمسلم(٩٨٤).

* وعن طاووس بن كَيْسان رحمه الله تعالى قال: رآني ابنُ عباس، وأنا أُصلي بعد العصر، فنهاني، فقلت: إنما كُرِهت أن تُتَّخَذَ سُلَّماً، فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: نهى رسولُ الله ﷺ عن الصلاة بعد العصر، وقال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾(٩٨٥) وما أدري تُعذَّبُ عليها أم تؤجر. رواه الشافعي وعبدالرزاق والدّارمي والبيهقي والخطيب البغدادي(٩٨٦).

- قولهم رضي الله تعالى عنهم: كنا ضُلاّلاً، فهدانا الله تعالى برسوله ﷺ:

ومما يدخلُ في ذلك أيضاً: نصُّهم رضوان الله تعالى عليهم أن الله تعالى بعث لهم نبيَّه ﷺ -وهم ضُلاّلٌ- فهداهم الله تعالى به، فهم لا يعرفون إلاّ ما سنَّه لهم، ولا يفعلون إلاّ ما قاله لهم، وهو ﷺ أعلم بمرادِ الله تعالى وحُكمِه منهم.

* عن حبيب بن أبي فُضالة المالكي قال: لما بُني هذا المسجد -مسجد الجامع- قال: وعمران بن حُصين جالس، فذكروا عنده الشفاعة، فقال رجلٌ

(٩٨٤) صحيح البخاري: كتاب التفسير: سورة الحشر: باب ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾. وصحيح مسلم: كتاب اللباس والزينة: باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة،... رقم (١٢٠).

(٩٨٥) سورة الأحزاب (٣٦).

(٩٨٦) الرسالة (٤٤٣ ف ١٢٢٠) والمصنف لعبد الرزاق (٢: ٤٣٣) وسنن الدّارمي (١: ٩٥) وشرح معاني الآثار (١: ١٤٩) والسنن الكبرى للبيهقي (٢: ٤٥٣) والفقيه والمتفقه (١: ١٤٦-١٤٧) وجامع بيان العلم (٢: ١٨٩) وانظر الدر المنثور (٥: ٢٠١).

من القوم: يا أبا نُجَيْد؛ لتحدثونا بأحاديث ما نجدُ لها أصلاً في القرآن، فغضب عمران بن حُصين، وقال للرجل: قرأتَ القرآنَ؟ قال: نعم. قال: وجدتَ فيه صلاةَ المغرب ثلاثاً، وصلاةَ العشاء أربعاً، وصلاةَ الغداة ركعتين، والأولى أربعاً، والعصر أربعاً؟ قال: لا. قال: فعمَّن أخذتم هذا الشأن؟ ألستم أخذتموه عنا، وأخذناه عن رسول الله ﷺ؟ أوجدتم في كل أربعين درهماً درهمٌ، وفي كل كذا وكذا شاة، شاة، وفي كل كذا وكذا بعير كذا؟ أوجدتم في القرآن؟ قال: لا، قال: فعمَّن أخذتم هذا؟ أخذناه عن رسول الله ﷺ؟ وأخذتموه عنا، قال: وجدتم في القرآن ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ فهل وجدتم هذا طوفوا سبعاً، واركعوا ركعتين خلف المقام؟ أوجدتم هذا في القرآن؟ عمَّن أخذتموه؟ ألستم أخذتموه عنا، وأخذناه عن نبي الله ﷺ؟ أوجدتم في القرآن لا جلبَ ولا جنبَ ولا شِغارَ في الإسلام؟ قال: لا، قال: إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (لا جلبَ، ولا جنبَ، ولا شِغارَ في الإسلام،...). الحديث.

زاد الحاكم والطبراني في روايتهما من وجه آخر: فقال الرجل: يا أبا نُجَيْد؛ أحييتني أحياك الله.

قال الحسن: فما مات ذلك الرجل حتى كان من فقهاء المسلمين. رواه أبو داود والحاكم مختصراً وصححه، والطبراني والبيهقي واللفظ لهما، في آخرين(٩٨٧).

---

(٩٨٧) سنن أبي داود: كتاب الزكاة: باب ما تجب فيه الزكاة، رقم (١٥٦١) والسنة (١: ٥٥٦-٥٥٧) والمعجم الكبير (١٨: ١٦٥-١٦٦) مختصراً وَ (١٨: ٢١٩ رقم ٥٤٧) مطولاً، =

* وعن أميَّة بن عبد الله بن خالد، أنه قال لعبد الله بن عُمَر رضي الله تعالى عنهما: إنّا نجدُ صلاةَ الحضر وصلاةَ الخوف في القرآن، ولا نجد صلاة السَّفر في القرآن، فقال له عبدُ الله بنُ عمر: يا ابن أخي؛ إن الله عز وجل بعث إلينا محمداً ﷺ، ولا نعلمُ شيئاً، وإنما نفعل كما رأينا محمداً ﷺ يفعل. رواه أحمد والنَّسائي وابن ماجَه وابن خزيمة وابن حِبّان والحاكم برجال ثقات[٩٨٨].

* وفي لفظ للنسائي[٩٨٩] أنه قال لابن عمر: كيف تُقصر الصلاة وإنما قال الله عز وجل: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ﴾؟ فقال ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: يا ابن أخي؛ إن رسول الله ﷺ أتانا ونحن ضُلّالٌ، فعلّمنا، فكان فيما علّمنا؛ أن الله عز وجل أمرنا أن نُصلّي ركعتين في السفر.

وهكذا كانوا رضي الله تعالى عنهم يقولون إذا سُئلوا عن أمرٍ موجودٍ في السنة النبوية، ولم يوجد في القرآن: كنّا ضُلّالاً فهدانا الله تعالى به، فبه نقتدي

= والشريعة (١: ٤١٦-٤١٧) والمستدرك (١: ١٠٩) ودلائل النبوة (١: ٢٥-٢٦).

(٩٨٨) مسند أحمد (٢: ٦٥-٦٦، ٩٤، ١٤٨رقم ٥٦٨٣) من نسخة أحمد شاكر، وانظر فيه أيضاً، رقم (٥٣٣٣) وسنن النَّسائي: كتاب تقصير الصلاة: الباب الأول (٣: ١١٧) وسنن ابن ماجَه: كتاب إقامة الصلاة: باب تقصير الصلاة في السفر، رقم (١٠٦٦) وصحيح ابن خزيمة (٢: ٧٢) وصحيح ابن حِبّان (٤: ٣٠١) (٦: ٤٤٤) وموارد الظمآن (٥٦ رقم ١٠١) والمستدرك (١: ٢٥٨) وقال: رجاله مدنيون ثقات ولم يخرجاه، وأقره الذهبي.

(٩٨٩) سنن النَّسائي: كتاب الصلاة: باب كيف فرضت الصلاة (١: ٢٢٦) والموطأ (١: ١٤٥-١٤٦) وانظر التقصي لقول ابن عبد البر، ومصنف عبد الرزاق (٢: ٥١٧-٥١٨) والسنن الكبرى للبيهقي (٣: ١٣٦).

صلّى الله عليه وآله وسلَّم(٩٩٠).

- مُذاكرتُهم رضي الله تعالى عنهم للسنة النبوية في مجالسِهم:

ومن مظاهر محافظتهم رضي الله تعالى عنهم على سنة نبيهم وتمسكهم بها بعد وفاته ﷺ: أنهم إذا جلسوا فيما بينهم فإنهم يتذاكرون أحاديث رسول الله ﷺ لكي يستذكروها، ومن ثَمَّ لكي يحفظوها، وهذا امتدادٌ لما كانوا عليه في زمن رسول الله ﷺ، وقد تكون مذاكرتهم لها في التطبيق العملي، وقد تكون استعراضاً قولياً.

* عن أبي سعيد الخُدْري رضي الله تعالى عنه قال: أصحابُ النبي ﷺ إذا جلسوا كان حديثُهم -يعني الفقه- إلاّ أن يقرأ رجلٌ سورة، أو يأمر رجلاً بقراءة سورة. رواه الحاكم، وصححه، وأقره الذهبي، والبيهقي في المدخل، ورواه الخطيب البغدادي في الجامع والفقيه والمتفقه -من غير ذكر أبي سعيد-(٩٩١).

* وعن محمد بن عمارة بن عمرو بن حزم رحمه الله تعالى(٩٩٢) أنه قعد في مجلس فيه أبو هريرة، وفيه مشيخةٌ من أصحاب النبي ﷺ [كثير] -بضعة عشر رجلاً- فجعل أبو هريرة يحدِّثهم عن النبي ﷺ [بالحديث] فلا يعرفه بعضُهم، ثم يتراجعون فيه، فيعرفه بعضُهم، ثم يحدِّثُهم [بالحديث] ولا يعرفه

---

(٩٩٠) انظر: مسند أحمد، من نسخة الشيخ أحمد شاكر، بأرقام (٥٦٩٨، ٥٧٥٧).

(٩٩١) المستدرك (١: ٩٤) والمدخل للبيهقي (٢٨٨) والجامع لأخلاق الراوي (٢: ٦٨) من نسخة الطحان، و(٢: ١٢٧) من نسخة محمد رأفت سعيد، وفي الفقيه والمتفقه (٢: ١٢٦).

(٩٩٢) في المستدرك (محمد بن عمرو بن حزم).

بعضُهم، ثم يعرفه، حتى فعل ذلك مراراً،... رواه البخاري في تاريخه، والحاكم في المستدرك[٩٩٣].

لهذا ورد حثّوهم رضي الله تعالى عنهم على مذاكرةِ الحديث الشريف ومُدارستِه، فإن مذاكرته إحياء له في صدورهم، وهي حياة له.

* عن أبي سعيد الخُدْري رضي الله تعالى عنه قال: تذكروا الحديث، فإن مُذاكرة الحديث تُهيِّج الحديث. رواه ابن أبي شيبة والدّارِمي ومسدد والحارث والحاكم والطبراني في الأوسط برجال الصحيح، والخطيب البغدادي والبيهقي وغيرهم، وقال الحافظ: صحيح موقوف[٩٩٤].

* وعن علي رضي الله تعالى عنه قال: تذاكروا الحديث، فإنكم إن لا تفعلوا يندرس. رواه ابن أبي شيبة والدّارِمي والحاكم وصححه، والخطيب البغدادي والبيهقي والرامهرمزي وابن عبد البر[٩٩٥].

* وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: تذاكروا الحديث،

---

(٩٩٣) التاريخ الكبير (١: ١٨٦-١٨٧) والمستدرك (٣: ٥١١) وتاريخ دمشق (٦٧: ٣٣٩) وسير أعلام النبلاء (٢: ٦١٧).

(٩٩٤) مصنف ابن أبي شيبة (٨: ٧٣٣) وسنن الدّارِمي (١: ١١٩) وبغية الباحث (١: ١٩٢) والمستدرك (١: ٩٤) ومعرفة علوم الحديث (١٤٠) والمدخل للبيهقي (٢٨٩) وشرف أصحاب الحديث (٩٥، ٩٦) والمحدث الفاصل (٥٤٥، ٥٤٦) والجامع لأخلاق الراوي (١: ٢٣٧) وجامع بيان العلم (١: ١٠١، ١١١) ومجمع الزوائد (١: ١٦١) والمطالب العالية (٣: ٣١٨).

(٩٩٥) المصنف لابن أبي شيبة (٨: ٧٣٣) وسنن الدّارِمي (١: ١٢٢) والمستدرك (١: ٩٥) ومعرفة علوم الحديث (٦٠) وشرف أصحاب الحديث (٩٤) والجامع لأخلاق الراوي (١: ٢٣٦، ٢٣٧) والمحدث الفاصل (٥٤٥) وجامع بيان العلم (١: ١٠١، ١٠٨).

فإن ذكر الحديث حياته. رواه الدّارِمي والحاكم وصححه، والرامهرمـزي والخطيب والبيهقي وابن عبد البر(٩٩٦).

* وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: تـذاكروا الحـديث، لا يتفلت منكم،... رواه الدّارِمي والخطيب والرامهرمزي(٩٩٧).

* وعن فُضالة بن عُبيد رضي الله تعالى عنه أنه كان إذا أتاه أصـحابه قال: تدارسوا، وأبشروا، وزيدوا زادكم الله خيراً، وأحبَّكم، وأحـبَّ مـن يحبكم، ردوا علينا المسائل، فإن أجر آخرها كأجرِ أوَّلِها، وأخلطوا حديثَكم بالاستغفار. رواه الطبراني في الكبير، ورجاله موثقون(٩٩٨).

والنصوص في هذا كثيرة، وكل ذلك يدل على مدى حرصِهم رضوان الله تعالى عليهم على حفظ سُنَّة نبيِّهم ﷺ على الوجه الذي يليق بهـا، والله تعالى أعلم.

- سؤال بعضهم بعضاً رضي الله تعالى عنهم عنها عند عدم معرفته لها:

ومن مظاهر محافظتهم رضي الله تعالى عنهم على سنة نبيهم وتمـسكهم بها بعد وفاته ﷺ: أنهم إذا احتاج أحدهم إلى حديث فلم يعرفه أو لم يسمعه من النبي المصطفى الكريم ﷺ، ذكَّر الصحابةَ الكرام رضي الله تعالى عنهم به،

(٩٩٦) سنن الدّارِمي (١: ١٢١) والمستدرك (١: ٩٥) ومعرفة علوم الحديث (١٤١) والمـدخل (٢٨٨-٢٨٩) وشرف أصحاب الحديث (٩٤) والمحدث الفاصل (٥٤٦) وجامع بيـان العلم (١: ١١١).

(٩٩٧) سنن الدّارِمي (١: ١١٩، ١٢٠) وشرف أصحاب الحديث (٩٥) والجـامع لأخـلاق الراوي (١: ٢٣٧) والمحدث الفاصل (٥٤٧).

(٩٩٨) المعجم الكبير (١٨: ٢٩٩) ومجمع الزوائد (١: ١٦١).

وسألهم عنه إن كان عند أحدِهم حتى يذهب إليه، ويعمل به.

والنصوص في هذا الموضوع كثيرة جداً، فمن ذلك:

* عن قبيصة بن ذؤيب قال: جاءت الجدَّةُ إلى أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه لتسأله ميراثَها، فقال لها أبو بكر: ما لكِ في كتاب الله شيء، وما أعلم لكِ في سنة نبي الله ﷺ شيئاً، فارجعي حتى أسأل الناس، فسألَ الناسَ، فقال له المغيرة بن شعبة: حضرتُ رسول الله ﷺ أعطاها السدس. فقال أبو بكر: هل معك غيرُك؟ فقام محمد بن مَسْلَمَة الأنصاريُّ فقال مثل ما قال المغيرة، فأنفذه لها أبو بكر. رواه مالك وأحمد وأصحاب السنن وابن الجارود، وصححه الترمذي وابن حِبّان والحاكم، في آخرين، وحسنه البغوي(٩٩٩).

* وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، عن عمر بن الخطاب رضي

(٩٩٩) الموطأ: كتاب الفرائض: باب ميراث الجدة، رقم (٤) ومصنف عبد الرزاق (١٠: ٢٧٤-٢٧٥) وسنن سعيد بن منصور (١: ٣: ٣١ رقم ٨٠) ومصنف ابن أبي شيبة (١١: ٣٢٠-٣٢١) ومسند أحمد (٤: ٢٢٥، ٢٢٥-٢٢٦) وسنن الدّارِمي (٢: ٢٥٩-٢٦٠) والمنتقى لابن الجارود (٣٢٠-٣٢١) وسنن أبي داود: كتاب الفرائض: باب في الجدة، رقم (٢٨٩٤) وسنن الترمذي: كتاب الفرائض: باب ما جاء في ميراث الجدة، رقم (٢١٠٠، ٢١٠١) والسنن الكبرى للنسائي: كتاب الفرائض: باب ذكر الجدات والأجداد،... وباب ذكر اسم هذا الرجل الذي أدخل بين الزهري وبين قبيصة (٤: ٧٣-٧٥ من طرق) وتحفة الأشراف (٨: ٣٦١) وسنن ابن ماجَه: كتاب الفرائض: باب ميراث الجدة، رقم (٢٧٢٤) ومسند أبي يعلى (١: ١١١-١١٢) والمعجم الكبير (١٩: ٢٢٨-٢٣٠من طرق) (٢٠: ٤٣٧-٤٣٩) ومسند الشاميين (٣: ٢٢٠-٢٢٢) وصحيح ابن حبّان (١٣: ٣٩٠-٣٩١) وموارد الظمآن (٣٠٠) والمستدرك (٤: ٣٣٨) وشرح السنة (٨: ٣٤٥-٣٤٦) والسنن الكبرى للبيهقي (٦: ٢٣٤) وانظر التلخيص الحبير (٣: ٨٢) وصححه.

الله تعالى عنه أنه نشد الناسَ قضاءَ النبي ﷺ في ذلك -يعني في الجنين- فقام حَمْلُ بن مالك بن النابغة الهذلي فقال: كنت بين امرأتين لي -يعني ضرَّتين- فضربت إحداهما الأخرى بمسطح فقتلتها، وقتلت جنينَها، فقضى رسول الله ﷺ في الجنين بغُرَّةٍ؛ عبدٍ أو أَمَةٍ. فقال عمر: الله أكبر، لو لم نسمع بهذا لقضينا بغيره. رواه أحمد وأبو داود وابن ماجَه والحاكم، ورواه الشافعي وأبو داود والنَّسائي من طريق طاووس عن عمر رضي الله عنه(١٠٠٠) والحديث ثابت في الصحيحين عن أبي هريرة والمغيرة بن شعبة رضي الله تعالى عنهما.

* وعن حُذَيْفَة بن اليمان رضي الله تعالى عنهما قال: كنا عند عمر، فقال: أيكم يحفظ حديثَ رسول الله ﷺ في الفتنة؟ فقلت: أنا أحفظه كما قال. قال: هات، إنك لجريء، وكيف قال؟.

قلت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (فتنةُ الرجل في أهله وماله ونفسه وولده وجاره يكفِّرها الصيامُ والصلاةُ والصدقةُ والأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر).

فقال عمر: ليس هذا أريد، إنما أريد التي تموج كموج البحر.

(١٠٠٠) الأم (٦: ٩٣) والرسالة (٤٢٦) والسنن (رقم ٦٠٠) والمسند (٢٤١، ٣٤٨) ومصنف عبد الرزاق (١١: ٥٧، ٥٨) ومسند أحمد (١: ٣٦٤) (٤: ٧٩-٨٠) وسنن الدّارِمي (٢: ١١٧) وسنن أبي داود: كتاب الديات: باب دية الجنين، رقم (٤٥٧٢) وسنن النَّسائي: كتاب القسامة: باب قتل المرأة بالمرأة، وباب دية جنين المرأة (٨: ٢١-٢٢، ٤٧) وسنن ابن ماجَه: كتاب الديات: باب دية الجنين، رقم (٢٦٤١) والمعجم الكبير (٤: ٩) وسنن الدارقطني (٣: ١١٥-١١٧) وصحيح ابن حِبّان (١٣: ٣٧٨) والمستدرك (٣: ٥٧٥) والسنن الكبرى للبيهقي (٨، ١١٤، ١١٥).

قال: قلت: مالَك ولها يا أمير المؤمنين؟ إن بينك وبينها باباً مغلقاً.

قال: فيُكسر البابُ أو يُفتح؟ قال: قلت: لا، بل يُكسر.

قال: ذاك أحرى أن لا يغلق أبداً.

قال: فقلنا لحُذَيْفَة، هل كان عمر يعلم مَن الباب؟ قال: نعم، كما يعلم أن دون غدٍ الليلة، إني حدَّثته حديثاً ليس بالأغاليط.

قال: فهبنا أن نسأل حُذَيْفَة مَن الباب؟ فقلنا لمسروق: سله. فسأله، فقال: عمر. متفق عليه(١٠٠١).

* وعن بَجالةَ بن عَبَدة رحمه الله تعالى قال: لم يكن عمر أخذ الجزيةَ من المجوس، حتى شهد عبدُ الرحمن بنُ عوف، أن رسول الله ﷺ أخذها من مجوس هجر. رواه الشافعي وأحمد والبخاري وأبو داود والترمذي والنَّسائي في آخرين(١٠٠٢).

* وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: أخذت الناسَ ريحٌ بطريق مكة، وعمرُ بن الخطاب رضي الله تعالى عنه حاجٌّ [وفي رواية: كنا مع عمر ابن الخطاب بطريق مكة] فاشتدت عليهم. فقال عمر لمن حوله: من يحدِّثنا

(١٠٠١) صحيح البخاري: كتاب مواقيت الصلاة: باب الصلاة كفارة، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، وأنه يأرز بين المسجدين، رقم (٢٣١) وكتاب الفتن: باب في الفتنة التي تموج كموج البحر، رقم (٢٦-٢٧).

(١٠٠٢) الرسالة (٤٣٠-٤٣١) والأم (٤: ٩٦) واختلاف الحديث (١٣٣) والمسند (١٧٠) ومسند أحمد (١: ١٩٠-١٩١، ١٩٤) وصحيح البخاري: كتاب الجزية: باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب.

عن الريح [وفي رواية: فقال عمر: أيكم سمع من رسول الله ﷺ في الريح شيئاً] فلم يرجعوا إليه شيئاً، فبلغني الذي سأل عنه عمر من ذلك، فاستحثثتُ راحلتي حتى أدركته. فقلت: يا أمير المؤمنين؛ أُخبرتُ أنك سألتَ عن الريح، وإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (الرِّيحُ من رَوح الله؛ تأتي بالرحمة، وتأتي بالعذاب، فإذا رأيتموها فلا تسبّوها، وسلوا الله خيرَها، واستعيذوا به من شرها). رواه الشافعي وعبد الرزاق وابن أبي شيبة وأحمد والبخاري في الأدب المفرد وأبو داود والنَّسائي وابن ماجَه والبزار، وصححه ابن حِبّان والحاكم وأقره الذهبي(١٠٠٣).

* وعن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، أن رجالاً من أصحاب النبيِّ ﷺ حين تُوُفِّي النبيُّ ﷺ حزنوا عليه، حتى كاد بعضُهم يُوَسوِسُ -قال عثمان: وكنتُ منهم- فبينا أنا جالسٌ في ظلِّ أُطُم من الآطام، مر عليَّ عمرُ

(١٠٠٣) الأم (١: ٢٢٤) والمسند (٨١-٨٢) ومصنف عبد الرزاق (١١: ٨٩) ومصنف ابن أبي شيبة (١٠: ٢١٦-٢١٧) ومسند أحمد (٢: ٢٥٠، ٢٦٧-٢٦٨، ٤٠٩، ٤٣٦-٤٣٧، ٥١٨) والأدب المفرد (رقم ٧٢١، ٩٠٩) وسنن أبي داود: كتاب الأدب: باب ما يقول إذا هاجت الريح، رقم (٥٠٩٧) والسنن الكبرى للنسائي (٦: ٢٣٠-٢٣١ من طرق) وعمل اليوم والليلة (رقم ٩٢٩-٩٣٢) وسنن ابن ماجَه: كتاب الأدب: باب النهي عن سب الريح، رقم (٣٧٢٧) والمعرفة والتاريخ (١: ٣٨٢) والبحر الزخار (١٤: ٢٤٠) وكتاب العظمة لأبي الشيخ (٤: ١٣١٣) وصحيح ابن حِبّان (٣: ٢٨٧) (١٣: ٣٨-٣٩) والمستدرك (٤: ٢٨٥، ٣١٨) والسنن الكبرى للبيهقي (٣: ٣٦١) وشعب الإيمان (٤: ٣١٥) ومعرفة السنن والآثار (٥: ١٩٠) وشرح السنة (٤: ٣٩١-٣٩٢) وانظر: صحيح مسلم: كتاب صلاة الاستسقاء: باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم،... رقم (١٥) لحديث السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها.

رضي الله تعالى عنه فسلّم عليَّ، فلم أشعر أنه مرَّ ولا سلَّم، فانطلق عُمرُ حتى دخل على أبي بكر رضي الله تعالى عنه، فقال له: ما يعجبُك أني مررتُ على عثمان، فسلّمتُ عليه، فلم يردَّ عليَّ السلامَ؟ وأقبل هو وأبو بكر رضي الله تعالى عنهما-في ولاية أبي بكر رضي الله تعالى عنه-حتى سلّما عليَّ جميعاً. ثم قال أبو بكر: جاءني أخوك عُمر، فذكر أنه مرَّ عليك، فسلَّم فلم تردَّ عليه السلامَ. فما الذي حملك على ذلك؟ قال: قلتُ: ما فعلتُ. قال عمر: بلى والله لقد فعلتَ، ولكنها عُبِّيَّتكم يا بني أُميَّة.

قال: قلت: والله ما شعرتُ أنك مررت بي، ولا سلّمتَ. قال أبو بكر: صدق عثمانُ، وقد شغلك عن ذلك أمرٌ؟ فقلتُ: أجل. قال: ما هو؟

فقال عثمان رضي الله تعالى عنه: تَوَفَّى الله عز وجل نبيَّه ﷺ قبل أن نسأله عن نجاة هذا الأمر. قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه: قد سألتُه عن ذلك. قال: فقمت إليه [واعتنقتُه] فقلت: بأبي أنتَ وأمي، أنتَ أحقُّ بها.

قال أبو بكر: قلتُ: يا رسول الله، ما نجاة هذا الأمر؟ فقال رسول الله ﷺ: (من قَبِل مني الكلمةَ التي عرضتُ على عمّي فردَّها عليَّ: فهي له نجاة). رواه أحمد والمروزي والبزار وأبو يعلى من طرق هو بها صحيح(١٠٠٤).

* وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال لطلحةَ بنِ عُبيد الله -رضي الله تعالى عنه-: ما لي أراك قد شَعِثْتَ واغبَرَرْتَ منذ تُوُفِّي رسول

(١٠٠٤) مسند أحمد (١: ٦، ٨-٩) ومسند أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه (رقم٧، ٨، ١٤) والطبقات الكبرى (٢: ٣١٢-٣١٣) والبحر الزخار (١: ٥٦-٥٩) ومسند أبي يعلى (١: ٢١-٢٢، ١٢١-١٢٢) وعلل الدارقطني (١: ١٧١-١٧٥) وتاريخ بغداد (١: ٢٧٣) ومجمع الزوائد (١: ١٤-١٥، ٣٣) وكشف الأستار (١: ٨-٩).

الله ﷺ؟ لعلك ساءك -يا طلحةُ- إمارةُ ابن عمِّك؟ [قال: يعني أبا بكر رضي الله تعالى عنه] قال: معاذ الله، إني لأَجدرُكم أن لا أفعل ذاك. إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (إني لأعلم كلمةً لا يقولها رجلٌ عند حضرة الموت؛ إلاّ وَجَد روحُه لها رَوْحاً حين تخرج من جسده، وكانت له نوراً يوم القيامة) فلم أسأل رسول الله ﷺ عنها، ولم يُخبرني بها. ذلك الذي دخلني.

قال عُمر: فأنا أعلمها. قال: فلله الحمدُ. قال: فما هي؟ قال: هي الكلمةُ التي قالها لعمه: لا إله إلاّ الله. قال طلحةُ: [فكأنما كُشف عني غطاء] صدقت. رواه أحمد والنسائي وابن ماجه والبزار وأبو يعلى، وصححه ابن حبان والحاكم وأقره الذهبي(١٠٠٥).

- الحث على احترام السنة النبوية الشريفة وتعظيمها وتوقيرها:

ومن مظاهر محافظتهم رضي الله تعالى عنهم على سنة نبيهم وتمسكهم بها بعد وفاته ﷺ: احترامهم لها، وتعظيمهم إياها، وتوقيرهم وتسليمهم وانقيادهم لها.

ذلك أن احترام السنة النبوية الشريفة وتوقيرها وتعظيمها؛ هو من احترام الصادرة عنه ﷺ وتوقيره، وتعظيمه والتسليم له، والانقياد لأمره.

(١٠٠٥) مسند أحمد (١: ٢٩، ٣٧، ١٦١) وعمل اليوم والليلة للنسائي (رقم ١٠٩٨-١١٠٢) وسنن ابن ماجه: كتاب الأدب: باب فضل لا إله إلاّ الله، رقم (٣٧٩٥) والبحر الزخار (٣: ١٤٥-١٤٦، ١٥٠ من طرق) ومسند أبي يعلى (٢: ١٣-١٥، ٢٢-٢٣ من طرق) وصحيح ابن حبان (١: ٤٣٤-٤٣٥) والمستدرك (١: ٣٥٠-٣٥١) والأسماء والصفات (٩٨) ومجمع الزوائد (٢: ٣٢٤، ٣٢٤-٣٢٥) ومصباح الزجاجة (٤: ١٢٧-١٢٨).

وقد بلغ الصحابة رضي الله تعالى عنهم المثل الأعلى في ذلك، إذ لم يكن احترامهم وتعظيمهم،... للسنة النبوية الشريفة خاصّاً في حياة النبي الكريم ﷺ فحسب؛ بل كان هذا شأنهم رضوان الله تعالى عليهم، حتى بعد انتقاله ﷺ من عالم الدنيا إلى الرفيق الأعلى.

وقد وردت نصوص كثيرة عنهم رضوان الله تعالى عليهم-تقدم ذكرُ بعضها-كلها تدل على مدى تمسكهم بالسنة النبوية الشريفة والتسليم لها، واحترامها وتعظيمها وتوقيرها.

وقد عقد الإمام الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى في كتابه (الفقيه والمتفقه) باباً بهذا العنوان، ذكر فيه كثيراً من النصوص عن الصحابة رضي الله تعالى عنهم والتابعين رحمهم الله تعالى، كلها تدل على هذا المعنى، أذكر بعض هذه النصوص، مع عزوها إلى مصادرها الأصلية ما أمكن إن شاء الله تعالى.

* عن طلحة بن شَجَّاح رحمه الله تعالى قال: كتب عُبيدُ الله بنُ معمر القرشي إلى عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما -وهو أمير فارس على جند-: إنّا قد استقررنا، فلا نخاف عدواً، وقد أتى علينا سبعُ سنين، فقد ولدنا الأولاد، فكم صلاتنا؟ فكتب إليه عبدُ الله: إن صلاتكم ركعتان، فأعاد إليه الكتاب، فكتب إليه ابنُ عمر: إني كتبتُ إليك بسنة رسول الله ﷺ، فسمعته يقول: (من أخذ بسنتي فهو مني، ومن رغب عن سنتي فليس مني). رواه الخطيب البغدادي[١٠٠٦].

(١٠٠٦) الفقيه والمتفقه (١: ١٤٣-١٤٤) بسند ضعيف، لوجود جويبر بن سعيد الأزدي، لكن =

* وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: من سرَّه أن يلقى الله غداً مسلماً؛ فليحافظ على هؤلاء الصلوات الخمس، حيث يُنادى بهن، فإن الله شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، وما من رجل يتطهر فيحسن الطُّهور، ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد؛ إلاّ كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة، ويرفعه بها درجة، ويحط عنه بها سيئة، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلاّ منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجلُ يُؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف. رواه مسلم(١٠٠٧).

- **تدوينهم للسنة في صحف معينة، أو أجزاء:**

ومن مظاهر محافظتهم رضي الله تعالى عنهم على سنة نبيهم وتمسكهم بها بعد وفاته ﷺ: تدوين بعضهم لما يحفظونه في صحف، أو مجلات، أو أجزاء،... للمحافظة عليها، وخشية الضياع، وللرجوع إليها عند النسيان، أو عند حصول الاختلاف، أو التنازع في شيء منها.

وقد وردت الكتابة عن عدد كثير من الصحابة، ومن هؤلاء(١٠٠٨):

= الحديث صحيح ثابت في الصحيحين من حديث أنس رضي الله تعالى عنه، وأما قصر الصلاة لمن لا يدري كم يمكث فثابت أيضاً.

(١٠٠٧) صحيح مسلم: كتاب المساجد: باب صلاة الجماعة من سنن الهدى، رقم (٢٥٧).

(١٠٠٨) انظر: سنن الدّارِمي (١: ١٠٣-١٠٧) والمحدث الفاصل (٣٦٧-٣٧٤) والمستدرك (١: ١٠٦) وشرف أصحاب الحديث (٦٧-٦٩، ٨٤-٨٦، ٩٧، ١١٠-١٣٤) وتقييد =

أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه -وهو أول من دوّن وكتب- ثم صحيفته التي كتبها لأنس رضي الله تعالى عنهما، وعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه -حيث استشار الصحابة رضي الله تعالى عنهم في تدوينها، لكنه كتب الكثير كما سيأتي- وعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه في صحيفته التي كانت في قرابة سيفه، ورواها البخاري في تسعة مواضع- والحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما، وأبو أمامة الباهلي رضي الله تعالى عنه، وأنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، وعبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما، وواثلة بن الأسقع رضي الله تعالى عنه، وعبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما، وأبو هريرة رضي الله تعالى عنه، وزيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه، وجابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما، والبراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما، ومعاوية بن قرة رضي الله تعالى عنه، وأبو سعيد الخُدْري رضي الله تعالى عنه، وأبو موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه، وأبي بن كعب رضي الله تعالى عنه، وأُسيد بن حضير رضي الله تعالى عنه، وجابر بن سمرة رضي الله تعالى عنه، وجرير بن عبد الله البجلي رضي الله تعالى عنه، ورافع بن خَديج رضي الله تعالى عنه، وزيد بن الأرقم رضي الله تعالى عنه، وسعد بن عبادة رضي الله تعالى عنه، والسائب بن يزيد رضي الله تعالى عنه،

= العلم (٨٧-٩٨، ١٠١-١٠٢، ١٣٦) والكفاية (٥٣٥-٥٤٣) والجامع (٢: ١٤، ١٣٤) والإلماع (١٤٧) وجامع بيان العلم (١: ٦٤، ٦٨-٧٢ وما بعد) والمدخل للبيهقي (٤١٥-٤٢٢) ومجمع الزوائد (١: ١٥٠-١٥٣) وانظر أيضاً: دراسات في الحديث النبوي (١: ٩٢-١٤٢) فقد ذكر اثنين وخمسين صحابياً، وذكر مصادر النقول في الحاشية لكل نقل، فأجاد في هذا الموضوع، وفقه الله تعالى وسائر علماء المسلمين.

وسلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه، وسمرة بن جندب رضي الله تعالى عنه، وسهل بن سعد رضي الله تعالى عنهما، وشداد بن أوس رضي الله تعالى عنه، والضحاك بن قيس رضي الله تعالى عنه، وعبد الله بن أبي أوفى رضي الله تعالى عنه، وعبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما، وعبد الله بن عَمْرو رضي الله تعالى عنهما، وعبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه، ومعاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه، والمغيرة بن شعبة رضي الله تعالى عنه، والسيدة عائشة رضي الله تعالى عنها، والنعمان بن بشير رضي الله تعالى عنهما، ومحمد بن مسلمة رضي الله تعالى عنه،... في طائفة كبيرة من الصحابة رضي الله تعالى عنهم، إما كتبوا، وإما أمْلَوا، وإما أذِنوا، وإما أقروا بذلك(١٠٠٩).

* إضافة إلى **كثرة الصحف في هذا العصر**، من قبل تلامذة الصحابة عنهم، أو من طريق أبناء الصحابة عن آبائهم عن أجدادهم. مثل:

الصحف عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، وصحيفة حميد الطويل، وسليمان التيمي، عن أنس رضي الله تعالى عنه، وأبي سفيان، والشعبي، ومحمد الباقر عن جابر رضي الله تعالى عنه، وسالم بن أبي أمية، وعمر بن عبيد الله عن ابن أبي أوفى، وسعيد بن جبير عن ابن عباس وابن عمر رضي الله تعالى عنهم، وأبي حازم عن سهل رضي الله تعالى عنه، وأبي الزبير عن جابر رضي الله تعالى عنه، وبهز بن حكيم عن أبيه عن جده، وعَمْرو بن شُعيب عن أبيه عن جده،... في كثيرين.

(١٠٠٩) انظر تدوين السنة من العهد النبوي إلى زمن التابعين، فقد ذكرت مئات النصوص.

- إرسالهم أولادهم ومواليهم إلى من يتوقعون وجود علم عنده:

ومن مظاهر محافظتهم رضي الله تعالى عنهم على السنة النبوية الشريفة -بعد وفاة رسول الله ﷺ-: إرسالهم أولادهم ومواليهم وذويهم سواء كانوا من الشباب أو الرجال، إلى من يثقون بعلمهم، ويرون أنهم قد حملوا عن رسول الله ﷺ علماً غزيراً، ليسمعوا منهم ويأخذوا عنهم، ويتعلّموا منهم، والنصوص في هذا الباب كثيرة، أقتصر على بعضها.

* فعن عكرمة رحمه الله تعالى -مولى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما- قال: قال لي ابنُ عباس ولابنه عليٍّ: انطلقا إلى أبي سعيد، فاسمعا من حديثه. فانطلقنا، فإذا هو في حائط يُصلحُه، فأخذ رداءَه فاحتبى، ثم أنشأ يحدِّثُنا، حتى أتى ذكرُ بناء المسجد، فقال: كنا نحملُ لبنةً لبنةً، وعمّار لبنتَين لبنتَين، فرآه النبيُّ ﷺ، فينفضُ الترابَ عنه ويقول: (ويح عمّار، تقتُلُه الفئةُ الباغيةُ، يدعوهم إلى الجنة، ويدعونه إلى النار) قال: يقول عمار: أعوذ بالله من الفتن. رواه البخاري[١٠١٠].

فقوله ﷺ: (يدعوهم إلى الجنة...) كانوا ظانّين أنهم يدعون إلى الجنة، وهم مجتهدون لا لومَ عليهم في اتّباع ظنونهم، فالمراد بالدعاء إلى الجنة: الدعاء إلى سببها، وهو طاعة الإمام، وكذلك كان عمّار رضي الله تعالى عنه يدعوهم إلى طاعة عليٍّ رضي الله تعالى عنه، وهو الإمامُ الواجبُ الطاعة إذ ذاك. وكانوا هم يدعون إلى خلاف ذلك، لكنهم معذورون للتأويل الذي

(١٠١٠) صحيح البخاري: كتاب الصلاة: باب التعاون في بناء المسجد، وفي غيرهما.

ظهر لهم.اهـ من الفتح[١٠١١]، والله تعالى أعلم.

* وعن عروة بن الزبير رضي الله تعالى عنهما قال: قالت لي عائشة رضي الله تعالى عنها: يا ابن أختي؛ بلغني أن عبدَ الله بنَ عَمْرٍو مارٌّ بنا إلى الحج، فالْقَه فسائله، فإنه قد حمل عن النبي ﷺ علماً كثيراً. قال: فلقيته، فساءلته عن أشياء يذكرها عن رسول الله ﷺ.

قال عروة: فكان فيما ذكر؛ أن النبي ﷺ قال: (إن الله لا ينتزعُ العلمَ من الناس انتزاعاً، ولكن يقبضُ العلماءَ فيرفعُ العلمَ معهم، ويُبقي في الناس رؤوساً جهّالاً، يُفتونهم بغير علم، فيَضلون ويُضلون)... الحديث بطوله، متفق عليه، واللفظ لمسلم[١٠١٢]. وسيأتي ذكره مطوّلاً بعد قليل.

- **حثهم أولادهم وتلاميذهم على تدوين السنة:**

ومن مظاهر حفظهم رضي الله تعالى عنهم لسنة نبيهم ﷺ: حثهم أولادهم وذويهم وتلاميذهم على تدوين السنة خصوصاً والعلم عموماً، وقد ذكرت كثيراً من النصوص في (تدوين السنة من العهد النبوي إلى زمن التابعين) أقتصر على ذكر بعضها.

* عن عَمْرو بن أبي سفيان، أنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يقول: قيِّدوا العلمَ بالكتاب.اهـ.

* وعن عليٍّ رضي الله تعالى عنه قال: قيّدوا العلمَ بالكتاب.اهـ.

(١٠١١) فتح الباري (١: ٥٤٢).

(١٠١٢) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب كيف يقبض العلم، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب العلم: باب رفع العلم وقبضه، رقم (١٣-١٤).

* وقال رضي الله تعالى عنه: من يشتري مني علماً بدرهم.اهـ.

قال أبو خيثمة: يقول: يشتري صحيفةً بدرهم، يكتب فيها العلم[١٠١٣].

* وعن شرحبيل قال: دعا الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما بنيه وبني أخيه فقال: يا بَنيّ وبني أخي، إنكم صغار قوم، يوشك أن تكونوا كبار آخرين، فتعلموا العلم، فمن لم يستطع منكم أن يرويه فليكتبه، وليضعه في بيته.اهـ.

* وعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قيِّدوا العلمَ بالكتاب.اهـ.

* وعن ثمامة بن عبد الله بن أنس، أن أنساً رضي الله تعالى عنه قال لبنيه: يا بَنِيّ؛ قيِّدوا العلمَ بالكتاب.اهـ[١٠١٤]. وانظر الحديث التالي:

* عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: حدثني محمود بنُ الرَّبيع، عن عِتْبان بن مالك. قال: قدمتُ المدينةَ. فلقيتُ عِتْبان. فقلت: حديثٌ بلغني عنك. قال: أصابني في بصري بعضُ الشيء. فبعثتُ إلى رسول الله ﷺ أني أحبُّ أن تأتيني، فتصلي في منزلي، فأتَّخذه مصلّى.

قال: فأتى النبيُّ ﷺ ومن شاء الله من أصحابه. فدخل -وهو يصلي في منزلي- وأصحابُه يتحدّثون بينهم. ثم أسندوا عُظْمَ ذلك وكبْرَه إلى مالك بن دُخشُم. قالوا: ودُّوا أنه دعا عليه فهلك. وودّوا أنه أصابه شرٌّ.

(١٠١٣) تقييد العلم (٩٠).

(١٠١٤) انظر هذه الأقوال في تقييد العلم (٨٨-٩٧) وانظر الحواشي فيه لبيان تخريجها.

فقضى رسول الله ﷺ الصلاةَ، وقال: (أليس يشهد أن لا إله إلاّ الله، وأني رسول الله؟) قالوا: إنه يقول ذلك، وما هو في قلبه. قال: (لا يشهد أحدٌ أن لا إله إلاّ الله، وأني رسول الله فيدخلَ النارَ، أو تطعمه).

قال أنس: فأعجبني هذا الحديثُ، فقلت لابني: اكتبه. فكتبه. متفق عليه، واللفظ لمسلم(١٠١٥). وسيأتي برواية أخرى.

- **إنكارهم رضي الله تعالى عنهم الشديد على من لم تطب نفسه بها، أو كان يستهزىء بها:**

لقد كانوا رضي الله تعالى عنهم ينكرون أشد الإنكار على من لم تطب نفسُه بالسنة، أو كان يستهزىء بها.

* عن أبي سعيد الخُدْري رضي الله تعالى عنه قال: قال رجل: المسح حسن، وما أمسح -أو ما تطيب نفسي به- فقال له ناس من أصحاب رسول الله ﷺ: والله ما لك ذلك حتى لا يكون في نفسك حرجٌ مما قال، وتسلّم تسليماً. رواه الخطيب البغدادي(١٠١٦).

* وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (بينما رجلٌ يتبختر في بردين؛ خسف الله به الأرضَ، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة).

(١٠١٥) صحيح البخاري: كتاب الصلاة: باب المساجد في البيوت، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، رقم (٥٤،٥٥) وانظر: كتاب المساجد: باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر، رقم (٢٦٣-٢٦٥).

(١٠١٦) الفقيه والمتفقه (١: ١٤٥-١٤٦).

فقال له فتى -قد سماه- وهو في حلةٍ: يا أبا هريرة؛ أهكذا كان يمشي ذلك الفتى الذي خسف به؟ ثم ضرب بيده، فعثر عثرةً كاد ينكسر منها، فقال أبو هريرة: للمنخرين والفم، ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ هذا لفظ الدّارمي، والحديث، متفق عليه(١٠١٧).

وقد مر عددٌ من الأمثلة على طلب الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم في احترام السنة وتوقيرها، والإنكار على من خالفها.

* لذا قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: يا أيها الناس؛ لا عذر لأحد بعد السنة، في ضلالةٍ ركبها حسبها هدى، ولا في هدىً تركه حسبه ضلالةً، قد بُينت الأمور، وثبتت الحجة(١٠١٨).

* وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: إنّا نقتدي ولا نبتدئ، ونتَّبع ولا نبتدع، وإن أفضل ما تمسكنا به بالأثر(١٠١٩).

* وعن أبي الشعثاء رحمه الله تعالى قال: كنا قعوداً في المسجد مع أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، فأذَّن المؤذن، فقام رجل من المسجد يمشي، فأتبعه أبو هريرة بصرَه حتى خرج من المسجد، فقال أبو هريرة: أما هذا فقد عصى أبا القاسم ﷺ. رواه مسلم(١٠٢٠).

(١٠١٧) صحيح البخاري: كتاب اللباس: باب من جر ثوبه من الخيلاء. وصحيح مسلم: كتاب اللباس: باب تحريم التبختر في المشي مع إعجابه بثيابه، رقم (٤٩-٥٠) وسنن الدّارمي (١: ٩٦ رقم ٤٤٣).

(١٠١٨) الفقيه والمتفقه (١: ١٤٨).

(١٠١٩) الفقيه والمتفقه (١: ١٤٧).

(١٠٢٠) صحيح مسلم: كتاب المساجد: باب النهي عن الخروج من المسجد إذا أذن المؤذن، رقم (٢٥٨-٢٥٩).

* وقد بلغ الأمر ذروته في الإنكار على من خالف السنة فلم يعمل بها، في حديث حُذَيْفَة رضي الله تعالى عنه حين رأى رجلاً لا يتم الركوع ولا السجود، فلما قضى صلاته؛ قال له حُذَيْفَة رضي الله تعالى عنه: ما صليتَ.

قال أبو وائل (الراوي عن حذيفة): وأحسبه قال: لو متَّ متَّ على غير سنة محمد ﷺ. رواه البخاري[١٠٢١].

* وفي رواية له[١٠٢٢]: ولو متَّ متَّ على غير الفطرة التي فطر اللهُ محمداً ﷺ عليها.

لأن من تعظيم السنة واحترامها العملَ بها وتطبيقها، فلما كان هذا المصلي غير مطبِّقٍ لها، كان مضيِّعاً ومخالفاً لهدي رسول الله ﷺ، نسأل الله تعالى أن يلهمنا رشدنا، ويرزقنا حسن الاتباع الكامل لنبيه وحبيبه وصفيِّه الكريم ﷺ.

- **مراجعة بعضهم بعضاً رضي الله تعالى عنهم عند التشكيك:**

ومن مظاهر محافظتهم رضي الله تعالى عنهم على سنة نبيهم وتمسكهم بها بعد وفاته ﷺ: مراجعة بعضهم بعضاً عند وجود شكٍّ أو احتمال وهم في النقل.

وهذا أمر مهمٌ جداً، وقد اتخذ أشكالاً متعددة، ليتثبَّتوا من صحة نقله، وإضافته إلى النبي المصطفى الكريم ﷺ.

(١٠٢١) صحيح البخاري: كتاب الصلاة: باب إذا لم يتم السجود، وفي كتاب الأذان: باب إذا لم يتم السجود. أيضاً.

(١٠٢٢) صحيح البخاري: كتاب الأذان: باب إذا لم يتم الركوع.

ومن ذلك:

أ - مراجعة المُحدِّث نفسه ليتدبَّر الحديث الذي حدَّث به:

ومن صور التنقير والتثبت، والمراجعة عند التشكك: أهم يراجعون المُحدِّث نفسه ليتدبّر الحديثَ الذي حدَّث به، لعله وَهِم أو أخطأ، أو دخل عنده حديث في حديث،... فيراجعونه في ذلك، ليتثبت الطرفان، هو من صحة ما يقول، والسامع من صحة ما يسمع.

* فعن عمرو بن عَبَسَة رضي الله تعالى عنه -في قصة إسلامه، وهو حديث طويل، رواه مسلم في صحيحه[١٠٢٣]، وقد أسلم في مكة، ثم رجع إلى قومه، حتى هاجر رسولُ الله ﷺ إلى المدينة، ولما بلغ عَمْراً هجرةُ النبي المصطفى الكريم ﷺ وتسارعُ الناس إلى الإسلام قدم إلى المدينة-.

قال عمرو: فقدمت المدينة، فدخلت عليه، فقلت يا رسول الله؛ أتعرفني؟ قال: (نعم، أنت الذي لقيتني بمكة؟) قال فقلتُ: بلى. فقلت: يا نبي الله؛ أخبرني عما علَّمك الله وأجهلُه.

أخبرني عن الصلاة؟ قال: (صلِّ صلاة الصبح، ثم أَقصِر عن الصلاة حتى تطلع الشمس حتى ترتفع، فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفارُ، ثم صلِّ فإن الصلاةَ مشهودةٌ محضورةٌ، حتى يستقل الظل بالرمح، ثم أَقصِر عن الصلاة، فإن، حينئذ تُسجر جهنم، فإذا أقبل الفيءُ فصلِّ، فإن الصلاةَ مشهودةٌ محضورةٌ، حتى تصلي العصر، ثم أَقصِر عن الصلاة حتى تغرب الشمس، فإنها تغرب بين قرني شيطان، وحينئذ يَسجد لها الكفارُ).

(١٠٢٣) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين: باب إسلام عمرو بن عَبَسَة، رقم (٢٩٤).

قال فقلت: يا نبي الله؛ فالوضوء، حدثني عنه، قال: (ما منكم رجلٌ يُقرِّب وَضوءَه؛ فيتمضمض ويستنشق فينتثرُ؛ إلاّ خرَّت خطايا وجهه وفيه وخياشيمه. ثم إذا غسل وجهَه كما أمره الله؛ إلاّ خرَّت خطايا وجهه من أطراف لحيته مع الماء. ثم يغسل يديه إلى المِرفقين؛ إلاّ خرَّت خطايا يديه من أنامله مع الماء. ثم يمسح رأسه؛ إلاّ خرَّت خطايا رأسه من أطراف شعره مع الماء. ثم يغسل قدميه إلى الكعبين؛ إلاّ خرَّت خطايا رجليه من أنامله مع الماء. فإذا هو قام فصلّى، فحمد الله وأثنى عليه، ومجَّدَه بالذي هو له أهل، وفرَّغ قلبَه لله؛ إلاّ انصرف من خطيئته كهيئته يوم ولدته أمه).

فحدَّث عَمْرُو بن عَبَسَة بهذا الحديث أبا أمامة صاحبَ رسول الله ﷺ، فقال له أبو أمامة: يا عَمْرَو بنَ عَبَسَة؛ انظر ما تقول، في مقام واحدٍ يُعطى هذا الرجلُ؟

فقال عَمْرو: يا أبا أمامة؛ لقد كبرت سني، ورق عظمي، واقترب أجلي، وما بي حاجة أن أكذب على الله، ولا على رسوله ﷺ، لو لم أسمعه من رسول الله ﷺ إلاّ مرة أو مرتين أو ثلاثاً (حتى عدَّ سبع مرات) ما حدَّثت به أبداً، ولكني سمعته أكثر من ذلك.اهـ لفظ مسلم.

فقول أبي أمامة رضي الله تعالى عنه: (يا عَمْرَو بن عَبَسَة؛ انظر ما تقول،...) استنكار منه بأن يُعطى الرجلُ كلَّ هذا في مقام واحد.

وأما قولُ عَمْرو بن عَبَسَةَ رضي الله تعالى عنه: (لو لم أسمعه،... حتى قوله: ولكني سمعته أكثر من ذلك) يريد -والله تعالى أعلم- أنه لو لم يتحقق منه، ويجزم به لما حدَّث به، وجاء ذكر المرات بياناً لصورة حاله، لا أنه رضي

الله تعالى عنه يريد أن كثرة عدد السماع شرط في الرواية، لأن من سمعه مرة واحدة جاز له الرواية به، بل يتعين عليه إذا انفرد، والله تعالى أعلم(١٠٢٤).

ب- إعادة السؤال بعد فترة من الزمن على الراوي، حتى يتثبَّت السائل من حفظ المسؤول:

ومن صور التنقير والتثبت، والمراجعة عند التشكك: إعادة السؤال بعد فترة من الزمن، حتى يتثبَّت السائل من حفظ المسؤول.

* فمن ذلك ما رواه الشيخان(١٠٢٥) -واللفظ لمسلم- بسنديهما إلى عروة بن الزبير رضي الله تعالى عنهما قال: قالت لي عائشة رضي الله تعالى عنها: يا ابن أختي؛ بلغني أن عبدَ الله بنَ عَمْرٍو مارٌّ بنا إلى الحج، فالْقَه فسائله، فإنه قد حمل عن النبي ﷺ علماً كثيراً. قال: فلقيته، فساءلته عن أشياء يذكرها عن رسول الله ﷺ.

قال عروة: فكان فيما ذكر؛ أن النبي ﷺ قال: (إن الله لا ينتزعُ العلمَ من الناس انتزاعاً، ولكن يقبضُ العلماءَ فيرفعُ العلمَ معهم، ويُبقي في الناس رؤوساً جهّالاً، يُفتونهم بغير علم، فيَضلون ويُضلون).

قال عروة: فلما حدَّثتُ عائشة بذلك، أعظمت ذلك وأنكرته، قالت: أَحدَّثك أنه سمع النبيَّ ﷺ يقول هذا؟

قال عروة: حتى إذا كان قابلٌ؛ قالت له: إن ابنَ عَمْرٍو قد قدم، فالْقَه ثم

(١٠٢٤) انظر شرح صحيح مسلم للنووي (٦: ١١٨) والأبي والسنوسي (٢: ٤٣٩).

(١٠٢٥) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب كيف يقبض العلم، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب العلم: باب رفع العلم وقبضه، رقم (١٣-١٤).

فاتحه حتى تسأله عن الحديث الذي ذكره لك في العلم. قال: فلقيته، فساءلته، فذكره لي نحوَ ما حدَّثني به في المرة الأولى.

قال عروة: فلما أخبرتها بذلك قالت: ما أحسبه إلاّ قد صدق، أراه لم يزد فيه شيئاً و لم يَنْقُص.اهـ.

فقد صدَّقَتْه حيث إنه لم يغيِّر من روايته شيئاً بعد مرور عام كامل.

ج- أن يُرسل السائل -أو السامع- إلى صحابي آخر ليتأكد من ضبط الأول وإتقانه:

ومن صور التثبت والمراجعة عند التشكك: أن يُرسل السائل-أو السامع-إلى صحابي آخر ليتأكد من ضبط الأول وإتقانه، وهذا كثير أيضاً، فمن ذلك:

* عن عامر بن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنهما، أنه كان قاعداً عند عبد الله بن عُمَر، إذ طلع خَبّابٌ صاحب المقصورة، فقال: يا عبدالله بن عمر؛ ألا تسمعُ ما يقول أبو هريرة؟ أَنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (من خرج مع جنازة من بيتها، وصلّى عليها، ثم تبعها حتى تُدفن؛ كان له قيراطان من أجر؛ كلُّ قيراط مثلُ أُحدٍ، ومن صلّى عليها ثم رجع؛ كان له من الأجر مثل أُحد).

فأرسل ابن عمر خبّاباً إلى عائشة يسألُها عن قول أبي هريرة، ثم يرجعُ إليه فيخبرُه ما قالت، وأخذ ابنُ عُمر قبضةً من حصباءِ المسجد يُقلِّبها في يده، حتى رجع إليه الرسولُ، فقال: قالت عائشة: صدق أبو هريرة.

فضرب ابنُ عمر بالحصى الذي كان في يده الأرضَ، ثم قال: لقد فرَّطنا

في قراريط كثيرة. متفق عليه، واللفظ لمسلم(١٠٢٦).

فلما صدَّقت السيدةُ عائشة رضي الله تعالى عنها أبا هريرة رضي الله تعالى عنه، قال ابنُ عمر رضي الله تعالى عنهما: لقد فرَّطنا في قراريط كثيرة، متندِّماً على ما كان يفعله، حيث كان يُصلي ولا يتّبع-وهو الحريص على الخير.

وهذا بابٌ واسعٌ، كل ذلك حرصاً منهم رضي الله تعالى عنهم على حديث رسول الله ﷺ، بل قد يتهدد من بيده سلطان من يسمعه يُحدِّث بما لا يعرف، وسيرد من ذلك بعض النصوص في التثبت في الرواية بعد قليل إن شاء الله تعالى.

د- أن يكتب السامع إلى صحابي آخر غير موجود في مصره-أو البلد الذي سمع فيه-ليتأكد من صحة نسبة الخبر الذي سمعه:

ومن صور التثبت والمراجعة عند التشكك: أن يكتب السامع إلى صحابي آخر غير موجود في مصره-أو البلد الذي سمع فيه-ليتأكد من صحة نسبة الخبر الذي سمعه، وهذا كثير أيضاً.

* فعن سَمُرَة بن جُنْدُب رضي الله تعالى عنه قال: سكتتان حفظتهما عن رسول الله ﷺ. فأنكر ذلك عِمرانُ بن حُصين، وقال: حفظنا سكتة، فكتبا في ذلك إلى أُبَيِّ بن كعب بالمدينة. فكتب أُبيٌّ: أن حفظ سَمُرة. رواه ابن أبي شيبة وأحمد والدّارِمي وأبو داود، والترمذي وحسنه، وابن ماجَه،

(١٠٢٦) صحيح البخاري: كتاب الجنائز: باب فضل اتباع الجنائز. وصحيح مسلم: كتاب الجنائز: باب فضل الصلاة على الجنازة واتباعها، رقم (٥٢-٥٧).

والدارقطني، وصححه ابن حِبّان والحاكم وأقره الذهبي(١٠٢٧).

هـ- أن يأخذ من حدَّثه إلى من كان قد سمعه منه، ليتأكد من صحة نسبة الحديث الذي حدَّثه به عنه:

ومن صور التثبت والاحتياط والمراجعة عند التشكك: أن يأخذ من حدَّثه إلى من كان قد سمعه منه، ليتأكد من صحة نسبة الحديث الذي حدَّثه به عنه، حتى يأخذ به السامع، ومن ذلك:

* عن نافع، أن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال له رجلٌ من بني ليث: إن أبا سعيد الخُدْري يأثُرُ هذا عن رسول الله ﷺ، قال نافع: فذهب عبد الله وأنا معه والليثي، حتى دخل على أبي سعيد الخُدْري، فقال: إن هذا أخبرني أنك تخبر أن رسول الله ﷺ نهى عن بيع الوَرِق بالوَرِق إلاّ مثلاً بمثل، وعن بيع الذهب بالذهب إلاّ مثلاً بمثل. فأشار أبو سعيد بإصبعيه إلى عينيه وأذنيه، فقال: أبصرت عيناي وسمعت أذناي رسول الله ﷺ يقول: (لا تبيعوا الذهب بالذهب، ولا تبيعوا الوَرِق بالوَرِق، إلاّ مثلاً بمثل، ولا

(١٠٢٧) مصنف ابن أبي شيبة (١: ٢٧٦) ومسند أحمد (٥: ٧، ١١-١٢، ١٥، ٢٠، ٢١، ٢٣) وسنن الدّارِمي (١: ٢٢٧) وسنن أبي داود: كتاب الصلاة: باب السكتة عند الافتتاح، رقم (٧٧٧-٧٨٠) وسنن الترمذي: باب ما جاء في السكتة في الصلاة، رقم (٢٥١) وسنن ابن ماجَه: باب في سكتتي الإمام، رقم (٨٤٤، ٨٤٥) كلاهما في الصلاة، والمعجم الكبير (٦: ٢٥٤-٢٥٥، ٢٥٥) ومسند الشاميين (٤: ٢٩-٣٠) وسنن الدارقطني (١: ٣٠٩، ٣٣٦) وصحيح ابن خزيمة (٣: ٣٥، لم يذكر آخره) وصحيح ابن حِبّان (٣: ١٤٧) والمستدرك (٥: ٢١٥) والسنن الكبرى (٢: ١٩٥-١٩٦، ١٩٦) وتحسين الترمذي رحمه الله تعالى له للخلاف في سماع الحسن من سمرة، وقد صحح عدداً من رواياته.

تُشِفُّوا بعضَه على بعض، ولا تبيعوا شيئاً غائباً منه بناجزٍ، إلاّ يداً بيد). متفق عليه، واللفظ لمسلم[(١٠٢٨)].

فلما حدَّث أبو سعيد عبدَ الله بنَ عمر رضي الله تعالى عنهم بذلك؛ صار ينهى عنه، بعد أن كان أفتى به[(١٠٢٩)]، رضي الله تعالى عنهم.

* وعن أبي رافع، عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (ما من نبيٍّ بعثه الله في أمة قبلي، إلاّ كان له من أمته حواريّون وأصحابٌ يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره. ثم إنها تخلف من بعدهم خُلوف، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون مالا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حَبَّةُ خردل).

قال أبو رافع: فحدَّثتُ عبدَ الله بنَ عمر فأنكره عليَّ، فقدم ابنُ مسعود، فنزل بقناة، فاستتبعني إليه عبدُ الله بنُ عُمر يعوده. فانطلقتُ معه. فلما جلسنا سألتُ ابنَ مسعود عن هذا الحديث، فحدَّثنيه كما حدَّثْتُه ابنَ عُمر. رواه مسلم[(١٠٣٠)].

(١٠٢٨) صحيح البخاري: كتاب المساقاة: باب بيع الفضة بالفضة. وصحيح مسلم: كتاب المساقاة: باب الربا، رقم (٧٦).

(١٠٢٩) انظر: صحيح مسلم: كتاب المساقاة: باب بيع الطعام مثلاً بمثل، رقم (١٠٠). وانظر فتح الباري (٤: ٣٨٠).

(١٠٣٠) صحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان،... رقم (٨٠).

و- إحالتهم على من كان حاضراً عند سماعه الحديث من رسول الله ﷺ ليؤكِّدوا صحة قوله، ونسبة الحديث إلى رسول الله ﷺ:

ومن صور التثبت والاحتياط والمراجعة عند التشكك: إحالتهم على من كان حاضراً عند سماعه الحديث من رسول الله ﷺ ليؤكّدوا صحة قوله، ونسبة الحديث إلى رسول الله ﷺ، وقد يستحلف بعضهم على ذلك. فمن ذلك:

* عن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه -حين حوصر- أشرف عليهم وقال: أنشدكم بالله، ولا أنشد إلاَّ أصحاب النبي ﷺ، ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: (من حفر رومة فله الجنة) فحفرتُها.

* وفي رواية: هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قدم المدينة وليس بها ماء يُستعذب غير بئر رومة، فقال: (من يشتري بئرَ رُومة فيجعلُ فيها دلوَه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة). فاشتريتها من صلب مالي، فجعلت دلوي فيها مع دلاء المسلمين،... قالوا: اللهم نعم. الحديث بطوله، رواه ابن أبي شيبة وأحمد والبخاري-تعليقاً-والترمذي والنَّسائي وابن خزيمة وابن حِبّان، في آخرين[١٠٣١].

(١٠٣١) صحيح البخاري: كتاب الوصايا: باب إذا وقف أرضاً أو بئراً،... ومصنف ابن أبي شيبة (١٢: ٣٩-٤٠) ومسند أحمد (١: ٥٩، ٧٠، ٧٤-٧٥) وسنن الترمذي: كتاب المناقب: باب مناقب عثمان، رقم (٣٦٩٩) وسنن النَّسائي: كتاب الجهاد: باب فضل من جهّز غازياً، وكتاب الأحباس: باب وقف المساجد (٦: ٤٦-٤٧، ٢٣٣-٢٣٧) من طرق، والسنن الكبرى له (٤: ٩٥-٩٧ من طرق) والسنة (٢: ٨٧٣-٨٧٧) =

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن من أشراط الساعة أن يظهر الشُّحُّ، والفحشُ، ويُؤتمن الخائنُ، ويُخوَّن الأمين، ويَظهر ثيابٌ تلبسها نساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ، ويعلو التحوتُ الوعولَ).

أكذلك يا عبدَ الله بنَ مسعود سمعتَه من حِبّي [ﷺ]؟ قال: نعم، وربِّ الكعبة.

قلنا: وما التحوت؟ قال: (فسولُ الرجال، وأهل البيوت الغامضة، يُرفعون فوق صالحيهم، والوعولُ: أهلُ البيوت الصالحة). رواه الطبراني-واللفظ له-برجال الصحيح، ورواه من وجه آخر الطبراني وابن حِبّان، والحاكم وقال: هذا حديث رواته كلهم مدنيون؛ ممن لم ينسبوا إلى نوع من الجرح. وأقره الذهبي(١٠٣٢).

ز- إحالتهم على من يراه أعلم أو أضبط لحديث رسول الله ﷺ ليؤكِّدوا صحة قوله، ونسبة الحديث إلى رسول الله ﷺ:

ومن صور التثبت والاحتياط والمراجعة عند التشكك: أن يحيل أحدهم السائل إلى من يراه أضبط منه أو أعلم-وهذا كله من التواضع في العلم،

= والبحر الزخار (٢: ٤٢-٤٧ من طرق) وصحيح ابن خزيمة (٤: ١٢١، ١٢١-١٢٢) وصحيح ابن حِبّان (١٥: ٣٤٨، ٣٦٢) وسنن الدارقطني (٤: ١٩٥-٢٠٠من طرق) والسنن الكبرى للبيهقي (٦: ١٦٧، ١٦٨) والمختارة للضياء (١: ٤٤٧-٤٤٨، ٤٧٤،-٤٧٧، ٤٨٣-٤٨٥ من طرق) ورواه آخرون. وانظر: فتح الباري (٥: ٤٠٧).

(١٠٣٢) المعجم الأوسط (١: ٢٢٨) (٤: ١٢١) وصحيح ابن حِبّان (١٥: ٢٥٨) والمستدرك (٤: ٥٤٧) ومجمع البحرين (٧: ٢٩٣، ٢٩٣-٢٩٤) ومجمع الزوائد (٧: ٣٢٤-٣٢٥، ٣٢٧) وفتح الباري (١٣: ١٥).

ومعرفة فضل بعضهم لبعض-ثم يفتي الجميع.

* فعن شُرَيح بن هانئ رحمه الله تعالى قال: أتيتُ عائشة رضي الله تعالى عنها أسألها عن الخُفَّين. فقالت: عليك بابن أبي طالب فسله، فإنه كان يسافر مع رسول الله ﷺ [وفي رواية: فقالت: ائتِ عليّاً، فإنه أعلمُ بذلك مني] فسألناه، فقال: جعل رسول الله ﷺ ثلاثةَ أيام ولياليهن للمسافر، ويوماً وليلةً للمقيم. رواه مسلم[١٠٣٣].

* عن أبي المنهال رحمه الله تعالى قال: سألت البراءَ بنَ عازب رضي الله تعالى عنهما عن الصَّرف؟ فقال: سل زيدَ بنَ أرقم فهو أعلم. فسألتُ زيداً، فقال: سل البراء فإنه أعلم. ثم قالا: نهى رسول الله ﷺ عن بيعِ الوَرِقِ بالذَّهبِ دَيْناً. متفق عليه، واللفظ لمسلم[١٠٣٤].

ح- أن يَحلِفَ المُحَدِّثُ نفسُه إذا شعر بتشكك السامع:

ومن صور التثبت والاحتياط والمراجعة عن التشكك: أن يَحلِفَ المُحَدِّثُ نفسُه إذا شعر بتشكك السامع، وهذا كثير أيضاً، فمن ذلك:

* عن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها، لما توفي سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قالت: ادخلوا به المسجد حتى أصلي عليه، فأُنكر ذلك عليها، فقالت: والله لقد صلّى رسول الله ﷺ على ابنَيْ بيضاء في المسجد-

(١٠٣٣) صحيح مسلم: كتاب الطهارة: باب التوقيت في المسح على الخفين، رقم (٨٥).

(١٠٣٤) صحيح البخاري: كتاب البيوع: باب بيع الوَرِق بالذهب نسيئة، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب المساقاة: باب النهي عن بيع الوَرِق بالذهب دَيناً، رقم (٨٦، ٨٧).

سهيل وأخيه-. رواه مسلم[1035].

فقد حلفت رضي الله تعالى عنها لما أنكروا عليها طلبَها وطلبَ أمهات المؤمنين رضي الله تعالى عنهن إدخال جنازة سعد رضي الله تعالى عنه إلى المسجد، وذلك لنسيانهم، فحلفت مذكرةً لهم، فسلَّموا لها ذلك.

ط- أن يذْكرَ المُحَدِّثُ منهم ما يؤكد على حفظه وضبطه وإتقانه:

ومن صور التثبت والاحتياط والمراجعة عند التشكك أيضاً: أن يذْكرَ المُحَدِّثُ منهم ما يؤكد على حفظه وضبطه وإتقانه، وهذا كثير أيضاً، فمن ذلك:

* عن أبي اليَسر رضي الله تعالى عنه -في حديثه الطويل -والذي رواه مسلم[1036]- وفي آخره قصة محوه الصحيفة عمّن عليه دَيْن، ولم يجد له قضاء، ثم قال: فأشهد بَصَرُ عينيَّ هاتين (ووضع أصبعيه على عينيه) وسَمْعُ أذنيَّ هاتين، ووعاه قلبي هذا (وأشار إلى مناط قلبه) رسولَ الله ﷺ وهو يقول: (من أنظر معسراً، أو وضع عنه؛ أظله الله في ظله).

* وقد كرر هذا أيضاً في حديث: (أطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم مما تلبسون).

* وعن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنهما قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول -وأهوى النعمان بأصبعيه إلى أذنيه-: (إن الحلال بيِّنٌ، وإن الحرامَ

(١٠٣٥) صحيح مسلم: كتاب الجنائز: باب الصلاة على الجنازة في المسجد، رقم (٩٩-١٠١).

(١٠٣٦) صحيح مسلم: كتاب الزهد والرقائق: باب حديث جابر الطويل، وقصة أبي اليَسَر، رقم (٧٤).

بيِّنٌ،...) الحديث بطوله، متفق عليه[1037].

* وقد مر حديث أبي شُرَيح الخزاعي رضي الله تعالى عنه، والذي فيه وهو يخاطب الأشدق: ائذن لي أيها الأمير أحدثْك قولاً قام به النبي ﷺ الغدَ من يوم الفتح، سمعته أذناي، ووعاه قلبي، وأبصرته عيناي، حين تكلَّم به،... الحديث، فقد ذكر ما يدل على حفظه وسماعه، ليصدقه من سمعه، ولا يتشكك في روايته رضي الله تعالى عنه.

* كما مر حديث أبي سعيد الخُدْري رضي الله تعالى عنه، والذي فيه وهو يخاطب ابن عُمر رضي الله تعالى عنهما: فأشار أبو سعيد بإصبعيه إلى عينيه وأذنيه، فقال: أبصرت عيناي، وسمعت أذناي رسولَ الله ﷺ يقول: (لا تبيعوا الذهب بالذهب،...). الحديث.

وهناك نصوص كثيرة في هذا الباب، وما ذكرته كاف في الدلالة.

ي- أن يستحلف السامعُ من حدَّثه عن النبي المصطفى الكريم ﷺ حتى يتأكد من صحة سماعه:

ومن صور التثبت والاحتياط والمراجعة عند التشكك: أن يستحلف السامعُ من حدَّثه عن النبي المصطفى الكريم ﷺ، حتى يتأكد من صحة سماعه، حفاظاً على حديث رسول الله ﷺ.

وقد ضرب عليٌّ رضي الله تعالى عنه المثلَ في هذا الباب.

* فعنه رضي الله تعالى عنه قال: كنتُ إذا سمعتُ من رسول الله ﷺ

(1037) صحيح البخاري: كتاب الإيمان: باب فضل من استبرأ لدينه، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب المساقاة: باب أخذ الحلال وترك الشبهات، رقم (107-108).

شيئاً نفعني الله منه ما شاء، وإذا حدَّثني غيره استحلفتُه، وحدَّثني أبو بكر رضي الله تعالى عنه، وصَدق أبو بكر، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (ما مِن رجل يُذنبُ ذنباً، فيتوضّأ، فيُحسنُ الوضوءَ، ويصلّي ركعتين، فيستغفر الله عز وجل؛ إلاّ غُفر له) ثم قرأ هذه الآية ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ...﴾ إلى آخر الآية[١٠٣٨] رواه الطَّيالِسي والحُمَيْدي وابن أبي شيبة وأحمد والأربعة والبَزّار وأبو يعلى وغيرهم، وحسنه الترمذي وابن عدي والبغوي والحافظ ابن حجر، وصححه ابن حِبّان، وقال ابن عدي: أرجو أن يكون صحيحاً[١٠٣٩].

ك- ومن ذلك: أن يستحلف من كان حاضراً مع رسول الله ﷺ حين ذِكْره لذلك الحديث:

* فعن عبد الله بن الحارث -وكان الحارث خليفةً لعثمان رضي الله

(١٠٣٨) سورة آل عمران (١٣٥).

(١٠٣٩) مسند الطَّيالِسي (٢، ٢-٣) ومسند الحُمَيْدي (١: ٢، ٤-٥) ومصنف ابن أبي شيبة (٢: ٣٨٧-٣٨٨) ومسند أحمد (١: ٢، ٨-١٠) ومسند أبي بكر للمروزي (٤٢-٤٤ من طرق) وسنن أبي داود: كتاب الصلاة: باب في الاستغفار، رقم (١٥٢١) وسنن الترمذي: كتاب الصلاة: باب ما جاء في الصلاة عند التوبة، وكتاب التفسير: ومن سورة آل عمران، رقم (٤٠٦، ٣٠٠٦) والسنن الكبرى للنسائي (٦: ١٠٩، ١١٠من طرق، ٣١٥) وعمل اليوم والليلة له (٣١٥-٣١٧ من طرق) وسنن ابن ماجَه: كتاب إقامة الصلاة: باب ما جاء أن الصلاة كفارة، رقم (١٣٩٥) وعمل اليوم والليلة لابن السنّي (٢١٨-٢١٩) والبحر الزخّار (١: ٦١-٦٢ من طرق) ومسند أبي يعلى (١: ٩-١١، ٢٣-٢٦ من طرق) وشرح السنة (٤: ١٥١-١٥٢) والكامل لابن عدي (١: ٤٢٠-٤٢١) وقال: هذا حديث طريقه حسن، وأرجو أن يكون صحيحاً، وتهذيب التهذيب (١: ٢٦٨) وجوَّد إسنادَه هنا، وفتح الباري (١١: ٩٨) وحسّنه هنا.

تعالى عنهم على الطائف- فصنع لعثمان طعاماً فيه الحَجَل واليعاقيب ولحم الوحش. قال: فبعث إلى علي بن أبي طالب-رضي الله تعالى عنه-فجاءه الرسولُ وهو يَخبطُ لأباعرَ له. فجاءه وهو ينفض الخَبطَ عن يده. فقالوا له: كل. فقال: أطعموه حلالاً، فإنّا حُرُمٌ، فقال عليٌّ رضي الله تعالى عنه: أنشد الله من كان ههنا مِن أشجع، أتعلمون أن رسول الله ﷺ أهدى له رجلٌ حمارَ وحش وهو مُحرِم، فأبى أن يأكلَه؟ قالوا: نعم. رواه أبو داود والبيهقي بإسناد صحيح، ورواه أحمد والطحاوي وأبو يعلى والبَزّار من وجه آخر مطوّلاً، بإسناد فيه ضعف، فصار برواية أبي داود حسناً(١٠٤٠).

ل- أن يذكر لهم من كان حاضراً عند سماعه الحديثَ من رسول الله ﷺ، ويطلب منهم أن يسألوه ليتأكّدوا من صحة قوله:

ومن صور التثبت والاحتياط والمراجعة عند التشكك أيضاً: أن يذكر لهم من كان حاضراً من الصحابة رضي الله تعالى عنهم عند سماعه الحديثَ من رسول الله ﷺ، ويطلب منهم أن يسألوه ليتأكّدوا من صحة قوله. والأحاديث في ذلك كثيرة، منها:

* عن أبي حُميد الساعدي رضي الله تعالى عنه قال: استعمل النبيُّ ﷺ رجلاً من بني أسد يقال له: ابنُ اللتبية، على صدقة،... الحديث وفيه قوله

(١٠٤٠) مسند أحمد (١: ١٠٠، ١٠٤) وسنن أبي داود: كتاب المناسك: باب لحم الصيد للمحرم، رقم (١٨٤٩) ومسند أبي يعلى (١: ٢٩٤، ٣٤٠-٣٤١) والبحر الزخار (٣: ١٢٨ رقم ٩١٤) وقال: هذا من أحسن ما يُروى عن عليٍّ في هذا الباب.ا#.وشرح معاني الآثار (٢: ١٦٨، ١٧٥) وسنن البيهقي (٥: ١٩٤) وكشف الأستار (٢: ١٧-١٨) ومجمع الزوائد (٣: ٢٢٩).

ﷺ: (...والذي نفسي بيده لا يأتي بشيءٍ إلاّ جاء به يومَ القيامة، يحمله على رقبته، إن كان بعيراً له رغاء، أو بقرةً لها خوار، أو شاةً تيعر-ثم رفع يديه، حتى رأينا عُفرتي إبطيه-ألا هل بلّغتُ؟ ثلاثاً).

* زاد في رواية: قال أبو حُميد: سمع أذناي، وأبصرتْه عَيْني، وسلوا زيد ابن ثابت، فإنه سمعه معي [وفي رواية: فإنه كان حاضراً معي] متفق عليه(١٠٤١).

* زاد في أخرى، قال عروة [بن الزبير]: فقلت لأبي حُميد الساعدي: أسمعتَه من رسول الله ﷺ؟ فقال: مِن فيه إلى أذني.

م- ومن ذلك أيضاً: تنقير الصحابة -أو التابعين- على الصحابة رضي الله تعالى عنهم، بأن الذي حدّثوهم به سمعوه من النبي الكريم ﷺ مباشرة؛ كأن يقول أحدهم: آنت سمعته من رسول الله ﷺ. ونحو ذلك. والأمثلة في ذلك كثيرة:

* فقد مر حديثُ عَمْرِو بنِ عَبَسة، وإنكار أبي أمامة رضي الله تعالى عنهما عليه. رواه مسلم.

* وعن عبد الله بن عُمَر رضي الله تعالى عنهما، أنه مر بأبي هريرة -رضي الله تعالى عنه- وهو يحدّث عن النبيِّ ﷺ أنه قال: (من تبع جنازةً فصلّى عليها؛ فله قيراط، فإن شهد دفنَها فله قيراطان، القيراط أعظمُ من أحد).

(١٠٤١) صحيح البخاري: كتاب الأحكام: باب هدايا العمال، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الإمارة: باب تحريم هدايا العمال، رقم (٢٦-٢٩).

فقال له ابنُ عمر: أبا هر؛ انظر ما تحدِّث عن رسول الله ﷺ! فقام إليه أبو هريرة، حتى انطلق به إلى عائشة، فقال لها: يا أمَّ المؤمنين؛ أنشُدك بالله، أسمعت رسول الله ﷺ يقول: (من تبع جنازةً فصلّى عليها؛ فله قيراط، فإن شهد دفنَها فله قيراطان) فقالت: اللهم نعم.

فقال أبو هريرة: إنه لم يكن يشغلني عن رسول الله ﷺ غرسُ الوَدِيِّ، ولا صفقٌ بالأسواق، إني كنتُ أطلبُ من رسول الله ﷺ كلمةً يعلمُنيها، وأكلةً يُطعمنيها.

فقال ابن عُمر: أنتَ يا أبا هريرة، كنتَ ألزمَنا لرسول الله ﷺ، وأعلَمنا بحديثه. رواه عبد الرزاق وأحمد بإسناد صحيح، والترمذي وحسنه، وصححه الحاكم وأقره الذهبي، وقال في السير: رجاله ثقات، وجوّد الحافظ إسناده، وأما المرفوع فهو متفق عليه(١٠٤٢).

وأما تنقير التابعين فهو كثير جدّاً، فمنه:

* عن سعيد بن المسيب رضي الله تعالى عنهما، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ لعليٍّ: (أنت مني بِمَنْزِلة هارون من موسى، إلاّ أنه لا نبيَّ بعدي).

قال سعيد: فأحببتُ أن أشافه به سعداً، فلقيتُ سعداً، فحدَّثْته بما حدَّثني

(١٠٤٢) مصنف عبد الرزاق (٣: ٤٥٠) ومسند أحمد (٢: ٣) وسنن الترمذي: كتاب المناقب: باب مناقب لأبي هريرة رضي الله تعالى عنه، رقم (٣٨٣٦) والمستدرك (٣: ٥١٠-٥١١) وتاريخ دمشق (٦٧: ٣٤٧) وسير أعلام النبلاء (٢: ٦١٦-٦١٧) والإصابة (٧: ٤٣٩-٤٤٠).

عامر. فقال: أنا سمعتُه، فقلتُ: آنت سمعته؟ فوضع إصبعيه على أذنيه، فقال: نعم، وإلاّ فاستكّتا. رواه مسلم(١٠٤٣).

* وعن عبد الله بن شقيق رحمه الله تعالى، عن ابن أبي الجدعاء رضي الله تعالى عنه، أنه سمع النبي ﷺ يقول: (ليدخلن الجنةَ بشفاعة رجل من أمتي: أكثرُ من بني تميم).

فقالوا: يا رسول الله؛ سواك؟ قال: (سواي، سواي).

قلت [القائل عبد الله بن شقيق]: أنت سمعتَه من رسول الله ﷺ؟ قال: أنا سمعته. رواه أحمد وابن ماجَه وابن خزيمة، وصححه ابن حِبّان والحاكم(١٠٤٤).

* وعن عَبيدة السَّلْماني رحمه الله تعالى، عن عليٍّ رضي الله تعالى عنه قال: فيهم -أي في الخوارجَ- رجلٌ مُخْدَجُ اليد -أو مَثْدونُ اليد- لولا أن تَبْطروا لحدثتكم بما وعد الله الذين يَقتلونهم على لسان محمد ﷺ.

قال: قلت: آنت سمعتَه من محمد ﷺ؟ قال: إي ورب الكعبة، إي ورب الكعبة، إي ورب الكعبة. رواه مسلم(١٠٤٥).

(١٠٤٣) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل علي بن أبي طالب، رقم (٣٠).

(١٠٤٤) مسند أحمد (٣: ٤٦٩-٤٧٠، ٤٧٠) وسنن ابن ماجَه: كتاب الزهد: باب ذكر الشفاعة، رقم (٤٣١٦) وكتاب التوحيد (٢: ٧٤٠) وصحيح ابن حِبّان (١٦: ٣٧٦) والمستدرك (١: ٧٠-٧١) ورواه أحمد والدّارِمي والترمذي في آخرين، لكن من غير الجملة الأخيرة.

(١٠٤٥) صحيح مسلم: كتاب الزكاة: باب التحريض على قتل الخوارج، رقم (١٥٥).

ن- ومن ذلك: ردُّهم لحديثٍ يخالف ما عندهم، مما يجزمون به، سواء مما ورد في كتاب الله تعالى، أو سمعوه مباشرة من رسول الله ﷺ، مما يدل على وهم من حدّث بذلك الحديث:

وخير مثال: ما فعلته السيدةُ عائشة رضي الله تعالى عنها من استدراكها على بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وقد جمع الإمامُ الزركشيُّ رحمه الله تعالى تلك الاستدراكات في كتاب(١٠٤٦). وأذكر بعض الأحاديث للتنبيه.

* لقد مر إنكار كلٍّ من عبادة بن الصامت وأبي الدَّرْداء على معاوية رضي الله تعالى عنهم ومقاطعتهما له.

* كما مر إنكار أبي سعيد الخُدْري رضي الله تعالى عنه على مروان بن الحكم رحمه الله تعالى.

* كما مر إنكار المهاجرين والأنصار على معاوية رضي الله تعالى عنهم، عندما صلّى بالمدينة و لم يجهر بالبسملة.

لكني أذكر حديثين من غيرها.

* عن أبي إسحق رحمه الله تعالى قال: كنتُ مع الأسود بن يزيد جالساً في المسجد الأعظم [يعني بالكوفة] ومعنا الشعبيُّ، فحدَّث الشعبيُّ بحديث فاطمة بنت قيس؛ أن رسول الله ﷺ لم يجعل لها سكنى ولا نفقة. ثم أخذ الأسود كفّاً من حصى، فحصبه به. فقال: ويلك، تحدِّث بمثل هذا. قال عمرُ-رضي الله تعالى عنه-: لا نترك كتاب الله وسنةَ نبيِّنا ﷺ لقول امرأة،

(١٠٤٦) اسم الكتاب: الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة. وهو مطبوع.

لا ندري لعلها حفظت أو نسيت، لها السكنى والنفقة. قال الله عز وجل: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾[1047]. رواه مسلم[1048]. وروى إنكار السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها في نفس الباب. وهذه مسألة خلافية، ولي بحث مطوّل فيها.

* وعن مروان بن الحكم رحمه الله تعالى قال: شهدتُ عثمانَ وعليّاً رضي الله تعالى عنهما، وعثمان ينهى عن المتعة وأن يجمع بينهما. فلما رأى عليٌّ أهلَّ بهما. لبيك بعمرةٍ وحَجةٍ. قال: ما كنتُ لأدعَ سنة النبيِّ ﷺ لقول أحد. رواه البخاري، ورواه مسلم من وجه آخر نحوه[1049].

أي التمتع في الحج، وهو أحد أنواع الأنساك الثلاثة.

س- ومن ذلك أنهم رضي الله تعالى عنهم إذا اختلفوا في أمر ما رجعوا إلى من هو أكبر منهم، أو أكثر علماً. فيسألونه هل سمع من رسول الله ﷺ فيما اختلفوا فيه:

* فعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما، أنه تمارى هو والحُرُّ بنُ قيس بن حِصن الفِزاريُّ، في صاحب موسى عليه السلام، فقال ابنُ عباس: هو الخضر. فمر بهما أُبيُّ بن كعب الأنصاريُّ رضي الله تعالى عنه، فناداه ابنُ

(١٠٤٧) سورة الطلاق (١).

(١٠٤٨) صحيح مسلم: كتاب الطلاق: باب المطلقة ثلاثاً لا نفقة لها، رقم (٤٦).

(١٠٤٩) صحيح البخاري: كتاب الحج: باب التمتع والإقران والإفراد بالحج. وانظر فتح الباري (٣: ٤٢٥) وصحيح مسلم: كتاب الحج: باب في نسخ التحلل من الإحرام والأمر بالتمام، رقم (١٥٨-١٥٩) لبيان فوائد هذا الحديث.

عباس، فقال: يا أبا الطُّفَيل؛ هلم إلينا. فإني قد تماريتُ أنا وصاحبي هذا في صاحب موسى الذي سأل السبيلَ إلى لُقيِّه. فهل سمعتَ رسول الله ﷺ يذكرُ شأنه؟

فقال أُبيٌّ: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (بينما موسى في ملأ من بني إسرائيل، إذ جاءه رجلٌ فقال له: هل تعلمُ أحداً أعلمَ منك؟ قال موسى: لا. فأوحى الله إلى موسى: بل عبدُنا الخضر. قال: فسأل موسى السبيلَ إلى لُقيِّه. فجعل الله له الحوتَ آيةً. وقيل له: إذا افتقدتَ الحوتَ فارجع فإنك ستلقاه. فسار موسى ما شاء الله أن يسير. ثم قال لفتاه: آتنا غداءَنا. فقال فتى موسى -حين سأله الغداء-: أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيتُ الحوتَ، وما أنسانيهُ إلاّ الشيطانُ أن أذكره. فقال موسى لفتاه: ذلك ما كنا نبغي. فارتدّا على آثارهما قصصاً. فكان من شأنهما ما قصَّ الله في كتابه). متفق عليه(١٠٥٠).

* وعن طاوس رحمه الله تعالى قال: كنتُ مع ابن عباس، إذ قال زيدُ ابن ثابت: تُفتي أن تصدر الحائضُ قبل أن يكونَ آخرُ عهدها بالبيت؟ فقال له ابنُ عباس: إمّا لا، فسَل فلانةَ الأنصاريةَ، هل أمرها بذلك رسولُ الله ﷺ؟ قال: فرجع زيدُ بنُ ثابت إلى ابن عباس يضحك، وهو يقول: ما أراك إلاّ قد صدقتَ. متفق عليه، واللفظ لمسلم(١٠٥١).

(١٠٥٠) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب ما ذكر في ذهاب موسى في البحر إلى الخضر عليهما السلام، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الفضائل: باب من فضائل الخضر عليه السلام، رقم (١٧٤).

(١٠٥١) صحيح البخاري: كتاب الحج: باب إذا حاضت المرأة بعدما أفاضت. وصحيح مسلم: =

رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم ما أسرع رجوعهم إلى الحق والأخذ به، وترك المماراة بالباطل(١٠٥٢).

* وعن عبد الله بن حُنين رحمه الله تعالى، عن عبد الله بن عباس والمِسْوَر ابن مَخْرَمة -رضي الله تعالى عنهم- أنهما اختلفا بالأبواء. فقال عبدُ الله بنُ عباس: يغسلُ المُحْرِمُ رأسَه. وقال المِسْوَر: لا يغسلُ المُحْرِمُ رأسَه.

فأرسلني ابنُ عباس إلى أبي أيوبٍ الأنصاريِّ رضي الله تعالى عنه، أسأله عن ذلك. فوجدتُه يغتسل بين القَرنَيْن، وهو يستتر بثوب. قال: فسلّمتُ عليه. فقال: من هذا؟ فقلتُ: أنا عبدُ الله بنُ حُنين، أرسلني إليك عبدُ الله ابنُ عباسٍ، أسألك: كيف كان رسول الله ﷺ يغسلُ رأسَه وهو مُحْرِمٌ؟

فوضع أبو أيوب رضي الله تعالى عنه يدَه على الثوب، فطأطأه حتى بدا لي رأسُه. ثم قال لإنسان يصبُّ: اصْبُب. فصبَّ على رأسه، ثم حرَّك رأسَه بيدَيه، فأقبل بهما وأدبر. ثم قال: هكذا رأيتُه ﷺ يفعل. متفق عليه(١٠٥٣).

* زاد مسلم في روايته: فقال المِسْوَر لابن عباس: لا أمارك أبداً.

وهناك غير ما ذكرت من مظاهر التنقير والتثبت، وقد فعل الصحابة رضي الله تعالى عنهم ذلك كلّه من باب المحافظة على السنة النبوية الشريفة،

= كتاب الحج: باب وجوب طواف الوداع وسقوطه عن الحائض، رقم (٣٨١).

(١٠٥٢) انظر حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما كيف كان يفتي بوجوب الطواف، ثم رجع بعد ذلك بإسقاطه عن الحائض: صحيح البخاري: في الكتاب والباب السابقين.

(١٠٥٣) صحيح البخاري: كتاب جزاء الصيد: باب الاغتسال للمحرم. وصحيح مسلم: كتاب الحج: باب جواز غسل المحرم بدنه ورأسه، رقم (٩١، ٩٢)وانظر فتح الباري (٤: ٥٦).

والحرص عليها، حتى لا يدخل دخيلٌ، أو يتصدّى فيها من ليس أهلاً لذلك، والله تعالى أعلم.

ع- ومن ذلك: أن أحدهم إذا سمع بحديث من آخر فلما حدّث به آخرين أنكروا عليه، رجع إن من كان قد حدَّثه-ولو بعد زمن بعيد-ليتأكد من صحة ما كان قد حدَّثه به عن رسول الله ﷺ:

* فعن محمود بن الربيع رضي الله تعالى عنه، أنه سمع عِتْبان بن مالك الأنصاريَّ رضي الله تعالى عنه-وكان ممن شهد بدراً مع رسول الله ﷺ- قال: كنت أصلي لقومي ببني سالم، وكان يحول بيني وبينهم وادٍ، إذا جاءت الأمطار، فيشق عليَّ اجتيازُه قِبَل مسجدهم.

فجئتُ رسولَ الله ﷺ فقلت له: إني أنكرتُ بصري، وإن الوادي الذي بيني وبين قومي يسيل إذا جاءت الأمطار، فيشقُّ عليَّ اجتيازه، فوددتُ أنك تأتي فتُصلّي من بيتي مكاناً، أتّخذه مصلى.

فقال رسول الله ﷺ: (سأفعل).

فغدا عليَّ رسولُ الله ﷺ وأبو بكر رضي الله تعالى عنه بعدما اشتد النهار. فاستأذن رسول الله ﷺ، فأذنتُ له. فلم يجلس حتى قال: (أين تُحبُّ أن أُصلّي من بيتك؟) فأشرتُ إلى المكان الذي أحبُّ أن أُصلّيَ فيه، فقام رسول الله ﷺ فكبَّر، وصففنا وراءَه. فصلّى ركعتين ثم سلّم، وسلَّمنا حين سلم.

وحبسته على خزير[١٠٥٤] يصنع له. فسمع أهلُ الدار رسول الله ﷺ في

(١٠٥٤) الخزير: لحم يُقطّع صغاراً، ثم يصب عليه ماء كثير، فإذا نضج ذُرَّ عليه دقيق، فإن لم يكن فيها لحم، فهي عصيدة.

بيتي، فثاب رجالُ منهم، حتى كثُر الرجالُ في البيت.

فقال رجلٌ منهم: أين مالكُ [بن الدُّخشُن] لا أراه؟ فقال رجلٌ منهم: ذاك منافقٌ لا يحب الله ورسولَه.

فقال رسول الله ﷺ: (لا تقل ذلك، ألا تراه قد قال: لا إله إلاّ الله، يبتغي بذلك وجه الله؟).

فقال: الله ورسوله أعلم. أمّا نحن فلا نرى وُدَّه ولا حديثَه إلاّ إلى المنافقين.

قال رسول الله ﷺ: (فإن الله قد حرّم على النار من قال: لا إله إلاّ الله، يبتغي بذلك وجه الله).

قال محمود: فحدَّثتُها قوماً فيهم أبو أيوب صاحبُ رسول الله ﷺ، في غزوته التي تُوُفِّيَ فيها -ويزيدُ بنُ معاوية عليهم بأرض الروم- فأنكرها عليَّ أبو أيوب. قال: والله ما أظنُّ رسولَ الله ﷺ قال ما قلتَ قطُّ. فكبُر ذلك عليَّ، فجعلتُ لله عليَّ إن سلَّمني حتى أقفُلَ من غزوتي؛ أن أسألَ عِتْبان بنَ مالك رضي الله تعالى عنه إن وجدتُه حيّاً في مسجد قومه.

فقفلتُ، فأهللتُ بحجَّة -أو بعمرةٍ- ثم سرتُ حتى قدمتُ المدينة. فأتيتُ بني سالم، فإذا عِتْبان شيخٌ أعمى يصلّي لقومه، فلما سلَّم من الصلاة: سلّمتُ عليه، وأخبرته من أنا، ثم سألته عن ذلك الحديث، فحدَّثنيه كما حدَّثنيه أولَ مرة. متفق عليه، واللفظ للبخاري(١٠٥٥).

(١٠٥٥) صحيح البخاري: كتاب التهجد: باب صلاة النوافل جماعة، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب المساجد: باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر، رقم (٢٦٣-٢٦٥).

سفرةٌ من القسطنطينية إلى المدينة هي أسهل عليه من التثبت من صحة هذا الحديث، فما الذي حمله على هذه السفرة الطويلة سوى المحافظة على هذا الحديث، خاصة وأن الذي أنكره هو من سادات الصحابة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم جميعاً، لكنه قال -كما هو ظاهر- بالظن، لأنه لم يكن حاضراً ذلك الموقف، وأما محمود رضي الله تعالى عنه فقد سمعه من المصدر الأساسي عِتْبان بن مالك رضي الله تعالى عنه صاحب الدعوة.

ف- من ذلك: حكمهم على من خالف السنة بالمعصية لرسول الله ﷺ:

* عن أبي الشعثاء رحمه الله تعالى قال: كنا قعوداً في المسجد مع أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، فأذَّن المؤذِّنُ، فقام رجلٌ من المسجد يمشي، فأتبعه أبو هريرة بصرَه حتى خرج من المسجد، فقال أبو هريرة: أما هذا فقد عصى أبا القاسم ﷺ. رواه مسلم(١٠٥٦).

* وعن صلة بن زفر رحمه الله تعالى قال: كنا عند عمّار بن ياسر -رضي الله تعالى عنه- فأُتي بشاةٍ مصلِيَّةٍ، فقال: كلوا. فتنحى بعضُ القوم، وقال: إني صائم. فقال عمّارُ بن ياسر: من صام اليومَ الذي يُشكُّ فيه: فقد عصى أبا القاسم. رواه البخاري تعليقاً، وعبد الرزاق والأربعة والطحاوي وأبو يعلى، وصححه الترمذي وابن خزيمة وابن حِبّان والدارقطني والحاكم وأقره الذهبي(١٠٥٧).

(١٠٥٦) صحيح مسلم: كتاب المساجد: باب النهي عن الخروج من المسجد إذا أذّن المؤذن، رقم (٢٥٨-٢٥٩).

(١٠٥٧) مصنف عبد الرزاق (٤: ١٥٩، ١٦٠) وسنن الدارمي(١: ٢٢٥)وصحيح البخاري: =

فهذا كله حكمه الرفع أيضاً، لأن الظاهر أن ذلك مما تلقّاه عنـــه ﷺ، ونقل الحافظ ابن عبد البر رحمه الله تعالى الإجماعَ عليه.

فحكمُ كل واحد منهما على المخالف للسنة بأنه عاصٍ يدل على مدى تمسكهم بها، ومحافظتهم عليها، وليس لهم أن يقولوا ذلك من عند أنفسهم لو لم يكن عندهم في ذلك برهان من النبي المصطفى الكريم ﷺ.

- **تصديق بعضهم لبعض رضي الله تعالى عنهم عند الرواية:**

ومن مظاهر محافظتهم رضي الله تعالى عنهم على سنة نبيهم وتمـــسكهم بها بعد وفاته ﷺ: تصديق بعضهم لبعض، وذلك بأن يحدِّث أحدُهم أمـــام الآخرين، ثم يسألهم عن ذلك، أو ينقل فعلاً من أفعال النبي المصطفى الكريم ﷺ ويطلب تأكيدهم عليه،... وهكذا، وهذا كثير جدّاً أيضاً. فمن ذلك:

* عن مالك بن أوس قال: بينما أنا جالس في أهلي حين مَتَع النهار، إذا رسولُ عمر بن الخطاب يأتيني، فقال: أجب أمير المؤمنين، فانطلقت معه حتى أدخل على عمر، فإذا هو جالس على رِمال سرير، ليس بينه وبينه فِـــراش،

= كتاب الصوم: باب قول النبيِّ ﷺ: (إذا رأيتم الهلال فصوموا،...) وســـنن أبي داود: كتاب الصوم: باب كراهية صوم يوم الشك، رقم (٢٣٣٤) وسنن الترمذي: كتـــاب الصوم: باب ما جاء في كراهية صوم يوم الشك، رقم (٦٨٦) وسنن النَّسائي: كتـــاب الصيام: باب صيام يوم الشك (٤: ١٥٣) وسنن ابن ماجَه: كتاب الصيام: باب ما جاء في صيام يوم الشك، رقم (١٦٤٥) وشرح معاني الآثار (٢: ١١١) ومسند أبي يعلــى (٣: ٢٠٨) وسنن الدارقطني (٢: ١٥٧) وصـــحيح ابـــن خزيمـــة (٣: ٢٠٤-٢٠٥) وصحيح ابن حِبّان (٨: ٣٥١، ٣٦٠-٣٦١، ٣٦١) والمـــستدرك (١: ٤٢٣-٤٢٤) والسنن الكبرى للبيهقي (٤: ٢٠٨) وانظر فتح الباري (٤: ١٢٠).

متكىءٌ على وسادة من أَدَمٍ، فسلمتُ عليه، ثم جلست،... فبينما أنا جالس عنده أتاه حاجبه يَرْفَأُ، فقال: هل لك في عثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد بن أبي وقاص يستأذنون؟ قال: نعم، فأذن لهم، فدخلوا، فسلّموا، وجلسوا.

ثم جلس يرفأ يسيراً، ثم قال: هل لك في علي وعباس؟ قال: نعم، فأذن لهم، فدخلا، فسلّما، فجلسا.

فقال: عباس: يا أمير المؤمنين؛ اقض بيني وبين هذا -وهما يختصمان فيما أفاء الله على رسوله ﷺ من مال بني النضير- فقال الرهط -عثمان وأصحابه-: يا أمير المؤمنين؛ اقضِ بينهما، وأرح أحدَهما من الآخر، فقال عمر: تَيِدَكم[(١٠٥٨)]، أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: (لا نورث، ما تركنا صدقة)؟ يريد رسولُ الله ﷺ نفسَه. قال الرهط: قد قال ذلك- وفي رواية: قالوا: نعم.

فأقبل عمرُ على عليٍّ وعباس، فقال: أنشدكما بالله أتعلمان أن رسول الله ﷺ قد قال ذلك؟ قالا: قد قال ذلك-وعند مسلم: قالا: نعم... الحديث بطوله، متفق عليه، واللفظ للبخاري[(١٠٥٩)].

ففي هذا الحديث الشريف تصديق الصحابة الكرام عثمان وعلي والعباس والزبير وسعد وعبد الرحمن رضي الله تعالى عنهم لعمر رضي الله

(١٠٥٨) بفتح أوله وفتح الدال، وكسر التحتانية، مهموز، وهو من الرفق، أي اصبروا وأمهلوا وعلى رسلكم.

(١٠٥٩) صحيح البخاري: كتاب فرض الخمس: باب فرض الخمس، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الجهاد: باب حكم الفيء، رقم (٤٩).

تعالى عنه فيما سألهم عن سماعهم لهذا الحديث، كما فيه استحلافهم على سماعهم، ومناشدته لهم. علماً بأن هذا الحديث متواتر، رواه الكثيرون غير هؤلاء(١٠٦٠).

تنبيه: قاتل الله من زعم أن أبا بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما منعا أهلَ البيت حقَّهم من رسول الله ﷺ، وهذه شهادة عليٍّ والعباس رضي الله تعالى عنهما -مع بقية إخوانهم من المهاجرين رضي الله تعالى عنهم- أنهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول ذلك، والله تعالى أعلم. وقد توسعت في ثناء الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم على آل البيت رضي الله تعالى عنهم في غير هذا الكتاب، وانظر الفصل السابع من الباب الرابع من هذا الكتاب، حيث ذكرت ثناء أئمة آل البيت على الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

* وعن أبي أنس (مالك بن أبي عامر)(١٠٦١) رحمه الله تعالى، أن عثمان رضي الله تعالى عنه توضأ بالمقاعد(١٠٦٢)، فقال: ألا أريكم وضوء رسول الله ﷺ؟ ثم توضأ ثلاثاً ثلاثاً، وعنده رجال من أصحاب رسول الله ﷺ -زاد أحمد والدارقطني والبيهقي- قال: أليس هكذا رأيتم رسول الله ﷺ يتوضأ؟ قالوا: نعم. رواه مسلم وأحمد والدارقطني والبيهقي(١٠٦٣).

(١٠٦٠) انظر: الأزهار المتناثرة (٣٧ رقم ٩٨) وقطف الأزهار (٢٧٣رقم١٠٠) ولقط اللآلئ (٨٨ رقم ٢٦) ونظم المتناثر (١٣٨-١٣٩).

(١٠٦١) وقع في المسند -في الطبعتين- (عن أنس) وهو وهم، و لم يتنبه له الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تعالى. وانظر صحيح مسلم، وتحفة الأشراف.

(١٠٦٢) قيل: هي دكاكين عند دار عثمان رضي الله تعالى عنه، وقيل: درج، وقيل: موضع بقرب المسجد اتخذه للقعود فيه لقضاء حوائج الناس والوضوء ونحو ذلك.

(١٠٦٣) صحيح مسلم: كتاب الطهارة: باب فضل الوضوء والصلاة عقبه، رقم (٩) ومسند أحمد =

* وعن محمد بن عَمرو بن عطاء قال: سمعت أبا حُميد الساعدي في عشرة من أصحاب رسول الله ﷺ منهم أبو قتادة. قال أبو حُميد: أنا أعلمُكم بصلاة رسول الله ﷺ. قالوا: فَلِمَ؟ فوالله ما كنتَ بأكثرنا له تبعاً، ولا أقدمنا له صحبة. قال: بلى. قالوا: فأعْرِض. قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة يرفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه، ثم يكبر، حتى يقر كل عظم في موضعه معتدلاً، ثم يقرأ، ثم يكبر فيرفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه، ثم يركع ويضع راحتيه على ركبتيه، ثم يعتدل فلا يَصُبُّ رأسه ولا يُقْنِع(١٠٦٤)، ثم يرفع رأسه فيقول: سمع الله لمن حمده، ثم يرفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه معتدلاً، ثم يقول: الله أكبر، ثم يهوي إلى الأرض، فيُجافي يديه عن جنبيه، ثم يرفع رأسه ويثني رجلَه اليسرى فيقعد عليها، ويفتح أصابع رجليه إذا سجد، ويسجد ثم يقول: الله أكبر، ويرفع رأسه، ويثني رجلَه اليسرى فيقعد عليها حتى يرجع كلُّ عظم إلى موضعه، ثم يصنع في الأخرى مثلَ ذلك، ثم إذا قام من الركعتين(١٠٦٥)؛ كبَّر ورفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه، كما كبَّر عند افتتاح الصلاة، ثم يصنع ذلك في بقية صلاته، حتى إذا كانت السجدة التي فيها التسليم؛ أخَّر رجله اليسرى وقعد مُتَوَرِّكاً على شقه الأيسر.

= (١: ٥٧) وَ (١: ٦٧، ٦٧-٦٨) من طريق بسر بن سعيد أيضاً بنحوه، وطبعة أحمد شاكر، رقم (٤٠٤، ٤٨٧، ٤٨٨) من المجلد الأول، وسنن الدارقطني (١: ٨٥-٨٧) والسنن الكبرى للبيهقي (١: ٧٨، ٧٩).

(١٠٦٤) أي لا ينكس رأسه إلى الأسفل، ولا يرفعه حتى يكون أعلى من ظهره، بل يعتدل في ركوعه حتى يكون سواء.

(١٠٦٥) أي إذا قام من التشهد الأول إلى الركعة الثالثة في الصلاة الثلاثية والرباعية.

قالوا: صدقت، هكذا كان يصلي ﷺ. رواه البخاري -مختصراً- وأبو داود -وهذا لفظه- والترمذي، وغيرهم(١٠٦٦).

فقولهم رضي الله تعالى عنهم له: صدقت، بعدما عرض عليهم صفةَ صلاته ﷺ بعد أن كانوا أنكروا ذلك عليه بادىء ذي بدء؛ إنما كان حفاظاً منهم أن يكون قد حفظ ما لم يحفظوا، علماً بأن منهم عدا عن أبي قتادة كلاً من أبي سعيد، وسهل بن سعد، وأبي هريرة، ومحمد بن مسلمة رضي الله تعالى عنهم، والله تعالى أعلم.

* وعن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه -حين حوصر- أشرف عليهم وقال: أنشدكم بالله؛ ولا أنشد إلاّ أصحاب النبي ﷺ، ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: (من حفر رومة).

* وعند النَّسائي والترمذي-أن رسول الله ﷺ قدم المدينة وليس بها ماء يُستعذب غير بئر رومة، فقال: (من يشتري بئر رومة فيجعلُ فيها دلوَه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة) فاشتريتها من صلب مالي، فجعلتُ دلوي فيها مع دلاء المسلمين، قالوا: اللهم نعم. الحديث بطوله، رواه ابن أبي شيبة وأحمد والبخاري -تعليقاً- والترمذي والنَّسائي وابن خزيمة وابن حِبّان، في آخرين(١٠٦٧).

(١٠٦٦) صحيح البخاري: كتاب الأذان: باب سنة الجلوس في التشهد، وسنن أبي داود: كتاب الصلاة: باب افتتاح الصلاة، رقم (٧٣٠) وباب كيف الجلوس في التشهد (٩٦٣) وسنن الترمذي: كتاب الصلاة: باب منه، رقم (٣٠٤-٣٠٥) ورواه النَّسائي وابن ماجَه وغيرهما أيضاً.

(١٠٦٧) صحيح البخاري: كتاب الوصايا: باب إذا وقف أرضاً أو بئراً،... ومصنف ابن أبي شيبة =

* وعن أبي سعيد الخُدْري رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت هذه الآية ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ قال: قرأها رسول الله ﷺ حتى ختمها وقال: (الناس حيِّزٌ، وأنا وأصحابي حيِّزٌ) وقال: (لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية).

فقال مروان: كذبت. وعنده رافع بن خَديج، وزيد بن ثابت، وهما قاعدان معه على السرير، فقال أبو سعيد الخُدْري رضي الله تعالى عنه: لو شاء هذان لحدَّثاك. فرفع عليه مروان الدرَّة ليضربه، فلما رأيا ذلك، قالا: صدق. رواه الطَّيالسي وابن أبي شيبة وأحمد والطبراني في الكبير وأبو نعيم والبيهقي، وكلهم برجال الصحيح، وصححه الحاكم وأقره الذهبي(١٠٦٨).

* وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن عُمر مر بحسّان -رضي الله

= (١٢: ٣٩-٤٠) ومسند أحمد (١: ٥٩، ٧٠، ٧٤-٧٥) وسنن الترمذي: كتاب المناقب: باب مناقب عثمان، رقم (٣٦٩٩) وسنن النَّسائي: كتاب الجهاد: باب فضل من جهّز غازياً، وكتاب الأحباس: باب وقف المساجد (٦: ٤٦-٤٧، ٢٣٣-٢٣٧) من طرق، والسنن الكبرى له (٤: ٩٥-٩٧ من طرق) والبحر الزخار (٢: ٤٢-٤٧ من طرق) وصحيح ابن خزيمة (٤: ١٢١، ١٢١-١٢٢) وصحيح ابن حبّان (١٥: ٣٤٨، ٣٦٢) والسنة (٢: ٨٧٣-٨٧٧) وسنن الدارقطني (٤: ١٩٥-٢٠٠من طرق) والسنن الكبرى للبيهقي (٦: ١٦٧، ١٦٨) والمختارة للضياء (١: ٤٤٧-٤٤٨، ٤٧٤، -٤٧٧، ٤٨٣-٤٨٥ من طرق) ورواه آخرون. وانظر: فتح الباري (٥: ٤٠٧).

(١٠٦٨) مسند الطَّيالسي (٨٤، ١٣٠، ٢٩٣) ومصنف ابن أبي شيبة (١٤: ٤٩٨-٤٩٩) ومسند أحمد (٣: ٢٢) (٥: ١٨٧) وشرح مشكل الآثار (٧: ٤١-٤٢) ومسند الشهاب (٢: ٤٢) والمعجم الكبير (٤: ٣٤١) (٥: ١٢٣) ومعرفة الصحابة (١: ١١٣) والمستدرك (٢: ٢٥٧) وحلية الأولياء (٤: ٣٨٥) ودلائل النبوة (٥: ١٠٩-١١٠) ومجمع الزوائد (٥: ٢٥٠) (١٠: ١٧).

تعالى عنهما- وهو ينشد الشِّعرَ في المسجد. فلَحَظ إليه. فقال: قد كنتُ أُنشد، وفيه من هو خيرٌ منك [يريد رسول الله ﷺ] ثم التفتَ إلى أبي هريرة فقال: أنشدك الله: أسمعتَ رسول الله ﷺ يقول: (أجب عني، اللهم أيِّده بروح القدُس)؟ قال: اللهم نعم. متفق عليه(١٠٦٩).

* وعن عاصم بن سفيان رحمه الله تعالى، أنهم غزوا غزوةَ السلاسل، ففاتهم الغزو، فرابطوا، ثم رجعوا إلى معاوية، وعنده أبو أيوب وعقبة بن عامر. فقال عاصم: يا أبا أيوب؛ فاتنا الغزوُ العامَ، وقد أُخبِرنا أنه من صلّى في المساجد الأربعة: غُفر له ذنبُه.

فقال: يا ابن أخي؛ أدلُّك على أيسر من ذلك، إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (مَن توضّأ كما أُمِر، وصلّى كما أُمِر؛ غُفر له ما قدَّم من عمل) أكذلك يا عُقبة؟ قال: نعم. رواه أحمد وعبد بن حُميد والدّارِمي والنَّسائي والطبراني بإسناد حسن، وصححه ابن حِبّان(١٠٧٠).

وقد ورد المرفوع عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

(١٠٦٩) صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق: باب ذكر الملائكة، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب فضائل حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه، رقم (١٥١-١٥٢) وانظر فتح الباري (١: ٥٤٨) (٦: ٣١٠).

(١٠٧٠) مسند أحمد (٥: ٤٢٣) ومسند عبد بن حُميد (١٠٤رقم ٢٢٧) وسنن الدّارِمي (١: ١٤٨) وسنن النَّسائي: كتاب الطهارة: باب ثواب من توضّأ كما أُمر (١: ٩٠-٩١) وسنن ابن ماجَه: كتاب الإقامة: باب ما جاء في أن الصلاة كفارة، رقم (١٣٩٦) ومسند الشاشي (٣: ٧٥) والمعجم الكبير (٤: ١٨٧) وصحيح ابن حِبّان (٣: ٣١٧-٣١٨) وانظر التاريخ الكبير (٧: ٤٢).

* وعن سعيد بن جُبير رحمه الله تعالى قال: سألتُ ابنَ عمر عن نبيذ الجَرِّ؟ فقال: حرَّم رسول الله ﷺ نبيذَ الجَرِّ. فأتيتُ ابنَ عباس فقلت: ألا تسمعُ ما يقول ابنُ عُمر؟ قال: وما يقول؟ قلتُ: قال: حرَّم رسول الله ﷺ نبيذَ الجَرِّ. فقال: صدق ابنُ عُمر. حرَّم رسول الله ﷺ نبيذَ الجَرِّ،... الحديث، رواه مسلم(١٠٧١).

- **إنكارهم على من قال أو عمل بخلاف ما سمعوه من النبي الكريم ﷺ:**

ومن مظاهر محافظتهم رضي الله تعالى عنهم على سنة نبيهم وتمسكهم بها بعد وفاته ﷺ: إنكارهم على من قال بخلاف ما عندهم، وتخطئة من قال بخلاف ما سمعوه من النبي المصطفى الكريم ﷺ، أو بخلاف ما يعلمونه من السنة، كقولهم: كذب فلان، أو كذبتَ، أو من قال بغير ذلك فقد كذب، أو من قال كذا فقد كذب، ونحو ذلك.

وكذب بلغة أهل الحجاز بمعنى أخطأ.

* عن جابر بن سَمُرة رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ كان يخطب قائماً، ثم يجلس. ثم يقوم فيخطب قائماً. فمن نبَّأك أنه كان يخطب جالساً فقد كذب، فقد والله صليتُ معه أكثر من ألفَي صلاة. رواه مسلم(١٠٧٢).

* وعن سعيد بن جُبير رحمه الله تعالى قال: قلت لابن عباس: إن نَوْفاً

(١٠٧١) وصحيح مسلم: كتاب الأشربة: باب النهي عن الانتباذ في المزفت،...، رقم (٤٦).

(١٠٧٢) صحيح مسلم: كتاب الجمعة: باب ذكر الخطبتين قبل الصلاة وما فيهما من الجلسة، رقم (٣٥).

البِكَاليَّ يزعم أن موسى عليه السلام صاحبَ بني إسرائيل ليس هو موسى صاحبَ الخضر عليه السلام، فقال: كذب عدوُّ الله، سمعتُ أُبيَّ بنَ كعب يقول: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (قام موسى عليه السلام خطيباً في بني إسرائيل، فسُئل: أيُّ الناس أعلم؟ فقال: أنا. فعتب الله عليه إذ لم يرُدَّ العلمَ إليه، فأوحى الله إليه: إن عبداً من عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منكَ. قال موسى: أي ربِّ، كيف لي به؟ فقيل له: احمل حوتاً في مكتل، فحيث تفقد الحوتَ فهو ثَمَّ،...) الحديث بطوله، في قصة موسى والخضر عليهما السلام، بنحو ما حكاه القرآن الكريم. متفق عليه(١٠٧٣).

قوله: كذب عدوُّ الله: قال ابنُ التين رحمه الله تعالى: لم يرد ابن عباس إخراجَ نَوفٍ من ولاية الله، ولكن قلوب العلماء تنفر إذا سمعت غيرَ الحق، فيطلقون أمثال هذا الكلام لقصد الزجر والتحذير منه، وحقيقتُه غيرُ مراده.

قال الحافظ رحمه الله تعالى: أما تكذيبُه؛ فيُستفاد منه: أن العالِمَ إذا كان عنده علمٌ بشيءٍ، فسمع غيرَه يذكر فيه شيئاً بغير علم أن يكذِّبه(١٠٧٤)،...اهـ.

* وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: سمعت هشامَ بن حكيم يقرأ سورةَ الفرقان؛ في حياة رسول الله ﷺ، فاستمعتُ لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة؛ لم يُقرئنيها رسولُ الله ﷺ، فكدتُ أساوره في

(١٠٧٣) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب ما يستحب للعالم إذا سُئل أيُّ الناس أعلم فيكل العلمَ إلى الله، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الفضائل: باب من فضائل الخضر عليه السلام، رقم (١٧٠-١٧٢).

(١٠٧٤) فتح الباري (١: ٢١٩).

الصلاة، فتصبَّرتُ حتى سلَّم، فلببته بردائه، فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتُك تقرأ؟ قال: أقرئنيها رسول الله ﷺ. فقلتُ: كذبتَ، فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأتَ،... الحديث بطوله، في نزول القرآن على سبعة أحرف، وليقرأ المسلم بما تيسر له. متفق عليه(١٠٧٥).

* وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما، أن عمرَ بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه- بينا هو يخطبُ الناسَ يومَ الجمعة، دخل رجلٌ من أصحاب رسول الله ﷺ. فناداه عمر: أيةُ ساعةٍ هذه؟ فقال: إني شُغلتُ اليومَ، فلم أنقلب إلى أهلي حتى سمعتُ النداء، فلم أَزد على أن توضّأتُ. قال عمر: والوضوءَ أيضاً ! وقد علمتَ أن رسول الله ﷺ كان يأمر بالغُسل!

* وفي حديث أبي هريرة عن عمر رضي الله تعالى عنهما، وفي آخره قال: ألم تسمعوا رسول الله ﷺ يقول: (إذا جاء أحدُكم إلى الجمعة فليغتسل). متفق عليهما(١٠٧٦).

والداخل رجلٌ من المهاجرين الأول رضي الله تعالى عنهم كما هو مبيّن في رواية البخاري عن أبي هريرة. وذُكر اسمه كما عند مسلم.

والنصوص في هذا الباب كثيرة ولله الحمد والمنة.

(١٠٧٥) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن: باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين: باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف، رقم (٢٧٠-٢٧١).

(١٠٧٦) صحيح البخاري: كتاب الجمعة: باب فضل الغسل يوم الجمعة، وباب [٥] حدثنا أبو نعيم. وصحيح مسلم: كتاب الجمعة: في أوله، رقم (٣، ٤).

- لا يمنعهم الغضب والزعل من ذكر الحديث:

ومن مظاهر محافظتهم رضي الله تعالى عنهم على سنة نبيهم وتمسكهم بها بعد وفاته ﷺ: فإن أحدَهم وإن كان غضبان من الآخر فإن غضبه منه لا يمنعه من ذكر الحديث.

* فعن عبد الرحمن بن أبي ليلى رحمه الله تعالى قال: جاء أبو موسى [الأشعري] إلى الحسن بن علي-رضي الله تعالى عنهم-يعوده، فقال له عليٌّ: أعائداً جئتَ أم شامتاً؟ قال: لا، بل عائداً. قال: فقال له عليٌّ: إن كنتَ جئتَ عائداً، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (إذا عاد الرجلُ أخاه المسلمَ؛ مشى في خرافة الجنة حتى يجلس، فإذا جلس غمرته الرحمةُ، فإن كان غُدوةً صلّى عليه سبعون ألفَ ملَك حتى يمسي، وإن كان مساءً صلّى عليه سبعون ألفَ ملَك حتى يُصبح). رواه أحمد وابن أبي شيبة وأبو داود وقال: أسند هذا عن عليٍّ عن النبيِّ ﷺ من غير وجه صحيح، والترمذي وحسَّنه، والنَّسائي وابن ماجَه وأبو يعلى والبيهقي، وصحّحه ابن حِبّان والحاكم وأقره الذهبي[١٠٧٧].

(١٠٧٧) مسند أحمد (١: ٨١، ٩١، ٩٧، ١١٨، ١٢٠-١٢١) ومصنف ابن أبي شيبة (٣: ٢٣٤، ٢٣٥) والزهد لهناد (١: ٢٢٤) وسنن أبي داود: كتاب الجنائز: باب في فضل العيادة على وضوء، رقم (٣٠٩٨-٣١٠٠) وسنن الترمذي: كتاب الجنائز: باب ما جاء في عيادة المريض، رقم (٩٦٩) والسنن الكبرى (٤: ٣٥٤) وسنن ابن ماجَه: كتاب الجنائز: باب ما جاء في ثواب من عاد مريضاً، رقم (١٤٤٢) ومسند أبي يعلى (١: ٢٢٧، ٢٢٨-٢٢٩) والبحر الزخار (٢: ٢٢٤) (٣: ٢٨) وصحيح ابن حِبّان (٧: ٢٢٤-٢٢٥) والمستدرك (١: ٣٤١-٣٤٢، ٣٤٩، ٣٥٠) والسنن الكبرى (٣: ٣٨٠، ٣٨١) والآداب (٢١٥) وشعب الإيمان (٦: ٥٣١، ٥٣٢) وشرح السنة (٥: ٢١٧) =

* لكن رواه أحمد وأبو يعلى وابن حِبّان، وجاء في روايتهم أن العائد هو عَمْرو بن حُريث رضي الله تعالى عنه.

وقد رواه بعضهم موقوفاً، كما اقتصر بعضهم على المرفوع، ومثل هذا الحديث ليس للاجتهاد فيه مسرح، لأن تحديد عدد الملائكة وفعلهم لا يدخل تحت بابة البشرية، إنما يُتلقّى عن طريق الوحي، والله تعالى أعلم.

- **طلب بعضهم من يشهد لما حدَّث به، وذلك عند التشكك:**

ومن مظاهر محافظتهم رضي الله تعالى عنهم على سنة نبيهم وتمسكهم بها بعد وفاته ﷺ: طلب من يشهد لما حدَّث به، وذلك عند التشكك من صحة الرواية، أو عند خوف الخطأ فيها، أو لرغبة التثبت، ونحو ذلك.

* عن أبي سعيد الخُدْري رضي الله تعالى عنه قال: كنا في مجلسٍ عند أُبي ابن كعب، فأتى أبو موسى الأشعريُّ مغضَباً حتى وقف، فقال: أنشدكم الله؛ هل سمع أحدٌ منكم رسول الله ﷺ يقول: (الاستئذان ثلاثٌ، فإن أُذن لك، وإلاّ فارجع).

قال أُبيٌّ: وما ذاك؟ قال: استأذنتُ على عُمر بنِ الخطاب أمسِ ثلاثَ مرّات، فلم يُؤذن لي، فرجعتُ، ثم جئتُه اليومَ، فدخلتُ عليه، فأخبرتُه أني جئتُ أمسِ فسلَّمتُ ثلاثاً، ثم انصرفتُ. قال: قد سمعناك ونحن على شغل، فلو ما استأذنتَ حتى يُؤذنَ لك؟ قال: استأذنتُ كما سمعتُ رسول الله ﷺ.
قال: فوالله لأُوجعنَّ ظهرَك وبطنَك، أو لتأتينَّ بمن يشهد لك على هذا.

= وكتاب المرض والكفّارات (٨٦-٨٧) وإتحاف الخيرة المهرة (٣: ١٧٢) والمطالب العالية (٢: ٣٤٣) ومجمع الزوائد (٣: ٣٠).وله طرق أخرى.

قال أُبيُّ بنُ كعبٍ: فوالله لا يقوم معك إلاّ أحْدَثُنا سِنّاً. قم يا أبا سعيد، فقمتُ حتى أتيتُ عمر، فقلت: قد سمعتُ رسول الله ﷺ يقول هذا. متفق عليه، واللفظ لمسلم(١٠٧٨). وله ألفاظ عدة عند غيرهما.

وفي بعضها قال: أما إنّي لم أتهمك، ولكني خشيتُ أن يتقوَّلَ الناسُ على رسول الله ﷺ.

وفي أخرى: أما إني لم أتهمك، ولكني أردتُ إلاّ يتجرّأ الناسُ على الحديث على رسول الله ﷺ.

وفي رواية لهما، قال: سبحان الله، إنما أتثبّت.

وبهذه الزيادات يتّضح: أن المراد هو التثبت، وليس اتهام أبي موسى رضي الله تعالى عنه، الذي له مكانة مرموقة عند عمر رضي الله تعالى عنه، والله تعالى أعلم.

وهناك عدد من القصص في ذلك.

- **عرض ما كان يفعله رسول الله ﷺ على الحاضرين:**

ومن مظاهر محافظتهم رضي الله تعالى عنهم على سنة نبيهم وتمسكهم بها بعد وفاته ﷺ: أن يعرض أحدُهم على من كان حاضراً عنده كيف كان رسول الله ﷺ يفعل، كالوضوء، والصلاة، ونحو ذلك.

* فعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: دخل علَيَّ عَليٌّ

(١٠٧٨) صحيح البخاري: كتاب الاستئذان: باب التسليم والاستئذان ثلاثاً، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الآداب: باب الاستئذان، رقم (٣٣-٣٧) وفي بعضها: شهد أُبيُّ ابن كعبٍ رضي الله تعالى عنه أيضاً.

-رضي الله تعالى عنه- بيتي، فدعا بوَضوء، فجئناه بقَعْبٍ يأخذ المُدَّ أو قريبَه، حتى وُضع بين يديه، وقد بال، فقال: يا ابن عباس، ألا أتوضأ لك وُضوءَ رسول الله ﷺ؟ قلت: بلى، فداك أبي وأمي،... الحديث، رواه أحمد وأبو داود والطحاوي والبَزّار وأبو يعلى والبيهقي، وصححه ابن خزيمة وابن حِبّان(١٠٧٩).

* وعن عبد خير رحمه الله تعالى، عن عليٍّ رضي الله تعالى عنه نحوه، وفيه غسل القدمين ثلاثاً، وفي آخره: فقال رضي الله تعالى عنه: من أحب أن ينظر إلى وُضوء رسول الله ﷺ فهذا وُضوؤه. رواه الطَّيالِسي أحمد وابن أبي شيبة والدّارِمي وأبو داود والنَّسائي والطحاوي والبَزّار وأبو يعلى وابن الجارود، وصححه الترمذي وابن خزيمة وابن حِبّان والدارقطني(١٠٨٠).

(١٠٧٩) مسند أحمد (١: ٨٢-٨٣) وسنن أبي داود: كتاب الطهارة: باب صفة وضوء النبيِّ ﷺ، رقم (١١٧) وشرح معاني الآثار (١: ٣٢، ٣٤-٣٥) وصحيح ابن خزيمة (١: ٧٩) وصحيح ابن حِبّان (٣: ٣٦٢) والبحر الزخار (٢: ١١٠-١١١) ومسند أبي يعلى (١: ٤٤٨-٤٤٩) والسنن الكبرى للبيهقي (١: ٥٣-٥٤، ٧٤) والأحاديث المختارة (٢: ٢٢٩-٢٣٠) وعزاه لإسحق بن راهويه.

(١٠٨٠) مسند الطَّيالِسي (رقم ١٤٩) ومصنف ابن أبي شيبة (١: ٨، ٢٠، ٣٨) ومسند أحمد (١: ١١٣، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٥، ١٣٥، ١٣٩، ١٤١، ١٥٤) وسنن الدّارِمي (١: ١٤٤) وسنن أبي داود: في الكتاب والباب السابقين، رقم (١١١-١١٣) وسنن الترمذي: كتاب الطهارة: باب ما جاء في وضوء النبيِّ ﷺ كيف كان، رقم (٤٨، ٤٩) وسنن النَّسائي: كتاب الطهارة: باب بأي اليدين يستنثر، و باب غسل الوجه، وباب عدد غسل الوجه، وباب غسل اليدين (١: ٦٧، ٦٨، ٦٨-٦٩، ٦٩) وشرح معاني الآثار (١: ٢٩، ٣٥) وصحيح ابن خزيمة (١: ٧٦) وصحيح ابن حِبّان (٣: ٣٣٧، ٣٦٠-٣٦١) والبحر الزخار (٣: ٣٩) ومسند أبي يعلى (١: ٢٤٦، ٣٨٦، ٤٠٧- =

* وعن أبي قِلابة رحمه الله تعالى قال: جاءنا مالك بنُ الحُوَيْرث -رضي الله تعالى عنه- في مسجدنا هذا فقال: إني لأُصلّي بكم، وما أريد الصلاة، أُصلّي كيف رأيتُ النبيَّ ﷺ يصلّي.

[قال أيوب]: فقلت لأبي قِلابة: كيف كان يصلّي؟ قال: مثلَ صلاة شيخنا هذا. قال: وكان شيخُنا يجلسُ إذا رفع رأسَه من السجود قبل أن ينهض في الركعة الأولى. رواه البخاري(١٠٨١).

والمراد بشيخهم: أبو بُرَيد عَمْرو بن سَلِمَة الجرمي رضي الله تعالى عنه نزيل البصرة. كما هو مبيّن في روايتين عند البخاري، وهما في كتاب الأذان.

والمراد بالجلسة قبل القيام إلى الثانية والرابعة: جلسة الاستراحة، وهي من سنن الصلاة عند السادة الشافعية رحمهم الله تعالى. وهي جلسةٌ خفيفة، ثم يعتمد على الأرض ثم يقوم، كما هو بين في الرواية الأخرى.

* وقد ورد محاكاة الصحابة رضي الله تعالى عنهم لصلاة النبيِّ الكريم ﷺ عن عدد من الصحابة، كأبي هريرة وسعد بن أبي وقاص وأبي حُميد،... في آخرين، رضي الله تعالى عنهم.

* وعن أبي مالك الأشعري رضي الله تعالى عنه قال: ألا أحدثكم

= ٤٠٨) والمنتقى (٣٣-٣٤) وسنن الدارقطني (١: ٨٩، ٩٠، ٩١، ١٠٥) وشرح السنة (١: ٤٣٢-٤٣٣) والسنن الكبرى للبيهقي (١: ٤٧، ٤٨-٤٩، ٥٠، ٥٠-٥١، ٥٨، ٥٩، ٦٨، ٧٤).

(١٠٨١) صحيح البخاري: كتاب الأذان: باب من صلى بالناس وهو لا يريد إلاّ أن يعلمهم صلاةَ النبيِّ ﷺ وسنّته، وفي غيرهما.

بصلاة رسول الله ﷺ؟ قال: فأقام الرجال، وصفّ خلَفهم الصبيان، وصف النساءَ خلف الصبيان. رواه أحمد وأبو داود والطحاوي والحارث والطبراني والبيهقي(١٠٨٢) ونسبه الإمام الزيلعي لابن أبي شيبة، وقد حسنه أحمد والبخاري والترمذي، ووثقه كثيرون، فالحديث حسن، وله شواهد عدة.

- **عدم التزود على ما قاله رسول الله ﷺ:**

ومن مظاهر محافظتهم رضي الله تعالى عنهم على سنة نبيهم وتمسكهم بها بعد وفاته ﷺ: محافظتهم على ما قاله رسول الله ﷺ، بحيث إن أحدهم يذكر ما قاله ﷺ ولا يزيد عليه، كما ينقل ما سمعه منه بحذافيره.

* فعن زيد بن أرقم رضي الله تعالى عنه قال: لا أقول لكم إلاّ كما كان رسول الله ﷺ يقول. كان يقول: (اللهم، إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل، والهرم وعذاب القبر. اللهم، آتِ نفسي تقواها، وزكّها أنت خيرُ من زكّاها، أنت وليُّها ومولاها. اللهم، إني أعوذ بك من علْمٍ لا ينفع، ومن قلبٍ لا يخشع، ومن نفسٍ لا تشبع، ومن دعوة لا يُستجابُ لها). رواه مسلم(١٠٨٣).

(١٠٨٢) مسند أحمد (٥: ٣٤١-٣٤٤) وسنن أبي داود: كتاب الصلاة: باب مقام الصبيان من الصف، رقم (٦٧٧) وبغية الباحث (١: ٢٧٠ رقم ١٥١) وشرح معاني الآثار (١: ٢٦٩) والمعجم الكبير (٣: ٣١٩) والمعجم الأوسط (٤: ٢٩١-٢٩٢) والسنن الكبرى (٣: ٩٧) ونصب الراية (٢: ٣٦) ونسبه لابن أبي شيبة، وذكر سنده فيه، وميزان الاعتدال (٢: ٢٨٣-٢٨٥).

(١٠٨٣) صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء: باب التعوذ من شر ما عمل،...رقم (٧٣).

وسيأتي في الفصل القادم -إن شاء الله تعالى- بيان الرواية باللفظ أم بالمعنى، وأنه لا خلاف على تفضيل الرواية باللفظ لمن قدر عليه.

- تذكير بعضهم بعضاً بما لم يذكره:

ومن مظاهر محافظتهم رضي الله تعالى عنهم على سنة نبيهم وتمسكهم بها بعد وفاته ﷺ: أن يُذكّر بعضُهم بعضاً بما كانوا سمعوه من رسول الله ﷺ، خاصة عند وجود ضرورة لذلك.

* فعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: مر عليٌّ بنُ أبي طالب رضي الله تعالى عنه بمجنونةِ بني فلان قد زنت، أمر عُمرُ برجمها، فردّها عليٌّ، وقال لعمر: يا أمير المؤمنين، أترجم هذه؟ قال: نعم. قال: أوَما تذكرُ أن رسول الله ﷺ قال: (رُفع القلم عن ثلاثةٍ: عن المجنون المغلوب على عقله، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبيِّ حتى يحتلم)؟ قال: صدقتَ. فخلّى عنها. رواه -مختصراً ومطوّلاً- الطَّيالِسي وأحمد وابن الجعد والأربعة والدارقطني، وحسنه الترمذي، وصححه ابن خزيمة وابن حِبّان والحاكم والضياء، وأقره الذهبي، ورواه البخاري تعليقاً[١٠٨٤].

(١٠٨٤) مسند الطَّيالِسي (رقم ٩٠) ومسند أحمد (١: ١١٦، ١١٨، ١٤٠، ١٥٤، ١٥٥-١٥٨) ومسند على بن الجعد (١٢٠رقم ٧٤١) وصحيح البخاري: كتاب الحدود: باب لا يرجم المجنون والمجنونة، وكتاب الطلاق: باب الطلاق في الإغلاق والكره. وسنن أبي داود: كتاب الحدود: باب في المجنون يسرق أو يصيب حدًّا، رقم (٤٣٩٩-٤٤٠٣) وسنن الترمذي: كتاب الحدود: باب ما جاء فيمن لا يجب عليه الحد، رقم (١٤٢٣) والسنن الكبرى للنسائي: كتاب الرجم (٤: ٣٢٣-٣٢٤ من طرق) وسنن ابن ماجَه: =

* قال الإمامُ الخطابيُّ رحمه الله تعالى(١٠٨٥) -مبيِّناً أن عمر رضي الله تعالى عنه لم يُرد رجمها وهو يعلم أنها مطبقة الجنون-: لم يأمر عُمرُ رضي الله تعالى عنه برجمِ مجنونةٍ مُطبِقٍ عليها في الجنون، ولا يجوز أن يخفى هذا عليه، ولا على أحدٍ ممن بحضرته، ولكن هذه امرأةٌ كانت تُجَنُّ مرةً وتفيق أخرى، فرأى عُمر رضي الله تعالى عنه أن لا يُسقط عنها الحدَّ لما يصيبُها من الجنون، إذ كان الزنى منها في حال الإفاقة. ورأى عليٌّ رضي الله تعالى عنه أن الجنونَ شبهةٌ يُدرأُ بها الحدَّ عمن يُبتلى به، والحدودُ تُدرأ بالشبهات، فلعلها قد أصابت ما أصابت وهي في بقيةٍ من بلائها، فوافق اجتهادُ عمر رضي الله تعالى عنه اجتهادَه في ذلك، فدرأ عنها الحدَّ، والله أعلم بالصواب.اهـ.

قلت: وهذا واضح من بعض ألفاظ الحديث، إذ فيه: قال عليٌّ رضي الله تعالى عنه: هذه مبتلاةُ بني فلان، فلعله أتاها أتاها وهو بها. فقال عمر: لا أدري، قال: وأنا لا أدري، فلم يرجمها.اهـ.

يعني عندما ألمَّ بها كانت معها نوبة الجنون، لذا لا ترجم، ولما لم يُعلم حقيقة ذلك صارت شبهة، فيُدرأ بها الحد، والله تعالى أعلم.

= كتاب الطلاق: باب طلاق المعتوه والصغير والنائم، رقم (٢٠٤٢) وصحيح ابن خزيمة (٢: ١٠٢) (٤: ٣٤٨) وصحيح ابن حبّان (٢: ٣٥٦) والمستدرك (١: ٢٥٨) (٢: ٥٩) (٤: ٣٨٩) وسنن الدارقطني (٣: ١٣٨-١٣٩) ومسند أبي يعلى (١: ٤٤٠-٤٤١) والسنن الكبرى للبيهقي (٣: ٨٣) (٦: ٥٧) (٧: ٣٥٩) (٨: ٢٦٤، ٢٦٤-٢٦٥، ٢٦٥) والمختارة (٢: ٢٢٨، ٢٢٩) وانظر: نصب الراية (٤: ١٦١-١٦٥) وفتح الباري (٩: ٣٩٣) (١٢: ١٢١).

(١٠٨٥) معالم السنن (٦: ٢٣٠).

- **محافظتهم رضي الله تعالى عنهم على ما فارقهم عليه رسول الله ﷺ:**

ومن مظاهر محافظتهم رضي الله تعالى عنهم على سنة نبيهم وتمسكهم بها بعد وفاته ﷺ: محافظتهم على ما فارقهم عليه رسول الله ﷺ، بحيث إن أحدهم يبقى على العهد الذي تركهم عليه رسول الله ﷺ، وإن كان أحدهم يلاقي بعض الشدة والمشقة في محافظته على ذلك، لكنهم لايريدون أن يغيروا شيئاً تركهم عليه رسول الله ﷺ، وهذا كثير.

* في حديث مالك بن أوس-السابق قبل قليل-قول عمر رضي الله تعالى عنه في عدم تغيير شيء فعله رسول الله ﷺ، ثم أبو بكر رضي الله تعالى عنه خير مثال، وارجع إن شئت إليه لترى، وأذكر ثلاثة أمثلة ليتضح المعنى أكثر، إن شاء الله تعالى:

- **المثال الأول:**

* عن عبد الله بن عَمْرو رضي الله تعالى عنهما قال: أنكحني أبي امرأةً ذات حَسَب، فكان يتعاهد كَنَّتَه، فيسألها عن بعلها، فتقول: نِعم الرجلُ من رجل، لم يطأ لنا فراشاً، ولم يفتِّش لنا كَنَفَاً منذ أتيناه، فلما طال ذلك عليه؛ ذكر للنبي ﷺ، فقال: (القني به) فلقيته بعدُ، فقال: (كيف تصوم؟) قلت: أصوم كلَّ يوم، قال: (وكيف تختم؟) قلت: كلَّ ليلة، قال: (صُم في كل شهر ثلاثةً، واقرأ القرآن في كل شهر) قال: قلت: أُطيق أكثر من ذلك، قال: (صُم ثلاثةَ أيام في الجمعة) قال: قلت: أُطيق أكثر من ذلك، قال: (أفطر يومين وصُم يوماً) قال: قلت: أُطيق أكثر من ذلك، قال: (صُم أفضل

الصوم؛ صوم داود؛ صيام يومٍ وإفطار يومٍ، واقرأ في كل سبع ليالٍ مرةً).

فليتني قبلت رخصة رسول الله ﷺ، وذاك أني كبرت وضعفت.

فكان عبد الله يقرأ على بعض أهله السُّبعَ من القرآن بالنهار، والـذي يقرؤه يعرضه من النهار ليكون أخف عليه بالليل، وإذا أراد أن يتقوى أفطر أياماً وأحصى، وصام مثلهن، كراهية أن يترك شيئاً فارق النبي ﷺ عليه. متفق عليه، واللفظ للبخاري(١٠٨٦).

وفي لفظ لمسلم: فلما كبرتُ وددت أني كنت قبلت رخصة نبي الله ﷺ.

* وفي لفظ لأحمد: ثم كان يقول بعد ذلك: لأن أكون قبلتُ رخصةَ رسول الله ﷺ أحب إلي مما عُدل به أو عَدَل، لكني فارقته على أمر أكره أن أخالفه إلى غيره.اهـ. ورواه بنحوه ابن خزيمة أيضاً(١٠٨٧).

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى(١٠٨٨): معناه أنه كبر وعجز عن المحافظة على ما التزمه ووظَّفه على نفسه عند رسول الله ﷺ، فشق عليه فعله [لعجزه] ولا يمكنه تركه، لأن النبي ﷺ قال له: (يا عبد الله؛ لا تكن مثل فلان، كان يقوم الليل فترك قيام الليل).اهـ.

فلم يعجبه رضي الله تعالى عنهما أن يتركه لالتزامه له، فتمنى أن لو قَبِل

(١٠٨٦) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن: باب في كم يقرأ القرآن، وكتاب الصوم: باب حق الجسم في الصوم. وصحيح مسلم: كتاب الصيام: باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به،... رقم (١٨١-١٨٢).

(١٠٨٧) مسند أحمد (٢: ١٥٨) وصحيح ابن خزيمة (٣: ٢٩٣-٢٩٤).

(١٠٨٨) شرح صحيح مسلم للإمام النووي (٨: ٤٣).

الرخصة، فأخذ بالأخف.

ومع عجزه رضي الله تعالى عنهما وتمنيه بالأخذ بالرخصة؛ لم يترك العمل بما التزمه أمام النبي المصطفى الكريم ﷺ، بل صار يتعاطى فيه نوع تخفيف، كما قال الحافظ رحمه الله تعالى[١٠٨٩].

- **والمثال الثاني:**

* عن أبي مسلم الخولاني قال: حدثني الحبيب الأمين، أما هو فحبيب إلي، وأما هو عندي فأمين؛ عوف بن مالك الأشجعي -رضي الله تعالى عنه- قال: كنا عند رسول الله ر؛ تسعةً-أو ثمانيةً، أو سبعةً-فقال: (ألا تبايعون رسول الله ﷺ؟) وكنا حديثَ عهدٍ ببيعةٍ، فقلنا: قد بايعناك يا رسول الله! ثم قال: (ألا تبايعون رسول الله؟) فقلنا: قد بايعناك يا رسول الله! ثم قال: (ألا تبايعون رسول الله؟). قال: فبسطنا أيدينا وقلنا: قد بايعناك يا رسول الله؛ فعلام نبايعُك؟ قال: (على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، والصلوات الخمس، وتطيعوا (وأسرَّ كلمةً خفيةً) ولا تسألوا الناسَ شيئاً).

فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوطُ أحدهم، فما يسألُ أحداً يناوله إياه. رواه مسلم[١٠٩٠].

- **المثال الثالث:**

* عن النعمان بن سالم، عن عَمْرو بن أوس قال: حدَّثني عنبسةُ بن أبي سفيان -في مرضه الذي مات فيه-بحديث يتسار إليه [أي يُسرُّ به] قال:

(١٠٨٩) فتح الباري (٤: ٢٢٠).

(١٠٩٠) صحيح مسلم: كتاب الزكاة: باب كراهة المسألة للناس، رقم (١٠٨).

سمعتُ أُمَّ حبيبةَ -رضي الله تعالى عنها- تقول: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (من صلّى اثنتَي عشرةَ ركعةً في يومٍ وليلة: بُني له بهن بيتٌ في الجنة).

قالت أمُّ حبيبة: فما تركتُهن منذ سمعتُهن من رسول الله ﷺ.

وقال عنبسةُ: فما تركتُهن منذ سمعتهن من أم حبيبة.

وقال عَمْرو بنُ أوس: ما تركتُهن منذ سمعتُهن من عنبسة.

وقال النعمان بنُ سالم: ما تركتُهن منذ سمعتُهن من عَمْرو بن أوس. رواه مسلم(١٠٩١).

* ومن ذلك: وصايته ﷺ أبا هريرة وأبا الدَّرْداء رضي الله تعالى عنهما بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وبصلاة الضحى، وبالوتر قبل النوم، وأنهما لن يدعا ذلك ما عاشا. وحديث أبي هريرة متفق عليه، وحديث أبي الدَّرْداء عند مسلم(١٠٩٢).

* ووصايته ﷺ علياً وفاطمة رضي الله تعالى عنهما بما يقولانه في الليل، ولَمّا سُئل عليٌّ رضي الله تعالى عنه: هل قال ذلك يوم صفين-ليلة الهرير؟- فأجاب بنعم أيضاً، وهو متفق عليه أيضاً(١٠٩٣).

(١٠٩١) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين: باب فضل السنن الراتبة،... رقم (١٠١-١٠٣).

(١٠٩٢) صحيح البخاري: كتاب التهجد: باب صلاة الضحى في الحضر. وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين: باب استحباب صلاة الضحى،... رقم (٨٥، ٨٦).

(١٠٩٣) صحيح البخاري: كتاب الخمس: باب الدليل على أن الخمس لنوائب رسول الله ﷺ،... وكتاب الدعوات: باب التكبير والتسبيح عند المنام، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء: باب التسبيح أول النهار وعند النوم، رقم (٨٠). وانظر: فتح الباري (١١: ١٢٢).

وهذا كثير في التزام الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم الحال التي تركهم عليها رسول الله ﷺ، سواء التزموا بها أمامه ﷺ، أو حثّهم وأمرهم بها، أو عاهدوه عليها، أو كانوا يفعلونها في حياته ﷺ،...الخ

- **رواية الكبار عمن هم أصغر منهم رضي الله تعالى عنهم:**

ومن مظاهر محافظتهم رضي الله تعالى عنهم على سنة نبيِّهم الكريم ﷺ وتمسكهم بها: أنهم لا يأنفون أن يسمع الكبار ممن هم أصغر منهم، أو أن يسألوا من هم أصغر سنّاً، أو ممن تأخر إسلامهم. والنصوص في ذلك كثيرة، يأتي ذكر بعضها في الفصل القادم، كما مر ذكر رواية بعضهم عن بعض في الفصل السابق.

* عن عمرَ بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، أنه سأل أبا واقد الليثي رضي الله تعالى عنه: ما كان رسول الله ﷺ يقرأ به في الأضحى والفطر؟ فقال: كان يقرأ فيهما بـ ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ و﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾. رواه مسلم(١٠٩٤).

* وعن عامر بن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنهما، عن أبيه، أنه سمعه يسأل أسامةَ بنَ زيد-رضي الله تعالى عنهما-ماذا سمعتَ من رسول الله ﷺ في الطاعون؟ فقال أسامة: قال رسول الله ﷺ: (الطاعونُ رجزٌ-أو عذابٌ-أُرسل على بني إسرائيل، أو على من قبلكم. فإذا سمعتُم به بأرض، فلا تقدَموا عليه. وإذا

(١٠٩٤) صحيح مسلم: كتاب صلاة العيد: باب ما يقرأ به في صلاة العيد، رقم (١٤-١٥).

وقع بأرض وأنتم بها، فلا تخرجوا فراراً منه). متفق عليه(١٠٩٥).

* وعن حُذَيْفَة بن اليمان رضي الله تعالى عنهما قال: كنا عند عمر، فقال: أيكم يحفظ حديثَ رسول الله ﷺ في الفتنة؟ فقلت: أنا أحفظه كما قال. قال: هات، إنك لجريء، وكيف قال؟.

قلت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (فتنةُ الرجل في أهله وماله ونفسه وولده وجاره يكفِّرها الصيامُ والصلاةُ والصدقةُ والأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر).

فقال عمر: ليس هذا أريد، إنما أريد التي تموج كموج البحر.

قال: قلت: مالَك ولها يا أمير المؤمنين؟ إن بينك وبينها باباً مغلقاً.

قال: فيُكسر البابُ أو يُفتح؟ قال: قلت: لا، بل يُكسر.

قال: ذاك أحرى أن لا يغلق أبداً.

قال: فقلنا لحُذَيْفَة، هل كان عمر يعلم مَن الباب؟ قال: نعم، كما يعلم أن دون غدٍ الليلة، إني حدَّثته حديثاً ليس بالأغاليط.

قال: فهبنا أن نسأل حُذَيْفَة مَن الباب؟ فقلنا لمسروق: سله. فسأله، فقال: عمر. متفق عليه(١٠٩٦).

* ومثل ذلك: سؤال أبي بكر ابنتَه السيدة عائشة رضي الله تعالى

(١٠٩٥) صحيح البخاري: كتاب الأنبياء: باب [٥٤] حدثنا أبو اليمان، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب السلام: باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها، رقم (٩٢، ٩٥، ٩٧).

(١٠٩٦) صحيح البخاري: كتاب مواقيت الصلاة: باب الصلاة كفارة، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، وأنه يأرز بين المسجدين، رقم (٢٣١) وكتاب الفتن: باب في الفتنة التي تموج كموج البحر، رقم (٢٦-٢٧).

عنهما، وسؤال عمر ابنته السيدة حفصة رضي الله تعالى عنهما،...إلخ.

- **إظهار ما كان قد اندرس مما يفعل في عهد رسول الله ﷺ:**

ومن مظاهر محافظتهم رضي الله تعالى عنهم على سنة نبيهم وتمسكهم بها بعد وفاته ﷺ: أن أحدهم إذا سُئل عن أمر كانوا يفعلونه في عهد النبي المصطفى الكريم ﷺ، ثم تُرك -لانشغالهم عنه- فإنهم يبينونه، ولا يوافقون من أنكره إذا رأى من يفعله.

* فعن مَرثَد بن عبد الله اليَزَني رحمه الله تعالى قال: أتيتُ عقبةَ بنَ عامر الجهنيَّ -رضي الله تعالى عنه- فقلت: ألا أُعجِّبُك من أبي تميم، يركعُ ركعتين قبل صلاة المغرب؟ فقال عُقبةُ: إنّا كنّا نفعله على عهد رسول الله ﷺ. قلت: فما يمنعك الآن؟ قال: الشغل. رواه البخاري(١٠٩٧).

قلت: المراد بأبي تميم: هو عبد الله بن مالك الجَيْشاني، تابعي كبير مخضرم، أسلم على عهد رسول الله ﷺ، وقرأ القرآن على معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه، قدم في زمن عُمر رضي الله تعالى عنه، فشهد فتح مصر، وسكنها. أفاده الحافظ رحمه الله تعالى.

فالذي منع الصحابة رضي الله تعالى عنهم من صلاة هاتين الركعتين هو الشغل، خاصة وقد قال ﷺ -كما في حديث عبد الله المزني رضي الله تعالى عنه-: (صلوا قبل صلاة المغرب) قال في الثالثة (لمن شاء) كراهية أن يتّخذها الناسُ سنة. رواه البخاري(١٠٩٨).

فهذا يدل على انحطاط مرتبتها عن بقية الرواتب. ويكون معنى قوله:

(١٠٩٧) صحيح البخاري: كتاب التهجد: باب الصلاة قبل المغرب.

(١٠٩٨) صحيح البخاري: في الكتاب والباب السابقين، وفي غيرهما.

كراهية أن يتّخذها الناس سنة. أي شريعة وطريقة لازمة(١٠٩٩). فهي مندوبة.

كما أن هذا الحديث يرد على من زعم بأنه لم يفعلها أحدٌ بعد الصحابة، لأن أبا تميم تابعي وليس صحابيّاً، والله تعالى أعلم.

- **الرحلات إلى المناطق النائية من أجل سماعها أو التأكد من ضبطها:**

ومن مظاهر محافظتهم رضي الله تعالى عنهم على سنة نبيهم وتمسكهم بها بعد وفاته ﷺ: ما قام به بعضهم من الرحلات إلى أقطار نائية... من أجل سماع حديث لم يعرفه، أو لم يسمعه من النبي المصطفى الكريم ﷺ، أو كان قد سمعه لكنه تشكك فيه، فأحب أن يتثبت من روايته، ويكونون رضوان الله تعالى عليهم بهذا العمل قد فتحوا باب الرحلات في طلب العلم لمن جاء بعدهم من هذه الأمة.

وهذا باب واسع، وقد ألف الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى كتاباً خاصاً بذلك سماه: (الرحلة في طلب الحديث)(١١٠٠). أقتصر على ذكر بعض النصوص الكريمة.

* عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: بلغني حديث عن رجل [من أصحاب النبي ﷺ] سمعه من رسول الله ﷺ، فاشتريت بعيراً، ثم شددت عليه رَحلي، فسرتُ إليه شهراً، حتى قدمت عليه الشام، فإذا عبد الله بن أُنيس، فقلت للبواب: قل له جابر على الباب، فقال: ابن عبد الله؟ قلت: نعم، فخرج يطأ ثوبه، فاعتنقني واعتنقته، فقلت: حديثاً بلغني عنك أنك سمعته من

(١٠٩٩) انظر فتح الباري (٣: ٦٠).

(١١٠٠) وهو مطبوع، وخير طبعاته ما فعله أخونا العلامة الفاضل الأستاذ الدكتور الشيخ نور الدين عتر، سلمه الله تعالى، فقد حققه تحقيقاً علمياً، وأضاف إليه نصوصاً كثيرة أيضاً.

رسول الله ﷺ في القصاص، فخشيتُ أن تموتَ أو أموتَ قبل أن أسمعه.

قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يُحشر الناس يوم القيامة -أو قال: العبادُ- عُراةً غُرْلاً بُهْماً) قال: قلنا: وما بُهْماً؟ قال: (ليس معهم شيء، ثم يناديهم بصوت يسمعه من قَرُب: أنا الملك، أنا الدَّيَّان، ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخلَ النارَ وله عند أحد من أهل الجنة حقٌّ حتى أقصه منه، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخلَ الجنة ولأحد من أهل النار عنده حقٌّ حتى أقصه منه، حتى اللطمة) قال: قلنا: كيف، وإنما نأتي الله عز وجل عُراةً غُرْلاً بُهْماً؟ قال: (بالحسنات والسيئات). رواه أحمد-وهذا لفظه-والبخاري في الأدب المفرد، والخطيب البغدادي ورجاله وثقوا، وحسنه الهيثمي، وصححه الحاكم، وأقره الذهبي(١١٠١).

* وعن عبد الله بن بريدة، أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ رحل إلى فَضالَة بن عُبيد -وهو بمصر- فقدم عليه يمد لناقة له، فقال: مرحباً. قال: أما إني لم آتك زائراً، ولكن سمعتُ أنا وأنت حديثاً من رسول الله ﷺ رجوت أن يكون عندك منه علم. قال: ما هو؟ قال: كذا وكذا. رواه أحمد والدّارِمي بزيادة في آخره، والخطيب بسند صحيح(١١٠٢).

* وخرج أبو أيوب رضي الله تعالى عنه إلى عقبة بن عامر -وهو

(١١٠١) مسند أحمد (٣: ٤٩٥) والأدب المفرد (٣٢٦رقم ٩٧٣) والجامع لأخلاق الراوي (٢: ٢٢٥-٢٢٦) وشرف أصحاب الحديث (١٠٩-١١٥) والمستدرك (٤: ٤٣٧-٤٣٨) (٤: ٥٧٤-٥٧٥) ومجمع الزوائد (١: ٣٤٥-٣٤٦، ٣٥١) وانظر: فتح الباري (١: ١٧٤-١٧٥) وروى البخاري الرحلة تعليقاً في صحيحه أيضاً، ورواه الطبراني في الأوسط، والخطيب في الرحلة (١١٥-١١٨) لكن قال: في مصر.

(١١٠٢) مسند أحمد (٦: ٢٢) وسنن الدّارمي (١: ١١٥) والرحلة (١٢٤-١٢٥).

بمصر-يسأله عن حديث سمعه من رسول الله ﷺ، لم يبق أحد ممن سمعه من رسول الله ﷺ غيره وغير عقبة. فلما قدم، أتى مَنْزل مسلمة بن مُخَلَّد الأنصاري -وهو أمير مصر- فأُخبر به، فعجل فخرج إليه، فعانقه ثم قال: ما جاء بك يا أبا أيوب؟ فقال: حديث سمعتُه من رسول الله ﷺ، لم يبق أحد سمعه من رسول الله ﷺ غيري وغير عقبة، فابعث من يدلني على مَنْزله، قال: فبعث معه من يدله على مَنْزل عقبة، فأُخبر عقبة به، فعجل فخرج إليه، فعانقه، وقال: ما جاء بك يا أبا أيوب؟ فقال: حديث سمعتُه من رسول الله ﷺ، لم يبق أحد سمعه غيري وغيرك، في ستر المؤمن.

قال عقبة: نعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من ستر مؤمناً في الدنيا على خزية؛ ستره الله يوم القيامة).

فقال له أبو أيوب: صدقت، ثم انصرف أبو أيوب إلى راحلته، فركبها راجعاً إلى المدينة، فما أدركته جائزةُ مسلمة بن مُخَلَّد إلاّ بعريش مصر. رواه الحُمَيْدي وأحمد والحاكم والطبراني والخطيب، وأصل الحديث رواه البخاري في الأدب المفرد، وأبو داود والنَّسائي في الكبرى والطبراني[١١٠٣].

(١١٠٣) مسند الحُمَيْدي (١: ١٨٩-١٩٠) ومسند أحمد (٤: ١٥٣، ١٥٩) ومعرفة علوم الحديث (٧-٨) والرحلة (١١٨-١٢٣) وجامع بيان العلم (٩٣-٩٤) ومفتاح الجنة (٣٩) وعزاه للبيهقي. وانظر: سنن أبي داود: كتاب الأدب: باب في الستر على المسلم، رقم (٤٨٩١) والأدب المفرد (٢٥٧-٢٥٨) ومسند أحمد (٤: ١٤٧، ١٥٨) والسنن الكبرى للنسائي (٤: ٣٠٧، ٣٠٨) وتحفة الأشراف (٧: ٣٠٦-٣٠٧، ٣١٥) حيث عزاه للنسائي في الكبرى أيضاً، والسنن الكبرى للبيهقي (٨: ٣٣١) والأسماء المبهمة (٦٣) والمعجم الكبير (١٧: رقم ٧٩٥، ٨٦٤، ٨٨٣، ٨٨٤، ٩٦٢) والجامع الصغير (٢: ٦٠٩) ومجمع الزوائد (١: ١٣٤) وقال عن أحد أسانيد أحمد: رجاله ثقات، فالحديث حسن، والله تعالى أعلم.

فهذا أبو أيوب رضي الله تعالى عنه على تقدم صحبته وكثرة سماعه من رسول الله ﷺ؛ رحل إلى صحابي آخر من أقرانه مسافاتٍ بعيدةً من أجل حديث واحد، ولو اقتصر على سماعه لأمكنه، بل لو اقتصر على سماعه من بعض أصحابه لأمكنه ذلك، ولكن حفاظهم على سنة نبيهم ﷺ، وتثبتهم في صحة الألفاظ وضبطها؛ جعلهم يستهينون الصعاب، ويرحلون ألوفَ الأميال، ويفارقون الأهلَ والأوطان والأحباب، ويستسهلون في ذلك المشاق، رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم.

* عن كثير بن قيس قال: كنت جالساً مع أبي الدَّرْداء في مسجد دمشق، فأتاه رجل، فقال: يا أبا الدَّرْداء، إني أتيتك من مدينة الرسول ﷺ في حديث بلغني أنك تحدثه عن رسول الله ﷺ، فقال أبو الدَّرْداء: أما جئت لحاجة؟ أما جئت لتجارة؟ أما جئت إلاّ لهذا الحديث؟ قال: نعم.

قال: فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (من سلك طريقاً يطلب فيه علماً؛ سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، والملائكة تضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن العالِم يستغفر له من في السموات ومن في الأرض، والحيتان في الماء، وفضلُ العالِم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، إن العلماء ورثةُ الأنبياء، إن الأنبياء لم يُوَرِّثوا ديناراً ولا درهماً، وأَوْرَثوا العلمَ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر). رواه أحمد والدّارمي وأبو داود والترمذي وابن ماجه، وصححه الحاكم وابن حبان، وحسنه حمزة الكناني، ورواه البيهقي وابن عبد البر والخطيب والبغوي في شرح السنة، وأورد البخاري طرفاً منه في صحيحه تعليقاً، وقال الحافظ في الفتح: له شواهد يتقوى بها[١١٠٤].

(١١٠٤) مسند أحمد (٥: ١٩٦) وسنن الدّارمي (١: ٨٣) وسنن أبي داود: كتاب العلم: باب =

وهكذا ضربوا لنا رضي الله تعالى عنهم أروع المثل في الحفاظ على سنة النبي المصطفى الكريم ﷺ، بحيث إن أحدهم ليسير ألوف الأميال من أجل حديث واحد، يسمعه أو يتثبت فيه، باذلين في ذلك الراحة والهناء، ومستسهلين الصعب والصعاب، ومفارقة الأهل والأوطان.

قال ابن الأثير رحمه الله تعالى(١١٠٥): حتى لقد كان أحدهم يرحل المراحل ذوات العدد، ويقطع الفيافي والمفاوز الخطيرة، ويجوب البلاد شرقاً وغرباً في طلب حديث واحد، ليسمعه من راويه.اهـ.

رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، وجزاهم عنا خير ما جزى صحب نبي عن أمة نبيها، وحشرنا معهم تحت لواء النبي الكريم ﷺ.

- **تخطئتهم لمن يقول بغير ما يعلمونه من النبي الكريم ﷺ:**

ومن مظاهر محافظتهم رضي الله تعالى عنهم على سنة نبيهم وتمسكهم بها بعد وفاته ﷺ: عدم سكوتهم على من يخالف ما يعلمونه من رسول الله ﷺ، ويبينون خطأه، ثم يذكرون الصواب الذي سمعوه من رسول الله ﷺ أو علموه، والنصوص في ذلك كثيرة.

* عن مسروق رحمه الله تعالى قال: قلت لعائشة رضي الله تعالى عنها:

= الحث على طلب العلم، رقم (٣٦٤١، ٣٦٤٢) وسنن الترمذي: كتاب العلم: باب فضل العلم على العبادة، رقم (٢٦٨٤) وسنن ابن ماجَه: المقدمة: باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، رقم (٢٢٣) وصحيح ابن حِبّان (١: ١٥١-١٥٢) والسنن الكبرى (١: ٨١) وجامع بيان العلم (١: ٣٣، ٣٤-٣٧) والرحلة (٧٧-٨٢) وشرح السنة (١: ٢٧٥-٢٧٦) ومشكاة المصابيح (١: ٧٤). وانظر: شرح السنة، وإتحاف الخيرة المهرة (١: ٢٦٥-٢٦٦) وفتح الباري (١: ١٦٠).

(١١٠٥) جامع الأصول (١: ٣٩-٤٠).

يا أُمَّتاه، هل رأى محمد ﷺ ربَّه؟ فقالت: لقد قفَّ شعري مما قلتَ. أين أنت من ثلاث، من حدَّثكهُن فقد كذب؛ من حدّثك أن محمداً ﷺ رأى ربَّه فقد كذب. ثم قرأت ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾(1106). ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾(1107). ومن حدَّثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب، ثم قرأت ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾(1108). ومن حدَّثك أنه كتم فقد كذب، ثم قرأت ﴿۞ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ الآية(1109)، ولكنه رأى جبريل عليه السلام في صورته مرتين. رواه البخاري(1110).

* عن كيسان المقبري رحمه الله تعالى قال: كنا في جنازة، فأخذ أبو هريرة رضي الله تعالى عنه بيد مروان فجلسا قبل أن توضع. فجاء أبو سعيد رضي الله تعالى عنه فأخذ بيد مروان، فقال: قم، فوالله لقد علم هذا أن النبيَّ ﷺ نهانا عن ذلك. فقال أبو هريرة: صدق. رواه البخاري(1111).

* وعن مالك بن أوس بن الحدثان قال: أقبلتُ أقول: من يصطرف

(١١٠٦) سورة الأنعام (١٠٣).

(١١٠٧) سورة الشورى (٥١).

(١١٠٨) سورة لقمان (٣٤).

(١١٠٩) سورة المائدة (٦٧).

(١١١٠) صحيح البخاري: كتاب التفسير: سورة والنجم: في أوله.

وانظر: مكانة الصحيحين فقد ذكرت الخلاف في هذه مسألة الرؤيا، وبينت رأيها رضي الله تعالى عنها، ومن خالفها من الجمهور.

(١١١١) صحيح البخاري: كتاب الجنائز: باب متى يقعد إذا قام للجنازة.

الدراهم؟ فقال طلحةُ بنُ عُبيد الله -وهو عند عمر بن الخطاب-: أرنا ذهبك. ثم ائتنا إذا جاء خادمنا، نعطك وَرِقَك.

فقال عمر بن الخطاب -رضي الله تعالى عنه-: كلّا، والله، لتعطِيَنَّه ورِقَه، أو لترُدَّنَّ إليه ذهبه. فإن رسول الله ﷺ قال: (الورِقُ بالذهب ربا إلاّ هاء وهاء. والبُرُّ بالبُرِّ ربا إلاّ هاءَ وهاءَ. والشعيرُ بالشعيرِ ربا إلاّ هاءَ وهاء. والتَّمرُ بالتمر ربا إلاّ هاء وهاء). متفق عليه[١١١٢].

* وعن أبي نضرة رحمه الله تعالى قال: سألتُ ابنَ عُمَر وابنَ عباس -رضي الله تعالى عنهم- عن الصرف؟ فلم يريا به بأساً. فإني لقاعدٌ عند أبي سعيد الخُدْري -رضي الله تعالى عنه- فسألتُه عن الصرف؟ فقال: ما زاد فهو ربا. فأنكرتُ ذلك لقولهما.

فقال: لا أحدثك إلاّ ما سمعت من رسول الله ﷺ. جاءه صاحبُ نخلِه بصاعٍ من تمْرٍ طيِّبٍ، وكان تَمرُ النبيِّ ﷺ هذا اللون. فقال له النبيُّ ﷺ: (أنى لك هذا؟) قال: انطلقتُ بصاعين فاشتريتُ به هذا الصاع، فإن سعر هذا في السوق كذا، وسعرَ هذا كذا. فقال رسول الله ﷺ: (ويلك، أربَيْتَ. إذا أردتَ ذلك فبع تمرَك بسلعة. ثم اشتر بسلعتك أيَّ تمر شئتَ).

قال أبو سعيد: فالتَّمْرُ بالتمر أحقُّ أن يكون رباً أم الفضةُ بالفضة؟

قال: فأتيت ابنَ عُمر بعد فنهاني. ولم آت ابنَ عباس. قال: فحدَّثني أبو الصهباء أنه سأل ابن عباس عنه بمكة فكرهه. رواه مسلم[١١١٣].

(١١١٢) صحيح البخاري: كتاب البيوع: باب بيع الشعير بالشعير، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب المساقاة: باب الصرف وبيع الذهب بالورق نقداً، رقم ٧٩).

(١١١٣) صحيح مسلم: كتاب المساقاة: باب بيع الطعام مثلاً بمثل، رقم (٩٩-١٠٠).

* لكن جاء في رواية عن أبي سعيد الخُدْري رضي الله تعالى عنه أنه قال: فلقيتُ ابن عباس فقلت: أرأيت هذا الذي تقول [في الصرف]: أشيء سمعته من رسول الله ﷺ، أو وجدتَه في كتاب الله عز وجل؟ فقال: لم أسمعه من رسول الله ﷺ، ولم أجده في كتاب الله. ولكن حدثني أسامة بن زيد، أن النبيَّ ﷺ قال: (لا ربا إلاّ في النسيئة). متفق عليه(١١١٤). وله روايات أخرى عندهما.

- خوفهم رضي الله تعالى عنهم من كتمان العلم:

ومن مظاهر حفاظهم رضي الله تعالى عنهم على سنة نبيهم وتمسكهم بها بعد وفاته ﷺ: نشرهم لها، وبثها بين الناس، سواء في المسجد أو غيره، في الدروس العامة، أو في حلقات التحديث، أو في الخطب، أو عند نزول النوازل، أو عند رؤيتهم وجوبَ إظهار ما عندهم،...كلّ ذلك خوفهم من كتم العلم، لذا حملهم ذلك الخوفُ على إظهار ما عندهم من العلم، مع وجود الحاجة عندهم إلى إخفاء ما عندهم، ولو كان ذلك عند الموت.

* عن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه قال: والله لأُحدِّثنَّكم حديثاً، لولا آيةٌ في كتاب الله ما حدَّثتُكم. إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (لا يتوضّأ رجلٌ مسلمٌ فيُحسن الوضوءَ، فيصلّي صلاةً؛ إلاّ غَفر الله له ما بينه وبين الصلاة التي تليها). رواه مسلم(١١١٥).

* وعنه رضي الله تعالى عنه قال -على المنبر- أيها الناس، إني كتمتُكم

(١١١٤) صحيح البخاري: كتاب البيوع: باب بيع الدينار بالدينار نسيئة، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (١٠١-١٠٤).

(١١١٥) صحيح مسلم: كتاب الطهارة: باب فضل الوضوء والصلاة عقبه، رقم (٥، ٦) المراد بالآية-كما قال عروة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ ...﴾. الآية.

حديثاً سمعتُه من رسول الله ﷺ، كراهيـــة تفـــرّقكم عـــني، ثم بـــدا لي أن أحدِّثكموه، ليختار امرؤ لنفسه ما بدا له. سمعتُ رســـول الله ﷺ يقـــول: (رباطُ يومٍ في سبيل الله خيرٌ من ألف يومٍ فيما سواه مـــن المنـــازل). رواه الطَّيالِسي وابن أبي شيبة وعبد بن حُميد وأحمد والدّارِمي والنَّـــسائي وابـــن ماجَه والبَزّار، وصححه الترمذي وابن حِبّان والحاكم(١١١٦).

* وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: إن الناس يقولون أكثر أبو هريرة، ولولا آيتان في كتاب الله ما حدَّثتُ حديثاً، ثم يتلو: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ إن إخواننا من المهـــاجرين كان يشغلهم الصفقُ بالأسواق، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العملُ في أموالهم، وإن أبا هريرة كان يلزم رسولَ الله ﷺ بشبع بطنه، ويحضر ما لا يحضرون، ويحفظ ما لا يحفظون. متفق عليه(١١١٧).

* وعنه رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من كتم علمـــاً

(١١١٦) مسند الطَّيالِسي (١٥رقم ٨٧) ومصنف ابن أبي شيبة (٥: ٣٢٧) ومسند عبد بن حُميد (رقم٥١) ومسند أحمد (١: ٦١، ٦٢، ٦٤-٦٥، ٦٥، ٦٦، ٧٥) وسنن الدّارِمي (٢: ١٣) والجهاد لابن أبي عاصم (٢: ٦٨٥، ٦٨٦) وسنن الترمذي: كتاب الجهاد: باب ما جاء في فضل المرابط، رقم (١٦٦٧) وسنن النَّسائي: كتاب الجهاد: باب فضل الربـــاط (٦: ٣٩-٤٠) وسنن ابن ماجَه: كتاب الجهاد: باب فضل الرباط في سبيل الله، رقـــم (٢٧٦٦) والبحر الزخار (٢: ٦٣) وصحيح ابن حِبّان (١٠: ٤٦٩-٤٧٠) والمستدرك (٢: ٦٨، ١٤٣) والسنن الكبرى للبيهقي (٩: ٣٩، ١٦١) وانظر تحفة الأشراف (٧:٢٦٩) وتهذيب الكمال (٣٣: ٤٢١) ففيهما نسبة التحسين للترمذي، ولعله اختلاف نسخ.

(١١١٧) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب حفظ العلم، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل أبي هريرة الدوسي رضي الله تعالى عنه، رقم (١٥٩-١٦٠).

علَّمه الله أَلجمه الله بلجام من نار يوم القيامة). رواه الطَّيالِسي وأحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجَه والحاكم وابن حِبّان وغيرهم.

* ورواه الحاكم والطبراني عن ابن عَمْرو رضي الله تعالى عنهما.

* ورواه الطبراني في الكبير والأوسط وأبو يعلى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما[١١١٨].

وهو مروي عن عدد كبير من الصحابة رضي الله تعالى عنهم[١١١٩].

* **ومما يدخل في ذلك: إخبارهم بها عند توقع الوفاة، خشية كتم العلم.**

* فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، أن النبيَّ ﷺ -ومعاذٌ رديفُه على الرَّحْل- قال: (يا معاذ بنَ جبل) قال: لبيك يا رسول الله وسعديك. قال: (يا معاذُ) قال: لبيك يا رسول الله وسعديك (ثلاثاً) قال: (ما من أحد يشهد أن لا إله إلاّ الله، وأن محمداً رسولُ الله صدقاً من قلبه؛ إلاّ حرَّمه اللهُ

(١١١٨) مسند الطَّيالِسي رقم (٢٥٣٤) ومصنف ابن أبي شيبة (٩: ٥٥) ومسند أحمد (٢: ٢٦٣، ٣٠٥، ٣٤٤، ٣٥٣، ٤٩٥، ٤٩٩، ٥٠٨) وسنن أبي داود: كتاب العلم: باب كراهية منع العلم، رقم (٣٦٥٨) وسنن الترمذي: كتاب العلم: باب ما جاء في كتمان العلم، رقم (٢٦٥١) وسنن ابن ماجَه: المقدمة: باب من سئل عن علم فكتمه، رقم (٢٦١، ٢٦٦) وصحيح ابن حِبّان (١: ١٥٤) والمستدرك (١: ١٠١، ١٠٢) والمعجم الكبير (١١: ٥) والمعجم الأوسط (٢: ٣٨٢) (٣: ٣٣٥) (٤: ٢٩) (٥: ١٠٨، ١٨٦-١٨٧) (٧: ٢٩٣) والمعجم الصغير (١: ١١٢، ١٩٨، ٢٧٥) ومسند أبي يعلى (٤: ٤٥٨) وتاريخ بغداد (٥: ٣٨-٣٩) وشرح السنة (١ رقم ١٤٠) ومجمع الزوائد (١: ١٦٣).

(١١١٩) انظر: مجمع الزوائد (١: ١٦٣) والمقاصد الحسنة (٤٢٥) ونظم المتناثر (٢٧-٢٨ رقم ٧) وتخريجي لهذا الحديث في مسألة الاحتجاج بالشافعي (٣٠-٣٣).

على النار) قال: يا رسول الله، أفلا أخبرُ به الناس فيستبشروا؟ قال: (إذاً يتَّكلوا) وأخبر بها معاذٌ عند موته تأثُّماً. رواه البخاري(١١٢٠). ورواه مسلم من حديث أنس عن معاذ رضي الله تعالى عنهما، عدا الجملة الأخيرة.

* وعن معقل بن يسار المزني رضي الله تعالى عنه قال لعُبيد الله بن زياد-وقد جاء يعوده في مرضه الذي مات فيه-: إني محدِّثك حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ، لو علمتُ أن لي حياةً ما حدَّثتُك. إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (ما من عبدٍ يسترعيه الله رعيَّةً، يموت يومَ يموتُ وهو غاشٌّ لرعيته، إلاّ حرَّم الله عليه الجنة). متفق عليه(١١٢١).

* وعن الصُّنابِحِيِّ رحمه الله تعالى قال: دخلت على عُبادةَ بن الصامت -وهو في الموت- فبكيتُ، فقال: مهلاً، لَمَ تبكي؟ فوالله لئن استُشهدتُ لأشهدن لك، ولئن شُفِّعتُ لأشفعنَّ لك، ولئن استطعتُ لأنفعنّك. ثم قال: والله، ما من حديثٍ سمعتُه من رسول الله ﷺ لكم فيه خيرٌ إلاّ حدَّثتُكموه، إلاّ حديثاً واحداً. وسوف أُحدِّثكموه اليومَ، وقد أُحيط بنفْسي.

سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (من شهد أن لا إله إلاّ الله، وأن محمداً رسولُ الله: حرَّم الله عليه النارَ). رواه مسلم(١١٢٢).

(١١٢٠) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا. وصحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، رقم (٤٨).

(١١٢١) صحيح البخاري: كتاب الأحكام: باب من استُرعي رعيةً فلم ينصح. وصحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار، رقم (٢٢٧-٢٢٩) وكتاب الإمارة: باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر،... رقم (٢١، ٢٢).

(١١٢٢) صحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة =

فقد حدَّث كلٌّ واحد منهم رضي الله تعالى عنهم بما يريد تبليغه عند دنو الأجل، وشعوره باقتراب الرحيل.

وقد سبق في الفصل الماضي ذكرُ عدد من الأحاديث فانظرها.

- **محافظتهم على آثاره ﷺ، وتبركهم بها:**

ومن المحافظة على سنته ﷺ: محافظتهم على آثاره، وتبرّكهم بها -سواء في حياته أو بعد وفاته ﷺ- وهذا باب واسع جدًّا، والنصوص فيه كثر من أن تحصى، وقد ذكرت في الفصل الأول أكثر من عشرة أحاديث مما ورد في الصحيحين، وتبركهم بها بعد وفاة رسول الله ﷺ، أذكر ثلاثة منها:

* فعن عثمان بن عبد الله بن موهب رحمه الله تعالى قال: دخلتُ على أمِّ سلمة رضي الله تعالى عنها فأخرجت إلينا شَعراً من شَعر النبيّ ﷺ مخضوباً.

* وفي لفظ قال: أرسلني أهلي إلى أمِّ سلمة رضي الله تعالى عنها، بقدحٍ من ماءٍ -وقبض إسرائيلُ ثلاثَ أصابع- من قُصة فيها شَعرٌ من شَعر النبيِّ ﷺ. وكان إذا أصاب الإنسانَ عينٌ أو شيءٌ بعث إليها مِخْضَبَه. فاطّلعتُ في الجلجل، فرأيت فيه شعرات حمر. رواه البخاري(١١٢٣).

قلت: الذي يظهر أن في الرواية اختصاراً يوضحه رواية الحُمَيْدي في الجمع بين الصحيحين(١١٢٤). ولفظه:

* عن عثمان رحمه الله تعالى قال: أرسلني أهلي إلى أم سلمة بقدح من

= قطعاً، رقم (٤٧).

(١١٢٣) صحيح البخاري: كتاب اللباس: باب ما يذكر في الشيب.

(١١٢٤) الجمع بين الصحيحين للحميدي (٤: ٢٣٣) وانظر فتح الباري (١٠: ٣٥٣).

ماء، فجاءت بجلجل من فِضَّة، فيه شَعَرُ النبيِّ ﷺ، وكان إذا أصاب الإنسانَ عينٌ،... ثم ذكر مثله.

فقوله (من فضة): هو صفة للجُلجُل الذي فيه شعرات النبيِّ ﷺ.

* وعن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنهما -في قصة الجونية- وفيه: فأقبل النبيُّ ﷺ يومئذٍ حتى جلس في سقيفة بني ساعدة هو وأصحابه. ثم قال: (اسقِنا يا سهل) فأخرجتُ لهم هذا القدح، فأسقيتُهم فيه.

[قال أبو حازم]: فأخرج لنا سهلٌ ذلك القدحَ، فشربنا فيه، قال: ثم استوهبه عُمرُ بنُ عبد العزيز بعد ذلك، فوهبه له. متفق عليه(١١٢٥).

والنصوص في ذلك كثيرة.

وفي هذا الفعل من الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم من محافظتهم على آثاره ﷺ -المنقولة وغير المنقولة، المكانية والشخصية- كلٌّ ذلك يدل على مدى حفاظهم على سنته، وإلاّ كيف يحافظون على آثاره ويعظمونها لولا محافظتهم على كل ما يتصل به ﷺ، ومن ذلك سنته الكريمة؟!



(١١٢٥) صحيح البخاري: كتاب الأشربة: باب الشرب من قدح النبيِّ ﷺ وآنيته. وصحيح مسلم: كتاب الأشربة: باب إباحة النبيذ الذي لم يشتد و لم يصر مسكراً، رقم (٨٨).

الفصل الرابع
منهجهم رضي الله تعالى عنهم
في تحمل السنة النبوية الشريفة

لقد حرص الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم أشدَّ الحرص على سماع كل ما يصدر من رسول الله ﷺ مباشرة، أو من غيره عنه ﷺ إذا كانوا غائبين -سواء كان قرآناً أو حديثاً- لأنهم رضي الله تعالى عنهم يرون كلَّ ما يصدر عنه ﷺ هو دِينٌ: يجب أخذُه وتلقيه وحفظُه وضبطُه وإتقانُه، والعملُ بمقتضاه، إلاّ ما كان من خصائصه ﷺ.

ومن المعلوم عند علماء الحديث -ومَن بعدهم- أن طرق التحمُّل ثمانية: السماع، والقراءة، والكتابة، والمناولة، والإجازة، والإعلام، والوصية، والوجادة.

وإذا نظرنا فيما رواه الصحابة رضي الله تعالى عنهم عن النبي المصطفى الكريم ﷺ نراه يدخل في الأربعة الأنواع الأولى، وهي السماع، والعرض، والكتابة، والمناولة.

- **أما السماع:** -وهو الغالب- حيث أخذ الصحابة رضي الله تعالى عنهم غالب السنة منه ﷺ، لأنه ﷺ هو الرسول، وهو المبلِّغ عن الله تعالى، وهو المشرِّع لهم، في تبيانه لآيات القرآن الكريم، وناقل إليه ما يوحيه الله

تعالى مما هو زائد على ما نزل عليه من القرآن الكريم[١١٢٦]... وبأي لفظ وقع التعبير.

- **وأما العرض -أو القراءة-** فهو وإن كان نادراً، لكنه موجود، وهو أن يطلب النبي المصطفى الكريم ﷺ من بعض الصحابة، أن يقرأ عليه قرآناً، أو استمع منهم بعض الأحاديث، ثم حدّث بها ﷺ عنهم،... في نماذج.

- **وأما الكتابة**، فهو كثير، سواء لأفراد، أو مجموعات.

- **وأما المناولة**، فهذا وارد، وهو أن يعطي آخرَ كتاباً، ويخبره بما يفعل به، سواء لنسخه، أو قراءته، أو النظر فيه،... أو لمجرد الإخبار.

وقبل البدء في بيان منهجهم رضي الله تعالى عنهم في تحمُّل الحديث عنه ﷺ، أذكر نماذج من طرق تحمُّلهم للحديث عنه ﷺ.

لقد كان للصحابة رضي الله تعالى عنهم دوران مع السنة النبوية، وفي كلِّ دورٍ منهما كانوا غاية الحرص على السنة النبوية:

الدور الأول: ما كان في حياته ﷺ:

لقد ظهر حرص الصحابة رضي الله تعالى عنهم على سماع السنة النبوية -في حياة رسول الله ﷺ- بمظهرين.

الأول: سماعهم من رسول الله ﷺ مباشرة:

وهذا هو الغالب عليهم -وإن اختلفت عبارات صيغ الأداء- وهي كثيرة جدّاً- يصعب إحصاؤها.

(١١٢٦) انظر: السنة النبوية وحي، بمجلداته الثلاثة، ومختصره.

لم يكن للنبي المصطفى الكريم ﷺ مجالسُ خاصةٌ يُحدِّث الناسَ فيها، وتصدر عنه السنة النبوية فيها، ويتلقى الناسُ فيها منه ﷺ، بل كانت حياتُه ﷺ كلُّها مجالسَ تحديث. ذلك لأن كلَّ ما يصدر منه وعنه ﷺ فهو سنة. لذا فحيث يكون تكون السنة، ويكون المجلسُ مجلس تحديث وسماع، لهذا كانت حياتُه ﷺ كلُّها مجالسَ علم وتعليم، وأداء وعطاء، وتوجيه وإرشاد، وسؤال وجواب،...لأنه ﷺ المعلِّمُ للناس الخير، كما كان الرحمةَ المهداةَ.

لهذا كانت تصدر السنةُ عنه ﷺ في كل مكان يكون فيه؛ في البيت، في المسجد، في الطريق، في السوق، في الحضر، في السفر، في الغزو، وفي الحج،... وهكذا، ففي أي مكان كان فثمَّ السنة(١١٢٧).

* وهذه بعض النماذج لصيغ الأداء مما تحمله الصحابة رضي الله تعالى عنهم عن رسول الله ﷺ مباشرة.

* عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: **سمعت رسولَ الله ﷺ** -وهو بوادي العقيق- يقول: (أتاني الليلةَ آتٍ من ربي، فقال: صلِّ في هذا الوادي المبارك، وقُلْ: عُمْرةٌ في حجة). رواه البخاري(١١٢٨).

* عن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: **قال لي رسول الله ﷺ**: (يحرمُ من الرضاعة ما يحرُمُ من الولادة).

وفي رواية (ما يحرم من النسب). متفق عليهما(١١٢٩).

(١١٢٧) انظر: نشأة علوم الحديث، فقد أطلت النفس في بيان هذه المجالس.

(١١٢٨) صحيح البخاري: كتاب الحج: باب قول النبي ﷺ: (العقيق وادٍ مبارك)، وفي غيرهما.

(١١٢٩) صحيح البخاري: كتاب الشهادات: باب الشهادة على الأنساب والرضاع المستفيض، =

* عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: **كنا مع رسول الله ﷺ**، إذ سمع وجبةً، فقال نبيُّ الله ﷺ: (تدرون ما هذا؟) قال: قلنا: الله ورسولُه أعلم. قال: (هذا حَجَرٌ رُميَ به في النار منذ سبعين خريفاً، فهو يهوي في النار الآن، حتى انتهى إلى قعرها). رواه مسلم(١١٣٠).

* عن أبي هريرة وزيد بن خالد رضي الله تعالى عنهما قالا: **كنا عند النبي ﷺ**، فقام رجل فقال: أنشدُك الله إلاّ ما قضيتَ بيننا بكتاب الله، فقام خصمُه-وكان أفقه منه-فقال: اقض بيننا بكتاب الله، وائذن لي. قال: (قل) قال: إن ابني هذا كان عسيفاً على هذا، فزنى بامرأته، فافتديت منه بمائة شاةٍ وخادم [وعند مسلم: ووليدة] ثم سألتُ رجالاً من أهل العلم؛ فأخبروني أن على ابني جَلْدَ مائةٍ وتَغْريبَ عامٍ، وعلى امرأته الرجمَ.

فقال النبي ﷺ: (والذي نفسي بيده، لأقضين بينكما بكتاب الله جل ذكرُه، المائةُ شاةٍ والخادمُ ردٌّ عليك، وعلى ابنك جلدُ مائةٍ وتغريبُ عام، واغدُ يا أُنَيْس على امرأة هذا، فإن اعترفت فارجمها) فغدا عليها، فاعترفت، فرجمها. متفق عليه(١١٣١).

* عن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها، أن رسول الله ﷺ بعث

= وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الرضاع: باب يحرم من الرضاع ما يحرم من الولادة، رقم (١-٩).

(١١٣٠) صحيح مسلم: كتاب صفة الجنة: باب في شدة حر نار جهنم، رقم (٣١).

(١١٣١) صحيح البخاري: كتاب الحدود: باب الاعتراف بالزنى، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الحدود: باب من اعترف على نفسه بالزنى، رقم (٢٥). وانظر تعليقي على هذا الحديث في سنن الشافعي (٢: ١٧١-١٧٣).

رجلاً على سريَّةٍ، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم، فيختمُ بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فلما رجعوا؛ ذُكِر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: (سلوه، لأي شيءٍ يصنع ذلك؟) فسألوه. فقال: لأنها صفةُ الرحمن، فأنا أحبُّ أن أقرأ بها. فقال رسول الله ﷺ: (أخبروه أن الله يحبه). متفق عليه(١١٣٢).

* عن حُذَيْفَة بن اليمان رضي الله تعالى عنهما قال: **قام فينا رسولُ الله ﷺ مقاماً**، ما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلاّ حدَّث به، حفظه من حفظه، ونسيه من نسيه، قد علمه أصحابي هؤلاء، وإنه ليكون منه الشيءُ قد نسيتُه، فأراه، فأذكره. كما يذكر الرجلُ وجهَ الرجل إذا غاب عنه، ثم إذا رآه عَرفه. متفق عليه، واللفظ لمسلم(١١٣٣).

فقوله: (ما ترك شيئاً يكون) أي لم يترك شيئاً ذا بالٍ ومُهم، ويحتاج الناسُ إلى معرفته إلاّ أخبرهم ﷺ عنه.

* عنه رضي الله تعالى عنه قال: **أخبرني رسولُ الله ﷺ** بما هو كائنٌ إلى أن تقومَ الساعةُ، فما منه شيءٌ إلاّ قد سألتُه. إلاّ أني لم أسأله: ما يُخرجُ أهلَ المدينة من المدينة. رواه مسلم(١١٣٤).

(١١٣٢) صحيح البخاري: كتاب التوحيد: باب ما جاء في دعاء النبيِّ ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى. وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين: باب فضل قراءة قل هو الله أحد، رقم (٢٦٣).

(١١٣٣) صحيح البخاري: كتاب القدر: باب ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾. وصحيح مسلم: كتاب الفتن: باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة، رقم (٢٣).

(١١٣٤) صحيح مسلم: كتاب الفتن: باب إخبار النبيِّ ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة، رقم (٢٤).

* عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: **قال لي رسول الله ﷺ**: (لا يزالون يسألونك يا أبا هريرة، حتى يقولوا: هذا الله، فمن خلق الله؟).

قال: فبينا أنا في المسجد إذ جاءني ناسٌ من الأعراب. فقالوا: يا أبا هريرة؛ هذا الله، فمن خلق الله؟ قال: فأخذ حصى بكفِّه فرماهم. ثم قال: قوموا، قوموا. صدق خليلي. رواه مسلم[1135].

* عن حُذَيْفَة بن اليَمان رضي الله تعالى عنهما قال: **حدَّثَنا رسولُ الله ﷺ** حديثين، قد رأيتُ أحدَهما، وأنا أنتظر الآخر. **حدَّثَنا** (أنَّ الأمانةَ نزلت في جَذْرِ قلوب الرِّجالِ، ثم نزل القرآنُ، فعلموا من القرآن وعلموا من السنة).

ثم حدَّثَنا عن رفعِ الأمانةِ قال: (ينام الرَّجُلُ النَّوْمَةَ، فتُقبضُ الأمانةُ من قلبه، فيظل أثرُها مِثْلَ الوَكْتِ، ثم ينام النومةَ فتُقبضُ الأمانةُ من قلبه، فيظل أَثَرُها مِثلَ الْمَجْلِ كجَمْرٍ دحرجتَه على رِجْلِك فَنَفِطَ فتراه مُنتبِراً، وليس فيه شيء) -ثم أخذ حصى فدحرجه على رجله- (فيصبح الناسُ يتبايعون لا يكاد أحدٌ يؤدّي الأمانةَ حتى يقال: إن في بني فلان رجلاً أميناً، حتى يقال للرجل: ما أجلده، ما أظرَفه، ما أعقله، وما في قلبه مثقالُ حبَّةِ خردلٍ من إيمان).

ولقد أتى عَلَيَّ زمانٌ وما أبالي أَيَّكم بايَعْتُ. لئن كان مسلماً ليردَّنَّه عَلَيَّ دينُه، ولئن كان نصرانيّاً أو يهوديّاً ليردَّنَّه عَلَيَّ ساعيه، وأما اليوم فما كنتُ لأبايع منكم إلاّ فلاناً وفلاناً. متفق عليه، واللفظ لمسلم[1136].

(١١٣٥) صحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب بيان الوسوسة في الإيمان، رقم (٢١٢-٢١٦).

(١١٣٦) صحيح البخاري: كتاب الرقاق: باب رفع الأمانة، ورواه في كتاب الفتن، وكتاب =

* عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: انطلق نفرٌ من أصحاب النبي ﷺ في سَفْرةٍ سافروها، حتى نزلوا على حيٍّ من أحياء العرب، فاستضافوهم، فأبَوا أن يُضَيِّفوهم، فلُدغ سيدُ ذلك الحيِّ، فسعَوا له بكل شيء، لا ينفعه شيء، فقال بعضهم: لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا، لعله أن يكون عند بعضهم شيء.

فأَتَوهم، فقالوا: يا أيها الرهطُ؛ إن سيدَنا لُدغ، وسعينا له بكل شيء، لا ينفعه، فهل عند أحد منكم من شيء؟ فقال بعضهم: نعم والله، إني لأرقي، ولكن والله لقد استضفناكم فلم تُضيفونا، فما أنا براقٍ لكم حتى تجعلوا لنا جُعلاً. فصالحوهم على قطيع من الغنم، فانطلق يتفل عليه ويقرأ {پ پ پ پ} فكأنما نشط من عقال، فانطلق يمشي وما به قَلَبَةٌ. قال: فأوفوهم جُعلَهم الذي صالحوهم عليه. فقال بعضهم: اقْسِموا، فقال الذي رقى: لا تفعلوا حتى نأتيَ النبيَّ ﷺ، فنذكرَ له الذي كان، فننظرَ ما يأمرنا.

فقدِموا على رسول الله ﷺ، فذكروا له، فقال: (وما يدريك أنها رقية؟) ثم قال: (قد أصبتم، اقسِموا، واضربوا لي معكم سهماً) فضحك النبيُّ ﷺ. متفق عليه، واللفظ للبخاري(١١٣٧).

= الاعتصام. وصحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب رقم (٢٣٠).

(١١٣٧) صحيح البخاري: كتاب الإجارة: باب ما يعطى في الرقية على أحياء العرب بفاتحة الكتاب، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب السلام: باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار، رقم (٦٥-٦٦).

* عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: حدثني نبيُّ الله ﷺ: (إني لقائمٌ أنتظرُ أُمتي تعبر على الصراط، إذ جاءني عيسى -عليه السلام- فقال: هذه الأنبياءُ قد جاءتك يا محمد، يشتكون -أو قال: يجتمعون- إليك، يدعون الله عز وجل أن يفرِّقَ جمعَ الأمم إلى حيث يشاء الله، لغمٍّ ما هم فيه-والخلقُ ملجَمون في العَرَق، وأما المؤمن فهو عليه كالزّكمة. وأما الكافرُ فيغشاه الموتُ-قال: قال[١١٣٨]: عيسى. انتظر حتى أرجع إليك.

قال: فذهب نبيُّ الله ﷺ، حتى قام تحت العرش، فلقي ما لم يَلْقَ مَلَكٌ مصطفى ولا نبيٌّ مرسَلٌ، فأوْحى اللهُ عز وجل إلى جبريل: اذهب إلى محمد، فقل له: ارفع رأسك، سَلْ تُعط، واشفع تُشفَّع، قال: فشفعت في أمتي،...). الحديث بطوله، رواه أحمد وابن خزيمة والضياء برجال الصحيح[١١٣٩].

* لقد مر حديث ضِمام رضي الله تعالى عنه، والذي فيه: فقال: أسألك بربِّك وربِّ مَن قَبلك آلله أرسلك إلى الناس كلِّهم؟ فقال: (اللهم نعم) قال: أنشدك بالله، آلله أمرك أن تصلّي الصلواتِ الخمسَ في اليوم والليلة؟ قال: (اللهم نعم) قال: أنشدك بالله، آلله أمرك أن تصوم هذا الشهر من السنة؟

(١١٣٨) القائل -والله تعالى أعلم- هو النبي المصطفى الكريم ﷺ. ويكون المعنى: قال أنس: قال النبي ﷺ: (يا عيسى انتظر...).

(١١٣٩) مسند أحمد (٣: ١٧٨) وكتاب التوحيد لابن خزيمة (٢: ٦١٦-٦١٧) والمختارة (٧: ٢٤٨-٢٥٠ من طريقين) ومجمع الزوائد (١٠: ٣٧٣-٣٧٤) والترغيب والترهيب (٦: ٢١٨-٢١٩) وفتح الباري (١١: ٤٣٦) وإتحاف المهرة (٢: ٣٥٤-٣٥٥) وكنز العمال (١٤: ٤٠٥-٤٠٦)

قال: (اللهم نعم) قال: أنشدك بالله، آلله أمرك أن تأخذ هذه الصدقةَ من أغنيائنا فتقسِمَها على فقرائنا؟ فقال النبيُّ ﷺ: (اللهم نعم) فقال الرجل: آمنتُ بما جئتَ به. وأنا رسولُ مَن ورائي من قومي، وأنا ضِمام بنُ ثعلبةَ؛ أخو بني سعد بن بكر. رواه البخاري[1140]، وأصل الحديث متفق عليه، وقد مر في الباب الثالث.

* عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال: **بعث رسول الله ﷺ بكتابه رجلاً، وأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين،** فدفعه عظيمُ البحرين إلى كسرى. فلما قرأه مزَّقه. فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يمزَّقوا كلَّ ممزق. رواه البخاري[1141].

* وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: **كتب رسول الله ﷺ كتاباً** -أو أراد أن يكتب- فقيل له: إنهم لا يقرؤون كتاباً إلاّ مختوماً. فاتّخذ خاتماً من فضّة، نقشه (محمد رسول الله) كأني أنظر إلى بياضه في يده. متفق عليه[1142].

* عن جندب بن عبد الله رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ بعث رهطاً، وبعث عليهم أبا عُبيدة ابن الجرّاح -أو عُبيدة بن الحارث- فلما ذهب ينطلق بكى صبابة إلى رسول الله ﷺ، فجلس، فبعث عليهم مكانه

(١١٤٠) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب القراءة والعرض على المحدِّث.

(١١٤١) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب ما يذكر في المناولة،... وفي غيرهما.

(١١٤٢) صحيح البخاري: في الكتاب والباب السابقين، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب اللباس: باب في اتخاذ النبيِّ ﷺ خاتماً لما أراد أن يكتب إلى العجم، رقم (٥٦-٥٨).

عبدَ الله ابنَ جحش، وكتب له كتاباً، وأمره ألاَّ يقرأ الكتاب حتى يبلغَ مكانَ كذا وكذا، وقال: (لا تكرهنَّ أحداً على السير معك من أصحابك) فلما قرأ الكتابَ استرجع، وقال: سمعاً وطاعة لله ولرسوله. فخبّرهم الخبرَ، وقرأ عليهم الكتابَ. فرجع رجلان، ومضى بقيتُهم. فلقوا ابنَ الحضرمي، فقتلوه، ولم يدروا أن ذلك اليوم من رجب أو من جمادى. فقال المشركون للمسلمين: قتلتم في الشهر الحرام، فأنزل الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾[١١٤٣]. رواه الطبري وابن أبي حاتم والطبراني وأبو يعلى والبيهقي برجال ثقات، وصححه السيوطي في الدر[١١٤٤]. ورواه النَّسائي في الكبرى وفيه راو مبهم، ورواه البخاري تعليقاً، كما رواه عامة أهل السير.

وقوله: (فرجع رجلان) لأنهما أضلّا بعيرهما الذي يعتقبان عليه، فتخلّفا في البحث عنه، وسار بقية الركب. كما هو مبيّن في بعض الروايات.

* عن فاطمة بنت قيس رضي الله تعالى عنها قالت: لما انقضت عدتي، سمعت نداء المنادي؛ منادي رسول الله ﷺ، ينادي: الصلاةَ جامعةً، فخرجتُ إلى المسجد، فصلَّيتُ مع رسول الله ﷺ، فكنتُ في صفِّ النساء التي تلي ظهورَ القوم.

(١١٤٣) سورة البقرة (٢١٧).

(١١٤٤) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب ما يذكر في المناولة، والسنن الكبرى للنسائي: كتاب السير: باب البكاء عند التشييع (٥: ٢٤٩) وتفسير الطبري (٤: ٣٠٦-٣٠٧) وتفسير ابن أبي حاتم (٢: ٣٨٤) والمعجم الكبير (٢: ١٧٤) ومسند أبي يعلى (٣: ١٠٢-١٠٣) والسنن الكبرى للبيهقي (٩: ١١-١٢) ومجمع الزوائد (٦: ١٩٨) وعزاه للطبراني برجال ثقات، والدر المنثور (١: ٦٠٠).

فلما قضى رسول الله ﷺ صلاتَه، جلس على المنبر-وهو يضحكُ- فقال: (لِيلزمْ كلُّ إنسان مصلّاه) ثم قال: (أتدرون لِمَ جمعتُكم؟) قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: (إني، والله، ما جمعتُكم لرغبة ولا لرهبة، ولكن جمعتُكم، **لأن تميماً الدّارِيَّ كان رجلاً نصرانيّاً، فجاء فبايعَ وأسلم، وحدَّثني حديثاً، وافق الذي كنتُ أُحدِّثُكم عن مسيح الدجال.**

حدَّثني؛ أنه ركب في سفينة بَحريَّة، مع ثلاثين رجلاً من لَخْم وجُذام، فلعب بهم الموجُ شهراً في البحر، ثم أَرْفَؤوا إلى جزيرة في البحر حتى مغرب الشمس، فجلسوا في أقرُب السفينة، فدخلوا الجزيرة، فلقيتهم دابَّةٌ أهلبُ، كثيرُ الشَّعَر، لا يدرون ما قُبُلُه من دُبُرِه؛ من كثرة الشعَر، فقالوا: ويلكِ ! ما أنتِ؟ فقالت: أنا الجسّاسة. قالوا: وما الجساسة؟... الحديث بطوله، وفي آخره: قالت: قال رسول الله ﷺ وطعن بِمخْصرته في المنبر: (هذه طيبةُ، هذه طيبةُ، هذه طيبةُ) يعني المدينةَ (ألا هل كنتُ حدَّثْتُكم ذلك؟) فقال الناس: نعم (فإنه أعجبني حديثُ تميمٍ أنه وافق الذي كنتُ أحدِّثُكم عنه، وعن المدينة ومكة. ألا إنه في بحر الشام أو بحر اليمن، لا بل مِن قِبَل المشرق، ما هو. من قِبَل المشرق، ما هو مِن قِبَل المشرق، ما هو) وأومأ بيده إلى المشرق. رواه مسلم(١١٤٥). كما رواه غيره من طرق متعددة عنها.

في نماذج كثيرة جدّاً، لا يمكن حصرها، وما ذكرته إنما هو للتنبيه.

(١١٤٥) صحيح مسلم: كتاب الفتن: باب قصة الجساسة، رقم (١١٩-١٢٢).

الثاني: سماعهم للسنة من صحابيٍّ سمعه من رسول الله ﷺ:

فهم من شدة حرصهم عليها، أنهم إذا لم يسمعوا من رسول الله ﷺ مباشرة، فإنهم يأخذونها بواسطة. ولهم في ذلك حالتان:

أ - أن يكون في مجلس رسول الله ﷺ، لكن الراوي لم يسمعه:

إما لبعده عن رسول الله ﷺ، أو لعدم حضوره حين تكلّم به رسول الله ﷺ، أو جاء متأخِّراً فلم يسمع أول الحديث، أو لضعفٍ في سمعه، أو لحدوثِ ضجة في المجلس،... أو نحو ذلك، والأمثلة في ذلك كثيرة، أذكر بعضها.

* عن عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه قال: كانت علينا رعايةُ الإبل، فجاءت نوبتي، فروَّحتُها بعَشِيٍّ. فأدركتُ رسول الله ﷺ قائماً يحدِّثُ الناسَ. فأدركتُ من قوله: (ما من مسلم يتوضّأُ، فيُحسنُ وُضوءَه، ثم يقومُ فيصلّي ركعتَين؛ مقبلٌ عليهما بقلبه ووجهه: إلاّ وجبت له الجنةُ).

قال: فقلت: ما أجود هذه.

فإذا قائلٌ بين يدَيَّ يقول: التي قبلها أجودُ. فنظرتُ فإذا هو عمرُ. قال: إني قد رأيتُك جئتَ آنفاً. قال: (ما منكم من أحدٍ يتوضّأُ فيُبلغ [أو فيُسبغ] الوُضوءَ، ثم يقولُ: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأن محمداً عبدُ الله ورسولُه: إلاّ فُتحت له أبوابُ الجنة الثمانية، يدخلُ من أيِّها شاء). رواه مسلم(١١٤٦).

* وعن جابر بن سمرة رضي الله تعالى عنهما قال: دخلتُ مع أبي على النبيِّ ﷺ، فسمعته يقول: (إن هذا الأمرَ لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر

(١١٤٦) صحيح مسلم: كتاب الطهارة: باب الذكر المستحب عقب الوضوء، رقم (١٧).

خليفة) قال: وتكلَّم بكلام خفيَ عليَّ. قال: فقلت لأبي: ما قال؟ قال: (كلهم من قريش). رواه مسلم(١١٤٧).

ب- أن يكون خارج مجلس رسول الله ﷺ:

يعني لم يكن موجوداً حين حدّث رسول الله ﷺ بذلك الحديث. وهذا كثير جداً، خاصة وقد مر قول أنس والبراء بن عازب رضي الله تعالى عنهم، أنهم ليس كلُّ حديث قالوا فيه: قال رسول الله ﷺ قد سمعوه منه، لأنهم ما كان يكذب بعضُهم بعضاً، وكانوا يتناوبون، وهذا ليس مختصّاً بصغار الصحابة رضي الله تعالى عنهم-وليس فيهم صغير- بل شامل لكبارهم. وقد مر حديث عمر رضي الله تعالى عنه، والذي فيه:

* عن عبد الله بن عباس، عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهم قال: كنت أنا وجارٌ لي من الأنصار، في بني أمية بن زيد -وهي من عوالي المدينة- وكنا نتناوب النزولَ على رسول الله ﷺ، ينزل يوماً، وأنزل يوماً، فإذا نزلتُ جئتُه بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعلَ مثلَ ذلك،... الحديث بطوله، متفق عليه(١١٤٨).

* وهذا ما نراه بكثرة في رواية بعضهم بعضاً، فمن نظر في فهارس تحفة الأشراف، أو في فهارس إتحاف المهرة، وجد من ذلك الكثير.

وأذكر هنا بعض النماذج للتقريب، وليس على سبيل الاستيعاب.

(١١٤٧) صحيح مسلم: كتاب الإمارة: باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش، رقم (٥-٩).

(١١٤٨) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب التناوب في العلم، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الطلاق: باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن، رقم (٣٠-٣٥).

* عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: صليتُ مع النبيِّ ﷺ سجدتين قبل الظهر، وسجدتين بعد الظهر، وسجدتين بعد المغرب، وسجدتين بعد العشاء، وسجدتين بعد الجمعة. فأما المغرب والعشاء ففي بيته.

وحدَّثتني أختي حفصةُ أن النبيَّ ﷺ كان يصلِّي سجدتين خفيفتين بعد ما يطلعُ الفجر. وكانت ساعة لا أدخل على النبيِّ ﷺ فيها. متفق عليه، واللفظ للبخاري(١١٤٩).

* عن عليٍّ رضي الله تعالى عنه قال: كنتُ رجلاً مذّاءً، وكنتُ أستحيي أن أسأل النبيَّ ﷺ لمكان ابنته، فأمرتُ المقدادَ ابن الأسود، فسأله فقال: (يغسل ذكره ويتوضّأ).

وفي رواية لمسلم، عنه رضي الله تعالى عنه قال: أرسلنا المقدادَ بنَ الأسود إلى رسول الله ﷺ، فسأله عن المذِيِّ يخرج من الإنسان، كيف يَفعل به؟ فقال رسول الله ﷺ: (توضّأ وانضح فرجك). متفق عليه(١١٥٠).

فقوله في رواية مسلم: (أرسَلْنا المقداد،...) دلالة على أنه لم يحضر السؤال، خلافاً لما جنح إليه الحافظ رحمه الله تعالى اعتماداً على رواية النَّسائي مع أن رواية البخاري للحديث جاءت مطلقة، ولفظه(١١٥١): فأمرت رجلاً

(١١٤٩) صحيح البخاري: كتاب التهجد: باب التطوع بعد المكتوبة، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين: باب فضل السنن الراتبة قبل الفرائض وبعدهن، رقم (١٠٤).

(١١٥٠) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب من استحيا فأمر غيره بالسؤال، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الحيض: باب المذي، رقم (١٧-١٩).

(١١٥١) صحيح البخاري: كتاب الغسل: باب غسل المذي والوضوء منه.

يسأل النبيَّ ﷺ لمكان ابنته، فسأل. فقال: (توضّأ، واغسل ذكرَك).

* عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: كان الرجلُ في حياة النبيِّ ﷺ إذا رأى رؤيا قصّها على النبيِّ ﷺ. فتمنَّيتُ أن أرى رؤيا أقصُّها على النبيِّ ﷺ. وكنتُ غلاماً أعزبَ، وكنتُ أنام في المسجد على عهد النبيِّ ﷺ. فرأيتُ في المنام كأن ملَكَين أخذاني فذهبا بي إلى النار. فإذا هي مطويّةٌ كطَيِّ البئر، وإذا لها قرنان كقرنَي البئر، وإذا فيها ناسٌ قد عرفتُهم. فجعلتُ أقول: أعوذ بالله من النار، أعوذ بالله من النار. فلقيَهما ملَكٌ آخر فقال لي: لن تُراعَ.

فقصصتُها على حفصةَ. فقصّتها حفصةُ على النبيِّ ﷺ فقال: (نعم الرجلُ عبدُ الله، لو كان يصلّي بالليل.

قال سالم: فكان عبد الله لا ينام من الليل إلاّ قليلاً. متفق عليه(١١٥٢).

* ولهما(١١٥٣) رواية أخرى عنه، في رؤيا ثانية، وقصها على السيدة حفصة رضي الله تعالى عنهما، وقصّتها حفصةُ على رسول الله ﷺ.

* عن زينب بنت أبي سلمة، أن أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله تعالى عنهم قالت: يا رسول الله؛ انكح أختي بنت أبي سفيان-وعند مسلم: عزة- فقال: (أوتحبين ذلك؟) فقلت: نعم، لست لك بمُخْلِيَة، وأحَبُّ من شاركني

(١١٥٢) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة: باب مناقب عبد الله بن عمر بن الخطاب، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما، رقم (١٤٠).

(١١٥٣) صحيح البخاري: كتاب التهجد: باب فضل من تعارّ من الليل فصلى، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (١٣٩).

في خير أختي، فقال النبي ﷺ: (إن ذلك لا يحل لي) قلت: فإنّا نُحدَّث أنك تريد أن تنكحَ بنتَ أبي سلمة–وفي رواية عندهما: درة بنت أبي سلمة–قال: (بنت أم سلمة؟) قلت: نعم. فقال: (لو أنها لم تكن ربيبتي في حجري ما حلت لي، إنها لابنةُ أخي من الرضاعة، أرضعتني وأبا سلمة ثُويبة، فلا تعرضْن عليّ بناتكن ولا أخواتكن). متفق عليه(١١٥٤).

في أمثلة كثيرة جدّاً، وما ذكرته كاف إن شاء الله تعالى للتدليل.

- **احتياطهم عند الأخذ من غير رسول الله ﷺ:**

* لقد احتاطوا رضي الله تعالى عنهم حيطةً شديدة في أخذهم من غيره ﷺ؛ إذا قامت عندهم شبهة الخطأ أو الوهم أو النسيان أو نحو ذلك، أو شكّوا في ضبط الراوي أو عدم تثبته، فإنهم ينكرون عليه، ويأخذونه إلى رسول الله ﷺ ليتأكدوا من صحة ما نسبه إلى رسول الله ﷺ، سواء كان من القرآن الكريم أو من الحديث الشريف. والأمثلة في ذلك كثيرة.

- **احتياطهم في سماع القرآن:**

* عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: سمعت هشامَ بن حكيم يقرأ سورةَ الفرقان؛ في حياة رسول الله ﷺ، فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة؛ لم يُقرئنيها رسولُ الله ﷺ، فكدتُ أساوره في

(١١٥٤) صحيح البخاري: كتاب النكاح: باب ﴿وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الرضاع: باب تحريم الربيبة وأخت المرأة، رقم (١٥-١٦). وانظر مكانة الصحيحين لمعرفة الجمع بين هذا الحديث وعرض أبي سفيان رضي الله تعالى عنه على رسول الله ﷺ تزويجه ابنته الأخرى.

الصلاة، فتصبَّرتُ حتى سلَّم، فلببته بردائه، فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتُك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ. فقلتُ: كذبتَ، فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأتَ، فانطلقتُ به أقوده إلى رسول الله ﷺ، فقلت: إني سمعتُ هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، فقال ﷺ: (أرسله، اقرأ يا هشام) فقرأ عليه القراءةَ التي سمعتُه يقرأ، فقال رسول الله ﷺ: (كذلك أنزلت) ثم قال: (اقرأ يا عمر) فقرأتُ القراءةَ التي أقرأنيها، فقال رسولُ الله ﷺ: (كذلك أنزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرؤوا ما تيسر منه). متفق عليه(١١٥٥).

ومعنى كذبتَ: أخطأت بلغة أهل الحجاز.

* عن أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه قال: كنت في المسجد، فدخل رجلٌ يصلي، فقرأ قراءةً أنكرتُها عليه، ثم دخل آخر، فقرأ قراءةً سوى قراءة صاحبه، فلما قضينا الصلاة؛ دخلنا جميعاً على رسول الله ﷺ، فقلت: إن هذا قرأ قراءةً أنكرتُها عليه، ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه. فأمرهما رسول الله ﷺ فقرآ، فحسَّن النبيُّ ﷺ شأنَهما. فسُقِطَ في نفسي من التكذيب، ولا إذ كنت في الجاهلية، فلما رأى رسول الله ﷺ ما قد غشيني؛ ضرب في صدري، ففضت عرقاً، وكأنما أنظر إلى الله عز وجل فَرَقاً، فقال لي: (يا أُبي، أُرسل إليَّ أن اقرأ القرآنَ على حرف، فرددتُ إليه: أن هَوِّن على

(١١٥٥) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن: باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين: باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف، رقم (٢٧٠-٢٧١).

أمتي، فردّ إليَّ الثانيةَ: اقرأه على حرفين، فرددتُ إليه: أن هَوِّن على أمتي، فردَّ إليَّ الثالثةَ: اقرأه على سبعة أحرف، فلك بكلِّ ردَّةٍ رددتُكها مسألةٌ تسألُنيها، فقلت: اللهم اغفر لأمتي، اللهم اغفر لأمتي، وأخَّرتُ الثالثةَ ليوم يرغب إليَّ الخلقُ كلُّهم حتى إبراهيم ﷺ). رواه مسلم(١١٥٦).

والنصوص في هذا الباب كثيرة، وكلها تدل على عدم أخذهم بما شكّوا فيه، وإن كانوا لا يتهمون إخوانهم، ولكنه الاحتياط.

- **احتياطهم في سماع السنة النبوية:**

فمن ذلك: مجيء الوفود ليتأكدوا مما نقله لهم رسلُ رسول الله ﷺ.

* عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: نُهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء، فكان يعجبنا أن يجيء الرجلُ من أهل البادية-العاقلُ- فيسألَه، ونحن نسمع. فجاء رجل من أهل البادية فقال: يا محمد؛ أتانا رسولُك، فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك؟ قال: (صدق)... وزعم رسولُك أن علينا خمسَ صلوات في يومنا وليلتنا. قال: (صدق)... قال: وزعم رسولُك أن علينا زكاةً في أموالنا. قال: (صدق)... قال: وزعم رسولُك أن علينا صومَ شهر رمضان في سنَتنا. قال: (صدق)... قال: وزعم رسولُك أن علينا حَجَّ البيت من استطاع إليه سبيلاً. قال: (صدق).

فقال النبيُّ ﷺ: (لئن صدق ليدخلَن الجنة). الحديث بطوله، متفق عليه(١١٥٧).

(١١٥٦) صحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (٢٧٣).

(١١٥٧) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب القراءة والعرض على المحدث. وصحيح مسلم: =

* عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: كنا جلوساً حول رسول الله ﷺ، معنا أبو بكر وعمر، في نفر.

فقام رسول الله ﷺ من بين أظهرنا، فأبطأ علينا، وخشينا أن يقتطع دوننا. وفزعنا، فقمنا، فكنت أولَ من فزع،... الحديث بطوله، فدخلت على رسول الله ﷺ،... وفيه: فقال: (يا أبا هريرة (وأعطاني نعليه) قال: (اذهب بنعلي هاتين، فمن لقيتَ من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلاّ الله، مستيقناً بها قلبُه، فبشِّره بالجنة).

فكان أولَ من لقيتُ عمر. فقال: ما هذان النعلان يا أبا هريرة؟ فقلت: هاتان نعلا رسول الله ﷺ، بعثني بهما، من لقيتُ يشهد أن لا إله إلاّ الله مستيقناً بها قلبُه؛ بشَّرتُه بالجنة. فضرب عمر بيده بين ثدييَّ، فخررت لإستي، فقال: ارجع يا أبا هريرة، فرجعت إلى رسول الله ﷺ، فأجهشتُ بكاءً، وركبني عمر، فإذا هو على أَثَري.

فقال لي رسول الله ﷺ: (مالك يا أبا هريرة؟) قلت: لقيتُ عمرَ فأخبرتُه بالذي بعثتني به، فضرب بين ثدَيَّ، خررت لإستي، قال: ارجع.

فقال له رسول الله ﷺ: (يا عمر؛ ما حملك على ما فعلتَ؟).

قال: يا رسول الله ﷺ؛ بأبي أنت وأمي، أبعثتَ أبا هريرة بنعليك؛ من لقي يشهد أن لا إله إلاّ الله مستيقناً بها قلبُه؛ بشَّره بالجنة؟ قال: (نعم).

قال: فلا تفعل، فإني أخشى أن يتكل الناس عليها، فخلِّهم يعملون. قال

= كتاب الإيمان: باب السؤال عن أركان الإسلام، رقم (١٠).

رسول الله ﷺ: (فخلهم). رواه مسلم[1158].

* عن أبي جُحَيْفَة رضي الله تعالى عنه قال: آخى النبيُّ ﷺ بين سلمان وأبي الدَّرْداء رضي الله تعالى عنهما، فزار سلمانُ أبا الدرداء، فرأى أمَّ الدَّرْداء متبذلةً، فقال لها: ما شأنكِ؟ قالت: أخوك أبو الدَّرْداء ليس له حاجةٌ في الدنيا. فجاء أبو الدَّرْداء، فصنع له طعاماً. فقال: كل. قال: فإني صائم. قال: ما أنا بآكلٍ حتى تأكل. قال: فأكل. فلما كان من آخر الليل قال سلمان: قم الآن. فصلّيا. فقال له سلمان: إن لربك عليك حقّاً، ولنفسك عليك حقّاً، ولأهلك عليك حقّاً، فأعط كلَّ ذي حقٍّ حقه. فأتى النبيَّ ﷺ فذكر ذلك له. فقال النبيُّ ﷺ: (صدق سلمان). رواه البخاري[1159].

* عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما-في صفة حج رسول الله ﷺ، وأنه ﷺ أهل بالحج، ولا يعرفون العمرة، ولما قدموا مكة، أمر ﷺ من لم يسق الهدي بالتحلل،... الحديث، وفيه: وقدم عليٌّ من اليمن ببُدن النبيِّ ﷺ، فوجد فاطمة رضي الله تعالى عنها ممن حَلَّ، ولبست ثياباً صبيغاً، واكتحلت. فأنكر ذلك عليها. فقالت: إن أبي أمرني بهذا.

قال: فكان عليٌّ يقول بالعراق: فذهبتُ إلى رسول الله ﷺ محرِّشاً على فاطمة، للذي صنعتْ، مستفتياً لرسول الله ﷺ فيما ذكَرَت عنه. فأخبرتُه أنّي

(١١٥٨) صحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، رقم (٥٢).

(١١٥٩) صحيح البخاري: كتاب الصوم: باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع و لم ير عليه قضاء.

أنكرتُ ذلك عليها. فقال: (صدقت صدقت). الحديث بطوله، رواه مسلم(١١٦٠).

ومن ذلك: تأكيد ما حكم به بعض الصحابة بحضرته ﷺ.

* عن أبي قتادة رضي الله تعالى عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ عامَ حنين،... الحديث بطوله، وفيه: ثم قال ﷺ: (من قتل قتيلاً له عليه بينة فله سلبه) فقمتُ فقلت: من يشهد لي. ثم جلستُ، ثم قال الثالثة مثلَه. فقمتُ. فقال رسول الله ﷺ: (مالَكَ يا أبا قتادة؟) فاقتصصتُ عليه القصة. فقال رجلٌ: صدق يا رسول الله. وسلبُه عندي، فأَرضه عني. فقال أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله تعالى عنه: لاها الله إذاً، لا يعمِد [أي رسول الله ﷺ] إلى أسَدٍ من أُسْدِ الله يقاتل عن الله ورسوله ﷺ يعطيك سلبه ! فقال النبيُّ ﷺ: (صدق)... الحديث بطوله، متفق عليه(١١٦١).

الدور الثاني: حالهم بعد وفاة رسول الله ﷺ:

لقد كان الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنه في حال حياة رسول الله ﷺ إذا واجهتهم مشكلة، أو شكّوا في حفظ الراوي عن رسول الله ﷺ، أو خشوا وهمه في نقله، أو في سماعه، أو أرادوا التثبت مما نُقل، رجعوا إلى رسول الله ﷺ، ليتأكّدوا من صحة الحديث، ومن لفظه، وضبط الراوي، وحفظه.

(١١٦٠) صحيح مسلم: كتاب الحج: باب حجة النبيِّ ﷺ، رقم (١٤٧).

(١١٦١) صحيح البخاري: كتاب فرض الخمس، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الجهاد: باب استحقاق القاتل سلب القتيل، رقم (٤١).

فلما تُوُفِّي رسول الله ﷺ -بأبي هو وأمي- صاروا وجهاً لوجه أمام ما ينقل، وواجهوا النقل مباشرة، و لم يعد أمامهم سوى أمرين:

١- الرجوع إلى ما كانوا سمعوه أو رأوه منه ﷺ:

فإن كان موافقاً لما عندهم قبلوه، وإلاّ ردّوه، إلاّ إذا تبيّن لهم نسخ ما كانوا سمعوه. مثل:

* عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يأمر بقتل الكلاب، يقول: (اقتلوا الحيّات والكلاب، واقتلوا ذا الطُّفْيَتَينِ والأبتر، فإنهما يلتمسان البصر، ويستسقطان الحَبالى).

قال عبد الله: فلبثت لا أترك حية رأيتها إلاّ قتلتها. فبينا أنا أطارد حيّةً من ذوات البيوت؛ مر بي زيدُ بنُ الخطاب-أو أبو لبابة-وأنا أطاردها، فقال: مهلاً يا عبد الله. فقلت: إن رسول الله ﷺ أمر بقتلهن. قال: إن رسول الله ﷺ قد نهى عن ذوات البيوت. متفق عليه[١١٦٢].

وذو الطُّفْيَتَينِ: هما الخطان الأبيضان على ظهر الحية.

والأبتر: نوع آخر من الحيات، قصير الذَّنَب، لا تنظر إليه الحامل إلاّ ألقت ما في بطنها، ويكون لونُه يميل إلى الزرقة.

* عن عبد الله بن عُمَر رضي الله تعالى عنهما، أنه كان يُكْري أرضيه، حتى بلغه أن رافعَ بن خَديج الأنصاريَّ كان ينهى عن كراء الأرض.

(١١٦٢) صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق: باب قول الله تعالى: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾. وصحيح مسلم: كتاب السلام: باب قتل الحيات، رقم (١٢٨-١٢٩). وانظر: فضائل المدينة المنورة -المجلد الأول- لبيان روايات هذا الحكم، والحكمَ فيه، والخلاف في التحريج.

فلقيه عبدُ الله فقال: يا ابنَ خَديج؛ ماذا تحدِّثُ عن رسول الله ﷺ في كراء الأرض؟ قال رافعُ بنُ خَديج لعبد الله: سمعت عمَّيَّ [وكانا شهدا بدراً] يحدِّثان أهلَ الدار، أنّ رسولَ الله ﷺ نهى عن كراء الأرض.

قال عبدُ الله: لقد كنتُ أعلم في عهد رسول الله ﷺ: أن الأرضَ تُكرى. ثم خشي عبدُ الله أن يكون رسولُ الله ﷺ أحدث في ذلك شيئاً لم يكن علِمَه. فترك كراءَ الأرض.

* وعن رافع بن خَديج رضي الله تعالى عنه قال: كنا نحاقل الأرضَ على عهد رسول الله ﷺ؛ فنُكريها بالثلث والرُّبع والطعام المسمّى. فجاءنا ذاتَ يوم رجلٌ من عمومتي فقال: نهانا رسول الله ﷺ عن أمر كان لنا نافعاً. وطواعيةُ الله ورسوله أنفعُ لنا. نهانا أن نحاقل بالأرض فنكريها على الثلث والربع والطعام المسمّى. وأمر ربَّ الأرض أن يزرعها أو يُزرِعها. وكره كراءَها، وما سوى ذلك.

* وعنه رضي الله تعالى عنه، أن ظُهَير بنَ رافع (وهو عمُّه) قال: أتاني ظُهيرٌ فقال: لقد نهى رسول الله ﷺ عن أمر كان بنا رافقاً. فقلت: وما ذاك؟ ما قال رسول الله ﷺ فهو حقٌّ. قال: سألني كيف تصنعون بمحاقلكم؟ فقلت: نؤاجرُها، يا رسول الله، على الرَّبيع أو الأوسق من التَّمْر أو الشعير. قال: (فلا تفعلوا، ازرعوها، أو أَزرِعوها، أو أمسكوها). متفق عليها[(١١٦٣)].

(١١٦٣) صحيح البخاري: كتاب الحرث والمساقاة: باب ما كان أصحاب النبيِّ ﷺ يواسي بعضهم بعضاً في الزراعة والثمرة، وباب كراء الأرض بالذهب والفضة. وصحيح مسلم: =

٢- الرجوع إلى صحابة آخرين:

سواء كانوا أكبر سنّاً، أو أقدم إسلاماً، أو أكثر ملازمةً لرسول الله ﷺ، أو أكثر علماً،...- ليتأكّدوا من صحة ما نُقل إليهم.

* عن سَمُرَة بن جُنْدُب رضي الله تعالى عنه قال: سكتتان حفظتُهما عن رسول الله ﷺ. فأنكر ذلك عِمرانُ بن حُصين، وقال: حفظنا سكتةً، فكتبا في ذلك إلى أُبَيٍّ بن كعب بالمدينة. فكتب أُبيٌّ: أنْ حَفِظَ سَمُرة. رواه ابن أبي شيبة وأحمد والدّارِمي وأبو داود، والترمذي وحسنه، وابن ماجَه، والدارقطني، وصححه ابن حِبّان والحاكم وأقره الذهبي(١١٦٤).

* عن عامر بن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنهما، أنه كان قاعداً عند عبد الله بن عُمَر، إذ طلع خَبّابٌ صاحب المقصورة، فقال: يا عبد الله بن عمر؛ ألا تسمعُ ما يقول أبو هريرة؟ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:

= كتاب البيوع: باب كراء الأرض، وباب كراء الأرض بالطعام، رقم (١٠٦-١١٤).

(١١٦٤) مصنف ابن أبي شيبة (١: ٢٧٦) وسنن الدّارِمي (١: ٢٢٧) و مسند أحمد (٥: ٧، ١١-١٢، ١٥، ٢٠، ٢١، ٢٣) وسنن أبي داود: كتاب الصلاة: باب السكتة عند الافتتاح، رقم (٧٧٧-٧٨٠) وسنن الترمذي: باب ما جاء في السكتة في الصلاة، رقم (٢٥١) وسنن ابن ماجَه: باب في سكتتي الإمام، رقم (٨٤٤، ٨٤٥) كلاهما في الصلاة، والمعجم الكبير (٦: ٢٥٤-٢٥٥، ٢٥٥) ومسند الشاميين (٤: ٢٩-٣٠) وسنن الدارقطني (١: ٣٠٩، ٣٣٦) وصحيح ابن خزيمة (٣: ٣٥، لم يذكر آخره) وصحيح ابن حبّان (٣: ١٤٧) والمستدرك (٥: ٢١٥) والسنن الكبرى (٢: ١٩٥-١٩٦، ١٩٦) وتحسين الترمذي رحمه الله تعالى له للخلاف في سماع الحسن من سمرة، وقد صحح عدداً من رواياته.

(من خرج مع جنازة من بيتها، وصلّى عليها، ثم تبعها حتى تُدفن؛ كان له قيراطان من أجر؛ كلُّ قيراط مثلُ أُحدٍ، ومن صلّى عليها ثم رجع؛ كان له من الأجر مثل أُحد).

فأرسل ابن عمر خبّاباً إلى عائشة يسألُها عن قول أبي هريرة، ثم يرجعُ إليه فيخبرُه ما قالت، وأخذ ابنُ عُمر قبضةً من حصباءِ المسجد يُقلّبها في يده، حتى رجع إليه الرسولُ، فقال: قالت عائشة: صدق أبو هريرة.

فضرب ابنُ عمر بالحصى الذي كان في يده الأرضَ، ثم قال: لقد فرَّطنا في قراريط كثيرة. متفق عليه، واللفظ لمسلم(١١٦٥).

* والنصوص في ذلك كثيرة جدّاً، مر كثيرٌ منها في الفصل الثالث.

- رواياتهم عن بعضهم إذا وثقوا بهم:

فإذا وثقوا ممن يحدِّثهم عن رسول الله ﷺ، فإنهم يروون عنه بلا تردد، وهذا كثيرٌ جدّاً، ولو نظرنا في فهارس تحفة الأشراف، أو إتحاف المهرة، أو نظرنا في كتب الحديث غير المفهرسة: وجدنا الكثير جدّاً من الصحابة ممن يروون عن غيرهم، سواء كانوا أكبر منهم، أو أقدم إسلاماً، أو هجرة، أو أكثر علماً، بل نجد الأقران يروون عن بعضهم، وكذا الأكبر عمن هو أصغر منه، والأقدم إسلاماً أو هجرة عمن هو بعده، إذا كان الحديث لم يسمعوه من رسول الله ﷺ، والأمثلة في ذلك كثيرة جدّاً، لكني أقتصر على ذكر حديثين مما ورد عن كل واحد من الأربعة الخلفاء رضي الله تعالى عنهم.

(١١٦٥) صحيح البخاري: كتاب الجنائز: باب فضل اتباع الجنائز. وصحيح مسلم: كتاب الجنائز: باب فضل الصلاة على الجنازة واتباعها، رقم (٥٢-٥٧).

* عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، أن أبا بكر الصِّدِّيق رضي الله تعالى عنه حدَّثه قال: نظرتُ إلى أقدام المشركين على رؤوسنا-ونحن في الغار-فقلتُ: يا رسول الله؛ لو أن أحدهم نظر إلى قدمَيه أبصرنا تحت قدميه. فقال: (يا أبا بكر؛ ما ظنُّك باثنين الله ثالثُهما). متفق عليه(١١٦٦).

* عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه -بعد وفاة رسول الله ﷺ- لعمر: انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها، كما كان رسول الله ﷺ يزورها. فلما انتهيا إليها بكت. فقالا لها: ما يبكيك؟ ما عند الله خيرٌ لرسوله ﷺ. فقالت: ما أبكي أن لا أكون أعلم أن ما عند الله خيرٌ لرسوله ﷺ، ولكن أبكي أن الوحيَ قد انقطع من السماء. فهيّجتهما على البكاء، فجعلا يبكيان معها. رواه مسلم(١١٦٧).

* ويدخل في ذلك: رواية البراء بن عازب عنه رضي الله تعالى عنهم في قصة الهجرة، وهو متفق عليه، ورواية زيد بن ثابت عنه رضي الله تعالى عنهم في قصة جمع القرآن وهو في صحيح البخاري، في كثير.

* عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: كنا مع عمر-رضي الله تعالى عنه-بين مكة والمدينة،... ثم أنشأ يحدثنا عن أهل بدر فقال: إن رسول

(١١٦٦) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة: باب المهاجرين وفضلهم منهم أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، رقم (١).

(١١٦٧) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل أم أيمن رضي الله تعالى عنها، رقم (١٠٣).

الله ﷺ كان يرينا مصارعَ أهلِ بدر بالأمس، يقول: (هذا مصرعُ فلانٍ غداً، إن شاء الله).

قال عمر رضي الله تعالى عنه: فوالذي بعثه بالحق، ما أخطؤوا الحدودَ التي حدَّ رسولُ الله ﷺ،... الحديث بطوله، وفيه قصة مناداته ﷺ لأهل القليب. رواه مسلم(١١٦٨).

* عن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: مكثتُ سنةً وأنا أريد أن أسألَ عمرَ بنَ الخطاب -رضي الله تعالى عنه- عن آية، فما أستطيع أن أسألَه هيبةً له. حتى خرج حاجّاً فخرجتُ معه. فلما رجع، فكنا ببعض الطريق، عدل إلى الأراك لحاجة له. فوقفت له حتى فرغ، ثم سرتُ معه. فقلت: يا أمير المؤمنين؛ من اللتان تظاهرتا على رسول الله ﷺ من أزواجه؟ فقال: تلك حفصةُ وعائشة...

وقال عمرُ: والله، إنْ كنا في الجاهلية ما نعدُّ للنساء أمراً، حتى أنزل الله فيهن ما أنزل، وقسم لهن ما قسم، قال: فبينما أنا في أمر أأتمره [يعني أشاور فيه نفسي وأفكر فيه] إذ قالت لي امرأتي: لو صنعتَ كذا وكذا، فقلت لها: وما لك أنتِ ولما ههنا؟ وما تكلُّفُك في أمرٍ أريده؟ فقالت لي: عجباً لك يا ابنَ الخطاب، ما تريد أن تُراجعَ أنت، وإن ابنتَك لتراجع رسول الله ﷺ حتى يظل يومَه غضبان،...

قال عمر: فآخذ ردائي، ثم أخرج مكاني، حتى أدخل على حفصة. فقلت لها: يا بُنيّة؛ إنك لتراجعين رسول الله ﷺ حتى يظل يومه غضبان؟

(١١٦٨) صحيح مسلم: كتاب الجنة: باب عرض مقعد الميت في الجنة أو النار عليه، رقم (٧٦).

فقالت حفصةُ: والله لنراجعنَّه. فقلت: تعلمين أني أُحذِّرك عقوبةَ الله وغضب رسوله ﷺ،... الحديث بطوله، متفق عليه(١١٦٩).

* وعن زيد بن خالد الجهني رضي الله تعالى عنه، أنه سأل عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه قال: أرأيت إذا جامع الرجلُ امرأته فلم يُمْنِ؟ قال عثمان: يتوضأ كما يتوضأ للصلاة، ويغسل ذَكَرَه. قال عثمان رضي الله تعالى عنه: سمعته من رسول الله ﷺ.

فسألت عن ذلك عليَّ بن أبي طالب، والزبيرَ بن العوام، وطلحةَ بن عبيد الله، وأبيَّ بن كعب رضي الله تعالى عنهم، فأمروه بذلك. متفق عليه، واللفظ للبخاري(١١٧٠).

قلت: وهذا كان في أول الهجرة، فهو منسوخ، ويدل على نسخه:

* عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: (إذا جلس بين شُعَبِها الأربع، ثم جَهَدَها، فقد وجب عليه الغسل). متفق عليه(١١٧١).

زاد مسلم في روايته: (وإن لم ينزل).

* عن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال: استأذنت على

(١١٦٩) صحيح البخاري: كتاب التفسير: سورة التحريم: باب ﴿تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾، وكتاب النكاح: باب موعظة الرجل ابنته لحال زوجها، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الطلاق: باب في الايلاء واعتزال النساء وتخييرهن، رقم (٣٠-٣٥).

(١١٧٠) صحيح البخاري: كتاب الوضوء: باب من لم ير الوضوء إلا من المخرجين،... وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الحيض: باب إنما الماء من الماء، رقم (٨٦).

(١١٧١) صحيح البخاري: كتاب الغسل: باب إذا التقى الختانان. وصحيح مسلم: كتاب الحيض: باب نسخ (الماء من الماء) ووجوب الغسل بالتقاء الختانين، رقم (٨٧).

عائشة، فأُذن لي، فقلت لها: يا أماه (أو يا أم المؤمنين) إني أريد أن أسألك عن شيء، وإني أَسْتَحْيِيك، فقالت: لا تستحي أن تسألني عما كنتَ سائلاً عنه أُمَّك التي ولدتك، فإنما أنا أُمُّك. قلت: فما يوجب الغُسل؟ قالت: على الخبير سقطتَ. قال رسول الله ﷺ: (إذا جلس بين شُعبها الأربع، ومسَّ الختانُ الختانَ، فقد وجب الغُسل). رواه مسلم(١١٧٢).

وقد استوعبت هذه القضية في السنة النبوية وحي -المجلد الأول.

* عن سعيد بن العاص رضي الله تعالى عنه، أن عائشةَ زوجَ النبيِّ ﷺ وعثمان رضي الله تعالى عنهما حدَّثاه، أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه استأذن على رسول الله ﷺ، وهو مضطجعٌ على فراشه، لابسٌ مرْطَ عائشة، فأذن لأبي بكر، وهو كذلك، فقضى إليه حاجتَه، ثم انصرف. ثم استأن عمر رضي الله تعالى عنه، فأذن له، وهو على تلك الحال، فقضى إليه حاجتَه، ثم انصرف.

قال عثمان: ثم استأذنتُ عليه، فجلس، وقال لعائشة رضي الله تعالى عنها: (اجمعي عليكِ ثيابَك) فقضيتُ حاجتي، ثم انصرفتُ.

فقالت عائشة: يا رسول الله؛ مالي لم أرك فزعتَ لأبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما كما فزعتَ لعثمان؟ قال رسول الله ﷺ: (إن عثمانَ رجلٌ حَيِيٌّ، وإني خشيتُ إن أذنتُ له على تلك الحال أن لا يَبْلُغَ إليَّ حاجتَه). رواه مسلم(١١٧٣). وهذه الحادثة لعلها قبل نزول الحجاب.

(١١٧٢) صحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (٨٨).

(١١٧٣) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، رقم (٣٦).

* عن أبي جُحَيْفَة رضي الله تعالى عنه قال: قلت لعليٍّ رضي الله تعالى عنه: هل عندكم شيءٌ من الوحي إلاّ ما في كتاب الله؟ قال: لا، والذي فلق الحبَّةَ وبرأ النَّسَمةَ ما أعلمه إلاّ فهماً يُعطيه الله رجلاً في القرآن، وما في هذه الصحيفة. قلت: وما في هذه الصحيفة؟ قال: العَقْل، وفكاك الأسير، وأن لا يُقتلَ مسلمٌ بكافر. رواه البخاري(١١٧٤). ورواه مسلم من غير طريقه.

* عن حُسين بن عليٍّ رضي الله تعالى عنهما، أن عليَّ بنَ أبي طالب أخبره، أن رسول الله ﷺ طَرَقَه وفاطمةَ بنت النبيِّ ﷺ ليلةً، فقال: (ألا تُصلّيان؟) فقلت: يا رسول الله؛ أنفسُنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثَنا بعثنا. فانصرف حين قلنا ذلك، ولم يرجع إليَّ شيئاً. ثم سمعته وهو مُوَلٍّ يضرب فخذَه وهو يقول: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾(١١٧٥). متفق عليه(١١٧٦).

في أحاديث كثيرة جدّاً، وما ذكرته كاف لمن تدبر، والله تعالى أعلم.

* عن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: أقبلَتْ فاطمةُ رضي الله تعالى عنها تمشي، كأن مِشيتَها مَشيُ النبيِّ ﷺ. فقال النبيُّ ﷺ: (مرحباً يا ابنتي) ثم أجلسها عن يمينه-أو عن شماله-ثم أسرَّ إليها حديثاً فبكَت.

(١١٧٤) صحيح البخاري: كتاب الجهاد: باب فكاك الأسير، وفي غيرهما. وانظر فضائل المدينة المنورة -المجلد الأول- لبيان روايات الحديث.

(١١٧٥) سورة الكهف (٥٤).

(١١٧٦) صحيح البخاري: كتاب التهجد: باب تحريض النبيِّ ﷺ على صلاة الليل والنوافل من غير إيجاب، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين: باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح، رقم (٢٠٦).

فقلت لها: لِمَ تبكين؟ ثم أسرّ إليها حديثاً، فضحكتْ. فقلت: ما رأيتُ كاليوم؛ فرحاً أقربَ من حزن. فسألتُها عما قال. فقالت: ما كنتُ لأُفشي سرَّ رسول الله ﷺ.

حتى قُبض النبيُّ ﷺ، فسألتُها، فقالت: أسرَّ إليَّ (أن جبريل كان يعارضني القرآن كلَّ سنةٍ مرةً، وإنه عارضني العامَ مرتين، ولا أراه إلاّ حضر أجلي، وإنك أولُ أهل بيتي لحاقاً بي) فبكيتُ. فقال: (أما ترضين أن تكوني سيدةَ نساء أهل الجنة-أو نساءِ المؤمنين) فضحكتُ لذلك. متفق عليه(١١٧٧).

والنصوص في ذلك كثيرة جدّاً.

- زيادة احتياطهم بعد وفاة رسول الله ﷺ:

لكنهم إذا شكّوا في ضبط الراوي، أو خافوا الوهم والخطأ في روايته، أو أرادوا التثبت من الرواية حتى لا يتقوَّل متقوِّلٌ على رسول الله ﷺ،... فإنهم يحتاطون حيطةً شديدة، حرصاً على سنة رسول الله ﷺ ومن ثَم على الدِّين. لذا ازداد احتياطهم بعد وفاته ﷺ بأكثر، وكلما ابتعدوا عن زمانه ﷺ ازداد احتياطهم أكثر.

وقد بدأ هذا الاحتياط في وقت مبكّرٍ جدّاً، عقب وفاة رسول الله ﷺ مباشرة، بفعل الصديق الأكبر، والفاروق الأشهب، وعثمان الأنور، وعلي المكرم، رضي الله تعالى عنهم، و لم يقف عند الكبار منهم، بل قام به صغارُ

(١١٧٧) صحيح البخاري: كتاب المناقب: باب علامات النبوة في الإسلام، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب فضائل فاطمة بنت النبي ﷺ، رقم (٩٨-٩٩).

الصحابة-وليس فيهم صغير-أو متأخرو الصحبة أو الهجرة؛ كابن عُمَر وابن عباس،... وغيرهم كثير، رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم[1178].

مظاهر احتياطهم رضي الله تعالى عنهم بعد وفاة رسول الله ﷺ:

ومظاهر احتياطهم رضي الله تعالى عنهم بعد رسول الله ﷺ كثيرة جداً، تُبيِّن شدة احتياطهم رضي الله تعالى عنهم في سماعهم وأخذهم، ممن يشكّون أو يرتابون في سماعه، أو صحة اللفظ، أو ضبط الراوي لما يروي، ونحو ذلك، وقد ذكرت كثيراً من ذلك في (نشأة علوم الحديث) أقتصر على ذكر عناوينها. مع الإشارة إلى الدليل في ذلك.

١ - توقفهم عن قبول رواية من يشكّون بعدم حفظه، أو نسيانه:

أو انفراده بها دون الآخرين، أو لعدم سماعهم لها من رسول الله ﷺ مع طول ملازمتهم له،... حتى يشهد له غيره.

* كما في قصة توريث الجدة، فلم يقبل أبو بكر رضي الله تعالى عنه بما ذكره المغيرةُ بن شعبة رضي الله تعالى عنه: من أن رسول الله ﷺ أعطاها السدس. حتى شهد محمد بن مَسْلَمَة الأنصاريُّ رضي الله تعالى عنه فأنفذه لها أبو بكر. رواه مالك وأصحاب السنن وأحمد وابن الجارود، وصححه الترمذي وابن حِبّان والحاكم، في آخرين. وقد سبق ذكره بلفظه وتخريجه.

* ولم يقبل عمر من أبي موسى الأشعريِّ رضي الله تعالى عنهما حديثَ: (الاستئذانُ ثلاثٌ، فإن أُذِن لك، وإلا فارجع) مع تهديده له بضربه،

(١١٧٨) انظر: نشأة علوم الحديث، فقد ذكرت نصوصاً كثيرة في ذلك.

حتى شهد له أبو سعيد الخُدْري وأبي بن كعب رضي الله تعالى عنهما بأنهما سمعا من رسول الله ﷺ ذلك. متفق عليه. وقد سبق ذكره بلفظه وتخريجه، مع ذكر بعض الروايات الأخرى فيه.

ومراده هو التثبت، وليس اتهام أبي موسى رضي الله تعالى عنه، الذي له مكانة مرموقة عنده، كما ذكرته من روايات الحديث، والله تعالى أعلم.

* عن المغيرة بن شعبة رضي الله تعالى عنه قال: سأل عمرُ بن الخطاب- رضي الله تعالى عنه -عن إملاص المرأة- وهي التي يُضربُ بطنها فتُلقي جنيناً-فقال: أيّكم سمع من النبيّ ﷺ فيه شيئاً؟ فقلت: أنا. فقال: ما هو؟ قلت: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: فيه غُرَّة؛ عبدٌ أو أَمَةٌ) فقال: لا تبرحْ حتى تَجيئني بالمخرج فيما قلتَ. فخرجتُ، فوجدتُ محمد بن مسلمة، فجئتُ به، فشهد معي أنه سمع النبيَّ ﷺ يقول (: فيه غُرَّةٌ؛ عبدٌ أو أمَةٌ). رواه البخاري، ورواه مسلم لكن قال: عن المِسْوَر: سأل عمر(١١٧٩).

٢- استحلاف المحدِّث على أنه سمع هذا الحديث من رسول الله ﷺ:

فإن حلف أُخذ منه، وإلاّ لا. باستثناء أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، فإنهم لا يستحلفونه لمكانته ومَنْزلته عندهم.

وخير من يمثل ذلك عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه.

* عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال: كنت إذا سمعت من رسول الله ﷺ شيئاً نفعني الله منه ما شاء، وإذا حدثني غيره استحلفته،

(١١٧٩) صحيح البخاري: كتاب الاعتصام: باب ما جاء في اجتهاد القضاة بما أنزل الله تعالى، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب القسامة: باب دية الجنين،... رقم (٣٩).

وحدثني أبو بكر رضي الله تعالى عنه، وصَدَق أبو بكر،... الحديث بطوله، رواه الطَّيالِسي والحُمَيْدي وابن أبي شيبة وأحمد والأربعة والبَزّار وأبو يعلى في آخرين، وحسنه الترمذي وابن عدي والبغوي والحافظ ابن حجر، وصححه ابن حِبّان، وقال ابن عدي: هذا الحديث طريقه حسن، وأرجو أن يكون صحيحاً(١١٨٠). وقد سبق ذكره كاملاً.

٣- تصديق السامعين لما يقوله المحدِّث:

* عن أبي أنس(١١٨١) رحمه الله تعالى، أن عثمان رضي الله تعالى عنه توضأ بالمقاعد(١١٨٢)، فقال: ألا أريكم وُضوءَ رسول الله ﷺ؟ ثم توضأ ثلاثاً ثلاثاً، وعنده رجال من أصحاب رسول الله ﷺ. رواه مسلم.

(١١٨٠) مسند الطَّيالِسي (٢، ٢-٣) ومسند الحُمَيْدي (١: ٢، ٤-٥) ومصنف ابن أبي شيبة (٢: ٣٨٧-٣٨٨) ومسند أحمد (١: ٢، ٨، ٩، ١٠) ومسند أبي بكر للمروزي (٤٢-٤٤ من طرق) وسنن أبي داود: كتاب الصلاة: باب في الاستغفار، رقم (١٥٢١) وسنن الترمذي: كتاب الصلاة: باب ما جاء في الصلاة عند التوبة، وكتاب التفسير: ومن سورة آل عمران، رقم (٤٠٦، ٣٠٠٦) والسنن الكبرى للنسائي (٦: ١٠٩، ١١٠ من طرق، ٣١٥) وعمل اليوم والليلة له (٣١٥-٣١٧ من طرق) وسنن ابن ماجَه: كتاب إقامة الصلاة: باب ما جاء أن الصلاة كفارة، رقم (١٣٩٥) وعمل اليوم والليلة لابن السني (٢١٨-٢١٩) والبحر الزخار (١: ٦١-٦٤ من طرق) ومسند أبي يعلى (١: ٩-١١، ٢٣-٢٦ من طرق) وشرح السنة (٤: ١٥١-١٥٢) والكامل لابن عدي (١: ٤٢٠-٤٢١) وتهذيب التهذيب (١: ٢٦٨) وجوّد إسناده، وفتح الباري (١١: ٩٨) وحسنه.

(١١٨١) وقع في المسند -في الطبعتين- (عن أنس) وهو وهم، وهو مالك بن أبي عامر، ولم يتنبه له المحققون. رحم الله من مات، وبارك في الحي، وانظر صحيح مسلم، وتحفة الأشراف.

(١١٨٢) قيل: هي دكاكين عند دار عثمان رضي الله تعالى عنه، وقيل: درج، وقيل: موضع بقرب المسجد اتخذه للقعود فيه لقضاء حوائج الناس والوضوء ونحو ذلك.

- زاد أحمد والدارقطني والبيهقي(١١٨٣) قال: أليس هكذا رأيتم رسول الله ﷺ يتوضأ؟ قالوا: نعم.

* وعن عُمارة بن رُؤَيْبَة الثقفي رضي الله تعالى عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (لن يلج النارَ أحدٌ صلّى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها) يعني: الفجرَ والعصرَ. فقال له رجلٌ من أهل البصرة: آنتَ سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم. قال الرجل: وأنا أشهد أني سمعته من رسول الله ﷺ، سمعَتْه أذناي، ووعاه قلبي [بالمكان الذي سمعتَه منه] رواه مسلم(١١٨٤).

٤- نقدهم للرواة، والرد على الكذّابين:

* قال محمد بن سيرين رحمه الله تعالى: لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة، قالوا: سمّوا لنا رجالَكم، فيُنظر إلى أهل السنة؛ فيؤخذ حديثُهم، ويُنظر إلى أهل البدعة فلا يؤخذ حديثهم. رواه مسلم في مقدمة صحيحه(١١٨٥).

* عن مجاهد رحمه الله تعالى قال: جاء بُشير العدويُّ إلى ابن عباس،

(١١٨٣) صحيح مسلم: كتاب الطهارة: باب فضل الوضوء والصلاة عقبه، رقم (٩) ومسند أحمد (١: ٥٧) وَ (١: ٦٧، ٦٧-٦٨) من طريق بسر بن سعيد أيضاً بنحوه، وطبعة أحمد شاكر، رقم (٤٠٤، ٤٨٧، ٤٨٨) من المجلد الأول، وسنن الدارقطني (١: ٨٥-٨٧) والسنن الكبرى للبيهقي (١: ٧٨، ٧٩).

(١١٨٤) صحيح مسلم: كتاب المساجد: باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، رقم (٢١٣-٢١٤).

(١١٨٥) صحيح مسلم (١: ١٥) وهو موجود عند غيره بكثرة.

فجعل يحدِّث ويقول: قال رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ، فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه، ولا ينظر إليه.

فقال: يا ابن عباس؛ ما لي لا أراك تسمع لحديثي؟ أحدثك عن رسول الله ﷺ ولا تسمع؟

فقال ابنُ عباس: إنّا كنا مرةً إذا سمعنا رجلاً يقول: قال رسول الله ﷺ، ابتدرتْه أبصارُنا، وأصغينا إليه بآذاننا، فلما ركب الناسُ الصعبَ والذَّلولَ؛ لم نأخذ من الناس إلاّ ما نعرف. رواه الإمام مسلم في مقدمة صحيحه[١١٨٦].

وله روايتان أخريان.

٥- الإرسال إلى غير المتكلِّم ليسأل عن صحة الحديث:

* كما فعله ابن عُمر رضي الله تعالى عنه عندما سمع أبا هريرة رضي الله تعالى عنه يحدِّث بحديث اتّباع الجنازة، حيث أرسل إلى عائشة رضي الله تعالى عنه ليتأكّد من صحة الحديث، فلما صدّقت أبا هريرة، تأسف على تفريطه بعدم اتّباعه الجنائز حتى تدفن، كما مر في حديثه بشأن القراريط[١١٨٧].

٦- إعادة السؤال بعد فترة على المتحدّث ليتأكّد من ضبطه:

* كما أمرت السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها ابنَ أختها عروةَ بن الزبير رحمه الله تعالى؛ من إعادة السؤال على عبد الله بن عَمْرو رضي الله

(١١٨٦) صحيح مسلم (١: ١٤). وانظر: حجية الحديث المرسل عند الإمام الشافعي (٩٠-٩١) للروايتين الأخريين.

(١١٨٧) صحيح البخاري: كتاب الجنائز: باب فضل اتباع الجنائز. وصحيح مسلم: كتاب الجنائز: باب فضل الصلاة على الجنازة واتباعها، رقم (٥٢-٥٧).

تعالى عنهما، عما حدّثه-قبل سنة-بحديث رفع العلم، وهو متفق عليه(١١٨٨).

٧- إنكارهم على المكثرين من الرواية:

* قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه: إن الناس يقولون أكثر أبو هريرة، ولولا آيتان في كتاب الله ما حدَّثتُ حديثاً، ثم يتلو ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفقُ بالأسواق، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العملُ في أموالهم، وإن أبا هريرة كان يلزم رسولَ الله ﷺ بشبع بطنه، ويحضر ما لا يحضرون، ويحفظ ما لا يحفظون. متفق عليه(١١٨٩).

* عن مالك بن أبي عامر قال: كنت عند طلحة بن عُبيد الله رضي الله تعالى عنه، فدخل عليه رجل فقال: يا أبا محمد؛ والله ما ندري هذا اليماني أعلم برسول الله ﷺ أم أنتم؟... فقال طلحةُ: والله ما نشك أنه سمع من رسول الله ﷺ ما لم نسمع، وعَلِم ما لم نعلم. كنا قوماً أغنياء، لنا بيوت وأهلون، كنا نأتي نبي الله ﷺ طرفي النهار، ثم نرجع، وكان أبو هريرة رضي الله تعالى عنه مسكيناً؛ لا مال له ولا أهل ولا ولد، إنما كانت يده مع يد النبي ﷺ، وكان يدور معه حيث دار، ولا نشك أنه قد علم ما لم نعلم،

(١١٨٨) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب كيف يقبض العلم، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب العلم: باب رفع العلم وقبضه، رقم (١٣-١٤).

(١١٨٩) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب حفظ العلم، وكتاب البيوع: باب ما جاء في قول الله عز وجل: { فَإِذَا قُضِيَتِ ف ف ﭬ ﭭ}. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل أبي هريرة الدوسي رضي الله تعالى عنه، رقم (١٥٩-١٦٠).

وسمع ما لم نسمع، ولم يتهمه أحدٌ منا أنه تقوَّل على رسول الله ﷺ ما لم يقل. رواه الترمذي وحسنه، والحاكم وصححه وأقره الذهبي(١١٩٠).

* وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: بلغ عُمرُ-رضي الله تعالى عنه-حديثي، فأرسل إليَّ، فقال: كنتَ معنا يومَ كنا مع رسول الله ﷺ في بيت فلان؟ قال: قلت: نعم. وقد علمتُ لِمَ تسألني عن ذلك؟ قال: ولِمَ سألتُك؟ قال: إن رسول الله ﷺ قال يومئذٍ: (من كذب عليَّ متعمِّداً فليتبوأ مقعدَه من النار) قال: أمّا إذاً، فاذهب فحدِّث. رواه ابن عساكر، وعزاه الحافظ ابن كثير لمسدّد(١١٩١). وضعفه الحافظ الذهبي، لكن تشديد عمر رضي الله تعالى عنه وارد، وأما الحديث الذي ذكره أبو هريرة فهو متفق عليه.

فهذا الفعل من سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه هو من باب الاحتياط، خشية أن يقع المكثِرُ بالخطأ غير المتعمّد، سواء لم يضبطه، أو سمع بعضَ الحديث دون بعض، أو سمع الجواب دون السؤال، أو سمع جواباً لسؤال سابق مع سؤال آخر، أو دخل حديث في حديث، أو أخطأ الفهم،... وقد سبق ذكر بعض احتياطاته رضي الله تعالى عنه، والله تعالى أعلم.

(١١٩٠) سنن الترمذي: كتاب المناقب: باب مناقب لأبي هريرة رضي الله تعالى عنه، رقم (٣٨٣٧) والمستدرك (٣: ٥١١-٥١٢) وتاريخ دمشق (٦٧: ٣٥٦، ٣٥٧) والإصابة (٧: ٤٣٨).

(١١٩١) تاريخ دمشق (٦٧: ٣٤٤، ٣٤٥) والبداية والنهاية (٨: ١٠٦-١٠٧) وسير أعلام النبلاء (٢: ٦٠٣) وضعفه، وصحيح البخاري: كتاب العلم: باب إثم من كذب على النبيِّ ﷺ، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: المقدمة: باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ، رقم (٣).

٨- الكتابة إلى صحابي آخر ليتأكّد من ضبط المتحدّث:

* كما كتب سمرة بن جندب وعمران بن حصين رضي الله تعالى عنهم إلى أُبَيٍّ بن كعب رضي الله تعالى عنه في المدينة، ليتأكّدا من عدد السكتات في الصلاة، فكتب لهما: حفظ سمرة. رواه ابن أبي شيبة وأحمد والدّارمي وأبو داود، والترمذي وحسنه، وابن ماجَه، والدارقطني، وصححه ابن حِبّان والحاكم وأقره الذهبي. وقد سبق ذكره مطوّلاً مع تخريجه.

٩- إرسال المكتوب لمن ظُن عدم معرفته بما فيه للعمل بمقتضاه:

ومن مظاهر محافظتهم على السنة، وتحملهم لها: إرسال ما هو مكتوب عندهم-مما كتبوه في حياة النبي المصطفى الكريم ﷺ أو بعد وفاته-إلى من ظن أنه لا يعرفه، من أجل العمل بمقتضى ما في المكتوب.

* عن محمد ابن الحنفية رحمه الله تعالى قال: لو كان عليٌّ رضي الله تعالى عنه ذاكراً عثمان رضي الله تعالى عنه، ذكره يوم جاءه ناسٌ فشكَوا سُعاةَ عثمان، فقال لي علي: [خذ هذا الكتاب] اذهب إلى عثمان، فأخبره أنها صدقة رسول الله ﷺ، فمر سُعاتَك يعملون فيها. فأتيتُه بها. فقال: أغنها عنا. فأتيتُ بها علياً فأخبرته فقال: ضعها حيث أخذتَها. رواه البخاري[(١١٩٢)].

ففي هذا النص أمور كثيرة، يهمني منها:

- العلاقة الحميمة بين شيخ بني هاشم وشيخ بني أمية رضي الله تعالى عنهما.

(١١٩٢) صحيح البخاري: كتاب فرض الخمس: باب ما ذكر من درع النبيِّ ﷺ وعصاه وسيفه وقدحه وخاتمه،...

- الكتابة في زمن الصحابة رضي الله تعالى عنهم.
- مكانة عثمان في نفس عليٍّ رضي الله تعالى عنهما، بحيث إنه لم يتكلّم عليه بسوء أو أذى حين شكا الناسُ السعاة. فلما رجع ابنه محمد ابن الحنفية بالكتاب لم يزد على قوله: ضعها حيث أخذهّا. دلالة على إعذاره فيما فعل.
- إن عثمان رضي الله تعالى عنه لم يأخذ الصحيفة لوجود ما يماثلها عنده، سواء فيما يرويه بسماعه من رسول الله ﷺ أو بكتابة ذلك عنده، خاصة وصحيفتا أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما كانتا قد انتشرتا. لذا لم يتكلم عليٌّ رضي الله تعالى عنه، دلالة على موافقته على فعله، والله تعالى أعلم.

١٠- طلب الدليل والشاهد على ما ينسبه إلى رسول الله ﷺ:

* لم يقبل عمر من أبي موسى الأشعريِّ رضي الله تعالى عنهما حديثَ: (الاستئذانُ ثلاثٌ، فإن أُذِن لك، وإلاّ فارجع) مع تهديده له بضربه، حتى شهد له أبو سعيد الخُدْري وأبي بن كعب رضي الله تعالى عنهما بأنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول ذلك. كما في حديث أبي سعيد الخُدْري رضي الله تعالى عنه، المتفق عليه(١١٩٣). وقد سبق ذكره مطوّلاً.

* كما مر حديث المغيرة رضي الله تعالى عنه-في قصة إملاص المرأة- وفيه قول عمر رضي الله تعالى عنه له: ائتني بمن يشهد لك. فشهد له محمد

(١١٩٣) صحيح البخاري: كتاب الاستئذان: باب التسليم والاستئذان ثلاثاً، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الآداب: باب الاستئذان، رقم (٣٣-٣٧) وفي بعضها: شهد أُبيُّ ابن كعبٍ رضي الله تعالى عنه أيضاً.

ابن مسلمة رضي الله تعالى عنه. رواه البخاري، ورواه مسلم لكن قال: عن المِسْوَر: سأل عمر(١١٩٤).

١١- الرحلة في سبيل التأكد من لفظ الحديث:

* فقد رحل أبو أيوب الأنصاري إلى عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنهما إلى مصر من أجل حديث واحد.

* ورحل جابر بن عبد الله إلى عبد الله بن أُنيس رضي الله تعالى عنهم إلى الشام من أجل حديث واحد.

* ورحل رجل من الصحابة إلى فضالة بن عبيد رضي الله تعالى عنهما إلى مصر من أجل حديث واحد.

* ورحل رجل من المدينة إلى أبي الدَّرْداء رضي الله تعالى عنهما بدمشق، من أجل حديث واحد.

وقد سبق ذكر هذه الأحاديث بألفاظها ومن رواها.

- أخذهم بخبر الواحد إذا اطمأنوا:

لا يعني ردُّ الصحابة رضي الله تعالى عنهم لبعض الروايات عند خوف الوهم أو الخطأ أو النسيان،... أنهم لم يأخذوا بحديث الآحاد، لا، وذلك:

- لأن وجود راويين لا يُخرج الحديث عن كونه حديثَ آحاد.
- وورود نصوص كثيرة أخذ الصحابة رضي الله تعالى عنهم فيها بخبر

(١١٩٤) صحيح البخاري: كتاب الاعتصام: باب ما جاء في اجتهاد القضاة بما أنزل الله تعالى، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب القسامة: باب دية الجنين،... رقم (٣٩).

الواحد، ومِن هؤلاء المذكورين أنفسهم رضي الله تعالى عنهم، كما بينته في (خبر الواحد، إفادته وحجيته) وأنهم إنما يطلبون التأكيد عند التشكك أو خشية الوهم أو النسيان ونحو ذلك، أقتصر على ذكر (١٠) عشرة أمثلة في أخذهم بخبر الواحد، حتى لو أفتوا بخلافها-لعدم علمهم بها-فإذا ما علموا بها تركوا ما أفتوا أو عملوا به، ورجعوا إليها في كل أحوالهم، وهي ممن رد الروايات السابقة، ومن ذلك:

- رجوع عمر رضي الله تعالى عنه إلى القول بأن الدِّية على العاقلة، مع توريث المرأة، لحديث الضحاك بن سفيان رضي الله تعالى عنه(١١٩٥).

- رجوعه رضي الله تعالى عنه في دية الجنين، لحديث حمل بن مالك بن النابغة رضي الله تعالى عنه(١١٩٦).

- رجوعه رضي الله تعالى عنه عن بلاد الشام حين ظهر الطاعون فيها في منطقة عمواس، لحديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه(١١٩٧).

- أخذه رضي الله تعالى عنه الديةَ من المجوس، لحديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه(١١٩٨).

(١١٩٥) رواه مالك والشافعي وأحمد وابن الجارود والأربعة والدارقطني، انظر: الرسالة (٤٢٦) والأم (٦: ٧٧) وتحفة الأشراف (٤: ٢٠٢-٢٠٣) وإتحاف المهرة (٦: ٣٢٥).

(١١٩٦) رواه الشافعي وأحمد والدّارمي وأبو داود والنَّسائي وابن ماجَه والطحاوي وابن حبّان والحاكم. انظر: الرسالة (٤٢٦-٤٢٧) وتحفة الأشراف (٣: ٨٣-٨٤) وإتحاف المهرة (٤: ٣٣٩-٣٤٠).

(١١٩٧) صحيح البخاري: كتاب الطب: باب ما يُذكر في الطاعون، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب السلام: باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها، رقم (٩٨-١٠٠).

(١١٩٨) صحيح البخاري: كتاب الجزية: في أوله.

- رجوعه رضي الله تعالى عنه عن رجم المجنونة لحديث عليٍّ رضي الله تعالى عنه. رواه-مختصراً ومطوّلاً-الطَّيالِسي وأحمد وابن الجعد والأربعة والدارقطني، وحسنه الترمذي، وصححه ابن خزيمة وابن حِبّان والحاكم والضياء، وأقره الذهبي، ورواه البخاري تعليقاً، وقد سبق ذكره.

- عمل عثمان رضي الله تعالى عنه-بالاعتداد في بيت الزوجية-بحديث الفُرَيْعَة بنت مالك بن سِنان رضي الله تعالى عنها(١١٩٩).

- كما سبق أخذ علي بحديث أبي بكر رضي الله تعالى عنهما.

- رجوع زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه إلى قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في صدور الحائض، لحديث الأنصارية رضي الله تعالى عنها(١٢٠٠).

- رجوع عبد الله بن عمر عن المخابرة، لحديث رافع بن خَديج رضي الله تعالى عنهم(١٢٠١).

- رجوع عبد الله بن عباس عن الصرف، لحديث أبي سعيد الخُدْري رضي الله تعالى عنهم(١٢٠٢).

(١١٩٩) رواه مالك والشافعي والطَّيالِسي وأحمد والدّارِمي والأربعة والطحاوي والحاكم وابن حبّان. انظر تحفة الأشراف (١٢: ٤٧٤-٤٧٥) وإتحاف المهرة (١٨: ٥٠-٥٢).

(١٢٠٠) صحيح مسلم: كتاب الحج: باب وجوب طواف الوداع وسقوطه عن الحائض، (٣٨١).

(١٢٠١) صحيح البخاري: كتاب الحرث والمساقاة: باب ما كان أصحاب النبيِّ ﷺ يواسي بعضهم بعضاً في الزراعة والثمرة. وصحيح مسلم: كتاب البيوع: باب كراء الأرض، رقم (١٠٦-١١٢).

(١٢٠٢) صحيح مسلم: كتاب المساقاة: باب بيع الطعام مثلاً بمثل، رقم (٩٩-١٠٠) وسبق ذكر =

– رجوع المهاجرين والأنصار رضي الله تعالى عنهم عن الكسل لحديث السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها(١٢٠٣).

– أهمية تثبت الصحابة رضي الله تعالى عنهم:

– هذا التثبت في السماع من الرجال، والتشدد في الرواية، والاحتياط في عدم الرواية إلاّ عن الثقة العدل –الذي قام به الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم بعد وفاة النبي الكريم ﷺ– إنما هو خشية الخطأ على رسول الله ﷺ، ومن ثم الخطورة على الدين.

وفعل الصحابة رضي الله تعالى عنهم هذا قاطعٌ الطريقَ على القُصّاص والكذّابين؛ الذين يدخلون على قلوب العامة بحكاياهم الغريبة.

– ظهور نواة السند في الرواية:

– لقد أشار رسول الله ﷺ إلى تسلسل الرواة في الأخذ عن بعضهم، مع التنبيه إلى الأمر بالأخذ بالسماع، وشيوع العلم في القرون الثلاثة الأول.

* فعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (تَسمَعون، ويُسمَعُ منكم، ويُسمَع ممن يُسمَع منكم). رواه أحمد وأبو داود، وصححه ابن حبّان والحاكم(١٢٠٤).

= رواية أخرى أيضاً، وهي متفق عليها.

(١٢٠٣) صحيح مسلم: كتاب الحيض: باب نسخ (الماء من الماء) ووجوب الغسل بالتقاء الختانين، رقم (٨٧، ٨٨) وسبق ذكر حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه المتفق عليه أيضاً.

(١٢٠٤) مسند أحمد (١: ٣٢١) وسنن أبي داود: كتاب العلم: باب فضل نشر العلم، رقم (٣٦٥٩) وصحيح ابن حِبّان (١: ٢٦٣) والمستدرك (١: ٩٥) والمحدّث الفاصل (٩٢) =

* وقد ورد بلفظه من حديث غيره من الصحابة أيضاً.

ونتيجة لمحافظتهم رضي الله تعالى عنهم على السنة النبوية، وتمسُّكِهم بها، واحتياطهم فيها: ظهر السند، الذي لم يكن معروفاً من قبل.

لم يكن قبل الإسلام شيء يسمى (السند) كان الناس ينقلون أخبارَهم وأخبارَ أجدادهم وأقاربهم إرسالاً، بل حتى عند أهل الكتاب، لا يوجد عندهم نص واحد يَصِلون به إلى أنبيائهم عليهم السلام(١٢٠٥).

واستمر هذا الأمر في زمن النبي المصطفى الكريم ﷺ -اللهم إلاّ إذا شك أحدُهم أو خالف ما كان عنده من علمٍ سمعه من رسول الله ﷺ.

لكن الصحابة رضي الله تعالى عنهم -بعد وفاة رسول الله ﷺ- بدؤوا ينقّرون في الرواية، واحتاطوا حيطة شديدة، وصاروا يتثبَّتون في السماع والأخذ؛ خشية التقوّل على رسول الله ﷺ، أو الخطأ عليه،...إلخ.

وأول من فعل ذلك: أبو بكر الصِّدِّيق ثم عُمر بن الخطاب، ثم تلاهم غيرهم رضي الله تعالى عنهم(١٢٠٦)، كما بينت ذلك في (نشأة علوم الحديث).

* وسبق ذكر مجيء الجدَّة إلى أبي بكر رضي الله تعالى عنه تسأله ميراثها، فلما أخبره المغيرةُ بن شعبة، أن رسول الله ﷺ أعطاها السدس، لم يقبل منه

= وشرف أصحاب الحديث (٧٠) والسنن الكبرى (١٠: ٢٥٠) ودلائل النبوة (٦: ٥٣٩).

(١٢٠٥) خلا نص واحد في الطلاق، وهو مسلسل بالكذابين، كما قال ابن حزم رحمه الله تعالى، وانظر: مقدمة ثلاثيات الإمام الشافعي رحمه الله تعالى، والإسناد وأهميته، فقد أطلت النفس في ذلك.

(١٢٠٦) انظر تراجمهم في تذكرة الحفاظ، للحافظ الذهبي.

أبو بكر، حتى شهد محمد بن مَسْلَمَة الأنصاريُّ رضي الله تعالى عنهم.

* كما سبق ذكر استئذان أبي موسى على عمر رضي الله تعالى عنهما، ووافقه مشغولاً، فانصرف فلما أخبره أبو موسى رضي الله تعالى عنه بحديث رسول الله ﷺ في الاستئذان ثلاثاً، لم يقبل منه -بل هدّده- حتى شهد له أبو سعيد الخُدْري رضي الله عنه. وقد سبق ذكرهما بألفاظهما.

- كما وُجد التنقيرُ من التابعين رحمهم الله تعالى على الصحابة رضي الله تعالى عنهم؛ بألاَّ يحدِّثوهم إلاّ بما سمعوا من رسول الله ﷺ، كأن يقولوا: حدِّثنا بما سمعت من رسول الله ﷺ، ولا تحدِّثنا عن أحدٍ غيره. أو قولهم: حدِّثنا عن رسول الله ﷺ، ولا تُدخل بينك وبينه أحداً،... وهكذا.

والنصوص في هذا الباب كثيرة، ذكرت جملة صالحة منها في الكتاب المذكور، وفي (خبر الواحد، إفادته وحجيته).

- ظهور مرسل الصحابي:

ومع هذا التشديد على ذكر السند: استمر بعضُ الصحابة -ثم بعض التابعين رضي الله تعالى عنهم- يروون حديثَ رسول الله ﷺ إرسالاً، مع وجود من يطالب بالسند، فنشأ الحديث المرسل، وهذا ما تجده بكثرة في روايات السيرة النبوية، إضافة لوجود عوامل أخرى، ذكرتها في (حجية الحديث المرسل عند الإمام الشافعي رحمه الله تعالى) وسيأتي بيان حُكمه في الباب الرابع، كما سيأتي مزيد بيان في الفصل التالي، إن شاء الله تعالى.

*** هل كان تحملهم لها باللفظ أم بالمعنى:**

إن السنن التي تلقّاها الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم من النبي المصطفى الكريم ﷺ مباشرة، فهي مما أخذوها باللفظ، أما التي تلقّوها من بعضهم فهذه تختلف، إذ التعبير عن الفعل والإقرار فهذا يمكن التعبير عنه بالمعنى. أما ما كان من قولٍ فعلى حسب قوة الناقل والمبلّغ له. فإن كان يؤدّي باللفظ فيكون التحمّل باللفظ، وإن كان يؤدّي بالمعنى فيكون به.

وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى في الفصل القادم.

*** وجود السنة عند جميعهم، ولم يحوها واحد:**

- إن أحاديث رسول الله ﷺ -كلغة العرب- لا يحيط بها إلاّ نبي، لكنها منتشرة بين جميع الصحابة رضي الله تعالى عنهم، فهي لا تعزب عن عامتهم-وقد تعزب عن بعضهم-كما لا نعلمُ رجلاً جمع السننَ فلم يذهب منها عليه شيء، لكن لو جُمع ما عندهم جميعاً لأتوا على السنن كلها، وإذا فُرِّق علمُ كلِّ واحد منهم: ذهب عليه الشيءُ منها، ثم كان ما ذهب عليه منها موجوداً عند غيره.

ثم هم طبقات: منهم الجامع لأكثره-وإن ذهب عليه بعضه-ومنهم الجامع لأقلّ مما جمع غيره(١٢٠٧).

فهم كغدران الماء، منه ما يروي الرجلَ الواحد، ومنه ما يروي الكثير.

- قال مسروق رحمه الله تعالى: جالست أصحاب محمد ﷺ فوجدهم

(١٢٠٧) انظر الرسالة (٤٢-٤٣) والإمام الشافعي وأثره في الحديث وعلومه، فقد أطلت النفس في تبيان ذلك.

كالإخاذ [يعني: الغدير] فالإخاذُ يروي الرجلَ، والإخاذُ يـــروي الـــرجلين، والإخاذُ يروي العشرة، والإخاذُ يروي المائةَ، والإخاذُ لو نزل به أهلُ الأرض لأصدرهم، فوجدت عبد الله بن مسعود من ذلك الإخاذ.اهـــ(١٢٠٨).

فهي موجودة عند جميعهم، وليس عند واحد منهم، وهذا أمر واقع، لأن الصحابة رضي الله تعالى عنه لم يكونوا جميعاً ملازمين له ﷺ في كل ساعات اليوم، ولهذا نرى سؤال بعضهم بعضاً عنها، وسماع بعضهم مـــن بعـــض، ورواية بعضهم عن بعض. كما يتفاوتون بطول العمر، والنسيان، والعوارض البشرية، والله تعالى أعلم.

- أقسام السنة النبوية زمن الصحابة رضي الله تعالى عنهم:

كانت السنة النبوية الشريفة تصدر من النبي المصطفى الكريم ﷺ إمـــا أمام جمع كثير-كخطبة الحج والأعياد والجمعة والاستسقاء،... وقد تكـــون أمام عدد محصور، سواء عدة أفراد أو أمام شخص واحد فقط.

قد يسمع الحديثَ من رسول الله ﷺ نفر قليل، ثم ينتشر في عهـــده ﷺ أو في عهد أصحابه رضي الله تعالى عنهم، ولا يُذكر اسم الـــصحابي الأول الذي سمعه من رسول الله ﷺ مباشرة -وقد يُذكر- كما سبق بيانه.

وقد يكون الذي سمعه من رسول الله ﷺ فرد واحد فقط، كما سيأتي.

كما قد يسمع الحديثَ من رسول الله ﷺ نفر قليل، لكن لا يستحضره عند الحاجة سوى واحد فقط، كحديث وقوع الطاعون، حيث لم يـــذكره سوى عبد الرحمن، مع أنه محفوظ عن غيره أيضاً.

(١٢٠٨) الطبقات الكبرى (٢: ٣٤٢-٣٤٣).

وقد يسمع الحديثَ من رسول الله ﷺ نفر، لكن لم ينقل إلاّ عن عـــدد قليل قد يكون واحداً، وقد لا يصح إلاّ من طريق واحدٍ فقط.

وسبب قلة نقلته؛ إما أنه لم ينقل أصلاً إلاّ من طريقٍ من نقله، أو نُقـــل إلى التابعين لكنه لم يستمر، أو استُغني برواية من ذكره عن غيره، أو عـــدم صحة الطريق إليهم، أو بسبب تقدم وفياهم، وهذا لا يعني ضياع العلم، لأنه نُقل، لكنه من طريق واحد(١٢٠٩).

لذا كان السنة في زمن الصحابة رضي الله تعالى عنهم تنقسم باعتبارين:

الأول: باعتبار كثرة المتحمّلين لها وقلتهم:

فهي -كما في زمن النبي الكريم ﷺ- حسب من حضر من الـــصحابة رضي الله تعالى عنهم، صدورَها من رسول الله ﷺ، أو مَن سمعها ممن قـــد سمعها من النبي الكريم ﷺ، فهي بهذا الاعتبار تنقسم إلى قسمين رئيسيين:

١- أن تكون منتشرةً عند الكثيرين منهم -وهو الغالب- وينطبق هـــذا على ما سمعوه منه ﷺ في خطبه وندواته ومجالسه العامة، وعقب الـــصلاة، وهكذا.

٢- أن تكون موجودة عند بعض الصحابة دون غيرهم رضي الله تعالى عنهم، وهذا كثير أيضاً، وينطبق هذا على ما سمعه بعضُهم منه ﷺ في مجالسه الخاصة، وقد يضيق ذلك حتى لا يوجد إلاّ عند واحد أو اثـــنين أو ثلاثـــة ونحوهم،... وقد ينتشر بعد ذلك فيسمعه آخرون عن ذلك الذي سمعه مـــن النبي الكريم ﷺ

(١٢٠٩) انظر مقدمة الحديث المتواتر، حيث ذكرت الأدلة لكل حالة.

فمثال الأول: وهو كثرة المتحملين.

* عن عَمْرِو بن أخطب رضي الله تعالى عنه قال: صلّى بنا رسولُ الله ﷺ الفجر، وصعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت الظهرُ، فَنَزل فصلى، ثم صعد المنبرَ، فخطبنا حتى حضرت العصرُ، ثم نزل فصلى، ثم صعد المنبرَ، فخطبنا حتى غربت الشمسُ. فأخبرنا بما كان، وبما هو كائن. فأعلمنا أحفظنا. رواه مسلم(١٢١٠).

* وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: قام فينا النبي ﷺ مقاماً فأخبرنا عن بدء الخليقة، حتى دخل أهلُ الجنة منازلَهم، وأهلُ النار منازلَهم، وحفظ ذلك من حفظه، ونسيه من نسيه. رواه البخاري(١٢١١).

* وعن حُذَيْفَة رضي الله تعالى عنه نحوه بزيادة، متفق عليه(١٢١٢).

والذي يبدو لي -والله تعالى أعلم- أنها كلها في موضوع واحد، وأن كل الأحاديث التي تتحدّث عن أشراط الساعة، والغيوب السابقة واللاحقة، والفتن والملاحم،... كلها تدخل ضمن هذه الأحاديث المجملة(١٢١٣).

لكن لا يشترط أن يكون الجميعُ قد نقلوا ذلك، ولأنهم يتفاوتون في

(١٢١٠) صحيح مسلم: كتاب الفتن: باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة، رقم (٢٥).

(١٢١١) صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق: باب قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾.

(١٢١٢) صحيح البخاري: كتاب القدر: باب ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾. وصحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (٢٣).

(١٢١٣) انظر: المجلد الثاني والثالث من السنة النبوية وحي، ومختصر أشراط الساعة.

الحفظ والعلم، وهذا واضح من أقوالهم رضي الله تعالى عنهم: (فأعلمنا أحفظنا) وَ (وحفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه) وَ (قد علمه أصحابي هؤلاء، وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته، فأراه فأذكره، كما يذكر الرجلُ وجهَ الرجل إذا غاب عنه، ثم إذا رآه عرفه) وغير ذلك كثير من خطب الجمعة والأعياد والحج،... والله تعالى أعلم.

ومثال الثاني: وهو قلة المتحملين، وهو نوعان:

١- لأنه لم يسمع ذلك الحديثَ من النبي الكريم ﷺ سواه، سواء كان المستمع واحداً أو أكثر، وذلك لقلة من كان موجوداً آنئذ. مثاله:

* عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ ومعاذ بن جبل- رضي الله تعالى عنه-رديفه على الرحل قال: (يا معاذ بنَ جبل) قال: لبيك يا رسول الله وسعديك. قال: (يا معاذ) قال: لبيك يا رسول الله وسعديك (ثلاثاً) قال: (ما من أحد يشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله، صِدقاً من قلبه إلاّ حرَّمه الله على النار) الحديث بطوله، رواه البخاري(١٢١٤)، وقد عنون عليه البخاري: باب من خص قوماً بالعلم دون قوم،...

* وعن حُذَيْفَة بن اليمان رضي الله تعالى عنهما، في سؤاله عما هو كائن إلى يوم القيامة،... الحديث بطوله. رواه مسلم(١٢١٥).

* وعن أبي ذرٍّ رضي الله تعالى عنه قال: انتهيت إلى النبي ﷺ وهو جالس في ظل الكعبة، فلما رآني قال: (هم الأخسرون ورب الكعبة)-زاد

(١٢١٤) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا.

(١٢١٥) صحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (٢٤).

البخاري: فقلت: ما شأني؟ أيرى فيَّ شيءٌ؟ ما شأني؟-قال: فجئت حتى جلستُ، فلم أتقارَّ أن قمتُ، فقلت: يا رسول الله؛ فداك أبي وأمي مَن هم؟... الحديث بطوله، متفق عليه. واللفظ لمسلم(1216).

* ومثله حديثه رضي الله تعالى عنه، وهو يمشي في حرة المدينة، فرأى النبي ﷺ وهو يمشي وحده،... الحديث بطوله، وفيه قصة الترغيب في الإنفاق، ومكالمة النبي ﷺ لجبريل عليه السلام في الحرة، وبشارته أن من مات من هذه الأمة دخل الجنة على ما عمل،... وهو متفق عليه(1217).

٢- قد يكون انفراد الصحابي به لعدم صحة النقل إليه، مع احتمال أن يكون قد تحمَّل هذا الحديثَ من النبي المصطفى الكريم ﷺ أكثرُ من واحد، ولكن إمّا أنهم لم يحدِّثوا به اكتفاء بغيرهم ممن حدَّث، أو حدَّثوا به لكن انقرض، أو لم يصح النقلُ إليهم. والأمثلة كثيرة، أقتصر على خمسة:

* حديث (النهي عن بيع الولاء وعن هبته) فإنه لم يصح إلاّ من طريق عبد الله بن عُمَر رضي الله تعالى عنهما. وهو متفق عليه(1218).

(١٢١٦) صحيح البخاري: كتاب الأيمان والنذور: باب كيف كان يمين النبي ﷺ، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الزكاة: باب تغليظ عقوبة من لا يؤدي الزكاة، رقم (٣٠-٣١).

(١٢١٧) صحيح البخاري: كتاب الاستقراض: باب أداء الديون، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الزكاة: باب الترغيب في الصدقة، رقم (٣٢، ٣٣).

(١٢١٨) صحيح البخاري: كتاب العتق: باب بيع الولاء وهبته، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب العتق: باب النهي عن بيع الولاء وهبته، رقم(١٦).

وقال مسلم عقبه: الناس كلهم عيال على عبد الله بن دينار في هذا الحديث.اهـ. وانظر: علل الترمذي (٥: ٧٥٨) وشرح العلل (٤: ٣٠).

* وحديث (شعب الإيمان) لم يصح إلاّ من طريق أبي هريرة رضي الله تعالى عنه. وهو متفق عليه(١٢١٩).

* وحديث (إنما الأعمال بالنيات) لم يصح إلاّ من طريق سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه. وهو متفق عليه(١٢٢٠).

* وحديث (دخول النبي ﷺ مكة وعلى رأسه المغفر) لم يصح إلاّ من طريق أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه. وهو متفق عليه(١٢٢١).

* وحديث (كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان،...) لم يصح إلاّ من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه. وهو متفق عليه(١٢٢٢).

فقد يكون لم يسمعها سواهم، وقد يكون سمعها غيرُهم، لكن لم يُنقل إلينا، أو لم يحدِّث بها غيرهم، أو لم يصح الطريق إليهم، والله تعالى أعلم.

(١٢١٩) صحيح البخاري: كتاب الإيمان: باب أمور الإيمان. وصحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب عدد شعب الإيمان، رقم (٥٧-٥٨).

(١٢٢٠) صحيح البخاري: كتاب بدء الوحي: باب كيف كان بدء الوحي، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الإمارة: باب قول النبي ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات). وانظر مكانة الصحيحين (٤٩٠-٤٩٢).

(١٢٢١) صحيح البخاري: كتاب الجهاد: باب قتل الأسير وقتل الصبر، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الحج: باب جواز دخول مكة بغير إحرام، رقم (٤٥٠) وشرح العلل (٣٠٥).

(١٢٢٢) صحيح البخاري: كتاب التوحيد: باب قول الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾. وصحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء: باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، رقم (٣١).

الثاني: باعتبار الصحة:

إن الأحاديث الشريفة في زمن النبي الكريم ﷺ وكذا في زمن أصحابه الكرام رضي الله تعالى عنهم كلها صحيحة، وذلك لأنهم:

- إما أنهم رضي الله تعالى عنهم سمعوها من النبي المصطفى الكريم ﷺ مباشرة، وهذا هو الأغلب.

- وإما أنهم رضي الله تعالى عنهم سمعوها من صحابي، سمعها هو من النبي الكريم ﷺ، وهذا كثير أيضاً.

- ولما كان الصحابة رضي الله تعالى عنهم كلهم ثقات عدولاً أمناء - والزمنُ زمنَ تنزِّل الوحي- فلا يتطرق الاحتمال إلى الطعن في أحد منهم.

- اللهم إلاَّ إذا حصلت عوارض بشرية؛ من نسيان أو خطأ أو وهم، ونحوه. وهذا ما يُحمل عليه استدراك بعضهم على بعض، والله تعالى أعلم.

- وأمّا ما يصدر عن المنافقين؛ فسرعان ما يكشفه الوحي، سواء بالمتلو أو غيره، ولهذا قال ﷺ: (مَن كذب عليَّ متعمِّداً فليتبوأ مقعدَه من النار) وهذا حديث متواتر، رواه العدد الكثير من الصحابة[١٢٢٣]، بل لا يعرف حديث رواته أكثر من رواة هذا الحديث، والله تعالى أعلم.

(١٢٢٣) انظر: الأزهار المتناثرة (٤-٥) فقد ذكره عن اثنين وسبعين صحابياً، ولقط اللآلئ المتناثرة (٢٦١-٢٨٢)فقد ذكره عن تسعة وتسعين رجلاً، ونظم المتناثر (٢٠-٢٤) وتدريب الراوي (٢: ١٧٧وما بعد) والموضوعات الكبرى (١: ٥٦) والأسرار المرفوعة (٤: ٣٩) فقد ذكره من طريق اثنين ومائة رجل، وانظر شرح مشكل الآثار(١: ٣٥٢-٣٧٢) وغيرها.

فلما ظهرت الفرق والنحل والأهواء-وكان في أواخر عهد الصحابة رضي الله تعالى عنهم-ضعف ما يُروى عن طريق هؤلاء، فصار الحديث:

- **إما مقبولاً صحيحاً**، كالحديث الذي سمعوه من رسول الله ﷺ أو سمعوه من الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم، وهم ثقات عدول.

- **وإما مردوداً غيرَ مقبول**، لروايته عن الضعفاء أو أهل الأهواء والبدع

ويوضح ذلك قول ابن سيرين رحمه الله تعالى: لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سمّوا لنا رجالَكم، فيُنظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثُهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يُؤخذ حديثهم(١٢٢٤).

أما التقسيم الثلاثي (صحيح، حسن، ضعيف) فقد ظهر في منتصف القرن الثالث تقريباً، وإن وُجد إطلاق الحسن للإمام الشافعي وآخرين رحمهم الله تعالى، لكن ليس على ما اصطلح عليه فيما بعد، والله تعالى أعلم.



(١٢٢٤) رواه مسلم: في مقدمة صحيحه.

الفصل الخامس
منهجهم رضي الله تعالى عنهم
في أداء السنة النبوية الشريفة

- لقد حث رسول الله ﷺ على حفظ السنة النبوية الشريفة، وإتقانها، وضبطها، ومن ثم على تبليغها، وبذلك يكون انتشار السنن، وبه ينتشر العلم. وقد جاءت نصوصٌ كثيرةٌ في هذا الباب، أقتصر على ذكر بعضها للتقريب والتنبيه، والله تعالى المستعان.

- جعل الخير في التفقه في الدِّين:

* عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله تعالى عنهما قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين،...)الحديث، متفق عليه(١٢٢٥).

كما ورد عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم(١٢٢٦).

(١٢٢٥) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الإمارة: باب قوله ﷺ: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق،...). رقم (١٧٥) وكتاب الزكاة: باب النهي عن المسألة، رقم (٩٨، ١٠٠).

(١٢٢٦) انظر: مسند أحمد (١: ٣٠٦) (٢: ٢٣٤) وسنن الدّارمي (١: ٦٥) (٢: ٢٠٨) وسنن الترمذي: كتاب العلم: باب إذا أراد الله بعبدٍ خيراً فقهه في الدين، رقم (٢٦٤٥) والسنن الكبرى للنسائي (٣: ٤٢٣-٤٢٥) وسنن ابن ماجَه: المقدمة: باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، رقم (٢٢٠) وشرح مشكل الآثار (٢: ٢٨٠) والمعجم الكبير (١٠: ٣٩٢) والمعجم الصغير (٢: ٧٦-٧٧) ومسند أبي يعلى (١٠: ٢٣٨) وشرح =

- إخباره ﷺ أن خيارَ الناس الذين يتفقَّهون في الدِّين:

* عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (...الناس معادن، كمعادن الذهب والفضة، خيارُهم في الجاهلية خيارُهم في الإسلام، إذا فقهوا). متفق عليه(١٢٢٧).

- حثه ﷺ على حفظ العلم وأدائه، ودعاؤه ﷺ لمن يبلِّغه:

* عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (نضَّر الله عبداً سمع مقالتي، فحفظها ووعاها وأداها، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه). رواه الشافعي والحُمَيْدي وأحمد في آخرين، وصححه الترمذي وابن حبان(١٢٢٨).

كما ورد عن عدد كبير من الصحابة رضي الله تعالى عنهم، لأن الحديث في هذا الباب متواتر(١٢٢٩).

= السنة (١: ٢٨٥) ومجمع الزوائد (١: ١٢١).

(١٢٢٧) صحيح البخاري: كتاب الأنبياء: باب ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب البر والصلة: باب الأرواح جنود مجندة، رقم (١٦٠).

(١٢٢٨) مسند الشافعي (٢٤٠) والرسالة (٤٠١-٤٠٢) ومسند الحُمَيْدي (١: ٤٧ رقم ٨٨) ومسند أحمد (١: ٤٣٧) وسنن الترمذي: كتاب العلم: باب في الحث على تبليغ السماع، رقم (٢٦٥٧، ٢٦٥٨) وسنن ابن ماجَه: المقدمة: باب من بلغ علماً،... رقم (٢٣٢) ومسند أبي يعلى (٩: ٦٢، ١٩٨) وشرح السنة (١: ٢٣٥-٢٣٦) وحلية الأولياء (٧: ٣٣١) وصحيح ابن حِبّان (١: ١٤٣، ١٤٤) وغيرهم.

(١٢٢٩) انظر: الأزهار المتناثرة (٥-٦) وقطف الأزهار المتناثرة (٢٨رقم٢) ولقط اللآلئ المتناثرة (١٦١رقم ٤٨) ونظم المتناثر (٢٤-٢٥) وإتحاف ذوي الفضائل المشتهرة (٥٢).

- أمره ﷺ بالتبليغ عنه:

* عن عبد الله بن عَمْرو رضي الله تعالى عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: (بلّغوا عني ولو آية،...) الحديث، رواه البخاري(١٢٣٠).

* يدخل في ذلك قوله ﷺ: (ليبلغ الشاهدُ الغائبَ) في مناسبات عدة، وعن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم، في الصحيحين وغيرهما(١٢٣١).

- نهيه ﷺ عن كتم العلم:

* عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من كتم علماً علَّمه الله أَلجمه الله بلجام من نار يوم القيامة). رواه الطَّيالِسي وأحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجَه والحاكم وابن حِبّان وغيرهم.

* وهو مروي عن عدد كبير من الصحابة رضي الله تعالى عنهم. وقد مر ذكره، والعزو له في آخر الفصل الماضي.

- وبالمقابل فقد حث النبي المصطفى الكريم ﷺ على طلب العلم:

* أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهَّل الله له به طريقاً إلى الجنة). رواه مسلم(١٢٣٢).

(١٢٣٠) صحيح البخاري: كتاب الأنبياء: باب ما ذكر عن بني إسرائيل.

(١٢٣١) انظر: صحيح البخاري: كتاب العلم: باب قول النبي ﷺ: (ربَّ مبلَّغ أوعى من سامع) لحديث أبي بكرة، وباب (ليبلغ العلمَ الشاهدُ الغائبَ) لحديث أبي شُرَيح رضي الله تعالى عنهما. وصحيح مسلم: كتاب القسامة: باب تغليظ تحريم الدماء،... رقم (٢٩-٣١) وكتاب الحج: باب تحريم مكة وصيدها،... رقم (٤٤٦).

(١٢٣٢) صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء: باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى =

* كما ورد عن غيره من الصحابة رضي الله تعالى عنهم أيضاً.

- إخباره ﷺ أن العلم أحد الأمور التي تبقى بعد صاحبه، وأجرُه جار عليه غير منقطع، إن شاء الله تعالى:

* عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا مات الإنسانُ انقطع عملُه إلاّ من ثلاثة: إلاّ من صدقة جارية، أو علمٍ يُنتفع به، أو ولدٌ صالح يدعو له). رواه مسلم(١٢٣٣).

والأحاديثُ في فضل العلم والتعليم والتعلُّم كثيرةٌ جداً، ليس هذا مجال عرضها هنا، إنما ذكرت القليل للتنبيه، والله تعالى أعلم.

لذا حرص الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم على سماع الحديث وحفظه وضبطه وإتقانه،... -كما مر في الفصلين الماضيين- ثم على تبليغه وتدوينه وتعليمه ونشره، وهذا ما سأذكر مختصراً له في هذا الفصل إن شاء الله تعالى.

منهج الصحابة رضي الله تعالى عنهم في الرواية قلة وكثرة:

لقد تميّز في الصحابة رضي الله تعالى عنهم بعد النبي المصطفى الكريم ﷺ مسلكان في الرواية، من حيث الإكثار والإقلال، هما:

أ - الإقلال من الرواية:

وعلى رأس هؤلاء: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والزبير وطلحة وابن

= الذكر، رقم (٣٨).

(١٢٣٣) صحيح مسلم: كتاب الوصية: باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، رقم (١٤).

مسعود،... في آخرين، رضي الله تعالى عنهم. والذي حملهم على الإقلال-لا رغبة عنها وكرهاً فيها-حاشا-أمور، منها:

١- الورع والخوف من التغيير في اللفظ النبوي، فيدخل تحت قوله ﷺ: (من كذب عليَّ متعمِّداً،...) وأذكر بعض الأقوال في ذلك.

* عن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه قال: ما يمنعني أن أحدِّث عن رسول الله ﷺ أنْ لا أكون أوعى أصحابه عنه، ولكني أشهد لسمعته يقول: (من قال عليَّ ما لم أقل فليتبوّأ مقعده من النار). رواه الطَّيالِسي وأحمد والبزار[١٢٣٤] وإسناده حسن. وعزاه في الأسرار المرفوعة لأبي يعلى والخطيب والحاكم في المدخل.

* عن عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما قال: قلت للزبير -رضي الله تعالى عنه-: إني لا أسمعك تحدِّث عن رسول الله ﷺ كما يحدِّث فلانٌ وفلانٌ. قال: أما إني لم أفارقه، ولكن سمعته يقول: (من كذب عليَّ فليتبوَّأ مقعدَه من النار). رواه البخاري[١٢٣٥].

* عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: إنه ليمنعني أن أحدِّثكم حديثاً كثيراً أن النبيَّ ﷺ قال: (من تعمّد عليَّ كذباً فليتبوّأ مقعدَه من النار).

(١٢٣٤) مسند الطَّيالِسي (١٤رقم٨٠) ومسند أحمد (١: ٦٥، ٧٠) والبحر الزخار (١: ٣٧-٣٨) وشرح مشكل الآثار (١: ٣٥٤) والكامل لابن عدي (١: ١٧) ومسند الشهاب (٥٦٢) وكشف الأستار (١: ١١٣) ومجمع الزوائد (١: ١٤٣) وانظر الموضوعات لابن الجوزي (١: ٥٨-٥٩) وفتح الباري (١: ٢٠٣) والأسرار المرفوعة (١٠).

(١٢٣٥) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب إثم من كذب على النبيِّ ﷺ.

متفق عليه[١٢٣٦].

وقد ورد نحو ذلك عن عدد من الصحابة[١٢٣٧].

٢- اعتمادهم على غيرهم في الرواية مما قلّل عدد الرواة وأحاديثهم.

* عن ابن أبي ليلى رحمه الله تعالى قال: أدركتُ [في هذا المسجد] عشرين ومائة من الأنصار، من أصحاب محمد ﷺ؛ ما منهم من أحدٍ يحدِّث بحديثٍ إلاّ ودَّ أن أخاه كفاه إياه، ولا يُستفتى عن شيء إلاّ ودَّ أن أخاه كفاه الفتوى. رواه ابن المبارك وابن سعد والفسوي وأبو خيثمة وابن عبد البر والخطيب والبيهقي[١٢٣٨].

٣- خشية الخلط مع القرآن الكريم، والالتباس معه.

* عن قرظة بن كعب رضي الله تعالى عنه قال: بعث عمر بن الخطاب -رضي الله تعالى عنه- رهطاً من الأنصار إلى الكوفة، فبعثني معهم، فجعل يمشي معنا حتى أتى صِراراً -وصِرار ماء في طريق المدينة- فجعل ينفض الغبارَ عن رجليه، ثم قال: [أتدرون لمَ مشيتُ معكم؟ قال: قلنا: لحق صحبة رسول الله ﷺ، ولحقِّ الأنصار. قال: لكني مشيتُ معكم لحديثٍ أردتُ أن أحدِّثكم به، فأردتُ أن تحفظوه لممشاي معكم] إنكم تأتون الكوفة، فتأتون قوماً للقرآن في صدورهم هزيزٌ كهزيز المِرجَل، فإذا رأوكم مدّوا إليكم

(١٢٣٦) صحيح البخاري: في الكتاب والباب السابقين. وصحيح مسلم: المقدمة، رقم (٢).

(١٢٣٧) انظر: الأسرار المرفوعة (١٢-١٣، ١٦، ٢٠-٢٢).

(١٢٣٨) الزهد والرقائق (١٩ رقم ٥٨) والطبقات الكبرى (٦: ١١٠) والمعرفة والتاريخ (٢: ٨١٧) والعلم (٢١) وأخلاق العلماء (١٠٢) وجامع بيان العلم وفضله (٢: ١٦٣) والفقيه والمتفقه (٢: ١٢-١٣) والمدخل إلى السنن الكبرى (٢: ٢٦٦ رقم ٨٠٠).

أعناقَهم، وقالوا: أصحابُ محمد. فأقلّوا الروايةَ عن رسول الله ﷺ، وأنا شريككم. رواه الدّارِمي وابن ماجَه والخطيب وابن عبد البر والبيهقي، وصححه الحاكم وأقره الذهبي[1239].

قال الإمام الدّارِمي رحمه الله تعالى: معناه عندي: الحديث عن أيام رسول الله ﷺ، ليس السنن والفرائض.اهـ.

وقد أطال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله تعالى في الجواب، وهذه بعض مقتطفات منه[1240]: أن كلام عمر رضي الله تعالى عنه كان:

- لقوم لم يكونوا أحصوا القرآن، فخشي عليهم الاشتغال بغيره عنه.
- نهى عن الحديث عما لا يفيد حكماً، ولا يكون سنةً.
- نهى عن الإكثار، وأمر بالإقلال من الرواية خوف الكذب على رسول الله ﷺ، وخوفاً أن يكونوا مع الإكثار يحدّثون بما لم يتيقنوا حفظه، ولم يعوه، لأن ضبط من قلّت روايتُه أكثرُ من ضبط من كثرت روايتُه.
- خوف الاشتغال عن تدبر السنن والقرآن، لأن المكثِر لا تكاد تراه إلاّ غير متدبِّر ولا متفقّه.
- حثه رضي الله تعالى عنه على حفظ السنن كتعلم القرآن ينافي هذا اللفظ. قال رضي الله تعالى عنه: إياكم والرأي، فإن أصحاب الرأي أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها.

(١٢٣٩) سنن الدّارِمي (١: ٧٣) وسنن ابن ماجَه: المقدمة، رقم (٢٨) والمستدرك (١: ١٠٢) وجامع بيان العلم وفضله (٢: ١٢٠، ١٢٠-١٢١) وشرف أصحاب الحديث (٨٨).

(١٢٤٠) جامع بيان العلم وفضله (٢: ١٢١-١٢٤).

- وقال رضي الله تعالى عنه: من سمع حديثاً فأداه كما سمع فقد سلم.

- وقال: تعلّموا الفرائض والسنن كما تتعلمون القرآن.

- ثم هو الناشد الناس في غير موقف، عمن عنده علم عن رسول الله ﷺ، كما في قصة توريث المرأة من دية زوجها، وفي الجنين يسقط ميتاً عند ضرب أمه، وغير ذلك.اهـ.

- نهيه رضي الله تعالى عنه عن الإكثار لا الإقلال، خشية التباس السنة بالقرآن، وخشية الوقوع في الكذب، فكان ذلك كله من باب الاحتياط.

٤- قصر أعمار أهل هذا المسلك بعد النبي المصطفى الكريم ﷺ.

- لأن عامة من وُصف بالتقليل مات مبكّراً، ولم تطل بهم الحياة بعد رسول الله ﷺ، كأبي بكر رضي الله تعالى عنه الذي توفّي بعد رسول الله ﷺ بسنتين وأشهر، وعمر (٢٣) وعبد الله بن مسعود (٣٢) وعثمان (٣٥) وطلحة والزبير (٣٦) وآخرهم علي، سنة (٤٠) رضي الله تعالى عنهم.

٥- انشغالهم بتثبيت أركان الدولة، وفي قتال المرتدين، والفتوحات.

إن هؤلاء الرهط رضي الله تعالى عنهم قد انشغلوا بقتال المرتدين، ثم بتثبيت أركان الدولة الجديدة، ثم خرجوا للفتوحات خارج الجزيرة، فلم يتسن لهم التصدي للتدريس، وعقد حلقات التحديث.

٦- ثمة أمر نفسي؛ وهو من محبتهم لرسول الله ﷺ لا يستطيعون ذكره.

* جاء من طرق كثيرة عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أنه قام على المنبر-وفي رواية بجانب المنبر-بعد وفاة رسول الله ﷺ بقليل، فذكر رسول الله ﷺ فقال: قد علمتُم ما قام به رسول الله ﷺ وبكى، ثم أعادها

ثم بكى، ثم أعادها ثم بكى،...الحديث، رواه الحُمَيْدي وابن أبي شيبة وأحمد والبخاري في الأدب المفرد، والترمذي والنَّسائي وابن ماجَه وابن حِبّان، في آخرين[١٢٤١]. وقد مر ذكره.

* وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما كان لا يذكر النبيَّ ﷺ إلاّ بكى. رواه ابن سعد والدارمي[١٢٤٢].

* وعن عَمْرو بن ميمون رحمه الله تعالى قال: كنتُ لا تفوتني عشيةَ خميس إلاّ آتي فيها عبدَ الله بنَ مسعود -رضي الله تعالى عنه- فما سمعتُه يقول لشيء قط: قال رسول الله ﷺ، حتى كانت ذاتَ ليلة فقال: قال رسول الله ﷺ. قال: فاغرورقت عيناه، وانتفخت أوداجُه، فأنا رأيتُه محلولةً أزرارُه،... رواه الطَّيالِسي وأحمد والدّارِمي وابن ماجَه والبَزّار والطبراني بإسناد صحيح، وصححه الحاكم على شرطهما، في آخرين[١٢٤٣].

(١٢٤١) مسند الطَّيالِسي (٣ رقم ٥) ومسند الحُمَيْدي (١: ٥-٦) ومصنف ابن أبي شيبة (١٠: ٢٠٥) ومسند أحمد (١: ٣-١١) والأدب المفرد (٢٤٤رقم ٧٢٥) وسنن الترمذي: كتاب الدعوات: باب (١٠٦) رقم (٣٥٥٨) وعمل اليوم والليلة (رقم ٨٧٩-٨٨٨) وسنن ابن ماجَه: كتاب الدعاء: باب الدعاء بالعفو والعافية، رقم (٣٨٤٩) ومسند أبي بكر للمروزي (٩٢-٩٥) ومسند أبي يعلى (١: ٤٩، ٧٥-٧٧، ٨٦-٨٨، ١١٢، ١١٣) والبحر الزخار (١: ٩٢، ١٤٦-١٤٨) وصحيح ابن حِبّان (٣: ٢٣٠-٢٣١، ٢٣٢-٢٣٣) والمستدرك (١: ٥٢٩) وشرح السنة (٥: ١٧٨) ومجمع الزوائد (١٠: ١٧٣).

(١٢٤٢) الطبقات الكبرى (٤: ١٦٨) وسنن الدّارِمي (١: ٤٠) وسير أعلام النبلاء (٣: ٢١٤).

(١٢٤٣) مسند الطَّيالِسي (٤٣) ومسند أحمد (١: ٤٥٢) وسنن الدّارِمي (١: ٧٢) وسنن ابن ماجَه: المقدمة: باب التوقي في حديث رسول الله ﷺ، رقم (٢٣) والمستدرك (١: =

٧- عدم تحديث صغار الصحابة بوجود كبارهم رضي الله تعالى عنهم.

لقد أعطوا من بعدهم درسين في التواضع، والأدب مع الكبار. ووجد هذا في حياة النبي الكريم ﷺ كما وُجد بعده، أذكر مثالاً لكلٍّ منهما.

* عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: كنا عند رسول الله ﷺ [فأُتي بجُمَّار] فقال: (أخبروني بشجرة تشبه-أو كالرجل-المسلم، لا يتحاتُّ ورقُها، ولا، ولا، ولا، ولا، تُؤتي أكلها كل حين) [فوقع الناس في شجر البوادي].

قال ابن عمر: فوقع في نفسي أنها النخلة، ورأيتُ أبا بكر وعمر لا يتكلَّمان [وفي لفظ: فجعلتُ أريد أن أقولها، فإذا أسنانُ القوم] فكرهتُ أن أتكلم. فلما لم يقولوا شيئاً [وفي رواية: ثم قالوا حدِّثنا ما هي يا رسول الله] قال رسول الله ﷺ: (هي النخلة).

فلما قمنا قلت لعمر: يا أبتاه؛ والله لقد كان وقع في نفسي أنها النخلة. فقال: ما منعك أن تكلَّم؟ قال: لم أركم تكلَّمون، فكرهتُ أن أتكلّم، أو أقولَ شيئاً. قال عمر: لأن تكونَ قلتَها أحبُّ إليَّ من كذا وكذا. متفق عليه(١٢٤٤).

= ١١١) (٣: ٣١٤) والمحدث الفاصل (٥٤٩-٥٥٠) والبحر الزخار (٥: ٢٤٨-٢٤٩) والمعجم الكبير (٩: ١٢٩-١٣٣من طرق) ومسند الشاشي (٢: ١٢٩-١٣١) والشفا (٢: ٥٩٩-٦٠٠) وشرحه لملا علي القاري، والإلماع (١٧٦-١٧٧) وجامع بيان العلم (١: ٧٩) ومصباح الزجاجة (١: ٧).

(١٢٤٤) صحيح البخاري: كتاب التفسير: سورة إبراهيم عليه السلام: باب قوله: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب صفات المنافقين: باب مثل المؤمن مثل النخلة، رقم (٦٣-٦٤).

فالذي منعه رضي الله تعالى عنه أن يقول: وجود المسنين من الصحابة وعلى رأسهم أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنه.

* وعن سَمُرة بن جُنْدُب رضي الله تعالى عنه قال: لقد كنتُ على عهد رسول الله ﷺ غلاماً، فكنتُ أحفظُ عنه. فما يمنعني من القول إلاّ أنّ ههنا رجالاً هم أسنُّ مني. وقد صلَّيتُ وراء رسول الله ﷺ على امرأة ماتت في نفاسها. فقام عليها رسول الله ﷺ في الصلاة وسطها. متفق عليه، واللفظ لمسلم(١٢٤٥).

ب- الإكثار من الرواية:

وعلى رأس هؤلاء: أبو هريرة، وابن عُمر، وأنس، وجابر، وعائشة، وأبو سعيد،... في آخرين رضي الله تعالى عنهم. والذي حملهم على الإكثار أمور كثيرة، منها:

١- خشية كتم العلم، فيدخلون تحت المحظور.

* عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من كتم علماً علَّمه الله أَلجمه الله بلجام من نار يوم القيامة). رواه الطَّيالِسي وأحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجَه والحاكم وابن حِبّان وغيرهم.

وهو مروي عن عدد كبير من الصحابة رضي الله تعالى عنهم. وقد سبق ذكره وتخريجه في الفصل الماضي.

(١٢٤٥) صحيح البخاري: كتاب الحيض: باب الصلاة على النفساء وسنتها، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الجنائز: باب أين يقوم الإمام من الميت للصلاة عليه، رقم (٨٨).

٢- خشية الوقوع في الإثم، لوقوعهم تحت طائلة النهي.

* عن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه قال: والله لأُحدِّثَنَّكم حديثاً، لولا آيةٌ في كتاب الله ما حدَّثْتُكم. إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (لا يتوضّأ رجلٌ مسلمٌ فيُحسن الوضوءَ، فيصلّي صلاةً؛ إلاّ غَفر الله له ما بينه وبين الصلاة التي تليها). رواه مسلم[١٢٤٦].

* وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: إن الناس يقولون أكثر أبو هريرة، ولولا آيتان في كتاب الله ما حدَّثتُ حديثاً، ثم يتلو: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفقُ بالأسواق، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العملُ في أموالهم، وإن أبا هريرة كان يلزم رسولَ الله ﷺ بشبع بطنه، ويحضر ما لا يحضرون، ويحفظ ما لا يحفظون. متفق عليه[١٢٤٧].

* عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، أن النبيَّ ﷺ -ومعاذٌ رديفُه على الرَّحْل- قال: (يا معاذ بنَ جبل) قال: لبيك يا رسول الله وسعديك. قال: (يا معاذُ) قال: لبيك يا رسول الله وسعديك (ثلاثاً) قال: (ما من أحد يشهد أن لا إله إلاّ الله، وأن محمداً رسولُ الله صدقاً من قلبه؛ إلاّ حرَّمه الله على النار) قال: يا رسول الله؛ أفلا أخبرُ به الناس فيستبشروا؟ قال: (إذاً

(١٢٤٦) صحيح مسلم: كتاب الطهارة: باب فضل الوضوء والصلاة عقبه، رقم (٥).

(١٢٤٧) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب حفظ العلم، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل أبي هريرة الدوسي رضي الله تعالى عنه، رقم (١٥٩-١٦٠).

يتَّكِلوا) وأخبر بها معاذٌ عند موته تأثُّماً. رواه البخاري[١٢٤٨]. ورواه مسلم من حديث أنس عن معاذ رضي الله تعالى عنهما، من غير الجملة الأخيرة.

* وعن أبي أيوب رضي الله تعالى عنه، أنه قال -حين حضرته الوفاة-: كنتُ كتمتُ عنكم شيئاً سمعتُه من رسول الله ﷺ. سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (لولا أنكم تذنبون لخلق الله خلقاً يُذنبون، يغفر لهم). رواه مسلم[١٢٤٩].

* وعن عثمان رضي الله تعالى عنه قال -على المنبر- أيها الناس، إني كتمتُكم حديثاً سمعتُه من رسول الله ﷺ، كراهية تفرّقكم عني، ثم بدا لي أن أحدِّثكموه، ليختار امرؤ لنفسه ما بدا له. سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (رباطُ يومٍ في سبيل الله خيرٌ من ألف يومٍ فيما سواه من المنازل). رواه الطَّيالِسي وابن أبي شيبة وعبد بن حُميد وأحمد والدّارِمي والنَّسائي وابن ماجَه والبَزّار، وصححه الترمذي وابن حِبّان والحاكم[١٢٥٠].

(١٢٤٨) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا. وصحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، رقم (٤٨).

(١٢٤٩) صحيح مسلم: كتاب التوبة: باب سقوط الذنوب بالاستغفار، رقم (٩-١٠).

(١٢٥٠) مسند الطَّيالِسي (١٥رقم ٨٧) ومصنف ابن أبي شيبة (٥: ٣٢٧) ومسند عبد بن حُميد (رقم٥١) ومسند أحمد (١: ٦١، ٦٢، ٦٤-٦٥، ٦٥، ٦٦، ٧٥) وسنن الدّارِمي (٢: ١٣) والجهاد لابن أبي عاصم (٢: ٦٨٥، ٦٨٦) وسنن الترمذي: كتاب الجهاد: باب ما جاء في فضل المرابط، رقم (١٦٦٧) وسنن النَّسائي: كتاب الجهاد: باب فضل الرباط (٦: ٣٩-٤٠) وسنن ابن ماجَه: كتاب الجهاد: باب فضل الرباط في سبيل الله، رقم =

٣- طول أعمارهم بالنسبة للصحابة الآخرين رضي الله تعالى عنهم.

إن الصحابة المكثرين رضي الله تعالى عنه قد طالت حياهم، فغالبهم ممن تُوُفّي بين الستين إلى التسعين من الهجرة، فعائشة (٥٧) وأبو هريرة (٥٩) وأبو سعيد (٦٣- ٦٥، ٧٤) وابن عمر (٧٣) وجابر (٧٨) وأنس (٩٣) رضي الله تعالى عنهم.

فإذا ما قورن بين عُمُر آخر من مات من الطرفين نجد الفارق أكثر من خمسين سنة، ولا شك قد جدّت أمور، وحصلت تغيرات، ووُجدت مشاكل، وكلها تحتاج إلى معرفة حكمها، لذا صار الناس بحاجة شديدة لما عندهم.

٤- الحاجة الماسة إليهم، وإلى ما عندهم من العلم.

لما أسلم كثير من الناس، وانتقل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم إلى مختلف الأقطار، من شمال الأرض-في تركستان الغربي-حتى شرق الأرض-حدود الصين وأفغانستان-إلى المغرب العربي، وجنوب شرق أفريقيا، إضافة إلى بلاد الشام والعراق، احتاج الناس إلى ما عندهم، إضافة إلى ما أُخذ عليهم من التبليغ، فحصل الأمر من الجانبين: رغبتهم في التبليغ، وحرص التابعين على ما عندهم من العلم.

خاصة وإن أغلب تلك البلاد كانت تدين بديانات مخالفة للإسلام، ولها عادات وتقاليد مغايرة، مما حدا بالصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم إلى

= (٢٧٦٦) والبحر الزخار (٢: ٦٣) وصحيح ابن حبّان (١٠: ٤٦٩-٤٧٠) والمستدرك (٢: ٦٨، ١٤٣) والسنن الكبرى للبيهقي (٩: ٣٩، ١٦١) وانظر تحفة الأشراف (٧: ٢٦٩) وتهذيب الكمال (٣٣: ٤٢١) ففيهما نسبة التحسين للترمذي، ولعله اختلاف نسخ.

تبيان حكم الله تعالى وحكم رسوله الكريم ﷺ في كلّ مسألة. كما أن أهالي تلك البلاد هم في غاية الشوق لمعرفة أحكام هذا الدين.

٥- استقرار الأوضاع السياسية بعد الانتهاء من حروب الردّة وفتوح بلاد الشام والعراق.

بعد القضاء على فتنة الردة، وبعد فتح بلاد الشام والعراق ومصر وما جاور ذلك: استقرت الأوضاع، لذا انعكف الناس على العلم.

٦- الأمور التي جدّت بعد الفتوحات، مما احتاج الناس إلى معرفة حكم الله تعالى وحكم رسوله الكريم ﷺ. سواء كانت في العقائد أو في العبادات أو في المعاملات أو في الأحكام الخاصة أو العامة.

٧- ظهور المذاهب والفرق والكذب في أواخر عهد الصحابة رضي الله تعالى عنهم، مما جعل الصادقين المخلصين -حتى المقلين ممن أدرك ذلك الزمن- يدافعون عن السنة، بذكر ما سمعوه من رسول الله ﷺ، لذا كثرت رواياتهم.

- ذلك أن الشيعة ظهروا في زمن سيدنا علي رضي الله تعالى عنه، وأن الخوارج ظهروا في زمنه، لأنهم انشقوا عليه بعد طلب التحكيم، وأن القَدَرية ظهروا في زمن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، إضافة إلى ظهور طائفة من الغلاة، صار أغلبهم من الخوارج بعد فترة، وظهور بعض المخالفين،... وهكذا، وأذكر أربعة أحاديث كنماذج في ذلك.

* عن عَمْرِو بن سَلِمَة رحمه الله تعالى قال: كنا نجلس على باب عبد الله ابن مسعود قبل صلاة الغداة، فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد. فجاءنا أبو

موسى الأشعري فقال: أخرجَ إليكم أبو عبد الرحمن بعدُ؟ قلنا: لا، فجلس معنا حتى خرج. فلما خرج قمنا إليه جميعاً. فقال له أبو موسى: يا أبا عبد الرحمن؛ إني رأيتُ في المسجد آنفاً أمراً أنكرتُه، و لم أر-والحمد لله-إلاّ خيراً. قال: فما هو؟ فقال: إن عشتَ فستراه.

قال: رأيتُ في المسجد قوماً حِلقاً جلوساً ينتظرون الصلاة، في كلّ حلقة رجلٌ، وفي أيديهم حصى. فيقول: كبِّروا مائةً، فيكبِّرون مائة. فيقول: هلِّلوا مائةً، فيهلِّلون مائةً. ويقول: سبِّحوا مائةً، فيسبِّحون مائةً.

قال: فماذا قلتَ لهم؟ قال: ما قلتُ لهم شيئاً انتظارَ رأيك-أو انتظارَ أمرك-قال: أفلا أمرتَهم أن يعُدُّوا سيئاتهم، وضمنتَ لهم أن لا يُضيَّع من حسنتاهم؟

ثم مضى، ومضينا معه حتى أتى حلقةً من تلك الحلق. فوقف عليهم فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن؛ حصى نعُدُّ به التكبير والتهليلَ والتسبيح. قال: فعُدُّوا سيئاتكم، فأنا ضامنٌ أن لا يضيع من حسناتكم شيء. ويحكم يا أمة محمد؛ ما أسرع هلكتكم. هؤلاء صحابةُ نبيكم ﷺ متوافرون، وهذه ثيابُه لم تبل، وآنيتُه لم تكسر. والذي نفسي بيده، إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد، أو مفتتحوا بابَ ضلالة؟ قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن؛ ما أردنا إلاّ الخير. قال: وكم من مريدٍ للخير لن يصيبه.

إن رسول الله ﷺ حدّثنا: (أن قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم) وايم الله، ما أدري لعل أكثرَهم منكم.ثم تولّى عنهم.

فقال عَمْرُو بنُ سَلِمة: رأينا عامَّةَ أولئك الحلق يطاعنونا يوم النهروان مع الخوارج. رواه الدّارِمي-وهذا لفظه-ورواه عبد الرزاق وابن أبي شيبة والطبراني من طرق هو بها حسن(١٢٥١).

* وجاء من وجه آخر عند عبد الرزاق: فجاء عبد الله متقنّعاً، فقال: من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا عبد الله بن مسعود،...

* وعن مسروق رحمه الله تعالى قال: جاء إلى عبد الله [بن مسعود رضي الله تعالى عنه] رجلٌ فقال: تركتُ في المسجد رجلاً يفسِّر القرآنَ برأيه، يفسّر هذه الآية ﴿يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾(١٢٥٢). قال: يأتي الناسَ يومَ القيامة دخانٌ فيأخذُ بأنفاسهم حتى يأخذَهم منه كهيئة الزكام.

فقال عبدُ الله: مَن علم علماً فليقل به. ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم. فإن من فقه الرجل أن يقول لما لا علم له به: الله أعلم.

إنما كان هذا؛ أن قريشاً لما استعصت على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم قحطٌ وجَهدٌ؛ حتى جعل الرجلُ ينظرُ إلى السماء، فيرى بينه وبينها كهيئة الدخان من الجَهد، وحتى أكلوا العظام، فأتى النبيَّ ﷺ رجلٌ، فقال: يا رسول الله؛ استغفر الله لمضر.

[وفي رواية لهما: فأتاه أبو سفيان فقال: أي محمد، إن قومك قد هلكوا، فادع الله أن يكشف عنهم.

(١٢٥١) مصنف عبد الرزاق (٣: ٢٢١-٢٢٢) ومصنف ابن أبي شيبة (١٥: ٣٠٦) وسنن الدّارِمي (١: ٦٠-٦١) والمعجم الكبير (٩: ١٣٣-١٣٦) ومجمع الزوائد (١: ١٨١).

(١٢٥٢) سورة الدخان (١٠).

وفي رواية أخرى عند البخاري: يا رسول الله؛ استسق لمضر؛ فإنها قد هلكت] فقال: (لمضر؟ إنك لجريء) قال: فدعا الله لهم، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾[1253].

قال: فمُطِروا [وفي رواية للبخاري: فاستسقى، فسُقوا]... الحديث، متفق عليه[1254].

* وعن يحيى بن يَعْمَر قال: كان أولَ من قال في القَدَر بالبصرة: مَعبَدٌ الجهنيُّ. فانطلقت أنا وحُميد بنُ عبد الرحمن الحِميريُّ حاجَّين أو معتمرين، فقلنا: لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ، فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر. فوُفِّق لنا عبدُ الله بن عمر بن الخطاب داخلاً المسجد. فاكتفته أنا وصاحبي، أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله. فظننت أن صاحبي سيكلُ الكلامَ إليّ. فقلت: أبا عبد الرحمن، إنه قد ظهر قِبَلَنا ناسٌ يقرؤون القرآن، ويتقفّرون العلم-وذكر من شأنهم-وأنهم يزعمون: أن لا قَدَر، وأن الأَمْرَ أُنُفٌ. قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم بُرآءُ مني. والذي يحلف به عبدُ الله بن عمر، لو أن لأحدهم مثلَ أُحُد ذهباً فأنفقه ما قَبِلَ الله منه حتى يؤمن بالقدر.

ثم قال: حدثني أبي عمرُ بن الخطاب قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم؛ إذ طلع علينا رجلٌ؛ شديدُ بياض الثياب، شديدُ سواد الشَّعَر، لا

(١٢٥٣) سورة الدخان (١٥).

(١٢٥٤) صحيح البخاري: كتاب التفسير: سورة الدخان: من الباب الثاني حتى الخامس، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب صفات المنافقين: باب الدخان، رقم (٣٩، ٤٠).

يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ. فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع يديه على فخذيه.

وقال: يا محمد؛ أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله ﷺ: (الإسلام أن تشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً). قال: صدقت. قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه !

قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: (أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره) قال: صدقت.

قال: فأخبرني عن الإحسان. قال: (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك).

قال: فأخبرني عن الساعة. قال: (ما المسؤول عنها بأعلم من السائل) قال: فأخبرني عن أماراهما؟ قال: (أن تلد الأمَةُ ربَّتَها، وأن ترى الحفاةَ العُراةَ العالَةَ رُعاةَ الشاء يتطاولون في البنيان).

قال: ثم انطلق. فلبثتُ ملياً ثم قال لي: (يا عمر؛ أتدري من السائل؟) قلت: الله ورسوله أعلم. قال: (فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم). رواه مسلم، وروى البخاري ومسلم نحوه من حديث أبي هريرة[١٢٥٥].

قلت: وهذه الفرقة من القدرية انقرضت، ولم يبق منها أحد، ولا يقول

(١٢٥٥) صحيح البخاري: كتاب الإيمان: باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة. وصحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى، رقم (١-٦).

بقولها أحد، وأما القدرية الموجودة بعد ذلك فهي تؤمن بهذا القدر، خلافاً لما أنكره المازري، ونبه عليه الإمام النووي رحمهم الله تعالى. كما أوضحته في شرحي لهذا الحديث.

* وعن يُسَيْر بن جابر رحمه الله تعالى قال: هاجت ريحٌ حمراءُ بالكوفة، فجاء رجلٌ ليس له هِجِّيرى إلاّ: يا عبد الله بن مسعود جاءت الساعة. قال: فقعد-وكان متكئاً-فقال: إن الساعةَ لا تقوم حتى لا يُقسم ميراثٌ، ولا يُفرحَ بغنيمةٍ. ثم قال هكذا (ونحَّاها نحو الشام) فقال: عدوٌّ يَجمعون لأهل الإسلام، ويَجمع لهم أهلُ الإسلام. قلت: الروم تعني؟ قال: نعم. وتكون عند ذلكم القتال رَدَّةٌ شديدة [أي عطفةٌ قوية على الكفار] فيشترط المسلمون شُرطةً للموت لا ترجع إلاّ غالبةً. فيقتتلون حتى يَحجز بينهم الليل، فيفيءُ هؤلاء وهؤلاء؛ كلٌّ غيرُ غالب، وتفنى الشُّرطةُ. ثم يشترط المسلمون شُرطةً للموت لا ترجع إلاّ غالبةً، فيقتتلون، حتى يَحجز بينهم الليلُ، فيفيء هؤلاء وهؤلاء، كلٌّ غيرُ غالب، وتفنى الشُرطةُ، ثم يشترط المسلمون شُرطةً للموت، لا ترجع إلاّ غالبةً، فيقتتلون حتى يمسوا، فيفيء هؤلاء وهؤلاء، كلٌّ غيرُ غالب، وتفنى الشُّرطةُ. فإذا كان اليومُ الرابع نهد إليهم بقيّةُ أهل الإسلام. فيجعل الله الدَّبْرَةَ [أي الهزيمةَ] عليهم، فيقتتلون مقتلةً -إما قال: لا يُرى مثلُها، وإما قال: لم يُر مثلُها- حتى إن الطائرَ ليمرُّ بجنباتهم، فما يُخلِّفهم حتى يَخرَّ ميتاً، فيتعادُّ بنو الأب، كانوا مائةً فلا يجدونه بقي منهم إلاّ الرجلُ الواحدُ، فبأي غنيمة يُفرح؟ أو أيِّ ميراث يقسم؟

فبينا هم كذلك إذ سمعوا ببأس هو أكبر من ذلك، فجاءهم الصريخ: إن

الدجالَ قد خلفهم في ذراريهم، فيرفضون ما بأيديهم، ويُقبلون، فيبعثون عشَرةَ فوارسَ طليعةً. قال رسول الله ﷺ: (إني لأعرف أسماءَهم، وأسماءَ آبائهم، وألوانَ خيولهم، هم خيرُ فوارس على ظهر الأرض يومئذ، أو من خير فوارسَ على ظهر الأرض يومئذٍ). رواه مسلم(١٢٥٦).

٨- تثبُّتهم في رواياهم عن النبي المصطفى الكريم ﷺ.

وخير من يمثل ذلك أبو هريرة رضي الله تعالى عنه، فقد بيّن رسول الله ﷺ عنه شدة حرصه على حديثه ﷺ، لذا دعا ﷺ له بقوة الحفظ، وعدم النسيان، فاستجاب الله تعالى لرسوله الكريم ﷺ فيه، فصار أحفظَ أهلِ زمانه، وهذا ما شهد الصحابة رضي الله تعالى عنهم له بقوة حفظه وضبطه.

سبب قوة حفظ أبي هريرة رضي الله تعالى عنه:

وأذكر بعض الأدلة على سبب قوة حفظه وضبطه رضي الله تعالى عنه.

* عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال: قلت: يا رسول الله؛ من أسعدُ الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال: (لقد ظننتُ يا أبا هريرة أن لا يسألَني عن هذا الحديث أحدٌ أولَ منك، لِما رأيتُ من حرصك على الحديث. أسعدُ الناس بشفاعتي يومَ القيامة من قال: لا إله إلا الله، خالصاً من قبل نفسه). رواه البخاري(١٢٥٧).

* وعنه رضي الله تعالى عنه قال: قلت يا رسول الله؛ إني أسمع منك

(١٢٥٦) صحيح مسلم: كتاب الفتن: باب إقبال الروم في كثرة القتل عند خروج الدجال، رقم (٣٧).

(١٢٥٧) صحيح البخاري: كتاب الرقاق: باب صفة الجنة والنار، وفي غيرهما.

حديثاً كثيراً أنساه. قال: (ابسط رداءَكَ) قال: فغرف بيديه، ثم قال: (ضُمَّه) فضممتُه، فما نسيتُ شيئاً بعده. لفظ البخاري[(١٢٥٨)].

* وعنه رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ يوماً: (أيكم يبسط ثوبَه فيأخذَ من حديثي هذا، ثم يجمعه إلى صدره، فإنه لم ينسَ شيئاً سمعه) [وفي رواية (من يبسط ثوبه فلن ينسى شيئاً سمعه مني)] فبسطت بردةً عليَّ، حتى فرغ من حديثه، ثم جمعتُها إلى صدري، فما نسيتُ بعد ذلك اليوم شيئاً حدَّثني به-وفي رواية: فوالذي بعثه بالحق، ما نسيت شيئاً سمعتُه منه. متفق عليه[(١٢٥٩)].

ولهذا الحديث طرق متعددة وألفاظ مختلفة، اقتصرت على واحدة.

وقوله: (شيئاً) نكرة في سياق النفي، وهي ظاهرة في العموم، في عدم النسيان منه لكل شيء، من الحديث وغيره، كما نبه الحافظ رحمه الله تعالى.

كما أن دلالة هذا الحديث وغيره تعتبر معجزةً للنبي الكريم ﷺ، حيث إن قوة حفظ أبي هريرة رضي الله تعالى عنه كانت بسبب دعاء النبي المصطفى الكريم ﷺ، وإفراغه في ردائه، وتأمينه ﷺ على دعائه، حتى صار لا ينسى شيئاً يسمعه من رسول الله ﷺ، والله تعالى أعلم.

* وعنه رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (ألا تسألُني من

(١٢٥٨) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب حفظ العلم.

(١٢٥٩) صحيح البخاري: كتاب الاعتصام: باب الحجة على من قال إن أحكام النبيِّ ﷺ كانت ظاهرة،... وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل أبي هريرة الدوسي رضي الله تعالى عنه، رقم (٢٤٩٢).

هذه الغنائم التي يسألني أصحابُك؟) قلت: أسألك أن تعلّمَني مما علّمك الله. قال: فنـزع نمرةً كانت على ظهري، فبسطها بيني وبينه، حتى كأني أنظر إلى القمل يدبُّ عليها، فحدَّثني، حتى إذا استوعبتُ حديثه، قال: (اجمعها، فصرها إليك) فأصبحتُ لا أُسقط حرفاً مما حدَّثني. رواه أبو نعيم ومن طريقه ابن عساكر برجال ثقات(١٢٦٠).

* وعن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه -وقد أتاه رجل يسأله عن شيء- فقال: عليك أبا هريرة، فإني بينما أنا وأبو هريرة وفلان في المسجد ذاتَ يوم ندعو الله، ونذكر ربَّنا، خرج علينا رسول الله ﷺ، حتى جلس إلينا، فسكتنا، فقال: (عودوا للذي كنتم فيه) قال زيد: فدعوتُ أنا وصاحبي قبل أبي هريرة، وجعل رسول الله ﷺ يؤمِّن على دعائنا.

ثم دعا أبو هريرة فقال: اللهم إني أسألك مثلَ ما سألك صاحباي، وأسألك علماً لا يُنسى. فقال رسول الله ﷺ: (آمين) فقلنا: يا رسول الله؛ ونحن نسأل الله علماً لا يُنسى، فقال: (سبقكم بها الغلامُ الدوسيُّ). رواه النَّسائي والطبراني، ورواه الحاكم من وجه آخر، وجوَّد الحافظ رواية النَّسائي، فهو به حسن(١٢٦١).

(١٢٦٠) حلية الأولياء (١: ٣٨١) وتاريخ دمشق (٦٧: ٣٢٨-٣٢٩) وسير أعلام النبلاء (٢: ٥٩٤) ومختصر تاريخ دمشق لابن منظور (٢٩: ١٨٧).

(١٢٦١) السنن الكبرى: كتاب العلم: باب مسألة علم لا ينسى (٣: ٤٤٠-٤٤١) والمعجم الأوسط (٢: ٥٤) والمستدرك (٣: ٥٠٨) ومجمع البحرين (٦: ٣٩٥-٣٩٦) ومجمع الزوائد (٩: ٣٦١) وتاريخ دمشق (٦٧: ٣٣٥) وسير أعلام النبلاء (٢: ٦٠٦) وانظر الإصابة (٧: ٤٣٨).

* لذا شهد الصحابة رضي الله تعالى عنهم له رضي الله تعالى عنه بأنه: أشد ملازمة لرسول الله ﷺ والأخذ عنه، وأنه أعلمهم بحديث رسول الله ﷺ، وأحفظهم له. وسلَّموا له بذلك، كما شهد التابعون رحمهم الله تعالى له بأنه أحفظ أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله تعالى عنهم.

* عن عبد الله بن عُمَر رضي الله تعالى عنهما -في حديث الأجر في اتباع الجنائز، وموافقة السيدة عائشة لأبي هريرة رضي الله تعالى عنهما، وفي آخره-قال عبد الله بن عُمر رضي الله تعالى عنهما: كنتَ ألزمَنا لرسول الله ﷺ، وأعلَمنا بحديثه وأحفظَنا له. رواه أحمد بإسناد صحيح، والترمذي وحسنه، وصححه الحاكم وأقره الذهبي، وقال في السير: رجاله ثقات، وجوّد الحافظ إسناده(١٢٦٢). وأصل الحديث في الصحيحين.

* وعن مالك بن أبي عامر قال: كنت عند طلحة بن عُبيد الله رضي الله تعالى عنه، فدخل عليه رجل فقال: يا أبا محمد؛ والله ما ندري هذا اليماني أعلم برسول الله ﷺ أم أنتم؟... فقال طلحةُ: والله ما نشك أنه سمع من رسول الله ﷺ ما لم نسمع، وعلم ما لم نعلم. كنا قوماً أغنياء، لنا بيوت وأهلون، كنا نأتي نبي الله ﷺ طرفي النهار، ثم نرجع، وكان أبو هريرة رضي الله تعالى عنه مسكيناً؛ لا مال له ولا أهل ولا ولد، إنما كانت يده مع يد

(١٢٦٢) مسند أحمد (٢: ٣) وسنن الترمذي: كتاب المناقب: باب مناقب لأبي هريرة رضي الله تعالى عنه، رقم (٣٨٣٦) والمستدرك (٣: ٥١٠-٥١١) وتاريخ دمشق (٦٧: ٣٤٧) وسير أعلام النبلاء (٢: ٦١٦-٦١٧) والإصابة (٧: ٤٣٩-٤٤٠).

النبي ﷺ، وكان يدور معه حيث دار، ولا نشك أنه قد علم ما لم نعلم، وسمع ما لم نسمع، ولم يتهمه أحدٌ منا أنه تقوَّل على رسول الله ﷺ ما لم يقل. رواه الترمذي وحسنه، والحاكم وصححه وأقره الذهبي(١٢٦٣).

وأذكر حادثة تدل على نفس المعنى، وإن كانت دون الأولى في القوة.

* فعن محمد بن عمارة بن عمرو بن حزم رحمه الله تعالى، أنه قعد في مجلس فيه أبو هريرة، وفيه مشيخةٌ من أصحاب النبي ﷺ [كثير] -بضعة عشر رجلاً- فجعل أبو هريرة يحدِّثهم عن النبي ﷺ [بالحديث] فلا يعرفه بعضُهم، ثم يتراجعون فيه، فيعرفه بعضُهم، ثم يحدِّثُهم [بالحديث] ولا يعرفه بعضُهم، ثم يعرفه، حتى فعل ذلك مراراً.

[قال]: فعرفت يومئذ أن أبا هريرة أحفظُ الناس عن النبي ﷺ. رواه البخاري في تاريخه، والحاكم في المستدرك(١٢٦٤).

وكل هذا يدل على مدى حفظه رضي الله تعالى عنه فيما يروي، وضبطه وإتقانه، وتأكده من صحة ما ينسبه إلى رسول الله ﷺ، والله تعالى أعلم.

* لذا قال أبو صالح السمان رحمه الله تعالى: أبو هريرة أحفظ أصحاب النبي ﷺ(١٢٦٥).اهـ.

(١٢٦٣) سنن الترمذي: في الكتاب والباب السابقين، رقم (٣٨٣٧) والمستدرك (٣: ٥١١-٥١٢) وتاريخ دمشق (٦٧: ٣٥٦، ٣٥٧) والإصابة (٧: ٤٣٨).

(١٢٦٤) التاريخ الكبير (١: ١٨٦-١٨٧) والمستدرك (٣: ٥١١) وتاريخ دمشق (٦٧: ٣٣٩) وسير أعلام النبلاء (٢: ٦١٧).

(١٢٦٥) تاريخ دمشق (٦٧: ٣٣٩) وسير أعلام النبلاء (٢: ٥٩٧) والإصابة (٧: ٤٣٢-٤٣٣)

* قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: أبو هريرة أحفظ من روى الحديثَ في دهره[١٢٦٦].اهـ.

* قال أبو أحمد الحاكم رحمه الله تعالى: كان من أحفظ أصحاب رسول الله ﷺ، وألزمهم له صحبةً على شبع بطنه، فكانت يده مع يده؛ يدور معه حيث دار إلى أن مات، ولذلك كثُر حديثُه[١٢٦٧].اهـ.

* قال أبو نُعيم رحمه الله تعالى: كان أحفظَ الصحابة لأخبار رسول الله ﷺ، ودعا له[١٢٦٨]،...اهـ.

وقد ثبت من قوة حفظ أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، ما يحير الألباب ويُسلِّم له، فقد حدَّث بالحديث سنة كاملة-وهو لا يعلم أنهم يكتبون عنه-ثم أعاد ما نُقل عنه فلم يخرم حرفاً.

* عن أبي زُعيزعة-كاتب مروان بن الحكم-أن مروان دعا أبا هريرة، فأقعدني خلف السرير، وجعل يسأله، وجعلتُ أكتب، حتى كان على رأس الحول، دعا به، فأقعده وراء الحجاب، فجعل يسأله عن ذلك؟ فما زاد ولا نقص ولا قدّم ولا أخّر. رواه الحاكم وصححه وأقره الذهبي[١٢٦٩].

* قال الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى-معلقاً-: هكذا فليكن الحفظ.اه.

(١٢٦٦) انظر: تاريخ دمشق (٦٧: ٣٤١) وسير أعلام النبلاء (٢: ٥٨٩) والإصابة (٧: ٤٣٣).

(١٢٦٧) الإصابة (٧: ٤٣٣).

(١٢٦٨) الإصابة (٧: ٤٣٣).

(١٢٦٩) المستدرك (٣: ٥١٠) وتاريخ دمشق (٦٧: ٣٤٠، ٣٤١) وسير أعلام النبلاء (٢: ٥٩٨) والإصابة (٧: ٤٣٣).

* وقال: وأين مثل أبي هريرة رضي الله تعالى عنه في حفظه، وسعة علمه.اهـ.

* وقال أيضاً: أبو هريرة -رضي الله تعالى عنه- إليه المنتهى في حفظ ما سمعه من رسول الله ﷺ، وأدائه بحروفه(١٢٧٠).اهـ.

- منهجهم في الأداء ومظاهره.

* إن السنة النبوية موجودة عندهم جميعاً، لكن لم يحوها واحدٌ منهم، بل هم يتفاوتون كثرة وقلة في جمعها، ذلك: أن منهم من أخذها من رسول الله ﷺ مباشرة -بأي صورة من صور التلقي- ومنهم من سمعها من صحابيٍّ آخر سمعها بدوره من رسول الله ﷺ.

كما أن الصحابة رضي الله تعالى عنه سمعوا حثَّه ﷺ على التبليغ-وقد سبق ذكر بعض الأحاديث، كقوله ﷺ: (تَسمَعون، ويُسمَعُ منكم، ويُسمَع ممن يُسمَع منكم). رواه أحمد وأبو داود، وصححه ابن حِبّان والحاكم.

وقوله ﷺ: (ليبلغ الشاهدُ الغائبَ). متفق عليه، عن عدد من الصحابة.

وقوله ﷺ: (بلِّغوا عني ولو آية،...). الحديث، رواه البخاري.

وقوله ﷺ: (نضَّر الله عبداً سمع مقالتي، فحفظها، ووعاها، وأداها). الحديث، رواه الشافعي والحُمَيْدي وأحمد في آخرين، وصححه الترمذي وابن حِبّان.

فما منهجهم في الأداء؟ وما هي المظاهر التي ظهر بها تبليغهم وأداؤهم؟

إن المتمعّن في سيرة الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم، وعنايتهم بالسنة النبوية الشريفة، يراها قد ظهرت بثلاثة أمور: التحديث، وكتابة

(١٢٧٠) سير أعلام النبلاء (٢: ٦٠٩، ٦١٩).

بعضهم إلى بعض، والتدوين. وأشير إلى هذه المظاهر الثلاثة:

أولاً: التحديث:

لقد كان التحديث هو الغالب عليهم، سواء كان بشكل فردي، أو إجابة على أسئلة، أو استفسار عن حديث، ومعرفة ما كان عليه رسول الله ﷺ، أو خطب-سواء للخلفاء أو الأمراء أو العلماء،...أو دروس منتظمة، أو حلقات، سواء كانت منتظمة أو اتفاقاً،... أو نحو ذلك، وأذكر بعض الأمثلة كنماذج في ذلك:

- سؤال بعضهم عما لا يعرفون من سنة النبيِّ الكريم ﷺ.

ومن ذلك: سؤال بعضهم بعضاً عما لا يعرفون من حديث رسول الله ﷺ حتى يعرفوه، وقد يكون سؤالهم لمعرفة من يحفظ ذلك، أو ليتأكد من حفظه هو وضبطه،... أو نحو ذلك، والنصوص كثيرة، منها:

* عن عمرَ بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، أنه سأل أبا واقد الليثي رضي الله تعالى عنه: ما كان رسول الله ﷺ يقرأ به في الأضحى والفطر؟ فقال: كان يقرأ فيهما بـ ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ و﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾. رواه مسلم[١٢٧١].

* وعن إياس بن أبي رملة رحمه الله تعالى قال: شهدتُ معاوية يسأل زيدَ بن أرقم: شهدتَ مع رسول الله ﷺ عيدين اجتمعا في يوم؟ قال: نعم. قال: صلّى العيدَ أولَ النهار، ثم رخَّص في الجمعة، فقال: (من شاء أن يجمِّعَ

(١٢٧١) صحيح مسلم: كتاب صلاة العيد: باب ما يقرأ به في صلاة العيد، رقم (١٤-١٥).

فليُجمِّعْ). رواه الطَّيالِسي وابن أبي شيبة وأحمد والدّارِمي وأبو داود والنَّسائي وابن ماجَه والفسوي والطحاوي والطبراني والبيهقي، وصححه ابن المديني وابن خزيمة والحاكم وأقره الذهبي[1272]. وللحديث شواهد عدة بمثله، عن أبي هريرة وابن عباس وابن الزبير،... رضي الله تعالى عنهم.

* وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قدم زيدُ بن أرقم، فقال له عبدُ الله بنُ عباس -يستذكرُه-: كيف أخبرتَني عن لحم صيدٍ أُهدِي إلى رسول الله ﷺ وهو حرام؟ قال: قال أُهدِي له عُضوٌ من لحمِ صيدٍ فردَّه. فقال: (إنّا لا نأكلُه. إنّا حُرُمٌ). رواه مسلم[1273].

* وعن عامر بن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنهما، عن أبيه، أنه سمعه يسأل أسامةَ بنَ زيد -رضي الله تعالى عنهما- ماذا سمعتَ من رسول الله ﷺ في الطاعون؟ فقال أسامة: قال رسول الله ﷺ: (الطاعونُ رجزٌ -أو عذابٌ- أُرسل على بني إسرائيل، أو على من قبلكم. فإذا سمعتُم به

(١٢٧٢) مسند الطَّيالِسي (رقم٦٨٥) ومصنف ابن أبي شيبة (٢: ١٨٨) ومسند أحمد (٤: ٣٧٢) وسنن الدّارِمي (١: ٣١٦-٣١٧) وسنن أبي داود: كتاب الصلاة: باب إذا وافق يوم الجمعة يوم عيد، رقم (١٠٧٠) وسنن النَّسائي: كتاب صلاة العيدين: باب الرخصة في التخلف عن الجمعة لمن شهد العيد (٣: ١٩٤) والسنن الكبرى له (١: ٥٥١-٥٥٢) وسنن ابن ماجَه: كتاب إقامة الصلاة: باب ما جاء فيما إذا اجتمع العيدان في يوم، رقم (١٣١٠) والمعرفة والتاريخ (١: ٣٠٣) وشرح مشكل الآثار (١: ١٨٦، ١٨٧) والمعجم الكبير (١: ٢٣٨) وصحيح ابن خزيمة (٢: ٣٥٩) والمستدرك (١: ٢٨٨) والسنن الكبرى للبيهقي (٣: ٣١٧) ومعرفة السنن والآثار (٥: ١١٦) والتلخيص الحبير (٢: ٨٨).

(١٢٧٣) صحيح مسلم: كتاب الحج: باب تحريم الصيد للمحرم، رقم (٥٥).

بأرض، فلا تقدَموا عليه. وإذا وقع بأرض وأنتم بها، فلا تخرجوا فراراً منه). متفق عليه(١٢٧٤).

* وعن ربعي بن حِراش رحمه الله تعالى قال: قال عقبةُ بنُ عَمْرو لحُذَيْفَة: ألا تحدِّثنا ما سمعتَ من رسول الله ﷺ؟ قال: إني سمعتُه يقول: (إن مع الدّجّال-إذا خرج-ماءً وناراً؛ فأما الذي يَرى الناسُ أنها النارُ فماءٌ باردٌ. وأما الذي يَرى الناسُ أنه ماءٌ باردٌ فنارٌ تحرق. فمن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يَرى أنها نارٌ، فإنه عذبٌ باردٌ).

قال حُذَيْفَة: وسمعتُه يقول: (إن رجلاً كان فيمن قبلكم، أتاه الملَكُ ليقبضَ روحَه. فقيل له: هل عملتَ من خير؟ قال: ما أعلم. قيل له: انظر. قال: ما أعلم شيئاً، غير أني كنتُ أُبايعُ الناسَ في الدنيا، فأُجازيهم، فأُنظرُ الموسرَ وأتجاوز عن المعسر. فأدخله الله الجنة).

فقال: وسمعتُه يقول: (إن رجلاً حضره الموتُ، فلما يئس من الحياة أوصى أهلَه؛ إذا أنا مُتُّ فاجمعوا لي حطباً كثيراً وأوقدوا فيه ناراً، حتى إذا أكلت لحمي وخَلَصت إلى عظمي فامتَحَشت. فخذوها فاطحنوها. ثم انظروا يوماً راحاً، فاذروه في اليم. ففعلوا. فجمعه. فقال له: لِمَ فعلت ذلك؟ قال: من خشيتك. فغفر الله له).

قال عقبة: وأنا سمعته يقول ذلك. وكان نبّاشاً. متفق عليه، واللفظ للبخاري(١٢٧٥).

(١٢٧٤) صحيح البخاري: كتاب الأنبياء: باب [٥٤] حدثنا أبو اليمان، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب السلام: باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها، رقم (٩٢، ٩٥، ٩٧).

(١٢٧٥) صحيح البخاري: كتاب الأنبياء: باب ما ذكر عن بني إسرائيل، وفي غيرهما. وصحيح =

* وعن عامر بن سعد، أن أسامة بن زيد أخبر والده سعدَ بن أبي وقاص، أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: إني أَعزل عن امرأتي. فقال له رسول الله ﷺ: (لِمَ تفعلُ ذلك؟) فقال الرجلُ: أُشفق على ولدها -أو على أولادها- فقال رسول الله ﷺ: (لو كان ذلك ضارّاً؛ ضرَّ فارسَ والروم) وفي رواية: (إن كان ذلك فلا. ما ضارَ ذلك فارس ولا الروم). رواه مسلم(١٢٧٦).

* والنصوص في هذا الباب كثيرة جدّاً، وقد سبق ذكر عدد منها.

- الزيارة بقصد الحديث والمذاكرة:

* عن وابصة بن معبد الأسدي رضي الله تعالى عنه قال: إني لبالكوفة في داري، إذ سمعتُ على باب الدار: السلام عليكم أَأَلِج؟ قلت: وعليك السلام، فَلِج. فلما دخل، إذا هو عبد الله بن مسعود. قال: فقلت: يا أبا عبد الرحمن؛ أيةُ ساعةِ زيارةٍ هذه؟ -وذلك في نحر الظهيرة- قال: طال عليَّ النهارُ، فتذكّرتُ من أتحدَّثُ إليه.

فجعل يحدِّثُ عن رسول الله ﷺ وأحدِّثُه. ثم أنشأ يحدِّثُني.

فقال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (تكون فتنةٌ؛ النائمُ فيها خيرٌ من المضطجع، والمضطجعُ فيها خيرٌ من القاعد، والقاعدُ فيها خيرٌ من القائم، والقائمُ خيرٌ من الماشي، والماشي خيرٌ من الراكب، والراكبُ خيرٌ من

= مسلم: كتاب الفتن: باب ذكر الدجال وصفة ما معه، رقم (١٠٥-١٠٨).

(١٢٧٦) صحيح مسلم: كتاب النكاح: باب جواز الغيلة، وهي وطء المرضع، وكراهة العزل، رقم (١٤٣).

الْمُجري، فتلاها كلها في النار).

قال: قلت: يا رسول الله؛ ومتى ذلك؟ قال: (أيامُ الهرج).

قلتُ: ومتى أيامُ الهرج؟ قال: (حين لا يأمنُ الرجلُ جليسَه).

قال: فبم تأمرني إن أدركتُ ذلك الزمان.

قال: (اكفف نفسَك، وادخل دارَك) قال: قلت: يا رسول الله؛ أرأيتَ إن دخل رجلٌ عليَّ داري؟ قال: (فادخل بيتَك) قال: قلت: يا رسول الله؛ أرأيتَ إن دخل عليَّ بيتي؟ قال: (فادخل مسجدَك، واصنع هكذا) وقبض بيمينه على الكوع (وقل: ربي الله، حتى تموت على ذلك). رواه عبد الرزاق وأحمد وأبو داود-مختصراً وفيه زيادة-والبَزّار والطبراني برجال ثقات، وصححه الحاكم وأقره الذهبي(١٢٧٧).

- **المجالس**:

لقد كان لبعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم حلقات في المسجد أو في البيوت، يروون بها حديثَ رسول الله ﷺ، ويتلقّاها عنهم تلاميذُهم، ومن يحضر من غيرهم.

* فعن عَمْرو بن ميمون رحمه الله تعالى قال: كنتُ لا تفوتني عشيةَ

(١٢٧٧) مصنف عبد الرزاق (١١: ٣٥٠-٣٥١) ومسند أحمد (١: ٤٤٨-٤٤٩، ٤٤٩) ونسخة أحمد شاكر (٦: ١٤١، ١٤٢) وسنن أبي داود: كتاب الفتن: باب النهي عن السعي في الفتنة، رقم (٤٢٥٨) والبحر الزخار (٤: ٢٧٦) والمعجم الكبير (١٠: ٩-١٠) والمستدرك (٣: ٣٢٠) (٤: ٤٢٦-٤٢٧) ومجمع الزوائد (٧: ٣٠١-٣٠٢) وانظر العلل للدارقطني (٥: ٢٨٠-٢٨١) وانظر مختصر أشراط الساعة، فقد ذكرت حديث أبي بكرة عند مسلم، وحديث أبي هريرة المتفق عليه، وكلاهما بنحوه.

خميس إلاّ آتي فيها عبدَ الله بنَ مسعود-رضي الله تعالى عنه-فما سمعتُه يقول لشيء قط: قال رسول الله ﷺ، حتى كانت ذاتَ ليلة فقال: قال رسول الله ﷺ. قال: فاغرورقت عيناه، وانتفخت أوداجُه، فأنا رأيتُه محلولةً أزرارُه،... رواه الطَّيالِسي وأحمد والدّارِمي وابن ماجَه بإسناد صحيح، وصححه الحاكم على شرطهما، في آخرين(١٢٧٨).

أما أبو هريرة رضي الله تعالى عنه فقد كان له أكثر من مكان في المسجد، يحدّث فيها عن رسول الله ﷺ.

* عن عاصم بن محمد عن أبيه رحمه الله تعالى قال: رأيت أبا هريرة رضي الله تعالى عنه يخرج يوم الجمعة؛ فيقبض على رمّانتي المنبر قائماً، ويقول: حدَّثنا أبو القاسم رسولُ الله الصادقُ المصدوقُ ﷺ، فلا يزال يُحدِّث، حتى إذا سمع فتح باب المقصورة لخروج الإمام للصلاة جلس. رواه الحاكم وصححه وأقره الذهبي(١٢٧٩).

* عن عروة بن الزبير رحمه الله تعالى، أن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: ألا يُعجبك أبو هريرة. جاء فجلس إلى جنب حُجرتي، يحدِّثُ

(١٢٧٨) مسند الطَّيالِسي (٤٣) وسنن الدّارِمي (١: ٧٢) و مسند أحمد (١: ٤٥٢) وسنن ابن ماجَه: المقدمة: باب التوقي في حديث رسول الله ﷺ، رقم (٢٣) والمستدرك (١: ١١١) (٣: ٣١٤) والمحدث الفاصل (٥٤٩-٥٥٠) والبحر الزخار (٥: ٢٤٨-٢٤٩) والمعجم الكبير (٩: ١٢٩-١٣٣من طرق) ومسند الشاشي (٢: ١٢٩-١٣١) والشفا (٢: ٥٩٩-٦٠٠) وشرحه لملا علي القاري، والإلماع (١٧٦-١٧٧) وجامع بيان العلم (١: ٧٩) ومصباح الزجاجة (١: ٧).

(١٢٧٩) المستدرك (٣: ٥١٢) وسير أعلام النبلاء (٢: ٦٢٣).

عن النبيِّ ﷺ، يُسمعني ذلك. وكنتُ أسبِّح. فقام قبل أن أقضي سُبحتي. ولو أدركته لرددتُ عليه: إن رسول الله ﷺ لم يكن يسردُ الحديثَ كسردكم. متفق عليه، واللفظ لمسلم(١٢٨٠). ورواه البخاري تعليقاً.

* وعن مكحول رحمه الله تعالى قال: تواعد الناسُ ليلةً من الليالي قبةً من قباب معاوية، واجتمعوا فيها. فقام فيهم أبو هريرة-رضي الله تعالى عنه- يحدثُهم عن رسول الله ﷺ حتى أصبحوا(١٢٨١).

* وعن أبي الزاهرية رحمه الله تعالى قال: كنت جالساً مع عبد الله بن بسر-رضي الله تعالى عنه-يوم الجمعة، فما زال يحدِّثنا حتى خرج الإمامُ. فجاء رجلٌ يتخطّى رقابَ الناس. فقال عبدُ الله بنُ بسر: جاء رجلٌ يتخطى رقاب الناس يومَ الجمعة، ورسول الله ﷺ يخطب فقال له: (اجلس، فقد آذيتَ وآنيت). رواه أحمد وأبو داود والنَّسائي وابن الجارود، وصححه ابن خزيمة وابن حِبّان والحاكم وأقره الذهبي(١٢٨٢).واللفظ لابن خزيمة والحاكم.

(١٢٨٠) صحيح البخاري: كتاب المناقب: باب صفة النبيِّ ﷺ. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل أبي هريرة الدَّوسي رضي الله تعالى عنه، رقم (١٦٠).

(١٢٨١) الجامع لأخلاق الراوي (٢: ٥٨) وتاريخ دمشق (٦٧: ٣٤١).

(١٢٨٢) مسند أحمد (١: ١٨٨، ١٩٠) وسنن أبي داود: كتاب الصلاة: باب تخطي رقاب الناس يوم الجمعة، رقم (١١١٨) وسنن النسائي: كتاب الجمعة: باب النهي عن تخطي رقاب الناس والإمام على المنبر يوم الجمعة (٣: ١٠٣) والمنتقى (١١٠رقم ٢٩٤) وصحيح ابن خزيمة (٣: ١٥٦) وصحيح ابن حِبّان (٧: ٢٩-٣٠) والمستدرك (١: ٢٨٨) وانظر شرح السنة (٤: ٢٦٨) والترغيب والترهيب (٢: ٨٨) والتلخيص الحبير (٢: ٧١).

- الحلقات في المسجد:

* عن عبد الوهاب المدني قال: بلغني أن رجلاً دخل على معاوية بن أبي سفيان، فقال: مررت بالمدينة، فإذا أبو هريرة -رضي الله تعالى عنه- جالس في المسجد، حوله حلقة يحدِّثهم. فقال: حدّثني خليلي أبو القاسم نبيُّ الله ﷺ، ثم استعبر، فبكى. ثم عاد فقال: حدّثني خليلي أبو القاسم نبيُّ الله ﷺ، ثم استعبر، فبكى، ثم قام(١٢٨٣).

* وعن عثمان بن عبد الله بن مَوهب رحمه الله تعالى قال: جاء رجل من أهل مصر، وحج البيتَ، فرأى قوماً جلوساً، فقال: مَن هؤلاء القوم؟ فقالوا: هؤلاء من قريش. قال: فمن الشيخ فيهم؟ قالوا: عبد الله بن عمر -رضي الله تعالى عنهما-.

قال: يا ابن عمر؛ إني سائلك عن شيء فحدِّثني عنه: هل تعلمُ أن عثمان -رضي الله تعالى عنه- فرَّ يومَ أُحُد؟ قال: نعم. فقال: هل تعلمُ أنه تغيَّب عن بدر و لم يشهدها؟ قال: نعم. قال الرجل: هل تعلمُ أنه تغيَّب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها؟ قال: نعم. قال: الله أكبر.

قال ابنُ عُمر رضي الله تعالى عنهما: تعال أُبيِّنُ لك. أمّا فرارُه يوم أُحُد، فأشهد أن الله عفا عنه، وغفر له. وأمّا تغيُّبه عن بدر؛ فإنه كانت تحته بنتُ رسول الله ﷺ، وكانت مريضةً، فقال له رسول الله ﷺ: (إن لك أجرَ رجل ممن شهد بدراً وسهمه). وأمّا تغيُّبه عن بيعة الرّضوان؛ فلو كان أحدٌ أعزَّ

(١٢٨٣) تاريخ دمشق (٦٧: ٣٦٤) وسير أعلام النبلاء (٢: ٦١١).

ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه، فبعث رسول الله ﷺ عثمان، وكانت بيعةُ الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة. فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى: (هذه يد عثمان) فضرب بها على يده. فقال: (هذه لعثمان).

فقال له ابنُ عمر رضي الله تعالى عنهما: اذهب بها الآن معك. رواه البخاري(١٢٨٤).

* وعن أبي إدريس الخولاني رحمه الله تعالى قال: دخلت مسجد دمشق، فإذا أنا بفتى برّاق الثنايا، وإذا الناسُ حوله [وفي رواية: فإذا حلقة فيها كهول من أصحاب النبيِّ ﷺ، وفي أخرى: فيها اثنان وثلاثون رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ يقول الرجل منهم: سمعتُ رسول الله ﷺ، فيحدِّث، ثم يقول الآخرُ: سمعت رسول الله ﷺ، فيحدّث] إذا اختلفوا في شيء أسندوه إليه، وصدروا عن رأيه. فسألت عنه، فقيل: هذا معاذ بن جبل. فلما كان الغدُ هجّرت، فوجدته يصلي، فانتظرته، حتى إذا قضى صلاتَه جئتُه من قِبل وجهه. فسلَّمتُ عليه، فقلتُ له: والله، إني لأحبك لله. فقال: آلله؟ فقلتُ: آلله. فقال: آلله؟ فقلت: آلله. فأخذ بحَبوة ردائي، فجبذني إليه. وقال: أبشر، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (قال الله عز وجل: وجبت محبتي للمتحابّين فيَّ، والمتجالسين فيَّ، والمتزاورين فيَّ، والمتباذلين فيَّ). رواه مالك والطَّيالسي وأحمد وعبد بن حُميد والطحاوي والبَزّار والشاشي والطبراني، وابن حِبّان

(١٢٨٤) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة: باب مناقب عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، وفي غيرهما.

والحاكم وابن عبد البر وصححوه، وأقره الذهبي(١٢٨٥).

* وكان لابن عباس رضي الله تعالى عنهما حلقة في الطائف إذا ذهب إليها، كما له حلقة في المسجد الحرام إذا أتى مكة.

* قال رضي الله تعالى عنهما: يا أهلَ مكة تجتمعون عليَّ وعندكم عطاء(١٢٨٦).

* وعن طاوس رحمه الله تعالى قال: أدركتُ نحواً من خمسمائة من الصحابة، إذا ذاكروا ابن عباس، فخالفوه، فلم يزل يقررهم حتى ينتهوا إلى قوله(١٢٨٧).

* عن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما قُبض رسولُ الله ﷺ قلت لرجل من الأنصار: هلم فلنسأل أصحابَ رسول الله ﷺ، فإنهم اليوم كثيرٌ. فقال: واعجباً لك يا ابن عباس، أترى الناسَ يفتقرون إليك وفي الناس من أصحاب رسول الله ﷺ مَن فيهم!

(١٢٨٥) الموطأ (٢: ٩٥٣-٩٥٤) ومسند الطَّيالِسي (٧٨ رقم٥٧١) ومصنف ابن أبي شيبة (١٣: ١٤٥) ومسند أحمد (٥: ٢٣٠، ٢٣٣، ٢٣٦، ٢٣٩، ٣٢٨) ومسند عبد بن حُميد (٧٢ رقم ١٢٥) وسنن الترمذي: كتاب الزهد: باب ما جاء في الحب الله، رقم(٢٣٩٠) وشرح مشكل الآثار (١٠: ٣٣-٣٧ من طرق) والبحر الزخار (٧: ١١٦-١١٨، ١٤٣) والمعجم الكبير (٢٠: ٧٨-٨٣، ٨٧-٨٨) ومسند الشاميين (١: ٣٦٢-٣٦٣، ٤٢٣) (٢: ٣١٠، ٤٤٠) (٣: ١٢٦، ٣٤١) وحلية الأولياء (٥: ١٢١-١٢٢، ٢٠٦) وصحيح ابن حِبّان (٢: ٣٣٥، ٣٣٨) والمستدرك (٣: ٢٦٩) (٤: ١٦٨-١٦٩، ١٧٠، ٤١٩-٤٢٠) ومسند الشاشي (٣: ٢٧٧-٢٨٢) ومسند الشهاب (٢: ٢٢٢، ٣٢٣) وشرح السنة (١٣: ٤٩-٥٠) والتمهيد (٢١: ١٢٥) والسنن الكبرى للبيهقي (١٠: ٢٣٣) وانظر الزهد لابن المبارك (٢٤٩ رقم ٧١٥).

(١٢٨٦) حلية الأولياء (٥: ٣١١) وتاريخ الإسلام (وفيات ١٠١-١٢٠ صفحة ٤٢٢).

(١٢٨٧) سير أعلام النبلاء (٣: ٣٥١).

قال: فتركتُ ذاك، وأقبلتُ أسألُ أصحاب رسول الله ﷺ، وإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل، فآتي بابَه، وهو قائلٌ، فأتوسّد ردائي على بابه يسفي الرّيحُ عليّ من التراب. فيخرجُ فيراني فيقول: يا ابن عمِّ رسول الله ﷺ ما جاء بك؟ هلّا أرسلتَ إليَّ فآتيك؟ فأقول: لا، أنا أحقُّ أن آتيك. قال: فأسأله عن الحديث.

فعاش هذا الرجلُ الأنصاريُّ، وقد اجتمع الناسُ حولي يسألونني. فيقول: هذا الفتى كان أعقلَ مني. رواه ابن سعد والدّارمي والفسوي والطبراني بإسناد صحيح، وصححه الحاكم وأقره الذهبي(١٢٨٨).

في نصوص كثيرة.

- كثرة التلاميذ:

ما من صحابي من الصحابة رضي الله تعالى عنهم جميعاً -سواء كان من المقلّين أو المكثرين- إلا وله تلاميذ، يكثرون حتى يتجاوزوا المئات- كأبي هريرة رضي الله تعالى عنه -ويقلون- كما هو في بعض من تقدّمت وفياتهم - وقد يكون التلاميذ- أو الرواة من الصحابة، أو من التابعين- سواء من أبنائهم، أو من غيرهم.

هؤلاء التلاميذ أو الرواة منهم من يكتب، ومنهم من يستمع ويروي.

(١٢٨٨) الطبقات الكبرى (٢: ٣٦٧-٣٦٨) وسنن الدّارمي (١: ١١٥) والمعرفة والتاريخ (١: ٥٤٢) والمعجم الكبير (١٠: ٢٩٩-٣٠٠) والمستدرك (١: ١٠٦-١٠٧) (٣: ٥٣٨) والجامع لأخلاق الراوي (١: ١٥٨-١٥٩) وإتحاف الخيرة المهرة (١: ٢٦٧-٢٦٨) ومجمع الزوائد (٩: ٢٧٧) والمطالب العالية (٤: ٣٠٢-٣٠٣).

ومن نظر في جميع كتب الحديث-الأصلية والفرعية-يجدها تسوق الأحاديث بالسند إلى الصحابة الرواة. كما من ينظر في فهارس المجاميع كتحفة الأشراف وإتحاف المهرة يجد ذلك واضحاً أيضاً.

ولولا وجود هؤلاء الرواة ما انتقلت السنة إلينا.

- **الخطبة على المنبر من العالم أو الخليفة:**

* عن عمر بن ثابت رحمه الله تعالى قال: غزونا مع أبي أيوب الأنصاريِّ رضي الله تعالى عنه فصام رمضان، وصمنا، فلما أفطرنا؛ قام في الناس خطيباً فقال: إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (من صام رمضان، وصام ستّةً من شوال؛ كان كصيام الدهر). كما رواه النَّسائي وأبو عوانة والطحاوي والطبراني، في آخرين. والحديث في صحيح مسلم، من غير لفظ (قام في الناس خطيباً)[(١٢٨٩)].

* يضاف إلى ذلك: خطب الخلفاء من الصحابة رضي الله تعالى عنهم، كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن الزبير ومعاوية رضي الله تعالى عنهم، فقد رووا حديثاً كثيراً عن النبي الكريم ﷺ من فوق المنبر. أقتصر على ذكر بعض الأحاديث للتنبيه.

* جاء من طرق كثيرة عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أنه قام على المنبر-وفي رواية بجانب المنبر-بعد وفاة رسول الله ﷺ بقليل، فذكر

(١٢٨٩) صحيح مسلم: كتاب الصيام: باب استحباب صوم ستة أيام من شوال اتباعاً لرمضان، رقم (٢٠٤) وانظر: مشروعية صيام ستة أيام من شوال، لتخريج الحديث.

رسول الله ﷺ فقال: قد علمتم ما قام به رسول الله ﷺ وبكى، ثم أعادها ثم بكى، ثم أعادها ثم بكى، ثم قال: إن الناس لم يُعطَوا في هذه الدنيا شيئاً أفضل من العفو والعافية، فسلوهما الله عز وجل، الحديث برواياته، رواه الحُمَيْدي وابن أبي شيبة وأحمد والبخاري في الأدب المفرد، والترمذي والنَّسائي وابن ماجَه وابن حِبّان، في آخرين(١٢٩٠).

* وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، أنه خطب بالجابية فقال: قام فينا رسول الله ﷺ مقامي هذا فيكم فقال: (استوصوا بأصحابي خيراً، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم،...). الحديث. رواه ابن المبارك وأحمد وابن أبي عاصم والنَّسائي وابن الأعرابي، والضياء في المختارة. بأسانيد صحيحة، وصححه الترمذي وابن حِبّان والحاكم، وأقره الذهبي(١٢٩١).

(١٢٩٠) مسند الطَّيالسي (٣ رقم ٥) ومسند الحُمَيْدي (١: ٥-٦) ومصنف ابن أبي شيبة (١٠: ٢٠٥) ومسند أحمد (١: ٣-١١) وسنن الترمذي: كتاب الدعوات: باب (١٠٦) رقم (٣٥٥٨) وعمل اليوم والليلة (رقم ٨٧٩-٨٨٨) وسنن ابن ماجَه: كتاب الدعاء: باب الدعاء بالعفو والعافية، رقم (٣٨٤٩) والأدب المفرد (٢٤٤رقم ٧٢٥) ومسند أبي بكر للمروزي (٩٢-٩٥) ومسند أبي يعلى (١: ٤٩، ٧٥-٧٧، ٨٦-٨٨، ١١٢، ١١٣) والبحر الزخار (١: ٩٢، ١٤٦-١٤٨) والمستدرك (١: ٥٢٩) وصحيح ابن حِبّان (٣: ٢٣٠-٢٣١، ٢٣٢-٢٣٣) وشرح السنة (٥: ١٧٨) ومجمع الزوائد (١٠: ١٧٣).

(١٢٩١) مسند عبد الله بن المبارك (١٤٨رقم ٢٤١) ومسند أحمد (١: ١٨) والسنة (٢: ٦٣١) وسنن الترمذي: كتاب الفتن: باب ما جاء في لزوم الجماعة، رقم (٢١٦٥) وكتاب عشرة النساء للنسائي (٢٩١) والسنن الكبرى (٧: ٩١) وصحيح ابن حِبّان (١٦: ٢٣٩-٢٤٠) والمستدرك (١: ١١٣-١١٤) وكتاب المعجم لابن الأعرابي، رقم (١٠٣٦) وانظر مصنف ابن أبي شيبة (١٢: ١٧٧) والمختارة (١: ٢٩٤-٢٩٥) وقد =

* وعن سُويد بن غفلة رحمه الله تعالى، أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه خطب بالجابية فقال: نهى نبيُّ الله ﷺ عن لُبس الحرير، إلاّ موضعَ إصبعين، أو ثلاثٍ، أو أربع. رواه مسلم(١٢٩٢).

* وعن أبي الزبير رحمه الله تعالى قال: سمعت عبدَ الله بنَ الزبير-رضي الله تعالى عنهما-يخطب على هذا المنبر، وهو يقول: كان رسول الله ﷺ يقول-إذا سلّم في دُبُر الصلاة-أو الصلوات-: (لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له. له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. لا حول ولا قوة إلاّ بالله. لا إله إلاّ الله، ولا نعبد إلاّ إياه، له النعمة وله الفضلُ وله الثناء الحسن. لا إله إلاّ الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون). رواه مسلم(١٢٩٣).

* وعن حُميد بن عبد الرحمن رحمه الله تعالى، أنه سمع معاوية بن أبي سفيان-رضي الله تعالى عنه-عامَ حجَّ، وهو على المنبر، وهو يقول-وتناول قُصَّةً من شَعَر كانت بيد حَرَسي-: أين علماؤكم؟ سمعتُ رسول الله ﷺ ينهى عن مثل هذا، ويقول: (إنما هلكت بنو إسرائيل حين اتّخذ هذه نساؤهم). متفق عليه، واللفظ للبخاري(١٢٩٤).

= سبق ذكره مع وجود زيادات في التخريج.

(١٢٩٢) صحيح مسلم: كتاب اللباس: باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء،... رقم (١٥).

(١٢٩٣) صحيح مسلم: كتاب المساجد: باب استحباب الذكر بعد الصلاة، رقم (١٣٩-١٤١) فقد ذكر الحديثَ الأول، وأحال الثاني عليه، فلم يذكره كاملاً، فأتممته.

(١٢٩٤) صحيح البخاري: كتاب اللباس: باب وصل الشعر، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب اللباس: باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة،... رقم (١٢٢-١٢٤).

ثانياً: الكتابة لبعضهم:

وذلك بأن يكتب بعض الصحابة لبعضهم رضي الله تعالى عنهم، أو يكتبوا لبعض التابعين رحمهم الله تعالى بعضَ الأحاديث ليعملوا بها، أو يسألوهم عن بعض الأحكام، أو عن بعض الأحاديث فيخبروهم بما سمعوه من رسول الله ﷺ، سواء ليعملوا بها، أو لتصحيح خطأ وقع به بعضُهم، أو ما يُظن أنه وهم،... ونحو ذلك. والأحاديث في ذلك كثيرة، أقتصر على ذكر بعضها للتدليل.

* عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه كتب له هذا الكتاب -لَمّا وجّهه إلى البحرين- بسم الله الرحمن الرحيم، هذه فريضة الصدقة، التي فرض رسولُ الله ﷺ على المسلمين، والتي أمر الله تعالى بها رسولَه، فمن سُئلها من المسلمين على وجهها فليُعطِها، ومن سُئِل فوقها فلا يُعط،...ثم ذكر زكاة الإبل والغنم والفضة، وما يُؤخذ منها، في قضايا كثيرة. رواه البخاري في عشرة مواضع من صحيحه(١٢٩٥).

* وعن بَجالةَ بن عَبَدة رحمه الله تعالى قال: كنتُ كاتباً لجَزْء بن معاوية-عم الأحنف-فأتانا كتابُ عمر بن الخطاب -رضي الله تعالى عنه- قبل موته بسنة- فرِّقوا بين كلِّ ذي مَحْرَم من المجوس، ولم يكن عمر أخذ الجزيةَ من المجوس، حتى شهد عبدُ الرحمن بنُ عوف، أن رسول الله ﷺ أخذها من مجوس هَجَر. رواه البخاري(١٢٩٦).

(١٢٩٥) انظر: صحيح البخاري: كتاب الزكاة: باب زكاة الغنم.

(١٢٩٦) صحيح البخاري: كتاب الجزية: باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب.

* وعن أبي عثمان النهدي رحمه الله تعالى قال: كتب إلينا عمر رضي الله تعالى عنه، ونحن بأذربيجان: يا عتبةَ بنَ فرقد، إنه ليس من كدِّك، ولا من كدِّ أبيك، ولا من كدِّ أُمك. فأشبع المسلمين في رحالهم، مما تشبع منه في رحلك. وإياكم والتَّنَعُّم، وزي أهل الشرك، ولُبوس الحرير، فإن رسول الله ﷺ نهى عن لبوس الحرير. قال: (إلاّ هكذا) ورفع لنا رسول الله ﷺ إصبعيه الوسطى والسبابة، وضمّهما.

* وفي رواية عنه رحمه الله تعالى قال: كنا مع عُتبةَ بن فرقد، فجاءنا كتابُ عمر؛ أن رسول الله ﷺ قال: (لا يلبس الحريرَ إلاّ من ليس لـه منه شيء في الآخرة، إلاّ هكذا). متفق عليه، واللفظ لمسلم(١٢٩٧).

* وعن ورّاد -كاتب المغيرة بن شعبة رضي الله تعالى عنه- قال: كتب معاويةُ إلى المغيرة: اكتب إليَّ بشيء سمعتَه من رسول الله ﷺ. قال: فكتب إليه: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول -إذا قضى الصلاةَ-: (لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أَعطيتَ، ولا معطي لما منعتَ، ولا ينفع ذا الجَدِّ منك الجدُّ).

* وفي رواية قال: كتب معاوية إلى المغيرة: اكتب إليَّ بشيء سمعتَه من رسول الله ﷺ. فكتب المغيرةُ إلى معاوية: سلامٌ عليك. أما بعد، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (إن الله حرَّم ثلاثاً، ونهى عن ثلاث؛ حرَّم عقوقَ الوالد [وفي لفظ: عقوقَ الأمهات] ووأدَ البنات، ولا، وهات [وفي لفظ: ومنعاً

(١٢٩٧) صحيح البخاري: كتاب اللباس: باب لبس الحرير وافتراشه للرجال، وفي غيرهما.

وهات] وهى عن ثلاث؛ قيل وقال، وكثرةِ السؤال، وإضاعةِ المال). متفق عليهما، واللفظ لمسلم(١٢٩٨).

* وعن عبد الله بن الفضل، أنه سمع أنس بن مالك يقول: حزنتُ على من أُصيب بالحَرَّة، فكتب إليَّ زيدُ بن أرقم-وبلغه شدةُ حزني-يذكر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (اللهم اغفر للأنصار، ولأبناء الأنصار) وشك ابن الفضل في (أبناء أبناء الأنصار). متفق عليه، واللفظ للبخاري(١٢٩٩). لكن عند مسلم من غير طريق ابن الفضل، وليس فيه الشك.

* وسيأتي بعض نماذج أخرى بعد قليل، في تدوين الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وإرسالها لبعض من طلبها، سواء من الصحابة أو التابعين.

ثالثاً: تدوين بعضهم لما سمعه من رسول الله ﷺ:

ومن مظاهر حرصهم وحفاظهم رضي الله تعالى عنهم على سنة نبيهم ﷺ: ما قام به بعضهم من تدوين الأحاديث التي سمعها من رسول الله ﷺ، أو حفظها في دواوين مستقلة.

وقد بُدئ بتدوينها في عهد رسول الله ﷺ، وأن النبي المصطفى الكريم ﷺ لم ينتقل إلى الرفيق الأعلى؛ إلاّ والسنة النبوية قد كُتب بعضها، وأُذن في كتابة الآخر.

(١٢٩٨) صحيح البخاري: كتاب الاعتصام: باب ما يكره من كثرة السؤال، وفي غيرهما.

(١٢٩٩) صحيح البخاري: كتاب التفسير: سورة المنافقون: باب قوله: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟﴾. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل الأنصار، رقم (١٧٢).

وقد كتب الصحابة رضي الله تعالى عنهم كثيراً من السنة النبوية في حياته ﷺ، لكن ازدادت عنايتهم بكتابتها بعد وفاته ﷺ، ومن لم يكتب أذن، أو أقرَّ، وكذا فعل كبار التابعين بين يدي الصحابة الكرام، من غير إنكار منهم، إلاّ ما كان في بدء الخلافة الراشدة.

فمن الصحابة الكرام من دوَّن بنفسه لأنه كاتب، ومنهم من أملى على غيره من الصحابة والتابعين-لأنه لا يعرف الكتابة-ومنهم من أمر بتدوين العلم، ومنهم من دُوِّن بين يديه ولم ينكر، ومنهم من كان يكتب لغيره لأنه بعيد عنه، كما أن منهم من يكتب التابعيُّ عنه ثم يعرض عليه ما كتبه فيقره على ذلك،... وهكذا.

خاصة بعد سماعهم له ﷺ يوم فتح مكة، يأمر بكتابة خُطبته لأبي شاهٍ رضي الله تعالى عنه- كما مر من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه المتفق عليه-وقوله ﷺ لهم في مرض وفاته: (ائتوني بكتاب وقلم أكتب لكم مالا تختلفوا بعدي) مع كتاباته ﷺ لكثير من الأحكام التي أرسلها إلى اليمن والبحرين، وإلى أمرائه وعُمّاله وقادته رضي الله تعالى عنهم.

ويدخل في ذلك: إملاء الصحابة رضي الله تعالى عنهم على تلاميذهم.

وذلك بأن يملي الصحابي-سواء كان يقرأ أو كان أُمِّيّاً-على أولاده أو تلاميذه، سواء من الصحابة رضي الله تعالى عنهم أو من التابعين رحمهم الله تعالى.

كإملاء أنس رضي الله تعالى عنه وكتابة التلاميذ، وإملاء ابن أبي أوفى رضي الله تعالى عنه على التلاميذ، وإملاء ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وكتابة التلاميذ،...في كثيرين. وأقتصر على ذكر بعضها للتنبيه.

* عن الحسن بن عَمْرو بن أمية رحمه الله تعالى قال: تُحدّث عند أبي هريرة بحديث، فأخذ بيدي إلى بيته. فأرانا كتباً من حديث النبيِّ ﷺ وقال: هذا هو مكتوبٌ عندي.اهـ.

- لكن هذا القول منه رضي الله تعالى عنه يعارضه قوله:

* ما من أصحاب النبيِّ ﷺ أحدٌ أكثرَ حديثاً عنه مني، إلاّ ما كان من عبد الله بن عَمْرو، فإنه كان يكتب ولا أكتب. رواه البخاري(١٣٠٠).

فقال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله تعالى(١٣٠١): حديثه بذلك [الثاني] أصح في النقل من هذا [أي من الأول] لأنه أثبت إسناداً عند أهل الحديث.اهـ.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى(١٣٠٢): ويمكن الجمع؛ بأنه لم يكن يكتب في العهد النبوي، ثم كتب بعده.

وأقوى من ذلك: أنه لا يلزم من وجود الحديث مكتوباً عنده أن يكون بخطه، وقد ثبت أنه لم يكن يكتب. فتعيَّن أن المكتوب عنده بغير خطه.ا#.

قلت: ومما يدل على ذلك: كثرة الصحف عنه، وكذا كثرة الكتابة عنه. وأذكر نصين في ذلك:

* عن بشير بن نَهِيك رحمه الله تعالى قال: كنتُ أكتب ما أسمع من أبي هريرة-رضي الله تعالى عنه-فلما أردت أن أفارقه: أتيتُه بكتابه، فقرأته عليه،

(١٣٠٠) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب كتابة العلم.

(١٣٠١) جامع بيان العلم (١: ٧٤).

(١٣٠٢) فتح الباري (١: ٢٠٧).

وقلتُ له: هذا ما سمعتُه منك؟ قال: نعم. رواه ابن أبي شيبة والدّارِمي وابن سعد والفسوي في آخرين.

* ورواه الطحاوي عنه رحمه الله تعالى بإسناد صحيح[1303] قال: كنتُ آخذُ الكتبَ من أبي هريرة-رضي الله تعالى عنه-فأكتبها، فإذا فرغتُ؛ قرأتُها عليه، فأقول: الذي قرأتُه عليك أسمعتَه من رسول الله ﷺ؟ فيقول: نعم.

* وعن أبي زُعيزعة -كاتب مروان بن الحكم- أن مروان دعا أبا هريرة، فأقعدني خلف السرير، وجعل يسأله، وجعلتُ أكتب، حتى كان على رأس الحول، دعا به، فأقعده وراء الحجاب، فجعل يسأله عن ذلك؟ فما زاد ولا نقص ولا قدّم ولا أخّر. رواه الحاكم وصححه وأقره الذهبي[1304].

وهذه نماذج مما كتبه الصحابة رضي الله تعالى عنهم بعد رسول الله ﷺ.

لقد سبق ذكر بعض الأحاديث، ككتابة أبي بكر لأنس رضي الله تعالى عنهما كتاب الصدقات، وكتابة عمر لعتبة بن فرقد رضي الله تعالى عنهما،... وأذكر هنا بعض الأحاديث مما لم يذكر من قبل، للتنبيه.

* عن سالم أبي النضر، عن كتاب رجل من أسلم، من أصحاب النبيِّ ﷺ يقال له: عبدُ الله بن أبي أوفى رضي الله تعالى عنه، فكتب إلى عمر بن

(١٣٠٣) مصنف ابن أبي شيبة (٩: ٥٠) والطبقات الكبرى (٧: ٢٢٣) وسنن الدّارِمي (١: ١٠٥) والمعرفة والتاريخ (٢: ٨٢٦) وشرح معاني الآثار (٤: ٣٢٠) والمحدث الفاصل (٥٣٨) وجامع لبان العلم (١: ٧٢) وتقييد العلم (١٠١).

(١٣٠٤) المستدرك (٣: ٥١٠) وتاريخ دمشق (٦٧: ٣٤٠، ٣٤١) وسير أعلام النبلاء (٢: ٥٩٨) والإصابة (٧: ٤٣٣).

عُبيد الله، حين سار إلى الحرورية، يخبره:

أن رسول الله ﷺ كان في بعض أيامه التي لَقِي فيها العدوَّ، ينتظر حتى إذا مالت الشمسُ قام فيهم فقال: (يا أيها الناس؛ لا تتمنّوا لقاءَ العدو، واسألوا الله العافية، فإذا لقِيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنةَ تحت ظلال السيوف).

ثم قام النبيُّ ﷺ وقال: (اللهم، مُنْزِلَ الكتاب، ومُجرِيَ السّحابِ، وهازِمَ الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم). متفق عليه، واللفظ لمسلم(١٣٠٥).

* أسيد بن ظهير الأنصاري رضي الله تعالى عنه(١٣٠٦)أنه كان عاملاً على اليمامة، وأن مروان [بن الحكم] كتب إليه: أن معاوية كتب إليه: أيُّما رجل سُرِق منه سرقةٌ فهو أحق بها حيث وجدها. قال: وكتب بذلك مروان إليَّ. فكتبت إلى مروان: أن النبيَّ ﷺ قضى بأنه إذا كان الذي ابتاعها من

(١٣٠٥) صحيح البخاري: كتاب الجهاد: باب كان النبيُّ ﷺ إذا لم يقاتل أول النهار أخّر القتال حتى تزول الشمس، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الجهاد: باب كراهية تمني لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء، رقم (٢٠).ورواه مختصراً في الباب التالي له.

(١٣٠٦) وقع في روايةٍ من مسند أحمد ومراسيل أبي داود والنسائي (أُسَيد بن حُضَير) وهو وهم. وقد نبه على هذا الخطأ الحافظان؛ المزي في تحفة الأشراف (١: ٧٢، ٧٥) وابن حجر في إتحاف المهرة (١: ٣٧٠) ويدل على الوهم ما ذُكر في الحديث أنه من بني حارثة، وهم رهط ابن ظُهير، أما ابن حُضير فرهطه بنو عبد الأشهل. ثم إن ابن حُضير تُوُفّي في خلافة سيدنا عمر سنة عشرين–وقيل سنة إحدى وعشرين–فهو لم يدرك خلافةَ عثمان فكيف بخلافة معاوية. أما ابن ظُهير فتُوُفّي في خلافة مروان. ثم إنه يحكي قضاء عثمان تبعاً لأخويه أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهم، وابن ظُهير هو الذي عمل لمعاوية، أما ابن حُضير فلم يدركه، لأنه مات قبله بنحو أربعين سنة، والله تعالى أعلم.

الذي سرقها غيرَ متَّهمٍ؛ يُخيَّر سيدُها، فإن شاء أخذ الذي سَرق منه بثمنه، وإن شار اتّبع سارقَه. ثم قضى بذلك بعدُ أبو بكر وعمر وعثمان.

قال: فبعث مروان بكتابي إلى معاوية. قال: فكتب معاوية إلى مروان: إنك لستَ أنتَ ولا أُسيد ابن ظُهير بقاضيين عليَّ، ولكني أقضي فيما وُلِّيتُ عليكما، فأَنفذ لما أمرتُك به. فبعث مروان إليَّ بكتاب معاوية. فقلت: لا أقضي به ما وُلِّيت. يعني بقول معاوية. رواه عبد الرزاق وإسحق وأحمد وأبو داود والنسائي بإسناد صحيح، وصححه الحاكم وأقره الذهبي(١٣٠٧).

* عن يزيد بن هرمز رحمه الله تعالى قال: كتب نجدةُ بن عامر الحروريُّ إلى ابن عباس يسأله عن العبد والمرأة يحضران المغنم، هل يُقسَم لهما؟ وعن قتل الولدان؟ وعن اليتيم متى ينقطعُ عنه اليُتمُ؟ وعن ذوي القربى من هم؟ فقال ليزيد: اكتب إليه. فلولا أن يقع في أحموقة ما كتبتُ إليه. اكتب:

[كتبتَ تسألني هل كان رسول الله ﷺ يغزو بالنساء؟ وقد كان يغزو بهن، فيداوين الجرحى، ويُحذَين من الغنيمة. وأما بسهم، فلم يضرب لهن].

وكتبتَ تسألني عن قتل الولدان [وفي رواية من صبيان المشركين] وإن

(١٣٠٧) مصنف عبد الرزاق (١٠: ٢٠١) ومسند أحمد (٤: ٢٢٦) والمراسيل لأبي داود (رقم١٩٢) وسنن النسائي: كتاب البيوع: باب الرجل يبيع السلعة فيستحقها مستحق (٣: ٣١٢-٣١٣، ٣١٣) والمعجم الكبير (١: ١٧٤) ومعجم الصحابة لابن قانع (١: ٤١ مختصراً) ومعرفة الصحابة (١: ٢٦٣-٢٦٤) والمستدرك (٢: ٣٥-٣٦) والمختارة (٤: ٢٦٣-٢٦٥، ٢٨٣-٢٨٤) وأطراف مسند الإمام أحمد (١: ٢٦٠-٢٦١) وإتحاف المهرة (١: ٣٦٩-٣٧٠) وانظر تهذيب الكمال (٣: ٢٥٣-٢٥٤) وتهذيب التهذيب (١: ٣٤٨).

رسول الله ﷺ لم يقتلهم. وأنت فلا تقتلهم. إلا أن تعلمَ منهم ما علم صاحبُ موسى من الغلام الذي قتله،... الحديث بطوله، رواه مسلم(١٣٠٨).

* وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: حدثني محمود بنُ الرَّبيع، عن عِتْبان بن مالك. قال: قدمتُ المدينةَ. فلقيتُ عِتْبان. فقلت: حديثٌ بلغني عنك. قال: أصابني في بصري بعضُ الشيء. فبعثتُ إلى رسول الله ﷺ أني أحبُّ أن تأتيني، فتصلي في مَنْزِلي، فأتَّخذه مصلّى.

قال: فأتى النبيُّ ﷺ ومن شاء الله من أصحابه. فدخل -وهو يصلي في مَنْزِلي- وأصحابُه يتحدّثون بينهم. ثم أسندوا عُظْمَ ذلك وكِبْرَه إلى مالك بن دُخشُم. قالوا: ودُّوا أنه دعا عليه فهلك. وودّوا أنه أصابه شرٌّ.

فقضى رسول الله ﷺ الصلاةَ، وقال: (أليس يشهد أن لا إلــه إلاّ الله، وأني رسول الله؟) قالوا: إنه يقول ذلك، وما هو في قلبه. قال: (لا يشهد أحدٌ أن لا إله إلاّ الله، وأني رسول الله فيدخلَ النارَ، أو تطعمه).

قال أنس: فأعجبني هذا الحديثُ، فقلت لابني: اكتبه. فكتبه. متفق عليه، واللفظ لمسلم(١٣٠٩). لأن البخاري رواه من غير طريقه. كما ورد هذا الحديث من غير هذا الطريق، وقد سبق ذكره.

(١٣٠٨) صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير: باب النساء الغازيات يرضخ لهن ولا يسهم، والنهي عن قتل صبيان أهل الحرب، رقم (١٣٧-١٤١).

(١٣٠٩) صحيح البخاري: كتاب الصلاة: باب المساجد في البيوت، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، رقم (٥٤، ٥٥) وانظر: كتاب المساجد: باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر، رقم (٢٦٣-٢٦٥).

* وعن عبد الله بن الفضل، أنه سمع أنس بن مالك يقول: حزنتُ على من أُصيب بالحَرَّة، فكتب إليَّ زيدُ بن أرقم-وبلغه شدةُ حزني-يذكر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (اللهم اغفر للأنصار، ولأبناء الأنصار) وشك ابن الفضل في (أبناء أبناء الأنصار). متفق عليه، واللفظ للبخاري(١٣١٠). لكن عند مسلم من غير طريق ابن الفضل، وليس فيه الشك.

* وعن عامر بن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنهما قال: كتبتُ إلى جابر بن سَمُرة-مع غلامي نافع-: أن أخبرني بشيء سمعتَه من رسول الله ﷺ. قال: فكتب إليَّ:

سمعتُ رسول الله ﷺ -يوم جمعة، عشيةَ رُجم الأسلميُّ- يقول: (لا يزال الدِّينُ قائماً حتى تقومَ الساعةُ، أو يكونَ عليكم اثنا عشرَ خليفةً، كلُّهم من قريش).

وسمعتُه يقول: (عُصَيْبَةٌ من المسلمين يفتتحون البيتَ الأبيض، بيتَ كسرى-أو آل كسرى-).

وسمعته يقول: (إن بين يدَي الساعة كذّابين فاحذروهم).

وسمعتُه يقول: (إذا أعطى اللهُ أحدَكم خيراً فليبدأ بنفسه وأهل بيته).

وسمعتُه يقول: (أنا الفَرَطُ على الحوض). رواه مسلم(١٣١١).

(١٣١٠) صحيح البخاري: كتاب التفسير: سورة المنافقون: باب قوله: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟﴾. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل الأنصار، رقم (١٧٢).

(١٣١١) صحيح مسلم: كتاب الإمارة: باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش، رقم (١٠).

ففي هذا النص كتابةُ خمسة أحاديث شريفة.

* وعن عُبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنهم قال: خرجتُ أنا وأبي نطلب العلمَ في هذا الحيِّ من الأنصار، قبل أن يهلكوا. فكان أولُ من لَقِينا أبا اليسر؛ صاحبَ رسول الله ﷺ، ومعه غلام له، معه ضمامة من صحف،... الحديث بطوله. رواه مسلم(١٣١٢).

* وعن نافع بن جُبَير رحمه الله تعالى، أن مروان بنَ الحكم خطب الناسَ، فذكر مكةَ وأهلَها وحرمتَها، ولم يذكر المدينةَ وأهلَها وحرمتَها، فناداه رافعُ ابن خَديج -رضي الله تعالى عنه- فقال: ما لي أسمعُك ذكرتَ مكةَ وأهلها وحرمتَها، ولم تذكر المدينةَ وأهلَها وحرمتَها، وقد حرَّم رسولُ الله ﷺ ما بين لابَتَيْها، وذلك عندنا في أَديمٍ خَوْلاني، إن شئت أَقْرَأْتُكَه. قال: فسكت مروان، ثم قال: قد سمعتُ بعض ذلك. رواه مسلم(١٣١٣).

* إضافة إلى ذلك: كتابة جابر رضي الله تعالى عنه لحجة النبي الكريم ﷺ، وكتابة زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه للفرائض [المواريث] وغيرهما من الصحف، كما سأشير إليها بعد قليل.

وقد سبق في الفصل الثالث ذكر بعض من كان يكتب منهم رضي الله تعالى عنهم، وقد أحلت على رسالة (تدوين السنة من العهد النبوي إلى زمن التابعين).

(١٣١٢) صحيح مسلم: كتاب الزهد: باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر، رقم (٧٤).

(١٣١٣) صحيح مسلم: كتاب الحج: باب فضل المدينة،... رقم (٤٥٧).

- هل كانت الرواية باللفظ أو بالمعنى؟

لقد بحثت هذه المسألة بشكل موسع في (الإمام الشافعي وأثره في الحديث وعلومه) لذا أذكر مختصراً لهذه المسألة، ومن أراد زيادة معرفة ذلك فلينظر في الكتاب المذكور.

- هناك فرق في نقل قول رسول الله ﷺ وفي نقل فعله ﷺ.

في الفعل ينقل كلٌ واحد حسب تعبيره، لذا يمكن أن يقع اختلاف في نقلهم.

أما قول النبي المصطفى الكريم ﷺ، فهم حسب قوة الحفظ والضبط، فمن كان قويَّ الحافظة، سريع الحفظ، قوي التذكار،... فإنه يحفظ لفظ حديث رسول الله ﷺ، حسب ما سمعه. ومن كان دون ذلك فقد يروي معنى ما سمع.

ومن هنا وُجد في الصحابة رضي الله تعالى عنهم تياران:

الأول: من يحرص على لفظ الحديث، فلا يجوِّز تغيير حرف، ولا تبديل كلمة، ولا تقديم ولا تأخير في الحديث،...إلخ وهم كثير. ويدل:

* قال عمر رضي الله تعالى عنه: من سمع حديثاً فحدَّث به كما سمع؛ فقد سلِم. رواه الرامهرمزي وابن عبد البر والخطيب البغدادي(١٣١٤).

* وعن أبي جعفر-محمد الباقر رحمه الله تعالى-قال: بينما عُبيد بن عُمير يقصُّ [على أهل مكة] وعنده عبدُ الله بن عُمر، إذ قال عُبيد بنُ عُمير: قال

(١٣١٤) المحدث الفاصل (٥٣٨) وجامع بيان العلم (٢: ١٢٣) والكفاية (٢٦٧).

رسول الله ﷺ: (مثل المنافق كشاة بين ربيضَين، إذا أتت هؤلاء نطحَنها، وإذا أتت هؤلاء نطحَنها).

فقال ابنُ عُمر-رضي الله تعالى عنهما-: [كذبت]، ليس كذلك قال رسول الله ﷺ، إنما قال رسول الله ﷺ: (كشاة بين غنمين) قال: فاحتفظ الشيخ وغضب [فقال: هو سواء] فلما رأى ذلك عبدُ الله قال: أما إني لو لم أسمعه لم أردَّ ذلك عليك.

زاد أحمد والدارمي: وكان ابن عُمر إذا سمع النبيَّ ﷺ لم يزد فيه ولم ينقص منه، ولم يجاوزه ولم يقصر عنه. رواه عبد الرزاق والطَّيالِسي والحُمَيْدي وأحمد والدّارِمي وابن حِبّان، والمرفوع في صحيح مسلم من حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما(١٣١٥).

تنبيه: وقع قلب في لفظ الحديث في مسند الحُمَيْدي وصحيح ابن حبان.

* وعن عبد الله بن عُمر رضي الله تعالى عنهما، عن النبيِّ ﷺ قال: (بُني الإسلام على خمسةٍ؛ على أن يُوحّد الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، والحج).

فقال رجل: الحج وصيام رمضان؟ قال: لا، صيامِ رمضانَ، والحج. هكذا سمعتُه من رسول الله ﷺ. رواه مسلم(١٣١٦).

(١٣١٥) مصنف عبد الرزاق (١١: ٤٣٥-٤٣٦) ومسند الطَّيالِسي (رقم١٨٠٢) ومسند الحُمَيْدي (٢: ٣٠٢-٣٠٣) ومسند أحمد (٢: ٣٢، ٦٨، ٨٢) ومسند الدّارِمي (١: ٧٩) وصحيح ابن حِبّان (١: ٤٩٦) وصحيح مسلم: كتاب صفات المنافقين، رقم(١٧).

(١٣١٦) صحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام، رقم(١٩).

* ما يوجد في عامة كتب الحديث من قولهم: (أو كذا، ونحو ذلك، أو كما قال) دلالة على الحرص على اللفظ، وإلاّ لما قالوا تلك الألفاظ ونحوها عند التشكك، أو خوف فوت اللفظ، والله تعالى أعلم.

والحجة في ذلك: قوله ﷺ: (نضر الله امرءاً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه كما سمعه،...) والحديث في هذا الباب متواتر(١٣١٧).

الثاني: اكتفاء بعضهم رضي الله تعالى عنهم على أداء المعنى، ولو أداه بغير لفظه، خاصة بعد طول الزمن، وبعد العهد.

وهذا ما نجده من اختلاف الصحابة رضي الله تعالى عنهم من مغايرة باللفظ في أداء القصة الواحدة.

* مثل اختلافهم في ألفاظ التشهد، حيث وردت بصور متعددة، لذا اختار كلُّ إمام من أئمة الفقه روايةً من تلك الروايات، كرواية ابن عباس، ورواية ابن مسعود،... وغيرها.

* وكذا اختلافهم في صيغة الصلاة على النبيِّ الكريم ﷺ.

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى(١٣١٨)-بعد ذكره لعدد من الروايات عن عدد من الصحابة-: قال [المناظر]: فأنّى ترى الروايةَ اختلفت فيه عن النبيِّ ﷺ؟ فروى ابنُ مسعود خلافَ هذا، وروى أبو موسى خلافَ هذا، وجابرٌ خلافَ هذا، وكلُّها قد يخالف بعضُها بعضاً في شيء من لفظه. ثم

(١٣١٧) انظر: الأزهار المتناثرة (٥-٦) وقطف الأزهار المتناثرة (٢٨رقم٢) ولقط اللآلئ المتناثرة (١٦١رقم ٤٨) ونظم المتناثر (٢٤-٢٥) وإتحاف ذوي الفضائل المشتهرة (٥٢).

(١٣١٨) الرسالة (٢٧٠-٢٧٢).

علَّم عُمر خلافَ هذا كلَّه في بعض لفظ، وكذلك تشهُّدُ عائشة، وكذلك تشهُّدُ ابن عُمر، ليس فيها شيء إلاّ في لفظه شيءٌ غيرُ ما في لفظ صاحبه، وقد يزيد بعضُها الشيءَ على بعض.

فقلت له: الأمرُ في هذا بيِّنٌ.

قال: فأبِنْه لي. قلت: كلُّ كلامٌ أريد به تعظيمُ الله. فعلّمهم رسول الله ﷺ، فلعلّه جعل يعلِّمُه الرجلَ فيحفظُه، والآخرَ فيحفظُه. وما أُخذ حفظاً فأكثرُ ما يُحترس فيه منه: إحالةُ المعنى. فلم تكن فيه زيادةٌ ولا نقصٌ ولا اختلافُ شيء من كلامه يُحيل المعنى فلا تَسَعُ إحالته.

فلعل النبيّ ﷺ أجاز لكلِّ امرئ منهم كما حفظ. إذ لو كان لا معنى فيه يُحيل شيئاً عن حكمه، ولعل من اختلفت روايتُه واختلف تشهُّدُه، إنما توسّعوا فيه، فقالوا على ما حفظوا، وعلى ما حضرهم وأجيز لهم.اهـ.

- لقد ورد عن عدد من الصحابة التجوّز في ذلك.

* قال مكحول: دخلت أنا وأبو الأزهر على واثلة بن الأسقع-رضي الله تعالى عنه-فقلنا: يا أبا الأسقع، حدِّثنا بحديث سمعتَه من رسول الله ﷺ، ليس فيه وهمٌ ولا زيادةٌ ولا نقصان. قال: هل قرأ أحد منكم من القرآن الليلة شيئاً؟ فقلنا: نعم، وما نحن بالحافظين له، حتى إنّا لنزيد الواو والألف. فقال: هذا القرآن مذ كذا بين أظهركم لا تأتون حفظه، وإنكم تزعمون أنكم تزيدون وتنقصون. فكيف بأحاديث سمعناها من رسول الله ﷺ، عسى ألاّ يكون سمعناها منه إلاّ مرة واحدة؟ حسبكم إذا حدَّثْتُكم بالحديث على المعنى.اهـ.

* وقال ابن سيرين رحمه الله تعالى: كنت أسمع الحديثَ من عشرة، المعنى واحد، واللفظ مختلف.اهـ.

- حال الصحابة رضي الله تعالى عنهم عند روايتهم للحديث:

* كان عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه إذا حدّث بحديث، أرعد وأرعدت ثيابه، ويقول: هكذا، أو نحو هذا، أو شبه هذا، أو قريباً من ذلك.اهـ.

* وكان أبو الدَّرْداء رضي الله تعالى عنه إذا حدّث عن رسول الله ﷺ ثم فرغ منه قال: اللهم إن لم يكن هذا فكشكله.اهـ.

* وكان أنس رضي الله تعالى عنه إذا حدّث عن رسول الله ﷺ حديثاً ففرغ منه قال: أو كما قال رسول الله ﷺ.اهـ.

* وعن عروة بن الزبير رضي الله تعالى عنهما قال: قالت لي عائشة رضي الله تعالى عنها: يا بني؛ إنه يبلغني أنك تكتب عني الحديثَ، ثم تعود فتكتُبُه؟ فقلتُ لها: أسمعه منك على شيء، ثم أعود فأسمعه على غيره. فقالت: هل تسمع في المعنى خلافاً؟ قلت: لا. قالت: لا بأس بذلك.اهـ.

* وعن أبي سعيد الخُدْري رضي الله تعالى عنه قال: كنا نجلس إلى النبيِّ ﷺ عسى أن نكون عشرةَ نفر، نسمع الحديثَ، فما منا اثنان يؤدّيانه. غير أن المعنى واحد[١٣١٩].اهـ.

- ومما يدل على الجواز: ترجمة الحديث الشريف إلى اللغات الأخرى،

(١٣١٩) انظر هذه الأقوال: سنن الدّارمي (١: ٨٣-٨٦) والكفاية (٣٠٨-٣١١) والجامع لأخلاق الراوي (٢: ٣٤-٣٦) وجامع بيان العلم (١: ٧٨-٧٩) والإمام الشافعي.

وتبليغه-بغير العربية-لغير الناطقين بها ممن لا يحسنون النطق بها، ولا يخفى ما في الترجمة من تغيير اللفظ، مع المحافظة على المعنى.

وهذا ما كان يفعله رسلُ رسول الله ﷺ وسفراؤه الذين كان ﷺ يبعثهم إلى البلاد المختلفة من العجم وغيرهم.

* ويمكن الجمع بين القولين: بأن الأصل هو الرواية باللفظ لمن قدر عليه، وعلى الجميع الحرص على ذلك، إلاّ في حالة الاضطرار فيجوز، وهذا مما لا خلاف فيه بين أهل العلم، لكن بشروط.

- شروط رواية الحديث بالمعنى(١٣٢٠):

هناك شروط متعلقة بالراوي، وشروط متعلقة بالمروي(١٣٢١).

١- أن يكون عالماً بما يحيل المعنى، عاقلاً لما يحدِّث به، عالماً بلغات العرب ووجوه خطاباتها، وبصيراً بالمعاني والفقه، مع احتياطه بأن أداء اللفظ أولى من الأداء بالمعنى.

لذا يحرم على الجاهل بمواقع الخطاب، ودقائق الألفاظ: نقلُ الحديث بالمعنى.

٢- أن يكون عالماً بالتفريق بين المحتمل وغير المحتمل، وبين الظاهر

(١٣٢٠) لقد ذكرت هذا الموضوع في (الإمام الشافعي وأثره في الحديث وعلومه) مطوّلاً.

(١٣٢١) انظر: الرسالة (٣٧٠-٣٧١، ٣٨٠-٣٨١) والمحدث الفاصل (٥٣٠) ومعرفة السنن والآثار (١: ١٣٣) ودلائل النبوة (١: ٣٠)والمستصفى (١: ١٠٧)وعلوم الحديث (١٩٠-١٩١) وإرشاد طلاب الحقائق (١: ٤٦٤-٤٦٧) ونكت الزركشي (٣: ٦٠٨-٦١٢) وتدريب الراوي (٢: ٩٨-١٠٣) وفتح المغيث (٢: ٢١٢وما بعد) والمقنع (١: ٣٧٢-٣٧٤) ومختصر علوم الحديث (١٤١-١٤٣) وتوجيه النظر (٢٩٩ وما بعد) والإمام الشافعي وأثره في الحديث وعلومه. وعامة كتب علوم الحديث.

والأظهر، وبين العام والأعم،...إلخ.

٣- أن لا يكون لفظُ الحديث محتملاً، ولا مشتركاً، ولا مجملاً، ولا مشكِلاً، فإن كان كذلك فلا يجوز إقامة لفظ آخر مقامه، ونقل الإمام الغزالي رحمه الله تعالى الإجماع على ذلك.

ولا يجوز أن يكون متشابهاً، لأن الخطاب قد يقع بالمحكم والمتشابه لِحكْمة يريدها الشارع، فلا يجوز تغييرها عن وصفها.

٤- أن لا يكون اللفظ من المتعبَّد بتلاوته، ولا يكون من جوامع الكلم ولا ما كان في تغيير اللفظ تغيير بالمعنى، كما في قوله (ونبيك الذي أرسلت) بـ (ورسولك الذي أرسلت).

٥- أن تكون الترجمة مساوية للأصل في الجلاء والخفاء، فلا زيادة فيها ولا نقصان، ولا تكون قاصرة عن الأصل في إفادة المعنى.

٦- لا يجوز رواية ما تضمنته بطون الكتب، فليس لأحدٍ أن يغيِّر لفظ شيء من كتابٍ مصنَّف، ويثبت بدله فيه لفظاً آخر بمعناه. فإن الرواية بالمعنى رخّص فيها مَن رخَّص لما كان عليهم في ضبط الألفاظ والجمودِ عليها من الحرج والنَّصَب، وذلك غير موجود فيما اشتملت عليه بطون الأوراق والكتب.

ولأنه إن ملَك تغييرَ اللفظ فليس يملِك تغيير تصنيفِ غيره، والله تعالى أعلم.اهـ.

٧- على راوي الحديث بالمعنى-وكذا الشاك في الرواية هل هي باللفظ أو بالمعنى-أن يشير في نهاية روايته للحديث على أن هذا بالمعنى، بأن يقول: أو كما قال، أو نحوه، أو شبه ذلك من الألفاظ. وهذا ما ذهب إليه جماعة

من الصحابة؛ منهم ابن مسعود وأبو الدَّرْداء وأنس،... وغيرهم رضي الله تعالى عنهم. كما سبق ذكر أقوالهم قبل قليل.

احتياط الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم في أداء الرواية:

لقد كانوا رضوان الله تعالى عليهم يحتاطون عند روايتهم للحديث، ويتحرجون عند ذكرهم له، خشية التقول على رسول الله ﷺ، أو عدم أدائهم لفظ رسول الله ﷺ الذي نطق به، لذا تنوعت حالاتهم، كما تنوعت أقوالهم في ذلك، لذا أشير إلى احتياطهم في ذلك:

١- أن يسعى جاهداً أن يروي الحديث بلفظه، فإن لم يتيقن منه فليأت بعبارة قريبة منه:

ولذا كثر قولهم: نحو هذا، أو كما قال، أو شبيهاً بذلك.

* كما مر من فعل ابن مسعود وأبي الدَّرْداء وأنس وغيرهم رضي الله تعالى عنهم. إذا ذكروا حديثاً قالوا: كما قال، أو دون ذلك، أو فوقه،...

٢- النظر في كتاب الله تعالى، ثم في السنة، ثم يسأل الناس:

وأول من فعل ذلك: أبو بكر ثم عمر رضي الله تعالى عنهما.

* فعن ميمون بن مهران رحمه الله تعالى قال: كان أبو بكر رضي الله تعالى عنه إذا ورد عليه الخصمُ نظر في كتاب الله، فإن وجد فيه ما يقضي بينهم قضى به، وإن لم يكن في الكتاب وعَلِم من رسول الله ﷺ في ذلك الأمر سنةً قضى به. فإن أعياه خرج فسأل المسلمين، وقال: أتاني كذا وكذا، فهل علمتم أن رسول الله ﷺ قضى في ذلك بقضاء؟ فربما اجتمع إليه النفرُ

كلُّهم يذكر من رسول الله ﷺ فيه قضاءً، فيقول أبو بكر: الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ على نبيِّنا. فإن أعياه أن يجد فيه سنةً من رسول الله ﷺ جمع رؤوسَ الناس وخيارَهم فاستشارهم، فإذا اجتمع رأيهم على أمر قضى به.

* زاد البيهقيُّ في روايته: أن عمرَ بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كان يفعل ذلك، فإن أعياه أن يجد في القرآن والسنة نظر هل كان لأبي بكر رضي الله تعالى عنه فيه قضاء، فإن وجد أبا بكر رضي الله تعالى عنه قد قضى فيه بقضاء قضى به، وإلاّ دعا رؤوسَ المسلمين وعلماءَهم فاستشارهم، فإذا اجتمعوا على الأمر قضى بينهم. رواه الدارمي والبيهقي بإسناد صحيح، لكنه منقطع(١٣٢٢)، لأن ميمون-مع أنه ثقة فقيه، وكان ولي الجزيرة لعمر بن عبد العزيز-لكنه لم يلق أبا بكر رضي الله تعالى عنه، لكن هذا المنهج هو فعله رضي الله تعالى عنه كما يدل عليه الحديث التالي.

* عن قبيصة بن ذؤيب قال: جاءت الجدَّةُ إلى أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه تسأله ميراثَها، فقال لها أبو بكر: ما لكِ في كتاب الله شيء، وما علمت لكِ في سنة رسولِ الله ﷺ شيئاً، فارجعي حتى أسأل الناس، فسألَ الناسَ، فقال المغيرة بن شعبة: حضرتُ رسول الله ﷺ أعطاها السدس. فقال أبو بكر: هل معك غيرُك؟ فقام محمد بن مَسْلَمَة الأنصاريُّ فقال مثل ما قال المغيرة، فأنفذه لها أبو بكر الصِّدّيق.

ثم جاءت الجدة الأخرى إلى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه تسأله

(١٣٢٢) سنن الدارمي (١: ٥٣-٥٤) والسنن الكبرى (١٠: ١١٤-١١٥).

ميراثها، فقال لها: مالكِ في كتاب الله شيءٌ،... رواه مالك وأحمد وأصحاب السنن وابن الجارود، وصححه الترمذي وابن حِبّان والحاكم، في آخرين، وحسنه البغوي(١٣٢٣).

٣- الإقلال من الرواية خشية التقوُّل:

ومن مظاهر احتياطهم رضي الله تعالى عنهم: إن أحدهم يخشى أن يضيف شيئاً في الحديث لم يقله رسول الله ﷺ، فيقع في المحظور.

* عن عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما قال: قلت للزبير-رضي الله تعالى عنه-: إني لا أسمعك تحدِّث عن رسول الله ﷺ كما يحدِّث فلانٌ وفلانٌ. قال: أما إني لم أفارقه، ولكن سمعته يقول: (من كذب عليَّ فليتبوَّأ

(١٣٢٣) الموطأ: كتاب الفرائض: باب ميراث الجدة، رقم (٤) ومصنف عبد الرزاق (١٠: ٢٧٤-٢٧٥) وسنن سعيد بن منصور (١: ٣: ٣١ رقم ٨٠) ومصنف ابن أبي شيبة (١١: ٣٢٠-٣٢١) ومسند أحمد (٤: ٢٢٥، ٢٢٥-٢٢٦) وسنن الدّارمي (٢: ٢٥٩-٢٦٠) والمنتقى لابن الجارود (٣٢٠-٣٢١) وسنن أبي داود: كتاب الفرائض: باب في الجدة، رقم (٢٨٩٤) وسنن الترمذي: كتاب الفرائض: باب ما جاء في ميراث الجدة، رقم (٢١٠٠، ٢١٠١) والسنن الكبرى للنسائي: كتاب الفرائض: باب ذكر الجدات والأجداد،... وباب ذكر اسم هذا الرجل الذي أدخل بين الزهري وبين قبيصة (٤: ٧٣-٧٥ من طرق) وتحفة الأشراف (٨: ٣٦١) وسنن ابن ماجَه: كتاب الفرائض: باب ميراث الجدة، رقم (٢٧٢٤) ومسند أبي يعلى (١: ١١١-١١٢) والمعجم الكبير (١٩: ٢٢٨-٢٣٠من طرق) (٢٠: ٤٣٧-٤٣٩) ومسند الشاميين (٣: ٢٢٠-٢٢٢) وصحيح ابن حبّان (١٣: ٣٩٠-٣٩١) وموارد الظمآن (٣٠٠) والمستدرك (٤: ٣٣٨) وشرح السنة (٨: ٣٤٥-٣٤٦) والسنن الكبرى للبيهقي (٦: ٢٣٤) وانظر التلخيص الحبير (٣: ٨٢) وصححه.

مقعدَه من النار). رواه البخاري[1324]. وقد سبق ذكره.

* كما سبق ذكر حديث أنس رضي الله تعالى عنه. وهو متفق عليه[1325].

٤- يقلل من الرواية خشية أنه لا يَعمل بما يروي:

ومن مظاهر احتياطهم رضي الله تعالى عنهم: أن أحدهم يمتنع عن الرواية خشية أنه يروي لا يعمل بما يرويه، فيدخل في المحظور.

* فعن عبد الرحمن بن بشر رحمه الله تعالى قال: كنا عند خبّاب بن الأَرَت-رضي الله تعالى عنه-فاجتمع عليه أصحابه، وهو ساكت. فقيل له: ألا تحدِّثُ أصحابَك؟ قال: أخاف أن أقولَ لهم ما لا أفعل. رواه الدارمي من طريق الأعمش عن رجاء الأنصاري عنه به، ورواه أبو خيثمة من طريق آخر عن خباب[1326].

قلت: وكأنه يشير إلى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[1327].

رضي الله تعالى عنه وعن سائر أصحاب رسول الله ﷺ وأرضاهم. فقد كانوا يحاسبون أنفسهم على خطراتها.

٥- التثبت من حفظ الحديث، فإن تشكك في حفظه لا يحدث به:

ومن مظاهر احتياطهم رضي الله تعالى عنهم: أن أحدهم يمتنع عن

(١٣٢٤) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب إثم من كذب على النبيِّ ﷺ.

(١٣٢٥) صحيح البخاري: في الكتاب والباب السابقين. وصحيح مسلم: المقدمة، رقم (٢).

(١٣٢٦) سنن الدارمي (١: ١١٠) وكتاب العلم (١١٣).

(١٣٢٧) سورة الصف (٢).

الرواية بسبب عدم ضبطه وإتقانه للحديث، وذلك لبعد العهد، وطول العمر، وضعف الذاكرة،...

* عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: قلنا لزيد بن أرقم رضي الله تعالى عنه: حدِّثنا عن رسول الله ﷺ. فقال: قد كبرنا ونسينا، والحديث عن رسول الله ﷺ شديد. رواه الطَّيالسي وابن أبي شيبة وأحمد وابن ماجَه في آخرين بإسناد صحيح[١٣٢٨]. وأصل الحديث في صحيح مسلم، وهو التالي:

* عن يزيد بن حيّان قال: انطلقتُ أنا وحُصَين بنُ سبْرة وعُمَر بن مسلم إلى زيد بن أرقم رضي الله تعالى عنه. فلما جلسنا إليه قال له حُصَين: لقد لقيتَ يا زيدُ خيراً كثيراً؛ رأيتَ رسول الله ﷺ، وسمعتَ حديثَه، وغزوت معه، وصلّيتَ خلفه، لقد لقيت يا زيدُ خيراً كثيراً. حدِّثْنا يا زيد ما سمعتَ من رسول الله ﷺ. قال: يا ابن أخي، والله، لقد كبِرَت سني، وقدُم عهدي، ونسيتُ بعضَ الذي كنتُ أعي من رسول الله ﷺ،... الحديث بطوله في بيان أهل البيت، رواه مسلم[١٣٢٩].

٦- الاكتفاء برواية غيرهم:

* عن ابن أبي ليلى رحمه الله تعالى قال: أدركتُ [في هذا المسجد] عشرين ومائة من الأنصار، من أصحاب محمد ﷺ؛ ما منهم من أحدٍ يحدِّث

(١٣٢٨) مسند الطَّيالسي (٩٣رقم ٦٧٦) ومصنف ابن أبي شيبة (٨: ٧٥٤-٧٥٥) ومسند أحمد (٤: ٣٧٠-٣٧٢) وسنن ابن ماجَه: المقدمة، رقم (٢٥) والمعجم الكبير (٥: ١٨٩) والمحدث الفاصل (٥٥٠) والكفاية (٢٦٥).

(١٣٢٩) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، رقم (٣٦، ٣٧).

بحديثٍ إلاّ ودَّ أن أخاه كفاه إياه، ولا يُستفتى عن شيء إلاّ ودَّ أن أخاه كفاه الفتوى. رواه ابن المبارك وابن سعد والفسوي وأبو خيثمة وابن عبد البر والخطيب والبيهقي(١٣٣٠).

* وعن العلاء بن سعد بن مسعود قال: قيل لرجل من أصحاب رسول الله ﷺ: مالك لا تحدِّث كما يحدِّث فلان وفلانٌ؟ فقال: ما بي ألاّ أكون سمعتُ مثلَ ما سمعوا، أو حضرتُ مثل ما حضروا. ولكن لم يُدرس الأمرُ بعدُ، والناسُ متماسكون، فأنا أجدُ من يكفيني، وأكره التزيّد والنقصان في حديث رسول الله ﷺ. رواه الخطيب(١٣٣١).

٧- عدم الرواية عما لا تبلغه عقول الناس:

إنما يكون التحديث بما يفهمه الناس، ولا يكون فوق مستوى عقولهم، أو مما يُستغل.

* عن عليٍّ رضي الله تعالى عنه قال: حدِّثوا الناسَ بما يعرفون، أتحبون أن يُكَذَّبَ الله ورسوله؟ رواه البخاري(١٣٣٢).

قال الحافظ رحمه الله تعالى(١٣٣٣): فيه دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يُذكر عند العامة،... وممن كره التحديثَ ببعضٍ دون بعض: أحمد في

(١٣٣٠) الزهد والرقائق (١٩ رقم ٥٨) والطبقات الكبرى (٦: ١١٠) والمعرفة والتاريخ (٢: ٨١٧) والعلم (٢١) وأخلاق العلماء (١٠٢) وجامع بيان العلم وفضله (٢: ١٦٣) والفقيه والمتفقه (٢: ١٢-١٣) والمدخل إلى السنن الكبرى (٢: ٢٦٦رقم٨٠٠).

(١٣٣١) الكفاية (٢٦٦).

(١٣٣٢) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب من خص بالعلم قوماً دون قوم،...

(١٣٣٣) فتح الباري (١: ٢٢٥).

الأحاديث التي ظاهرُها الخروجُ على السلطان، ومالكٌ في أحاديث الصفات، وأبو يوسف في الغرائب. ومِن قبلهم: أبو هريرة في الجرابَين، وأن المراد ما يقع من الفتن، ونحوه عن حُذَيْفَة. وعن الحسن أنه أنكر تحديثَ أنسٍ للحجّاج بقصة العرنِيّين. لأنه اتخذها وسيلةً إلى ما كان يعتمده من المبالغة في سفك الدماء، بتأويله الواهي.

وضابط ذلك: أن يكون ظاهرُ الحديث يقوّي البدعةَ، وظاهرُه في الأصل غيرُ مراد. فالإمساكُ عنه عند من يخشى عليه الأخذ بظاهره مطلوب، والله تعالى أعلم.اهـ.

* وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: ما أنت بمحدِّثٍ قوماً حديثاً لا تبلغه عقولُهم إلاّ كان لبعضهم فتنةً.

* وقال رضي الله تعالى عنه: بحسب المرء من الكذب أن يحدِّثَ بكل ما سمع. رواهما مسلم في مقدمة صحيحه[١٣٣٤].

* وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (كفى بالمرء إثماً أن يحدِّث بكل ما سمع). رواه مسلم[١٣٣٥].

* وعنه رضي الله تعالى عنه قال: حفظت من رسول الله ﷺ وعاءَين، فأما أحدهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم. رواه البخاري[١٣٣٦].

لقد حمل العلماء الوعاءَ الذي لم يبثه على الأحاديث التي فيها تبيين أسامي

(١٣٣٤) صحيح مسلم (١: ١١) باب النهي عن الحديث بكل ما سمع.

(١٣٣٥) صحيح مسلم: المقدمة، رقم (٥).

(١٣٣٦) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب حفظ العلم.

أمراء السوء وأحوالهم وزمنهم. وقد كان أبو هريرة رضي الله تعالى عنه يكني عن بعضه ولا يصرّح، خوفاً على نفسه منهم،... إذ لو كانت تلك الأحاديث من الأحكام الشرعية ما وسعه كتمانها، لما رواه هو من ذم كتم العلم،...

كما يحتمل أن يكون أراد ما يتعلّق بأشراط الساعة، وتغيّر الأحوال، والفتن والملاحم في آخر الزمان، فينكر ذلك من لم يألفه، ويعترض عليه من لا شعور له به(١٣٣٧)، والله تعالى أعلم.

٨- أن يتخولهم بالتحديث:

وذلك بأن يجعل الدرس مرة أو مرتين أو ثلاث مرار في الأسبوع خشية السآمة على الطلاب.

* عن أبي وائل-شقيق بن سلمة-رحمه الله تعالى قال: كان عبدُ الله [بن مسعود] رضي الله تعالى عنه يذكِّرُنا كلَّ يومِ خميس، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن؛ إنّا نحبُّ حديثَك ونشتهيه. ولَوَدِدْنا أنك حدَّثْتَنا كلَّ يوم. فقال: ما يمنعني أن أحدِّثَكم إلاّ كراهيَةُ أن أُمِلَّكم.

إن رسول الله ﷺ كان يتخوَّلُنا بالموعظة في الأيام؛ كراهيةَ السآمة علينا. متفق عليه(١٣٣٨).

* وفي رواية لهما(١٣٣٩) عن شقيق رحمه الله تعالى قال: كنا جلوساً عند

(١٣٣٧) انظر: فتح الباري (١: ٢١٦-٢١٧).

(١٣٣٨) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب من جعل لأهل العلم أياماً معلومة، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب صفات المنافقين: باب الاقتصاد في الموعظة، رقم (٨٣).

(١٣٣٩) صحيح البخاري: كتاب الدعوات: باب الموعظة ساعة بعد ساعة. وصحيح مسلم: في =

باب عبد الله ننتظره. فمرَّ بنا يزيد بنُ معاويةَ النخعي. فقلنا: أعلمه بمكاننا. فدخل عليه، فلم يلبث أن خرج علينا عبد الله. فقال: إني أُخْبَرُ بمكانكم، فما يمنعني أن أخرجَ إليكم إلاّ كراهيةُ أن أملَّكم.

إن رسول الله ﷺ كان يتخوَّلُنا بالموعظة في الأيام، مخافةَ السَّآمةِ علينا.

* وعن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه كان يقوم كلَّ خميس، فيحدِّثهم[(١٣٤٠)].

* وعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: حدِّث الناس كلَّ جمعة مرَّةً، فإن أبيتَ فمرّتين، فإن أكثرت فثلاثَ مرار. ولا تُملَّ الناس هذا القرآن.

ولا أُلفينَّك تأتي القومَ وهم في حديثٍ من حديثهم فتقصَّ عليهم، فتقطع عليهم حديثَهم فتُملَّهم. ولكن أنصتْ، فإذا أمروك فحدِّثهم وهم يشتهونه.

فانظر السجع من الدعاء فاجتنبه، فإني عهدتُ رسول الله ﷺ وأصحابَه لا يفعلون ذلك-يعني: لا يفعلون إلاّ ذلك الاجتناب. رواه البخاري[(١٣٤١)].

* وعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت-لابن أبي السائب- قاصِّ أهل المدينة-: ثلاثاً لَتُتابِعَنّي عليهن أو لأُناجزَنَّك. فقال: ما هنَّ؟ بل أنا أتابعك يا أمَّ المؤمنين.

قالت: اجتنب السجعَ من الدعاء، فإن رسول الله ﷺ وأصحابَه كانوا لا

= الكتاب والباب السابقين، رقم (٨٢).

(١٣٤٠) الجامع لأخلاق الراوي (٢: ٥٦-٥٧).

(١٣٤١) صحيح البخاري: كتاب الدعوات: باب ما يكره من السجع في الدعاء.

يفعلون ذلك. وقصَّ على الناس في كلّ جمعة مرةً، فإن أبيتَ فثنتَين، فإن أبيتَ فثلاثاً، فلا تُملَّ الناسَ هذا الكتاب،... ثم ذكر نحو حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما. رواه أحمد وابن حِبّان، واللفظ لهما، وابن أبي شيبة وإسحق مختصراً، برجال الصحيح(١٣٤٢).

٩- عدم إملالهم، ولا يطوِّل عليهم بالدروس:

فإذا كان أكثر من ثلاثة دروس في الأسبوع يخشى السآمة، فالإطالة في الدرس من باب أولى.

* عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: لا تملوا الناس، فيملوا الذكر. رواه الطبراني بإسناد صحيح(١٣٤٣).

* وعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها، أنها قالت لعُبيد بن عُمير: ألم أحدَّث أنك تجلس ويُجلسُ إليك؟ قال: بلى. قالت: فإياك وإملال الناس، وتقنيطهم(١٣٤٤).

* قال الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى(١٣٤٥): ينبغي للمحدِّث أن لا يطيل المجلسَ الذي يرويه، بل يجعله متوسّطاً، ويقتصد فيه، حذَراً من سآمة

(١٣٤٢) مصنف ابن أبي شيبة (١٠: ١٩٩) ومسند أحمد (٦: ٢١٧) ومسند إسحق (٣: ٩٣٣) وتاريخ المدينة (١: ١٣) وصحيح ابن حِبّان (٣: ٢٥٨-٢٥٩) ومجمع الزوائد (١: ١٩١) وعزاه لأبي يعلى أيضاً، ولعله في المسند الكبير.

(١٣٤٣) المعجم الكبير (٩: ١٣٥) والجامع لأخلاق الراوي (٢: ١٢٨) ومجمع الزوائد (١: ١٩١).

(١٣٤٤) الجامع لأخلاق الراوي (٢: ١٢٨).

(١٣٤٥) الجامع لأخلاق الراوي (٢: ١٢٧).

السامع وملله، وأن يؤدي ذلك إلى فتوره عن الطلب وكسله،...إلخ.

١٠- أن يذكر عقوبةَ الكاذب على رسول الله ﷺ ثم يحدِّث:

خاصة عند وجود من يخشى منه الشك.

* عن كُليب بن شهاب قال: سمعتُ أبا هريرة رضي الله تعالى عنه يقول، وكان يبتدئ حديثَه بأن يقول: قال رسول الله ﷺ أبو القاسم الصادقُ المصدوقُ: (من كذب عليَّ متعمِّداً؛ فليتبوَّأْ مقعدَه من النار). رواه أحمد وإسحق والدّارمي بإسناد حسن(١٣٤٦). والحديث المرفوع متواتر.

* وعن هشام بن أبي رُقيّة قال: سمعتُ مسلَمة بنَ مُخَلَّدٍ-وهو على المنبر يخطب الناسَ-يقول: يا أيها الناس؛ أما لكم في العَصْبِ والكتّان ما يغنيكم عن الحرير؟وهذا رجلٌ فيكم يخبرُكم عن رسول الله ﷺ.قم يا عقبة.

فقام عقبةُ بن عامر-وأنا أسمع-فقال: إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (من كذب عليَّ مُتعمِّداً فليتبوَّأْ مقعدَه من النار).

وأشهد أني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (من لبس الحريرَ في الدنيا؛ حُرِمه أن يلبسَه في الآخرة). رواه أحمد والفسوي والطحاوي والطبراني وأبو يعلى بإسناد صحيح، وصححه ابن حِبّان(١٣٤٧).

(١٣٤٦) مسند أحمد (٢: ٤١٣) ومسند إسحق (٢٩٠رقم٢٦٤) وفيه زيادة، ومسند الدّارمي(١: ١١٨) وتاريخ دمشق (٦٧: ٣٤٥) وسير أعلام النبلاء (٢: ٦٠٣).

(١٣٤٧) مسند أحمد (٤: ١٥٦، ١٥٩، ٢٠١) والمعرفة والتاريخ (٢: ٥٠٦) وشرح مشكل الآثار (١: ٣٦٨) وشرح معاني الآثار (٤: ٢٥١) ومسند أبي يعلى (٣: ٢٨٩-٢٩٠) والمعجم الكبير (١٧: ٣٠٥-٣٠٦، ٣٢٧) وصحيح ابن حبّان (٣: ٣٢٩-٣٣٠) (٦: =

* وعن علي بن ربيعة، عن المغيرة رضي الله تعالى عنه قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: (إنَّ كذباً عليَّ ليس ككذب على أحد. من كذب عليَّ متعمِّداً فليتبوَّأ مقعدَه من النار).

وسمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: (من نِيح عليه؛ يُعذَّبْ بما نيح عليه). متفق عليه، واللفظ للبخاري[1348].

انتشار السنة النبوية في عهد الصحابة رضي الله تعالى عنهم:

لقد انتشرت السنة النبوية في زمن الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم انتشاراً كبيراً، نتيجة عوامل كثيرة، منها:

١ - الفتوحات الكبيرة،

الفتوحات الكبيرة، التي حدثت في زمن الخلفاء الراشدين وفي بدء الخلافة الأموية، مما أدى إلى انتشار الإسلام في المناطق المفتوحة. مما جعل المسلمون الجدد بحاجة إلى معرفة هذا الدين، وأساسه الكتاب والسنة.

٢ - انتشار الصحابة رضي الله تعالى عنه في المناطق المفتوحة:

إن انتشار الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم في المناطق المفتوحة، يعتبر من أكبر الدواعي على نشر السنة النبوية. ذلك أن أغلب القادة الذين قادوا معارك الفتح، وأغلبية الجيوش في زمن الخلافة الراشدة هم من الصحابة

= ٢٩٥-٢٩٦) (١٢: ٢٥٢) والتمهيد (١٤: ٢٤٥-٢٤٦) والسنن الكبرى (٣: ٢٧٥-٢٧٦) ومجمع الزوائد (١: ١٤٤، ٢٢٤) (٥: ١٤٢).

(١٣٤٨) صحيح البخاري: كتاب الجنائز: باب ما يكره من النياحة على الميت. وصحيح مسلم: كتاب الجنائز: باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه، رقم (٢٨).

الكرام رضي الله تعالى عنهم، وقد استوطن كثير من الصحابة في البلاد المفتوحة سواء بقصد التعليم، أو بقصد السكنى، وإن كان أغلبهم قد تمركز في المعسكرات القريبة من الحجاز، كالشام والكوفة والبصرة ومصر، مما جعل كثير من المرابطين يتتلمذون عليهم، ويتخرجون بهم.

٣- نشاط الصحابة رضي الله تعالى عنهم في المناطق المفتوحة:

وكذا في المراكز الأساسية. ذلك أن الصحابة الكبار والقدامى رضي الله تعالى عنهم أخذوا على عاتقهم بيان هذا الدين، حيث يعلّمون الصحابة الآخرين، كما يعلمون التابعين، سواء ممن أسلم مؤخراً أو من أهالي البلاد المفتوحة، إضافة إلى حلقات العلم التي يقومون بها فيما بينهم، كما مر.

٤- نشاط التابعين رحمهم الله تعالى في المناطق المفتوحة:

نشاط التابعين رحمهم الله تعالى أنفسهم، وكثرة أسئلتهم للصحابة، وتحمّلهم للسنة. سواء ممن أسلموا بعد عصر النبي المصطفى الكريم ﷺ أو من أهالي البلاد المفتوحة، ولذا تتلمذ على كثير من الصحابة في مختلف الأمصار كثيرٌ من التلاميذ، أخذوا عنهم علومهم.

٥- رحلات الصحابة رضي الله تعالى عنهم إلى المناطق النائية:

رحلات الصحابة رضي الله تعالى عنهم إلى المناطق النائية؛ للقيا بعضهم، والأخذ عنهم، أو التثبت مما عندهم. كما مر، من رحلات جابر وأبي أيوب وغيرهما رضي الله تعالى عنهم، إضافة إلى رحلات التابعين. سواء لعلو السند، أو للتأكد من صحة الحديث الذي سمعوه، أو لمعرفة حكم لأمر جد في

مِصْرهم، أو لوجود حل لمشكلة حصلت في منطقتهم.

* عن صالح الهمداني قال: رأيت رجلاً من أهل خراسان سأل الشعبيَّ فقال: يا أبا عمرو؛ إن مَن قِبَلَنا من أهل خراسان يقولون في الرجل إذا أعتق أَمَتَه ثم تزوجها: فهو كالراكب بدنتَه. فقال الشعبي: حدَّثني أبو بردة بن أبي موسى، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ قال: (ثلاثةٌ يُؤتَوْن أجرَهم مرتين:...ورجلٌ كانت له أَمَةٌ فغَذاها فأحسن غِذاءَها، ثم أدّبها فأحسن أدبها، ثم أعتقها وتزوّجها، فله أجران).

ثم قال الشعبيُّ للخرساني: خذ هذا الحديثَ بغير شيء، فقد كان الرجلُ يرحل فيما دون هذا إلى المدينة. متفق عليه(١٣٤٩).

* وعن أبي العالية رحمه الله تعالى قال: كنا نسمع الرواية بالبصرة عن أصحاب رسول الله ﷺ، فلم نرض حتى ركبنا إلى المدينة، فسمعناها من أفواههم. رواه الدّارِمي وابن سعد والفسوي وأبو زرعة بإسناد صحيح(١٣٥٠).

* وعن بسر بن عُبيد الله رحمه الله تعالى قال: إن كنتُ لأركب إلى مصر من الأمصار في الحديث الواحد لأسمعه. رواه الدّارِمي وابن عبد البر والخطيب بإسناد صحيح(١٣٥١).

(١٣٤٩) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب تعليم الرجل أمته وأهله، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ،... رقم (٢٤١).

(١٣٥٠) سنن الدّارِمي (١: ١١٤) والطبقات الكبرى (٧: ١١٣) والمعرفة والتاريخ (١: ٤٤١) وتاريخ أبي زرعة (١: ٤٠٢) والجامع لأخلاق الراوي (٢: ٢٢٤-٢٢٥) والتمهيد (١: ٥٥-٥٦) وفتح الباري (١: ١٩٢).

(١٣٥١) سنن الدّارِمي (١: ١١٤) وجامع بيان العلم (١: ٩٤-٩٥) والرحلة (١٤٧) وفتح =

٦- عقد دروس ثابتة، ومجالس التحديث والمذاكرة:

* كما فعل أبو هريرة في المدينة، وابن مسعود في الكوفة، وابن عباس في مكة والطائف، ومعاذ في الشام، رضي الله تعالى عنهم، وغيرهم.

٧- عناية الولاة بالسنة النبوية، والحرص على سماعها ونشرها وتعليمها:

ذلك أن الولاة كانوا أصحاباً لرسول الله ﷺ، أوفياء محبين، حريصين على الدين، كانوا إذا فاتهم حديث سألوا عنه، وإذا سمعوا حديثاً وشكّوا في ضبط راويه طلبوا ما يزيل الشك، وإذا خافوا وَهْمَ راويه راجعوه، أو راجعوا غيره للتأكد من صحته، وقد سبق ذكر فعل الصديق والفاروق وعثمان وعلي رضي الله تعالى عنهم، حتى من بعدهم كيف أجلس مروان كاتبه خلف الستر وأجلس أبا هريرة رضي الله تعالى عنه عاماً كاملاً، يسأله والكاتب يكتب.

ثم رواية الخلفاء والأمراء للأحاديث في خطبهم، لأنهم كانوا علماء.

٨- ظهور المراكز العلمية، في الحجاز والشام والعراق،... وغيرها:

لما استقرت الأوضاع السياسية، واحتاج الناس إلى تعليم الدين أكثر من احتياجهم إلى غيره: ظهرت المراكز العلمية.

فكانت المدينة المنورة مركز الانطلاقة الأولى، ومسكن النبي المصطفى الكريم ﷺ، ومركز الخلافة الراشدة: قد حوت كبارَ الصحابة رضي الله تعالى عنهم كالخلفاء وأُبَي بن كعب وأنس وابن عمر،... وغيرهم كثير.

= الباري (١: ١٩٢).

وكانت مكة المكرمة المركز الثاني، والتي لا تزال حتى اليوم -مع المدينة المنورة- مركز اللقاء الكبير والاجتماع الضخم، وما يحدث فيه من لقاء علمي، فتحدث المناظرات، وتتلقح الأفكار، وينتقل العلم في مساراته.

ثم الشام حيث الخلافة الأموية، وقد سكنها ألوف من الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

وكذلك الكوفة والبصرة، حيث تتمركز الجيوش لفتح بلاد الشرق، ومكان عليٍّ رضي الله تعالى عنه إبان خلافته، واستيطان ابن مسعود ومئات الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

ثم مصر منطلق فتوحات أفريقيا.

ثم انتشار الصحابة رضي الله تعالى عنه في اليمن والبحرين. فصارت تلك الأماكن مراكزاً لإشعاع النور[١٣٥٢] وقد ذكرتُ في التمهيد أواخرَ من مات من الصحابة في هذه الأماكن.

٩- احتياج الناس إلى تعليم الدِّين:

لا يوجد عند الإنسان العاقل أغلى عنده من معتقده، ولما كان الإسلام قد ظهر وانتشر خلال فترة قصيرة من الزمن، ودخل فيه الناس أفواجاً، لذا صار الناس في غاية الشوق لعرفة تفاصيله وأحكامه، ولذا بذل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم ما وسعهم من طاقات في سبيل تعليم الناس دينهم.

(١٣٥٢) انظر ما كتبه شيخنا الشيخ محمد أبو زهو رحمه الله تعالى في الحديث والمحدثون، وما كتبه أخونا الفاضل الأستاذ الدكتور محمد عجاج الخطيب في السنة قبل التدوين.

١٠ - شغف أهالي المناطق المفتوحة التي دخلت في الإسلام بسنته ﷺ، وما ينقل عنه:

لذا حصل التقابل بين الفريقين، الصحابة المعلِّمون في غاية البذل، وأهالي تلك البلاد في غاية الحرص على الأخذ والتلقي، والله تعالى أعلم.



خاتمة الباب الثالث

الذي حمل الصحابة رضي الله تعالى عنهم على الحرص على السنة النبوية والمحافظة عليها -إضافة إلى أمر الله تعالى بطاعة رسوله الكريم ﷺ: محبتُهم رضي الله تعالى عنهم لرسوله ﷺ وتوقيره وتعظيمه. وقد ظهرت مظاهر محبتهم له ﷺ بمظاهر متعددة منها: فداؤهم له ﷺ بآبائهم وأمهاتهم، والبدء به ﷺ -لمن قدم من سفر- قبل ذهابهم إلى أهليهم، وتكريمُ ما مسه ﷺ بيده الشريفة، وتعظيمهم لآثاره ﷺ ومحافظتهم عليها وتبركهم بها، وعدمُ صبرهم عن البعد عنه ﷺ، وتأنيبُ النساء أبناءهن إذا أبطأوا عن رؤيته ﷺ، واستمرارهم على ما كان تركهم عليه ﷺ، وعدمُ إزعاجه ﷺ برفع صوت أو إحداد نظر أو رفع رأس، وتقديم قرابته ﷺ على قراباتهم، وعدم صعود أحدهم بيتاً يكون ﷺ فيه، وتمني أحدهم أن يقطَّع أوصالاً ولا يصاب ﷺ بأدنى أذى، وقتلهم أقاربهم إذا كانوا أعداء لله تعالى وله ﷺ، واشتياقهم إليه ﷺ عند القدوم وعند الاحتضار، وامتناعُهم عن القيام بعملٍ قبل فعله ﷺ له، وبكاؤهم إذا ذكروه ﷺ، ومحبتهم لما يحبه ﷺ وكراهيتهم لما يكرهه ﷺ، وذكر ما حصل لهم رضي الله تعالى عنهم يوم وفاته ﷺ، واتّباعه ﷺ في جميع الأمور،...إلخ.

ومن مظاهر محبتهم رضي الله تعالى عنهم وتوقيرهم له وتعظيمهم إيـــاه: حرصُهم على سنته ﷺ، والمحافظة عليها، والعمل بها، ونشرها، وذلـــك في: ملازمة بعضهم رضي الله تعالى عنهم له لسماع الحديث وحفظه منـــه ﷺ مباشرة، ومن فاته السماع منه سمعه ممن سمعه منه ﷺ، وتناوب المشغولين في الحضور عنده ﷺ، وإرسالهم إلى بيوت أمهات المؤمنين ليعلمـــوا حالـــه ﷺ وهديه، والتثبت مما لا يعرفون حتى يرجعوا إليه ﷺ، فيراجعونه ﷺ مما يصدر عنه، وإذا حصل لأحدهم مشكلة رجعوا إليه ﷺ -وإن كانوا بعيدين رحلوا إليه ﷺ- ليعرفوا الحكم الصحيح، وإذا سمعوا من غيره خلاف ما سمعوه منه ﷺ أنكروا عليه، وإذا سمعوا من غيره ﷺ ما لا تستوعبه عقولهم أخذوا من حدّثهم إليه ﷺ ليتأكدوا، وعرض أحدهم عليه ﷺ ما سمعه منه ليتأكد مـــن صحة اللفظ، وتكليف بعضهم بالسؤال عند الحاجة، وإحضار الصغار مجالسه ﷺ، وتذاكرهم رضي الله تعالى عنهم للحديث إذا اجتمعـــوا، ولم تمـــنعهم الدنيا من معرفتها، ولم يمنع الحياء النساء عن سؤاله ﷺ، مع حرصهن علـــى معرفتها ونشرها، وحرصهم على أن يأتي الأعرابي فيسأل، وحفظهم للسنة في زمن النبيِّ الكريم ﷺ؛ سواء عن طريق التطبيق العملي، أو الحفظ غيبـــاً، أو الكتابة. والجواب عما ورد من النهي عن الكتابة عنه ﷺ،...إلخ.

ومن مظاهر محافظتهم رضي الله تعالى عنهم عليها: الاقتداءُ برسول الله ﷺ، وإنكارُهم على من خالفها، وعدمُ سكوتهم عن إظهارها، واحتجاجُهم

بكتاب الله تعالى على حجيتها ووجوب تطبيقها، وبيان حالهم فهداهم الله تعالى برسوله ﷺ، ومذاكرتُهم لها في مجالسهم، وسؤال بعضهم بعضاً عند عدم معرفته لها، والحث على احترامها وتعظيمها وتوقيرها، وإنكارُهم الشديد على من لم تطب نفسه بها أو كان يستهزئ بها، أو قال بخلاف ما سمعوه، ومراجعةُ بعضهم بعضاً عند التشكيك؛ كمراجعة المحدِّث نفسه ليتدبَّر ما حدَّث به، أو إعادة السؤال بعد فترة على الراوي حتى يتثبّت السائل، أو إرسال السائل إلى صحابي آخر للتأكّد من ضبط الأول، وكتابة السائل إلى صحابي آخر للتأكّد من صحة ما سمعه، أو أن يأخذ من حدَّثه إلى من كان سمعه منه للتأكد من صحة الخبر، أو يذكر لهم من كان حاضراً أو يحيل على من كان حاضراً عند سماعهم من رسول الله ﷺ، أو إحالتهم على من يراه أعلم أو أضبط للحديث ليؤكدوا صحته، أو أن يحلف المحدِّث نفسه إذا شعر بتشكيك السامع، أو أن يذكر المحدِّثُ ما يؤكّد على حفظه وضبطه وإتقانه، أو أن يستحلف السامعُ من حدَّثه عن النبيِّ الكريم ﷺ، والتنقير على الصحابي في سماعه الحديثَ من رسول الله ﷺ، أو ردّهم لحديثٍ يخالف ما عندهم مما يجزمون به، وإذا أُنكر عليه ما سمعه من غيره رجع إلى من حدّثه ليتأكد من صحته، وتصديقُ بعضهم لبعض عند الرواية، وطلب بعضهم من يشهد لما حدّث به، والعرض على الحاضرين ما كان يفعله ﷺ، وعدم التزوّد على ما قاله ﷺ، ومحافظتُهم على ما فارقهم عليه ﷺ، والرحلاتُ إلى المناطق النائية لسماع حديثٍ أو للتأكد من ضبطه، وإظهارُ ما كان قد اندرس مما

يُفعل في عهده ﷺ، وتخطئتُهم لمن يقول بغير ما يعلمونـه منـه ﷺ، مـع حكمهم على مخالف السنة النبوية بالمعصية له ﷺ، وإخبارُهم بما عندهم عند توقع الوفاة خشية كتم العلم، ومحافظتُهم على آثاره ﷺ.

ومن مظاهر حرصهم ومحافظتهم على السنة النبوية: تحمُّلُهم لها. وذلك:

- أما في حياته ﷺ؛ فسماعهم منه ﷺ مباشرة، مع ذكر نماذج لـبعض صيغ الأداء مما تحمَّلوه عنه ﷺ، أو سماعهم للسنة من صحابيٍّ سمعها منه ﷺ؛ سواء كان في مجلسه ﷺ، أو كان خارج مجلسه ﷺ، مع بيان شدة احتياطهم عند الأخذ عن غيره ﷺ؛ سواء في سماع القرآن الكريم، أو في سماع الـسنة النبوية.

- وأما بعد وفاته ﷺ، فبالرجوع إلى ما كانوا سمعوه أو رأوه منه ﷺ، أو بالرجوع إلى صحابة آخرين، مع بيان رواياتهم عن بعض إذا وثقوا بهـم، مع زيادة احتياطهم بعد وفاته ﷺ.

ومن مظاهر احتياطهم بعد وفاة رسول الله ﷺ: توقفُهم عن قبول مـن يشكون بعدم حفظه ونسيانه، واستحلافُ المحدِّث أنه سمع هذا الحديث من رسول الله ﷺ، وتصديقُ السامعين لما يقوله المحدِّث، ونقدهم للرواة، والـرد على الكذّابين، والإرسالُ إلى غير المتكلِّم ليُسأل عن صحة الحديث، وإعادةُ السؤال بعد فترة على المحدِّث ليُتأكّد من ضبطه، وإنكارُهم على المكثرين من الرواية، والكتابة إلى صحابيٍّ آخر ليُتأكّد من ضبط المحدِّث، وإرسال المكتوب لمن ظُن عدم معرفته بما فيه للعمل بمقتضاه، وطلب الدليل والـشاهد علـى

صحة ما ينسبه إلى رسول الله ﷺ، والرحلة في سبيل التأكّد من لفظ الحديث، وأخذُهم بخبر الواحد إذا اطمأنوا.

وأهمية تثبتهم رضي الله تعالى عنهم، وظهور نواة السند في الرواية، وظهور مرسل الصحابي، مع بيان تحمُّلهم للسنة هل هو باللفظ أم بالمعنى، وأن السنة لم يحوها واحد منهم لكنها موجودة عند جميعهم، مع بيان أقسام السنة باعتبار الصحة، وباعتبار كثرة المتحمِّلين لها وقلتهم، وما هو سبب قلة المتحملين، وما منهج المقلّين في الرواية، وما هو الحامل على ذلك، ومنهج المكثرين من الرواية، وما هو الحامل لهم على ذلك، مع ذكر قوة حفظ أبي هريرة رضي الله تعالى عنه كنموذج.

ومن مظاهر حرصهم ومحافظتهم على السنة النبوية: منهجهم في الأداء كسؤال بعضهم عما لا يعرفون من سنة النبيِّ ﷺ، والزيارةِ بقصد الحديث والمذاكرة، والمجالس، والحلقات في المسجد، وكثرة التلاميذ، والخطبة على المنبر من العالِم أو الخليفة، والكتابة لبعضهم، وتدوين بعضهم لما سمعه من رسول الله ﷺ، وإملاء بعضهم على تلاميذهم، مع ذكر نماذج مما كتبوه بعد رسول الله ﷺ، مع بيان حرص بعضهم على لفظ الحديث، ولا يجوِّزون تغيير حرف، واكتفاء بعضهم على أداء المعنى، مع بيان شروط رواية الحديث بالمعنى، وبيان حالهم عند روايتهم للحديث.

وبيان احتياطهم في أداء الحديث؛ وذلك بالنظر في كتاب الله تعالى، ثم في السنة النبوية، ثم يسأل الناس، ثم يسعى أن يروي الحديث بلفظه، ثم

الإقلال من الرواية خشية التقول، والتثبت من حفظ الحديث، فإن تشكَّك في حفظه لا يحدِّث به، والاكتفاء برواية غيرهم، وعدم الرواية عما لا تبلغه عقول الناس، وأن يتخولهم بالتحديث، خشية إملالهم، ولا يطوِّل عليهم بالدروس، وأن يتذكر عقوبةَ الكاذب على رسول الله ﷺ ثم يحدِّث، وفي الختام ذكر عوامل انتشار السنة النبوية في زمنهم رضي الله تعالى عنهم.



الباب الرابع

واجب الأمة نحو الصحابة رضي الله تعالى عنهم

وفيه سبعة فصول:

الفصل الأول : محبة النبيِّ الكريم ﷺ لهم رضي الله تعالى عنهم، ورحمته بهم.

الفصل الثاني : محبتهم وتوقيرهم وتعظيمهم رضي الله تعالى عنهم.

الفصل الثالث : اعتقاد نجاتهم رضي الله تعالى عنهم يوم القيامة.

الفصل الرابع : اعتقاد عدالتهم رضي الله تعالى عنهم.

الفصل الخامس: طاعتهم واتّباعهم والأخذ بأقوالهم وأفعالهم رضي الله تعالى عنهم.

الفصل السادس: الدفاع عنهم رضي الله تعالى عنهم والتحذير من الطعن فيهم، ووجوب الإمساك عما حصل بينهم.

الفصل السابع: ثناء أئمة آل البيت عليهم رضي الله تعالى عنهم جميعاً.

مقدمة الباب الرابع

لقد اصطفى الله سبحانه وتعالى من سائر الخلق -عدا الأنبياء والرسل عليهم السلام- مجموعةً منهم، ليكونوا صحابةً وأصهاراً وأنصاراً لرسوله الكريم ﷺ، وجعلهم خيرَ الخلق-عدا الأنبياء والرسل عليهم السلام-من قبل ومن بعد، فهم خير قرون بني آدم.

ثم إن الله تعالى حين انتقاهم -وهو جل شأنه العالِمُ بهم- ما اختارهم إلاّ وهم أفضلُ خلقه، لذا جعلهم حظَّ نبيِّه الكريم ﷺ، وأحلَّ عليهم محبتَه، ورضوانه، وقذف في قلوبهم الإيمان، وشهد لهم بذلك كله.

وما اختارهم الله تعالى لحمل الأمانة، وتبليغ الرسالة، ونشر الإسلام- وهو الدين الذي اختص به، ثم ارتضاه لهم-وإقامة العدل والمساواة في الأرض،...إلاّ وهم عدولٌ عنده، ثقات مأمونون لديه، أهلٌ لتحمِّل تلك الأمانة، وموضع ثقة عنده.

ثم إن الله تعالى ما قذف الإيمان في قلوبهم، وجمَّلهم بصفات الكمال والجمال، وأحل عليهم رضوانه، إلاّ وهو تعالى يعلم أنهم باقون على العهد والميثاق، ولن يزول هذا الإيمان من قلوبهم حتى يلقوه جل شأنه.

ثم إن الله تعالى لما جمّلهم وكمّلهم وجعلهم لنا قدوةً، إلاّ ولهم مَنْزلة رفيعة عنده، لذا أمرنا تعالى ورسولُه الكريم ﷺ بإكرامهم والاستغفار لهم وبمحبتهم واقتفائهم،... ونهى عن سبِّهم أو بغضِهم أو الحقدِ عليهم.

فما موقف الأمة بعدهم نحوهم؟

هذا ما سأذكر مختصراً له في هذا الباب. لكني أضفت فصلين مهمَّين في نظري، محبة النبي المصطفى الكريم ﷺ لهم ورحمته بهم، وتوقيره إياهم، والآخر: توقير وتعظيم وثناء أئمة آل البيت عليهم رضي الله تعالى عنهم جميعاً، وذلك لأمرين: بيان العلاقة الحميمة بين الطرفين، والمودة الشديدة بينهما، ولفت نظر من يزعم وجود الخصومة بينهما، والعداء بين الطرفين.

ولهذا جعلت هذا الباب في سبعة فصول هي:

الفصل الأول: محبة النبي الكريم ﷺ لهم رضي الله تعالى عنهم ورحمته بهم.

الفصل الثاني: محبتهم وتوقيرهم وتعظيمهم رضي الله تعالى عنهم.

الفصل الثالث: اعتقاد نجاتهم رضي الله تعالى عنهم يوم القيامة.

الفصل الرابع: اعتقاد عدالتهم رضي الله تعالى عنهم.

الفصل الخامس: طاعتهم واتّباعهم والأخذ بأقوالهم وأفعالهم رضي الله تعالى عنهم.

الفصل السادس: الدفاع عنهم رضي الله تعالى عنهم، والتحذير من الطعن فيهم، والإمساك عما حصل بينهم.

الفصل السابع: ثناء أئمة آل البيت عليهم رضي الله تعالى عنهم.

أسأله عز وجل أن يمن علينا برضاه، ويرزقنا محبته ومحبة نبيّه الكريم ﷺ، ويرزقنا حسن الاتباع، ومحبة صحابته، والحشر معهم تحت لواء النبي المصطفى الكريم ﷺ.



الفصل الأول

محبة النبي الكريم ﷺ لهم رضي الله تعالى عنهم ورحمته بهم

لا أعلم أحداً من الأنبياء والرسل عليهم السلام من يداني أو يقارب رسول الله ﷺ في محبته أصحابه رضي الله تعالى عنهم ولأمته من بعدهم، وكذا في رحمته بهم، وشفقته عليهم، وحنوّه لهم، وحرصه عليهم،...إلخ.

لقد كان رسول الله ﷺ حريصاً على إسعادهم، ويعز عليه ما يشق عليهم، وهو بهم رؤوف رحيم ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[(١٣٥٣)].

* كان ﷺ يتحرّق عليهم أن يصابوا بأذى، أو يستزلّهم الشيطان، أو يخرجوا عن حدِّ الاعتدال، ويتفقدهم، ويدعو لهم، ويوصي بهم، ويعود مرضاهم، ويشيِّع جنائزهم،... ويبكي على موتاهم، كما كان ﷺ يواسيهم بنفسه وعيشه وماله، بل لو طلب أحد منه ﷺ ثوبه أعطاه إياه،...إلخ.

* كما أنه ﷺ هو القدوة المثلى، والأسوة الحسنة، لذا فإني أذكر في هذا الفصل مظاهرَ رحمته ومحبته وشفقته وإحسانه ﷺ بأصحابه الكرام رضي الله تعالى عنهم. ذلك لأن رسول الله ﷺ هو إمامُ هذه الأمة، وهو قدوتها وأسوتها، وقد ضرب المثل الأعلى في محبته وشفقته ورحمته ﷺ[(١٣٥٤)] ليكون

(١٣٥٣) سورة التوبة (١٢٨).

(١٣٥٤) انظر الحب المتبادل، فقد ذكرت التبادل بينه ﷺ وبين المدينة بما فيها سكانها.

لنا قدوة في واجبنا نحوهم، ومحبتنا لهم، وامتثالنا بهم، وأدبنا معهم، وحسن تعاملنا معهم.

من مظاهر محتبه ﷺ لهم:

- مواساته ﷺ لأصحابه، وعدم تميزه عليهم:

لقد خيّر الله تعالى نبيَّه الكريمَ ﷺ بين أن يكون نبيّاً ملكاً، أو أن يكون رسولاً عبداً، فاختار أن يكون رسولاً عبداً(١٣٥٥) يجوع فيصبر، ويشبع فيشكر، فهو بين شاكر وصابر، وفي ذلك مواساة لأصحابه رضي الله تعالى عنهم.

لذا لم يتميّز عليهم بسكن، ولا أثاث، ولا مجلس، ولا طعام، ولا شراب، مع أن الجبال راودته أن تكون له ذهباً فأبى، وكان يُعطي عطاء من لا يخشى الفقر. وهذا ما سنراه إن شاء الله تعالى في فقرات هذا الفصل.

- جعله الله تعالى أماناً لهم:

ومن مظاهر رحمة الله تعالى بصحابة رسوله ﷺ ورضي الله تعالى عنهم: أن جعل وجود نبيِّه المصطفى الكريم ﷺ أماناً لهم من الفتن والارتداد واختلاف القلوب الذي يفضي إلى النار.

* عن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال: صلينا المغربَ مع رسول الله ﷺ، ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي معه العشاءَ،... الحديث وفيه، فقال ﷺ: (النجومُ أَمَنَةٌ للسماء، فإذا ذهبت النجومُ أتى السماءَ ما توعد،

(١٣٥٥) انظر: مسند أحمد (٢: ٢٣١) وكشف الأستار (٣: ١٥٥) ومسند أبي يعلى (١٠: ٤٩١) وصحيح ابن حبّان (١٤: ٢٨٠) والتواضع والخمول (١٦٢-١٦٣رقم١٢٥) ومجمع الزوائد (٩: ١٨-١٩).

وأنا أَمَنَةٌ لأصحابي، فإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أَمَنَةٌ لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون). رواه مسلم(١٣٥٦).

* وعن عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه قال: صلّينا مع رسول الله ﷺ يوماً، فأطال القيام، وكان إذا صلّى لنا خفّف، ثم لا نسمعُ منه شيئاً غير أنه يقول: (ربِّ وأنا فيهم) ثم رأيتُه أهوى بيده ليتناولَ شيئاً، ثم ركع، ثم أسرع بعد ذلك، فلما سلّم رسولُ الله ﷺ جلس، وجلسنا حوله، فقال رسول الله ﷺ: (قد علمتُ أنه راعكم طولُ صلاتي وقيامي) قلنا: أجل يا رسول الله، وسمعناك تقول: (ربِّ وأنا فيهم).

فقال رسول الله ﷺ: (والذي نفسي بيده، ما من شيءٍ وُعِدتموه في الآخرة؛ إلاّ قد عُرض عليَّ في مقامي هذا، حتى لقد عُرضت عليَّ النارُ، فأقبل إليَّ منها شيءٌ؛ حتى دنا بمكاني هذا، فخشيتُ أن تغشاكم، فقلت: ربِّ وأنا فيهم. فصرفها عنكم، فأدبرت قِطعاً كأنها الزرابيُّ، فنظرتُ إليها نظرةً؛ فرأيتُ عَمْرَو بن حُرثان أخا بني غفار متكئاً في جهنم على قوسه، وإذا فيها الحميرية صاحبةُ القطّة التي ربطتها، فلا هي أطعمتها، ولا هي أرسلتها). رواه ابن حِبّان بإسناد صحيح، والطبراني من طريقين(١٣٥٧).

(١٣٥٦) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب بيان أن بقاء النبيّ ﷺ أمان لأصحابه،... رقم (٢٠٧).

(١٣٥٧) صحيح ابن حِبّان (١٤: ٣٤٣-٣٤٤) والمعجم الكبير (١٧: ٣١٥-٣١٦) والمعجم الأوسط (٣: ٢٩٤) ومجمع البحرين (٨: ١٤٣) ومجمع الزوائد (٢: ٨٨) (١٠: ٣٨٦).

وسيأتي حديثُ عبد الله بن عَمرِو بن العاص رضي الله تعالى عنهما بعد اثنتي عشرة فقرة، إن شاء الله تعالى.

- مساواته ﷺ لهم بنفسه حتى في الاعتقاب على الراحلة:

ومن مظاهر محبته ورحمته ﷺ وشفقته بأصحابه رضي الله تعالى عنهم: أنه إذا كان معهم في سفر، ويوجد من يعتقب معه على الراحلة، فإنه يساوي ﷺ نفسه بهم، فيمشي في نوبته، ولا يرضى أن يركب طيلة السفر، فكما أنهم يمشون وهو يركب، كذلك فإنهم يركبون وهو يمشي. وهذا مقتضى المساواة بينه وبينهم بل غايتها، بأبي هو وأمي ما أكرم أخلاقه وأرحم نفسه.

* عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: كنا يوم بدر كلُّ ثلاثة على بعير، قال: فكان أبو لبابة وعليّ بن أبي طالب زميلَيْ رسول الله ﷺ. قال: فكان إذا جاءت عُقْبَةُ رسول الله ﷺ قالا له: اركب، ونحن نمشي عنك. فيقول: (ما أنتما بأقوى مني، وما أنا بأغنى عن الأجر منكما). رواه الطَّيالِسي وابن سعد وابن أبي شيبة وأحمد والنَّسائي والشاشي والبَزّار وأبو يعلى والبيهقي، وصححه ابن حِبّان والحاكم وأقره الذهبي(١٣٥٨).

(١٣٥٨) مسند الطَّيالِسي (٤٧ رقم ٣٥٤) والطبقات الكبرى (٢: ٢١) ومسند ابن أبي شيبة (١: ٢٦٦) ومسند أحمد (١: ٤١١، ٤١٨، ٤٢٢، ٤٢٤) والسنن الكبرى للنسائي (٥: ٢٥٠) والبحر الزخار (٥: ٢١٠) وكشف الأستار (٢: ٣١٠) ومسند أبي يعلى (٩: ٢٤٢-٢٤٣) ومسند الشاشي (٢: ١١٤) وحلية الأولياء (٦: ٢٥٤-٢٥٥) وصحيح ابن حِبّان (١١: ٣٥) والمستدرك (٢: ٩١) (٣: ٢٠) وشرح السنة (١١: ٣٥-٣٦) والسنن الكبرى للبيهقي (٥: ٢٥٨) ومجمع الزوائد (٦: ٦٨-٦٩) وهذا مما يستدرك عليه.

- حثُّه ﷺ على الاعتدال ومواءمة الفطرة:

ومن مظاهر محبته ورحمته ﷺ وشفقته بأصحابه رضي الله تعالى عنهم: حثُّه ﷺ على الاعتدال ومواءمة الفطرة، وعلى أخذ الأمور بالسهولة، لا بالشدة، وعلى عدم المغالاة والتزيد والتعمّق ومجاوزة الحد.

* ولهذا كثر عنه ﷺ قولُه: (عليكم من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يَمَلُّ حتى تَمَلُّوا، وإن أحب الأعمال إلى الله: ما دُووم عليه وإن قلَّ). متفق عليه(١٣٥٩).

وقد ورد هذا الحديث في الصلاة والصيام،... وغيرهما.

* عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: جاء ثلاثةُ رَهْطٍ إلى أزواج النبي ﷺ، يسألون عن عبادةِ النبي ﷺ، فلما أُخبروا بها كأنهم تقالّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؛ وقد غَفر الله له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخر؟... الحديث بطوله، وفيه: فجاء رسولُ الله ﷺ فقال: (أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلّي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني). متفق عليه، واللفظ للبخاري(١٣٦٠).

* ولما زوَّج عَمْرُو بنُ العاص ولدَه عبدَ الله رضي الله تعالى عنهما كريمةً من كرائم قريش، ولم يأَهْا عبد الله رضي الله تعالى عنه، منشغلاً بعبادته؛

(١٣٥٩) صحيح البخاري: كتاب الإيمان: باب أحب الدِّين إلى الله أدومه، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين: باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره، رقم (٢١٥).

(١٣٦٠) صحيح البخاري: كتاب النكاح: باب الترغيب في النكاح. وصحيح مسلم: كتاب النكاح: باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، رقم (٥).

يقومُ الليل فلا ينام، ويصومُ النهار فلا يفطر -وأخبر عمرٌو رضي الله تعالى عنه رسولَ الله ﷺ بذلك-: نهى رسولُ الله ﷺ عبدَ الله، ودلَّه على التوسط والاعتدال، وقال له: (إن لجسدك عليك حقّاً، وإن لعينك عليك حقّاً، وإن لزوجك عليك حقاً، وإن لزَوْرِك [أي الضيف] عليك حقاً،... وقال له ﷺ: إنك لا تدري لعلك يطول بك عُمْرٌ).

قال عبدُ الله رضي الله تعالى عنه: فلما كبرتُ وددتُ أني كنتُ قبلتُ رخصةَ نبي الله ﷺ. الحديث، متفق عليه(١٣٦١).

* وقد ورد مثل هذا الحديث المرفوع من حديث سلمان مع أبي الدَّرْداء رضي الله تعالى عنهما، كما رواه البخاري(١٣٦٢).

ونهى ﷺ عثمانَ بنَ مظعون رضي الله تعالى عنه عن التبتل، و لم يأذن له فيه. مع أنه يريد الانقطاع عن الدنيا، والتفرغ للعبادة.

* عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال: ردَّ رسولُ الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتلَ، ولو أذن له لاختصينا. متفق عليه(١٣٦٣).

- عدم موافقته ﷺ أن يذهب أحدهم من المدينة إلى مكة ماشياً:

ومن مظاهر محبته ورحمته ﷺ وشفقته بأصحابه رضي الله تعالى عنهم:

(١٣٦١) صحيح البخاري: كتاب الصوم: باب حق الجسم في الصوم، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الصيام: باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به،... رقم (١٨١-١٩٣).

(١٣٦٢) صحيح البخاري: كتاب الصوم: باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع و لم ير عليه قضاء.

(١٣٦٣) صحيح البخاري: كتاب النكاح: باب ما يكره من التبتل والخصاء. وصحيح مسلم: كتاب النكاح: باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة،... رقم (٦-٨).

لم يرض أن يذهب أحدهم من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة ماشياً، حتى لو كان قد نذر ذلك -مع أنه أمر معهود- بل أمر ﷺ من كان معه هديه أن يركب عليها -وهو يعلم أنها هدي- ولما تأخر الرجل عنّفه بقوله: (ويلك) كلٌّ ذلك رحمة بهم وشفقة وحرصاً عليهم، و لم يرض أن يمشي على قدميه من المدينة حتى مكة، والهدي يمشي بجواره.

* عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، أن النبيَّ ﷺ رأى ﷺ شيخاً يُهادى بين ابنيه، فقال: (ما بالُ هذا؟) قالوا: نذر أن يمشي، فقال ﷺ: (إن الله عن تعذيب هذا نفسَه لغني) وأمره أن يركب. متفق عليه(١٣٦٤).

* ورواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه بنحوه.

* عن عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه أنه قال: نذَرتْ أختي أن تمشيَ إلى بيت الله الحرام حافيةً، فأمرتني أن أستفتي لها رسولَ الله ﷺ. فاستفتيتُه، فقال ﷺ: (لِتَمْش ولتركب). متفق عليه(١٣٦٥).

* وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يسوق بدنةً، فقال: (اركبها) قال: يا رسول الله؛ إنها بدنة. فقال: (اركبها، ويلك) في الثانية أو الثالثة. متفق عليه(١٣٦٦).

(١٣٦٤) صحيح البخاري: كتاب جزاء الصيد: باب من نذر المشي إلى الكعبة. وصحيح مسلم: كتاب النذر: باب من نذر أن يمشي إلى الكعبة، رقم (٩، ١٠).

(١٣٦٥) صحيح البخاري: في الكتاب والباب السابقين. وصحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (١١، ١٢).

(١٣٦٦) صحيح البخاري: كتاب الحج: باب ركوب البدن، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الحج: باب جواز ركوب البدنة المهداة لمن احتاج إليها، رقم (٣٧١-٣٧٤).

* ورروياه من حديث أنس رضي الله تعالى عنه أيضاً.

- نهيه ﷺ عن الوصال في الصوم رحمة بهم:

ومن مظاهر رحمته ﷺ وشفقته بأصحابه رضي الله تعالى عنهم: نهيه لهم عن الوصال بالصيام، وذلك بأن يصوم أحدُهم عدةَ أيام من غيرِ طعامٍ وشرابٍ فيها، يعني من غير فطور ولا سحور، وهم يريدون أن يفعلوا فعلَه، حتى بيَّن لهم أنه ﷺ ليس كهيئتهم، لأنه يبيت يطعمه ربُّه عز وجل ويسقيه. وقد تواتر نهيه ﷺ عن الوصال، أقتصر على ثلاثة نصوص مما في الصحيحين.

* عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إياكم والوِصال) قالوا: فإنك تواصل، يا رسول الله، قال (إني لستُ كهيئتكم؛ إني أبيتُ يطعمني ربي ويسقيني، فاكلفوا من الأعمال ما تطيقون). متفق عليه.

* وعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: نهاهم النبيُّ ﷺ عن الوصال رحمةً لهم، فقالوا: إنك تواصل؟ قال: (إني لستُ كهيئتكم، إني يُطعمني ربي ويسقيني). متفق عليه.

* وعن ابن عُمَر رضي الله تعالى عنهما، أن النبيَّ ﷺ نهى عن الوصال. قالوا: إنك تواصل. قال: (إني لستُ كهيئتكم، إني أُطعم وأُسقى). متفق عليه.

* كما ورد عندهما أيضاً من حديث أنس وأبي سعيد رضي الله تعالى عنهم(١٣٦٧).

(١٣٦٧) انظر تلك الأحاديث: صحيح البخاري: كتاب الصوم: باب الوصال، وباب التنكيل لمن أكثر الوصال، وفي غيرها. وصحيح مسلم: كتاب الصيام: باب النهي عن الوصال في الصوم، رقم (٥٥-٦١).

- إشعاره ﷺ لهم بعدم تميزه عليهم:

ومن مظاهر رحمته ﷺ بأصحابه رضي الله تعالى عنهم وشفقته عليهم: عدم رغبته أن يتميَّز عليهم، أو يُرفع فوقهم، بل كان يُشعرهم وكأنه واحد منهم،...

وقد تنوّعت مظاهر ذلك، أشير إلى بعضها من غير استيعاب.

- فمن ذلك: رفضه ﷺ طلبهم رضي الله تعالى عنهم أن يسجدوا له، وعلّق أمر السجود لمخلوق على أمرٍ محالٍ. وقد جاء الطلب من وجهين:

* عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: كان أهلُ بيتٍ من الأنصار لهم جملٌ يسنون عليه، الحديث بطوله، في قصة سجود الجمل للنبي الكريم ﷺ، وفي آخره: فقال له أصحابه: يا رسول الله؛ هذا بهيمة لا يعقل؛ يسجدُ لك، ونحن نعقلُ، فنحن أحقُّ أن نسجدَ لك. قال: (لا يصلح لبشر أن يسجدَ لبشرٍ، ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرتُ المرأةَ أن تسجد لزوجها، لعظم حقّه عليها،...). الحديث، رواه أحمد والبَزّار برجال الصحيح غير حفص بن أخي أنس وهو ثقة، وروى البَزّار نحوَه، وروى النَّسائي آخره، وقال المنذري: إسناد جيدٌ، رواته ثقات مشهورون، وقال ابن كثير: إسناد جيد، وصححه السيوطي(١٣٦٨).

وقد ورد نحوه عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم، لأن سجود

(١٣٦٨) مسند أحمد (٣: ١٥٨) والبحر الزخار (١٣: ٩٣) وكشف الأستار (٣: ١٥١-١٥٢) وعشرة النساء (٢٢٥) ودلائل النبوة لأبي نعيم (٢: ٤٩١-٤٩٢) ومجمع الزوائد (٩: ٤) والترغيب والترهيب (٤: ١٢٣) والشمائل لابن كثير (٢٦٢-٢٦٣) والنظم المتناثر (١٣٨).

الجمل للنبي الكريم ﷺ متواتر(١٣٦٩).

* وعن ابن أبي أوفى رضي الله تعالى عنه قال: لما قدم معاذ بن جبل من الشام، سجد لرسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: (ما هذا؟) قال: يا رسول الله؛ قدمتُ الشامَ، فرأيتُهم يسجدون لبطارقتهم وأساقفتهم، فأردتُ أن أفعلَ ذلك بك، قال: (فلا تفعل، فإني لو كنتُ أمرت شيئاً أن يسجد لشيء، لأمرتُ المرأةَ أن تسجد لزوجها،...). الحديث بطوله، رواه أحمد وابن ماجَه وابن صاعد، وصححه ابن حِبّان والحاكم(١٣٧٠).

* وقد ورد من طريق معاذ رضي الله تعالى عنه نفسه.

- كراهيته ﷺ أن يقوموا رضي الله تعالى عنهم له:

- ومن ذلك: كراهيته ~ أن يقوموا رضي الله تعالى عنهم له ﷺ، وإن كانوا يفعلون ذلك أحياناً، تكريماً له ﷺ وتعظيماً، لأن الأدب عين الامتثال كما يقال.

* عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: ما كان شخصٌ أحبَّ إليهم من رسول الله ﷺ، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا، لما علموا من كراهيته

(١٣٦٩) انظر: قطف المتناثر (٢٦٦) والنظم المتناثر (١٣٧-١٣٨) والأزهار المتناثرة (٣٦) وإتحاف ذوي الفضائل (١٤١-١٤٢) ومحبة النبي ﷺ وطاعته بين الإنسان والجماد (٥٠-٥٢).

(١٣٧٠) مسند أحمد (٤: ٣٨١) وسنن ابن ماجَه: كتاب النكاح: باب حق الزوج على المرأة، رقم (١٨٥٣) ومسند ابن أبي أوفى (٩٦، ٩٧) وصحيح ابن حِبّان (٩: ٤٧٩) والسنن الكبرى (٧: ٢٩٢) وانظر: إتحاف الخيرة المهرة (٤: ٥٣٥-٥٣٦، ٥٣٨).

لذلك. رواه ابن أبي شيبة وأحمد، والبخاري في الأدب المفرد، والترمذي وصححه، وأبو يعلى والبغوي وأبو الشيخ والبيهقي برجال الصحيح(١٣٧١).

- إذا جلس معهم لا يفترق عنهم، ولا يتميّز عنهم بمكان خاص:

- ومن ذلك: أنه كان ﷺ إذا جلس معهم لا يفترق عنهم، ولا يتميّز عنهم بمكان خاص، حتى إن الغريب إذا دخل لا يعرفه ﷺ، مما حدا بهم رضي الله تعالى عنهم أن طلبوا منه أن يكون له مكانٌ متميِّزٌ؛ ليعرفه الغريبُ إذا دخل، ولا يُحرَج بالسؤال عنه.

* عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: بينما نحن جلوسٌ مع النبيِّ ﷺ في المسجد: دخل رجلٌ على جمل فأناخه في المسجد، ثم عقله ثم قال لهم: أيكم محمد؟ والنبيُّ ﷺ متكئٌ بين ظَهرانَيْهم. فقلنا: هذا الرجل الأبيضُ المتَّكئُ.

فقال له الرجل: ابنَ عبد المطلب؟ فقال له النبيُّ ﷺ: (قد أجبتك) فقال الرجل للنبي ﷺ: إني سائلك، فمشدِّدٌ عليك في المسألةِ فلا تَجِد عليَّ في نفسك. فقال: (سل عمّا بدا لك) فقال: أسألك بربِّك وربِّ مَن قَبلك آلله أرسلك إلى الناس كلِّهم؟ فقال: (اللهم نعم) قال: أنشدك بالله، آلله أمرك أن

(١٣٧١) مصنف ابن أبي شيبة (٨: ٥٨٦) ومسند أحمد (٣: ١٣٢، ١٣٤، ١٥١، ٢٥٠-٢٥١) والأدب المفرد (٣١٦ رقم ٩٤٩) وسنن الترمذي: كتاب الأدب: باب ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل، رقم (٢٧٥٤) والشمائل له (٥٤٦-٥٤٧رقم ٣٣٥) ومسند أبي يعلى (٦: ٤١٧-٤١٨) وشرح السنة (١٢: ٢٩٤) والشمائل له (١: ٣٠٢) وأخلاق النبيّ ﷺ (٥٨) وشعب الإيمان (٦: ٤٦٩).

تصلّي الصلوات الخمسَ في اليوم والليلة؟ قال: (اللهم نعم) قال: أنشدك بالله، آلله أمرك أن تصوم هذا الشهر من السنة؟ قال: (اللهم نعم) قال: أنشدك بالله، آلله أمرك أن تأخذ هذه الصدقةَ من أغنيائنا فتقسِمَها على فقرائنا؟ فقال النبيُّ ﷺ: (اللهم نعم) فقال الرجل: آمنتُ بما جئتَ به. وأنا رسولُ مَن ورائي من قومي، وأنا ضِمام بنُ ثعلبةَ؛ أخو بني سعد بن بكر. رواه البخاري(١٣٧٢)، وأصل الحديث متفق عليه، وقد مر في الباب الثالث.

* وعن أبي هريرة وأبي ذر رضي الله تعالى عنهما قالا: كان رسول الله ﷺ يجلس بين ظهرانَي أصحابه، فيجيء الغريب فلا يدري أيّهم هو، حتى يسأل، فطلبنا إلى رسول الله ﷺ أن نجعل له مجلساً يعرفه الغريب إذا أتاه، قال: فبنينا له دكّاناً من طين، فجلس عليه، وكنا نجلس بجنبيه، ثم ذكر قصة مجيء جبريل عليه السلام، وسؤاله عن الإسلام والإيمان والإحسان. رواه أبو داود والنَّسائي وغيرهما، وأصل الحديث في الصحيحين(١٣٧٣).

- كراهيته ﷺ أن يمشوا رضي الله تعالى عنهم خلفه:

- ومن ذلك: كراهيته ﷺ أن يمشوا رضي الله تعالى عنهم خلفه(١٣٧٤). لأن في ذلك مذلةً للتابع، وهو ﷺ لا يريد ذلك لأصحابه.

(١٣٧٢) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب القراءة والعرض على المحدِّث.

(١٣٧٣) سنن أبي داود: كتاب السنة: باب في القدر، رقم (٤٦٩٨) وسنن النَّسائي: كتاب الإيمان: باب صفة الإيمان والإسلام (٨: ١٠١) وأدب الإملاء والاستملاء (٥٠) وأخلاق النبيِّ ﷺ (٦٠).

(١٣٧٤) أخلاق النبيِّ ﷺ (٨٥).

- أنه ﷺ يجلس حيث ينتهي به المجلس:

- ومن ذلك: أنه ﷺ يجلس حيث ينتهي به المجلس[١٣٧٥]، فيكون صدرُ المجلس حيث جلس الصدرُ، ولا يخصِّص مكاناً خاصّاً به دائماً.

- أنه ﷺ يكون آخر من ينحّي رأسَه أو يده عند المساررة والمصافحة:

- ومن ذلك: أنه ﷺ يكون آخر من ينحّي رأسَه أو يده عند المساررة والمصافحة.

* عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: ما رأيت رجلاً التقم أُذنَ رسول الله ﷺ فيُنَحّي رأسَه، حتى يكونَ الرجلُ هو الذي يُنَحي رأسَه، وما رأيت رجلاً أخذ بيده فترك يدَه، حتى يكون الرجل هو الذي يدع يده. رواه أبو داود وأبو يعلى وابن حِبّان والبيهقي[١٣٧٦].

- إقباله ﷺ على جليسه، حتى يظن أنه باهتمامه به أحبّ الناس إليه:

- ومن ذلك: إقباله ﷺ على جليسه، حتى يظن أنه باهتمامه به أحبّ الناس إليه.

* عن عَمْرِو بن العاص رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ

(١٣٧٥) انظر: صحيح البخاري: كتاب العلم: باب من قعد حيث ينتهي به المجلس، وانظر الشمائل المحمدية مع شرح المواهب اللدنية (٥٦٠).

(١٣٧٦) سنن أبي داود: كتاب الأدب: باب حسن العشرة، رقم (٤٧٩٤) ومسند أبي يعلى (٦: ١٨٧) وأخلاق النبي ﷺ (٣١) وصحيح ابن حبّان (١٤: ٣٤٧) ودلائل النبوة (١: ٣٢٠-٣٢١) ورواه ابن المبارك والترمذي وابن ماجَه وعلي بن الجعد والبيهقي والبغوي من وجه آخر عن أنس رضي الله تعالى عنه.

يُقبل بوجهه وحديثه على أشرِّ القوم، يتألَّفُهم بذلك، فكان يقبل بوجهه وحديثه عليَّ حتى ظننتُ أني خيرُ القومِ. فقلت: يا رسول الله؛ أنا خيرٌ أو أبو بكر؟ فقال رسول الله ﷺ: (أبو بكر) فقلت: يا رسول الله؛ أنا خيرٌ أم عُمر؟ فقال: (عمر) فقلت: يا رسول الله؛ أنا خيرٌ أم عثمان؟ فقال: (عثمان) فلما سألت رسولَ الله ﷺ فصدَقَني، فلوددتُ أني لم أكن سألتُه. رواه الترمذي والطبراني بإسناد حسن، وأصله في الصحيحين(١٣٧٧).

- **أنه ﷺ يشاركهم فيما هم فيه:**

- ومن ذلك: أنه ﷺ إذا جلس مع أصحابه رضي الله تعالى عنهم، فإنه ﷺ يشاركهم فيما هم فيه، فإن ذكروا الدنيا ذكرها معهم، وإن ذكروا نكتةً مما يُضحك ضحك معهم، لكن ليس القهقهة، إنما الغالب على ضحكه -بأبي هو وأمي- التبسم.

* عن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: ما رأيتُ رسول الله ﷺ مستجمعاً ضاحكاً حتى أرى لهواته، إنما كان يتبسَّم. متفق عليه(١٣٧٨).

* وعن سِماك بن حرب رحمه الله تعالى قال: قلت لجابر بن سَمُرة رضي الله تعالى عنه: أكنتَ تجالس رسول الله ﷺ؟ قال: نعم كثيراً. كان لا يقوم من مُصلّاه الذي صلّى فيه الصبحَ -أو الغداة- حتى تطلعَ الشمسُ، فإذا طلعت الشمسُ قام، وكانوا يتحدَّثون، فيأخذون في أمر الجاهلية، فيضحكون

(١٣٧٧) الشمائل للترمذي (٥٧٣-٥٧٥) ومجمع الزوائد (٩: ١٥).

(١٣٧٨) صحيح البخاري: كتاب الأدب: باب التبسم والضحك، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب صلاة الاستسقاء: باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم،... رقم (١٦).

ويتبسّم رسول الله ﷺ. رواه مسلم(١٣٧٩).

* وفي رواية لغيره، قال جابر رضي الله تعالى عنه: كان كثيرَ الصمت، قليلَ الضحك، فكان أصحابُه ربما يتناشدون الشعرَ عنده، وربما قال الشيءَ من أمورهم فيضحكون، وربما تبسم. رواه الطَّيالِسي وأحمد والبيهقي(١٣٨٠).

* وعن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه قال: كنتُ جارَه -ﷺ- فكان إذا نزل الوحيُ بعث إليَّ، فآتيه، فأكتب الوحيَ، وكنّا إذا ذَكَرنا الدنيا ذكَرها معنا، وإذا ذكرنا الآخرةَ ذكرها معنا، وإذا ذكَرنا الطعام ذكره معنا،... رواه ابن سعد والترمذي في الشمائل والطبراني والبغوي والبيهقي(١٣٨١).

- كراهيته ﷺ أن يُطرى كما طُرِي من قبله من الرسل عليهم السلام:

ومن رحمته ﷺ وتواضعه وشفقته على أصحابه رضي الله تعالى عنهم: أنه كان يكره أن يطروه كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم عليه السلام، كما كان يكره أن ينادوه بالسيادة، بل بالنبوة والرسالة.

* عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تُطروني، كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، فإنما أنا عبدٌ، فقولوا:

(١٣٧٩) صحيح مسلم: كتاب المساجد: باب فضل الجلوس في مصلاه بعد الصبح، رقم (٢٨٦، ٢٨٧) وكتاب الفضائل: باب تبسمه ﷺ وحسن عشرته، رقم (٦٩).

(١٣٨٠) مسند الطَّيالِسي (١٠٥ رقم ٧٧١) ومسند أحمد (٥: ٨٦، ٨٨) والسنن الكبرى للبيهقي (٧: ٥٢) (١٠: ٢٤٠) ورواه كثيرون بأخصر.

(١٣٨١) الطبقات الكبرى (١: ٣٦٥) والشمائل للترمذي (٥٧١-٥٧٣ رقم ٣٤٣) والمعجم الكبير (٤٨٨٢) وأخلاق النبيّ ﷺ (٢٠، ٢١، ٢٩-٣٠) وشرح السنة (٣٦٧٩) والشمائل له (١: ٣٠١-٣٠٢) ودلائل النبوة (١: ٣٢٤) ومجمع الزوائد (٩: ١٧).

عبدُ الله ورسولُه). رواه البخاري[١٣٨٢].

* وعن أنس رضي الله تعالى عنه، أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: يا سيدنا وابن سيدنا. فقال رسول الله ﷺ: (يا أيها الناس؛ قولوا بقولكم، ولا يستهوينَّكم الشيطان، أنا محمد بن عبد الله ورسولُه، والله ما أحبُّ أن ترفعوني فوق ما رفعني الله). رواه أحمد وعبد بن حُميد والنَّسائي، وصححه ابن حِبّان والضياء[١٣٨٣].

قلت: وهذه الأحاديث وما كان على شاكلتها؛ فهي مما قاله ﷺ في أوائل الهجرة، أو مما قاله ﷺ تواضعاً، لأن المفاضلة بين الأنبياء والرسل ثابتة في كتاب الله تعالى، وأن التسييد له ﷺ ثبت عنه في السَّنة العاشرة من الهجرة، كما بينتُه في (مكانة النبي الكريم ﷺ بين الأنبياء عليهم السلام) كما في قوله ﷺ: (أنا سيد الناس يوم القيامة،...). متفق عليه[١٣٨٤]. وغيره.

- نهيه ﷺ أن يعذِّب امرؤ نفسه بعبادة ونحوها:

ومن رحمته ﷺ بأصحابه رضي الله تعالى عنهم، وشفقته بهم وحرصه

(١٣٨٢) صحيح البخاري: كتاب الأنبياء: باب قول الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾، وفي غيرهما.

(١٣٨٣) مسند أحمد (٣: ١٥٣، ٢٤١، ٢٤٩) ومسند عبد بن حُميد (١٩٠ رقم ١٣٠٩) وعمل اليوم والليلة (٢٤٩، ٢٥٠ رقم ٢٤٨، ٢٤٩) وصحيح ابن حبّان (١٤: ١٣٣) ودلائل النبوة (٥: ٤٩٨) والمختارة (٥: ٢٥-٢٧ من طرق) (٦: ٩٥، ٩٥-٩٦).

(١٣٨٤) صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء: باب ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾. وصحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب أدنى أهل الجنة منزلة، رقم (٣٢٧، ٣٢٨).

عليهم -ثم بالأمة بعدهم- أنه لا يرضى أن يعذِّب أحدُهم نفسَه، بعبادةٍ ونحوها مما يشق عليه.

* عن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: بينما رسول الله ﷺ يخطب؛ إذا هو برجل قائم، فسأل عنه؟ فقالوا: أبو إسرائيل، نذر أن يقومَ في الشمس ولا يقعد، ويصومَ ولا يفطر بنهار، ولا يستظلَّ، ولا يتكلَّمَ، فقال رسول الله ﷺ: (مروه فليستظل، وليقعد، وليتكلّم، وليتم صومه). رواه البخاري[١٣٨٥].

* وعن مجيبة الباهلية رضي الله تعالى عنها، عن أبيها أو عمها، أنه أتى رسول الله ﷺ، ثم انطلق، فأتاه بعد سنة وقد تغيّرت حالُه وهيئتُه. فقال: يا رسول الله ﷺ؛ أما تعرفني؟ قال: (من أنتَ؟) قال: أنا الباهلي الذي جئتُك عامَ أول: قال: (فما غيّرك، وكنتَ حسنَ الهيئة؟) قال: ما أكلتُ طعاماً منذ فارقتُك إلاّ بليل. فقال رسول الله ﷺ: (فلم عذَّبتَ نفسك؟) ثم قال: (صم شهر الصبر، ويوماً من كل شهر) قلت: زدني فإن بي قوةً. قال: (صم يومين) قلت: زدني. قال: (صم ثلاثةً) قلت: زدني: قال: (صم من الحُرُم واترك، صم من الحُرُم واترك، صم من الحُرُم واترك) وقال بأصابعه الثلاثة، فضمها ثم أرسلها. رواه أحمد وابن سعد وعبد بن حُميد وأبو داود والنَّسائي وابن ماجَه[١٣٨٦].

(١٣٨٥) صحيح البخاري: كتاب الأيمان والنذور: باب النذر فيما لا يملك وفي معصية؟

(١٣٨٦) مسند أحمد (٥: ٢٨) والطبقات الكبرى (٧: ٨٣) ومسند عبد بن حُميد (رقم٤٠٠) وسنن أبي داود: كتاب الصوم: باب في صوم أشهر الحرم، رقم (٢٤٢٨) وسنن النَّسائي الكبرى (٢: ١٣٩-١٤٠) وسنن ابن ماجَه: كتاب الصيام: باب صيام أشهر الحرم، رقم (١٧٤١) ومعجم الصحابة لابن قانع (٢: ٩٣) وسمى أباها: عبد الله بن الحارث، وهذا أخرجه بعضهم.

ورواه البخاري في تاريخه وابن سعد وابن قانع والطبراني -بلفظه- من حديث كهمس الهلالي رضي الله تعالى عنه[١٣٨٧].

- مزاحه ﷺ معهم:

ومن رحمته ﷺ وشفقته بأصحابه رضي الله تعالى عنهم ومحبته لهم: أنه كان يمازحهم، حتى يزيل ما في نفوسهم من الرهبة والخوف، ويُشعرهم بقربه منهم، ويتألفهم على محبته والإيمان به. ولكنه ﷺ لا يقول إلا حقّاً.

* عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، أن رجلاً أتى النبيَّ ﷺ، فاستحمله، فقال رسول الله ﷺ: (إنّا حاملوك على ولد الناقة) فقال: يا رسول الله؛ ما أصنع بولد الناقة؟ فقال رسول الله ﷺ: (وهل تلد الإبلَ إلاّ النوق؟). رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد، وأبو داود في آخرين، وصححه الترمذي[١٣٨٨].

* وعنه رضي الله تعالى عنه، أن النبيَّ ﷺ قال له: (ياذا الأذنين). رواه أحمد وأبو داود، والترمذي وصححه، وابن السني وأبو يعلى والطبراني والبغوي[١٣٨٩].

(١٣٨٧) التاريخ الكبير (٧: ٢٣٨-٢٣٩) والطبقات الكبرى (٧: ٤٦) ومعجم الصحابة (٢: ٣٨٢) والمعجم الكبير (١٩: ١٩٤) وأسد الغابة (٤: ٢٠٢) والإصابة (٥: ٦٢٥-٦٢٦).

(١٣٨٨) مسند أحمد (٣: ٢٦٧) والأدب المفرد (١٠٤ رقم ٢٦٨) وسنن أبي داود: كتاب الأدب: باب ما جاء في المزاح، رقم (٤٩٩٨) وسنن الترمذي: كتاب البر والصلة: باب ما جاء في المزاح، رقم (١٩٩١) والشمائل للترمذي (٣٩٥ رقم ٢٣٨) ومسند أبي يعلى (٦: ٤١٢) وأخلاق النبيِّ ﷺ (٧٨) والسنن الكبرى (١٠: ٢٤٨) وشرح السنة (١٣: ١٨١-١٨٢) والشمائل له (١: ٢٥٦).

(١٣٨٩) مسند أحمد (٣: ١١٧، ١٢٧، ٢٤٢، ٢٦٠) وسنن أبي داود: كتاب الأدب: باب ما جاء في المزاح، رقم (٥٠٠٢) وسنن الترمذي: كتاب البر والصلة: باب ما جاء في =

* وعنه رضي الله تعالى عنه، أن رجلاً من أهل البادية، كان اسمه زاهراً، وكان يُهدي إلى النبي ﷺ الهديةَ من البادية، فيُجهِّزه النبيُّ ﷺ إذا أراد أن يخرج، فقال رسول الله ﷺ: (إن زاهراً باديتُنا، ونحن حاضروه).

وكان رسول الله ﷺ يحبُّه، وكان رجلاً دميماً، فأتاه رسول الله ﷺ وهو يبيع متاعه، فاحتضنه من خلفه، ولا يبصره الرجل، فقال: أرسِلْني، مَنْ هذا؟ فالتفت، فعرف النبيّ ﷺ، فجعل لا يألو ما ألصق ظهرَه بصَدْر النبيِّ ﷺ حين عرفه، وجعل رسولُ الله ﷺ يقول: (من يشتري العبدَ؟) فقال: يا رسول الله؛ إذاً-والله-تجدُني كاسداً، فقال رسول الله ﷺ: (لكن عند الله لستَ بكاسد) أو قال: (لكن عند الله أنت غال). رواه عبد الرزاق وأحمد والترمذي، وصححه ابن حبّان، في آخرين، وصححه الحافظ، وقال ابن كثير: هذا إسناد رجاله كلهم ثقات على شرط الصحيحين(١٣٩٠).

* وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قالوا: يا رسول الله؛ إنك

= المزاح، رقم (١٩٩٢) وكتاب المناقب: باب مناقب لأنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، رقم (٣٨٢٨) والشمائل (٣٩٠رقم ٢٣٥) وعمل اليوم والليلة (رقم ٤٢٢) ومسند أبي يعلى (٧: ٩١) والمعجم الكبير (١: ٢١١) والسنن الكبرى (١٠: ٢٤٨) وشرح السنة (١٣: ١٨٢) وتاريخ بغداد (١٣: ٤٦).

(١٣٩٠) مصنف عبد الرزاق (١٠: ٤٥٤-٤٥٥) ومسند أحمد (٣: ١٦١) الشمائل المحمدية للترمذي (٣٩٦-٤٠٠) ومسند أبي يعلى (٦: ١٧٣-١٧٤) والبحر الزخار (١٣: ٣١٩-٣٢٠) وكشف الأستار (٣: ٢٧٢) وصحيح ابن حبّان (١٣: ١٠٦-١٠٧) وشرح السنة (١٣: ١٨١) والسنن الكبرى (١٠: ٢٤٨) والمختارة (٥: ١٨٠-١٨٢) ومجمع الزوائد (٩: ٣٦٨-٣٦٩) وشمائل الرسول ﷺ لابن كثير (٨٩) والإصابة (٢: ٥٤٧).

تداعبنا؟ قال: (نعم، غير إني لا أقول إلاّ حقّاً). رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد، والبيهقي، وصححه الترمذي[١٣٩١].

وكان ﷺ إذا سمع المزاح من أحد لا يبكته، بل يضحك.

* فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ كان يوماً يحدِّث- وعنده رجل من أهل البادية-(أن رجلاً من أهل الجنة استأذن ربَّه في الزرع، فقال: أَوَلستَ فيما شئتَ؟ قال: بلى، ولكني أحبُّ أن أزرع، فأسرعَ وبذر فتبادر الطرفَ نباتُه واستواؤه واستحصادُه وتكويرُه أمثالَ الجبال، فيقول الله تعالى: دونك يا ابنَ آدم، فإنه لا يشبعك شيءٌ).

فقال الأعرابي: يا رسول الله؛ لا تجد هذا إلاّ قرشيّاً أو أنصاريّاً، فإنهم أصحابُ زرعٍ، فأما نحن فلسنا بأصحاب زرع. فضحك رسول الله ﷺ. رواه البخاري[١٣٩٢].

- تسميتهم بالصحابة دلالة على توقير وتعظيم ومحبة منه ﷺ لهم:

إن إطلاق النبي المصطفى الكريم ﷺ على الذين آمنوا به ممن هم في عصره؛ ممن خالطوه واجتمعوا به، وناصروه وأيّدوه وشايعوه: الصحابة دلالة على توقيره ﷺ لهم، وتعظيمه ﷺ إياهم، ومحبته ﷺ لهم.

وهذا ما نراه من إلحاحه ﷺ على ذلك، حتى تجاوز بهم عن الأخوة إلى الصحبة، لأن الصحبة تجمع الأخوة مع المخالطة والمشايعة والرؤية،...

(١٣٩١) مسند أحمد (٢: ٣٤٠، ٣٦٠) والأدب المفرد (رقم ٢٦٥) وسنن الترمذي: كتاب البر والصلة: باب ما جاء في المزاح، رقم (١٩٩٠) والشمائل له (٣٩٣-٣٩٤) وشرح السنة (١٣: ١٧٩-١٨٠) والشمائل له (١: ٢٥٤) والسنن الكبرى (١٠: ٢٤٨).

(١٣٩٢) صحيح البخاري: كتاب التوحيد: باب كلام الرب مع أهل الجنة، وفي غيرهما.

وقد سبق في الباب الثاني ذكر عدد من الأحاديث، أشير إلى أطراف بعضها، من غير عزو لها.

* فعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، أنه خطب بالجابية فقال: قام فينا رسول الله ﷺ مقامي هذا فيكم فقال: (استوصوا بأصحابي خيراً، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم،...). الحديث. رواه ابن المبارك وأحمد وابن أبي عاصم والنسائي وابن الأعرابي، والضياء في المختارة. بأسانيد صحيحة، وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم، وأقره الذهبي.

* ورواه أحمد وابن أبي عاصم والنسائي وابن منده وأبو يعلى والبزار بأسانيد صحيحة-وصححه ابن حبان-بلفظ: (أحسنوا إلى أصحابي) وصححه الحافظ ابن ناصر الدين السلامي.

* ورواه النسائي وابن ماجه وأبو نعيم والحاكم وصححه وأقره الذهبي، بلفظ (احفظوني في أصحابي) ورجاله ثقات أيضاً.

* ورواه الطبراني وابن عساكر بسند حسن عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما.

* وعن عبد الله بن مغفل رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (الله الله في أصحابي، الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضاً بعدي، فمن أحبَّهم فبِحُبِّي أحبَّهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم،...). رواه أحمد والبخاري في تاريخه، وابن أبي عاصم والترمذي وعبد الله بن أحمد وابن حبان وأبو نعيم والبغوي والخطيب البغدادي والبيهقي، ونقل البغوي في شرح السنة قول الترمذي: حديث حسن.

* وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أكرموا أصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم،...) الحديث بطوله، رواه الشافعي وعبد الرزاق والطيالسي والحميدي وأحمد وعبد بن حُميد والنسائي وابن ماجه والطحاوي وابن منده والخطيب البغدادي والشهاب والبيهقي، والضياء المقدسي في المختارة، برجال ثقات وأسانيد صحيحة. وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم، والله تعالى أعلم.

* وعن أبي سعيد الخُدْري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تسبوا أحداً من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثلَ أُحُد ذهباً، ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نَصيفَه). متفق عليه، واللفظ لمسلم.

* وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تسبّوا أصحابي، لا تسبّوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدَكم أنفق مثلَ أحُدٍ ذهباً؛ ما أدرك مدَّ أحدهم ولا نصيفَه). رواه مسلم.

* وعن أبي الدَّرْداء رضي الله تعالى عنه -في قصة ما كان بين أبي بكر وعُمر رضي الله تعالى عنهما- وفيه، فقال النبيُّ ﷺ: (إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبتَ، وقال أبو بكر: صدق. وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي) مرتين أو ثلاثاً. فما أُوذي بعدها. رواه البخاري(١٣٩٣).

والأحاديث في تسميتهم بالصحابة كثيرة، انظر بعضَها-مما لم أشر إليه هنا-في الباب الثاني.

* عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة،

(١٣٩٣) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة: باب قول النبيِّ ﷺ: (لو كنتُ متّخذاً خليلاً).

فقال: (السلام عليكم دارَ قوم مؤمنين، وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون. وددتُ أنّا قد رأينا إخوانَنا) قالوا: أوَلسنا إخوانَك يا رسول الله؟ قال: (أنتم أصحابي، وإخوانُنا الذين لم يأتوا بعد).

فقالوا: كيف تعرف من لم يأت بعدُ من أمّتك يا رسول الله؟ فقال: (أرأيتَ لو أن رجلاً له خيلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بين ظهرَي خيلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ ألا يعرف خيلَه؟) قالوا: بلى يا رسول الله. قال: (فإنهم يأتون غُرّاً مُحَجَّلين من الوضوء، وأنا فرطُهم على الحوض،...). رواه مسلم(١٣٩٤).

وقوله ﷺ: (بل أنتم أصحابي) ليس نفياً لأُخوّتهم رضي الله تعالى عنهم، ولكن ذكر مرتبتَهم الزائدة بالصحبة، فهم أخوة صحابة، والذين لم يأتوا أخوة ليسوا بصحابة، لذا كان الصحابة رضي الله تعالى عنهم أفضل لجمعهم مَرتَبَتَيْن، وتميّزهم بالصحبة التي لا يلحقهم بها أحد(١٣٩٥)، والله تعالى أعلم.

فإصرارُه ﷺ على تسميتهم بالصحابة دلالة على تعظيمهم وتوقيرهم ومحبتهم رضي الله تعالى عنهم، لأن وصف الصحابة يتضمن هذه المعاني في مثل هذه الأمور، وإلاّ لما طلب ﷺ تكريمهم والإحسان إليهم والوصية بهم، وحفظه ﷺ فيهم، والله تعالى أعلم.

- معانقته ﷺ وتبسمه وقيامه وترخيمه اسم من يناديه:

ومن محبته وتوقيره وتعظيمه ومحبته ﷺ للصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم: معانقته للقادم منهم، وتبسمه في وجه من يراه منهم، وقيامه، وكذا حثه على القيام للقادم منهم، وترخيمه لاسم من يناديه منهم،... وقد جاءت

(١٣٩٤) صحيح مسلم: كتاب الطهارة: باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، رقم (٣٩).
(١٣٩٥) انظر المنتقى للباجي (١: ٦٩-٧٠) وشرح صحيح مسلم للإمام النووي (٣: ١٣٨).

نصوص كثيرة في كل ذلك، أقتصر على ذكر بعضها.

* عن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قدم زيدُ بنُ حارثةَ المدينةَ، ورسولُ الله ﷺ في بيتي، فأتاه فقرع الباب، فقام إليه رسولُ الله ﷺ عُرياناً يجرُّ ثوبه -والله ما رأيته عُرياناً قبله ولا بعده- فاعتنقه وقبّله. رواه الترمذي وحسنه، والطحاوي(١٣٩٦).

* ومثله حديث عبد الله بن جعفر عن أبيه رضي الله تعالى عنهما، لما قدم من النجاشي اعتنقه رسول الله ﷺ وقبّله، كما عند أبي داود والطحاوي وغيرهما. وله شواهد أخرى.

* وعن جرير بن عبد الله البَجَلي رضي الله تعالى عنه قال: ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمتُ، ولا رآني إلاّ تبسّم في وجهي،... الحديث، متفق عليه(١٣٩٧). وهناك عدة أحاديث في ضحكه وتبسمه ﷺ.

* وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ رأى صبياناً ونساءً مقبلين من عُرس، فقام نبي الله ﷺ مُمْثَلاً(١٣٩٨)، فقال: (اللهم، أنتم من أحب الناس إليَّ، اللهم أنتم من أحب الناس إليَّ) -يعني الأنصار- وعند البخاري: قالها ثلاث مرات. متفق عليه(١٣٩٩).

(١٣٩٦) سنن الترمذي: كتاب الاستئذان: باب ما جاء في المعانقة والقبلة، رقم (٢٧٣٢) وشرح معاني الآثار (٤: ٢٨١) وفتح الباري () وانظر النكت الظارف (١٢: ٨١-٨٢).

(١٣٩٧) صحيح البخاري: كتاب الأدب: باب التبسم والضحك، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل جرير بن عبد الله رضي الله تعالى عنه، رقم (١٣٤-١٣٥).

(١٣٩٨) معنى قوله: (ممثلاً) أي قائماً منتصبا.

(١٣٩٩) صحيح البخاري: في الكتاب والباب السابقين. وصحيح مسلم: في الكتاب والباب =

* وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: نزل أهلُ قريظة على حكم سعد بن معاذ، فأرسل رسول الله ﷺ إلى سعد، فأتاه على حمار، فلما دنا قريباً من المسجد[1400]. قال رسول الله ﷺ للأنصار: (قوموا إلى سيدكم -أو خيركم-) الحديث بطوله، وفيه قصة حكمه فيهم، متفق عليه[1401].

* ومن ذلك: تكنيته ﷺ للصحابة مع حذف بعض الحروف من الأسماء: مثل: قوله ﷺ لأبي هريرة: يا أبا هر، وقوله ﷺ للسيدة عائشة: يا عائش، وقوله ﷺ لأنجشة: يا أنجش، وقد عنون عليها الإمام البخاري رحمه الله تعالى: باب من دعا صاحبه فنقَص من اسمه حرفاً[1402].

* كما يدخل في ذلك تكنيته لبعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم بغير الكنى المعروفة لهم مثل قوله ﷺ لعلي: يا أبا تراب، كما عند البخاري.

- إعلانه ﷺ محبته لهم رضي الله تعالى عنهم:

ومن مظاهر رحمته ومحبته وتوقيره ﷺ لهم رضي الله تعالى عنهم: إعلانه

= السابقين، رقم (١٧٤).

(١٤٠٠) المراد به: المسجد الذي اتخذه رسول الله ﷺ، ليصلي فيه عند حصاره لبني قريظة، وبقي ﷺ يصلي فيه نحواً من (٢٥) يوماً، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما، ويُعرف هذا المسجد بمسجد بني قريظة، وقد أُزيل قبل بضع سنوات.

(١٤٠١) صحيح البخاري: كتاب المغازي: باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الجهاد: باب جواز قتال من نقض العهد،... رقم (٦٤).

(١٤٠٢) صحيح البخاري: كتاب الأدب.

ﷺ أنه يحبهم، وقد جاء هذا المعنى على ضربين، بصيغة العمــوم، وبــصيغة المفرد، لذل فإني سأذكر بعض الأمثلة لهذين النوعين.

* عن عقبة بن مسلم التُّجيبي قال: حدّثني أبو عبد الرحمن الحُبُلّي، عن الصُّنابِحيِّ، عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ أخــذ بيد معاذ، فقال: (يا معاذ؛ والله إني لأحبُّك) فقال معاذٌ: بأبي أنت وأمــي، والله إني لأحبُّك. فقال: (يا معاذ؛ أوصيك أن لا تدَعنَّ في دُبر كل صلاةٍ أن تقول: اللهم أعنّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك).

قال: وأوصى بذلك معاذٌ الصُّنابِحيَّ.

وأوصى بذلك الصُّنابِحيُّ أبا عبد الرحمن.

وأوصى بذلك أبو عبد الرحمن عُقبةَ بنَ مسلم. رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد، وأبو داود والنسائي والبزار والطبراني والشاشي، وصحّحه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم وأقره الذهبي والنووي وابن حجر[١٤٠٣].

* وعن عبد الله بن عُمَر رضي الله تعالى عنهما قال: بعث رســولُ الله

(١٤٠٣) مسند أحمد (٥: ٢٤٤-٢٤٥، ٢٤٧) والأدب المفرد (رقــم٦٩١) وســنن أبي داود: كتاب الصلاة: باب في الاستغفار، رقم (١٥٢٢) وسنن النسائي: كتاب السهو: بــاب نوع آخر من الدعاء (٣: ٥٣) وعمل اليوم والليلة (رقم ١٠٩) والسنن الكــبرى (٦: ٣٢) وعمل اليوم والليلة لابن السني (رقم ١١٨، ١٩٩) والبحر الزخــار (٧: ١٠٤-١٠٥) والمعجم الكبير (٢٠: ٦٠، ١١١، ١٢٥وفي هذا سقط) ومسند الــشاميين (٢: ٤٣٦) وكتاب الدعاء له (رقم٦٥٤) وصحيح ابن خزيمة (١: ٣٦٩) وصحيح ابن حبان (٥: ٣٦٤-٣٦٦ من طريقين) والمــستدرك (١: ٢٧٣) (٣: ٢٧٣-٢٧٤) وحليــة الأولياء (١: ٢٤١) (٥: ١٣٠) ومسند الشاشي (٣: ٢٤٤) والأذكــار (رقــم١٥٩) ونتائج الأفكار (٢: ٢٨١-٢٨٤).

ﷺ بعثاً، وأمَّر عليهم أسامةَ بنَ زيد-رضي الله تعالى عنهما-فطعن بعضُ الناس في إمارته.

فقال رسول الله ﷺ: (إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل، وايْمُ الله؛ إنْ كان لخليقاً للإمارة، وإن كان لِمن أحبِّ الناس إلَيَّ. وإن هذا لمن أحبِّ الناس إلَيَّ بعده)

* زاد مسلم في رواية: (وايْمُ الله، إن هذا لها لخليق-يريد أسامةَ بن زيد،... فأُوصيكم به، فإنه من صالحيكم). متفق عليه(١٤٠٤).

* وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله ﷺ ومعها صبيٌّ لها، فكلَّمها رسول الله ﷺ فقال: (والذي نفسي بيده، إنكم أحبُّ الناس، إليَّ-مرتين-وعند مسلم: ثلاث مرات). متفق عليه(١٤٠٥).

- دعاؤه ﷺ بمحبة المسلمين لهم رضي الله تعالى عنهم؟:

ومن محبته ﷺ ورحمته لأصحابه الكرام رضي الله تعالى عنهم: دعاؤه ﷺ بمحبة المسلمين لهم.

* عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: كنتُ أدعو أُمي إلى الإسلام -وهي مشركة- فدعوتُها يوماً، فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره. فأتيتُ

(١٤٠٤) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة: باب مناقب زيد بن حارثة مولى النبيِّ ﷺ، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب فضائل زيد بن حارثة وأسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما، رقم (٦٣-٦٤).

(١٤٠٥) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار: باب قول النبي ﷺ للأنصار: (أنتم أحب الناس إلي). وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل الأنصار، رقم (١٧٥).

رسولَ الله ﷺ وأنا أبكي. قلت: يا رسول الله؛ إني كنتُ أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى عليَّ، فدعوتُها اليومَ فأسمعتني فيك ما أكره. فادع الله أن يهديَ أمَّ أبي هريرة.

فقال رسول الله ﷺ: (اللهم، اهد أمَّ أبي هريرة) فخرجتُ مستبشراً بدعوة نبيِّ الله ﷺ. فلما جئتُ فصرتُ إلى الباب؛ فإذا هو مُجاف. فسمعتْ أمي خشفَ قدمَيَّ. فقالت: مكانَك، يا أبا هريرة. وسمعتُ خضخضةَ الماء. قال: فاغتسلَتْ، ولبسَتْ درعَها، وعجلتْ عن خمارها، ففتَحَتْ الباب. ثم قالت: يا أبا هريرة، أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه.

قال: فرجعتُ إلى رسول الله ﷺ، فأتيتُه وأنا أبكي من الفرح. قال: قلت: يا رسول الله؛ أبشِر، قد استجاب الله دعوتَك، وهدى أمَّ أبي هريرة. فحمد الله، وأثنى عليه، وقال خيراً.

قال قلتُ: يا رسول الله؛ ادع الله أن يُحبِّبَني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين، ويُحبِّبَهم إلينا. قال فقال رسول الله ﷺ: (اللهم، حبِّب عُبيدَك هذا -يعني أبا هريرة- وأُمَّه إلى عبادك المؤمنين، وحبِّب إليهم المؤمنين) فما خُلِق مؤمنٌ يسمع بي، ولا يراني: إلاّ أحبني. رواه مسلم[١٤٠٦].

* في هذا الحديث دعوتان -وإن كان معجزة لرسول الله ﷺ ظاهرة- الأولى: قد تحققت مباشرة، وهي هداية أم أبي هريرة رضي الله تعالى عنهما، والثانية: دعاؤه ﷺ بتحبيبهما للمؤمنين وتحبيب المؤمنين لهما.

وفي هذا دلالة على وجوب محبة أبي هريرة وأمه رضي الله تعالى عنهما،

(١٤٠٦) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل أبي هريرة الدَّوسي رضي الله تعالى عنه، رقم (١٥٨).

لأن من دواعي استجابة دعاء رسول الله ﷺ ألاّ يكون مؤمن إلاّ وهو يحب أبا هريرة وأمه رضي الله تعالى عنهما. فمن لم يحبهما فهو مخدوش الإيمان.

وليس هذا خاصّاً بأبي هريرة وأمه رضي الله تعالى عنهما، بل هو شامل سائر أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله تعالى عنهم.

- مخالطته ﷺ لهم، وتفقده إياهم.

ومن رحمته ﷺ بأصحابه رضي الله تعالى عنهم، وشفقته بهم، وحرصه عليهم: تفقده لهم، وعيادة مرضاهم، وتشييع جنائزهم، مع إلحاحه ﷺ عليهم ومعاتبته لهم إذا لم يخبروه بمن مات، وبكاؤه ﷺ عند وفاة أحدهم، أو عند خشية الموت. فلم يكن منعزلاً عنهم، ولا متكبِّراً عليهم، بل كان يخالطهم في بيوتهم.

* فعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: لم أعقل أبويَّ إلاّ وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلاّ يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفَي النهار؛ بكرةً وعشيةً،... الحديث بطوله، رواه البخاري[١٤٠٧].

فهي وُلدت في الإسلام، لم تدرك الجاهلية[١٤٠٨]. وهذا الحديث هو في ابتداء الهجرة، التي خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله تعالى عنه من البيت إلى غار ثور.

* وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ عاد رجلاً من المسلمين قد خَفَتَ فصار مثلَ الفرخ، فقال له رسول الله ﷺ: (هل

(١٤٠٧) صحيح البخاري: كتاب الأدب: باب هل يزور صاحبه كل يوم،... وفي غيرهما.

(١٤٠٨) انظر زواج السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها فقد أطلت النفس في بيان ولادتها في الإسلام، ومقدار عمرها يوم العقد ويوم البناء.

كنتَ تدعو بشيء أو تسأله إياه؟) قال: نعم، كنتُ أقول: اللهم ما كنتَ معاقبي به في الآخرة، فعجِّله لي في الدنيا. فقال رسول الله ﷺ: (سبحان الله، لا تطيقه -أو لا تستطيعه- أفلا قلتَ: اللهم، آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً وقنا عذابَ النار؟) قال: فدعا الله له، فشفاه. رواه مسلم(١٤٠٩)

* وعنه رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا فقد الرجلَ من إخوانه ثلاثةَ أيام سأل عنه، فإن كان غائباً دعا له، وإن كان شاهداً زاره، وإن كان مريضاً عاده. رواه البغوي وأبو الشيخ وأبو يعلى بإسناد ضعيف، لكن أصله الحديث السابق(١٤١٠). وأما العيادة فثابتة في الصحيح.

* وعنه رضي الله تعالى عنه، أن النبيَّ ﷺ نعى زيداً وجعفراً وابنَ رواحة للناس، قبل أن يأتيَهم خبرُهم.

فقال: (أخذ الرايةَ زيدٌ فأصيب، ثم أخذ جعفرٌ فأصيب، ثم أخذ ابنُ رواحة فأصيب) وعيناه تذرفان (حتى أخذها سيفٌ من سيوف الله حتى فتح الله عليهم). رواه البخاري(١٤١١).

* وقد ورد بنحوه عندهما.

* وعن عبد الله بن عُمَر رضي الله تعالى عنهما قال: اشتكى سعدُ بنُ عُبادة شكوى له، فأتاه النبيُّ ﷺ يعوده، مع عبد الرحمن بن عوف وسعد ابن

(١٤٠٩) صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء: باب كراهة الدعاء بتعجيل العقوبة في الدنيا، رقم (٢٣-٢٤).

(١٤١٠) أخلاق النبي ﷺ (٦٧) والشمائل للبغوي (١: ٣١٢) فيض القدير (٥: ١٥٢) وعزاه لأبي يعلى. وهو فيه (٦: ١٥٠-١٥٢) وإتحاف الخيرة المهرة (٥: ٤٩٣-٤٩٦).

(١٤١١) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة: باب مناقب خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه، وفي غيرهما.

أبي وقاص وعبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنهم، فلما دخل عليه فوجده في غاشية أهله، فقال: (قد قضى؟) فقالوا: لا، يا رسول الله؛ فبكى النبيُّ ﷺ، فلما رأى القومُ بكاءَ النبيِّ ﷺ بكوا. فقال: (ألا تسمعون؟ إن الله لا يعذِّب بدمع العين، ولا بحزن القلب، ولكن يعذِّبُ بهذا-وأشار إلى لسانه- أو يرحم،...). الحديث، متفق عليه(١٤١٢).

* وعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قبَّل رسولُ الله ﷺ عثمانَ بن مظعون -رضي الله تعالى عنه- وهو ميّتٌ، حتى رأيتُ الدموعَ تسيلُ على وجهه.رواه الطَّيالِسي وعبد الرزاق وإسحق وابن أبي شيبة وعبد ابن حُميد وأحمد في آخرين، وصححه الترمذي والحاكم وأقره الذهبي(١٤١٣).

- إلحاحه ﷺ على ربِّه تعالى بعدم تعذيبهم وهو فيهم:

ومن محبته رحمته ﷺ وشفقته وحنوه على أصحابه رضي الله تعالى عنهم: بكاؤه ﷺ وسؤاله ربّه تعالى ما كان قد وعده ألاّ يعذبهم وهو فيهم.

(١٤١٢) صحيح البخاري: كتاب الجنائز: باب البكاء عند المريض. وصحيح مسلم: كتاب الجنائز: باب البكاء على الميت، رقم (١٢).

(١٤١٣) مسند الطَّيالِسي (١٤١٥) ومصنف عبد الرزاق (٣: ٥٩٦) ومصنف ابن أبي شيبة (٣: ٣٨٥) ومسند إسحق (٩٢١) ومسند عبد بن حُميد (٤٤١ رقم ١٥٢٦) والطبقات الكبرى (٣: ٢٨٨) مسند أحمد (٦: ٤٣، ٥٥-٥٦، ٢٠٦) وسنن أبي داود: كتاب الجنائز: باب في تقبيل الميت، رقم (٣١٦٣) وسنن الترمذي: كتاب الجنائز: باب ما جاء في تقبيل الميت، رقم (٩٨٩) والشمائل له (٥٣٥ رقم ٣٢٦) وسنن ابن ماجَه: كتاب الجنائز: باب ما جاء في تقبيل الميت، رقم (١٤٥٦) والمستدرك (١: ٣٦١) (٣: ١٩٠) وشرح السنة (٥: ٣٠٢) والشمائل له (١: ٢٢٠) وصححه الترمذي والحاكم، وانظر كشف الأستار (٨٠٩) ومجمع الزوائد (٣: ٢٠) لرواية أخرى أيضاً.

* عن عبد الله بن عَمْرو رضي الله تعالى عنهما قال: انكسفت الشمسُ يوماً على عهد رسول الله ﷺ، فقام رسول الله ﷺ يصلي،... وفي آخره: ثم سجد، فلم يكد يرفع رأسه، فجعل ينفخ ويبكي، ويقول: (ربِّ ألم تعدني أن لا تعذبهم وأنا فيهم، ربِّ ألم تعدني أن لا تعذِّبهم وهم يستغفرون،...). الحديث بطوله، رواه ابن أبي شيبة وأحمد والأربعة، وصححه ابن خزيمة وابن حِبّان والحاكم(١٤١٤).

- شدة مناشدته ﷺ ربَّه عز وجل بتحقيق وعده، وبعدم إهلاكهم:

ومن رحمته ﷺ ومحبته وشفقته وحنوه وحرصه على أصحابه رضي الله تعالى عنهم: شدة مناشدته ربه تعالى يوم بدر.

* عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: لما كان يوم بدر، نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين -وهم ألف- وأصحابُه ثلاثُمائة وتسعة عشر رجلاً، فاستقبل نبيُّ الله ﷺ القبلةَ، ثم مدّ يديه، فجعل يهتف بربه: (اللهم أَنجِز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعبد في الأرض) فما زال يهتف بربه، مادّاً يديه، مستقبلَ

(١٤١٤) مسند أحمد (٢: ١٥٩، ١٦٣، ١٨٨، ١٩٨، ٢٢٣) ومصنف ابن أبي شيبة (٢: ٤٦٧) وسنن أبي داود: كتاب الصلاة: باب من قال: يركع ركعتين، رقم (١١٩٤) والشمائل للترمذي (٥٣٠-٥٣٢) وسنن النَّسائي: كتاب الكسوف: باب نوع آخر، وباب القول في السجود في صلاة الكسوف (٣: ١٣٧، ١٤٩) والسنن الكبرى (١: ٥٧٤، ٥٧٩-٥٨٠) وشرح معاني الآثار (١: ٣٢٩) وصحيح ابن خزيمة (٢: ٣٢٢-٣٢٣) وصحيح ابن حِبّان (٧: ٧٩-٨٠) والمستدرك (١: ٣٢٩) والسنن الكبرى للبيهقي (٣: ٣٢٤) والشمائل للبغوي (١: ٢٢٦-٢٢٧).

القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر، فأخذ رداءه، فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله؛ كفاك مناشدتُك ربَّك، فإنه سينجزُ لك ما وعدك. فأنزل الله عز وجل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[1415]. فأمدَّه الله بالملائكة... الحديث بطوله، رواه مسلم[1416].

- عطفه ﷺ الشديد عليهم:

ومن رحمته ﷺ وشفقته وحنوه على أصحابه رضي الله تعالى عنهم: أنه يعطف عليهم، ويطعم جائعهم، ولا يأكل حتى يأكلوا.

* عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: ألله الذي لا إله إلا هو، إن كنتُ لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشدُّ الحَجَرَ على بطني من الجوع، ولقد قعدتُ يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه، فمر أبو بكر، فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلاّ ليشبعني، فمرَّ ولم يفعل، ثم مرّ بي عمر، فسألتُه عن آية من كتاب الله، ما سألته إلاّ ليشبعني، فمرَّ فلم يفعل.

ثم مر بي أبو القاسم ﷺ، فتبسّم حين رآني، وعرف ما في نفسي وما في وجهي، ثم قال: (يا أبا هر) قلت: لبيك رسول الله، قال: (الحق) ومضى، فتبعتُه، فدخل، فاستأذن، فأُذن لي، فدخل، فوجد لبناً في قدح، فقال: (من أين هذا اللبن؟) قالوا: أهداه لك فلانٌ -أو فلانة-.

قال: (أبا هر) قلت: لبيك يا رسول الله. قال: (الحق إلى أهل الصُّفَّة، فادعهم لي).

(١٤١٥) سورة الأنفال (٩).

(١٤١٦) صحيح مسلم: كتاب الجهاد: باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر،... رقم (٥٨).

قال: وأهلُ الصُّفَّة أضيافُ الإسلام، لا يأوون على أهلٍ ولا مـــال ولا على أحد، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم و لم يتناول منها شيئاً، وإذا أتته هديةٌ أرسل إليهم وأصاب منها، وأشركهم فيها. فساءني ذلك، فقلت: وما هـــذا اللبن في أهل الصُّفَّة؟ كنتُ أحقَّ أن أُصيب من هذا اللبن شربةً أتقوى بهـــا، فإذا جاؤوا أمرني فكنتُ أنا أعطيهم، وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن، و لم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بُد. فأتيتهم فدعوتهم.

فأقبلوا، فاستأذنوا فأُذن لهم، وأخذوا مجالسهم من البيت.

قال: (يا أبا هر) قلت: لبيك يا رسول الله، قـــال: (خـــذ فـــأعطهم) فأخذت القدحَ، فجعلتُ أعطيه الرجلَ فيشرب حتى يَروى، ثم يـــرد علـــيَّ القدحَ، فأعطيه الرجلَ فيشربُ حتى يَروى، ثم يردُّ عليَّ القـــدح، فأعطيـــه الرجلَ فيشربُ حتى يَروى، ثم يردُّ على القدحَ، حتى انتهيتُ إلى الـــنبيِّ ﷺ، وقد روي القومُ كلُّهم.

فأخذ القدح، فوضعه على يده، فنظر إليَّ، فتبسّم، فقال: (أبا هر) قلت: لبيك يا رسول الله، قال: (بقيتُ أنا وأنتَ) قلت: صدقتَ يـــا رســـول الله، قال: (اقعد فاشرب) فقعدتُ فشربتُ، فقال: (اشرب) فما زال يقول: (اشـــرب) حتى قلتُ: لا، والذي بعثك بالحق، ما أجد له مسلكاً. قال: (فـــأرني) فأعطيتُـــه القدحَ، فحمد الله وسمّى، وشرب الفضلةَ. رواه البخاري(١٤١٧).

- عدم استمراره ﷺ بحصار الطائف، ودعاؤه لهم:

ومن مظاهر محبته ورحمته ﷺ وشفقته بأصحابه رضي الله تعالى عنـــهم وحرصه عليهم: رجوعه ﷺ عن حصار الطائف شفقة علـــيهم، ودعـــاؤه

(١٤١٧) صحيح البخاري: كتاب الرقاق: باب كيف كان عيش النبيّ ﷺ وأصحابه،... وفي غيرهما.

لأهلها بالهداية، والإتيان مسلمين، فتحقّق ذلك بعد فترة قصيرة.

* عن عبد الله بن عُمَر رضي الله تعالى عنهما قال: حاصر رسولُ الله ﷺ أهلَ الطائف، فلم ينل منهم شيئاً، فقال: (إنّا قافلون إن شاء الله) قال أصحابُه: نرجع ولم نفتحه ! فقال لهم رسول الله ﷺ: (اغدوا على القتال) فغدوا عليه، فأصابتهم جِراحٌ. فقال لهم رسول الله ﷺ: (إنّا قافلون غداً) قال: فأعجبهم ذلك. فضحك رسول الله ﷺ. متفق عليه(١٤١٨).

- مراعاته ﷺ لشعورهم وتفقدهم في حال غيبتهم:

ومن مظاهر محبته ورحمته ﷺ وشفقته بأصحابه الكرام رضي الله تعالى عنهم: مراعاته لشعورهم، ورأفته فيهم حال غربتهم، وتفقده لأحوالهم.

* عن مالك بن الحُوَيرث رضي الله تعالى عنه قال: أتينا رسول الله ﷺ ونحن شببة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلة، وكان رسول الله ﷺ رحيماً رفيقاً، فظن أنّا قد اشتقنا أهلنا، فسألَنا عن من تركنا من أهلنا، فأخبرناه، فقال: (ارجعوا إلى أهليكم، فأقيموا فيهم، وعلّموهم،...) الحديث بطوله، متفق عليه(١٤١٩).

- عدم استمراره ﷺ بالصلاة ليلاً في المسجد خشية أن تكتب:

ومن محبته ورحمته ﷺ وشفقته بأصحابه رضي الله تعالى عنهم، ومن

(١٤١٨) صحيح البخاري: كتاب المغازي: باب غزوة الطائف، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الجهاد: باب غزوة الطائف، رقم (٨٢) لكن وقع عنده (عبد الله بن عَمْرو) وانظر شرحَيْ القاضي عِياض، والإمام النووي رحمهما الله تعالى لتوجيه ذلك.

(١٤١٩) صحيح البخاري: كتاب الأذان: باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب المساجد: باب من أحق بالإمامة، رقم (٢٩٢).

حرصه عليهم: عدم خروجه إلى المسجد لصلاة الليل، خشية أن يفرض عليهم قيام الليل، ولا يطيقون ذلك.

* عن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه، أن النبيّ ﷺ اتخذ حجرةً في المسجد من حصير، فصلى رسولُ الله ﷺ فيها ليالي، حتى اجتمع إليه ناس، ثم فقدوا صوته ليلةً، فظنوا أنه قد نام، فجعل بعضُهم يتنحنح ليخرج إليهم، فقال: (ما زال بكم الذي رأيت من صنيعكم، حتى خشيتُ أن يُكتب عليكم، ولو كُتب عليكم ما قمتم به، فصلوا أيها الناسُ في بيوتكم، فإن أفضلَ صلاة المرء في بيته، إلاّ الصلاة المكتوبة). رواه البخاري(١٤٢٠).

- تأليفه ﷺ لقلوبهم، واستمالته لها:

ومن مظاهر رحمته ﷺ وشفقته بأصحابه الكرام رضي الله تعالى عنهم ومحبته لهم: تأليف قلوبهم، وانجذابها له، كأن يطلب من أحدهم أن يقرأ عليه قرآناً، أو يروي له شعراً من أشعار الجاهلية، ونحو ذلك.

* عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: (اقرأ عليَّ القرآن) قال فقلت: يا رسول الله؛ أقرأ عليك، وعليك أُنزل؟ قال: (إني أشتهي أن أسمعه من غيري) فقرأت عليه سورةَ النساء، حتى إذا بلغتُ ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ رفعتُ رأسي -أو غمزني رجلٌ إلى جنبي فرفعت رأسي- فرأيتُ دموعَه تسيل [وفي

(١٤٢٠) صحيح البخاري: كتاب الاعتصام: باب ما يكره من كثرة السؤال، ومن تكلّف ما لا يعنيه، وفي غيرهما. وقد ورد نحوه من حديث السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها، وهو متفق عليه.

رواية: فرأيت عينَي رسول الله ﷺ همَلان]). متفق عليه(١٤٢١).

* وعن الشريد الهمداني رضي الله تعالى عنه قال: ردفتُ رسولَ الله ﷺ يوماً [وفي رواية: أردفني رسولُ الله ﷺ خلفه] فقال: (هل عندك من شعر أميةَ بن أبي الصلت شيئاً؟) قلت: نعم. قال: (هيه) فأنشدته بيتاً، فقال: (هيه) ثم أنشدتُه بيتاً، فقال: (هيه) حتى أنشدتُه مائةَ بيت. رواه مسلم(١٤٢٢).

ما هذه الملاطفة؟ يردفه خلفه-بأبي هو وأمي-وهو سيد الخلق، ثم يستنشده شعراً؟ ولكنه الرحمة المهداة ﷺ، وليس ملكاً متجبراً متكبِّراً.

- اعتذاره ﷺ لمن يخشى أن يقع في نفسه الهجر والقطيعة:

ومن مظاهر رحمته ﷺ وشفقته بأصحابه الكرام رضي الله تعالى عنهم، ومحبته لهم: اعتذاره عما يخشى أن يقع في نفوسهم من الهجر والقطيعة.

* عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ في حاجة له، فانطلقتُ، ثم رجعتُ وقد قضيتُها، فأتيتُ النبيَّ ﷺ فسلَّمتُ عليه، فلم يردَّ عليَّ، فوقع في قلبي ما الله أعلمُ به، فقلتُ في نفسي: لعل رسول الله ﷺ وجَدَ عليَّ أنّي أبطأتُ عليه، ثم سلَّمتُ عليه فلم يرد، فوقع في قلبي أشدُّ من المرة الأولى، ثم سلمتُ عليه فردَّ عليَّ، وقال: (إنما منعني أن أردَّ عليكَ أني كنتُ أصلي) وكان على راحلته متوجِّهاً إلى غير القبلة. متفق عليه، واللفظ للبخاري(١٤٢٣).

(١٤٢١) صحيح البخاري: كتاب التفسير: سورة النساء: باب ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين: باب فضل استماع القرآن وطلب القراءة من حافظ،... رقم (٢٤٧، ٢٤٨).

(١٤٢٢) صحيح مسلم: كتاب الشعر-في أوله-رقم (١).

(١٤٢٣) صحيح البخاري: كتاب العمل في الصلاة: باب لا يرُدُّ السلامَ في الصلاة. وصحيح =

* وعن الصَّعْب بن جَثّامة رضي الله تعالى عنه، أنه أهدى لرسول الله ﷺ حماراً وحشيّاً، وهو بالأبواء (أو بودّان) فردَّه عليه رسول الله ﷺ.

قال: فلمّا أن رأى رسولُ الله ﷺ ما في وجهي، قال: (إنّا لم نردَّه عليك، إلاّ أنّا حُرُم). متفق عليه(١٤٢٤).

وقد ورد نحوُه عن عدد من الصحابة عندهما.

- استجابته ﷺ لدعوة من يدعوه، ولو كان عبداً، وكان الطعام قليلاً:

ومن مظاهر رحمته ﷺ وشفقته بأصحابه الكرام رضي الله تعالى عنهم، ومحبته لهم: استجابته دعوةَ أي فرد في المجتمع، سواء كان من عِلية القوم، أو صناع، أو امرأة، أو عبد،...وبغض النظر عن نوعية الطعام، حتى لو كان طعام دون، إذ العبرة بما هو موجود. وأقتصر على بعض النصوص.

* عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: إن خيّاطاً دعا رسولَ الله ﷺ لطعام صنعه -قال أنس بنُ مالك: فذهبتُ مع رسول الله ﷺ إلى ذلك الطعام- فقرَّب إلى رسول الله ﷺ خبزاً من شعير ومرقاً فيه دُبّاء وقَديد. قال أنس: فرأيت رسول الله ﷺ يتتبّع الدُّبّاءَ من حوالي الصحفة. قال: فلم أزل أحبُّ الدُّبّاءَ منذ يومئذ. متفق عليه(١٤٢٥).

= مسلم: كتاب المساجد: باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته، رقم (٣٦-٣٨).

(١٤٢٤) صحيح البخاري: كتاب جزاء الصيد: باب إذا أهدى للمحرم حماراً وحشياً حيّاً لم يقبل، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الحج: باب تحريم الصيد للمحرم، رقم (٥٠-٥٢).

(١٤٢٥) صحيح البخاري: كتاب البيوع: باب الخياط، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الأشربة: باب جواز أكل المرق واستحباب أكل اليقطين، رقم (١٤٤-١٤٥).

* وعنه رضي الله تعالى عنه، أن جاراً لرسول الله ﷺ فارسيّاً، كان طيِّبَ المرق، فصنع لرسول الله ﷺ، ثم جاء يدعوه. فقال: (وهذه؟) لعائشة. فقال: لا. فقال رسول الله ﷺ: (لا) فعاد يدعوه. فقال رسول الله ﷺ: (وهذه؟) قال: لا. فقال رسول الله ﷺ: (لا) ثم عاد يدعوه. فقال رسول الله ﷺ: (وهذه؟) قال: نعم، في الثالثة. فقاما يتدافعان حتى أتيا مَنْزلَه. رواه مسلم[١٤٢٦].

وقوله: (فقاما يتدافعان) أي يمشي أحدُهما في إثر الآخر، حتى أتيا مَنْزلَه. وكان هذا الحديث قبل نزول آية الحجاب.

- عدم أمره ﷺ لهم إلاّ بما يستطيعون، وعليه كان يبايعهم:

ومن رحمته ﷺ وشفقته وعطفه وحرصه على أصحابه رضي الله تعالى عنهم: أنه ﷺ لا يأمرهم إلاّ بما يستطيعون، وأنه إذا بايعهم على أمر يلقّنهم فيما استطعتم، وكان ﷺ يفعل ذلك بالرجال والنساء على حدٍّ سواء.

* عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: (دعوني ما تركتُكم، فإنما أهلك مَن كان قبلكم سُؤالُهم، واختلافُهم على أنبيائهم، فإذا نهيتُكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتُكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم). متفق عليه[١٤٢٧].

(١٤٢٦) صحيح مسلم: كتاب الأشربة: باب ما يفعل الضيف إذا تبعه غير من دعاه صاحب الطعام،... رقم (١٣٩).

(١٤٢٧) صحيح البخاري: كتاب الاعتصام: باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ. وصحيح مسلم: كتاب الفضائل: باب توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه، رقم (١٣٠).

ولهذا كان ﷺ إذا بايع أحداً؛ من ذكر أو أنثى، يلقّنه: ما استطعتم.

* وعن عبد الله بنِ عُمر رضي الله تعالى عنهما قال: كنا إذا بايعنا رسولَ الله ﷺ على السمع والطاعة يقول لنا: (فيما استطعتَ -أو قال: استطعتم-). متفق عليه[١٤٢٨].

* وعن جرير بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: بايعتُ النبيَّ ﷺ على السمع والطاعة، فلقَّنني: (فيما استطعتَ،...). متفق عليه[١٤٢٩].

* وعن أميمة بنت رُقيقة رضي الله تعالى عنها قالت: أتيتُ رسول الله ﷺ في نسوة بايعنه على الإسلام. فقلن: يا رسول الله؛ نبايعك على أن لا نشركَ بالله شيئاً، ولا نسرقَ، ولا نزني، ولا نقتلَ أولادَنا، ولا نأتيَ ببهتانٍ نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيك في معروف.

فقال رسول الله ﷺ: (فيما استطعتُنَّ وأطقتُنَّ).

قالت فقلن: الله ورسولُه أرحمُ بنا من أنفسنا،... الحديث، رواه مالك والحُمَيْدي وأحمد والنَّسائي وابن ماجَه في آخرين، وصححه الترمذي وابن حِبّان والحاكم[١٤٣٠].

(١٤٢٨) صحيح البخاري: كتاب الأحكام: باب كيف يبايع الإمام الناس. وصحيح مسلم: كتاب الحج: باب فرض الحج مرة في العمر، رقم (٤١٢) كتاب الإمارة: باب البيعة على السمع والطاعة فيما استطاع، رقم (٩٠).

(١٤٢٩) صحيح البخاري: في الكتاب والباب السابقين. وصحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب بيان أن الدين النصيحة، رقم (٩٩).

(١٤٣٠) الموطأ: كتاب البيعة (٢: ٩٨٢) ومسند الطَّيالِسي (رقم١٦٢١) ومسند الحُمَيْدي (١: ١٦٣) ومسند أحمد (٦: ٣٥٧، ٣٦٥) وسنن الترمذي: كتاب السير: باب ما جاء في =

- تكفله ﷺ بقضاء دَين من مات وعليه دَين:

ومن مظاهر رحمته ﷺ وشفقته وعطفه بأصحابه رضي الله تعالى عنهم: إخباره ﷺ أن من ترك دَيناً فعليه قضاؤه، وأن من ترك مالاً فلورثته، ناسخاً في ذلك ما كان من عدم صلاته على من مات وعليه دَين.

* عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ما من مؤمن إلاّ وأنا أولى به في الدنيا والآخرة، اقرؤوا إن شئتم ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ فأيما مؤمن مات وترك مالاً فليرثْه عصبتُه من كانوا، ومن ترك دَيناً أو ضياعاً فليأتني، فأنا مولاه). متفق عليه، واللفظ للبخاري(١٤٣١).

* وفي رواية لهما: (من ترك مالاً فلورثته، ومن ترك دَيناً فعليَّ قضاؤه).

- طلبه ﷺ القودَ منه ممن أصابه ولو خطأً:

ومن مظاهر رحمته ﷺ وشفقته وعطفه وحرصه على أصحابه الكرام رضي الله تعالى عنهم: طلبُه ﷺ ممن أصابه –ولو خطأً– أن يقتاد منه بمثل ما

= بيعة النساء، رقم (١٥٩٧) وسنن النَّسائي: كتاب البيعة: باب بيعة النساء، وباب البيعة فيما يستطيع الإنسان (٧: ١٤٩، ١٥٢) والسنن الكبرى له (٥: ٢١٨) والتفسير (٢: ٤٢٠–٤٢١) وسنن ابن ماجَه: كتاب الجهاد: باب بيعة النساء، رقم (٢٨٧٤) والمعجم الكبير (٢٤: ١٨٦–١٨٩ من طرق) وسنن الدارقطني (٤: ١٤٦، ١٤٧) وصحيح ابن حبّان (١٠: ٤١٧) والمستدرك (٤: ٧١) والسنن الكبرى للبيهقي (٨: ١٤٨) وانظر الدر المنثور–سورة الممتحنة، فقد عزاه لآخرين.

(١٤٣١) صحيح البخاري: كتاب الاستقراض: باب الصلاة على من ترك دَيناً، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الفرائض: باب من ترك مالاً فلورثته، رقم (١٥–١٧).

أُصيب. وقد كثرت النصوص في ذلك، أقتصر على اثنين منها.

* عن أبي ليلى الأنصاري رضي الله تعالى عنه قال: كان أُسَيد بن حُضَير رجلاً صالحاً ضاحكاً مليحاً، فبينما هو عند رسول الله ﷺ يحدِّث القومَ، ويُضحكهم، فطعن رسول الله ﷺ في خاصرته. فقال: أوجعتني. قال: (اقتص) قال: يا رسول الله ﷺ إن عليكَ قميصاً، ولم يكن عليَّ قميص. قال: فرفع رسولُ الله ﷺ قميصَه، فاحتضنه، ثم جعل يُقبِّل كَشحه. فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، إنما أردت هذا. رواه أبو داود والطبراني والبيهقي، وصححه الحاكم وأقره الذهبي(١٤٣٢).

* وعن أبي سعيد الخُدْري رضي الله تعالى عنه قال: بينا رسول الله ﷺ يقسم شيئاً، أقبل رجل فأكب عليه، فطعنه رسول الله ﷺ بعرجون كان معه، فجرح وجهه، فقال له رسول الله ﷺ: (تعال فاستقد) قال: قد عفوتُ يا رسول الله. رواه أحمد وأبو داود والنَّسائي والبيهقي، وصححه ابن حبان(١٤٣٣).

- تخوفه ﷺ عليهم:

ومن مظاهر محبته ورحمته وعطفه على الصحابة الكرام، والأمة من بعدهم: تخوُّفه ﷺ عليها، مما تعمل، أو يخاف عليها من بعض المتسلطين، كجدال المنافق،

(١٤٣٢) سنن أبي داود: كتاب الديات: باب في قُبلة الجسد، رقم (٥٢٢٤) والمعجم الكبير (١: ١٧٤-١٧٥، ١٧٥) والمستدرك (٣: ٢٨٨) والسنن الكبرى (٨: ٤٩).

(١٤٣٣) مسند أحمد (٣: ٢٨) وسنن أبي داود: كتاب الديات: باب القود من الضربة وقص الأمير من نفسه، رقم (٤٥٣٦) وسنن النَّسائي: كتاب القسامة: باب القود في الطعنة (٨: ٣٢، ٣٢-٣٣) والسنن الكبرى له (٤: ٢٢٦، ٢٢٦-٢٢٧) وصحيح ابن حِبّان (١٤: ٣٤٦) والسنن الكبرى للبيهقي (٨: ٤٣، ٤٨).

والأئمة المضلين، والتنافس في الدنيا،...إلخ، وهذه بعض النصوص.

* عن النواس بن سمعان رضي الله تعالى عنه قال: ذَكر رسولُ الله ﷺ الدّجّالَ ذات غداة، فخفّض فيه ورفّع،...الحديث، وفيه: فقال ﷺ: (غيرُ الدّجّال أخوفني عليكم، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجُه دونكم،...). الحديث بطوله، رواه مسلم(١٤٣٤).

* وعن عَمْرو بن عوف رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ بعث أبا عُبَيدة بن الجرّاح إلى البحرين،...وفيه قوله ﷺ: (فأبشروا، وأمِّلوا ما يسركم، فو الله ما الفقرَ أخشى عليكم، ولكني أخشى عليكم أن تبسطَ الدنيا عليكم كما بُسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتُهلككم كما أهلكتهم). متفق عليه(١٤٣٥).

* ورويا(١٤٣٦) أمر التنافس في الدنيا من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

* وعن أبي سعيد الخُدْري رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (أخوفُ ما أخاف عليكم ما يُخرج الله لكم من زهرة الدنيا) الحديث بطوله، متفق عليه(١٤٣٧).

(١٤٣٤) صحيح مسلم: كتاب الفتن: باب ذكر الدجال وصفته وما معه، رقم (١١٠).

(١٤٣٥) صحيح البخاري: كتاب الرقاق: باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الزهد، رقم (٦).

(١٤٣٦) صحيح البخاري: في الكتاب والباب السابقين، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الفضائل: باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، رقم (٣٠، ٣١).

(١٤٣٧) صحيح البخاري: في الكتاب والباب السابقين، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب =

والنصوص في تخوفه ﷺ على أمته كثيرة، لا يحويها هذا المختصر.

- شهادته ﷺ لهم:

ومن مظاهر محبته ورحمته وعطفه وشفقته بأصحابه الكرام رضي الله تعالى عنهم: شهادته ﷺ له بصالح أعمالهم عند الله عز وجل.

لقد جعل الله تعالى نبيَّه الكريمَ ﷺ شاهداً على الأنبياء السابقين عليهم السلام، ولهم على أممهم، وشاهداً لأمته وعليها، و لم يجعل شاهداً عليها من غيره حتى لا تُفضَح أمام الآخرين.

قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[١٤٣٨]. في عدد من الآيات.

* عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: كان النبيُّ ﷺ يجمع بين الرجلين من قتلى أُحُد في ثوب واحد، ثم يقول: (أيّهم أكثرُ أخذاً للقرآن؟) فإذا أشير له إلى أحدهما قدَّمه في اللحد، وقال: (أنا شهيد على هؤلاء يومَ القيامة،...). الحديث، رواه البخاري[١٤٣٩].

* وعن عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ خرج يوماً فصلّى على أهل أُحُد صلاتَه على الميت، ثم انصرف إلى المنبر فقال: (إني فَرَطٌ لكم، وأنا شهيدٌ عليكم، وإني -والله- لأنظر إلى حوضي الآن، وإني قد أُعطيتُ مفاتيحَ خزائن الأرض -أو مفاتيحَ الأرض- وإني -والله- ما أخاف عليكم أن

= الزكاة: باب تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا، رقم (١٢١-١٢٣).

(١٤٣٨) سورة البقرة (١٤٣) وانظر سورة الحج (٧٨) وسورة المزمل (١٥).

(١٤٣٩) صحيح البخاري: كتاب الجنائز: باب الصلاة على الشهيد، وفي غيرهما.

تُشركوا بعدي، ولكن أخاف عليكم أن تتنافسوا فيها). متفق عليه(١٤٤٠).

ففي هذا الحديث عدة أمور مما يدخل في رحمته ﷺ بأصحابه ثم بأمته.

- هو ﷺ فَرط لها. الذي يتقدَّم قومَه ليُصلح لهم، ويُهيءَ ما يلزمهم.

- ويشهد عليهم بأعمالهم، فكأنه باقٍ فيهم لم يتقدمهم، بل يبقى بعدهم حتى يشهد بأعمال آخرهم، فجمع الله تعالى له ما بين هاتين الصفتين اللتين تتنافيان في حق غيره، كما قال الحافظ العراقي رحمه الله تعالى(١٤٤١).

فهو ﷺ قائم بأمرهم في الدّارَين؛ في حالتي حياته وموته ﷺ.

- ثم تخوفه ﷺ على أمته، فهو ﷺ لا يخاف أن تشرك بعده، ولكنه ﷺ يخاف أن تفتح عليهم الدنيا فيتنافسون فيها، والله تعالى أعلم.

- لطفه وعطفه ورحمته ﷺ بالمخطئين والمقصِّرين منهم:

ومن رحمته ﷺ وعطفه وشفقته بالصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم: معاملته المخطئين والمخالفين، في غاية اللطف والعطف والشفقة، خاصة إذا كانت مخالفتهم ناتجةً عن خطأ أو تقصير. وقد ظهرت تلك المعاملة بصور متعددة، منها:

- فمن ذلك: **رحمته ﷺ بمن واقع امرأته في نهار رمضان.**

* عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: جاء رجل إلى النبيِّ ﷺ فقال: هلكتُ يا رسول الله، قال: (ما أهلكك؟) قال: وقعتُ على امرأتي في رمضان. قال: (هل تجدُ ما تعتق رقبةً؟) قال: لا. قال: (فهل تستطيع أن

(١٤٤٠) صحيح البخاري: في الكتاب والباب السابقين، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الفضائل: باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، رقم (٣٠).

(١٤٤١) طرح التثريب (٣: ٢٩٧).

تصومَ شهرين متتابعَين؟) قال: لا. قال: (فهل تجدُ ما تطعم ستين مسكيناً؟) قال: لا. قال: ثم جلس. فأُتِي النبيُّ ﷺ بعَرَق [الزنبيل] فيه تمر. فقال: (تصدَّق بهذا) قال: أفقرَ منا؟ فما بين لابتيها أهلُ بيت أحوجُ إليه منّا. فضحك النبيُّ ﷺ حتى بدت أنيابه، ثم قال: (اذهب، فأطعمه أهلَك). متفق عليه(١٤٤٢).

* ورروياه من حديث السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها بنحوه.

جاء وهو يظن أنه هالك، وعاد وقد أخذ زنبيل التمر، ورسولُ الله ﷺ يضحك.

* زاد في حديث عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما، فقال ﷺ: (ما حملك على ذلك، يرحمك الله؟). رواه أصحاب السنن، وصححه الترمذي والحاكم(١٤٤٣).

ما أرحمه ﷺ وأعطفه وأشفقه، قدم وهو يظن الهلاك فخاطبه بمنتهى اللطف واللين والتوجع عليه (يرحمك الله) ولكن لا يُستغرب ذلك منه، لأن الله تعالى جعله كذلك.

* وعن سلمة بن صخر البياضي الأنصاري رضي الله تعالى عنه-وهو

(١٤٤٢) صحيح البخاري: كتاب الصوم: باب إذا جامع في رمضان، وباب إذا جامع في رمضان ولم يكن له شيء فتُصدِّق عليه فليكفِّر، وفي غيرها. وصحيح مسلم: كتاب الصيام: باب تغليظ تحريم الجماع في نهار رمضان على الصائم،... رقم (٨١-٨٧).

(١٤٤٣) سنن أبي داود: كتاب الطلاق: باب الظهار، رقم (٢٢٢٥) وسنن الترمذي: كتاب الطلاق: باب ما جاء في المظاهر يواقع قبل أن يكفِّر، رقم (١١٩٩) وسنن النَّسائي: كتاب الطلاق: باب الظهار (٦: ١٦٧) وسنن ابن ماجَه: كتاب الطلاق: باب المظاهر يجامع قبل أن يكفِّر، رقم (٢٠٦٥) والمستدرك (٢: ٢٠٤) والسنن الكبرى للبيهقي (٧: ٣٨٦) وانظر التلخيص الحبير (٣: ٢٢١-٢٢٢).

المواقِع-قال: فرجعت إلى قومي، فقلتُ: وجدتُ عندكم الضيقَ وسوءَ الرأي، ووجدتُ عند النبي ﷺ السعةَ والبركةَ، وقد أَمَرَ لي بصدقتكم، فادفعوها إلي. رواه أبو داود والترمذي -وحسنه- وابن ماجَه وابن الجارود، والحاكم وصححه وأقره الذهبي(١٤٤٤).

- ومن ذلك: **أنه ﷺ ما سُئل عن شيء قُدِّم أو أُخِّر من أعمال يوم النحر في الحج: إلاّ قال ﷺ: (افعل ولا حرج).**

* **عن عبد الله بن عَمْرو رضي الله تعالى عنهما، أن رسول الله ﷺ** وقف في حجة الوداع بمنى للناس يسألونه، فجاء رجلٌ فقال: لم أشعر فحلقتُ قبل أن أذبح، فقال: (اذبح ولا حرج) فجاء آخر فقال: لم أشعر فنحرتُ قبل أن أرمي، فقال: (ارم ولا حرج) فما سُئل النبيُّ ﷺ عن شيء قُدِّم ولا أُخِّر إلا قال: (افعل ولا حرج). متفق عليه(١٤٤٥).

ومن ذلك: **نهيه ﷺ الذين زجروا الأعرابيَّ الذي بال في المسجد، أن يقطع بوله؛** خوفاً عليه ألاّ يتضرر، وحتى لا يُلوّث مكاناً آخر، وأمرهم أن يتركوه حتى ينتهي من بوله في مكانه، وأن يصبّوا على مكان بوله دلواً من ماء، لأن أرضَ المسجد كانت من تراب. ثم إنه ﷺ دعاه وبيّن له -في غاية الرِّقة واللطف- أن هذا الفعل لا يجوز، كما بيَّن له وظائف المسجد، والله تعالى أعلم.

(١٤٤٤) سنن أبي داود: في الكتاب والباب السابقين، رقم (٢٢١٣) وسنن الترمذي: كتاب التفسير: سورة المجادلة، رقم (٣٢٩٩) وسنن ابن ماجَه: كتاب الطلاق: باب الظهار، رقم (٢٠٦٢) والمنتقى (٢٤٨-٢٤٩ رقم ٧٤٤) والمستدرك (٢: ٢٠٣).

(١٤٤٥) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب الفتيا وهو واقف على الدابة وغيرها، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الحج: باب من حلق قبل النحر أو نحر قبل الرمي، رقم (٣٢٧-٣٣٣).

* عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قام أعرابي فبال في المسجد، فثار إليه الناسُ ليقعوا به، فقال لهم رسول الله ﷺ: (دعوه، وأهريقوا على بوله ذَنوباً من ماء -أو سَجْلاً من ماء- فإنما بُعثتُم مبشرين [وفي رواية: مُيَسِّرين] و لم تُبعثوا معسرين). متفق عليه(١٤٤٦).

* وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: جاء أعرابيٌّ فبال في طائفة المسجد، فزجره الناس، فنهاهم النبيُّ ﷺ [وقال: (لا تُزْرِموه)] فلما قضى بوله؛ أمر النبيُّ ﷺ بذَنوبٍ من ماءٍ فأُهريق عليه. متفق عليه(١٤٤٧).

* زاد مسلم(١٤٤٨) - في حديث أنس رضي الله تعالى عنه- ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له: (إن هذه المساجد لا تصلح لشيءٍ مِن هذا البول ولا القذر، إنما هي لذكر الله عز وجل، والصلاة، وقراءة القرآن).

ومن ذلك: **ما ظهر يوم جاءه ماعزٌ، يدَّعي ارتكابَه الزنا**، وكيف حاول ﷺ التأكد من فعله، هل ارتكبها فعلاً، أم فعل ما ليس بزنا وتصور أنه زنا. كما طلب من يشم فمه هل هو سكران، كما سأل عن عقله،...إلخ.

* عن نعيم بن هزّال رضي الله تعالى عنه قال: كان ماعزُ بنُ مالك في حجر أبي، فأصاب جاريةً من الحي، فقال له أبي: ائت رسول الله ﷺ،

(١٤٤٦) صحيح البخاري: كتاب الوضوء: باب صب الماء على البول في المسجد، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الطهارة: باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات،... رقم (٩٨-١٠٠).

(١٤٤٧) صحيح البخاري: في الكتاب والباب السابقين، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الطهارة: باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات،... رقم (٩٨-٩٩).

(١٤٤٨) صحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (١٠٠).

فأخبره بما صنعتَ، لعلّه يستغفر لك -وإنما يريد بذلك رجاءَ أن يكون له مخرج- فأتاه فقال: يا رسول الله؛ إني زنيتُ، فأقم عليَّ كتابَ الله. فأعرض عنه، فعاد، فقال: يا رسول الله؛ إني زنيتُ، فأقم عليَّ كتابَ الله. فأعرض عنه، ثم أتاه الثالثةَ، فقال: يا رسول الله؛ إني زنيتُ فأقم عليَّ كتابَ الله. ثم أتاه الرابعةَ، فقال: يا رسول الله؛ إني زنيتُ، فأقم عليَّ كتابَ الله.

فقال رسولُ الله ﷺ: (إنك قلتَها أربعَ مرات، فبمن؟) قال: بفلانة. قال: (هل ضاجعتَها؟) قال: نعم. قال: (هل باشرتَها؟) قال: نعم. قال: (هل جامعتَها؟) قال: نعم [زاد في رواية: فبعث إلى قومه، فسألهم: (أبه جنون؟) قالوا: لا. فسأل عنه: (أثيبٌ، أم بكر؟) قالوا: ثيب] قال: فأمر به أن يُرجم.

قال: فأُخرج به إلى الحَرَّة، فلما رُجم، فوجد مسَّ الحجارة، جزع، فخرج يشتد، فلقيه عبدُ الله بن أُنيس -وقد أعجز أصحابَه- فَنَزع له بوظيف [ساق] بعير، فرماه به، فقتله. قال: ثم أتى النبيَّ ﷺ، فذكر ذلك له، فقال: (هلّا تركتموه لعله يتوب، فيتوب الله عليه). رواه ابن أبي شيبة وأحمد وأبو داود والنَّسائي والبيهقي والطبراني، وصححه الحاكم وأقره الذهبي(١٤٤٩).

* ونظير ذلك ما حصل مع المرأة الغامدية، وحديثها في الصحيح.

(١٤٤٩) مسند أحمد (٥: ٢١٦-٢١٧، ٢١٧ من طرق) ومصنف ابن أبي شيبة (١٠: ٧١-٧٢، ٧٨-٧٩) وسنن أبي داود: كتاب الحدود: باب رجم ماعز بن مالك، رقم (٤٤١٩) والسنن الكبرى للنسائي (٤: ٢٩٠-٢٩١) والمعجم الكبير (٢٢: ٢٠٢) والمستدرك (٤: ٣٦٣) والسنن الكبرى للبيهقي(٨: ٢١٩)وانظر الرحمة المهداة ﷺ (٢١٣) ففيه زيادة تخريج.

- تنبيه من أخطأ منهم بلطف ولين وسهولة:

ومن ذلك: تنبيه من أخطأ منهم بلطف ولين وسهولة، وليس بفظاظة وغلظة وخشونة.

* عن معاوية بن الحكم السُّلَمي رضي الله تعالى عنه قال: بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ؛ إذ عطس رجل من القوم، فقلتُ: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم، فقلتُ: واثُكْلَ أُمِّياهْ ما شأنكم ! تنظرون إليَّ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم. فلما رأيتهم يُصَمِّتونَني. لكني سكتُّ.

فلما صلّى رسولُ الله ﷺ. فبأبي هو وأمي ما رأيت معلّماً قبله ولا بعده أحسنَ تعليماً منه، فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني. قال: (إن هذه الصلاةَ لا يصلح فيها شيءٌ من كلام الناس، إنما هو التسبيح وقراءةُ القرآن). رواه مسلم(١٤٥٠).

- ثناؤه ﷺ على من أقيم عليه الحدُّ:

ومن ذلك: ثناؤه ﷺ على من أقيم عليه الحدُّ، وعدم رضاه على من تكلَّم فيه. وقد تكرر ذلك بصور متعددة، أقتصر على ذكر بعضها.

* عن بُرَيدة بن الحُصَيْب رضي الله تعالى عنه-في قصة رجم ماعز رضي الله تعالى عنه، وفي آخر الحديث: ثم جاء رسول الله ﷺ-وهم جلوس-فسلّم ثم جلس، فقال: (استغفروا لماعز بن مالك) قال: فقالوا: غفر الله لماعز بن مالك. قال: فقال رسول الله ﷺ: (لقد تاب توبةً لو قُسمت بين أمَّةٍ

(١٤٥٠) صحيح مسلم: كتاب المساجد: باب تحريم الكلام في الصلاة، ونسخ ما كان من إباحته، رقم (٣٣).

لوَسِعَتْهم). رواه مسلم[1451].

* وعنه رضي الله تعالى عنه -في قصة رجم الغامدية رضي الله تعالى عنها، وفي آخر الحديث، وأمر ﷺ الناسَ فرجموها، فيُقبل خالدُ بنُ الوليد بحجر، فرمى رأسها، فتنضَّح الدم على وجه خالد فسبَّها، فسمع نبيُّ الله ﷺ سبَّه إياها، فقال: (مهلاً يا خالدُ؛ فو الذي نفسي بيده، لقد تابت توبةً لو تابها صاحبُ مِكْسٍ لغُفر له) ثم أمر بها فصلّى عليها، ودفنت. رواه مسلم[1452].

* وعن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنهما -في قصة رجم المرأة الجهنية رضي الله تعالى عنها، وفي آخره، ثم صلّى عليها، فقال له عُمر: تصلّي عليها يا نبيَّ الله، وقد زنت؟ فقال: (لقد تابت توبةً لو قُسمَت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجدت توبةً أفضل من أن جادت بنفسها لله تعالى؟). رواه مسلم[1453].

- وقوفه ﷺ مع المرأة الضعيفة ليقضي لها ما تريد:

ومن مظاهر رحمته ﷺ وعطفه وشفقته بأصحابه رضي الله تعالى عنهم: وقوفه ﷺ مع المرأة الضعيفة، أو الخادمة المسكينة، أو الجارية المهانة عند أهلها... ليقضي لها حاجتها.

* عن أنس رضي الله تعالى عنه، أن امرأة كان في عقلها شيء، فقالت: يا رسول الله؛ إن لي إليك حاجة. فقال: (يا أم فلان؛ انظري أيَّ السكك شئت، حتى أقضي لك حاجتَكِ) فخلا معها في بعض الطرق، حتى فرغت

(١٤٥١) صحيح مسلم: كتاب الحدود: باب من اعترف على نفسه بالزنى، رقم (٢٢).

(١٤٥٢) صحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (٢٣).

(١٤٥٣) صحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (٢٤).

من حاجتها. لفظ مسلم[١٤٥٤].

* وفي رواية البخاري لهذا الحديث: كانت الأَمَةُ من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ، فتنطلق به حيث شاءت.

وقوله: (فخلا معها في بعض الطرق) ليس المراد به الخلوة المذمومة.

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى[١٤٥٥]: أي وقف معها في طريق مسلوك، ليقضي حاجتَها، ويفتيها في الخلوة، ولم يكن ذلك من الخلوة بالأجنبية، فإن هذا كان في ممر الناس، ومشاهدتهم إياه وإياها، لكن لا يسمعون كلامها، لأن مسألتها مما لا يظهره، والله تعالى أعلم[١٤٥٦].اهـ.

- مقارنة بينه ﷺ وبين أولي العزم في رحمتهم لأممهم.

لا أعلم أحداً من الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام مَن يقارب أو يداني رسولَ الله ﷺ في رحمته وشفقته وحنوِّه ومحبته بأصحابه-وأمته مِن بعدهم-بل حتى الذين أذوه قبل إسلامهم، أو ممن لم يُسلموا، وأقتصر على أربعة نماذج، لسادات الرسل عليهم السلام[١٤٥٧].

أ – أما نوح عليه السلام:

- فقد دعا على قومه الذين لم يؤمنوا به بالهلاك، فقال تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ

(١٤٥٤) صحيح البخاري: كتاب الأدب: باب الكبر. وصحيح مسلم: كتاب الفضائل: باب قرب النبيِّ ﷺ من الناس وتبركهم به، رقم (٧٦).

(١٤٥٥) شرح صحيح مسلم (١٥: ٨٣).

(١٤٥٦) لقد أطلت في بيان رحمته ﷺ بأمته في الرحمة المهداة ﷺ (٥٧-٥٣٧) فانظره إن شئت.

(١٤٥٧) انظر ما كتبته في: مكانة النبي الكريم ﷺ بين الأنبياء عليهم السلام، والرحمة المهداة ر، ورحمة النبيِّ الكريم ﷺ بالكفار. فقد ذكرت نماذج كثيرة في ذلك.

رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾[١٤٥٨]. فاستجاب الله تعالى له دعوته، فكان الطوفان.

- كما أنه عليه السلام سيتبرأ من الخلق جميعاً يوم الحشر، ويطلب من الناس أن يذهبوا إلى غيره من الأنبياء عليهم السلام، ويسأل هو نجاةَ نفسه فقط، وستأتي الإشارة إليه إن شاء الله تعالى بعد قليل.

أما النبي المصطفى الكريم الرحيم ﷺ فعلى العكس تماماً، لم يدع على أمته بالهلاك، بل لم يَقبل أن يوقع الله تعالى عليهم العذاب، ورجا أن يبقيهم الله تعالى، فإن لم يؤمنوا؛ آمن الجيل الذي يلي المعاندين، أو مَن بعدهم.

* لما خرج رسول الله ﷺ من الطائف -بعد أن فعلوا ما فعلوا؛ من ضَرْبٍ وسفك دمٍ، جاءه جبريل عليه السلام، ومعه مَلَكُ الجبال، وأخبره أن الله تعالى أمر ملَكَ الجبال أن يطيعه، وتقدم ملَكُ الجبال وسلَّم، ثم قال: (**إن الله قد سمع قولَ قومك لك، وأنا ملَكُ الجبال، وقد بعثني ربُّك إليك لتأمرني بأمرك، فما شئتَ؟ إن شئتَ أن أطبق عليهم الأخشبين (جبلي مكة)؟ فقال رسول الله ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يُشرك به شيئاً**). متفق عليه[١٤٥٩].

نعم إنها الرحمة المهداة، نسي ما فعله به قومه، ولم يُرد هلاكَهم، ورجا أن يهدي الله تعالى أعداءَه ومعانديه الكفار، وكان ما أراد ﷺ. فقد آمن عامّتهم، فضلاً عن ذرّياتهم.

(١٤٥٨) سورة نوح (٢٦-٢٧).

(١٤٥٩) صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق: باب إذا قال أحدكم: (آمين) والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى؛ غُفر له ما تقدّم من ذنبه. وصحيح مسلم: كتاب الجهاد: باب ما لقي النبيّ ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، رقم (١١١).

ب- وأما إبراهيم عليه السلام:

- فقد تبرأ عليه السلام من أبيه آزر بعد أن علم أنه عدو لله، وأنه مات كافراً(١٤٦٠). فقال تعالى عنه عليه السلام: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُ﴾(١٤٦١).

* عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: (يلقى إبراهيمُ أباه آزرَ يوم القيامة، وعلى وجه آزرَ قترةٌ وغبرةٌ، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني؟ فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك. فيقول إبراهيم: يا رب؛ إنك وعدتني أن لا تُخزني يومَ يبعثون، فأيُّ خزيٍ أخزى من أبي الأبعد؟ فيقول الله تعالى: إني حرَّمتُ الجنةَ على الكافرين،...). الحديث بطوله، رواه البخاري(١٤٦٢).

- لما خرج عليه السلام من قومه لم يعد إليهم. بل جعل الشامَ مستقرَّه، وإن كان قد سافر إلى مصر، والحجاز، ولكنه عاد إلى الشام، حتى تُوفِّي عليه السلام فيها.

- إنه عليه السلام قصر دعاءه بالرزق من الثمرات على المؤمنين فقط.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ﴾ حتى نبّهه الله تعالى أنه يرزق الجميع بما فيهم الكفار، ثم لهم العذاب الأليم يوم القيامة ﴿قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ

(١٤٦٠) انظر (بر الوالدين) فقد توسعت في بيان الفرق بين أبيه ووالده.

(١٤٦١) سورة التوبة (١١٤).

(١٤٦٢) صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء: باب قول الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾، وفي غيرهما.

﴿ٱلْمَصِيرُ﴾[(١٤٦٣)].

- أنه عليه السلام يتبرأ من الخلق جميعاً يوم الحشر، ويطلب من الناس أن يذهبوا إلى غيره من الأنبياء عليهم السلام؛ حتى يصلوا إلى النبي الكريم ﷺ، فيشفع للخلق جميعاً، بما فيهم ساداهم. وهي (الشفاعة العظمى).

أما النبي المصطفى الكريم الرحيم ﷺ فعلى العكس، لم يتخلّ عن عمه أبي طالب، مع أنه رفض أن يقول أمام النبي المصطفى الكريم ﷺ: لا إله إلاّ الله. وقد برز ذلك في أمرين:

* قوله ﷺ في الدنيا: (أما والله لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عن ذلك). متفق عليه، من حديث المسيِّب بن حَزْن رضي الله تعالى عنهما[(١٤٦٤)].

* شفاعته ﷺ له يوم القيامة، بأن أخرجه من العذاب الشديد.

* عن العباس بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه أنه قال: يا رسول الله؛ هل نفعتَ أبا طالب بشيء؟ فإنه كان يحوطك ويغضبُ لك؟ قال: (نعم، هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار). متفق عليه[(١٤٦٥)].

* وفي رواية لمسلم[(١٤٦٦)]: (نعم، وجدتُه في غمراتٍ من النار، فأخرجتُه

(١٤٦٣) سورة البقرة (١٢٦).

(١٤٦٤) صحيح البخاري: كتاب الجنائز: باب إذا قال المشرك عند الموت: لا إله إلا الله، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت،... رقم (٣٩-٤٠).

(١٤٦٥) صحيح البخاري: كتاب الأدب: باب كنية المشرك، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب شفاعة النبيِّ ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه بسببها، رقم (٣٥٧-٣٥٩).

(١٤٦٦) صحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (٣٥٨).

إلى ضحضاح).

* وعن أبي سعيد الخُدْري رضي الله تعالى عنه، قال ﷺ: (لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من النار) الحديث، متفق عليه[(١٤٦٧)]

لذا صار أهونَ أهل النار عذاباً بشفاعة النبي المصطفى الكريم ﷺ.

* عن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: (أهونُ أهل النار عذاباً أبو طالب،...) الحديث، رواه مسلم[(١٤٦٨)].

نعم هناك فرق بين آزر وأبي طالب، فقد كان آزر مع قومه ضد إبراهيم عليه السلام، وقد هدّده بالرجم، أما أبو طالب فقد كان مع النبي المصطفى الكريم ﷺ ضد قومه، يدافع عنه ويحميه، وإن كان لم ينطق بالشهادة، مع اعتقاده بصدق رسول الله ﷺ.

* وكذلك لم يترك رسول الله ﷺ مكة حين هاجر إلى المدينة، بل عاد إليها فاتحاً مطهِّراً، حتى صارت دارَ إسلام، ولله الحمد والمنة.

* كما أنه ﷺ استسقى لكفار قريش، مع ما فعلوه فيه وفي أصحابه رضي الله تعالى عنهم، ولم يقف مكتوفَ اليد وهو يراهم وقد هلكوا، مع أنهم كفار، ولم يرض أن يهلكهم الملَك بإطباق الجبلين عليهم.

* كما أنه ﷺ أذن لثمامة بن أثال أن يرسل القوت إليهم عندما منع

(١٤٦٧) صحيح البخاري: كتاب الرقاق: باب صفة الجنة والنار، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (٣٦٠).

(١٤٦٨) صحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب أهون أهل النار عذاباً، رقم (٣٦٢).

الميرة عنهم، حتى يأذن بها رسول الله ﷺ، كما بينت ذلك كله في رحمة النبيِّ الكريم ﷺ بالكفار، فانظره.

* أما الشفاعة العظمى. فسيأتي ذكرها عند ذكر عيسى عليه السلام.

ج- أما موسى عليه السلام:

- فقد تبرأ من بني إسرائيل -مع أنها أمته- في الدنيا، وسيتبرأ منها في الآخرة. وحكم عليهم بالسفه.

قال الله تعالى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا ۖ فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ۖ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾[1469].

فإذا كان خيارهم سفهاء في حكم موسى عليه السلام-وهذا فعلهم-فما هو فعل أشرارهم وسفهائهم إذاً !!!

قال الله تعالى عن تبرؤ موسى عليه السلام من قومه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ۖ فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾[1470]. وحكم عليهم بالفسق.

وأما في الآخرة فسيأتي الحديث بعد قليل، إن شاء الله تعالى.

أما النبي المصطفى الكريم الرحيم بالخلق والخليقة ﷺ، فعلى العكس تماماً، فهو لم يتخلّ عن أمته، بل لم يتخل عن أحد منها، وقد كثر قوله ﷺ: (اللهم

(١٤٦٩) سورة الأعراف (١٥٥).

(١٤٧٠) سورة المائدة (٢٥-٢٦).

أمتي، أمتي)[١٤٧١]. بل حتى الكفار منهم، لو علم أن الله تعالى يغفر لهم لو زاد من الاستغفار لهم لفعل، حرصاً منه ﷺ على نجاتهم.

* وعن عمر رضي الله تعالى عنهم -في قصة صلاته ﷺ على عبد الله ابن أُبيٍّ ابنِ سلول- وفيه قوله ﷺ: (إني خُيِّرتُ، فاخترتُ [قد قيل لي: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾] لو أعلم أني إن زدتُ على السبعين يُغفر له لزدتُ عليها). رواه البخاري[١٤٧٢].

د- أما عيسى عليه السلام:

فقد عُبد من دون الله عز وجل، واتُّخذ وأُمُّه إلهين من دون الله تعالى، وزعم النصارى -كذباً وزوراً- أنه عليه السلام هو الذي طلب منهم ذلك. بخلافه هو ﷺ[١٤٧٣].

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[١٤٧٤].

(١٤٧١) انظر: الرحمة المهداة ﷺ، في أغلب فصول الكتاب.

(١٤٧٢) صحيح البخاري: كتاب الجنائز: باب ما يكره من الصلاة على المنافقين والاستغفار للمشركين، وفي كتاب التفسير: سورة التوبة.

(١٤٧٣) انظر: الحب المتبادل، لترى التفاصيل في ذلك.

(١٤٧٤) سورة المائدة (١١٦-١١٨).

- لذا لعن قومَه -من بني إسرائيل- كما قال الله عز وجل: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ﴾[(١٤٧٥)].

- كما أنه سيتبرأ من قومه يوم القيامة، كما يأتي في الحديث القادم.

أما النبي المصطفى الكريم الرحيم ﷺ فلم يلعن أمته، ولم يدع عليها، كما أنه لم يتبرأ منها، بل على العكس، حيث كان ﷺ يدعو لها، ويترك أمر نفسه لربه عز وجل. حتى إن الله تعالى سيُرضيه في أمته، ولا يسوؤه فيها.

* عن عبد الله بن عَمْرو رضي الله تعالى عنهما، أن النبيَّ ﷺ تلا قولَ الله عز وجل في إبراهيم: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ ﴾ الآية. وقال عيسى عليه السلام: ﴿ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ فرفع يديه وبكى، وقال: (اللهم أمتي أمتي) فقال الله عز وجل: يا جبريل؛ اذهب إلى محمد -وربُّك أعلم- فسله: ما يبكيك؟ فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام، فسأله، فأخبره رسول الله ﷺ بما قال-وهو أعلم-فقال الله عز وجل: يا جبريل؛ اذهب إلى محمد، فقل: إنّا سنرضيك في أمتك، ولا نسوؤك). رواه مسلم[(١٤٧٦)].

* وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قيل يا رسول الله؛ ادع على المشركين. قال: (إني لم أُبعث لعّاناً، وإنما بُعثتُ رحمة). رواه مسلم[(١٤٧٧)].

* بل كان ﷺ يدعو لقومه الذين آذوه، وأسالوا دمَه الشريف، وشجّوا

(١٤٧٥) سورة المائدة (٧٨).

(١٤٧٦) صحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب دعاء النبيِّ ﷺ لأمته، رقم (٣٤٦).

(١٤٧٧) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة: باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، رقم (٨٧).

وجنته، وأرادوا قتله، بأن يسامحهم الله تعالى، ويعفو عنهم، كما في غزوة أُحد، حيث قال: (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون). متفق عليه[1478].

- الشفاعة العظمى، وحاله ﷺ وحال الأنبياء عليهم السلام فيها:

أما حديث **الشفاعة العظمى** فأقتصر على ذكر رواية واحدة، ومن أراد الزيادة فلينظر في كتابي (الشفاعة).

* عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: أُتي رسول الله ﷺ يوماً بلحم، فرُفعت إليه الذراعُ -الحديث في الشفاعة، وفيه-: (فيقول بعضُ الناس لبعض: ائتوا آدم، فيقولون: يا آدم،... اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما بلغنا. فيقول آدم:... نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح. فيأتون نوحاً فيقولون:... اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟... فيقول لهم:... نفسي نفسي، اذهبوا إلى إبراهيم ﷺ. فيأتون إبراهيم، فيقولون:...اشفع لنا إلى ربك،...فيقول:...نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى. فيأتون موسى ﷺ، فيقولون: يا موسى؛... اشفع لنا إلى ربك،...فيقول لهم موسى ﷺ: نفسي نفسي، اذهبوا إلى عيسى ﷺ. فيأتون عيسى فيقولون:... اشفع لنا إلى ربك،... فيقول لهم عيسى ﷺ:... نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد ﷺ، فيأتوني، فيقولون: يا محمد؛ أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا عند ربك،... ثم يقال: يا

(١٤٧٨) صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء: باب (٥٤)حدثنا أبو اليمان. وصحيح مسلم: كتاب الجهاد: باب غزوة أحد، رقم (١٠٥) من حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه.

محمد؛ ارفع رأسك، سل تعطه، اشفع تـشفّع) الحـديث بطولـه، متفـق عليه(١٤٧٩).

* وفي حديث أنس رضي الله تعالى عنه-بنفس الموضوع،...وفي آخره قوله ﷺ: (... فيُؤتى عيسى، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بمحمـد ر، فأُوتى، فأقول: أنا لها،...) الحديث بطوله، متفق عليه(١٤٨٠).



(١٤٧٩) صحيح البخاري: كتاب التفسير: سورة الإسراء: باب ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ...﴾، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب أدنى أهل الجنة منـزلة فيهـا، رقـم (٣٢٧).

(١٤٨٠) صحيح البخاري: كتاب التوحيد: باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبيـاء وغيرهم. وصحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (٣٢٦).

الفصل الثاني

محبتهم وتوقيرهم وتعظيمهم رضي الله تعالى عنهم

عوامل المحبة وأسبابها:

لقد تحدَّثتُ في بعض كتبي[١٤٨١] عن عوامل المحبة وأسبابها، وهي ثمانيـــة، لكن الذي يهمني منها ستة عوامل أو أسباب، أذكرها مع دلالة تَنْزيلها على وجوب محبتنا للصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم.

١- المحبة الجبلّية:

إن الولد يحب أباه، كما أن الوالد يحب ولدَه، ولولاها لما تعمّرت الديار وطالت البيوت، فالوالد يشقى ويتعب، والأم تُهلك نفسها في العمل المضني لإسعاد الأولاد.

ويدخل في ذلك: محبة الإنسان لأهله وأقربائه وعشيرته.

فإذا كان الولد يحب أباه لأنه سبب وجوده في الدنيا، فكذلك يجب على المسلم أن يحب الصحابة رضي الله تعالى عنهم، لأنهم-إن لم يكونوا أجدادَه البعيدين-فهم سبب إسلامه، وإيمانه وعلمه، لأنهم الذين نقلوا لنا ذلك عـــن رسول الله ﷺ، فهذا أقل الواجب نحوهم.

٢- المحبة الفطرية: ويغلب عليها العقل، كمحبة الجمال مثلاً:

إذ قلَّ إنسان عاقل سوي إلاّ وهو يحب الجمال، سواء كان حقيقيّاً، أو

(١٤٨١) انظر: محبة النبيِّ ﷺ وطاعته بين الإنسان والجماد (١٠١-١١٠).

خياليّاً، أو واقعيّاً، كحب الإنسان للمناظر الطبيعية الحقيقية، أو صور تمثّلها، وكذا الجمال الخلقي كالصفات الجمالية والكمالية في الإنسان.

وليس بعد رسول الله ﷺ أجمل من الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنه في صفاهم وأخلاقهم وآداهم، فلا نظير لهم ولا مثيل، وإلاّ لما كانوا خير قرون بني آدم، ولما نالوا محبةَ الله تعالى، ورضوانَه، والخلود في جنانه.

٣- محبة المشاكلة:

إننا نرى كل مخلوق يهوى ويميل إلى من يتّحد معه في صفة أو أكثر، وما قيام النقابات في الدول إلاّ تمثيل لتلك المشاكلة.

وقد جُبلت القلوب على محبة من يتحلى بصفاها، فالمنافق يحب المنافقين -وإن لم يرهم- والبخيل يحب البخلاء -وإن لم يجتمع هم- والصالح يحب الصالحين -وإن لم يلتق هم- والمزّاح يحب المازحين-وإن لم يعرفهم من قبل- والمؤمن يحب المؤمنين -وإن كانوا بعيدين عنه-.

وكلما قوي الإيمان في قلب العبد ازداد حبّاً لمن يشاركه في وصفه، وإن كانوا بعيدين عنه زمناً أو مكاناً. لأن ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ وأن من تحابّا في الله تعالى فإهما يحشران معاً، كما سيأتي بيانه بعد قليل إن شاء الله تعالى.

فكيف بمن يحب أفضل الخلق بعد الأنبياء والرسل عليهم السلام، ممن شهد الله تعالى لهم بالإيمان في غير ما آية.

* عن عَمرة بنت عبد الرحمن رحمها الله تعالى قالت: كان بمكة امرأةٌ مزّاحةٌ فنزلت على امرأة مثلها، فبلغ ذلك عائشة فقالت: صدق حبّي ﷺ. سمعت رسول الله ﷺ يقول: (الأرواح جنود مجنّدة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف). رواه البخاري في الأدب المفرد، وأبو يعلى برجال

الصحيح[١٤٨٢]. ويأتي ذكر المرفوع بعد قليل إن شاء الله تعالى.

فهذه امرأة مكية، كانت تُضحك نساء قريش في بيوتهن، حتى صارت تُعرف في أوساط مكة، فلما هداها الله تعالى وهاجرت نزلت على امرأة لا تعرفها من قبل، ولا خلطة لها بها، و لم تسمع عنها من قبل، وهي تشاركها هذه الصفة، فلما أُخبرت السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها بذلك، ذكرت عائشة قصتها لرسول الله ﷺ فقال هذا الحديث.

٤- محبة المصلحة والمنفعة: وهي نوعان:

أ - إذا كانت المنفعة للشخص نفسه. فالنفوس مجبولة على حب من أحسن إليها، وتراها مأسورةً لمن قدّم لها منفعةً -مهما كانت- خاصة إذا كانت مهمةً وثمينة جدّاً. وكلما كانت المكرمة عظيمةً كان الاعتراف بالجميل والتفضل والتقدير أعظم.

ولا مكرمة أعظم، ولا منّة أعلى مما قدَّمه الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم، وهل أغلى من الإيمان والقرآن والسنة وهَدْي النبي المصطفى الكريم ﷺ وأخلاقه وآدابه؟ لقد قدّموا لنا ذلك كله، وسعوا جاهدين لنقله إلينا، بمنتهى الدّقة والأمانة،... ومن غير طلب منا، ولا ثمن يقابله، فكيف يكافَؤون على ما قدّموا من هذه المنفعة التي قدّموها لنا؟! إنه لا سبيل إلى مكافأتهم -لبعد الزمن- سوى محبتهم والدعاء لهم والاستغفار لهم والترضي عنهم، وشكرهم وتوقيرهم،...

*** عن عبد الله بن عُمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (من صنع -أو أهدى- إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا، فادعوا له، حتى تعلموا أن**

(١٤٨٢) الأدب المفرد (٣٠٠-٣٠١) ومسند أبي يعلى (٧: ٣٤٤) ومجمع الزوائد (٨: ٨٨) وإتحاف المهرة (١٧: ٧٢٤) وفتح الباري (٦: ٣٧٠) والمقاصد الحسنة (٥٠-٥١) وكشف الخفاء (١: ١١١-١١٣) وفي بعضها طول.

قد كافأتموه). رواه الطَّيالِسي وابن أبي شيبة وأحمد والبخاري في الأدب المفرد وأبو داود والنَّسائي، وصححه ابن حِبّان والحاكم وأقره الذهبي(١٤٨٣).

فإذا كانت منفعة دنيوية يلزم المكافأة عليها، بما يناسبها، فكيف بأغلى وأعلى منفعة، لا تقدّر بثمن، ولا تكافأ بمادة؟!

ب- قد تكون المنفعة لغيره، كما هو الحال في شأن الصالحين من أهل الخير، والعلماء العاملين، والحكام العادلين.

إن النفس إذا بلغها وجود عالم عامل فاضل داع ينتفع الطلاب وأهل مِصره به، وهو من أهل الخير والصلاح والاستقامة،... وكذا لو سمعت بحاكم عادل صالح مستقيم يخدم أمته وشعبه، ويتفانى في خدمتهم،... فإن النفس لا ترى ذاتها إلاّ منقادةً لمحبة هؤلاء، وإن كانوا في بلاد أخرى، أو قرون سابقة. كما تتمنى أن لو كانت عنده، مع أن منفعته لم تصل إليها، لكنها وصلت إلى أخوانه المسلمين.

فكيف بمن كان نفعهم أغلى ما يمكن أن يقدمه إنسان، لقد جمعوا العلم والعمل، والهدى والصلاح، والأمانة والقوة، والدعوة والاستقامة، بل جمعوا الخيرَ كله في تبليغهم هذا الدين، ونقلهم إياه-ولو في أقصى بقاع الأرض-بما فيه من إيمان وقرآن وسنة وهدي وآداب وأخلاق،...

٥-المحبة الروحية، أو محبة التقابل القديم:

فهذه من أهم الأمور، ذلك أن من ثبت كماله، واستقر إيمانه،... فمن لم يحبهم ويحرص على قربه منهم، فهو على خطر.

(١٤٨٣) مسند الطَّيالِسي (٢٥٧رقم١٨٩٥) ومصنف ابن أبي شيبة (٣: ٢٢٨) ومسند أحمد (٢: ٦٨، ٩٥-٩٦، ٩٩، ١٢٧) والأدب المفرد (٨٧ رقم ٢١٦) وسنن أبي داود: كتاب الزكاة: باب عطية من سأل بالله، وكتاب الأدب: باب في الرجل يستعيذ من الرجل، رقم (١٦٧، ٥١٠٩) وسنن النَّسائي: كتاب الزكاة: باب من سأل بالله عز وجل (٥: ٨٢) وصحيح ابن حِبّان (٥: ١٧٣) والمستدرك (١: ٤١٢)(٢: ٦٣-٦٤) والسنن الكبرى للبيهقي (٤: ١٩٩) والآداب له (١٦١-١٦٢).

إن اللقاء السابق بين الأرواح يوم خلقها، والتعارف المسبق بينها؛ فمن كان متقابلاً -في عالم الذر- تآلف في هذه الدنيا، ومن تناكر -في ذلك العالم- تنافر في هذه الدنيا.

* ويدل على ذلك قوله ﷺ: (الأرواح جنود مجنَّدة،...) كما سيأتي.

٦- محبة الصفات الكاملة:

إن النفوس السوية المستقيمة العاقلة تعشق الكمال، وكلما ازداد الرجل كمالاً ازداد انقياد الناس له، وازدادت محبتهم إياه.

إنه لا يوجد في الكون أكمل من أصحاب رسول الله ﷺ -بعد الأنبياء والرسل عليهم السلام- لأن الله تعالى اصطفاهم، وجعلهم خير الأمم، وأحبهم ورضي عنهم، وربّاهم رسولُ الله ﷺ على عينيه،... وجعلهم الله تعالى لنا قدوة بعد رسول الله ﷺ، وأمرنا أن نقتدي بهم ونتّبعهم، فلو لم يكونوا من ذوي الكمال ما أمر الله تعالى باتّباعهم ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾[١٤٨٤] فلما أمر تعالى باتباعهم دلَّ على كمالهم. وصاروا كمشتري المسك من حامله ليعطّروا به من بعدهم.

وبقدر ما كمل من صفات المؤمن وزكا من نفسه وعلا من مقامه،... يحب من يحبه الله تعالى. كما سيأتي بعد قليل، فمن لم يحب الصحابة رضي الله تعالى عنهم يكون على خطر كبير، لأنه ناقص الإيمان، بل قد يكون فاقده -والعياذ بالله تعالى- إذا بلغ الأمر إلى الحقد والبغض والتكفير.

هذه ستة عوامل مدعاة لحب الصحابة رضي الله تعالى عنهم وتوقيرهم وتعظيمهم وتبجيلهم، فمن لم تتحقق العوامل كلها فيه، فلا يفوته بعضها.

(١٤٨٤) سورة النساء (١١٥).

الأدلة على وجوب محبتهم وتوقيرهم وتعظيمهم رضي الله تعالى عنهم:

إن الأدلة على وجوب محبتهم وتوقيرهم وتعظيمهم رضي الله تعالى عنهم كثيرة، أشير إلى بعضها، وإن كانت الدلالة ليست ظاهرة ابتداء.

١- لأن الله تعالى يحبهم:

لقد أخبرنا الله تعالى في كتابه الكريم أنه يحب الصحابةَ الكرامَ رضي الله تعالى عنهم، وقد سبق ذكر الآيات في الباب الأول، أذكرها للتنبيه.

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾(١٤٨٥).

قال الله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾(١٤٨٦).

إذا كان الله عز وجل قد ذكر في الآيات الأخيرة محبته لبعض أوصاف الصحابة رضي الله تعالى عنهم ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ وَ ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ فإنه تعالى ذكر في الآية الأولى محبته لهم جميعاً ﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾.

(١٤٨٥) سورة المائدة (٥٤-٥٦).

(١٤٨٦) سورة آل عمران (١٤٦-١٤٨).

وإذا أحب الله تعالى عبداً من عباده، فإن أهل السماء كلهم يحبونه، تبعاً لمحبة الله تعالى.

* فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا أحب الله عبداً دعا جبريل فقال: إني أحبُّ فلاناً فأحبَّه، قال: فيحبُّه جبريل. ثم ينادي في أهل السماء فيقول: إن الله يحبُّ فلاناً فأحبوه، فيحبه أهلُ السماء. قال: ثم يوضعُ له القبول في الأرض،...). الحديث بطوله، متفق عليه(١٤٨٧).

فإذا أحبهم الله تعالى وأحبهم جبريل عليه السلام، وأحبتهم ملائكة السماء، فما هو موقف المسلم المؤمن المطيع؟

* وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (أحبّوا الله لما يغذوكم به من نِعمه، وأحبوني لحب الله،...) الحديث، رواه الترمذي وحسنه، والطبراني في آخرين، وصححه الحاكم وأقره الذهبي(١٤٨٨).

فإذا كان النبي المصطفى الكريم ﷺ يطلب من المسلمين أن يحبونه لأن الله تعالى يحبه، فكذلك يجب على المسلم أن يحب الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم لأن الله تعالى يحبهم، فمن لم يفعل يكون قد خالف ما يفعله الله تعالى، فصار مشاقاً لله تعالى، وقد حذّر الله تعالى مَنْ يشاققه ورسولَه ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾(١٤٨٩).

(١٤٨٧) صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق: باب ذكر الملائكة، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب البر والصلة: باب إذا أحب الله عبداً حبّبه إلى عباده، رقم (١٥٧).

(١٤٨٨) سنن الترمذي: كتاب المناقب: باب مناقب أهل بيت النبيِّ ﷺ، رقم (٣٧٨٩) وفضائل الصحابة (٢: ٩٨٦) والتاريخ الكبير (١: ١٨٣) والمعرفة والتاريخ (١: ٤٩٧) والمعجم الكبير (١٠: ٣٤٢) والمستدرك (٣: ١٤٩-١٥٠) وحلية الأولياء (٣: ٢١١) وشعب الإيمان (٢: ١٣٠) وتاريخ بغداد (٤: ١٥٩-١٦٠) وتهذيب الكمال (١٥: ٦٤).

(١٤٨٩) سورة الأنفال (١٣-١٤).وانظر سورة الحشر (٤).

فمن كان في شقٍّ خلاف أمر الله عز وجل ورسوله ﷺ فإن له العذاب الشديد في نار جهنم، والعياذ بالله تعالى، وسيأتي مزيد بيان إن شاء الله تعالى

٢- لأن الله تعالى رضي عنهم:

إن الرضا أعلى المقامات التي ينالها العبد في الجنة، فإذا رضي الله تعالى عن شخص، فقد دل على محبته تعالى له، وأنه تجاوز كلَّ القناطر، وسعد كلَّ السعادات، لأنه لا يسخطِ عليه بعدها أبداً. وقد سبق ذكر الآيات.

قال الله عز وجل: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾[(١٤٩٠)].

فقد أخبر تعالى برضاه عن السابقين من المهاجرين والأنصار رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، ومن رضي تعالى عنه فقد دل على محبته له.

كما أخبر تعالى عن رضاه عن المبايعين بيعة الرضوان في الحُدَيْبِيَة.

فقال سبحانه وتعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[(١٤٩١)].

وقال الله عز وجل: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[(١٤٩٢)]. وقد سبق بيان سبب نزولها في الباب الأول فانظره.

(١٤٩٠) سورة التوبة (١٠٠) وانظر سورة المائدة (١١٩) وسورة البينة (٨).

(١٤٩١) سورة الفتح (١٨).

(١٤٩٢) سورة المجادلة (٢٢).

ولما ظن بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم أن بناء المسجد الحرام أو سقاية الحجيج هو أعلى ما يتصدقون به؛ نبههم الله عز وجل على أن الإيمان والهجرة والجهاد أعظم من ذلك كله، كما بيّن لهم البشارة التي تنتظـرهم، وهي الرحمة والرضوان في الجنة يتنعمون فيها، مع الخلود فيها.

قال الله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٩) الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ (٢١) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[(١٤٩٣)].

والرضوان من الله تعالى أعلى ما يناله المؤمن في الجنة، لأنه لا أكبر منه.

قال الله عز وجل: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[(١٤٩٤)].

ثم إن رضاء الله تعالى هو أعلى الدرجات التي ينالها أهل الجنة، فلـو لم يكونوا صالحين صادقين مخلصين لما رضي الله تعالى عنهم.

* عن أبي سعيد الخُدْري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة: يا أهلَ الجنة. فيقولـون: لبيـك ربّنـا وسعديك، والخيرُ في يديك. فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى،

(١٤٩٣) سورة التوبة (١٩-٢٢).

(١٤٩٤) سورة التوبة (٧٢).

يارب، وقد أعطيتنا ما لم تُعط أحداً من خلقك. فيقول: ألا أعطيكم أفضلَ من ذلك؟ فيقولون: يا رب؛ وأيُّ شيء أفضلُ من ذلك؟ فيقول: أُحلُّ عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبداً). متفق عليه(١٤٩٥).

وإذا كان الله تعالى لا يرضى إلاّ على خير عباده، فما هو موقف المؤمن؟

إن رضاء الله عز وجل عن الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم دلالة على محبته تعالى لهم، فلو لم يحبهم لما رضي عنهم، فإذا أحبهم الله عز وجل فما موقف المؤمن؟ أيحب ما يحبه الله تعالى فيكون مؤمناً صادقاً، أم يكره ما يحبه الله تعالى فيكون منافقاً؟ والعياذ بالله تعالى. وسيأتي بيان ذلك بعد قليل.

٣- لأن الله تعالى حكم بأنهم من أهل الجنة:

لقد أخبر الله تعالى أن الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم من أهل الجنة، بل من المخلَّدين فيها. وقد سبق ذكر الآيات في الباب الأول.

قال الله عز وجل: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾(١٤٩٦).

وقال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾(١٤٩٧).

(١٤٩٥) صحيح البخاري: كتاب الرقاق: باب صفة الجنة والنار، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها: باب إحلال الرضوان على أهل الجنة فلا يسخط عليهم أبداً، رقم (٩).

(١٤٩٦) سورة التوبة (٨٨-٨٩).

(١٤٩٧) سورة التوبة (١٠٠).

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(١٤٩٨).

* لقد أثبت الله تعالى لهم الخلودَ في هذه الجنات والبساتين؛ بما فيها من نعيم مقيم، بجوار ربٍّ كريم، ومعيةِ رسولٍ أمينٍ ﷺ.

وقال الله عز وجل: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾(١٤٩٩). والآيات كثيرة في ذلك(١٥٠٠).

كما أن الله تعالى وعدهم الحسنى-هي الجنة-ومن أُكرم بها كان مخلَّداً فيها، وهو مبعَدٌ عن جهنم، بل لا يسمع حسيسَها، لأنه مخلَّد في الجنة، حيث تتلقاه الملائكة لتبشّره بما وُعد به، وهذا كله فضل من الله تعالى ونعمة.

قال الله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ

(١٤٩٨) سورة الفتح (٤-٥).

(١٤٩٩) سورة المجادلة (٢٢).

(١٥٠٠) انظر أيضاً سورة آل عمران (١٥، ١٠٧، ١٣٦، ١٩٨) وسورة النساء (١٣) وسورة المائدة (١١٩) وسورة يونس (٢٦) وسورة الفرقان (١٦، ٧٦) وسورة الحديد (١٢) وسورة التغابن (٩) وسورة الطلاق (١١).

ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةًۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةًۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾(١٥٠١).

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾(١٥٠٢).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾(١٥٠٣).

فمن أثبت الله تعالى له الخلودَ في الجنة فهذا دلالة على محبته تعالى لهم، لأن الجنة غالية عند الله تعالى.

* **فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ:** (من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة). رواه الترمذي وحسنه، والبغوي، وصححه الحاكم وأقره الذهبي(١٥٠٤). وله شاهد بلفظه من حديث أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه عند الحاكم.

(١٥٠١) سورة النساء (٩٥-٩٦).

(١٥٠٢) سورة الحديد (١٠).

(١٥٠٣) سورة الأنبياء (١٠١-١٠٣).

(١٥٠٤) سنن الترمذي: كتاب صفة القيامة: باب [١٨] رقم (٢٤٥٠) والمستدرك (٤: ٣٠٧-٣٠٨) وشرح السنة (١٤: ٣٧٠-٣٧١) وانظر الترغيب والترهيب، والمغني عن حمل الأسفار، فقد نقلا تحسين الترمذي.

ولا يُدخلها إلاّ المتقين. والآيات كثيرة، مر كثيرٌ منها في الباب الأول.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾(١٥٠٥).

وأنه تعالى لا يقبل إلاّ من المتقين، لذا ما على المرء إلاّ النظر فيما يكون سبباً لقبوله ومحبة الله تعالى له، فمن من يتق الله فيما أمر، ويفعل ما أراد، وينتهي عما نهى عنه فليس من المتقين.

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾(١٥٠٦).

ووصف الله تعالى الصحابة رضي الله تعالى عنهم بالمتقين، وأنه تعالى أعطاهم الذي يشاؤون، وأخبر تعالى أنه يحبهم، جزاء إحسانهم، لذا ما على المسلم سوى محبتهم وتوقيرهم، وإلاّ كان مخالفاً لمراد الله تعالى وفعله.

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾(١٥٠٧).

وقال الله عز وجل: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾(١٥٠٨).

٤- من أراد أن يدخل الجنة فليحبهم:

لقد أخبر الله سبحانه وتعالى أن الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم من المخلَّدين في الجنة، كما أخبر رسول الله ﷺ أن من أحب قوماً حُشر معهم، فمن

(١٥٠٥) سورة الحجر (٤٥) وسورة الذاريات (١٥) وانظر سورة الدخان (٥١) وسورة الطور (١٧) وسورة القمر (٥٤) وسورة المرسلات (٤١).

(١٥٠٦) سورة المائدة (٢٧).

(١٥٠٧) سورة الزمر (٣٣-٣٥).

(١٥٠٨) سورة آل عمران (٧٦) وانظر سورة التوبة (٤، ٧)

أحب أن يدخل الجنة فيلزمه أن يحب الصحابة رضي الله تعالى عنهم ليدخل الجنة معهم. ذلك لأن الله تعالى نزع من صدور أهل الجنة الغل والحقد، فمن أراد أن يدخلها فليصفِّ قلبه من الغل والحقد والحسد-خاصة عن الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ولأنه تواتر عن النبي المصطفى الكريم ﷺ قوله: (أنت مع من أحببت) بألفاظه المتقاربة[(١٥٠٩)].

قال الله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾[(١٥١٠)].

وكيف يكونون إخوانا متقابلين، وقد نزع من صدورهم الغل، إذا لم يكونوا- في الدنيا-محبين للمؤمنين عموماً وللصحابة الكرام خصوصاً.

* وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله؛ متى الساعة؟ قال: (وما أعددت للساعة؟) قال: حبَّ الله ورسوله. قال: (فإنك مع من أحببت).

قال أنس: فما فرحنا بعد الإسلام فرحاً أشد من قول النبيِّ ﷺ: (فإنك مع من أحببتَ).

قال أنس: فأنا أحبُّ الله ورسولَه، وأبا بكر وعمر، فأرجو أن أكون معهم، وإن لم أعمل بأعمالهم. متفق عليه[(١٥١١)].

* وفي رواية لهما[(١٥١٢)] قال: (ما أعددت لها؟). فقال: يا رسول الله، ما

(١٥٠٩) انظر الأزهار المتناثرة (٢٦) وقطف الأزهار (١٦٨-١٧٠) ولقط اللآلئ (٨٥) ونظم المتناثر (١٢٩) وفتح الباري (١٠: ٥٦٠) حيث رواه نحو من عشرين صحابياً.

(١٥١٠) سورة الحجر (٤٧) وانظر سورة الأعراف (٤٣).

(١٥١١) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة: باب مناقب عمر بن الخطاب،...رضي الله تعالى عنه. وصحيح مسلم: كتاب البر والصلة: باب المرء مع من أحب، رقم (١٦١-١٦٤).

(١٥١٢) صحيح البخاري: كتاب الأدب: باب علامة الحب في الله، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (١٦٤).

أعددت لها كثيرَ صيام، ولا صلاة، ولا صدقة، ولكني أحب الله ورسولَه، قال: (أنت مع من أحببت). الحديث.

*** وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف ترى في رجل أحبَّ قوماً ولَمّا يلحق بهم؟ فقال رسول الله ﷺ: (المرءُ مع من أحبّ). متفق عليه**[١٥١٣].

* وعن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: قيل للنبيِّ ﷺ [وعند مسلم: أتى النبيَّ ﷺ رجلٌ فقال]: الرجلُ يحبُّ القومَ ولَمّا يلحق بهم؟ قال: (المرءُ مع من أحب). متفق عليه[١٥١٤].

* وعن صفوان بن عسّال رضي الله تعالى عنه قال: بينا نحن مع رسول الله ﷺ في مسير له، إذ ناداه أعرابيٌّ بصوت له جهوريٌّ: يا محمد، فأجابه النبيُّ ﷺ بنحوٍ من صوته: (هاؤم) فقلنا له: اغضض من صوتك، فإنك نُهيتَ عن هذا. فقال: لا، والله لا أغضض من صوتي. فقال: يا رسول الله؛ المرءُ يحبُّ القومَ ولَمّا يلحق بهم. قال: (المرءُ مع من أحبَّ) الحديث بطوله، رواه عبد الرزاق والحُمَيْدي والطَّيالِسي وأحمد، وصححه الترمذي وابن حبان[١٥١٥].

(١٥١٣) صحيح البخاري: في الكتاب والباب السابقين. وصحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (١٦٥).

(١٥١٤) صحيح البخاري: في الكتاب والباب السابقين. وصحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين.

(١٥١٥) مصنف عبد الرزاق (١: ٢٠٥-٢٠٦) ومسند الطّيالسي (١٦٠) ومسند الحُمَيْدي (٢: ٣٨٨-٣٨٩) ومسند أحمد (٤: ٢٤٠) وسنن الترمذي: كتاب الدعوات: باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله بعباده، رقم (٣٥٣٥، ٣٥٣٦) وصحيح ابن حِبّان (٢: ٣٢٢) (٤: ١٤٩-١٥١) والمعجم الكبير (٨: ٦٤-٦٥، ٦٨-٧٠، ٧٢) وهو مروي من طرق مختصراً ومطولاً في كثير من المصنفات.

فإذا جاء في حديث أنس رضي الله تعالى عنه (أنت مع من أحببتَ) فقد جاء في الروايات الأخرى عامّاً (المرءُ مع من أحب) ليشمله ويشمل غيره، ممن كان على شاكلته. وبهذا فتح الباب للمنافسة.

لذا فكل من أحب الصحابة رضي الله تعالى عنهم فأرجو من الله تعالى أن يحشره معهم، وقول أنس رضي الله تعالى عنه صريحٌ في ذلك: فأنا أحبُّ الله ورسولَه وأبا بكر وعمر، فأرجو أن أكون معهم، وإن لم أعمل بأعمالهم. متفق عليه. فمن لم يحببهم فلن يُحشر معهم، والله تعالى أعلم.

٥- لأن الله تعالى اختارهم وجعلهم حظ رسوله الكريم ﷺ:

لقد أخبر الله تعالى أنه اصطفى الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم من جميع الخلق ليكونوا أصحاباً وأنصاراً وأصهاراً...لرسوله الكريم ﷺ، ولا يعقل أن يصطفي إلاّ من يحبهم، ويميّزهم على سائر الخلق ليكونوا أصحاباً لسيد الخلق ﷺ، وأحبهم وأحظاهم لديه.

قال الله عز وجل: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾[١٥١٦].

ففي الآية الكريمة إخباره تعالى عن السلامِ على الصحابة الكرام الذين اصطفاهم الله تعالى.

وقال الله عز وجل: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾[١٥١٧].

* عن أبي الدَّرْداء رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: (أنا حَظُّكم من الأنبياء، وأنتم حَظّي من الأمم). رواه البَزّار وابن حِبّان برجال الصحيح، غير أبي حبيبة، وقد صحَّح له الترمذي، وذكره ابن حِبّان في الثقات[١٥١٨].

(١٥١٦) سورة النمل (٥٩).

(١٥١٧) سورة فاطر (٣٢). وانظر الباب الأول لمعرفة التعليق على الآيتين.

(١٥١٨) مصنف عبد الرزاق (٦: ١١٣) (١٠: ٣١٣-٣١٤) ومسند أحمد (٣: ٤٧٠-٤٧١) =

* ورواه الطبراني في الكبير، ضمن حديث طويل، وفي إسناده: أبو عامر الأسدي. قال الهيثمي: لم أر من ترجمه.

* ورواه عبد الرزاق وأحمد والطبراني وغيرهم من حديث عبد الله بن ثابت، برجال الصحيح إلاّ جابر الجعفي، وهو ضعيف. فالحديث حسن.

* وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله اختار أصحابي على العالمين، سوى النبيين والمرسلين، واختار لي من أصحابي أربعةً -يعني أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً- رضي الله تعالى عنهم-فجعلهم أصحابي، وقال في أصحابي: كلهم خير،...). الحديث، رواه البزار، وقال الهيثمي: رجاله ثقات، وفي بعضهم خلاف. وقال الحافظ[١٥١٩]: رجاله موثقون. فالحديث حسن.

* وعن عُوَيْم بن ساعدة رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله تبارك وتعالى اختارني، واختار لي أصحاباً، فجعل لي منهم وزراء، وأنصاراً، وأصهاراً، فمن سبَّهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يُقبل منه يومَ القيامة صرفٌ ولا عَدْلٌ). رواه ابن أبي عاصم والطبراني، والحاكم وصححه وأقره الذهبي[١٥٢٠].

= (٤: ٢٦٥-٢٦٦) وصحيح ابن حبّان (١٦: ١٩٧) وشعب الإيمان (٤: ٣٠٧) ومختصر زوائد البَزّار (٢: ٣٩٠) وكشف الأستار (٣: ٣٢١) ومجمع الزوائد (١: ١٧٣-١٧٤) (١٠: ٦٨) وكنــز العمال (١: ٢٠١) حيث عزاه لابن سعد والحاكم في الكنى أيضاً.

(١٥١٩) كشف الأستار (٣: ٢٨٨-٢٨٩) ومختصر زوائد البَزّار (٢: ٣٦٣-٣٦٤) والإصابة (١: ١٣) ومجمع الزوائد (١٠: ١٦).

(١٥٢٠) الآحاد والمثاني (٣: ٣٧٠) (٤: ٤) والسنة (٢: ٤٨٣) والمعجم الكبير (١٧: ١٤٠) والمستدرك (٣: ٦٣٢) ومجمع الزوائد (١٠: ١٧).

* كما جاء نحو هذا الحديث عن عدد من الصحابة أيضاً.

فلا يعقل أن يختار الله تعالى أصحاباً لنبيِّه الكريم ﷺ إلاّ من يحبّهم، لذا من كان يحبُّ الله تعالى فليحب ما يحبه، لأن ذلك شرط المحبة، وإلاّ كان كاذباً في دعواه المحبة لله تعالى، والله تعالى أعلم.

٦- لأن الله تعالى جعلهم أفضل جيل في الخليقة:

لقد أخبر الله تعالى أنه جعل جيلَ الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم خير جيل في البشرية، كما جعلهم عدولاً، وكذلك أخبر رسول الله ﷺ أن جيل الصحابة رضي الله تعالى عنهم خير جيل من بدء الخليقة إلى نهايتها، وقد ذكرت هذا الموضوع في غير ما كتاب، وسبق ذكر الآيات والأحاديث في ذلك.

قال الله جلت قدرته: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾(١٥٢١).

* قال عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما: هم الذين هاجروا مع رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة. رواه عبد الرزاق وابن أبي شيبة وعبد بن حُميد والفريابي وأحمد والنَّسائي والطبراني، والحاكم وصحّحه، وجوَّده الحافظ، في آخرين(١٥٢٢).

(١٥٢١) سورة آل عمران (١١٠).

(١٥٢٢) تفسير عبد الرزاق (١: ٤٠٨) ومصنف ابن أبي شيبة (١٢: ١٥٥-١٥٦) (١٤: ٣٣٤) ومسند أحمد (١: ٢٧٣، ٣١٩، ٣٢٤، ٣٥٤) وتفسير النَّسائي (١: ٣١٩) وتفسير الطبري (٧: ١٠١) والمعجم الكبير (١٢: ٦) وتفسير ابن أبي حاتم (٣: ٧٣٢) والمستدرك (٢: ٢٩٤) ومجمع الزوائد (٦: ٣٢٧) وفتح الباري (٨: ٢٢٥) وجوَّده، =

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ...﴾(١٥٢٣).

وهذا ما أوضحه رسول الله ﷺ.

* فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (بُعثت من خير قرون بني آدم؛ قَرْناً فقَرْناً، حتى كنتُ من القرن الذي كنت منه). رواه البخاري(١٥٢٤).

* وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: (خيرُ قرون الناس قرني، ثم الذين يلوهم، ثم الذين يلوهم،...). متفق عليه(١٥٢٥).

* وعن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنه، عن النبيّ ﷺ قال: (خيرُ هذه الأمة القرنُ الذي بُعثتُ فيهم، ثم الذين يلوهم،...) الحديث، متفق عليه(١٥٢٦).

فهم خير القرون من زمن آدم حتى قيام الساعة.

= والدر المنثور (٢: ٢٩٣).

(١٥٢٣) سورة البقرة (١٤٣).

(١٥٢٤) صحيح البخاري: كتاب المناقب: باب صفة النبي ﷺ.

(١٥٢٥) صحيح البخاري: كتاب الشهادات: باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد، وفي كتاب فضائل الصحابة، وفي الرقاق. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب فضل الصحابة ثم الذين يلوهم،... رقم (٢١١-٢١٢).

(١٥٢٦) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة: الباب الأول. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب فضل الصحابة، ثم الذين يلوهم،... رقم (٢١٥).

فإذا كان الله جل شأنه أخبر أهم خيرُ جيل في البشرية، وأن الله تعالى جعلهم كذلك، وأخبر به رسولُه الكريم ﷺ، فهل يُعقل أن يختار الله تعالى لهذه الخيرية سوى من يحب، ويخبر بذلك رسولُ الله ﷺ. خاصة والخلقُ خلقُه تعالى، وهو المتصرِّف في الوجود، لذا من أحبَّهم كان موافقاً لمراد الله تعالى وإخبار رسوله الكريم، ومن كان غيرَ محب لهم كان كاذباً في دعواه محبة الله تعالى ورسوله الأمين ﷺ، لأن من شرط المحبة أن يحب ما يحبّه المحبوب، والله تعالى أعلم.

٧- لأن الله تعالى أمرنا باتباعهم رضي الله تعالى عنهم:

لقد أمر الله تعالى باتباع أصحاب رسوله الكريم ﷺ ورضي الله تعالى عنهم، وحذَّر جل شأنه من مخالفتهم، حتى لا يكون المخالفُ مشاققاً.

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾[١٥٢٧].

من أراد رضاء الله تعالى، وله الرغبةُ في دخول الجنان، والخلود فيها، ومن يتمنّى الفوزَ العظيم من الله تعالى،... فلْيَسْعد باتّباعه الكامل لصحابة رسول الله ﷺ، ورضي الله تعالى عنهم، وإلاّ كان الشقيَّ الطريدَ الذليلَ البعيدَ، والعياذ بالله عز وجل.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾[١٥٢٨].

يخبر تعالى عمن يأتي بعد السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار رضي الله

(١٥٢٧) سورة النساء (١١٥).

(١٥٢٨) سورة التوبة (١٠٠).

تعالى عنهم أنهم يشملهم ما يشمل السابقين، لكن بشرط الاتّباع بإحسان، والاتباع لا يكون إلاّ بوجود تعظيم المتبوع، كما بينته من قبل.

ومعلوم أن التوقير(١٥٢٩): هو الاحترام والإجلال والإعظام والتبجيل، فهو أعلى من مقام المحبة.

ومقتضى التوقير: الطاعة والاتباع، لأن الطاعة امتثال الأمر، والمتابعة دليل المحبة، فكيف يوقره إذا لم يكن يتبعه ويطيعه؟ وكيف يتّبعه إذا لم يكن يحبه؟

ولهذا ورد عن رسول الله ﷺ الحث باتباع عدد من الصحابة رضي الله عنهم.

* فعن العرباض بن سارية رضي الله تعالى عنه قال: صلّى بنا رسول الله ﷺ الصبحَ، فوعظَنا موعظةً بليغةً، ذرَفت منها العيون، ووجلت منها القلوب. فقال قائل: يا رسول الله؛ كأنها موعظةُ مودِّع، فأوصنا.

فقال: (أُوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن كان عبداً حبشيّاً، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنةِ الخلفاءِ الراشدين المهديين، فتمسّكوا بها، وعضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثاتِ الأمور، فإن كلَّ مُحدثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ). رواه أحمد والدّارِمي وأبو داود وابن ماجَه والطحاوي والآجري والبيهقي، وصححه الترمذي وابن حِبّان والحاكم من طرق عدة، وأقره الذهبي(١٥٣٠).

(١٥٢٩) انظر: محبة النبيِّ ﷺ وطاعته بين الإنسان والجماد، ومكانة النبي الكريم ﷺ بين الأنبياء عليهم السلام، وغيرهما. فقد أوضحتُ تقدم مقام التوقير على مقام المحبة.

(١٥٣٠) مسند أحمد (٤: ١٢٦، ١٢٧) وسنن الدّارِمي (١: ٤٣-٤٤ رقم ٩٦) وسنن أبي داود: كتاب السنة: باب في لزوم السنة، رقم (٤٦٠٧) وسنن الترمذي: كتاب العلم: باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، رقم (٢٦٧٦) وسنن ابن ماجَه: المقدمة: باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، رقم (٤٢-٤٤) والشريعة (١: ١٧١، ١٧٢) =

فقد سمى ما يصدر عن الخلفاء الراشدين رضي الله تعالى عنهم سنة، وقرنها بسنته، وأمر ﷺ بالتمسك بها.

* وعن حُذَيْفَة بن اليمان رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (اقتدوا باللَّذَين من بعدي؛ أبي بكر وعمر، واهتدوا بهدي عمّار، وتمسكوا بعهد ابن أم عبد) رضي الله تعالى عنهم. رواه الحُمَيْدي وابن سعد وابن أبي شيبة وأحمد والفسوي وابن أبي عاصم، والترمذي وحسنه، وابن ماجه، والحاكم وصححه وأقره الذهبي، وابن حِبّان والطحاوي والبغوي، في آخرين(١٥٣١). ورواه بعضهم مختصراً.

= وشرح مشكل الآثار (٣: ٢٢١-٢٢٤) والسنة (٢: ٧٠-٧٢) والمعجم الكبير (١٨: ٢٤٥-٢٤٩، ٢٥٧ من طرق) ومسند الشاميين (٣: ١٧٢-١٧٣) وشرح السنة (١: ٢٠٥) وحلية الأولياء (٥: ٢٢٠-٢٢١) (١٠: ١١٤، ١١٥) وصحيح ابن حِبّان (١: ١٧٨-١٧٩) والمستدرك (١: ٩٥-٩٧من طرق) والسنن الكبرى (١٠: ١١٤) والمدخل إلى السنن الكبرى (١١٥، ١١٦) ودلائل النبوة (٦: ٥٤١) ومعرفة السنن والآثار، ورواه غيرهم أيضاً.

(١٥٣١) مسند الحُمَيْدي (١: ٢١٤) والطبقات الكبرى (٢: ٣٣٤) ومصنف ابن أبي شيبة (١٢: ١١) ومسند أحمد (٥: ٣٨٢، ٣٨٥، ٣٩٩، ٤٠٢) وفضائل الصحابة (١: ١٨٦-١٨٧، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٥٩) وسنن الترمذي: كتاب المناقب: باب مناقب أبي بكر رضي الله تعالى عنه، رقم (٣٦٦٢، ٣٦٦٣) وباب مناقب عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه (١٠: ٢٩٩-٣٠٠) من نسخة تحفة الأحوذي لسقوطه من نسخة إبراهيم عطوة، وسنن ابن ماجَه: المقدمة، رقم (٩٧) والمعرفة والتاريخ (١: ١٧٧) والسنة (٢: ٧٧٤، ٧٧٥، ٩٤٥) وشرح مشكل الآثار (٣: ٢٥٦-٢٥٩) وشرح السنة (١٤: ١٠١) وحلية الأولياء (٩: ١٠٩) وصحيح ابن حِبّان (١٥: ٣٢٧-٣٢٨) والمستدرك (٣: ٧٥) والفقيه والمتفقه (١: ١٧٧) وتاريخ بغداد (١٢: ٢٠) وانظر جامع بيان العلم (٢: ٢٢٣) والتلخيص =

* وعن عَمْرو بن حُريث رضي الله تعالى عنه-في قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه على رسول الله ﷺ سورة النساء-وفيه، قال رسول الله ﷺ: (رضيتُ لكم ما رضي لكم ابنُ أم عبد). رواه الحاكم وصححه وأقره الذهبي[1532].

* ورواه الحاكم وصححه وأقره الذهبي[1533]، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه.

* وعن حُضَين بن المنذر رحمه الله تعالى قال-في جَلْد الوليد بالخمر، وطلب عثمان بن عفان من عليٍّ رضي الله تعالى عنهما جلدَه. وفيه:

فقال عليٌّ: يا عبد الله بن جعفر؛ قم فاجلده. فجلده، وعليٌّ يعُدُّ. حتى بلغ أربعين. فقال: أمسك. ثم قال: جَلَد النبيُّ ﷺ أربعين. وجلد أبو بكر أربعين. وجلد عُمر ثمانين. وكلٌّ سنَّةٌ. وهذا أحبُّ إليَّ. رواه مسلم[1534].

فقد سمى عملَ الشيخين رضي الله تعالى عنهم سنة واعتمدها، وهذا موافق لقول رسول الله ﷺ، والله تعالى أعلم.

وكيف يتّبع متأخِّرٌ لمتقدِّم إذا لم يوقِّره ويحترمه ويحبّه ويعظّمه؟

٨- وجوب التسليم لقضاء الله تعالى وحكم رسوله الكريم ﷺ:

لقد نفى الله تعالى صفةَ الإيمان عمّن لم يحكِّم رسوله ﷺ فيما يشجر -بينه وبين غيره- مع وجوب التسليم المطلق لحكمه ﷺ، وعدم وجود الحرَج من حكمه ﷺ.

= الحبير(٤: ١٩٠) وعقود الجواهر المنيفة (١: ٣١) وفيض القدير (٢: ٥٦).

(١٥٣٢) المستدرك (٣: ٣١٩).

(١٥٣٣) المستدرك (٣: ٣١٧-٣١٨).

(١٥٣٤) صحيح مسلم: كتاب الحدود: باب حد الخمر، رقم (٣٨).

قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[1535].

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾[1536].

فإذا كان من لم يسلِّم لحكم رسول الله ﷺ فليس بمؤمن، فكيف بمن لم يسلِّم بحكم الله تعالى، وحكمُ رسول الله ﷺ هو حكمُ الله تعالى أوحاه إليه فنطق به، كما بينته في غير هذا الكتاب[1537].

ثم إذا لم يقبل الله عز وجل من عباده أيَّ خيار مع قضائه تعالى وقضاء رسوله الكريم ﷺ. وقد بيّن الله تعالى أنه يحب الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم، وأنه تعالى قد رضي عنهم وأرضاهم، وأمر باتّباعهم، فكيف لا يحبُّهم المكلَّف بعد هذا الوعيد والتهديد؟

٩- اتّباع رسول الله ~ عنوان صدق دعوى محبة الله تعالى:

لقد أمر الله عز وجل باتّباع رسوله الكريم ﷺ، لكنه جل شأنه جعل الاتباع بين كنفي المحبة. وهذا يعني: أن متّبعه ﷺ يكون بكل ما جاء به ﷺ ولو كان على خلاف هوى النفس.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ

(١٥٣٥) سورة النساء (٦٥).

(١٥٣٦) سورة الأحزاب (٣٦).

(١٥٣٧) انظر السنة النبوية وحي، وبدعة دعوى الاعتماد على الكتاب دون السنة، وشبهات حول السنة ودحضها، وفي غيرها.

﴿... ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١٥٣٨).

فبهذا الميزان الشرعي الدقيق ﴿فَاتَّبِعُونِي﴾ يُزان مدّعي الإيمان ومحبة الله تعالى، ولا ينجح فيه إلاّ المتَّبع؛ كاملُ الاتِّباع له ﷺ، في الأقوال والأفعال والأخلاق والأحوال،... فمن حاد فقد طف به الميزان.

وإذا كان رسول الله ﷺ في غاية المحبة لأصحابه رضي الله تعالى عنهم- كما سبق ذكره في الفصل الأول من هذا الباب- فمن يزعم أنه متّبع لرسول الله ﷺ فليكن في غاية المحبة لهم، ومن يزعم أنه محبٌّ لله تعالى فليكن في غاية المحبة لهم، لأن من شرط المحبة أن يحب ما يحبه المحبوب.

١٠- لأن رسول الله ﷺ يحبهم غاية المحبة، ويرحمهم غاية الرحمة:

لا أعلم أحداً من الأنبياء عليهم السلام من يداني أو يقارب رسول الله ﷺ في محبته لأصحابه رضي الله تعالى عنهم ولأمته من بعدهم، وكذا في رحمته بهم، وشفقته عليهم، وحنوّه لهم، وحرصه عليهم،...إلخ.

لقد كان رسول الله ﷺ حريصاً على إسعادهم، ويعز عليه ما يشق عليهم، وهو بهم رؤوف رحيم ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(١٥٣٩).

* كان ﷺ يتحرّق عليهم أن يصابوا بأذى، أو يستزلّهم الشيطان، أو يخرجوا عن حدِّ الاعتدال، ويتفقدهم، ويدعو لهم، ويوصي بهم، ويعود مرضاهم، ويشيِّع جنائزهم،... ويبكي على موتاهم، كما كان ﷺ يواسيهم

(١٥٣٨) سورة آل عمران (٣١).

(١٥٣٩) سورة التوبة (١٢٨).

بنفسه وعيشه وماله، وفي الاعتقاب على الراحلة، بل لو طلب أحد منه ﷺ ثوبَه أعطاه إياه،... كان ﷺ لا يتميَّز عليهم في مجلسه، كان يشعرهم وكأنه واحدٌ منهم، وكان يمزح معهم، لكنه لا يقول إلاّ حقّاً، كان ﷺ يلح على ربّه تعالى ألاّ يعذّبهم وهو فيهم، وكان ﷺ شديد المناشدة لربّه عز وجل أن يحقّق له ما وعده، و ألاّ يهلكهم،...

كان ﷺ شديد العطف عليهم، فيطعم جائعهم، ويأكل مما يأكلون، ويوثرهم بذلك، ويراعي شعورهم، ويتفقّد من غاب منهم، وقد يترك المداومة على النافلة حتى لا تفرض عليهم، ويردف بعضهم خلفه، ويطلب من أحدهم أن يقرأ عليه قرآناً، أو يروي له شِعراً، ويعتذر ممن ظن هجره، لانشغاله بعبادة مثلاً، ويستجيب دعوة من دعاه منهم ولو امرأة أو عبد، وكان لا يأمر إلاّ بما يطيقون، ويلقّن من بايعه فيما استطعتم، ويتكفَّل قضاء دَين من مات ولا قضاء عنده. وكان يطلب القَوَدَ ممن أصابه خطأً،...

كان ﷺ يتخوّف عليهم من كل ما يضرهم، كجدال المنافق، والأئمة المضلّين، والتنافس على الدنيا، كان يعطف على المقصّر والمخطئ والمخالف حتى لو بال في المسجد، وكان ﷺ ينبههم بغاية اللطف والشفقة والرحمة، وكان ﷺ يقف مع المرأة الضعيفة والمسكينة والجارية.

* عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله ﷺ ومعها صبيٌّ لها، فكلَّمها رسول الله ﷺ فقال: (والذي نفسي بيده، إنكم أحبُّ الناس، إليَّ -مرتين- وعند مسلم: ثلاث مرات). متفق عليه(١٥٤٠).

(١٥٤٠) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار: باب قول النبي ﷺ للأنصار: (أنتم أحب الناس =

* وعنه رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ رأى صبياناً ونساءً مقبلين من عُرس، فقام نبي الله ﷺ مُمْثَلاً[(١٥٤١)]، فقال: (اللهم، أنتم من أحب الناس إليَّ، اللهم أنتم من أحب الناس إليَّ)-يعني الأنصار-وعند البخاري: قالها ثلاث مرات. متفق عليه[(١٥٤٢)].

فإذا كانت هذه محبة النبي المصطفى الكريم ﷺر لهم فكيف بمن يدّعي محبته ﷺ؟ هل يحبهم كما كان ﷺ يحبهم فيكون متّبعاً، أم يكرههم فيكون مخالفاً مشاققاً، والعياذ بالله تعالى.

١١- لأن رسول الله ﷺ أمرنا بمحبتهم وتوقيرهم ومعرفة حقهم:

لقد أوصى رسول الله ﷺ بهم خيراً، وأوجب علينا إكرامهم، والدعاء والإحسان إليهم، وحفظه ﷺ فيهم،... ونهى ﷺ عن سبهم، وأوجب اللعن لمن سبهم أو أبغضهم، وكل ذلك دالٌّ على محبته ﷺ لهم، وقد ذكرت الأحاديث في ذلك في الباب الثاني، وأشير إلى بعضها.

* فعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، أنه خطب بالجابية فقال: قام فينا رسول الله ﷺ مقامي هذا فيكم فقال: (استوصوا بأصحابي خيراً، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم،...). الحديث. رواه ابن المبارك وأحمد وابن أبي عاصم والنَّسائي وابن الأعرابي، والضياء في المختارة. بأسانيد صحيحة، وصححه الترمذي وابن حِبّان والحاكم، وأقره الذهبي[(١٥٤٣)].

= إلي). وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل الأنصار، رقم (١٧٥).

(١٥٤١) معنى قوله: (ممثلاً) أي قائماً منتصباً.

(١٥٤٢) صحيح البخاري: في الكتاب والباب السابقين. وصحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (١٧٤).

(١٥٤٣) مسند عبد الله بن المبارك (١٤٨رقم٢٤١) ومسند أحمد (١: ١٨) والسنة (٢: ٦٣١) =

* ورواه أحمد وابن أبي عاصم والنَّسائي وابن منده وأبو يعلى والبَزّار بأسانيد صحيحة -وصححه ابن حِبّان(١٥٤٤)- بلفظ: (أحسنوا إلى أصحابي) وصححه الحافظ ابن ناصر الدين السلامي.

* ورواه النَّسائي وابن ماجَه وأبو نعيم وصححه الحاكم وأقره الذهبي(١٥٤٥)، بلفظ (احفظوني في أصحابي) ورجاله ثقات أيضاً.

* وعنه رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أكرموا أصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يظهر الكذب؛ حتى يحلفَ المرءُ قبل أن يُستحلف، ويشهدَ قبل أن يُستشهد،...). الحديث، رواه من طرق بألفاظ: الشافعي وعبد الرزاق والطَّيالسي والحُمَيْدي وأحمد وعبد بن حُميد والنَّسائي وابن ماجَه والطحاوي وابن منده والخطيب البغدادي والشهاب والبيهقي والضياء المقدسي، برجال ثقات، وأسانيد صحيحة، وصححه الترمذي وابن حِبّان والحاكم، إلاّ الشافعي والحُمَيْدي، فأسانيدهما ثقات

= وسنن الترمذي: كتاب الفتن: باب ما جاء في لزوم الجماعة، رقم (٢١٦٥) وكتاب عشرة النساء للنسائي (٢٩١) والسنن الكبرى (٧: ٩١) وصحيح ابن حِبّان (١٦: ٢٣٩-٢٤٠) والمستدرك (١: ١١٣-١١٤) وكتاب المعجم لابن الأعرابي، رقم (١٠٣٦) وانظر مصنف ابن أبي شيبة (١٢: ١٧٧). والمختارة (١: ٢٩٤-٢٩٥).

(١٥٤٤) مسند أحمد (١: ٢٦) والسنة (٢: ٦٣١) وعشرة النساء للنسائي (٢٨٧-٢٨٨) ومسند أبي يعلى (١: ١٣١-١٣٣) من طرق، والبحر الزخار (١: ٢٦٩) وكشف الأستار (١: ٤٦) وصحيح ابن حِبّان (١٠: ٤٣٦) (١٢: ٣٩٩-٤٠٠) (١٥: ١٢٢) والإيمان لابن منده (٣: ٩٦٢) والمختارة (١: ١٩١-١٩٢) والرياض النضرة (١: ٢١).

(١٥٤٥) عشرة النساء (٢٩٢) وسنن ابن ماجَه: كتاب الأحكام: باب كراهة الشهادة لمن لم يستشهد، رقم (٢٣٦٣) ومعرفة الصحابة (١: ١٣٩) والمستدرك (١: ١١٤-١١٥).

لكنها منقطعة، وهي مجبورة بأسانيد الباقين(١٥٤٦)، والله تعالى أعلم.

* وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه قال: لما حضرت رسولَ الله ﷺ الوفاةُ، قالوا: يا رسول الله؛ أوصنا. قال: (أوصيكم بالسابقين الأولين [زاد الطبراني: من المهاجرين-وفي مجمع البحرين زيادة: والأنصار] وبأبنائهم مِن بعدهم، وبأبنائهم مِن بعدهم، وبأبنائهم مِن بعدهم، إلاّ تفعلوا: لا يُقبل منكم صَرْفٌ ولا عدل). رواه الطبراني والبَزّار وابن حِبّان في ثقاته، ورجالهم ثقات(١٥٤٧)، والله تعالى أعلم.

فمن لم يحبهم ويكرمهم ويحسن إليهم،... رضي الله تعالى عنهم لم يقبل وصيةَ رسول الله ﷺ فيهم.

(١٥٤٦) الرسالة (٤٧٣-٤٧٤) والمسند (٢٤٤) ومسند الطّيالسي (٧) ومصنف عبد الرزاق (١١: ٣٤١) ومسند الحُمَيْدي (١: ١٩-٢٠) ومسند أحمد (١: ١٨، ٢٦) ومسند عبد ابن حميد (٣٧-٣٨) وسنن الترمذي: كتاب الفتن: باب ما جاء في لزوم الجماعة، رقم (٢١٦٥) والسنن الكبرى للنسائي (٥: ٣٨٧-٣٨٩ من طرق) وعشرة النساء (٢٨٩-٢٩١) من طرق، وسنن ابن ماجَه: كتاب الأحكام: باب كراهية الشهادة لمن لم يستشهد، رقم (٢٣٦٣) وشرح معاني الآثار (٤: ١٥٠-١٥١) وشرح مشكل الآثار (٦: ٢٥٦-٢٥٧) ومسند أبي يعلى (١: ١٣١-١٣٣من طرق) والبحر الزخار (١: ٢٦٩) والمعجم الصغير (١: ١٥٨) وصحيح ابن حِبّان (١٠: ٤٣٦-٤٣٧) (١٢: ٣٩٩-٤٠٠) والمستدرك (١: ١١٣-١١٤) وشرح السنة (٩: ٢٧) والإيمان لابن منده (٣: ٩٦١-٩٦٢) وتاريخ بغداد (٢: ١٨٧) (٦: ٥٧) ومسند الشهاب (١: ٢٤٩-٢٥٠) ومعرفة السنن والآثار (١: ١٧٠) والسنن الكبرى له (٧: ٩١) والمختارة (١: ١٩٢-١٩٣). في آخرين.

(١٥٤٧) البحر الزخار (٣: ٢٣٣رقم١٠٢٢) وكشف الأستار (٣: ٢٩٢) ومختصر زوائد البَزّار (٢: ٣٦٤) ومجمع البحرين (٧: ٢٣) والثقات لابن حِبّان (٧: ٣٣١) (٨: ١٩٦) ومجمع الزوائد (١٠: ١٧).

* وعن أبي سعيد الخُدْري رضي الله تعالى عنه قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شيء، فسبَّه خالد، فقال رسول الله ﷺ: (لا تسبوا أحداً من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثلَ أُحُد ذهباً، ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نَصيفَه). متفق عليه، واللفظ لمسلم[1548].

* وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تسبّوا أصحابي، لا تسبّوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدَكم أنفق مثلَ أحُدٍ ذهباً؛ ما أدرك مدَّ أحدهم ولا نصيفَه). رواه مسلم[1549].

ويلاحظ إضافته ﷺ لهم إلى نفسه الكريمة فقال: (أصحابي).

فإذا كان ﷺ يأمرنا بإكرامهم والإحسان إليهم والدعاء لهم، وحفظه ﷺ فيهم،...وينهانا ﷺ عن سبهم وبغضهم،...فعلى أي شيء يدل ذلك؟ إنما هي محبته ﷺ الغالية لهم، ويطلب منا أن نكون كذلك، لأن الإكرام والإحسان والدعاء،... كل ذلك يقتضي المحبة، فإذا لم يحب المرء شخصاً فإنه لا يدعو له.

١٢- لا يحبهم إلاّ مؤمن، ولا يبغضهم إلاّ كافر أو منافق:

لقد أخبر رسول الله ﷺ أنه لا يبغضهم رضي الله تعالى عنهم من يؤمن بالله تعالى، وأنه لا يحبهم إلاّ مؤمن، ولا يبغضهم إلاّ منافق أو كافر، لذا من أحبهم أحبه الله تعالى، ومن أبغضهم أبغضه الله تعالى.

* فعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (آية الإيمان

(١٥٤٨) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة: باب حدثنا الحميدي، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب تحريم سب الصحابة رضي الله تعالى عنهم، رقم (٢٢٢).

(١٥٤٩) صحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (٢٢١).

حبُّ الأنصار، وآية النفاق بغضُ الأنصار). متفق عليه(١٥٥٠).

* وعن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول للأنصار: (لا يحبكم إلاّ مؤمن، ولا يبغضكم إلاّ منافق، من أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم يبغضه الله). متفق عليه(١٥٥١).

* وعن أبي سعيد الخُدْري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يبغض الأنصارَ رجلٌ يؤمن بالله واليومِ الآخِرِ). رواه مسلم(١٥٥٢).

* وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (لا يبغض الأنصارَ رجلٌ يؤمن بالله واليوم الآخِرِ). رواه مسلم(١٥٥٣).

وقد ورد بنحوه عن عدد من الصحابة.

وإذا كان حب الأنصار رضي الله تعالى عنهم-بأجمعهم-من علامات الإيمان، وبغضهم من علامات النفاق، فكيف بحب الصحابة جميعاً، وبغضهم جميعاً؟

والمهاجرون مقدَّمون على الأنصار رضي الله تعالى عنهم، لذا كان تقديمهم في كل الآيات علامةً على تقدمهم في الفضل. لذا قال ﷺ: (لو لا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار،...). متفق عليه، كما مر، والله تعالى أعلم.

(١٥٥٠) صحيح البخاري: كتاب الإيمان: باب علامة الإيمان حب الأنصار، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي رضي الله تعالى عنه من الإيمان، رقم (١٢٨).

(١٥٥١) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار: باب حب الأنصار من الإيمان. وصحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (١٢٩).

(١٥٥٢) صحيح مسلم: في الكتاب الباب السابقين، رقم (١٣١).

(١٥٥٣) صحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (١٣٠).

١٣- جزاء ما قدموه رضي الله تعالى عنهم:

لو لم يرد في الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم أمرٌ من الله تعالى ومن نبيِّه الكريم ﷺ بمحبتهم وتوقيرهم وتعظيمهم وإكرامهم والإحسان إليهم والوصاية بهم،... لكان ما قدّموه للأمة كفيلاً بمحبتهم وتوقيرهم.

إن الذي قدّمه الصحابةُ الكرام رضي الله تعالى عنهم في طاعة الله تعالى وطاعة رسوله الكريم ﷺ، وما قدموه من مال ونفس وولد وبيت وراحة وأهل،...لا يقابلهم به أحد، لقد رحلوا في تبليغ الدعوة إلى أقاصي الدنيا، وخرجوا مجاهدين لنشر هذا الدين على أقدامهم أو على رواحلهم، إلى أبعد الأماكن المأهولة آنذاك، وقبورهم رضي الله تعالى عنهم شاهدة على ذلك، وأنفقوا أموالهم بل تسابقوا في التبرعات، وفي الصدقات، حتى إن أحدهم ليجهز جيشاً بمفرده، وهجرهم ديارهم واستيطانهم الأماكن البعيدة لنشر الدين، لإقراء كتاب الله تعالى وتعليم سنة رسول الله ﷺ،...

ثم إنقاذهم البشرية من براثن الشرك والوثنية، وعبادة العباد، وتحطيم الأصنام والأوثان، مع ما لاقوه من تعذيب نفسي وجسدي واضطهاد في بلادهم، وهجرتهم من بلدانهم، حتى إن أحدهم لا يأمن أن ينام ليله من غدر عدو، أو تعنيف وتعذيب قريب، إضافة إلى الجروح في الأجساد، وقطع الأوصال وسفك الدماء وإزهاق الأرواح،... كل ذلك في سبيل هذا الدِّين، وهذا مثال لذلك.

* عن خَبّاب بن الأَرَتّ رضي الله تعالى عنه قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردةً له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا، قال: (كان الرجلُ فيمن قبلكم يُحفر له في الأرض، فيُجعلُ فيه، فيجاء بالميشار، فيوضعُ على رأسه، فيُشقُّ باثنتين، ما يصده ذلك عن دين الله، ويُمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه مِن عَظم أو عَصَب، وما يصدُّه ذلك عن دينه، والله

لَيتمَّنَّ هذا الأمر حتى يسير الراكبُ من صنعاء إلى حضرموت؛ لا يخاف إلاّ الله، أو الذئبَ على غنمه، ولكنكم تستعجلون). رواه البخاري[1554].

وهذا درس أعطاناه كريمُ قومه وسيدهم هو جرير بن عبد الله البجلي رضي الله تعالى عنه، كيف كان يخدم من هو أصغر منه سنّاً ومكانة اجتماعية -في عرف العرب آنذاك- لما رأى ما يفعلونه مع رسول الله ﷺ، لذا آلى على نفسه خدمةَ كل من يصحبه ممن سبق إسلامهم، خاصة من الأنصار.

* عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: صحبتُ جرير بن عبد الله البَجَليِّ في سفر، فكان يخدمني. فقلت له: لا تفعل. فقال: إني رأيت الأنصارَ تصنع برسول الله شيئاً، آليتُ أن لا أصحبَ أحداً منهم إلاّ خدمتُه.

وكان جرير أكبرَ من أنس.

* في رواية البخاري: لا أجد أحداً منهم إلاّ أكرمته. متفق عليه[1555].

فقوله رضي الله تعالى عنه: (شيئاً) يعني من التعظيم، وأبهمه كناية عن الكثرة، لذا آلى على نفسه أن يكرم ويخدم كلَّ من رآه منهم، مقابل إكرامهم وتعظيمهم وتوقيرهم ومحبتهم وفدائهم وخدمتهم،... لرسول الله ﷺ.

فهل يتنبه المسلمون المتأخِّرون إلى هذا الدرس التربوي من هذا السيد الكريم في قومه، والذي عليه مسحة الملك؟ رضي الله تعالى عنه وأرضاه.

١٤- هم رضي الله تعالى عنهم شهود هذه الأمة:

لقد جعل الله تعالى الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم شهداءَ لهذه الأمة،

(١٥٥٤) صحيح البخاري: كتاب المناقب: باب علامات النبوة في الإسلام، وفي غيرهما.

(١٥٥٥) صحيح البخاري: كتاب الجهاد: باب فضل الخدمة في الغزو. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب في حسن صحبة الأنصار رضي الله تعالى عنهم، رقم(١٨١).

ولا يشهد عليها غيرُهم، ثم يكون رسول الله ﷺ شهيداً عليهم. فكيف يتمسك بمن يكون شاهداً له يوم القيامة، يوم لا ينفع مال ولا بنون.

* فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: مرّوا بجنازة، فأَثْنوا عليها خيراً، فقال النبيُّ ﷺ: (وجبت) ثم مرّوا بأخرى، فأثنوا عليها شرّاً، فقال: (وجبت) فقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: ما وجبت؟ قال: (هذا أثنيتم عليه خيراً؛ فوجبت له الجنةُ، وهذا أثنيتم عليه شرّاً؛ فوجبت له النارُ، أنتم شهداء الله في الأرض). متفق عليه[١٥٥٦].

* ولفظ مسلم (من أثنيتُم عليه خيراً وجبت له الجنةُ، ومن أثنيتُم عليه شراً وجبت له النارُ. أنتم شهداء الله في الأرض. أنتم شهداء الله في الأرض. أنتم شهداء الله في الأرض).

* وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: مرُّوا بجنازة على النبيِّ ﷺ، فأَثْنَوْا عليها خيراً، فقال النبيُّ ﷺ: (وجبت) ثم مرُّوا بجنازة أخرى، فأَثْنَوْا عليها شرّاً، فقال النبيُّ ﷺ: (وجبت) قالوا: يا رسول الله؛ قولك الأولى والأخرى: وجبت؟ فقال ﷺ: (الملائكةُ شهداءُ الله في السماء، وأنتم شهداءُ الله في الأرض). رواه ابن أبي شيبة وأحمد وأبو داود -بنحوه- والنَّسائي -واللفظ له- وابن ماجَه وابن حِبّان برجال الصحيح، وصححه البوصيري والهيثمي أيضاً[١٥٥٧].

(١٥٥٦) صحيح البخاري: كتاب الجنائز: باب ثناء الناس على الميت. وصحيح مسلم: كتاب الجنائز: باب فيمن يُثنى عليه بخير أو شرٍّ من الموتى، رقم (٦٠).

(١٥٥٧) مصنف ابن أبي شيبة (٣: ٣٦٨-٣٦٩) والزهد هَناد (١: ٢٢٢) ومسند أحمد (٢: ٢٦١، ٤٩٨-٤٩٩، ٥٢٨) وسنن أبي داود: كتاب الجنائز: باب في الثناء على الميت، =

وورد نحوُه عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم[١٥٥٨].

لقد جعلهم الله جلت قدرته شهوداً، فلو لم يكونوا عدولاً عنده يقبل شهادتهم؟ ولو لم يكن يحبهم يرضى أن يكونوا شهوداً عنده يقبل شهادتهم؟

فكيف يكون حال المؤمن المتبع، سوى محبة ما يحبه الله تعالى ويرضاه.

١٥- هم رضي الله تعالى عنهم أمنةٌ لهذه الأمة:

لقد جعل الله تعالى أصحاب نبيِّه الكريم ﷺ ورضي الله تعالى عنهم أمنةً لهذه الأمة، فلن تُصاب بهلاك أو دمار... بل ستبقى بخير ما دام فيها أحد منهم، وهكذا كانوا، فما ذهبوا رضي الله تعالى عنهم ظهرت البدع والفتن والكوارث، والله تعالى المستعان.

فإذا كانوا أمنةً لنا فكيف نتمسك بهم، ونحبهم ونوقِّرهم ونحترمهم، وندعوا لهم؟؟؟

* عن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال: صلينا المغرب مع رسول الله ﷺ، ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء. قال: فجلسنا، فخرج علينا، فقال: (ما زلتم ههنا؟) قلنا: نعم يا رسول الله، صلينا معك

= رقم (٣٢٣٣) وسنن النَّسائي: كتاب الجنائز: باب الثناء (٤: ٥٠) وسنن ابن ماجَه: كتاب الجنائز: باب الثناء على الميت، رقم (١٤٩٢) ومسند أبي يعلى (١٠: ٣٨٢) (١١: ٤٤٢-٤٤٣) والمعجم الأوسط (٣: ٧١) وصحيح ابن حِبّان (٥: ١٢) ومجمع البحرين (٢: ٤٠٥-٤٠٦) ومجمع الزوائد (٣: ٤) وعزاه للطبراني في الأوسط مطولاً، وللبزار مختصراً برجال الصحيح، ومصباح الزجاجة (٢: ٣٠) وكشف الأستار (١: ٤١٠) وعند الطَّيالِسي [٣١٤ رقم ٢٣٨٨] وأحمد [٢: ٤٦٧، ٤٧١] بلفظ: (بعضكم على بعض شهداء).

(١٥٥٨) انظر: عظيم قدره ﷺ ورفعة مكانته عند ربه عز وجل، والخصائص.

المغرب، ثم قلنا: نجلس حتى نصلي معك العشاء، قال: (أحسنتم-أو أصبتم-) قال: فرفع رأسه إلى السماء-وكان كثيراً ما يرفع رأسَه إلى السماء-فقال: (النجومُ أمَنَةٌ للسماء، فإذا ذهبت النجومُ أتى السماءَ ما توعد. وأنا أمَنَةٌ لأصحابي، فإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يوعدون. وأصحابي أمَنَةٌ لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون). رواه مسلم(١٥٥٩).

* وعن واثلة بن الأسقع رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تزالون بخير ما دام فيكم من رآني وصاحبني،...). الحديث، رواه ابن أبي شيبة وابن أبي عاصم والطبراني وأبو نعيم، برجال ثقات، والحديث صحيح(١٥٦٠)، وعزاه الحافظ لابن أبي شيبة وحسنه، والله تعالى أعلم.

١٦- هم رضي الله تعالى عنهم حملة الشريعة التي وصلتنا عن طريقهم:

إن الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم هم الذين نقلوا إلينا هذا الدِّين، من كتابٍ كريمٍ وسنةٍ نبويةٍ شريفة، وهديٍ للنبي الكريم ﷺ، فلولاهم ما وصل إلينا ذلك، فبقدر محبة المسلم لهذا الدِّين يحب من بلّغه هذا الدين، وقد سبق بيان حرصهم على السنة النبوية في حياة النبي الكريم ﷺ، ومحافظتهم عليها بعد وفاته ﷺ، وذلك في الباب الثالث، كما سبق فيه بيان منهجهم في التحمل والأداء.

ويقال مثل ذلك في حفاظهم وجمعهم ونقلهم لكتاب الله تعالى.

١٧- من صفات المحب محبته لمحاب محبوبه:

إن من صفات المحب أن يحب ما يحبه محبوبُه ويكره ما يكرهه محبوبه، وهذا ما

(١٥٥٩) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم: باب بيان أن بقاء النبي ﷺ أمان لأصحابه،... رقم (٢٠٧).

(١٥٦٠) مصنف ابن أبي شيبة (١٢: ١٧٨) والسنة (رقم١٥٢٢، ١٥٢٣) والمعجم الكبير (٢٢: ٨٥-٨٦) ومسند الشاميين (١: ٤٥٢-٤٥٣) ومجمع الزوائد (١٠: ٢٠) والمطالب العالية (٤: ١٤٧) وفتح الباري (٧: ٥) وكنز العمال (١١: ٥٣٦).

طبّقه الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم مع رسول الله ﷺ.

* فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، أن خيّاطاً دعا رسول الله ﷺ لطعامٍ صنعه. قال أنس بنُ مالك: فذهبتُ مع رسول الله ﷺ إلى ذلك الطعام. فقرَّب إلى رسول الله ﷺ خبزاً من شعير ومَرَقاً فيه دُبّاء وقَديد.

قال أنس: فرأيت رسولَ الله ﷺ يتتبّع الدُّبّاءَ من حوالي الصحفة. [زاد في رواية: فلما رأيت ذلك جعلتُ أُلقيه إليه ولا أطعمه] قال: فلم أزل أحبُّ الدُّبّاءَ منذ يومئذ. متفق عليه[1561]. وللحديث روايات أخرى

* زاد مسلم في رواية: قال أنس رضي الله تعالى عنه: فما صُنع لي طعامٌ بعدُ-أقدر على أن يُصنع فيه دُبّاء إلاّ صُنع.

* جاء في رواية أبي الشيخ-برجال ثقات-قال: فأنا أحبُّ القرعَ لحُبِّ رسول الله ﷺ إياه.

* وعن أبي أيوب رضي الله تعالى عنه، أن النبيَّ ﷺ نزل عليه، فنزل النبيُّ ﷺ في السّفل وأبو أيوب في العلو. قال: فانتبه أبو أيوب ليلةً، فقال: نمشي فوق رأس رسول الله ﷺ! فتنحّوا، فباتوا في جانب، ثم قال للنبي ﷺ. فقال النبيُّ ﷺ: (السّفلُ أرفق) فقال: لا أعلو سقيفةً أنت تحتها. فتحوَّل النبيُّ ﷺ في العلو، وأبو أيوب في السّفل.

فكان يصنع للنبي ﷺ طعاماً، فإذا جيء به إليه؛ سأل عن موضع

(١٥٦١) صحيح البخاري: كتاب البيوع: باب الخياط، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الأشربة: باب جواز أكل المرق واستحباب أكل اليقطين، رقم (١٤٤-١٤٥) وأخلاق النبيّ ﷺ (٢٣٠).

أصابعه، فيتتبَّع موضعَ أصابعه. فصنع له طعاماً فيه ثوم. فلما رُدَّ إليه سأل عن موضع أصابع النبيِّ ﷺ. فقيل له: لم يأكل. ففزع، وصعد إليه، فقال: أحرامٌ هو؟ فقال النبيُّ ﷺ (لا، ولكني أكرهه) قال: فإني أكره ما تكره-أو ما كرهتَ-قال: وكان النبيُّ ﷺ يُؤتى. رواه مسلم(١٥٦٢).

وقد شرع رسول الله ﷺ في دعائه لمحبة من يحب:

* فعن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما قال: رأيت النبيَّ ﷺ، والحسن بن عليٍّ على عاتقه، يقول: (اللهم إني أحبُّه فأحبَّه). متفق عليه(١٥٦٣).

* وعن أسامة بنَ زيد رضي الله تعالى عنهما، عن النبيِّ ﷺ، أنه كان يأخذُه والحسن، فيقول: (اللهم أحبّهما فإني أحبُّهما). رواه البخاري(١٥٦٤).

* وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: كنت مع رسول الله ﷺ في سوق من أسواق المدينة، فانصرف، فانصرفتُ معه، فجاء إلى فناء فاطمة، فنادى الحسنَ بنَ عليٍّ: (أي لُكَع، أي لُكَع، أي لُكَع) فلم يجبه أحد، ثم انصرف، فجاء إلى فناء عائشة، فجاء الحسنُ بنُ عليٍّ -قال أبو هريرة: وظننتُ أن أمَّه حبسته لتجعل في عنقه السِّخابَ- فلما جاء التزمه رسولُ الله ﷺ، والتزم هو رسولَ الله ﷺ. قال: (اللهم إني أحبُّه فأحبَّه، وأحبَّ من

(١٥٦٢) صحيح مسلم: كتاب الأشربة: باب إباحة أكل الثوم وأنه ينبغي لمن أراد خطاب الكبار تركه،... رقم (١٧١).

(١٥٦٣) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة: باب مناقب الحسن والحسين. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب فضائل الحسن والحسين، رقم (٥٨، ٥٩).

(١٥٦٤) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة: باب ذكر أسامة بن زيد، وفي غيرهما.

يحبُّه). متفق عليه، واللفظ للبخاري[1565].

* وعن يعلى بن مرَّة رضي الله تعالى عنه، أنه خرج مع رسول الله ﷺ إلى طعام دُعوا له، فاستقبل رسولُ الله ﷺ أمامَ القوم، وحُسينٌ مع غلمان يلعب، فأراد رسول الله ﷺ أن يأخذه، فطفق الصبيُّ ههنا مرةً وههنا مرةً، فجعل رسول الله ﷺ يضاحكه حتى أخذه، قال: فوضع إحدى يديه تحت قفاه، والأخرى تحت ذقنه، فوضع فاه على فيه، فقبَّلَه. وقال: (حسينٌ مني وأنا من حُسين، أحبَّ الله من أحبَّ حُسيناً، حُسينٌ سبط من الأسباط). رواه ابن أبي شيبة وأحمد، والترمذي وحسنه، وابن ماجَه والفسوي والطبراني، وصححه ابن حِبّان والحاكم وأقره الذهبي[1566].

فإذا كان الحسنان رضي الله تعالى عنهما سبطيه، فإن أسامة رضي الله تعالى عنه حِبُّه وابنُ حِبّه، وقد سأل ﷺ أن يحب الله تعالى من يحبّهم. ولما ثبتت محبتُه ﷺ لأصحابه رضي الله تعالى عنهم فإن السؤال ما زال قائماً، فكيف والله تعالى أخبرنا أنه يحبهم ويرضى عنهم.

(١٥٦٥) صحيح البخاري: كتاب البيع: باب ما ذكر في الأسواق، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (٥٧).

(١٥٦٦) مصنف ابن أبي شيبة (١٢: ١٠٢-١٠٣) ومسند أحمد (٤: ١٧٢) وفضائل الصحابة له (٢: ٧٧٢) والأدب المفرد (١٣٣-١٣٤) وسنن الترمذي: كتاب المناقب: باب مناقب الحسن والحسين، رقم (٣٧٧٥) وسنن ابن ماجَه: المقدمة: باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ، رقم (١٤٤) والمعرفة والتاريخ (١: ٣٠٨-٣٠٩) والمعجم الكبير (٣: ٢٠-٢٢) (٢٢: ٢٧٣-٢٧٤، ٢٧٤) ومسند الشاميين (٣: ١٨٤) وصحيح ابن حبّان (١٥: ٤٢٧-٤٢٨) والمستدرك (٣: ١٧٧) والكنى للدولابي (١: ٨٨) ومجمع الزوائد (٩: ١٨١) وعزاه للطبراني، وحسنه.

والنصوص في هذا الباب كثيرةٌ، مر ذكر بعضها.

فمن شرط المحبة أن يحب المحبُّ ما يحبُّه محبوبُه، وأن يكره ما يكرهه محبوبُه، فمن يزعم أنه يحب الله تعالى ويحب رسولَه الكريم ﷺ يلزمه أن يحب الصحابةَ الكرام رضي الله تعالى عنهم، لأن الله تعالى يحبهم، وهو الذي اختارهم واصطفاهم ورضي عنهم، وكذا رسوله الكريم ﷺ.

* قال الإمام عبد الرزاق رحمه الله تعالى(١٥٦٧): والله ما انشرح صدري قط أن أُفضِّل عليّاً على أبي بكر وعُمر، ورحمة الله على أبي بكر وعُمر، ورحمة الله على عثمان، ورحمة الله على عليٍّ، ومن لم يحبهم فما هو بمؤمن، وإن أوثق أعمالنا حبُّنا إياهم أجمعين رضي الله تعالى عنهم أجمعين، ولا جعل لأحد منهم في أعناقنا تبعةً، وحشرنا في زمرهم ومعهم آمين يا رب العالمين.اهـ.

* وقال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله تعالى: لم يؤمن بالرسول من لم يُوقِّر أصحابَه، ولم يُعزِّ أوامره(١٥٦٨).

* أقول: من لم يوقِّر أصحابَ رسول الله ﷺ ورضي الله تعالى عنهم، ويحبهم ويعظِّمهم ويدعو لهم؛ فقد أزرى بمن اصطفاهم وأحبهم ورضي عنهم، وأمره بمحبتهم وتوقيرهم والاستغفار لهم. فهم الذين نقلوا لنا الدِّين، وبلّغوا لنا القرآنَ والسنةَ، فكيف بمسلم يأخذ بالقرآن والسنة ولا يحب ويعظم ويوقِّر من بلّغوه له؟!

وأختم هذا الفصل بنموذج من الصحابة رضي الله تعالى عنهم، كيف

(١٥٦٧) فضائل الصحابة لأحمد (١: ١٤٦-١٤٧) بإسناد صحيح، والعلل ومعرفة الرجال لأحمد، ط المكتب الإسلامي (٢: ٥٩) وكتاب العلل ومعرفة الرجال، ط تركيا (١: ٢٥٦) وتهذيب الكمال (١٨: ٦٠) وتهذيب التهذيب (٦: ٣١٣).

(١٥٦٨) الشفا للقاضي عِياض (٢: ٦١٨).

حاله مع رسول الله ﷺ، وكيف شهد له رسول الله ﷺ، ليكون قدوة لنا، حين معاملتنا لهم رضي الله تعالى عنهم، وهو:

أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله تعالى عنه.

لقد بحثتُ هذا الموضوع في بعض كتبي، وألخّص هنا ما نحتاج إليه[١٥٦٩].

إن أعز شيء على الإنسان: نفسه وولده وماله.

– ولد أبي بكر رضي الله تعالى عنه:

*** أما ولد الصِّدِّيق، فقد زوج رسولَ الله ﷺ ابنتَه السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها، فكافأها الله تعالى، فصارت أمّاً للمؤمنين، وزوجاً لرسوله الكريم ﷺ في الدنيا والآخرة، وأحب أزواجه إليه بعد السيدة خَديجة رضي الله تعالى عنها، لكنها لم ترها ولم تلتق بها ولم تعرفها[١٥٧٠].**

– مال أبي بكر رضي الله تعالى عنه:

*** وأما ماله رضي الله تعالى عنه فقد انخلع منه مراراً، وأنفق على النبي** المصطفى الكريم ﷺ الكثير.

* عن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: أنفق أبو بكر رضي الله تعالى عنه على رسول الله ﷺ أربعين ألفاً. رواه ابن حِبّان بإسناد صحيح[١٥٧١].

* وعن عمر رضي الله تعالى عنه قال: أمرَنا رسولُ الله ﷺ أن نتصدّق، فوافق ذلك مالاً عندي، فقلت: اليومَ أسبق أبا بكر، إن سبقتُه يوماً. قال:

(١٥٦٩) محبة النبي المصطفى الكريم ﷺ وطاعته بين الإنسان والجماد (٢١٧-٢٢٢).

(١٥٧٠) انظر زواج السيدة عائشة ومشروعية الزواج المبكر والرد على منكري ذلك.

(١٥٧١) صحيح ابن حِبّان (١٥: ٢٧٤-٢٧٥) وفتح الباري (٧: ١٣).

فجئتُ بنصف مالي، فقال رسولُ الله ﷺ: (ما أبقيتَ لأهلك؟) قلت: مثلَه. قال: وأتى أبو بكر بكل ما عنده. فقال: (يا أبا بكر؛ ما أبقيتَ لأهلك؟) فقال: أبقيتُ لهم الله ورسولَه. فقلت: والله، لا أسابقك إلى شيء أبداً. رواه عبد بن حُميد والدّارِمي وأبو داود وابن أبي عاصم والبَزّار في آخرين، وصححه الترمذي والحاكم والضياء وأقره الذهبي[١٥٧٢].

وقد أشاد رسول الله ﷺ بذلك أمام الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

* فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ما نفعني مالٌ قطُّ ما نفعني مالُ أبي بكر) فبكى أبو بكر، وقال: هل أنا ومالي إلاّ لك يا رسول الله. رواه ابن أبي شيبة وأحمد وابن أبي عاصم والترمذي، وحسنه، والنَّسائي وابن ماجَه والطحاوي وابن حِبّان بأسانيد صحيحة[١٥٧٣].

(١٥٧٢) مسند عبد بن حُميد (١٣رقم ١٤) وسنن الدّارِمي (١: ٣٢٩) وفضائل الصحابة (١: ٣٦٠) وسنن أبي داود: كتاب الزكاة: باب في الرخصة في ذلك، رقم (١٦٧٨) وسنن الترمذي: كتاب المناقب: باب في مناقب أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما، رقم (٣٦٧٥) والسنة (٢: ٨٣٢) والبحر الزخار (١: ٢٦٣، ٣٩٤) وشرح السنة (٦: ١٨٠) وحلية الأولياء (١: ٣٢) والمستدرك (١: ٤١٤) والسنن الكبرى للبيهقي(٤: ١٨٠-١٨١) والمختارة (١: ١٧٢-١٧٤) وانظر: التلخيص الحبير (٣: ١١٥) وكنز العمال (١٢: ٤٩١).

(١٥٧٣) مصنف ابن أبي شيبة (١٢: ٦-٧) ومسند أحمد (٢: ٢٥٣، ٣٦٦) وفضائل الصحابة مع زيادة عبد الله والقطيعي (١: ٦٥، ٦٦، ٦٩-٧٠، ٣٩٣) وسنن الترمذي: كتاب المناقب: باب (١٥) رقم (٣٦٦١) والسنن الكبرى للنسائي(٥: ٣٧) وفضائل الصحابة له (رقم ٩) وسنن ابن ماجه: المقدمة: باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ، رقم(٩٤) والسنة (٢: ٨٢٦) وشرح معاني الآثار (٤: ١٥٨) وشرح مشكل الآثار (٤: ٢٧٩-٢٨٠) وصحيح ابن حِبّان (١٥: ٢٧٣-٢٧٤) وتاريخ بغداد (١٠: ٣٦٣-٣٦٤) (١٢: ١٣٥).

وقد ورد بنحوه من حديث عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

- نفس أبي بكر رضي الله تعالى عنه:

* **وأما نفسه رضي الله تعالى عنـــه.** فقد أوقفها للدفاع عن رسول الله ﷺ منذ اللحظات الأولى، وهذا ما جعل رسول الله ﷺ يشيد به في مرض وفاته، مبيّناً مَنْزلةَ أبي بكر رضي الله تعالى عنه.

* فعن عبد الله بن عَمْرو رضي الله تعالى عنهما قال: بينـــا الـــنبيُّ ﷺ يصلي في حجْر الكعبة، إذ أقبل عقبةُ بن أبي مُعيط، فوضع ثوبه في عنقـــه، فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبيِّ ﷺ قال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾(١٥٧٤). رواه البخاري(١٥٧٥).

* جاء في رواية أسماء رضي الله تعالى عنها، أنهم تركوا رسول الله ﷺ وأقبلوا على أبي بكر رضي الله تعالى عنه.

قالت رضي الله تعالى عنها: فرجع إلينا أبو بكر، فجعل لا يمس شيئاً من غدائره إلاّ رجع معه(١٥٧٦).

* وحبسه رضي الله تعالى عنه نفسَه على رسول الله ﷺ للـــهجرة، ثم دخوله معه في الغار، وما فعل عبدُ الله بنُ أبي بكر، وأسماءُ بنتُ أبي بكـــر، وعامر بن فُهيرة مولى أبي بكر رضي الله تعالى عنهم، كما عند البخاري(١٥٧٧).

(١٥٧٤) سورة غافر (٢٨).

(١٥٧٥) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار: باب ما لقي النبيُّ ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة، وفي غيرهما.

(١٥٧٦) انظر مجمع الزوائد (٦: ١٥-١٧) وفتح الباري (٧: ١٦٩).

(١٥٧٧) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار: باب هجرة النبيِّ ﷺ وأصحابه إلى المدينـــة، وفي غيرهما.

* ثم في الغار -عندما وقف المشركون على فم الغار، حتى قال له رسول الله ﷺ: (ما ظنك يا أبا بكر باثنين، الله ثالثهما) كما في حديث أنس، عن أبي بكر رضي الله تعالى عنهما، المتفق عليه(١٥٧٨).

فأنزل الله تعالى فيما بعد-في المدينة عند غزوة تبوك-يذكّر المسلمين بهذا الموقف الجليل من أبي بكر رضي الله تعالى عنه.

قال الله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(١٥٧٩).

* وفي طريق الهجرة، كيف صار يمشي عن يسار رسول الله ﷺ وعن يمينه وأمامه وخلفه، يخشى الرصد والطلب، حتى لحقهما سراقة بن مالك، كما في حديثه عند البخاري، وحديث أنس والبراء عن أبي بكر رضي الله تعالى عنهم، المتفق عليه(١٥٨٠). كما ورد عن غيرهم أيضاً.

* ويوم بدر، لم يدخل مع رسول الله ﷺ في خيمته سواه رضي الله

(١٥٧٨) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة: باب مناقب المهاجرين وفضلهم، منهم أبو بكر رضي الله تعالى عنه، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، رقم (١).

(١٥٧٩) سورة التوبة (٤٠) وانظر التعليق على الآية في الباب الأول.

(١٥٨٠) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار: الباب السابق، وروى بعضه في غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الأشربة: باب جواز شرب اللبن، رقم (٩١) وكتاب الزهد: باب في حديث الهجرة، رقم (٧٥).

تعالى عنه، فإذا اقترب أحدٌ من الخيمة وجده شاهراً سيفه،...

* لذا أظهر رسول الله ﷺ مكانة الصِّدّيق رضي الله تعالى عنه، كما أظهر أبو بكر رضي الله تعالى عنه ما يكنه من حبٍّ وتعظيم لرسول الله ﷺ.

* عن أبي سعيد الخُدْري رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ جلس على المنبر فقال: (إن عبداً خيَّره الله بين أن يؤتيَه من زهرةَ الدنيا ما شاء الله، وبين ما عنده، فاختار ما عنده) فبكى أبو بكر رضي الله تعالى عنه وقال: فديناك بآبائنا وأمهاتنا. فعجبنا له. وقال الناسُ: انظروا إلى هذا الشيخ، يُخبر رسولُ الله ﷺ عن عبدٍ خيَّره الله بين أن يؤتيَه من زهرة الدنيا وبين ما عنده، وهو يقول: فديناك بآبائنا وأمهاتنا ! فكان رسول الله ﷺ هو المخيَّر، وكان أبو بكر رضي الله تعالى عنه هو أعلمنا به.

وقال رسول الله ﷺ: (إن من أمنِّ الناسِ عليَّ في صحبته وماله أبا بكر، ولو كنتُ متّخذاً خليلاً من أمتي لاتّخذتُ أبا بكر، إلاّ خُلَّةَ الإسلام، لا يبقين في المسجد خَوخةٌ إلاّ خَوخة أبي بكر). متفق عليه[١٥٨١]. وله ألفاظ أخرى.

* وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما -في خطبة النبيِّ ﷺ في مرض وفاته- قال ﷺ: (إنه ليس من الناس أحدٌ أمنَّ عليَّ في نفسه وماله من أبي بكر بن أبي قحافة،...). رواه البخاري[١٥٨٢].

لذا بيَّن ﷺ مَنْزلةَ أبي بكر رضي الله تعالى عنه عنده.

* فعن أبي الدَّرْداء رضي الله تعالى عنه-في قصة ما كان بين أبي بكر

(١٥٨١) صحيح البخاري: في الكتاب والباب السابقين، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: الباب السابق، رقم (٢).

(١٥٨٢) صحيح البخاري: كتاب الصلاة: باب الخوخة والممر في المسجد، وفي غيرهما.

وعُمر رضي الله تعالى عنهما-وفيه، فقال النبيُّ ﷺ: (إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبتَ، وقال أبو بكر: صدق. وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي) مرتين أو ثلاثاً. فما أُوذي بعدها. رواه البخاري(١٥٨٣).

هذا هو أبو بكر الصِّدّيق رضي الله تعالى عنه ثاني اثنين، وصاحبه في الغار، وشيبةُ المسلمين، وهذه مكانته عند الله تعالى وعند رسوله ﷺ، كيف يُحب؟ وكيف يُوقّر؟ وكيف يُقدّر؟

إذا كان رسول الله ﷺ أحال أمره إلى الله تعالى ليكافئه عنه، فمن يقدِر من الأمة أن يكافئه على ما قدَّم للإسلام ولرسول الإسلام ﷺ؟ لا أحد.

إن رسول الله ﷺ قد شرع لنا-بإظهار مكانة الصّدّيق رضي الله تعالى عنه ومَنْزلته-: كيف يجب علينا أن نحب الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم، وكيف نحترمهم، وكيف نقدّرهم، وكيف نتعامل معهم، وننزلهم المَنْزلة اللائقة بهم، ونحمل كل ما صدر منهم-مما يخالف عقولنا-المحملَ الحسن، ونجعل صدورَنا دائماً سليمةً نحوهم، وإلاّ كان المخالف المعاند على خلاف ما شرعه الله تعالى وسنَّه رسولُ الله ﷺ.

هذا نموذج من نماذج كثيرة، من الذين اصطفاهم الله تعالى واختارهم ليكونوا صحابةً لرسوله الكريم ﷺ. فكيف يُحبَّون ويُوقّرون؟ مهما قدمنا لهم ومهما دعونا لهم ومهما وقّرناهم ما أدينا حقّهم الذي أوجبه الله تعالى لهم.



(١٥٨٣) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة: باب قول النبيِّ ﷺ: (لو كنتُ متّخذاً خليلاً).

الفصل الثالث

اعتقاد نجاتهم رضي الله تعالى عنهم يوم القيامة

إن الصحابة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم: قد زكّاهم الله تعالى وعدَّلهم، وأثنى عليهم ومدحهم، ورضي عنهم، وغفر لهم، وأحبهم، وزيَّن الإيمانَ في قلوبهم؛ بعد أن حبَّبه إليهم وهداهم، وتاب عليهم، وأكرمهم وأصلحهم، وبشَّرهم بالرحمة والرضوان، والجنات الحسان، والنعيم المقيم، وجعلهم راشدين صادقين، صالحين،... فهم فوقنا في كل شيء، فمن أراد أن يطاولهم كان كمن يطاول الشهب، أو يساوق الثريا طولاً وارتفاعاً، ولو كنا كذلك لكنا في زمانهم، وما خَلقهم الله سبحانه وتعالى في ذلك الزمان إلاّ دليل على اختصاصهم وفضلهم.

* ثم لا أحد أصدق من الله تعالى فيما يقول ويخبر، كما لا أصدق من رسول الله ﷺ فيما يقول ويخبر.

قال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾[١٥٨٤]. لا أحد.

وقال جل شأنه: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾[١٥٨٥]. لا أحد.

* لقد أخبر الله تعالى ورسولُه الكريم ﷺ بنجاة الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم.

(١٥٨٤) سورة النساء (٨٧).

(١٥٨٥) سورة النساء (١٢٢).

* وقد جاء الخبر بنجاتهم على ضربين:

- على العموم، فيشمل كلَّ أصحاب رسول الله ﷺ، أو كل الموجودين عند الخطاب.

- على الخصوص، فيشمل من بُشِّر بالجنة منهم. ويكون ذلك تخصيصاً بعد تعميم.

وأذكر بعض ما يدل على نجاتهم يوم القيامة، لأن وعدَ الله تعالى ووعدَ رسوله الكريم ﷺ لا يتخلَّف. مبتدئاً بالعموم ثم أذكر الخصوص.

علماً بأن ما يَعِد به رسول الله ﷺ ليس من عنده، لأنه وحي خفيٌّ، أُمر ﷺ بتبليغه، فبلّغه كما أُمر، لأنه لا ينطق عن الهوى، إنما يتبع ما يوحى إليه(١٥٨٦).

- **رضاء الله تعالى عنهم دلالة على نجاتهم:**

إن الرضا أعلى المقامات التي ينالها العبد في الجنة، فإذا رضي الله تعالى عن شخص، فقد تجاوز كلَّ القناطر، وسعد كلَّ السعادات، لأنه لا سخط عليه بعدها.

قال سبحانه وتعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾(١٥٨٧).

تتحدّث هذه الآية عن رضاه تعالى عن المؤمنين الذين بايعوا رسول الله ﷺ يوم الحُدَيْبِيَة، وعددهم نحو (١٥٠٠) رجل.

(١٥٨٦) انظر السنة النبوية وحي. في المجلدين الأول والثاني.

(١٥٨٧) سورة الفتح (١٨).

قال الله عز وجل: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[(١٥٨٨)].

وقد سبق بيان سبب نزول هذه الآية في الباب الأول.

ومن رضي الله سبحانه وتعالى عنه فلا يسخط عليه أبداً؛ لأن خبر الله تعالى لا يتخلَّف. وعلمَه تعالى محيط بما كان وبما يكون، فلو لم يعلم ببقائهم على إيمانهم وصلاحهم، وبوفاتهم على الإيمان،... لَما رضي تعالى عنهم. ثم إن رضاء الله تعالى هو أعلى الدرجات التي ينالها أهل الجنة، فلو لم يكونوا صالحين صادقين مخلصين لما رضي الله تعالى عنهم.

وقال الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾[(١٥٨٩)].

فقد أخبر تعالى برضاه على السابقين من المهاجرين والأنصار رضي الله تعالى عنهم، ورضاهم عنه تعالى، ومن رضي الله تعالى عنه فلا يمكن أن يموت على الكفر، لأن العبرة بوفاته على الإيمان، فلو لم يعلم تعالى أنهم يموتون على الإيمان ما رضي الله تعالى عنهم.

كما أن الله تعالى لا يرضى إلاّ على خير عباده، فمن رضي الله تعالى عنه

(١٥٨٨) سورة المجادلة (٢٢).

(١٥٨٩) سورة التوبة (١٠٠) وانظر سورة المائدة (١١٩) وسورة البينة (٨).

فقد نال الدرجة التي لا تدانيها درجة.

* فعن أبي سعيد الخُدْري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة: يا أهلَ الجنة. فيقولون: لبيك ربّنا وسعديك، والخيرُ في يديك. فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى، يارب، وقد أعطيتنا ما لم تُعط أحداً من خلقك. فيقول: ألا أعطيكم أفضلَ من ذلك؟ فيقولون: يا رب، وأيُّ شيء أفضلُ من ذلك؟ فيقول: أُحلُّ عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبداً). متفق عليه[1590].

* وفي رواية لمسلم[1591] -ضمن حديث الرؤية- وهو حديث طويل، وفيه قال ﷺ: (فيَخرجون كاللؤلؤ، في رقابهم الخواتم، يعرفهم أهلُ الجنة: هؤلاء عتقاء الله الذي أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه، ولا خيرٍ قدّموه.

ثم يقول: ادخلوا الجنةَ فما رأيتموه فهو لكم. فيقولون: ربنا أعطيتنا ما لم تعطِ أحداً من العالمين. فيقول: لكم عندي أفضل من هذا. فيقولون: يا ربنا؛ أيُّ شيء أفضلُ من هذا؟ فيقول: رضاي، فلا أسخط عليكم بعده أبداً).

فرضوان الله تعالى أعلى مَنْزلة في الجنة ينالها من يدخلها، ثم من ناله هذا الوعد فقد نال أعلى درجات الجنة، لذا وعد الله تعالى عبادَه المؤمنين أنه يعطيهموها فيها.

(١٥٩٠) صحيح البخاري: كتاب الرقاق: باب صفة الجنة والنار، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها: باب إحلال الرضوان على أهل الجنة فلا يسخط عليهم أبداً، رقم (٩).

(١٥٩١) صحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب معرفة طريق الرؤية، رقم (٣٠٢).

قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾(١٥٩٢). وهل بعد رضاء الله تعالى يُطلب تكريم؟

فإذا كان الله سبحانه وتعالى قد رضي عنهم -والرضا فوق العدل- لأن من رضي الله تعالى عنه فلا يسخط عليه. لأن من زُحزح عن النار وأُدخل الجنة فقد فاز كما قال تعالى، فكيف بمن حلَّ عليه رضوان الله تعالى في الجنة؟ فهذا فوزٌ مضاعفٌ، وإكرامٌ من الله تعالى أعظم، وتكريم منه عز وجل أجل، والله تعالى أعلم.

- شهادة الله تعالى لهم بالإيمان الحق دلالة على نجاتهم:

إذا كان الله سبحانه وتعالى قد شهد للصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم بالإيمان، فمقتضى تلك الشهادة دخول الجنة، والخلود فيها، لأن الله تعالى حرّم الجنة على غير المؤمنين، كما أوجب الجنة للمؤمنين. وقد سبق ذكر الآيات الكريمة في الباب الأول(١٥٩٣)، كما ذكرت بعض ذلك في غيره(١٥٩٤).

لذا فإني سأقتصر على ذكر بعض الآيات الكريمة، ومن أراد التوسع فلينظر إلى الباب الأول، وإلى مناقب الأصحاب رضي الله تعالى عنهم،...

(١٥٩٢) سورة التوبة (٧٢).

(١٥٩٣) انظر: سورة البقرة (١٤٣، ٢١٨، ٢٨٥-٢٨٦) وسورة آل عمران (١٢١، ١٢٤-١٢٦، ١٥٠-١٥٢، ١٦٤) وسورة الأنعام (٥٢-٥٤) وسورة الأنفال (٢-١٢، ٦٤، ٦٥-٦٦، ٧٢، ٧٤-٧٥) وسورة التوبة (٢٥-٢٦، ٧٩) وسورة النور (٥١-٥٢، ٥٥) وسورة الشعراء (٢١٥) وسورة الأحزاب (٩، ٢١-٢٥) وسورة الفتح (٤-٥، ١٨-١٩، ٢٦) وسورة الحجرات (٧-٨) وغيرها، انظر الباب الأول، ومناقب الأصحاب.

(١٥٩٤) انظر: الشفاعة، فقد ذكرت تحريم دخول غير المؤمن الجنة، كما ذكرت وجوب الجنة للمؤمن.

قال الله عز وجل: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾(١٥٩٥).

يخبر تعالى عن رضاه عن المؤمنين الذين بايعوا رسوله ﷺ في الحُدَيْبِيَة، وأخبر تعالى عن إخلاصهم وصدقهم، لذا أنزل عليهم السكينة، وأثابهم الفتح القريب. وإحلالُ رضاه عليهم، ووصفُهم بالإيمان أمران يقتضيان القطع بنجاتهم يوم القيامة، لأن رضاه عز وجل لا يعقبه سخط، كما أن وصفهم بالإيمان يقتضي وفاتهم عليه، وفي الأمرين يقتضي النجاة والسعادة في خلودهم في الجنة، إن شاء الله تعالى، والله تعالى أعلم.

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١٥٩٦).

يخبر تعالى عن حال المؤمنين من الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم كيف يكون حالهم إذا كانوا مع رسول الله ﷺ. ووصفُهم بالإيمان يقتضي وفاتهم عليه، التي تقتضي دخول الجنة والخلود فيها، والله تعالى أعلم.

وقال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا

(١٥٩٥) سورة الفتح (١٨).

(١٥٩٦) سورة النور (٦٢).

عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾ لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا﴾[١٥٩٧].

يخبر الله عز وجل عن حال المؤمنين من الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم يوم الخندق، وكيف تصديقهم بما وعدهم الله تعالى، الذي لم يزدهم إلا إيماناً وتسليماً[١٥٩٨]، ومقتضى وصفهم بالإيمان يقتضي وفاهم عليه، ونجاهم يوم القيامة، بدخولهم الجنة والخلود فيها.

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾[١٥٩٩].

لقد حصر الله تعالى الإيمان بهذين الركنين لأهميتهما، ولأن باقي الأركان تندرج تحتهما، ثم عطف عليهما عدة أمور نالوا بسببها وصف الصدق.

وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾[١٦٠٠].

(١٥٩٧) سورة الأحزاب (٢١-٢٥).

(١٥٩٨) انظر دلائل النبوة في غزوة الخندق.

(١٥٩٩) سورة الحجرات (١٥).

(١٦٠٠) سورة الأنفال (٢-٤).

هذه الآيات جاءت بعد قوله عـز وجـل: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ وفيها وصفٌ دقيقٌ للصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم؛ الـذين شهدوا بدراً مع رسول الله ﷺ، تبيّن حالهم إذا ذَكروا الله تعالى كيف ينتاب قلوبَهم الوجلُ والخوفُ، فيُقبلون على فعل أوامر الله تعالى، وترك مناهيه، مع زيادة إيمانهم عند تلاوتهم لآيات الله تعالى، وزيادة توكلهم عليه.

وقال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ﴾(١٦٠١).

يذكر الله سبحانه وتعالى حكم المهاجرين السابقين الأولين والأنـصار، ماذا لهم في الآخرة، ثم الذين هاجروا بعد ذلك، حيث ذكـر الله سـبحانه وتعالى لهم جميعاً خمسَ مزايا -بعد وصفهم بالإيمان والهجرة والجهاد في سبيل الله والإيواء والنصرة، وقد سبق بيانها في الباب الأول فانظره.

قال الله عز وجل: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾(١٦٠٢).

يذكر الله سبحانه وتعالى أحوالَ المؤمنين من الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم مع نبيِّه وصفيِّه الكريم ﷺ، فأثنى عليهم، ووصفهم ومـدحهم،

(١٦٠١) سورة الأنفال (٧٤-٧٥).

(١٦٠٢) سورة التوبة (٨٨-٨٩).

وبيَّن مَنْزلتهم في الآخرة، وهو الخلود في الجنة، وذلك لإيمانهم الصادق الحق، ومعيتهم لرسول الله ﷺ، ومن حَكَم الله تعالى له بالإيمان وشهد به: نال تلك الْمَنْزلة، رزقنا الله تعالى صحبتهم بمعية رسول الله ﷺ.

ثم إذا نظرنا خطابه تعالى لهم بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ فقد تكرر نحواً من تسعين مرة.فما عساك تجد من الآيات قد ذُكر فيها نعتهم بالإيمان، وقد سبق ذكر كثير من ذلك في الباب الأول.

- إخباره تعالى بدخولهم الجنة، والخلود فيها، دلالة على نجاتهم:

- لقد أخبر الله تعالى أن الصحابة رضي الله تعالى عنهم سيدخلون الجنة، وأنه تعالى قد أوجبها لهم، وأنه عز وجل قد أوجب لهم الخلود فيها، وفي هذا دلالة صريحة واضحة لمن له عينان على نجاقم يوم القيامة، لذا من رام صرف ذلك عنهم فقد باء وخسر، لأنه كذّب الله تعالى فيما قال. وقد كثرت الآيات في ذلك، لذا أشير إلى بعضها، وأنبه إلى بعضها الآخر.

قال الله عز وجل: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾(١٦٠٣).

* لقد أثبت الله تعالى لهم الخلودَ في هذه الجنات والبساتين؛ بما فيها من نعيم مقيم، بجوار ربٍّ كريم، ومعيةِ رسولٍ أمينٍ ﷺ.

ومن حَكَمَ الله تعالى له بالخلود في الجنة، فهو لا يخرج منها، لأن وعد الله تعالى لا يتخلف، ثم هو مؤمن، لأن الجنة لا يدخلها إلاّ المؤمنون، ولا

(١٦٠٣) سورة التوبة (٨٨-٨٩).

تجب إلاّ لهم، وقد حرّم الله تعالى على المشركين والكفار والمنافقين دخولَها.

لذا من زعم كفرَهم رضي الله تعالى عنهم فقد حادّ الله تعالى ورسولَه الكريم ﷺ، وتألّى على الله تعالى، لذا فالويلُ له ما لم يتب.

وقال الله عز وجل: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(١٦٠٤).

* لقد أكرمهم الله تعالى بالحياة الأبدية في الجنة؛ لأن النعيم في الجنة يحتاج إلى حياة تشعر بهذا النعيم، وتسعد بهذا الخلود، وتلذ بالجنان، وتفرح بالخضرة والماء،...قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾(١٦٠٥) فهي الحياة الدائمة، والحق الذي لا زوال له ولا انقضاء، بل هي مستمرة أبد الآبدين، والله تعالى أعلم.

وإذا كان الله جل شأنه قد رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، فإنه تعالى لن يسخط عليهم أبداً؛ لأنه تعالى لو لم يعلم حقيقة حالهم، ويقين إيمانهم، وصدق توجههم، وجزم يقينهم، وإخلاصهم، وعبوديتهم لله تعالى،... ما رضي عنهم، وأكرمهم بالمغفرة والخلود في الجنة.

ذلك أن علمَ الله تعالى متعلّقٌ بالماضي والحاضر والمستقبل، فلو لم يكن الله تعالى يعلم بأنهم باقون على إيمانهم ويقينهم؛ ما وصفهم بهذا الوصف.

(١٦٠٤) سورة التوبة (١٠٠).

(١٦٠٥) سورة العنكبوت (٦٤).

وسيأتي بعد قليل آيات أخرى فيها ذكرُ الخلود في الجنة.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(١٦٠٦).

يخبر الله سبحانه وتعالى بما يفعل بأصحاب رسول الله ﷺ -في الدنيا والآخرة- ثم بمن كان على شاكلتهم وعلى منهاجهم-من جعل الطمأنينة والرحمة والوقار في قلوبهم، وزيادة الإيمان في نفوسهم، وإدخالهم الجنة ثم الخلود فيها، مع تكفير خطاياهم وذنوبهم.

* هذه الآية الكريمة نزلت بعد أوائل سورة الفتح: منحة وهبها الله عز وجل لأصحاب رسوله الكريم ﷺ ورضي الله تعالى عنهم.

* عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: نزلت على النبي ﷺ ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ مرجعه من الحُدَيْبِيَة.

فقال النبي ﷺ: (لقد أُنزلت عليَّ الليلة آيةٌ أحبُّ إليَّ مما على الأرض) ثم قرأها عليهم النبي ﷺ. فقالوا: هنيئاً مريئاً يا نبي الله، قد بيَّن الله عز وجل ما يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فَنزلت عليه: ﴿لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ متفق عليه، وهذه رواية البخاري في المغازي، لكن اللفظ لأحمد، والترمذي وابن

(١٦٠٦) سورة الفتح (٤-٥).

حبّان والحاكم، وصححوه، وغيرهم، وقد ساق مسلم رحمه الله تعالى سنده[(١٦٠٧)] -بعد ذكره لأول الحديث- ثم لم يسق المتن.

وقال الله عز وجل: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[(١٦٠٨)]. والآيات كثيرة في ذلك[(١٦٠٩)].

* لقد كتب الله تعالى في قلوبهم الإيمان. ومن كتب الله تعالى في قلبه الإيمانَ من ينزعه منه؟ وأيدهم بروح من عنده، وأكرمهم بالنصر والتأييد، ونوَّر قلوبَهم بالإيمان وحجة القرآن، وأمدَّهم بالملائكة الكرام، وأنزل عليهم

(١٦٠٧) صحيح البخاري: كتاب المغازي: باب غزوة الحُدَيْبِيَة، وكتاب التفسير: سورة الفتح: باب ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾. وصحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير: باب صلح الحُدَيْبِيَة، رقم (٩٧) ومسند أحمد (٣: ١٩٧، ٢١٥، ٢٥٢) وسنن الترمذي: كتاب التفسير: باب ومن سورة الفتح، رقم (٣٢٦٣) والسنن الكبرى للنسائي (٦: ٤٦٢) والتفسير له (٢: ٣٠٤) وصحيح ابن حبّان (١: ٢٩٤) (٨: ١٠٨) والمستدرك (٢: ٤٥٩) وتفسير الطبري (٢٦: ٤٣-٤٤) وشرح السنة (١٤: ٢٢٢) ومعالم التنزيل (٤: ١٨٨) والسنن الكبرى للبيهقي (٥: ٢١٧) ودلائل النبوة له (٤: ١٥٧-١٥٨) وأسباب النُّزول للواحدي (٤٠٤-٤٠٥).

(١٦٠٨) سورة المجادلة (٢٢).

(١٦٠٩) انظر أيضاً سورة آل عمران (١٥، ١٠٧، ١٣٦، ١٩٨) وسورة النساء (١٣) وسورة المائدة (١١٩) وسورة يونس (٢٦) وسورة الفرقان (١٦، ٧٦) وسورة الفتح (٥) وسورة الحديد (١٢) وسورة المجادلة (٢٢) وسورة التغابن (٩) وسورة الطلاق (١١).

رحمته. وأكرمهم بالخلود في الجنات. ومن قضى الله تعالى بخلوده في الجنة، فلن يضل ولن يشقى، بل هو السعيدُ كاملُ الإيمان. كما أنه لن يخرج منها، لأن وعد الله تعالى لن يتخلّف، والله تعالى أعلم.

لذا فالويل لمن زعم عدم إيمانهم، بعد أن أخبر الله تعالى بأنه جعله في قلوبهم وأثبته فيهم، وغرسه في جوارحهم، فمن نفاه عنهم فقد عارض الله تعالى في قوله، وأبطله. لذا كانت الخسارةُ تنتظره، والعياذ بالله تعالى.

وقد بين رسول الله ﷺ أن الجنة لا يدخلها إلاّ المسلمون.

* فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه-في قصة الرجل الذي يقاتل قتالاً شديداً فلما ذُكر ذلك للنبي الكريم ﷺ قال: (هذا من أهل النار) فلما أثخنته الجراح لم يصبر على الجراح فقتل نفسه، فأُخبر النبيُّ ﷺ بذلك فقال: (الله أكبرُ، أشهد أني عبدُ الله ورسولُه) ثم أمر بلالاً فنادى في الناس (إنه لا يدخل الجنةَ إلاّ نفسٌ مسلمةٌ، وإن الله يؤيِّد هذا الدِّينَ بالرجل الفاجر). متفق عليه(١٦١٠).

* وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: خطبنا رسولُ الله ﷺ، فأسند ظهره على قبَّةِ أدم فقال: (ألا لا يدخل الجنةَ إلاّ نفسٌ مسلمةٌ. اللهم هل بلغت؟ اللهم اشهد. ألا تُحبّون أنكم ربعُ أهل الجنة؟) قالوا: نعم يا رسول الله، قال: (أتحبون أن تكونوا ثلثَ أهل الجنة؟) قالوا: نعم يا رسول الله، قال: (إني لأرجو أن تكونوا شَطْرَ أهلِ الجنة، ما أنتم في سواكم من الأمم إلاّ كالشعرةِ السوداء في الثور الأبيض، أو كالشعرةِ البيضاء في الثور

(١٦١٠) صحيح البخاري: كتاب الجهاد: باب إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر. وصحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه،... رقم (١٧٨)

الأسود). متفق عليه، واللفظ لمسلم[١٦١١].

* وعن أبي سعيد الخُدْري رضي الله تعالى عنه، عن رسول الله ﷺ قال: (والذي نفسي بيده إني لأطمعُ أن تكونوا ثُلُثَ أهل الجنة) قال: فحمدنا الله وكبَّرنا. ثم قال: (والذي نفسي بيده إني لأطمعُ في أن تكونوا شَطْرَ أهل الجنة،...). ثم ساق بنحوه، متفق عليه[١٦١٢].

- استنباط ابن حزم رحمه الله تعالى دخولهم الجنة من الجمع بين آيتين:

لقد استنبط الإمام ابن حزم رحمه الله تعالى أن الصحابة رضي الله تعالى عنهم كلَّهم يدخلون الجنة؛ من جَمْعِه بين آيتين، فيهما الإشارة إلى ذلك.

قال رحمه الله تعالى[١٦١٣]: وكلهم عدول، فاضل من أهل الجنة،...

وقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾[١٦١٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[١٦١٥].

(١٦١١) صحيح البخاري: كتاب الرقاق: باب الحشر. وصحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة، رقم (٣٧٨).

(١٦١٢) صحيح البخاري: كتاب الرقاق: باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾. وصحيح مسلم: كتاب الإيمان: الباب السابق، رقم (٣٧٩).

(١٦١٣) الإحكام في أصول الأحكام (٥: ٩٠-٩١).

(١٦١٤) سورة الحديد (١٠).

(١٦١٥) سورة الأنبياء (١٠١-١٠٣).

قال أبو محمد [ابن حزم]: هذه مواعيد الله تعالى، ووعدُ الله مـــضمونٌ تمامه، وكلهم ممن مات مؤمناً قد آمن وعمل الصالحات،...إلخ.

- وعد الله تعالى لهم الحسنى دلالة على نجاتهم:

لقد وعد الله تعالى الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنـــهم-القـــادرين الأقوياء على الجهاد-والقاعدين عنه-باستثناء ذوي الأعذار منهم: الحـــسنى وهي الجنة، وإذا وعدهم فإنه سيحقّق لهم ما وعدهم عليه، لأنـــه تعـــالى لا يخلف الميعاد.

قال الله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥) دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[(١٦١٦)].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[(١٦١٧)].

* يفرِّق الله تعالى بين المؤمنين القاعدين عن الجهاد، وهم قادرون عليه -من غير أولي الضرر كالعميان والمرضى مثلاً- وبين المجاهدين في سبيل الله تعالى بأموالهم وأنفسهم، حيث فضَّل الله تعالى المؤمنين المجاهدين بـــأموالهم وأنفسهم على المؤمنين القاعدين عن الجهاد-وهم قادرون عليه-درجات منه

(١٦١٦) سورة النساء (٩٥-٩٦).

(١٦١٧) سورة الحديد (١٠).

تعالى في الجنة، مع مغفرة الذنوب والزلات، والرحمات.

أما أهل الأعذار فهم يشتركون مع المجاهدين، في الثواب والأجر.

* عن البراء رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ دعا رسول الله ﷺ زيداً، وشكا ابنُ أمِّ مكتوم ضراوتَه، فنزلت ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ متفق عليه(١٦١٨). ورواه البخاري من حديث زيد رضي الله تعالى عنه بأطول، ورواه مسلم مختصراً.

* وعن أنس رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ رجع من غزوة تبوك، فدنا من المدينة فقال: (إن بالمدينة أقواماً ما سرتُم مسيراً، ولا قطعتم وادياً، إلاّ كانوا معكم) قالوا: يا رسول الله، وهم بالمدينة؟ قال: (وهم بالمدينة، حبسهم العذر). رواه البخاري(١٦١٩).

* ورواه مسلم -بنحوه- من حديث جابر رضي الله تعالى عنه، وزاد في رواية(١٦٢٠): (إلاّ شركوكم في الأجر).

ومع هذا فإن الله سبحانه وتعالى وعد الطائفتين: المجاهدين بأموالهم وأنفسهم -مع تفضيله تعالى لهم بالأجر العظيم- والقاعدين من غير عذر، وعدهم بالجنة والجزاء الجزيل، لقوله تعالى: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾.

(١٦١٨) صحيح البخاري: كتاب الجهاد: باب ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الإمارة: باب سقوط فرض الجهاد عن المعذورين، رقم (١٤١-١٤٢).

(١٦١٩) صحيح البخاري: كتاب المغازي: باب حدثنا يحيى بن بكير، وفي غيرهما.

(١٦٢٠) صحيح مسلم: كتاب الإمارة: باب ثواب من حبسه عن الغزو مرض أو عذر، رقم (١٥٩).

* فالصحابة رضي الله تعالى عنهم -من أسلم منهم قبل الفتح وقاتل وأنفق، ومن أسلم منهم بعد الفتح وقاتل وأنفق، ومن جاهد بماله ونفسه، ومن قعد و لم يقاتل،...- كلهم من أهل الجنة، مع التفاوت في الدرجات، والمفاضلة في الثواب والجزاء.

ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[١٦٢١]. والله تعالى أعلم.

- إعطاؤهم المبوأ الحسن في الدنيا وحسن الثواب في الآخرة دلالة على نجاتهم:

لقد أخبر الله تعالى أنه سيعطي الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم المبوأ الحسن في الدنيا وحسن الثواب في الآخرة، فكيف يعطيهم الثواب الحسن الكبير في الآخرة، إذا لم يكونوا قد تجاوزوا القنطرة، خاصة ووعد الله تعالى لن يتخلف.

قال الله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[١٦٢٢].

(١٦٢١) سورة الأنبياء (١٠١-١٠٣).

(١٦٢٢) سورة آل عمران (١٤٦-١٤٨).

لما أشيع يوم أحد أن رسول الله ﷺ قد قُتل، وانهزم أفرادٌ من النـــاس، وأراد بعضُهم -وهم قلة- الاستسلام، قال الآخرون -وهم الأغلبيـــة-: إن كان رسول الله ﷺ قد قُتل، فما قيمة الحياة بعده؟ ألا تمضون على ما مضى عليه نبيكم ﷺ حتى تلحقوا به، فأنزل الله سبحانه وتعالى فيهم هذه الآيات تحكي ما قالوا(١٦٢٣).

وقال الله عز وجـــل: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ۝٤١ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾(١٦٢٤).

يخبر المولى تعالى عن جزاء المهاجرين في سبيله ابتغاء مرضاته جل شـــأنه ماذا لهم في الدنيا والآخرة.

* لقد أكرمهم الله تعالى بمعية رسول الله ﷺ في الـــدنيا، وأرجـــو أن تكون لهم في الآخرة أيضاً، لأن الله تعالى ما أثبتها لهم في الدنيا-مـــع ثنائـــه عليهم بها-إلاّ ليكرمهم بها يوم القيامة، وهذا ما أخبر به رسول الله ﷺ.

* عن أبي سعيد الخُدْري رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ قال: قرأها رسول الله ﷺ حتى ختمها، وقال: (الناسُ حيِّزٌ، وأنا وأصحابي حيِّزٌ) الحديث، رواه الطَّيالِسي وابن أبي شـــيبة وأحمد والطبراني وأبو نعيم والبيهقي، وكلهم برجال الـــصحيح، وصـــححه الحاكم وأقره الذهبي(١٦٢٥).

(١٦٢٣) انظر: أسباب نزول القرآن للواحدي (١٢٠).

(١٦٢٤) سورة النحل (٤١-٤٢).

(١٦٢٥) مسند الطَّيالِسي (٢٩٣) ومصنف ابن أبي شيبة (١٤: ٤٩٨-٤٩٩) ومسند أحمد (٣: =

فإذا كانوا في زمرته ﷺ في الدنيا والآخرة فكيف لا يُكرمون ! ثم إذا وعدهم بحسن ثوابهم وكبره في الآخرة، فكيف لا ينجون ويسعدون ويكرمون ! أسأله تعالى أن يكرمنا بصحبتهم تحت لواء نبيه الكريم ﷺ.

- طلب الله تعالى من نبيِّه الكريم ﷺ أن يعفو عنهم دلالة على نجاتهم:

لقد طلب الله عز وجل من نبيِّه وصفيه الكريم ﷺ أن يعفو عمن كان السبب في سلب النصر يوم أُحد، وأن يستغفر لهم، ويعيد لهم اعتبارهم.

قال الله تعالى مخاطباً نبيَّه الكريمَ ﷺ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾(١٦٢٦).

لقد كان النصر في غزوة أُحُد -في بادئ الأمر- للمسلمين، ولما رأى بعضُ الرماة انهزامَ قريش وهروبهم، ودخولَ المسلمين معسكرَهم، ظنّوا أن المعركة انتهت، لذا قرَّروا النزول من الجبل،... فانقلب الميزان،...

* إن من رحمة الله تعالى بهذه الصفوة من الخلق: أن يطلب تعالى من نبيّه الكريم ﷺ أن يعفو عمَّن كان السبب، وأن يُسقط حقَّه الشخصيَّ في ذلك، وأن يستغفر الله عز وجل حقَّه لهم أيضاً، وأن يتَغاضى ﷺ عن تلك الزلَّة منهم، ويعتبرها كأنها لم تكن، فيعيد إليهم اعتبارَهم، ويشاورهم في الأمر، لأن الله تعالى غفور رحيم.

= ٢٢) (٥: ١٨٧) والمعجم الكبير (٤: ٣٤١) (٥: ١٢٣) ومعرفة الصحابة (١: ١١٣) وحلية الأولياء (٤: ٣٨٥) والمستدرك (٢: ٢٥٧) ودلائل النبوة (٥: ١٠٩-١١٠) ومجمع الزوائد (٥: ٢٥٠) (١٠: ١٧) وانظر الدر المنثور.

(١٦٢٦) سورة آل عمران (١٥٩).

فإذا كان الله تعالى هو الذي يطلب من حبيبه ﷺ أن يعفو عنهم ما حصل، مع ما حصل لرسول الله ﷺ من جروح وإصابات،...فما مقامهم عنده تعالى؟ وكيف يكون عفوه تعالى عنهم؟ وما مقامهم عنده تعالى؟

- إدخالهم المدخل الذي يرضونه دلالة على نجاتهم عنده تعالى:

لقد أخبر الله تعالى أنه سيحقق للصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم رغباتهم، ويدخلهم المدخل الذي يرضونه، فكيف يكون عنده إذاً؟

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوْ مَاتُواْ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾(١٦٢٧).

* يخبر المولى تعالى عن فضل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، حيث إنه تعالى يجري عليهم أرزاقهم، ويحسن إليهم ولو ماتوا، مع أن الشهيد حي عند ربه، ومع هذا فقد جعل الموت بالنسبة للمهاجرين كالشهادة في سبيل الله في إجراء الرزق، ودخول الجنة. وهذه كرامة لهم رضي الله تعالى عنهم.

ويخبر عن تحننه تعالى لهم، وترضيه إياهم، حيث إنه تعالى يترضّاهم، وذلك بأن يدخلهم المدخل الذي يرضونه، دلالة على علو مكانتهم عنده تعالى، ورفعة مَنْزلتهم لديه جل شأنه، وعظيم مَنْزلتهم عنده عز شأنه.

- بشارتهم بالرحمة والرضوان في الآخرة دلالة على نجاتهم:

لقد أخبر الله عز وجل أنه يبشّر الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم بالرحمة والرضوان منه تعالى يُكرَمون بذلك يوم القيامة، فعلى أي شيء يدل

(١٦٢٧) سورة الحج (٥٨-٥٩).

ذلك؟ إنما هو على مَنْزلتهم عنده تعالى، وعلو مقامهم، وإكرامه تعالى لهم.

قال الله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾(١٦٢٨)

لقد بيّن الله تعالى فضل الهجرة والجهاد بالمال والنفس بعد الإيمان، وأنه لا تساويها سقاية حاجٍّ أو عمارة مسجد،... كما بشَّر المهاجرين المجاهدين بالرحمة والرضوان والخلود في النعيم المقيم في الجنة، ويوضح ذلك:

* عن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنهما قال: كنت عند منبر رسول الله ﷺ، فقال رجل: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام، إلاّ أن أُسقيَ الحاجَّ. وقال آخر: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام، إلاّ أن أعْمرَ المسجدَ الحرام. وقال آخر: الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم. فزجرهم عمر-رضي الله تعالى عنه-وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ-وهو يوم الجمعة-ولكن إذا صَليتُ الجمعةَ؛ دخلتُ فاستفتيتُه فيما اختلفتم فيه. فأنزل الله عز وجل: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ الآية إلى آخرها. رواه مسلم(١٦٢٩).

فإذا كان الله تعالى يبشّرهم بالرحمة والرضوان والنعيم المقيم في الجنة،

(١٦٢٨) سورة التوبة (١٩-٢٢).

(١٦٢٩) صحيح مسلم: كتاب الإمارة: باب فضل الشهادة في سبيل الله، رقم (١١١).

خالدين في ذلك، فهل يعذّبهم ويعاقبهم بعد هذه البشائر؟ لا، ثم لا، والله تعالى أعلم.

- **ولاية الله تعالى ورسوله الكريم ﷺ لهم دلالة على نجاتهم:**

لقد أخبر الله عز وجل الصحابةَ الكرام رضي الله تعالى عنهم أنه تعالى ورسوله الكريم ﷺ وليُّهم. فهل يتخلّى عنهم، أو يعذّبهم وهو وليُّهم؟ إن مقتضى الولاية العناية والحنو والعطف الاحتضان.

قال الله عز وجل: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾(١٦٣٠).

لقد أخبر الله سبحانه وتعالى أنه ولي الجناحين-اللَّذين كادا أن يفشلا يوم أُحد-ومن كان الله تعالى وليَّه فلا يضام. ويدل على ذلك:

* عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: فينا نزلت: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ [قال: نحن الطائفتان] بنو سَلِمة وبنو حارثة، وما نحبُّ أنها لم تنزل، لقول الله عز وجل: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾. متفق عليه(١٦٣١).

وقال الله عز وجل: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّـٰصِرِينَ﴾(١٦٣٢).

(١٦٣٠) سورة آل عمران (١٢٢).

(١٦٣١) صحيح البخاري: كتاب المغازي، وكتاب التفسير: من سورة آل عمران: كلاهما في باب ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الأنصار: باب من فضائل الأنصار رضي الله تعالى عنهم، رقم (١٧١).

(١٦٣٢) سورة آل عمران (١٥٠).

يخبر تعالى عن ولايته لهم، ونصره إياهم رضي الله تعالى عنهم، وتنفيذه وعده لهم، فلما حصل للرماة ما حصل سَلَب النصرَ منهم،... كل ذلك ليختبرهم ويمتحنهم، ثم عفا تعالى عنهم، وغفر لهم، لأنه تعالى ذو فضل على المؤمنين. وانظر تتمة الآيات والتعليق عليها في الباب الأول.

وقال الله عز وجل: ﴿ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾(١٦٣٣).

لقد ذكر الله تعالى هذه الآية بعد ذكره لأحوال الكفار، وأنهم إن تابوا عن كفرهم وأسلموا، يغفر الله لهم ما قد سلف، بين تعالى أنه مولى الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم، وناصرُهم، ومعينُهم على عدوهم، وهو نعم المعين، ونعم الناصر.

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾(١٦٣٤).

فإذا كان تعالى وليهم -ولم يتخلَّ عنهم في الدنيا- فهل يتولى عنهم في الآخرة وهم أحوج ما يكونون إليه؟

- وعدهم بجنات عدن والخيرات فيها دلالة على نجاتهم:

لقد أخبر الله تعالى أنه سيكرم هؤلاء الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم بأن يدخلهم جنات عدن، وأن لهم الخيرات فيها، وأنهم من المفلحين وهذا وعد الله تعالى ومواعيده لا تُخلف، فتحقيق الوعد دلالة على النجاة.

قال الله عز وجل: ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨٨ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ

(١٦٣٣) سورة الأنفال (٤٠).

(١٦٣٤) سورة المائدة (٥٥).

﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾(1635).

لقد ذكر الله عز وجل أحوالَ الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم مع نبيِّه وصفيِّه الكريم ﷺ، فأثنى عليهم، ووصفهم ومدحهم، وبيَّن مَنْزلتهم في الآخرة، إضافة إلى إكرامه تعالى لهم في الدنيا.

وقال الله عز وجل: {﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ (٣٢) جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٣) وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾(1636).

وقد سبق في الباب الأول بيان أن هذه الأقسام الثلاثة هم في هذه الأمة.

فإذا كان الله تعالى اصطفاهم من عباده، وجعلهم سابقين بالخيرات، ووعدهم جنات عدن، ويحلهم الإقامةَ الدائمةَ فيها، مع ما فيها من النعيم والخيرات، فمن كان موعوداً بذلك هل يضام ويُتخلّى عنه، والله تعالى لا يُخلف الميعاد ! حاشا وكلا، والله تعالى أعلم.

- جعلهم الأمة الوسط وخير الأمم دلالة على نجاتهم:

لقد أخبر الله تعالى أنه جعل هذه الأمة-يتقدمها الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم-خيرَ الأمم، وأنها الأمة الوسط، وأنهم شهداء للأنبياء على أممهم، وقَبِل شهادتَهم لأنبيائه عليهم السلام، فمن كان كذلك فهو دليل

(١٦٣٥) سورة التوبة (٨٨-٨٩).

(١٦٣٦) سورة فاطر (٣٢-٣٥).

على علو مَنْزلته عند الله تعالى ورفعة مكانته لديه. ثم كيف يجعلهم كـــذلك ولا يكونون ناجين عنده يوم القيامة!

قال الله جلـــت قدرتـــه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾(١٦٣٧).

* قال عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما: هم الذين هاجروا مع رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة. رواه عبد الرزاق وابن أبي شيبة وعبد بن حُميد والفريابي وأحمد والنَّسائي والطبراني، وصـــحّحه الحـــاكم، وجـــوَّده الحافظ، في آخرين(١٦٣٨). وانظر الباب الأول لبيان القول الثاني في المسألة.

قـــال الله تعـــالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾(١٦٣٩).

* عن أبي سعيد الخُدْري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: (يُجاء بنوح يوم القيامة، فيقال له: هل بلغتَ؟ فيقول: نعم يا رب، فتُـــسأل أمتُه: هل بلَّغَكُم؟ فيقولون: ما جاءنا من نذير. فيقول: مَنْ شهودُك؟ فيقول: محمدٌ وأمتُه، فيُجاء بكم، فتشهدون) ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ

(١٦٣٧)سورة آل عمران (١١٠).

(١٦٣٨) تفسير عبد الرزاق (١: ٤٠٨) ومصنف ابن أبي شيبة (١٢: ١٥٥-١٥٦) (١٤: ٣٣٤) ومسند أحمد (١: ٢٧٣، ٣١٩، ٣٢٤، ٣٥٤) وتفسير ابن أبي حاتم (٣: ٧٣٢) وتفسير النَّسائي (١: ٣١٩) وتفسير الطبري (٧: ١٠١) والمعجم الكبير (١٢: ٦) والمـــستدرك (٢: ٢٩٤) ومجمع الزوائد (٦: ٣٢٧) وفتح الباري (٨: ٢٢٥) وجوَّده، والدر المنثور (٢: ٢٩٣).

(١٦٣٩)سورة البقرة (١٤٣).

أُمَّةً وَسَطًا ﴾ قال: عدلاً ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾. رواه البخاري(١٦٤٠).

فإذا كان الله تعالى جعلهم خير الناس، وأعدلهم -بعد الأنبياء عليهم السلام- فكيف لا يكونون ناجين، فلو لم يكونوا ناجين ما قبل شهادتَهم، فلما قبلها كانوا عدولاً سعداء ناجين، والله تعالى أعلم.

- توبة الله تعالى عليهم دلالة على نجاتهم:

لقد أخبر الله تعالى أنه تاب على الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم، ومن تاب الله تعالى عليه فلا يسخط عليه أبداً، وكونه تعالى أخبر بذلك فهو دلالة على قبول توبتهم، ومن تاب الله تعالى عليه فقد سعد ونجا.

قال الله تعالى: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(١٦٤١).

نزلت هذه الآية في غزوة تبوك، وهي تصوِّر حالَهم رضوان الله تعالى عليهم في ذلك، حيث إنهم خرجوا في حرٍّ شديد، وقلة من الزاد والماء، في سَنَة مجدبة، شديدة القحط، لذا سميت الغزوة بجيش العسرة، كما تذكر فضلَ الله سبحانه وتعالى عليهم.

* عن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما، أنه قيل لعمر بن الخطاب رحمة الله عليه: حدِّثنا في شأن العسرة. فقال عمر: خرجنا مع

(١٦٤٠) صحيح البخاري: كتاب الاعتصام: باب ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾، وفي غيرهما.

(١٦٤١) سورة التوبة (١١٧).

رسول الله ﷺ إلى تبوك، في قيظ شديد، فنزلنا منزلاً؛ أصابنا فيه عطشٌ، حتى ظننّا أن رقابَنا ستنقطع، حتى إن كان الرجل ليَذهبُ يلتمس الماءَ، فلا يرجع حتى يظن أن رقبتَه ستنقطع، حتى إن الرجلَ لينحر بعيرَه، فيعصر فرثَه فيشربه، ويجعل ما بقي على كبده، فقال أبو بكر الصِّدّيق: يا رسول الله؛ إن الله قد عوَّدك في الدعاء خيراً، فادع لنا. قال: (تحبُّ ذلك؟) قال: نعم. فرفع يديه، فلم يرجعهما حتى قالت السماء، فأظلَّت، ثم سكبت، فملؤوا ما معهم، ثم ذهبنا ننظر، فلن نجدها جاوزت العسكر. رواه البَزّار والطبري والطبراني، وصححه ابن خزيمة وابن حِبّان والحاكم، وأقره الذهبي(١٦٤٢).

* لقد ذكر الله تعالى التوبةَ في أول الآية على النبي الكريم ﷺ وعلى المهاجرين والأنصار رضي الله تعالى عنهم، هو محضُ فضلٍ من الله تعالى، وذلك قبل ذكر الذنب.

أما ذكر التوبة الثانية في آخر الآية فهو بعد ذكر الذنب، للتدليل على قبولها، وغفران الذنب، ومن تاب الله عز وجل عليه لم يعذبه. كما قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما؛ لأن الله عز وجل يحب التَّوّابين، والتائب من الذنب كمن لا ذنب عليه.

وقال الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ

(١٦٤٢) تفسير الطبري (١٤: ٥٤١-٥٤٢) والبحر الزخار (١: ٣٣١) وصحيح ابن خزيمة (١: ٥٢-٥٣) والمعجم الأوسط (٣: ٣٢٣-٣٢٤) وصحيح ابن حِبّان (٤: ٢٢٣) والمستدرك (١: ١٥٩) ودلائل النبوة لأبي نعيم (٦٧١-٦٧٢) وللبيهقي (٥: ٢٣١) ومجمع الزوائد (٦: ١٩٤-١٩٥) ومجمع البحرين (٥: ١٣٢) وكشف الأستار (٢: ٣٥٤) وفتح الباري (٨: ١١١) وعزاه لابن خزيمة فقط، وانظر الدر المنثور.

هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾(١٦٤٣).

تحدثت الآية الكريمة عن غفران الله عز وجل على الثلاثة الصحابة الكرام-وهم: كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية رضي الله تعالى عنهم، وكلهم من الأنصار،... الذين تخلّفوا عن غزوة تبوك، من غير عذر منهم. فلما رجع رسول الله ﷺ من تبوك، أتاه هؤلاء الثلاثة؛ واعترفوا بتخلُّفهم من غير عذر. فتركهم رسول الله ﷺ حتى يحكم الله عز وجل فيهم، وحكى القرآن الكريم حالتَهم النفسيةَ؛ حيث ضاقت عليهم الأرضُ بسعتها، ندماً على تخلُّفهم عن الجهاد مع رسول الله ﷺ، وضاقت عليهم أنفسُهم بما اعتراها من الهم والغم، وأيقنوا أنه لا شيء ينجيهم من عذاب الله، ولا ملجأ لهم منه تعالى إلاّ هو؛ بالرجوع إليه، والإنابة إليه، فرزقهم الله سبحانه وتعالى الإنابة والرجوع، وتاب عليهم.

وقد كرَّر الله سبحانه وتعالى التوبة عليهم مرتين: الأولى: في عطفهم على من سبق ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ ثم عطف فقال: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ ثم ذكر توبته عليهم ثانية، فقال: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ﴾ ففرَّج الله تعالى عنهم بسبب صدقهم رسولَه ﷺ في تخلفهم، فكان عاقبةُ صدقهم خيراً لهم، وتوبةً عليهم، ولهذا حث الله سبحانه وتعالى المؤمنين على التقوى وملازمة الصدق وأهلِه، ليكونوا من أهله، وينجوا من المهالك، ويجعل لهم فرجاً ومخرجاً، كما حصل لهؤلاء الثلاثة رضي الله تعالى عنهم.

وقد جاءت قصة هؤلاء المخَلَّفين رضي الله تعالى عنهم، وما آل إليه

(١٦٤٣) سورة التوبة (١١٨-١١٩).

حالهم، وما لاقوه من الشدة والعناء-حيث مكثوا خمسين يوماً لا يكلِّمُهم أحدٌ، ولا يسلِّم عليهم أحد،... حتى نزل على رسول الله ﷺ توبتُهم-من حديث كعب بن مالك رضي الله تعالى عنه مطوّلاً-أحد الثلاثة-والحديثُ متفق عليه(١٦٤٤). وقد مر ذكره في الباب الأول فانظره.

وقد جاءت أحاديث كثيرة في قبول التوبة، وأن الله عز وجل يقبل توبة التائبين، بل من أئمة الحديث من أفرد كتاباً في تأليفه باسم كتاب التوبة.

* فعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى وادياً ثالثاً، ولا يملأُ جوف ابن آدم إلاّ التراب، ويتوب الله على من تاب). متفق عليه(١٦٤٥).

* وروياه(١٦٤٦) بنحوه من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، ورواه البخاري(١٦٤٧) من حديث ابن الزبير رضي الله تعالى عنهما أيضاً.

والتائب الصادق في توبته يقلب الله سيئاته حسنات.

قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾(١٦٤٨).

(١٦٤٤) صحيح البخاري: كتاب التفسير: سورة براءة، ورواه في كتاب الوصايا، وكتاب الجهاد، وكتاب المغازي، وكتاب الاستئذان، وغيرها،... وصحيح مسلم: كتاب التوبة: باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، رقم (٥٣-٥٥).

(١٦٤٥) صحيح البخاري: كتاب الرقاق: باب ما يتقى من فتنة المال. وصحيح مسلم: كتاب الزكاة: باب لو أن لابن آدم واديين لابتغى ثالثاً، رقم (١١٦-١١٧).

(١٦٤٦) صحيح البخاري: في الكتاب والباب السابقين. وصحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (١١٨).

(١٦٤٧) صحيح البخاري: في الكتاب والباب السابقين.

(١٦٤٨) سورة الفرقان (٧٠).

فمن تاب إلى الله تعالى بصدق: غفر الله تعالى ذنوبه، ولقيه ولا ذنب عليه. فكيف وقد أخبر الله تعالى بتوبته عليهم، ليتوبوا، وقبل توبتَهم.

- اصطفاء الله تعالى لهم دلالة على نجاتهم:

لقد أخبر الله تعالى أنه اصطفى أصحاب نبيِّه الكريم ﷺ، ورضي الله تعالى عنهم، ليكونوا أصحاباً وأصهاراً وأنصاراً وأرحاماً له ﷺ.

واصطفاء الله تعالى لهم من جميع الخلق يدل دلالة واضحة على تميِّزهم عن غيرهم، وعلى علو مكانتهم عنده تعالى، ومن ثم على إكرامهم بالنجاة يوم القيامة. لأنه عز وجل لا يصطفي إلاّ الأخير، ومن ثم يرعاهم بعنايته، ويربيهم على عينه.

قال الله عز وجل: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾(١٦٤٩).

في هذه الآية الكريمة يطلب الله سبحانه وتعالى من نبيه وصفيه الكريم ﷺ أن يحمد الله سبحانه وتعالى على نعمه علينا، وتوفيقه إيانا للهداية. مع إخباره تعالى عن السلامِ على الصحابة الكرام الذين اصطفاهم الله تعالى.

وقال الله عز وجل: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾(١٦٥٠).

فإذا كان الله تعالى قد اصطفاهم من العالمين ليكونوا حملةَ هذا الدين، وصحابةً لنبيه الكريم ﷺ، ومبلغي شرعه المتين، فهذا يدل على مَنْزلتهم عنده تعالى، لأنه تعالى هو الذي اصطفاهم وجعلهم بالمقام الأعلى.

يضاف إلى ذلك: أن رسول الله ﷺ خير خلق الله تعالى، وسيد رسله، وأفضل أنبيائه عليهم السلام، واختار الله تعالى له أفضل خلقه بعده ﷺ،

(١٦٤٩) سورة النمل (٥٩).

(١٦٥٠) سورة فاطر (٣٢). وانظر الباب الأول لمعرفة التعليق على الآيتين.

وجعلهم صحابةً له وأصهاراً وأنصاراً، ثم هم خير الأمم، فكيف يكون رسولُ الله ﷺ صفيَّه وخيرَ خلقه، ولا يكونُ من اصطفاهم له واختارهم صحابةً له ناجين ! إن المجاورة تؤثِّر بصاحبها، فكيف بمن كان ملازماً لسيد البشر ﷺ؟!

- إخباره تعالى أنه لا يخزيهم يوم القيامة دلالة على نجاتهم:

لقد أخبر الله تعالى أنه لا يخزي النبي المصطفى الكريم ﷺ وصحابته الذين هم في معيته يوم القيامة.

وإذا كان الله تعالى لا يخزيهم يوم القيامة-لأنهم في معية رسول الله ﷺ- فهذا دلالة على علو مَنْزلتهم ونجاتهم، لأن عدم الخزي يعني النجاح.

قال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾(١٦٥١).

لقد أمنهم الله تعالى من خزيه، ولا يأمن من خزيه في ذلك اليوم إلاّ الذين ماتوا والله تعالى ورسولُه ﷺ عنهم راضٍ.

فأمنهم من الخزي صريحٌ في موتهم على كمال الإيمان، وحقائق الإحسان، وفي أن الله تعالى لم يزل راضياً عنهم، وكذلك رسولُه ﷺ.

وإذا لم يُخزهم الله تعالى فهذا دالٌّ على نجاتهم وسعادتهم. خاصة وقد جاءوا معطوفين على رسول الله ﷺ ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾.

ومما يدل على نجاتهم؛ أن جعل الله تعالى نورَهم يسعى بين أيديهم

(١٦٥١) سورة التحريم (٨).

وبأيمانهم، مع دعائهم -في ذلك الموقف- بإتمام النور وبالمغفرة من الذنوب.

وقارن مع قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾(١٦٥٢).

- ثناؤه تعالى عليهم دلالة على نجاتهم:

لقد وردت آيات كثيرة -كما مر في الباب الأول- فيها الثناء من الله تعالى على الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم، من رضاه تعالى عنهم، وإخباره تعالى عنهم بأنهم من أهل الجنة، وأنهم من الخالدين فيها، وأنه تعالى جعلهم أهلَ التقوى وأهلَها، وأنه قذف في قلوبهم الإيمان وزينه في قلوبهم، بل هم المؤمنون حقّاً،... في أمور كثيرة يطول ذكرها، فكل هذا يدل دلالة واضحة لا ريب فيها ولا ميل أنهم رضي الله تعالى عنهم لهم المكانة العالية الرفيعة التي لم تنلها صحابةُ نبيٍّ من قبل.

وإذا كان الله تعالى قد وصفهم بهذه الأوصاف الرفيعة العالية، فهذا يدل على محافظتهم على الإيمان الذي قذفه الله تعالى في قلوبهم وزيّنه فيها، وأنهم سيبقون عليه حتى يموتوا عليه. ومن مات على شيء بُعث عليه، ومن بُعث على الإيمان فقد نال السعادة، وأمن من العثار.

* فعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : (يُبعث كلُّ عبدٍ على ما مات عليه). رواه مسلم(١٦٥٣).

* وعن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من كان آخر كلامه: لا إله إلا الله، دخل الجنة). رواه أحمد -بلفظ

(١٦٥٢) سورة الشعراء (٨٦-٨٧).

(١٦٥٣) صحيح مسلم: كتاب الجنة: باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت، رقم (٨٣).

(وجبت له الجنة)- وأبو داود، والحاكم وصححه وأقره الذهبي، وحسّن النووي سند أبي داود، وصحّح سند الحاكم[(١٦٥٤)].

* والأحاديث في هذا الباب كثيرة، وبألفاظ متقاربة.

ومن مات على الإيمان يكون قد سبقت له من الله تعالى السابقة بذلك.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (١٠١) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ (١٠٢) لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[(١٦٥٥)].

فمن مات على الإيمان -بأن سبقت له من الله تعالى السابقة- نال الجنة، ومن نالها لايُخزى، وبعُد عن النار، لأنه لا يَسمع حسيسَها الذي يُسمع من مئات السنين، ويكون مخلّداً في الجنة، أكرمنا الله تعالى والمسلمين بها، آمين.

- إخبار النبيِّ الكريم ﷺ أنهم رضي الله تعالى عنهم لا يدخلون النار دلالة على نجاتهم:

لقد أخبر رسول الله ﷺ أن الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم لا يدخلون النار، وإذا لم يدخلوا النار فإنهم يدخلون الجنة، لأنه لا ثالث لهما، وقد جاءت الأحاديث في ذلك على ضربين؛ بلفظ عام، أو بتعيين فئات منهم، كالحُدَيْبِيَة وبدر ونحو ذلك.

* فعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله

(١٦٥٤) مسند أحمد (٥: ٢٣٣، ٢٤٧) وسنن أبي داود: كتاب الجنائز: باب في التلقين، رقم (٣١١٦) والمستدرك (١: ٣٥١، ٥٠٠) وشرح السنة (٥: ٢٩٦) والمجموع (٥: ٩٩) وخلاصة الأحكام (٢: ٩٢٤) وانظر المطالب العالية (١: ١٩١) لرواية أبي يعلى.

(١٦٥٥) سورة الأنبياء (١٠١-١٠٣).

ﷺ: (لا تمس النارُ مسلماً رآني، أو رأى من رآني). رواه الترمذي وحسنه، وابن أبي عاصم وأبو نعيم والضياء(١٦٥٦).

* وعن عبد الرحمن بن عقبة عن أبيه رضي الله تعالى عنه -وكان قد أصيب بسهم مع رسول الله ﷺ- قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (لا يدخل النار مسلمٌ رآني، ولا رأى من رآني، ولا رأى من رأى من رآني). رواه ابن أبي عاصم والطبراني، وعزاه الحافظ لابن السكن والحاكم في تاريخ نيسابور(١٦٥٧)، وشاهده ما سبق، فهو به حسن.

* عن أم مبشِّر - زوجة زيد بن حارثة- رضي الله تعالى عنهما، أنها سمعت النبيّ ﷺ يقول عند حفصة-رضي الله تعالى عنها-: (لا يدخل النارَ - إن شاء الله تعالى- من أصحاب الشجرة أَحَدٌ؛ الذين بايعوا تحتها).

قالت: بلى، يا رسول الله. فانتهرها. قالت حفصة: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾(١٦٥٨). فقال ﷺ: (قد قال الله عز وجل: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾(١٦٥٩). رواه مسلم(١٦٦٠).

(١٦٥٦) سنن الترمذي: كتاب المناقب: باب فيما جاء في فضل من رأى النبيَّ ﷺ، رقم (٣٨٥٧) والسنة (٢: ٩٨٥) ومعرفة الصحابة (١: ١٣٤) وكنز العمال (١١: ٥٣١).

(١٦٥٧) السنة (٢: ٩٨٥) والمعجم الكبير (١٧: ٣٥٧) والمعجم الأوسط (١: ٣٠٨) ومجمع البحرين (٧: ٢٧) ومجمع الزوائد (١٠: ٢٠-٢١) والإصابة (٤: ٥٢٩) وأسد الغابة (٣: ٥٥٣).

(١٦٥٨) سورة مريم (٧١).

(١٦٥٩) سورة مريم (٧٢).

(١٦٦٠) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان رضي الله تعالى عنهم، رقم (١٦٣).

* وعن جابر رضي الله تعالى عنه، أن عبداً لحاطب جاء رسولَ الله ﷺ يشكو حاطِباً، فقال: يا رسول الله، ليدخُلَنَّ حاطبٌ النارَ. فقال رسول الله ﷺ: (كذبتَ، لا يدخلها، فإنه شهد بدراً والحُدَيْبِيَة). رواه مسلم(١٦٦١).

وقد ورد نحو ذلك عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

تنبيه: كذبت بلغة أهل الحجاز بمعنى أخطأت.

- إخباره ﷺ بدخول أهل بدر والحُدَيْبِيَة الجنة، دلالة على نجاتهم:

لقد أخبر رسول الله ﷺ أن أهل بدر وأهل الحُدَيْبِيَة سيدخلون الجنة، ومن دخل الجنة فلا يخرج منها.

* عن رفاعة بن رافع الزرقي رضي الله تعالى عنه-وكان من أهل بدر- قال: جاء جبريل إلى النبيّ ﷺ فقال: ما تعدون أهلَ بدر فيكم؟ قال: (من أفضل المسلمين) أو كلمة نحوها. قال: وكذلك مَن شهد بدراً من الملائكة. رواه البخاري(١٦٦٢).

* وعن عليٍّ رضي الله تعالى عنه قال-في قصة حاطب رضي الله تعالى عنه-فقال ﷺ: (يا عُمر؛ وما يدرك لعل الله قد اطّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم، فقد وجبت لكم الجنة)... الحديث، متفق عليه(١٦٦٣).

(١٦٦١) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل أهل بدر رضي الله تعالى عنهم، رقم (١٦٢).

(١٦٦٢) صحيح البخاري: كتاب المغازي: باب شهود الملائكة بدراً.

(١٦٦٣) صحيح البخاري: كتاب الاستئذان: باب من نظر في كتاب من يُحذَر على المسلمين ليستبين أمره، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل أهل بدر رضي الله تعالى عنهم، رقم (١٦١) وانظر: فضائل الصحابة الكرام رضي الله تعالى =

* وفي لفظ مسلم -وهو عند البخاري- (وما يدريك لعل الله اطّلع على من شهد بدراً فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم).

* وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (من يصعد الثنيةَ؛ ثنيّةَ الْمُرار، فإنه يُحطُّ عنه ما حُطَّ عن بني إسرائيل).

قال: فكان أولَ من صعدها خيلُنا، خيلُ بني الخزرج، ثم تتامّ الناسُ. فقال رسول الله ﷺ: (وكلُّكم مغفور له، إلاّ صاحبَ الجمل الأحمر).

فأتيناه، فقلنا له: تعال، يستغفرْ لك رسول الله ﷺ. فقال: والله، لأَن أجدَ ضالَّتي أحبُّ إليَّ من أن يستغفر لي صاحبكم.

قال: وكان رجلٌ ينشد ضالةً له.

* زاد في رواية: وإذا هو أعرابيٌّ جاء ينشد ضالةً له. رواه مسلم(١٦٦٤).

* قال القاضي عِياض رحمه الله تعالى(١٦٦٥): قيل هذا الرجل هو: الجدُّ بنُ قيس المنافق.اهـ.

* وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحُدَيْبِيَة: (أنتم اليوم خيرُ أهل الأرض)...الحديث، متفق عليه(١٦٦٦).

فإخباره ﷺ بدخولهم الجنة: دلالة على وفاتهم على الإيمان، وسلامة

= عنهم، ففيه عدة روايات في ذلك.

(١٦٦٤) صحيح مسلم: كتاب صفات المنافقين، في مقدمته، رقم (١٢-١٣).

(١٦٦٥) إكمال المعلم (٨: ٣١٢).

(١٦٦٦) صحيح البخاري: كتاب المغازي: باب غزوة الحُدَيْبِيَة، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الإمارة: باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال، رقم (٧١).

دينهم حتى الممات، ولا يكونون كذلك إلاّ إذا كان الله تعالى راضٍ عنهم ورسولُه ﷺ. لذا استحقّوا هذه المرتبةَ، وفي كلا الغزوتين-بدر والحُدَيْبِيَة- كان فيهما كبار الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

- بشارته ﷺ لعدد من الصحابة بالجنة دلالة على نجاتهم:

لقد ذكرتُ في الباب الثاني عدة أحاديث-و لم أستقص-فيها إخبار النبي المصطفى الكريم ﷺ بعض الصحابة بأنهم من أهل الجنة. مثل:

* عن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه، أنه توضّأ في بيته، ثم خرج، فقال: لألزمَنَّ رسولَ الله ﷺ، ولأكوننَّ معه يومي هذا. قال: فجاء المسجدَ، فسأل عن النبيِّ ﷺ، فقالوا: خرج ووجَّه ههنا. قال: فخرجتُ على إثره أسأل عنه، حتى دخل بئرَ أريس، وتوسَّط قُفَّها، وكشف عن ساقَيه، ودلّاهما في البئر. فسلّمتُ عليه، ثم انصرفتُ، فجلستُ عند الباب، فقلت: لأكوننَّ بوابَ رسول الله ﷺ اليوم.

فجاء أبو بكر رضي الله تعالى عنه فدفع البابَ، فقلت: من هذا؟ فقال: أبو بكر. فقلت: على رِسلك. ثم ذهبتُ، فقلت: يا رسول الله؛، هذا أبو بكر رضي الله تعالى عنه يستأذن؟ فقال: (ائذن له، وبشّره بالجنة) فأقبلتُ حتى قلتُ لأبي بكر: ادخلْ، ورسولُ الله يبشِّرك بالجنة. فدخل أبو بكر رضي الله تعالى عنه، فجلس عن يمين رسول الله ﷺ معه في القُفِّ، ودلّى رجليه في البئر، كما صنع رسول الله ﷺ، وكشف عن ساقَيه.

ثم رجعتُ، فجلستُ، وقد تركتُ أخي يتوضّأ ويلحقني. فقلت: إن يُرد الله بفلانٍ خيراً-يريد أخاه-يأتِ به.

فإذا إنسانٌ يحرِّك البابَ، فقلت: من هذا؟ فقال: عمرُ بن الخطّاب. فقلتُ: على رِسلك. ثم جئتُ إلى رسول الله ﷺ، فسلّمتُ عليه، فقلت: هذا عمر بن الخطّاب يستأذن؟ فقال: (ائذن له، وبشِّره بالجنة) فجئتُ فقلت: ادخل وبشَّرك رسولُ الله ﷺ بالجنة. فدخل، فجلس مع رسول الله ﷺ في القُفِّ، عن يساره، ودلّى رجليه في البئر.

ثم رجعتُ، فجلستُ، فقلت: إن يُرِدِ الله بفلان خيراً يأت به.

فجاء إنسانٌ يحرِّك البابَ. فقلت: من هذا؟ فقال: عثمانُ بنُ عفان. فقلت: على رسلك. فجئتُ إلى رسول الله ﷺ فأخبرتُه. فقال: (ائذن له، وبشِّره بالجنة على بلوى تصيبه) فجئته، فقلت له: ادخل، وبشَّرك رسولُ الله ﷺ بالجنة على بلوى تصيبك. فدخل، فوجد القُفَّ قد مُلئ، فجلس وجاهَه من الشقِّ الآخَر. قال سعيد بن المسيّب: فأوَّلتُها قبورهم. متفق عليه(١٦٦٧).

* وعن سعيد بن زيد رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (عشرة في الجنة: أبو بكر في الجنة، وعُمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعليٌّ في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبيرُ في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن مالك في الجنة، وأبو عُبيدة في الجنة) وسكت عن العاشر. قالوا: ومن هو العاشر؟ قال: (سعيد بن زيد في الجنة)... الحديث، رواه الطَّيالِسي والحُمَيْدي وابن أبي شيبة وأحمد وابن أبي عاصم والأربعة والبغوي، وصحّحه الترمذي وابن حِبّان والحاكم والضياء في آخرين(١٦٦٨).

(١٦٦٧) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة: باب قول النبيِّ ﷺ: (لو كنتُ متَّخذاً خليلاً)، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، رقم (٢٩).

(١٦٦٨) مسند الطَّيالِسي (٣٢رقم٢٣٦) ومسند الحُمَيْدي (١: ٤٥) ومصنف ابن أبي شيبة (١٢: =

وقد جاء عند بعضهم بإسقاط أبي عُبيدة رضي الله تعالى عنه.

وقد ورد هذا الحديث عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

وهناك كثير من الصحابة أخبر رسول الله ﷺ عنهم أهم من أهل الجنة، فكيف يكونون من أهل الجنة إذا لم يكونوا ناجين من العذاب والعقاب، وأهم سعداء بما سينالونه من الثواب؟

- وعد الله تعالى نبيّه الكريم ﷺ أنه سيرضيه دلالة على نجاتهم:

فإذا انضم إلى ذلك: إرضاء الله تعالى رسوله الكريم ﷺ بهم دل دلالة صريحة واضحة على نجاهم وسعادهم.

ووعد الله تعالى لا يتخلّف، فكيف والنبيُّ المصطفى الكريم ﷺ سيد رسله، وصفوة خلقه،... ولم يعط أحداً ما أعطاه وأكرمه. حتى إنه تعالى يسارع في إرضائه(١٦٦٩).

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾(١٦٧٠).

= ١٢-١٣، ١٣، ١٥) ومسند أحمد (١: ١٨٧) وفضائل الصحابة (١: ١١٤-١١٧، ٢٠٤-٢٠٥، ٢٢١) والتاريخ الكبير (٥: ٢٧٣) والسنة (٢: ٦١٩-٦٢١) وسنن أبي داود: كتاب السنة: باب في الخلفاء، رقم (٤٦٤٩) وفضائل الصحابة للنسائي (١٠٥-١٠٦، ١٠٧، ١١١) وسنن الترمذي: كتاب المناقب: باب مناقب عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه، رقم (٣٧٤٨) وسنن ابن ماجَه: المقدمة: فضائل العشرة، رقم (١٣٣) ومسند أبي يعلى (٢: ٢٥٩-٢٦٠) والبحر الزخار (٤: ٩٥، ٩٩) ومسند الشاشي (١: ٢٣٤-٢٣٨ من طرق) وحلية الأولياء (١: ٩٥-٩٦) ومعرفة الصحابة (١: ١٤٥-١٤٩من طرق) وصحيح ابن حبّان (١٥: ٤٥٤) والمستدرك (٣: ٤٤٠) وشرح السنة (١٤: ١٢٩)، والمختارة (٣: ٢٨٢-٢٨٥، ٢٨٨-٢٩١).

(١٦٦٩) انظر عظيم قدره ﷺ، والخصائص، لحديث السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها.

(١٦٧٠) سورة الضحى (٥).

* وعن عبد الله بن عَمْرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما، أن النبي ﷺ تلا قولَ الله عز وجل في إبراهيم: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ الآية[١٦٧١]. وقال عيسى عليه السلام: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[١٦٧٢]. فرفع يديه وقال: (اللهم أمتي أمتي) وبكى. فقال الله عز وجل: يا جبريل؛ اذهب إلى محمد -وربك أعلم- فَسَلْهُ: ما يُبكيك؟ فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام، فسأله، فأخبره رسولُ الله ﷺ بما قال: -وهو أعلم- فقال الله عز وجل: يا جبريل؛ اذهب إلى محمد، فقل: إنّا سنُرْضيكَ في أُمَّتِك ولا نسوؤك). رواه مسلم[١٦٧٣].

* وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: (عُرِضت عليَّ الأنبياءُ الليلةَ بأممها، فجعل النبيُّ يمرُّ ومعه الثلاثة، والنبيُّ ومعه العصابةُ، والنبيُّ ومعه النفر،...). الحديث، وفيه: (ثم قيل لي: انظر عن يسارك، فنظرتُ، فإذا الأفقُ قد سُدَّ بوجوه الرجال، فقيل: لي أرضيتَ؟ فقلت: رضيتُ يا رب، رضيتُ يا رب،...) الحديث، رواه أحمد وعبد الرزاق والطبراني والبَزّار وأبو يعلى، وابن حِبّان والحاكم وصححاه وأقره الذهبي، وصححه ابنُ كثير وابنُ القيم والحافظ ابن حجر، ورجال أحمد وأبي يعلى والبَزّار رجالُ الصحيح[١٦٧٤]أيضاً.

(١٦٧١) سورة إبراهيم (٣٦).

(١٦٧٢) سورة المائدة (١١٨).

(١٦٧٣) صحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب دعاء النبي ﷺ لأمته، رقم (٣٤٦).

(١٦٧٤) مصنف عبد الرزاق (١٠: ٤٠٨-٤٠٩) ومسند أحمد (١: ٤٠١-٤٠٢) والمعجم =

وقد ورد نحو ذلك عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

فإذا كان الله تعالى لا يسيئه في أمته، وأنه تعالى سيرضيه فيها، والصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم هم مقدمتها-فهل أشد إساءة من عدم نجاة الأمة؟ لذا فإن إرضاء الله تعالى رسولَه الكريم ﷺ في أمته: دلالة على نجاتهم يوم القيامة، والله تعالى أعلم.

- الصحابة رضي الله تعالى عنهم كلهم في الجنة:

*** لذا أقول: إن الصحابةَ الكرام رضي الله تعالى عنهم كلهم في الجنة، سواء كان بنص خاص، كالمبشرين وأهل بدر والحُدَيْبِيَة وتبوك،... ومن لم يكن كذلك فلعموم الآيات الدّالة على خلودهم فيها، والله تعالى أعلم.**

- مقارنة بين الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم، وبين أصحاب موسى وحواريي عيسى عليهما السلام:

وإكمالاً للفائدة أذكر مقارنة بين الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، وبين أصحاب موسى وحواريي عيسى عليهما السلام، مقتصراً على أربعة مواقف، ليتضح لنا عظم مكانة الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، وعلو قدرهم، ورفعة شأنهم، وما لهم عند الله تعالى.

١- قال الله عز وجل عن أصحاب موسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُواْ قَالُواْ سَمِعْنَا

= (١٠: ٥-٨) ومسند أبي يعلى (٩: ٢٣١-٢٣٣) والبحر الزخار (٤: ٢٧٠-٢٧٢) وكشف الأستار (٤: ٢٠٣-٢٠٤) وصحيح ابن حبّان (٨: ١١٥-١١٦) (٩: ٢٢٠) والمستدرك (٤: ٥٧٧-٥٧٨) وتفسير ابن كثير (١: ٣٩٢-٣٩٣) وحادي الأرواح (٨٩-٩٠) ومجمع الزوائد (٩: ٣٠٤-٣٠٥) (١٠: ٤٠٥-٤٠٦) وفتح الباري (١١: ٤٠٧).

وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾(١٦٧٥).

وقال جلَّ شأنه: ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾(١٦٧٦).

بينما يقول سبحانه وتعالى عن **أصحاب نبيه وحبيبه** ﷺ ورضي عنهم وأرضاهم: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾(١٦٧٧).

٢- وقال عز وجل عن **قوم موسى عليه السلام**: ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾(١٦٧٨).

فأصحابُ موسى عليه السلام: عصاة لا يسمعون، فساق لا يطيعون. بينما الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم سامعون مطيعون،... فشتان بين الموقفين والفريقين.

بينما قال **الصحابة رضي الله تعالى عنهم** -على لسان المقداد رضي الله تعالى عنه- يوم بدر، عندما جاءهم خبر مسير قريش، واستشارهم ﷺ: يا رسول الله؛ امضِ لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك، كما قالت بنو

(١٦٧٥) سورة البقرة (٩٣).

(١٦٧٦) سورة النساء (٤٦).

(١٦٧٧) سورة البقرة (٢٨٥).

(١٦٧٨) سورة المائدة (٢٤-٢٥).

إسرائيل لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى بَرْك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه.

وقال له سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه: آمنا بك، وصدَّقْناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا، على السمع والطاعة، فامضِ يا رسول الله لما أردت، فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلّف منا رجل واحد،...إلخ(١٦٧٩). فيلاحظ الفارق الكبير بين:

- قول بني إسرائيل وبين قول الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم.

- وبين قول موسى عليه السلام: ﴿لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾ وبين موقف المسلمين، حتى جعلوا رسول الله ﷺ يفرح، ويُسَر بموقفهم رضي الله تعالى عنهم، لذا بشَّرهم ﷺ بإحدى الحسنيين.

- كما طلب موسى عليه السلام من الله تعالى أن يفرق بينه وبين قومه، لأنهم فاسقون ﴿فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾. بينما النبي المصطفى الكريم ﷺ لم يتخل عن أمته في الدنيا، ولن يتخلى عنها في الآخرة، بل كان ﷺ يكثر الدعاء لها -يخصها به- ويترك أمر نفسه لربه عز وجل.

٣- وقال الله تعالى عن بني إسرائيل: ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا

(١٦٧٩) انظر: صحيح البخاري: كتاب المغازي: باب قوله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾. وصحيح مسلم: كتاب الجهاد: باب غزوة بدر، رقم (٨٣) والسيرة النبوية لابن هشام (٢: ٣٠٥-٣٠٦) واللفظ له، وفتح الباري (٧: ٢٨٧-٢٨٨).

لِمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ ...﴾[1680].

لقد طلبوا من موسى عليه السلام حضور المناجاة -وهذا الطلب فيه إساءةُ أدب منهم، وعدمُ يقين وتصديق- فلما حضروا، فبدلاً من إظهار الندم والاعتذار عن عبادة العجل: طلبوا رؤية الله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾[1681].

بينما أخبر الله تعالى عن المسلمين أنهم يؤمنون بالغيب، لذا لم تزدهم الشهادة إلاّ إيماناً ويقيناً؛ فقد قال الله تعالى فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾.

* وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ صعد أُحُداً، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، فرجف بهم، فضربه برجله؛ وقال: (اثبت أحد، فإنما عليك نبيٌّ وصدِّيق وشهيدان). رواه البخاري[1682].

* وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ كان على حراء هو وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، فتحركت

(١٦٨٠) سورة الأعراف (١٥٥).

(١٦٨١) سورة البقرة (٥٤-٥٦).

(١٦٨٢) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة: باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، وباب مناقب عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه.

الصخرة، فقال رسول الله ﷺ: (اهدأ، فما عليك إلاّ نبي، أو صديق، أو شهيد). رواه مسلم(١٦٨٣).

* وعن ثُمامةَ بنِ حَزن القُشيريِّ رحمه الله تعالى قال: شهدتُ الدارَ حين أشرف عليهم عثمانُ رضي الله تعالى عنه فقال:...أنشدكم بالله والإسلام، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ كان على ثَبير: ثبير مكةَ، ومعه أبو بكر وعُمر وأنا، فتحرَّك الجبلُ، فركضه رسولُ الله ﷺ برِجله، وقال: (اسكن ثبير، فإنما عليك نبيٌّ، وصِدِّيقٌ، وشهيدان)؟ قالوا: نعم. قال: اللهُ أكبرُ، شهدوا لي وربِّ الكعبةِ، يعني: أني شهيد. رواه الترمذي وحسَّنه، والنَّسائي والدارقطني.

* ورواه النَّسائي والدارقطني من طريق آخر بنحوه، برجال ثقات، وسند صحيح(١٦٨٤).

* فالذين مع النبي ﷺ صدِّيقون وشهداء رضي الله تعالى عنهم، بينما الذين مع موسى عليه السلام: فساق، سفهاء ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾. ﴿فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾. فشتان بيم الفريقين والجماعتين.

٤-وقال سبحانه وتعالى عن الحواريين: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ

(١٦٨٣) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب فضائل طلحة والزبير رضي الله تعالى عنهما، رقم (٥٠).

(١٦٨٤) سنن الترمذي: كتاب المناقب: باب في مناقب عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، رقم (٣٧٠٣) وسنن النَّسائي: كتاب الأحباس: باب وقف المساجد (٦: ٢٣٥-٢٣٦، ٢٣٦) والسنن الكبرى له (٤: ٩٧، ٩٧-٩٨) والسنة لابن أبي عاصم (٢: ٨٧٤-٨٧٦، ٨٧٧-٨٧٨) وسنن الدارقطني (٤: ١٩٦).

مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا وَنَكُونَ عَلَيۡهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾[١٦٨٥].

ما هذا الجهل بربهم، والتشكيك بقدرته تعالى، وعدم اليقين بصدق نبيهم عليه السلام حتى يطلبوا آية على ذلك كله[١٦٨٦].

بينما **الصحابة رضي الله تعالى عنهم** -من كثرة ما رأوا من الآيات، وقد بلغ ذلك عندهم مبلغ القطع واليقين- لم يعد يحتاجون إلى من يخبرهم بها، أو يلزم رؤية ذلك، بل صاروا يعتقدون حصوله، ولو لم يطلبوا ذلك.

* فعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما، أن أباه توفي وترك عليه ثلاثين وسقاً لرجل من اليهود، فاستنظره جابر، فأبى أن يُنْظِرَه، فكلَّم جابرٌ رسولَ الله ﷺ ليشفع له، فجاء رسولُ الله ﷺ، فكلَّم اليهوديَّ ليأخذ تَمرَ نخله بالتي له فأبى، فدخل رسول الله ﷺ النخل فمشى فيها، ثم قال لجابر: (جُدَّ له، فأوف له الذي له) فجدَّ بعد ما رجع رسول الله ﷺ، فأوفاه ثلاثين وسقاً، وفضلت له سبعة عشر وسقاً، فجاء جابرٌ رسولَ الله ﷺ ليخبره بالذي كان، فوجده يصلي العصر، فلما انصرف، أخبر بالفضل.

فقال: (أخبر ذلك ابنَ الخطاب) فذهب جابرٌ إلى عمر فأخبره، فقال له عمر رضي الله تعالى عنه: لقد علمتُ حين مشى فيها رسولُ الله ﷺ لَيُباركَنَّ

(١٦٨٥) سورة المائدة (١١٢-١١٣).

(١٦٨٦) انظر: مكانة النبي الكريم ﷺ بين الأنبياء عليهم السلام، فقد ذكرت ما يؤخذ من هذه الآيات، ومآل هؤلاء السائلين.

فيها. لفظ البخاري(١٦٨٧).

وفي رواية له(١٦٨٨) قال عمر رضي الله تعالى عنه: إلاّ يكون قد علمنا أنك رسولُ الله؟ والله إنك لرسولُ الله. وللحديث طرق وروايات متعددة.

* وسبب إخبار عمر رضي الله تعالى عنه؛ لأنه كان مع رسول الله ﷺ حين طاف بالنخل، وكان يرى في بادئ الأمر أنه لا يكفي الدَّين. لذا أخبر رضي الله تعالى عنه أنه لما رأى رسول الله ﷺ قد طاف بالنخل أنه سيبارك فيه، وكان كذلك، لذا فإنه لا يحتاج إلى دليل آخر(١٦٨٩).

وهناك نصوص كثيرة ذكرها في (شوق الجمادات واستجابتها لـه ﷺ) فيها آيات يصدرها الله تعالى على يد رسوله ﷺ، حتى بلغ ذلك عندهم مبلغ القطع، لذا إن طلبوا فلمعرفتهم بحصولها، لا للدلالة على صدقه ونبوته ﷺ.

لذا اتضح الفارق الكبير بين أصحاب رسول الله ﷺ وبين أصحاب موسى وعيسى عليهما السلام، أجَلِّ رسل بني إسرائيل، والله تعالى أعلم.



(١٦٨٧) صحيح البخاري: كتاب الاستقراض: باب إذا قاص أو جازفه في الدَّين تمراً بتمر أو غيره.

(١٦٨٨) صحيح البخاري: كتاب الهبة: باب إذا وهب ديناً على رجل.

(١٦٨٩) انظر: فتح الباري (٦: ٥٩٤). وانظر (مكانة النبي الكريم ﷺ بين الأنبياء عليهم السلام) فقد توسعت في بيان هذه المفارقة.

الفصل الرابع

اعتقاد عدالتهم رضي الله تعالى عنهم

- المراد بالعدالة، وبيان شروطها:

المراد بالعدالة: أن يكون الراوي مسلماً، بالغاً، عاقلاً، سالماً من أسباب الفسق، وخوارم المروءة.

- **كونه مسلماً:** هذا بالإجماع، فلا تقبل رواية الكافر حين الأداء، أمّا لو تحمَّل الحديثَ قبل إسلامه ثم أدّاه بعد إسلامه فهذا مقبول، لأن مقامَ الرواية مقامُ تشريف، ثم إن الكافر غيرُ مأمونٍ على أداء الحديث.

- **وكونه بالغاً:** وذلك حين الأداء أيضاً، ولا يضر أن يكون قد تحمّل الحديث قبل بلوغه ثم أدّاه بعد بلوغه، وهذا ملاحظ في كثير من الصحابة؛ كابن عمر وابن عباس وابن الزبير والحسنين ورافع بن خَديج والبراء بن عازب ومحمود بن الربيع،... في كثيرين، رضي الله تعالى عنهم.

- **وكونه عاقلاً:** وهذا بالإجماع، لأن رواية المجنون لا تقبل.

- **وكونه سالماً من أسباب الفسق:** الظاهرة والباطنة،...إلخ.

- **وكونه سالماً من خوارم المروءة:** أي أن يكون محترزاً عما يُذم شرعاً.

* **وعرّفها الحافظ ابن حجر** رحمه الله تعالى بقوله: من له ملكة تحمله على ملازمة التقوى والمروءة.

- **والمراد بالتقوى:** اجتناب الأعمال السيئة؛ من شرك أو فسق أو بدعة.

- والمراد بالمروءة: الاحتراز عما يُذمُّ عرفاً، وذلك بأن يتخلّق بالكمال في الخُلُق والعادات واللباس والحركات،... وسائر الصفات، وأن يبتعد عن كل ما هو نقصان.

وتثبت العدالة بأحد أمرين:

١- أن ينصَّ عدلان معروفان على عدالته.

٢- بالاستفاضة والشهرة. فمن اشتهرت عدالته بين أهل العلم، وشاع الثناء عليه بالثقة والأمانة فهو عدل.

وهذا واضح من قوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾.

ومن قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾.اهـ من مختصر علوم الحديث.

فهل بعد تعديل الله تعالى وثنائه على الاصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم، وثناء رسوله الكريم ﷺ عليهم، يحتاج إلى تعديل؟

- اتفاق أهل السنة والجماعة على عدالتهم رضي الله تعالى عنهم:

لذا اتفق أهل السنة والجماعة[١٦٩٠] على أن الصحابةَ الكرامَ رضي الله تعالى عنهم كلّهم عدولٌ، ولم يخالف في ذلك إلاّ شذوذ من أهل البدعة.

* وقد ذكر الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى -في كتابه الكفاية- فصلاً نفيساً تحت عنوان: (باب ما جاء في تعديل الله تعالى ورسوله ﷺ

(١٦٩٠) انظر: البرهان للجويني (١: ٦٢٥-٦٣٢) والاستيعاب (١: ٢-٦) والكفاية (٩٣-٩٧) والمستصفى (١: ١٦٤) والأحكام للآمدي (٢: ٩٠) وعلوم الحديث (٢٦٤-٢٦٥) والإرشاد (٢: ٥٩١-٥٩٣) واختصار علوم الحديث (١٨١-١٨٣)ومحاسن الاصطلاح (٤٢٧) والتقييد والإيضاح (٣٠٢) وشرحَي الألفية (٣: ١٣-١٤) والإصابة (١: ١٠-١٤) وفتح المغيث (٣: ١٠٠) والتقريب مع التدريب (٢: ٢١٤) والرياض المستطابة (١٢).

للصحابة، وأنه لا يحتاج إلى سؤال عنهم، وإنما يجب فيمن دونهم).

* قال رحمه الله تعالى فيه: كلُّ حديث اتصل إسناده بين من رواه وبين النبي ﷺ: لم يلزم العملُ به إلاّ بعد ثبوت عدالة رجاله، ويجب النظر في أحوالهم، سوى الصحابي الذي رفعه إلى رسول الله ﷺ، **لأن عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله سبحانه وتعالى لهم. وإخباره عن طهارتهم، واختياره لهم في نص القرآن،**... ثم ذكر الآيات والأحاديث، كما سيأتي الإشارة إليه.

* قال ابن أبي حاتم الرازي رحمه الله تعالى[١٦٩١]: فأما أصحاب رسول الله ﷺ: فهم الذين شهدوا الوحيَ والتَّنْزيلَ، وعرفوا التفسيرَ والتأويلَ، وهم الذين اختارهم الله عز وجل لصحبة نبيه ﷺ ونصرته، وإقامة دينه، وإظهار حقه، فرضيهم له صحابةً، وجعلهم لنا أعلاماً وقدوة، فحفظوا عنه ﷺ ما بلَّغهم عن الله عز وجل، وما سن وشرع، وحكم وقضى، وندب وأمر، وحظر، وأدب، ووعوه، وأتقنوه، ففقهوا في الدين، وعلموا أمرَ الله تعالى ونهيَه، ومرادَه -بمعاينة رسول الله ﷺ، ومشاهدتهم منه- تفسيرَ الكتاب وتأويله، وتلقفهم منه، واستنباطهم عنه.

فشرَّفهم الله عز وجل، بما مَنَّ عليهم، وأكرمهم به منْ وضعه إياهم موضعَ القدوة، فنفى عنهم الشكَّ والكذبَ، والغلطَ والريبةَ، والغمزَ، وسماهم عدولَ الأمة، فقال عز ذكره في محكم كتابه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[١٦٩٢] ففسر النبي ﷺ عن الله عز ذكره قولَه:

(١٦٩١) مقدمة الجرح والتعديل (٧-٨).

(١٦٩٢) سورة البقرة (١٤٣).

﴿وَسَطًا﴾ قال: (عدلاً) فكانوا عدولَ الأمة، وأئمةَ الهدى، وحججَ الدين، ونقلةَ الكتاب والسنة.

وندب الله عز وجل إلى التمسك بهديهم، والجري على منهاجهم، والسلوك لسبيلهم، والاقتداء بهم، فقال: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾(١٦٩٣)...إلخ فانظره.

* وقال الإمام ابن حزم رحمه الله تعالى(١٦٩٤): أصحابه كلّهم عُدُولٌ فاضلٌ من أهل الجنة،...

قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾(١٦٩٥).

وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾(١٦٩٦).

فثبت أن الجميعَ من أهل الجنة، وأنه لا يدخل أحد منهم النار؛ لأنهم المخاطَبون بالآية السابقة، والله تعالى أعلم.اهـ.

* وقال رحمه الله تعالى أيضاً: أما الصحابة رضي الله تعالى عنهم، فهم كلُّ من جالس النبيَّ ﷺ، ولو ساعة، وسمع منه، ولو كلمة فما فوقها، أو شاهد منه عليه الصلاة والسلام أمراً يعيه، فهو صاحبٌ، وكلهم عدلٌ إمامٌ

(١٦٩٣) سورة النساء (١١٥).

(١٦٩٤) الإحكام في أصول الأحكام (٥: ٩٠-٩١).

(١٦٩٥) سورة الحديد (١٠).

(١٦٩٦) سورة الأنبياء (١٠١).

فاضلٌ، رضيٌّ، فرضٌ علينا توقيرُهم، وتعظيمُهم، وأن نستغفر لهم ونحبهم، وتَمْرَةٌ يتصدق بها أحدُهم أفضلُ من صدقة أحدنا بما يملك، وجلسةٌ من الواحد منهم مع النبي ﷺ أفضلُ من عبادة أحدنا دهره،... وكلُّهم عدول فاضل من أهل الجنة.

* وقال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله تعالى: إن العلم محيط بأن السننَ أحكامٌ جاريةٌ على المرء في دينه، في خاصة نفسه، وفي أهله وماله، ومعلوم أن من حكم بقوله، وقضى بشهادته: فلا بد من معرفة اسمه ونسبه وعدالته والمعرفة بحالته.

ونحن وإن كان الصحابة رضي الله تعالى عنهم قد كُفينا البحث من أحوالهم؛ **لإجماع أهل الحق من المسلمين -وهم أهل السنة والجماعة- على أنهم كلهم عدول**؛ فواجب الوقوف على أسمائهم، والبحث عن سيرهم وأحوالهم؛ لِيُهْتَدى بهديهم، فهم خير من سلك سبيله، واقْتُدِيَ به.اهـ.

* وقال الإمام الغزاليُّ رحمه الله تعالى[١٦٩٧]: عدالة الصحابة رضي الله تعالى عنه، وهو معتقدنا في جميعهم، وعليه ينبني قبول رواياتهم، واستثنت المعتزلة طلحة والزبير وعائشة رضوان الله عليهم، تعويلاً على ما صدر منهم،... وما من أمر ينقل إلاّ ويتطرق إليه احتمال.

فالنظر إلى ثناء رسول الله ﷺ، وتبجيله إياهم: أولى من إساءة الظن بهم بالاحتمال،...إلخ.

* وقال ابن الأثير رحمه الله تعالى[١٦٩٨]: لا خفاء على من كان له قلب

(١٦٩٧) المنخول (٢٦٦).

(١٦٩٨) أسد الغابة (١: ٩-١٠).

أو ألقى السمع وهو شهيد أنّ من تبوأ الدار والإيمان من المهاجرين والأنصار والسابقين إلى الإسلام والتابعين لهم بإحسان، الذين شهدوا الرسول ﷺ وسمعوا كلامه، وشاهدوا أحواله، ونقلوا ذلك إلى من بعدهم من الرجال والنساء، من الأحرار والعبيد والإماء: أولى بالضبط والحفظ، وهم الذين آمنوا و لم يلبسوا إيمانهم بظلم، أولئك لهم الأمن وهم مهتدون، بتزكية الله سبحانه وتعالى لهم، وثنائه عليهم،... والصحابة يشاركون سائر الرواة في جميع ذلك إلاّ في الجرح والتعديل، فإنهم كلهم عدول، لا يتطرّق إليهم الجرح، لأن الله عز وجل ورسوله ﷺ زكياهم وعدّلاهم، وذلك مشهور، لا نحتاج لذكره.اهـ.

* وقال الإمام ابن الصلاح-ومن لخص كلامَه رحمهم الله تعالى-: للصحابة بأسرهم خصيصة، وهي أنه لا يُسأل عن عدالة أحد منهم، بل ذلك أمرٌ مفروغٌ منه؛ لكونهم على الإطلاق معدَّلين بنصوص الكتاب والسنة وإجماع من يعتد به في الإجماع من الأمة.اهـ.

* وقال رحمه الله تعالى: ثم إن الأمة مجمعة على تعديل جميع الصحابة، ومن لابَسَ الفتنة منهم فكذلك بإجماع العلماء الذين يُعتد بهم في الإجماع، إحساناً للظن بهم، ونظراً إلى ما تمهد لهم من المآثر، وكأن الله سبحانه وتعالى أتاح الإجماع على ذلك لكونهم نقلةَ الشريعة، والله تعالى أعلم.اهـ.

* وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: الصحابةُ كلهم عدول عند أهل السنة والجماعة، لما أثنى الله تعالى عليهم في كتابه العزيز، وبما نطقت به السنة النبوية في المدح لهم في جميع أخلاقهم وأفعالهم، وما بذلوه من الأموال

والأرواح بين يدي رسول الله ﷺ، رغبة فيما عند الله من الثواب الجزيل، والجزاء الجميل.اهـ.

* وقال الحافظ السخاوي رحمه الله تعالى: وهم رضي الله تعالى عنهم باتفاق أهل السنة عدولٌ كلُّهم مطلقاً، كبيرُهم وصغيرُهم، لابَسَ الفتنةَ أو لا، وجوباً لحسن الظن، ونظراً إلى ما تمهّد لهم من المآثر، من امتثال أوامره بعده ﷺ، وفتحهم الأقاليم، وبتبليغهم عنه الكتاب والسنة، وهدايتهم الناس، ومواظبتهم على الصلاة والزكاة، وأنواع القربات، مع الشجاعة والبراعة، والكرم والإيثار، والأخلاق الحميدة التي لم تكن في أمة من الأمم المتقدمة.اهـ.

فهم رضي الله تعالى عنهم كلهم ثقات عدول أمناء، ثبت ذلك لهم في كتاب الله عز وجل، وفي سنة رسول الله ﷺ، حيث ورد فيهما من الثناء والمدح والإطراء، وعلو الْمَنْزلة، والشهادة لهم بالإيمان واليقين والخلود في الجنان...الشيءُ الكثير(١٦٩٩)، وعلى ذلك انعقد إجماع أهل السنة والجماعة ببيان فضلهم، وعلو مَنْزلتهم، وكريم مكانتهم، وجميل الثناء عليهم، رضي الله تعالى عنهم، وحشرنا معهم، ورزقنا حبهم، وحسن الظن بهم.

وهذا الثناء من الله جل شأنه ورسوله الكريم ﷺ كافٍ في الدلالة على عدالتهم رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم. فكيف وقد جاءت الآيات الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة تبيِّن عدالتَهم، وتصرِّح بها، ولهذا انعقد الإجماع على ذلك، والله تعالى أعلم.

(١٦٩٩) انظر: المصادر السابقة إضافة إلى كتب الأصول، حيث ذكروا الآيات القرآنية، وبعض الأحاديث النبوية، إضافة إلى نقلهم الإجماع على ذلك.

- الأدلة على عدالتهم رضي الله تعالى عنهم:

* لقد دل القرآن الكريم، والسنة النبوية، والإجماع على عدالتهم(١٧٠٠).

لذا فإني أكتب مختصراً من هذه المصادر الثلاثة:

* الأول: الأدلة من القرآن الكريم:

لقد استدل عامَّةُ العلماء -الذين ذكرتُهم والذين لم أكرهم- رحمهم الله تعالى بعدد من الآيات الكريمة للدلالة على عدالة الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم، أقتصر على عشر آيات، سواء ذكروها أم لم يذكروها.

- هم رضي الله تعالى عنهم خير الأمم:

قال الله عز وجل: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾(١٧٠١).

قال إمام الحرمين رحمه الله تعالى: اتفق المفسرون أنها واردة في أصحاب رسول الله ﷺ. فإذاً هم معدَّلون بنصوص الكتاب، مزكَّوْن بتزكية الله عز وجل إياهم.

(١٧٠٠) ما أكتبه في هذه الفقرة مأخوذ من: البرهان في أصول الفقه (١: ٦٢٦-٦٣٢) والكفاية (٩٣-٩٦) والاستيعاب (١: ٩) والإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (٥: ٨٩-٩١) والمحصول للرازي (٢: ١: ٤٣٦-٤٣٧) وعلوم الحديث (٢٦٤-٢٦٥) وإرشاد طلاب الحقائق (٢: ٥٩١-٥٩٣) والتقريب، وشرحه التدريب (٢: ٢١٤-٢١٦) واختصار علوم الحديث (١٨١-١٨٢) ونهاية السول (٢: ٣١٣) والمقنع في علوم الحديث (٢: ٤٩٢-٤٩٤) وجمع الجوامع (٢: ١٦٦) وشرح ألفية الحديث للعراقي (٣: ١٣-١٤) والإصابة (١: ٩-١٢) وفتح المغيث (٣: ١٠٠-١٠٧) والغاية في شرح الهداية في علم الرواية للسخاوي (١: ٣٨١-٣٨٢) وفواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت (٢: ١٥٥-١٥٦) بحاشيةالمستصفى، والصواعق المحرقة (٣١٥-٣٢٠) وشرح الكوكب المنير (٢: ٤٧٣) وإرشاد الفحول (٦٩-٧٠) وما أكرم الله تعالى مما ليس في هذه الكتب.

(١٧٠١) سورة آل عمران (١١٠).

فقد حكم الله عز وجل لهم بأنهم خيرُ الناس على الإطلاق، سواء من السابقين أو اللاحقين -يعني باستثناء الأنبياء والرسل عليهم السلام- وهذا ما بيّنه رسول الله ﷺ كما سيأتي بعد قليل، أعلى أنواع التعديل.

فقد أثبت الله تعالى لهم الخيرية على سائر الأمم، ولا شيء يعادلُ شهادةَ الله تعالى لهم بذلك. لأنه تعالى أعلمُ بعباده، وما انطووا عليه من الخيرات وغيرها.

فإذا شهد الله تعالى فيهم بأنهم خيرُ الأمم؛ وجب على كلّ أحدٍ اعتقادُ ذلك، والإيمانُ به، وإلاّ كان مكذِّباً لله تعالى في أخباره.اه من الهيتمي.

* وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: (خيرُ قرون الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قومٌ؛ تسبق شهادة أحدهم يمينَه، ويمينُه شهادتَه). متفق عليه[١٧٠٢].

- هم رضي الله تعالى عنهم عدول، لذا صاروا شهداء على الناس:

لقد شهد الله تعالى للصحابة رضي الله تعالى عنهم أنهم عدول وسط، لذا جعلهم تعالى شهداء على الناس، ولا يشهد عليهم إلاّ رسول الله ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[١٧٠٣].

وقال الله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا

(١٧٠٢) صحيح البخاري: كتاب الشهادات: باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم،... رقم (٢١١-٢١٢).

(١٧٠٣) سورة البقرة (١٤٣).

عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾(١٧٠٤).

قال ابن الصلاح رحمه الله تعالى: هذا خطابٌ مع الموجودين حينئذٍ.اهـ.

والشهادة لا تُقبل إلاّ من عدل، والوسط: هو العدل، كما سيأتي بعد قليل إن شاء الله تعالى.

قال الحافظ السخاوي رحمه الله تعالى: والجمهور على ورودها فيهم، مع ترجيح كثير عمومَها في الأمة.

أقول: حتى لو كانت على العموم فهم داخلون فيها دخولاً أوّلياً، لأنهم هم المشافَهون بالخطاب، وقد حكم الله تعالى أنهم عدول، وهل فوق حكم الله تعالى حكم؟ وهل فوق تعديل الله تعالى تعديل؟ وهل فوق شهادته تعالى قول ! ثم هل يستشهد الله تعالى غيرَ عدل، أو بمرتد بعد وفاة نبيِّه الكريم ﷺ؟

- رضاء الله تعالى عليهم:

لقد تكررت الآيات الكريمة التي تنص على أن الله تعالى رضيَ عن الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وجاء ذلك في مواطن متعددة، لكن منها إخباره تعالى عن رضاه حسب، وفي مواطن ورضاهم هم عنه تعالى بعد رضاه تعالى عنهم، منها:

قال سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾(١٧٠٥).

قال الله عز وجل: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ

(١٧٠٤) سورة الحج (٧٨).

(١٧٠٥) سورة الفتح (١٨).

ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾(١٧٠٦).

ومن رضي الله سبحانه وتعالى عنه فلا يسخط عليه أبداً؛ لأن خبر الله تعالى لا يتخلَّف. وعلمَه تعالى محيط بما كان وبما يكون، فلو لم يعلم ببقائهم على إيمانهم وصلاحهم، وبوفاتهم على الإيمان،... لَما رضي تعالى عنهم. ثم إن رضاه تعالى عنهم هو أعلى درجات التعديل، لأنهم لو لم يكونوا عدولاً صالحين صادقين مخلصين لما رضي الله تعالى عنهم.

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾(١٧٠٧).

فقد أخبر تعالى برضاه على السابقين من المهاجرين والأنصار رضي الله تعالى عنهم، ورضاهم عنه تعالى، ومن رضي الله تعالى عنه فلا يمكن أن يموت على الكفر، لأن العبرة بوفاته على الإيمان، فلو لم يعلم تعالى أنهم يموتون على الإيمان ما رضي الله تعالى عنهم. فلما رضي الله تعالى عنهم دلَّ على نجاتهم وعلو مقامهم عنده تعالى، ثم إن الله تعالى لا يرضى إلاّ على خير عباده، فمن رضي الله تعالى عنه فقد نال الدرجة التي لا تدانيها درجة.

* فعن أبي سعيد الخُدْري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

(١٧٠٦) سورة المجادلة (٢٢).

(١٧٠٧) سورة التوبة (١٠٠) وانظر سورة المائدة (١١٩) وسورة البينة (٨).

(إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة: يا أهلَ الجنة. فيقولون: لبيك ربّنا وسعديك، والخيرُ في يديك. فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى، يارب، وقد أعطيتنا ما لم تُعط أحداً من خلقك. فيقول: ألا أعطيكم أفضلَ من ذلك؟ فيقولون: يا رب، وأيُّ شيء أفضلُ من ذلك؟ فيقول: أُحلُّ عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبداً). متفق عليه(١٧٠٨).

فرضوان الله تعالى أعلى مَنْزلة في الجنة لذا وعد الله تعالى عبادَه المؤمنين أنه يعطيهموها فيها.

قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾(١٧٠٩). وهل بعد رضاء الله تعالى يُطلب تعديل؟

فإذا كان الله سبحانه وتعالى قد رضي عنهم-والرضا فوق العدل-لأن من رضي الله تعالى عنه فلا يسخط عليه. ولهذا جعلهم جل شأنه شهداء لرسله عليهم السلام على أممهم. والشاهدُ لا بد أن يكون عدلاً، فكيف وقد زكَّاهم الله تعالى وجعلهم عدولاً.

وقد أوضح رسول الله ﷺ ذلك.

فعن أبي سعيد الخُدْري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يُجاء بنوح يوم القيامة، فيُقال له: هل بلَّغتَ؟ فيقول: نعم يا رب، فتُسأل

(١٧٠٨) صحيح البخاري: كتاب الرقاق: باب صفة الجنة والنار، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها: باب إحلال الرضوان على أهل الجنة فلا يسخط عليهم أبداً، رقم (٩).

(١٧٠٩) سورة التوبة (٧٢).

أمته: هل بلَّغكم؟ فيقولون: ما جاءنا من نذير. فيقول: من شهودك؟ فيقول: محمد وأمته. فيجاء بكم، فتشهدون) ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ قال: (عدلاً) ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ رواه البخاري(١٧١٠).

وقوله: (قال: عدلاً) هو مرفوع من أصل الحديث، كما جاء في رواية التفسير عند البخاري: (والوسط: العدل) لذا نبه عليه الحافظُ ابن حجر رحمه الله تعالى في الفتح(١٧١١).

فإذا كان الله تعالى جعلهم عدولاً، وخَلَقَهم كذلك، وجعلهم شهوداً لرسله عليهم السلام على أممهم، وقَبِل الله تعالى شهادتهم ورضيَها-لذا أقام بها الحجة على الأمم-فكيف لا نُسلّم لهم بذلك، ونُقرُّ به ونعترف؟!!

ثم إذا قَبِل الله تعالى شهادتهم لرسله عليهم السلام على أممهم، فكيف لا يحكم المسلمون لهم بتلك المَنْزلة؟ لذا قاتل الله تعالى من خالف أمرَ الله عز وجل، وحكم عليهم بالضلال والكفر، وامتلأ قلبُه بالبغضاء والحقد، لأنه لو كان مدرِكاً لخطورة ما يفعل، ويعلم أنه يخالف قولَ ربّه تعالى، ما حكم عليهم هذا الحكمَ الجائر، والله تعالى المستعان.

- هم رضي الله تعالى عنهم أهل الصدق والفلاح:

لقد أخبر الله تعالى أن المهاجرين رضي الله تعالى عنهم أهل صدق، وأن

(١٧١٠) صحيح البخاري: كتاب الاعتصام: باب ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ وكتاب التفسير: سورة البقرة: باب ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾.

(١٧١١) انظر: فتح الباري (٨: ١٧٢).

الأنصار رضي الله تعالى عنهم أهل فلاح، بل جعلهم الله تعالى كلهم مع نبيه الكريم ﷺ من أهل الفلاح، ومن أهل الصدق.

قال الله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(١٧١٢).

وقال الله تعالى: ﴿لَٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(١٧١٣).

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾(١٧١٤).

فمن حكم الله تعالى له بأنه صادق، ومن أهل الصدق، وأنه مفلح، فهذه شهادة عالية جدًّا، فقد صدّقهم الله تعالى في إيمانهم وقصدهم ونيتهم ومبتغاهم وعملهم،... فماذا يقال بعد ذلك؟!

إن هذا تعديل من الله تعالى لهم جميعاً، لأن من شرط العدالة الصدق، رزقنا الله تعالى حبَّهم والحشرَ معهم.

(١٧١٢) سورة الحشر (٨-٩).

(١٧١٣) سورة التوبة (٨٨-٨٩).

(١٧١٤) سورة الحجرات (١٥).

- اصطفاء الله تعالى لهم رضي الله تعالى عنهم:

لقد اصطفى الله تعالى الصحابةَ الكرامَ رضي الله تعالى عنهم من جميع الخلق، ليكونوا أصحاباً وأنصاراً وأصهاراً لرسوله الكريم ﷺ، وحملةً لهذا الدين، ومبلغي رسالته، ومن اصطفاه الله تعالى فكيف يكون؟

قال الله عز وجل: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾(١٧١٥).

في هذه الآية الكريمة يطلب الله سبحانه وتعالى من نبيه وصفيه الكريم ﷺ أن يحمد الله سبحانه وتعالى على نعمه علينا، وتوفيقه إيانا للهداية. مع إخباره تعالى عن السلامِ على الصحابة الكرام الذين اصطفاهم الله تعالى.

وقال الله عز وجل: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾(١٧١٦).

فإذا كان الله تعالى قد اصطفاهم من العالمين ليكونوا حملةَ هذا الدين، وصحابةً لنبيه الكريم ﷺ، فكيف يكون اختياره تعالى؟ ومن هم الذين يختارهم ويصطفيهم؟

- لا يخزيهم الله تعالى يوم القيامة:

لقد أخبر الله تعالى أنه لا يخزي نبيَّه الكريمَ ﷺ ومن معه من المؤمنين يوم القيامة-والصحابةُ الكرام رضي الله تعالى عنهم في مقدمتهم-وفي هذا دلالة على علو مقامهم، ورفعة قدرهم عنده تعالى، بحيث يختم لهم بالإيمان.

قال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ

(١٧١٥) سورة النمل (٥٩).

(١٧١٦) سورة فاطر (٣٢). وانظر الباب الأول لمعرفة التعليق على الآيتين.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(1717).

لقد آمنهم الله تعالى من خزيه، ولا يأمن من خزيه في ذلك اليوم إلاّ الذين ماتوا-والله تعالى ورسولُه ﷺ عنهم راضٍ.

فأمنهم من الخزي صريحٌ في موهم على كمال الإيمان، وحقائق الإحسان، وفي أن الله تعالى لم يزل راضياً عنهم، وكذلك رسولُه ﷺ.

ورضاء الله تعالى عليهم دلالة على علو مقامهم عنده عز وجل، وهذا غاية التعديل منه تعالى لهم، والله تعالى أعلم.

- إلزامهم رضي الله تعالى عنهم كلمة التقوى، وأنهم أهلٌ لها:

يخبر الله سبحانه وتعالى عن ثنائه على الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم؛ بأن أنزل السكينة عليهم، وألزمهم كلمة التقوى، وكانوا أحق بها، وكانوا أهلاً لها. وهذا ثناء من الله تعالى عليهم، وبيان قوة إيمانهم ويقينهم رضي الله تعالى عنهم.

قال الله تعالى: ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾(1718).

فشهادة الله عز وجل بأن الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم أهلٌ لما ألزمهم به وهو كلمة التقوى، هذا غاية التعديل لهم، لأن الله تعالى بكل شيء عليم، فلولا أنه تعالى يعلم أنهم رضي الله تعالى عنهم أهلٌ لما وصفهم به،

(1717) سورة التحريم (8).

(1718) سورة الفتح (26).

وأنهم سيبقون على ذلك حتى يموتوا؛ ما وصفهم بذلك، والله تعالى أعلم.

- تأييد الله تعالى رسولَه الكريم ﷺ بهم رضي الله تعالى عنهم:

لقد أخبر الله تعالى عن تأييد نبيّه الكريم ﷺ بهم رضي الله تعالى عنهم، فلو لم يكونوا موضع ثقة ومكانة عالية عنده تعالى ما أيّد رسولَه الكريم ﷺ بهم.

قال الله عز وجل: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1719].

وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1720].

يخبر الله تعالى أنه إذا أراد الأعداءُ من اليهود -أو غيرهم- أن يخدعوا ويغدروا فإن الله سبحانه وتعالى يكفي رسولَه ﷺ شرهم وخداعهم؛ لأنه سبحانه وتعالى متكفل بإظهار دينه، وعصمة نبيِّه وصفيِّه ﷺ.

لذا أيّدَه الله سبحانه وتعالى بنصره له. وشدَّ أزره ﷺ بالمؤمنين-وهم الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم.

لقد وصفهم بالإيمان -ولم يصفهم المولى تعالى بوصف آخر- دلالة على أن ذاك لازم لهم، غير منفكٌ عنهم. وهو أشرف أوصافهم بعد الصحبة.

فلو لم يكونوا موضع ثقة عنده تعالى، ولهم المَنْزلة العالية لديه هل يشد أزرَ رسوله الكريم ﷺ بهم؟ والله تعالى أعلم.

- هم رضي الله تعالى عنهم المؤمنون حقّاً:

لقد أثنى الله تعالى على الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم -في آيات

(١٧١٩) سورة الأنفال (٦٢).

(١٧٢٠) سورة الأنفال (٦٤).

كثيرة- بالإيمان، وأنهم هم المؤمنون حقّاً، وهذا غاية التكريم منه عز وجل، لأن مثل هذه الشهادة منه جل شأنه لا تعادلها شهادة، ومعنى هذا أنهم سيموتون على الإيمان، لأنهم لو لم يكونوا كذلك ما وصفهم الله تعالى به.

وأقتصر على ذكر آية واحدة، وانظر الباب الأول لمعرفة المزيد.

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾[(١٧٢١)].

يذكر الله سبحانه وتعالى حكم المهاجرين السابقين الأولين والأنصار، ماذا لهم في الآخرة، ثم الذين هاجروا بعد ذلك فهو منهم. وقد وصفهم بالإيمان والهجرة والجهاد في سبيل الله والإيواء والنصرة.

وخصهم تعالى بحقيقة الإيمان ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ هذا الإيمان الذي لا مرية فيه ولا ريب، وهذه شهادة من الله تعالى لهم لا تتزعزع، ولا يمكن أن تُرد، ومن نفى عن أيِّ أحدٍ من المهاجرين والأنصار رضي الله تعالى عنهم سمةَ الإيمان، فقد ردَّ على الله عز وجل شهادتَه، كما ردَّ عليه إخباره، لذا كان على خطر كبير. فكيف لو نفى عنهم جميعاً أو عن أغلبهم، والعياذ بالله تعالى، أسأله تعالى أن يكرمنا بمحبتهم، وحسن الظن بهم، والحشرَ معهم.

ومن شهد الله تعالى له بحقيقة الإيمان كان ذلك غاية المدح والثناء منه عز وجل، ولا أعلى من ذلك.

(١٧٢١) سورة الأنفال (٧٤-٧٥). وانظر الباب الأول لبيان الأوصاف التي وصفهم الله تعالى بها في هاتين الآيتين.

- هم رضي الله تعالى عنهم مخلَّدون في الجنة:

لقد كثرت الأيات التي ذكر الله تعالى فيها خلود الصحابة رضـــي الله تعالى عنهم الأبدي في الجنة، وقد ذكرت كثيراً من ذلك في البـــاب الأول، فانظره. لكن أقتصر هنا على بعض الآيات.

وقال الله تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾(١٧٢٢).

قال الله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾(١٧٢٣)

قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾(١٧٢٤).

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ

(١٧٢٢) سورة التوبة (٨٨-٨٩).

(١٧٢٣) سورة التوبة (١٩-٢٢).

(١٧٢٤) سورة التوبة (٧٢).

جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾(١٧٢٥). في عشرات الآيات.

* عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: نزلت على النبي ﷺ ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ مرجعه من الحُدَيْبِيَة.

فقال النبي ﷺ: (لقد أُنزلت عليَّ الليلة آيةٌ أحبُّ إليَّ مما على الأرض) ثم قرأها عليهم النبي ﷺ. فقالوا: هنيئاً مريئاً يا نبي الله، قد بيَّن الله عز وجل ما يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فنزلت عليه: ﴿لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ متفق عليه، لكن اللفظ لأحمد، والترمذي وابن حبّان والحاكم، وصححوه، وغيرهم، وقد ساق مسلم رحمه الله تعالى سنده-بعد ذكره لأول الحديث-ثم لم يسق المتن(١٧٢٦).

*** الثاني: الأدلة من السنة القولية:**

إن الأحاديث التي فيها ثناءُ رسول الله ﷺ وتزكيتُه لهم، ومدحُه ﷺ

(١٧٢٥) سورة الفتح (٤-٥).

(١٧٢٦) صحيح البخاري: كتاب المغازي: باب غزوة الحُدَيْبِيَة، وكتاب التفسير: سورة الفتح: باب ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا﴾. وصحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير: باب صلح الحُدَيْبِيَة، رقم (٩٧) ومسند أحمد (٣: ١٩٧، ٢١٥، ٢٥٢) وسنن الترمذي: كتاب التفسير: باب ومن سورة الفتح، رقم (٣٢٦٣) والسنن الكبرى للنسائي (٦: ٤٦٢) والتفسير له (٢: ٣٠٤) وصحيح ابن حبّان (١: ٢٩٤) (٨: ١٠٨) والمستدرك (٢: ٤٥٩) وتفسير الطبري (٢٦: ٤٣-٤٤) وشرح السنة (١٤: ٢٢٢) ومعالم التنْزيل (٤: ١٨٨) والسنن الكبرى للبيهقي (٥: ٢١٧) ودلائل النبوة له (٤: ١٥٧-١٥٨) وأسباب النُّزول للواحدي (٤٠٤-٤٠٥).

إياهم، وأمرُه بإكرامهم، والثناء عليهم،...وعدم سبِّهم، ووجوب محبتهم، وتحريم بغضهم وكراهيتهم-لأن حبهم إيمان، وبغضهم نفاق وضلال،..-: كثيرةٌ جدًّا، ذكرتُ كثيراً منها في الباب الثاني، فارجع إليه إن شئت. لكني سأقتصر على عشرة عناوين للتنبيه، كما فعلت في الأدلة من القرآن الكريم.

* قال إمام الحرمين الجُوَيْني رحمه الله تعالى: ومن أقوى ما يعتصم به على الجاحدين المعاندين: سيرةُ الرسول ﷺ، فإنه كان يعرف أهلَ النفاق بأعيانهم، لا يخفى عليه مضمرُ الشقاق بينهم، وقد سمّاهم بأعيانهم لصاحب سره ومؤتمنه: حُذَيْفَة بن اليمان رضي الله تعالى عنهما.

وكان عليه وآله الصلاة والسلام يُبجِّل أهلَ الإخلاص منهم، وينزلهم منازلَهم، ويُحلُّ كلًّا على خطره في مجلسه. مُزَكِّين أبراراً، وكان رسول الله ﷺ يعتمدهم في نقل آثاره وأخباره، ويسألهم عن أخبارٍ غابت عنه. وكانوا عنده ﷺ ناقلين ومخبرين، واشتهر ذلك من سيرته ﷺ فيهم، وكان ذلك مسلكاً قاطعاً في ثبوت عدالتهم بتعديل الرسول ﷺ إياهم عملاً وقولاً.

ثم قال:...فقد ثبت تعديلُهم بنصوص الكتاب، وسيرة الرسول عليه وآله الصلاة والسلام، واتفاق الصحابة والتابعين وأئمة الحديث رضي الله تعالى عنهم أجمعين. ولا احتفال بعد ذلك بمطاعن النابغة الثائرين بعد انقراض الأئمة الماضين.اهـ.

وأذكر بعض الأحاديث الدالة على مكانتهم ورفعة قدرهم، ومن أراد الزيادة فلينظر في الباب الثاني.

- وجودهم رضي الله تعالى عنهم أَمَنَةٌ للأمة:

وكما جعل الله سبحانه وتعالى وجودَ نبيه وصفيِّه سيدنا محمد ﷺ أَمَنَةً لأصحابه رضي الله تعالى عنهم من العذاب والهلاك، كذلك جعل وجودَ الصحابة رضي الله تعالى عنهم أمنةً لهذه الأمة، وأنها ستبقى بخير، فلن تُصاب بهلاك أو دمار ما دام فيها أحد منهم، ولهذا لما ذهبوا رضي الله تعالى عنهم ظهرت البدع والفتن والكوارث، والله المستعان.

* فعن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال: صلينا المغرب مع رسول الله ﷺ، ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء. قال: فجلسنا، فخرج علينا، فقال: (ما زلتم ههنا؟) قلنا: نعم يا رسول الله، صلينا معك المغرب، ثم قلنا: نجلس حتى نصلي معك العشاء، قال: (أحسنتم -أو أصبتم-) قال: فرفع رأسه إلى السماء-وكان كثيراً ما يرفع رأسَه إلى السماء-فقال: (النجوم أَمَنَةٌ للسماء، فإذا ذهبت النجومُ أتى السماءَ ما توعد. وأنا أَمَنَةٌ لأصحابي، فإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يوعدون. وأصحابي أَمَنَةٌ لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون). روه مسلم[١٧٢٧].

* وعن واثلة بن الأسقع رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تزالون بخير ما دام فيكم من رآني وصاحبني،...).الحديث، رواه ابن أبي شيبة وابن أبي عاصم والطبراني وأبو نعيم، وبرجال ثقات، والحديث صحيح[١٧٢٨]، وعزاه الحافظ لابن أبي شيبة وحسنه، والله تعالى أعلم.

(١٧٢٧) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم: باب بيان أن بقاء النبي ﷺ أمان لأصحابه،... رقم (٢٠٧).

(١٧٢٨) مصنف ابن أبي شيبة (١٢: ١٧٨) والسنة (رقم١٥٢٢، ١٥٢٣) والمعجم الكبير (٢٢: =

فإذا كان وجودُهم أماناً للأمة، وأنها لن تزال بخير ما داموا موجــودين، فما مقامهم ومَنْزلتهم عند الله عز وجل حتى صاروا كذلك؟

- **هم رضي الله تعالى عنهم خير قرون بني آدم:**

* عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (بُعثت من خير قرون بني آدم؛ قَرْناً فقَرْناً، حتى كنتُ من القرن الذي كنت منــه). رواه البخاري[١٧٢٩].

* وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: (خــيرُ قرون الناس قرني، ثم الذين يلوهم، ثم الذين يلوهم،...). متفق عليه[١٧٣٠].

* وعن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنه، عن النبيّ ﷺ قال: (خيرُ هذه الأمة القرنُ الذي بُعثتُ فيهم، ثم الذين يلوهم،...) الحديث، متفق عليه[١٧٣١].

فهم خير القرون من زمن آدم حتى قيام الساعة.

فقد أثبت رسول الله ﷺ لهم الخيرية على سائر الأمم، ولا شيء يعادلُ شهادةَ رسول الله ﷺ لهم بذلك. لأنه ﷺ أعلمُ بالله وما يوحيه إليه.

= ٨٥-٨٦) ومسند الشاميين (١: ٤٥٢-٤٥٣) ومجمع الزوائد (١٠: ٢٠) والمطالــب العالية (٤: ١٤٧) وفتح الباري (٧: ٥) وكنــز العمال (١١: ٥٣٦).

(١٧٢٩) صحيح البخاري: كتاب المناقب: باب صفة النبي ﷺ.

(١٧٣٠) صحيح البخاري: كتاب الشهادات: باب لا يشهد على شهادة جور إذا شــهد، وفي كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، وفي الرقاق، وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب فضل الصحابة ثم الذين يلوهم،... رقم (٢١١-٢١٢).

(١٧٣١) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة: الباب الأول. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب فضل الصحابة، ثم الذين يلوهم،... رقم (٢١٥)

فإذا شهد رسول الله ﷺ فيهم بأنهم خيرُ الأمم؛ وجب على كلّ أحدٍ اعتقادُ ذلك، والإيمانُ به، وإلاّ كان مكذّباً لله لرسول الله ﷺ في أخباره.

ثم كيف يكونون خيرَ قرون البشرية؛ لو لم يكونوا أهلاً لذلك؟ وهذه الخيرية ثابتة لهم لا تزول عنهم، لأنه خبر الصادق المصدوق ﷺ.

- اختيار الله تعالى لهم ليكونوا أصحاباً وأنصاراً ووزراء لرسوله ﷺ:

* وعن عُوَيْم بن ساعدة رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله تبارك وتعالى اختارني، واختار لي أصحاباً، فجعل لي منهم وزرار، وأنصاراً وأصهاراً، فمن سبّهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يُقبل منه يومَ القيامة صرفٌ ولا عدلٌ). رواه ابن أبي عاصم والطبراني، وصححه الحاكم وأقره الذهبي(١٧٣٢). وله شواهد متعددة.

إذا كان الإنسان-ولله المثل الأعلى-يختار الأجود والأفضل والأحسن، ولا يختار جزافاً، فكيف باختيار الله تعالى لهؤلاء الصحابة رضي الله تعالى عنهم، لذا كان اختياره تعالى لهم: دلالة على كمالهم ورفعة مَنْزلتهم عنده تعالى، وعلو مقامهم لديه.

- هم رضي الله تعالى عنهم شهداء الله تعالى في أرضه:

* وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: مرّوا بجنازة، فأثنوا عليها خيراً، فقال النبيُّ ﷺ: (وجبت) ثم مرّوا بأخرى، فأثنوا عليها شرّاً،

(١٧٣٢) الآحاد والمثاني (٣: ٣٧٠) (٤: ٤) والسنة (٢: ٦٨٤) المعجم الكبير (١٧: ١٤٠) ومعجم الصحابة لابن قانع (٢: ٢٨٨) وحلية الأولياء (٢: ١١) ومعرفة الصحابة (رقم ٥٣٢٤) والمستدرك (٣: ٦٣٢) ومجمع الزوائد (١٠: ١٧).

فقال: (وجبت) فقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: ما وجبت؟ قال: (هذا أثنيتم عليه خيراً؛ فوجبت له الجنةُ، وهذا أثنيتم عليه شرّاً؛ فوجبت له النارُ، أنتم شهداء الله في الأرض). متفق عليه[١٧٣٣].

* ولفظ مسلم (من أثنيتُم عليه خيراً وجبت له الجنةُ، ومن أثنيتُم عليه شراً وجبت له النارُ. أنتم شهداء الله في الأرض. أنتم شهداء الله في الأرض. أنتم شهداء الله في الأرض).

فإذا كان الله تعالى يقبل شهادهم ويُمضيها ويرتضيها، وهو العليم بما في خفايا النفوس، فكيف لا تكون عند الخلق كذلك؟ مما يدل على أنهم عدول ثقات أمناء على شرع الله تعالى، حتى قبل الله تعالى شهادهم.

- عدم امكانية وصول المتأخر لدرجتهم رضي الله تعالى عنهم:

* فعن أبي سعيد الخُدْري رضي الله تعالى عنه قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شيء، فسبَّه خالد، فقال رسول الله ﷺ: (لا تسبوا أحداً من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثلَ أُحُد ذهباً، ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نَصيفَه). متفق عليه، واللفظ لمسلم[١٧٣٤].

* وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تسبّوا أصحابي، لا تسبّوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدَكم أنفق مثلَ أحُد ذهباً؛ ما أدرك مدَّ أحدهم ولا نصيفَه). رواه مسلم[١٧٣٥].

(١٧٣٣) صحيح البخاري: كتاب الجنائز: باب ثناء الناس على الميت. وصحيح مسلم: كتاب الجنائز: باب فيمن يُثنى عليه بخير أو شرٌ من الموتى، رقم (٦٠).

(١٧٣٤) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة: باب حدثنا الحميدي، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب تحريم سب الصحابة رضي الله تعالى عنهم، رقم (٢٢٢).

(١٧٣٥) صحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (٢٢١).

فإذا كان خالد بن الوليد-وخالد هو خالد رضي الله تعالى عنه-لو أنفق مثلَ جبل أُحُد ذهباً لم يحصل من الأجر والثواب ما يناله متقدّمو الصحبة، فيما لو أنفق أحدُهم مُدّاً أو نصفَ مد.

وإذا كان متأخّر الصحبة لا يصل إلى درجة متقدِّم الصحبة في مَنْزلته ومقامه وثوابه،... فكيف بمن جاء بعدهم؛ ممن لم تكتحل عيناه بالنظر إلى وجه رسول الله ﷺ المنير، ويحظى بالجثو بين يديه، ولم ينل ما ناله الصحبُ الكرام رضي الله تعالى عنهم؟ مما يدل على أن الصحبة مكرمة، وأنهم خيار الناس، والله تعالى أعلم.

- يكونون رضي الله تعالى عنهم يوم القيامة بمعية رسول الله ﷺ:

* عن أبي سعيد الخُدْري رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ قال: قرأها رسول الله ﷺ حتى ختمها، وقال: (الناسُ حيِّزٌ، وأنا وأصحابي حيِّزٌ)... الحديث بطوله، رواه الطَّيالسي وابن أبي شيبة وأحمد والطبراني وأبو نعيم والبيهقي، وكلهم برجال الصحيح، وصححه الحاكم وأقره الذهبي(١٧٣٦).

إذا كان الصحابة رضي الله تعالى عنهم يكونون يوم القيامة في معية رسول الله ﷺ، فهذا يدل على علو مقامهم، ورفعة شأنهم، وسمو مقامهم، وأنهم يتفوقون على غيرهم، بكمال الذات وجميل الصفات.

(١٧٣٦) مسند الطَّيالسي (٢٩٣) ومصنف ابن أبي شيبة (١٤: ٤٩٨-٤٩٩) ومسند أحمد (٣: ٢٢) (٥: ١٨٧) والمعجم الكبير (٤: ٣٤١) (٥: ١٢٣) ومعرفة الصحابة (١: ١١٣) وحلية الأولياء (٤: ٣٨٥) والمستدرك (٢: ٢٥٧) ودلائل النبوة (٥: ١٠٩-١١٠) ومجمع الزوائد (٥: ٢٥٠) (١٠: ١٧) وانظر الدر المنثور.

- فضائل من شهد بدراً والحُدَيْبِيَة، والحكم بدخولهم الجنة:

* عن رفاعة بن رافع الزرقي رضي الله تعالى عنه -وكان من أهل بدر- قال: جاء جبريل إلى النبيّ ﷺ فقال: ما تعدون أهلَ بدر فيكم؟ قال: (من أفضل المسلمين) أو كلمة نحوها. قال: وكذلك مَن شهد بدراً من الملائكة. رواه البخاري[١٧٣٧].

* وعن عليٌّ رضي الله تعالى عنه قال-في قصة حاطب رضي الله تعالى عنه-فقال ﷺ: (يا عُمر؛ وما يدرك لعل الله قد اطّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم، فقد وجبت لكم الجنة)... الحديث، متفق عليه[١٧٣٨].

* وفي لفظ مسلم -وهو عند البخاري أيضاً-؟ (وما يدريك لعل الله اطّلع على من شهد بدراً فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم).

* وعن أم مبشّر -زوجة زيد بن حارثة- رضي الله تعالى عنهما، أنها سمعت النبيّ ﷺ يقول عند حفصة -رضي الله تعالى عنها-: (لا يدخل النارَ- إن شاء الله تعالى-من أصحاب الشجرة أَحَدٌ؛ الذين بايعوا تحتها).

قالت: بلى، يا رسول الله. فانتهرها. قالت حفصة: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾[١٧٣٩]. فقال ﷺ: (قد قال الله عز وجل: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ

(١٧٣٧) صحيح البخاري: كتاب المغازي: باب شهود الملائكة بدراً.

(١٧٣٨) صحيح البخاري: كتاب الاستئذان: باب من نظر في كتاب من يُحذَر على المسلمين ليستبين أمره، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل أهل بدر رضي الله تعالى عنهم، رقم (١٦١) وانظر: فضائل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنه، ففيه روايات كثيرة في ذلك.

(١٧٣٩) سورة مريم (٧١).

ﭐلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾[(١٧٤٠)]. رواه مسلم[(١٧٤١)].

* وعن جابر رضي الله تعالى عنه، أن عبداً لحاطب جاء رسولَ الله ﷺ يشكو حاطباً، فقال: يا رسول الله؛ ليدخُلَنَّ حاطبٌ النارَ. فقال رسول الله ﷺ: (كذبتَ، لا يدخلها، فإنه شهد بدراً والحُدَيْبِيَة). رواه مسلم[(١٧٤٢)].

* وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحُدَيْبِيَة: (أنتم اليوم خيرُ أهل الأرض)...الحديث، متفق عليه[(١٧٤٣)].

فعدم دخولهم النار، ودخولهم الجنة: دلالة على وفاقم على الإيمان، وسلامة دينهم حتى الممات، ولا يكونون كذلك إلاّ إذا كان الله تعالى راضٍ عنهم ورسولُه ﷺ. لذا استحقّوا هذه المرتبةَ، وفي كلا الغزوتين -بدر والحُدَيْبِيَة- كان فيهما كبار الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

- قلوبهم رضي الله تعالى عنهم خير قلوب العباد:

* عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خيرَ قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته. ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ، فوجد قلوب

(١٧٤٠) سورة مريم (٧٢).

(١٧٤١) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان رضي الله تعالى عنهم، رقم (١٦٣).

(١٧٤٢) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل أهل بدر رضي الله تعالى عنهم، رقم (١٦٢).

(١٧٤٣) صحيح البخاري: كتاب المغازي: باب غزوة الحُدَيبية، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الإمارة: باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال، رقم(٧١).

أصحابه خيرَ قلوب العباد، فجعلهم وزراءَ نبيِّه-ﷺ،... الحديث، رواه الطَّيالِسي وأحمد وابن الأعرابي والبَزّار والطبراني والبغوي في آخرين بإسناد حسن، وصححه الحاكم وأقره الذهبي(١٧٤٤).

إن اختيار الله تعالى لهم ليس باختيارهم، ودلالة على تقدمهم على جميع الخلق، وعلى محبة الله تعالى لهم، ورضاه عنهم، ومن كان كذلك فلا شك بعلو مقامه، ورفعة قدره، حتى يكون أهلاً لأن يختاره الله تعالى. ومن اختاره الله تعالى كان خيار من سواه، لذا فكيف لا يقبله الآخرون؟ فإن لم يفعلوا كانوا مخالفين أمر الله تعالى، ورادّين عليه اختياره، والله تعالى أعلم.

وهناك أحاديث كثيرة في الثناء عليهم، ذكرت المئات منها في الباب الثاني.

- هم رضي الله تعالى عنهم من أهل الجنة:

لقد أخبر رسول الله ﷺ أن الذين رأوه، وآمنوا به وصدَّقوه واتبعوه وأطاعوه،... فهم من أهل الجنة يوم القيامة، ولهم الغبطة والفرح، والخير العميم، ويكونون عند طوبى في الجنة بإذن الله تعالى.

وقد جاء ذلك من وجهين:

* عن أبي عبد الرحمن الجهني رضي الله تعالى عنه قال(١٧٤٥): بينا نحن

(١٧٤٤) مسند الطَّيالِسي (٣٣) ومسند أحمد (١: ٣٧٩) وفضائل الصحابة له (١: ٣٦٧-٣٦٨) والمعجم الكبير (٩: ١١٨، ١٢١) والبحر الزخار (٥: ١١٩، ١٢٢-١٢٣) وكشف الأستار (١: ٨١) (٣: ١١٤) وشرح السنة (١: ٢١٤-٢١٥) والفقيه والمتفقه (١: ١٦٦-١٦٧) وحلية الأولياء (١: ٣٧٥-٣٧٦) ومعرفة الصحابة (١: ١٤٢-١٤٣) ومعجم ابن الأعرابي (٢: ١٦١-١٦٢) والمستدرك (٣: ٧٨) ومجمع الزوائد (١: ١٧٧-١٧٨) (٨: ٢٥٢) وموافقة الخُبر الخَبر (٢: ٤٣٢-٤٣٦) وحسنه.

(١٧٤٥) مسند الطيالسي (١٥٤، ٢٥٢) ومسند عبد حميد (٢٤٧، ٣٠٨) ومسند أحمد (٣: =

عند رسول الله ﷺ، إذ طلع راكبان، فلما رآهما قال: (كَنديان، مذحجيان) حتى أتياه، فإذا رجال من مذحج، قال: فدنا إليه أحدهما ليبايعه، قال: فلما أخذ بيده قال: يا رسول الله؛ أرأيتَ مَنْ رآك فآمن بك وصدَّقك واتبعك ماذا له؟ قال: (طوبى له) قال: فمسح على يده، فانصرف.

ثم أقبل الآخر، حتى أخذ بيده ليبايعه قال: يا رسول الله؛ أرأيتَ مَنْ آمن بك وصدَّقك واتبعك و لم يرك؟ قال: (طوبى له، ثم طوبى له، ثم طوبى له) قال: فمسح على يده، فانصرف. رواه الطيالسي وابن أبي شيبة وأحمد وابن سعد وابن أبي عمر العدني والبزار والدولابي والطبراني في الكبير، وعزاه الهيثمي للبزار والطبراني وحسنه، كما عزاه لأحمد، وقال: رجاله رجال الصحيح، غير محمد بن إسحق، وقد صرّح بالسماع، وحسنه الحافظ ابن حجر.

وقد جاء هذا الحديث عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم. كأبي هريرة، وأبي أمامة، وأبي عَمْرة، وعبد الله بن عُمَر، وعبد الله بن بسر، وأبي سعيد الخدري، ووائل بن حُجر، وأنس، رضي الله تعالى عنهم، كما جاء عن غيرهم أيضاً، فالحديث بطرقه صحيح.

وإذا كانوا من أهل الجنة، فلن تمسهم النارُ بإذن الله تعالى، كيف وقد

= (٤: ١٥٢) (٥: ٢٤٨، ٢٥٧، ٢٦٤) والطبقات الكبرى (٤: ٣٥٠-٣٥١)، والسنة (٢: ٦٣٠، ٦٣١) والتاريخ الكبير (٢: ٢٧) ومسند أبي يعلى (٢: ٥١٩-٥٢٠) (٦: ١١٩) والكنى للدولابي (١: ٤٢-٤٣) وكشف الأستار (١: ١٦٣) ومختصر زوائد البزار (٢: ٣٦٦) والمعجم الكبير (٨: ٣١٠، ٣١١) (٢٢: ٢٨٩) وصحيح ابن حبان (١٦: ٢١٣-٢١٦) والمستدرك (٤: ٨٦) ومجمع البحرين (٧: ٤٩، ٢٦-٢٧) ومجمع الزوائد (١٠: ١٨، ٢٠، ٦٦-٦٧) والمطالب العالية (٤: ١٥٥-١٥٦) وكنز العمال (١١: ٥٣٠-٥٣٦).

اختارهم الله تعالى صحابةً لرسوله وحبيبه ﷺ، ورضي عنهم، وأحبهم، وأثنى عليهم، وحبَّب إليهم الإيمانَ، وزيَّنه في قلوبهم، وكرَّه إليهم الكفرَ والفسوقَ والعصيان، وجعلهم من الصالحين، المتقين، المؤمنين،...

* وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تمس النارُ مسلماً رآني، أو رأى من رآني). رواه الترمذي-وحسنه- وابن أبي عاصم وأبو نعيم، والضياء في المختارة(١٧٤٦).

* وعن عبد الرحمن بن عقبة الجهني، عن أبيه رضي الله تعالى عنه -وكان قد أصيب بسهم مع رسول الله ﷺ- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا يدخل النارَ مسلمٌ رآني، أو رأى من رآني، أو رأى من رأى من رآني). رواه ابن أبي عاصم والطبراني، وفي إسناده من لا يعرف، وعزاه الحافظ رحمه الله تعالى لابن السكن والحاكم في تاريخ نيسابور. وعزاه ابن الأثير لأبي نعيم، وشاهده الحديث السابق، فهو به حسن(١٧٤٧).

- ثقة رسول الله ﷺ بهم رضي الله تعالى عنهم:

إن إرسال رسول الله ﷺ الرسلَ منهم رضي الله تعالى عنهم ممن يحملون رسائله إلى زعماء ووجهاء وقادة البلاد، وكذا إلى أصحابه البعيدين، وكذا إرساله ﷺ الدعاة والقضاة والعلماء،... منهم إلى البلاد النائية: كل ذلك

(١٧٤٦) سنن الترمذي: كتاب المناقب: باب فيما جاء في فضل من رأى النبي ﷺ، رقم (٣٨٥٧) والسنة (٢: ٩٨٥) ومعرفة الصحابة (١: ١٣٤) وكنـز العمال (١١: ٥٣١).

(١٧٤٧) السنة (٢: ٩٨٥) والمعجم الكبير (١٧: ٣٧٥) والمعجم الأوسط (١: ٣٠٨) ومجمع البحرين (٧: ٢٧) ومجمع الزوائد (١٠: ٢٠-٢١) الإصابة (٤: ٥٢٩) وأسد الغابة (٣: ٥٥٣).

يدل دلالة صريحة على عدالتهم عنده ﷺ، ومكانتهم العالية لديه.

* قد يقول قائل: إن هذا ثناء من الله تعالى ومن رسوله الكريم على الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنه، وليس تصريحاً في عدالتهم.

والجواب: إذا كان علماء الحديث قد أثبتوا عدالة الراوي بأحد أمرين - كما مر في أول الفصل- إما بتنصيص عدلين على عدالته. وإما بالاستفاضة والشهرة. اعتماداً على قوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ وقوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾.

فإذا قُبلت شهادة اثنين من البشر، وحكمنا للراوي بالعدالة، مع أن البشر يعلمون ظاهراً من الحياة، فكيف يكون ثناء الله تعالى ورسوله الكريم ﷺ، والله تعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وعلمُه تعالى متعلّق بما مضى وما حضر وما سيأتي. وقد جمعت أكثر من (١٢٠) آية كريمة، ضمنتها في كتاب مستقل، ونحواً من (٥٠٠) حديث في الثناء عليهم، وإن كنت لم أذكرها في هذا الكتاب، مع أن في الآية الواحدة عدة ثناءات عليهم.

*** الثالث: انعقاد الإجماع على ذلك:**

لقد انعقد الإجماع على عدالة الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم. ولم يخالف في ذلك أحدٌ ممن يعتَدُّ بخلافه، اللهم إلاّ ما وقع من أهل البدع والضلال، الذين يُضمِرون الحقدَ لأئمة الإسلام، وحملة لوائه.

وقد نقله كثيرٌ من الأئمة، منهم: ابن عبد البر، والجويني، والغزالي، والخطيب البغدادي، وابن الصلاح، والنووي، وابن الملقن، والعراقي، وابن كثير، وابن حجر، وابن الجزري، والسيوطي، والسخاوي،... وكثير غيرهم،

رحمهم الله تعالى. ولا يسعني ذكر كل تلك الأقوال خشية الطول، لذا أذكر بعضها للتدليل، وقد سبق في مقدمة الفصل ذكر بعض الأقوال.

* قال الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى: وجميع ذلك (أي الآيات والأحاديث) يقتضي طهارةَ الصحابة، والقطعَ بتعديلهم ونزاهتهم، فلا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله تعالى لهم، المطَّلِع على بواطنهم، إلى تعديلِ أحدٍ من الخلق لهم،...على أنه لو لم يرد من الله عز وجل ورسوله ﷺ فيهم شيء مما ذكرناه لأوجبت الحالُ التي كانوا عليها من: الهجرة، والجهاد، والنصرة، وبذل المهج والأموال، وقتل الآباء والأولاد، والمناصحة في الدِّين، وقوة الإيمان واليقين: القطعَ على عدالتهم، والاعتقاد بنزاهتهم، وأنهم أفضل من جميع المعدِّلين والمزكِّين، الذين يجيؤون من بعدهم أبد الآبدين. **هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتد بقوله من الفقهاء**.اهـ.

* وذكر العلامة ابن حجر الهيتمي رحمه الله تعالى نحوَه في الصواعق.

* وقال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله تعالى: ونحن وإن كان الصحابة رضي الله تعالى عنهم قد كُفينا البحث من أحوالهم؛ **لإجماع أهل الحق من المسلمين -وهم أهل السنة والجماعة- على أنهم كلَّهم عدولٌ**؛ فواجب الوقوف على أسمائهم، والبحث عن سيرهم وأحوالهم؛ ليُهْتَدى بهديهم، فهم خير من سلك سبيله، واقْتُدِيَ به.اهـ.

* وقال الإمامُ ابن الصلاح -ومن لخص كلامَه رحمهم الله تعالى-: للصحابة بأسرهم خصيصة، وهي أنه لا يُسأل عن عدالة أحد منهم، بل ذلك أمرٌ مفروغٌ منه؛ **لكونهم على الإطلاق معدَّلين بنصوص الكتاب والسنة وإجماع**

من يعتد به في الإجماع من الأمة.اهـ.

* وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى[1748]- بعد ذكره الخلاف الذي جرى بين الصحابة رضي الله تعالى عنه، والجواب عليه قال: ولهذا اتفق أهلُ الحقِّ ومن يُعتد به في الإجماع: على قبول شهاداتهم، ورواياتهم، وكمال عدالتهم رضي الله تعالى عنهم أجمعين.اهـ.

* وقال الحافظ العراقيُّ رحمه الله تعالى: الصحابة كلهم عدول، لقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ وهذا خطاب مع الموجودين حينئذ، ولقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾... ولقوله ﷺ في الحديث المتفق على صحته، من حديث أبي سعيد الخُدْري: (لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده، لو أنفق أحدكم مثلَ أحدٍ ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه)... ولغير ذلك من الأحاديث الصحيحة. ولإجماع من يعتد به في الإجماع من الأئمة على ذلك.

ثم إن جميع الأمة مجمعة على تعديل من لم يلابس الفتن منهم، وأما من لابس الفتن منهم -وذلك من حين مقتل عثمان- فأجمع من يُعتد به أيضاً في الإجماع على تعديلهم إحساناً،...

والذي عليه الجمهور -كما قال الآمدي وابن الحاجب-: إنهم عدول كلهم أيضاً مطلقاً. وقال الآمدي: إنه المختار.

وحكى ابن عبد البر -في الاستيعاب- إجماع أهل الحق من المسلمين -وهم أهل السنة والجماعة- على أن الصحابة كلهم عدول.اهـ.

(١٧٤٨) شرح صحيح مسلم (١٥: ١٤٩).

* قلت: إستثناء الحافظ العراقي رحمه الله تعالى: (من لابس الفتن) هذا احتراز منه رحمه الله تعالى، لأن الذين قالوا هذا القول إنما هم المبتدعة(١٧٤٩) وأما أهل السنة؛ فقد أجمع على ذلك من يعتد بإجماعه، كما قال ابن الصلاح وغيره رحمهم الله تعالى، والله تعالى أعلم.

* وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: اتفق أهل السنة على أن الجميعَ عدول، ولم يخالف في ذلك إلاّ شذوذٌ من المبتدعة،...

ثم قال -بعد ذكره لبعض الآيات التي ذكرها، وأشار إلى شهرة وكثرة الأحاديث-: وجميع ذلك يقتضي القطع بتعديلهم، ولا يحتاج أحدٌ منهم مع تعديل الله له إلى تعديل أحدٍ من الخلق،... ثم ذكر قول الخطيب الذي ذكره، ثم قال: **هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتمد قوله.اه.**

والنصوص في ذلك كثيرة، والحمد لله، وقد مر ذكرُ بعضها.

تنبيه: قال الحافظ المزي رحمه الله تعالى: إنها لم توجد روايةٌ عمّن يُلمز بالنفاق.اهـ(١٧٥٠). يعني ممن يُعد من الصحابة.

أقول: ما قيمة كلام الناس وثنائهم على الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم بعد تعديل الله تعالى وثنائه عليهم، وتعديل رسول الله ﷺ وثنائه، إنما هو من باب زيادة التعديل، وهذا على ميزان قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾(١٧٥١).

(١٧٤٩) انظر: الكفاية (٩٧) والإحكام للآمدي (٢: ٨٠-٨٢) وفواتح الرحموت (٢: ١٥٥) وغاية الوصول (١٠٤-١٠٥) وتيسير التحرير (٣: ٦٤-٦٥) وإرشاد الفحول (٦٩-٧٠).

(١٧٥٠) إرشاد الفحول (٧٠).

(١٧٥١) سورة الأحزاب (٥٦).

فما قيمة صلاة الناس بجانب صلاة الملائكة الكرام؟ بل ما قيمة صلاة الملائكة بجانب صلاة الله تعالى؟ إن صلاةَ الله تعالى على نبيِّه الكريم ﷺ كافية في زيادة تكريمه وتعظيمه، إنما هي زيادة في التكريم للنبي الكريم ﷺ، وحتى يشترك العالَم السُّفلي -البشر- مع العالَم العُلوي -الملائكة- في تكريم هذا النبي المصطفى الكريم ﷺ.

وكذا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾(١٧٥٢).

فما تأثير لعنة الناس بجانب لعنة الملائكة المقربين؟ بل ما تأثير لعنة الملائكة بجانب لعنة الله تعالى لهؤلاء الكافرين؟ إن لعنة الله تعالى كافية في إهلاكهم وخلودهم في نار جهنم، لكن هذا من باب الزيادة في التعذيب.

وكذا هنا: ما قيمة تعديل البشر بعد تعديل الله تعالى وتعديل رسوله الكريم ﷺ. لكن زيادةً في التكريم والتعظيم والبيان، والله تعالى أعلم.

*** ما سبب إجماع العلماء رحمهم الله تعالى على تعديلهم:**

لقد ذكر الأئمة إمام الحرمين الجويني، والنووي، والحافظ ابن حجر، والسخاوي،... وغيرهم رحمهم الله تعالى أربعة أسباب، أذكرها وما يفتح الله تعالى -بعد ذلك من فضله- زيادة على ما ذكروه.

أ - حسن الظن بهم، حتى من لابس الفتنةَ منهم، بعده ﷺ؛ لأن من وَقَع فيها فهو -كما قال ابن كثير رحمه الله تعالى- منهم ما وقع عن غير

(١٧٥٢) سورة البقرة (١٦١).

قصد كيوم الجمل[١٧٥٣]، ومنهم ما كان عن اجتهاد كيوم صِفّين، والاجتهادُ يخطيء ويصيب. ولكن صاحبه معذور وإن أخطأ، ومأجور أيضاً، أما المصيب فله أجران اثنان، والله تعالى أعلم.

ب- ما تمهَّد لهم رضي الله تعالى عنهم من المآثر، من امتثال أوامره ﷺ بعده، وفتحهم الأقاليم، وتبليغهم عنه ﷺ الكتابَ الكريمَ والسنةَ النبويةَ، وهدايتهم للناس، ومواظبتهم على فعل أنواع الطاعات، كالصلاة والزكاة وأنواع القربات، مع ما اتصفوا به من الشجاعة والبراعة، والكرم والإيثار، والأخلاق الحميدة، التي لم تكن في أمة من الأمم المتقدمة، ولا يكون أحدٌ بعدهم مثلَهم في ذلك.

ج- ولعل هذا أهم الأسباب التي أتاح الله تعالى عليه الإجماع. ألا وهو أن الصحابة رضي الله تعالى عنهم هم: حملةُ الشريعة، ولو ثبت توقفٌ في رواياتهم لانحصرت الشريعة على عصر رسول الله ﷺ، ولما استرسلت على سائر العصور.

قال الحافظ أبو زرعة الرازي رحمه الله تعالى: إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله تعالى عنهم؛ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وما جاء به حق، وإنما أدّى إلينا هذا القرآنَ والسنن أصحابُ رسول الله ﷺ رضي

(١٧٥٣) لقد توسعت في هذه المسألة في الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما الخليفة الخامس الراشد، وفي الردة قديمها وحديثها، وأشراط الساعة، ومختصرها، وبينت أن كلاً من علي والزبير وطلحة وعائشة رضي الله تعالى عنهم، ليس لهم يدٌ في هذه المعركة، إنما هي من فعل عبد الله بن سبأ اليهودي وأعوانه، عاملهم الله تعالى بعدله.

الله تعالى عنهم، وإنما يريدون أن يجرِّحوا شهودَنا، ليُبطلوا الكتابَ والسنةَ، والجرحُ بهم أولى، وهم زنادقة.اهـ[١٧٥٤].

د- إن رسول الله ﷺ أفضلُ الخلق عند الله تعالى، وأكرمُهم عليه، وقد أخذ الله عز وجل له العهد من جميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[١٧٥٥]. فما كان الله تعالى أن يختار له إلاّ خيرَ خلقه بعد رسله، وأكملَهم وأفضلَهم وأعدَلَهم وأشرفهم، ... ليكونوا له أصحاباً وأصهاراً وأنصاراً وأرحاماً. وهذا واضح من قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ و﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾.

هـ- إن أفضلَ دينٍ عند الله تعالى: الإسلام، الذي أتمَّه وأكمله، وجعله دينَه، ورضيه لنا ديناً ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ وهو الدِّين العالميُّ الوحيد، الذي سيبقى، ويعم جميعَ الخلق، وجميعَ الأرض،...

وما كان الله تعالى ليختار لتبليغ هذا الدين ونشره وتعليمه ونقله إلى الآفاق إلاّ من هو عدلٌ عنده، مقبول لديه، فكانوا أفضل الناس، وأعدلهم وآمنهم، وأكملهم، هم أهل الأمانة والتقى، والثقة والعدالة،

(١٧٥٤) انظر الكفاية (٩٧).

(١٧٥٥) سورة آل عمران (٨١).

ليتناسبوا مع عظم مكانة هذا الدين الذي تحمَّلوه.
فاختيار الله تعالى لهم دلالة على علو مَنْزلتهم ومكانتهم عنده، وأنهم أهلُ ثقة بهم، وأنه تعالى صنعهم على عينه، وكمَّلهم بقدرته، وعدّلهم بأمره، وجعلهم خيرَ البشر بعد الأنبياء عليهم السلام بخلقه.
و- ما ورد في كتاب الله تعالى من ثناء عليهم، وشهادة لهم، حيث ورد أكثر من مائة آية في كتاب الله تعالى فيها شهادة الله تعالى لهم بالإيمان وكماله، والصدق، والإخلاص، والخلود في الجنة، وشهادة الله تعالى لهم بالخيرية على جميع الأمم، وأنهم أفضل الخلق، وأنهم شهداء الله تعالى على الناس، وإنزال السكينة عليهم، وأثابهم تعالى الفضل الكبير، وما سطَّره في الكتب القديمة السابقة، مِن وصفهم وكمالهم، ووعدهم بالمغفرة والأجر العظيم، وما ذكره من تأييده لهم، ونصره إياهم، وزيادة الإيمان في قلوبهم، وتكفيره السيئات عنهم، وإلزامهم كلمة التقوى، وأنهم أحق بها وأهلها، واستجابة دعواتهم، وتأييد رسوله وحبيبه ﷺ بهم، وتأليف قلوبهم، إضافة إلى محبته تعالى، وتعديله لهم، واصطفائه تعالى لهم، واختياره لهم ليكونوا حملة دينه والمبلغين له، وليكونوا في هذه المرتبة التي لا توجد في أمة من الأمة،... ثم تتويج ذلك برضاه تعالى عليهم.
وهذا وحده كافٍ في حمل العلماء رحمهم الله تعالى على الإجماع على عدالتهم، فكيف وقد انضاف إليه ما اتصفوا به من صفات الجمال والكمال، والعبادة والإخلاص واليقين، والإيمان،... حتى صاروا خيرَ أمة أُخرجت للناس. انتقاهم الله تعالى واصطفاهم ليكونوا صحابةً

لرسوله الكريم ﷺ وأصهاراً وأعواناً وأرحاماً، والله تعالى أعلم.

ز- ما ورد عن رسول الله ﷺ من بيان مَنْزلتهم، ومكانتهم عند الله عز وجل وعنده ﷺ، ويمثل هذا قوله ﷺ لمتأخري الصحبة -وهو خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه- بالنسبة لمتقدّمي الصحبة -وهو عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه-: (فلو أنَّ أحدَكم أنفق مثل أُحُد ذهباً، ما بلغ مُدَّ أحدهم، ولا نصيفه). متفق عليه. كما مر، فكم لهم من الثواب والأجر عند الله تعالى وعند رسوله ﷺ.

فلو أنفق متأخر الصحبة -وهو من هو، من أهل الجنة، وله قدم في نشر الإسلام، وله المكانة الرفيعة، والمَنْزلة العالية،...- لو أنفق مثلَ جبل أُحُد ذهباً ما ناله من الأجر والثواب ما ينال متقدِّم الصحبة من الثواب فيما لو أنفق مدّاً أو نصفَ مُدٍّ، كل ذلك دلالة على علو مَنْزلتهم ومكانتهم،...

ح- وجود الثقة المتناهية من رسول الله ﷺ فيهم، فهم موضع سرِّه وأمانته، وموضع محبته وثقته. لذا كان إرسال الرسل منهم تحمل كتبَه للخلق، وإرسال الدعاة لتبلغ دين الله تعالى، وإرسال القضاة لتحكم بين الناس في الخصومات ونحوها، وإرسال العلماء لتعلمهم ما تعلموه منه ﷺ.

فإذا كانوا بهذه الدرجة من الثقة عنده ﷺ كان ذلك دالاً على عدالتهم عنده، وثقته المتناهية بهم، والله تعالى أعلم.

- الصحبة سياج:

استناداً إلى أمر رسول الله ﷺ بالوصية بالصحابة رضي الله تعالى عنهم

(استوصوا بأصحابي خيراً) وإيجاب إكرامهم (أكرموا أصحابي) والدعاء لهم، والاستغفار لهم، وأمره ﷺ بعدم التعرض لهم بسوء، ونهيه ﷺ عن سبِّهم (لا تسبّوا أحداً من أصحابي،...).وقد سبق ذكرها في الباب الثاني.

فقد كان كبار الصحابة رضي الله تعالى عنهم يقدِّرون تلك الصحبة. ولو لم يلتق من يتصف بها بالنبي الكريم ﷺ إلاّ فترة قصيرة، فهذا اللقاء عندهم حصن لصاحبه، وسياج له.

فعن نُبَيْح العَنَزي قال: كنا عند أبي سعيد الخُدْري رضي الله تعالى عنه، وهو متكئ، فذكرنا علياً ومعاوية، فتناول رجلٌ معاويةَ، فاستوى أبو سعيد الخُدْري جالساً ثم قال: كنا ننزل رفاقاً مع رسول الله ﷺ، فكنا في رفقةٍ فيها أبو بكر رضي الله تعالى عنه، فنزلنا على أهل أبيات، وفيهم امرأة حبلى. ومعنا رجل من أهل البادية، فقال للمرأة الحامل: أيسرك أن تلدي غلاماً؟ قالت: نعم. قال: إن أعطيتَني شاةً ولدتِ غلاماً، فأعطته، فسجع لها أسجاعاً، ثم عمد إلى الشاة فذبحها وطبخها، وجلسنا نأكل منها، ومعنا أبو بكر رضي الله تعالى عنه، فلما علم بالقصة قام فتقيأ كلَّ شيء أكله.

قال: ثم رأيت ذلك البدوي أُتي به عمرَ بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، وقد هجا الأنصار، فقال لهم عمر رضي الله تعالى عنه: لولا أن له صحبة من رسول الله ﷺ -وما أدري ما نال فيها- لكفيتكموه، ولكن له صحبة من رسول الله ﷺ. قال الحافظان ابن حجر -بعد ذكره له من طريق عليٍّ ابن الجعد- والسخاوي: رجاله ثقات[١٧٥٦].

(١٧٥٦) الإصابة (١: ١٢-١٣) وفتح المغيث (٣: ١٠٥)

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: توقف عمر رضي الله تعالى عنه عن معاتبته فضلاً عن معاقبته لكونه علم أنه لقي النبي ﷺ. وفي ذلك أبين شاهد على أنهم كانوا يعتقدون أن شأن الصحبة لا يعدله شيء.اهـ.

ولا يعني من إجماع الأمة العدالةَ للصحابة رضي الله تعالى عنهم ثبوتُ العصمة لهم، واستحالة المعصية عليهم، لا، كما نبه على ذلك ابن الأنباري رحمه الله تعالى.

ولهذا قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى: تلك دماءٌ طهَّر الله منها سيوفَنا، فلا نخضب بها ألسنتنا، والله تعالى أعلم.



الفصل الخامس

طاعتهم واتّباعهم والأخذ بأقوالهم وأفعالهم رضي الله تعالى عنهم

ما ينسب إلى الصحابة رضي الله تعالى عنهم:

الذي يُنسب إلى الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم أربعة أمور:

١- ما يرفعه إلى النبي المصطفى الكريم ﷺ.

٢- المرفوع حكماً.

٣- مرسل الصحابي.

٤- الموقوف، وهو قول الصحابي مما للعقل فيه مجال، أو فعله.

وأذكر حكم كل نوع من هذه الأنواع الأربعة، مع ذكر التمثيل لذلك، إن شاء الله تعالى.

أولاً: ما يرفعه الصحابي إلى رسول الله ﷺ صراحة:

بأي عبارة من عبارات الأداء، التي نص عليها علماء الحديث رحمهم الله تعالى، مثل: سمعت رسول الله ﷺ، قال لي رسول الله ﷺ، كنا مع رسول الله ﷺ، قال لنا رسول الله ﷺ، أخبرني رسول الله ﷺ، دعاني رسول الله ﷺ، ذهبت مع رسول الله ﷺ،...إلخ، وأمثال ذلك، وقد سبق ذكر الأمثلة في الفصل الرابع، من الباب السابق. فهي مرفوعة بلا خلاف.

لكن هناك عبارات يقولها بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم أو مَن

بعدهم، فهي مرفوعة باتفاق علماء الأمة، أذكرها وأذكر مثالاً لكل لفظة.

قول الصحابي: يرفعه، يَنميه، يبلغ به، يَأْثره، يرويه، رواية، رواه،...

فكل ذلك مرفوع، متصل بلا خلاف.

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى(١٧٥٧): إذا قيل عند ذكر الصحابي: يرفعه، أو ينميه، أو يبلغ به، أو رواية، فكله مرفوعٌ، متصلٌ، بلا خلاف. اهـ.

قلت: ويلتحق بما ذكره رحمه الله تعالى: قولهم: يُسنده، يأْثُره، يرويه، رواه، رفع الحديث.

وقد توسَّعتُ في إيراد الأمثلة لكل لفظة من هذا الألفاظ، في المبسوط وذكرت مختصره في المختصر. وأذكر مثالاً لكل لفظة من تلك الألفاظ.

* عن قيس، عن أبي مسعود رضي الله تعالى عنه، يبلغ به النبيَّ ﷺ قال: (من ههنا جاءت الفتن نحو الشرق،...). متفق عليه، واللفظ للبخاري(١٧٥٨).

* وعن الأعرج، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه-يبلغ به النبيَّ ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشَّعَر،...) الحديث، متفق عليه، واللفظ لمسلم(١٧٥٩).

* وعن الأعرج قال: قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه، يأْثُر عن النبيِّ ﷺ قال: (إياكم والظن، فإن الظنَّ أكذبُ الحديث،...) الحديث، متفق

(١٧٥٧) مقدمة الإمام النووي لصحيح مسلم-بشرحي-(١٩٣-١٩٥).

(١٧٥٨) صحيح البخاري: كتاب المناقب: الباب الأول. وصحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب تفاضل أهل الإيمان فيه،... رقم (٨١) بغير هذا اللفظ.

(١٧٥٩) صحيح البخاري: كتاب المناقب: باب علامات النبوة في الإسلام، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الفتن: باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل،...رقم (٦٤).

عليه، واللفظ للبخاري(١٧٦٠).

قال الحافظ رحمه الله تعالى(١٧٦١): يأْثُر: بفتح أوله وضم المثلثة. تقول: أثرتَ الحديثَ آثره -بالمد- أَثْراً -بفتح أوله ثم سكون- إذا ذكرتَه عن غيرك.اهـ.

* وعن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة -رضي الله تعالى عنه- رواية: (الفطرةُ خمسٌ -أو خمسٌ من الفطرة- الختان والاستحدادُ،...) الحديث، متفق عليه، واللفظ للبخاري(١٧٦٢).

قال الحافظ رحمه الله تعالى(١٧٦٣): رواية: كناية عن قول الراوي: قال رسول الله ﷺ، أو نحوها.وقد وقع في رواية مسدّد [عند أبي داود] يبلغ به النبيَّ ﷺ، وفي رواية أبي بكر بن أبي شيبة [عند مسلم] قال رسول الله ﷺ،... وقد تقرر في علوم الحديث أن قول الراوي: رواية، أو يرويه، أو يبلغ به، ونحو ذلك محمول على الرفع.اهـ.

* وعن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: (الشفاء في ثلاث: شربة عسل، وشَرطة محجم، وكيَّةٍ بنار، وأنهى أمتي عن الكي) رفع الحديثَ. رواه البخاري(١٧٦٤). ثم رواه من طريقين، وفيهما: عن

(١٧٦٠) صحيح البخاري: كتاب النكاح: باب لا يخطب على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع. وصحيح مسلم: كتاب البر، رقم (٢٨-٣٤).

(١٧٦١) فتح الباري (٩: ١٩٩).

(١٧٦٢) صحيح البخاري: كتاب اللباس: باب قص الشارب. وصحيح مسلم: كتاب الطهارة: باب خصال الفطرة، رقم (٤٩، ٥٠).

(١٧٦٣) فتح الباري (١٠: ٣٣٦).

(١٧٦٤) صحيح البخاري: كتاب الطب: باب الشفاء في ثلاث.

ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، عن النبيِّ ﷺ.

* وعن أبي حازم، عن سهل بن سعد -رضي الله تعالى عنهما- قال: كان الناس يُؤمرون أن يضع الرجلُ اليدَ اليمنى على ذراعه اليسرى في الصلاة.

قال أبو حازم: لا أعلمه إلاّ يَنْمي ذلك إلى النبيِّ ﷺ. رواه البخاري(١٧٦٥).

قال الحافظ رحمه الله تعالى(١٧٦٦): ومن اصطلاح أهل الحديث إذا قال الراوي: يَنْميه، فمراده: يرفعُ ذلك إلى النبيِّ ﷺ، ولو لم يقيِّده.اهـ.

* لِمَ يفعل المحدِّثون ذلك و لم يرفعوه صراحة؟

الجواب على ذلك: أنهم تركوا الجزمَ بذلك إما: طلباً للتخفيف، أو إيثاراً للاختصار، أو فعلوا ذلك تورُّعاً واحتياطاً، أو للشك في ثبوته، أو ثبوتِ الصيغة بعينها، أو فعلوه تورعاً؛ حيث علم أن المؤدّى بالمعنى،... كما أوضحته في شرحي لمقدمة الإمام النووي رحمه الله تعالى(١٧٦٧).

ومما يدل على ورعهم واحتياطهم:

* عن أبي قلابة، عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: من السنة إذا تزوّج الرجلُ البِكْرَ على الثَّيِّب أقام عندها سبعاً ثم قسم. وإذا تزوَّج الثَّيِّبَ على البكر أقام عندها ثلاثاً ثم قسم.

قال أبو قلابة: ولو شئت لقلت: إن أنساً رفعه إلى النبيِّ ﷺ. متفق عليه، واللفظ للبخاري(١٧٦٨).

(١٧٦٥) صحيح البخاري: كتاب الأذان: باب وضع اليمنى على اليسرى.

(١٧٦٦) فتح الباري (٢: ٢٢٥).

(١٧٦٧) وانظر: نزهة النظر (١٠٧) والنكت (٢: ٥٣٧-٥٣٨) وفتح المغيث (١: ١٢٠).

(١٧٦٨) صحيح البخاري: كتاب النكاح: باب إذا تزوج الثيب على البكر. وصحيح مسلم: =

قال الحافظ رحمه الله تعالى[١٧٦٩]: كأنه يشير إلى أنه لو صرَّح برفعه إلى النبيِّ ﷺ لكان صادقاً، ويكون روى بالمعنى، وهو جائز عنده، لكنه رأى أن المحافظة على اللفظ أولى.اهـ.

وقال العلاّمة ابن دقيق العيد رحمه الله تعالى[١٧٧٠]: وقول أبي قلابة: (لو شئتُ لقلت: إن أنساً رفعه،...إلخ) يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون ظن ذلك مرفوعاً لفظاً من أنس، فتحرّز تورعاً.

والثاني: أن يكون رأى أن قولَ أنس: (من السنة) في حكم المرفوع، فلو شاء لعبّر عنه بأنه مرفوع، على حسب ما اعتقده، من أنه في حكم المرفوع.

والأول أقرب، لأن قوله: (من السنة) يقتضي أن يكون مرفوعاً بطريق اجتهادي محتمل، وقوله: (إنه رفعه) نصٌّ في رفعه، وليس للراوي أن ينقل ما هو ظاهر محتمل إلى ما هو نص غير محتمل.اهـ.

ثانياً: المرفوع حكماً:

هناك عدة صور مما يقوله الصحابي، ولم يرفعه إلى النبي الكريم ﷺ صراحةً، لكنها تأخذ حُكمَ الرفع، لأن مثل تلك العبارات لا يمكن أن يقولها الصحابي من عند نفسه. وقد توسعت في بيان ذلك في المبسوط في علوم الحديث، وذكرت خلاصتَه في (مختصر علوم الحديث) ومن ذلك:

١- ما يقوله الصحابي -الذي لم يأخذ عن أهل الكتاب- **مما لا يقال من قِبل الرأي، ولا مجال للاجتهاد فيه**، ولا تعلق له ببيان لغة، أو شرحِ غريبٍ،...

= كتاب الرضاع: باب قدر ما تستحقه البكر والثيب،... رقم (٤٤، ٤٥).

(١٧٦٩) فتح الباري (٩: ٣١٤).

(١٧٧٠) إحكام الأحكام (٢: ١٩٣) وانظر فتح الباري (٩: ٣١٤) فقد نقله بحرفه تقريباً.

فمثل هذا محمول على السماع.

* عن أبي الطفيل قال: كنا جلوساً عند حُذَيْفَة [بن أَسِيد الغفاري] فذُكرت الدّابّةُ، فقال حُذَيْفَة رضي الله تعالى عنه: إنها تخرج ثلاثَ خرجات: في بعض البوادي، ثم تكمن. ثم تخرج في بعض القرى حتى يذعروه، حتى تهريق فيها الأمراء الدماء، ثم تكمن. قال: فبينما الناس عند أعظم المساجد وأفضلها وأشرفها -حتى قلنا: المسجد الحرام وما سماه- إذ ارتفعت الأرض، ويهرب الناس، ويبقى عامَّةٌ من المسلمين يقولون: إنه لن ينجينا من أمر الله شيء. فتخرج، فتجلو وجوهَهم، حتى تجعلها كالكواكب الدُّرِّيَّة، وتتبع الناس،...). الحديث بطوله. رواه الحاكم وصححه على شرط الشيخين، وأقره الذهبي(١٧٧١).

٢- ما يقوله الصحابي -الذي لم يأخذ عن أهل الكتاب- **من الأخبار عن الأمور الماضية -ولو من بدء الخليقة، كأخبار الأمم السابقة، وأخبار الأنبياء عليهم السلام-** والأمور الآتية؛ كالملاحم والفتن وأحوال يوم القيامة؛ من بعثٍ وصفةِ جنة، وعذابِ نار،...إلخ.

* عن يُسَيْر بن جابر رحمه الله تعالى قال: هاجت ريحٌ حمراءُ بالكوفة، فجاء رجلٌ ليس له هِجِّيرى إلاّ: يا عبد الله بن مسعود جاءت الساعة. قال: فقعد-وكان متكئاً-فقال: إن الساعةَ لا تقوم حتى لا يُقسم ميراثٌ، ولا يُفرحَ بغنيمةٍ. ثم قال هكذا (ونحَّاها نحو الشام) فقال: عدوٌّ يَجمعون لأهل الإسلام، ويَجمع لهم أهلُ الإسلام. قلت: الروم تعني؟ قال: نعم. وتكون عند ذلكم القتال رَدَّةٌ شديدة [أي عطفةٌ قوية على الكفار] فيشترط المسلمون

(١٧٧١) المستدرك (٤: ٤٨٤-٤٨٥) وتفسير الطبري (١٩: ٤٩٧).

شُرطةً للموت لا ترجع إلاّ غالبةً. فيقتتلون حتى يَحجز بينهم الليل، فيفيءُ هؤلاء وهؤلاء؛ كلٌّ غيرُ غالب، وتفنى الشُّرطةُ. ثم يشترط المسلمون شُرطةً للموت لا ترجع إلاّ غالبةً، فيقتتلون، حتى يَحجز بينهم الليلُ، فيفيء هؤلاء وهؤلاء، كلٌّ غيرُ غالب، وتفنى الشُرطةُ، ثم يشترط المسلمون شُرطةً للموت، لا ترجع إلاّ غالبةً، فيقتتلون حتى يمسوا، فيفيء هؤلاء وهؤلاء، كلٌّ غيرُ غالب، وتفنى الشُّرطةُ. فإذا كان اليومُ الرابع نهد إليهم بقيةُ أهل الإسلام. فيجعل الله الدَّبْرَةَ [أي الهزيمةَ] عليهم، فيقتتلون مقتلةً-إما قال: لا يُرى مثلُها، وإما قال: لم يُر مثلُها-حتى إن الطائرَ ليمرُّ بجنباتهم، فما يُخلِّفهم حتى يَخرَّ ميتاً، فيتعادُّ بنو الأب، كانوا مائةً، فلا يجدونه بقي منهم إلا الرجلُ الواحدُ، فبأي غنيمة يُفرح؟ أو أيِّ ميراث يقسم؟

فبينا هم كذلك إذ سمعوا ببأس هو أكبر من ذلك، فجاءهم الصريخ: إن الدجالَ قد خلفهم في ذراريهم، فيرفضون ما بأيديهم، ويُقبلون، فيبعثون عشَرةَ فوارسَ طليعةً. قال رسول الله ﷺ: (إني لأعرف أسماءَهم، وأسماءَ آبائهم، وألوانَ خيولهم، هم خيرُ فوارس على ظهر الأرض يومئذ، أو من خير فوارسَ على ظهر الأرض يومئذ). رواه مسلم(١٧٧٢).

فقد صرّح برفع آخر الحديث، وأما غالبه فلم يصرّح برفعه، لكن مثل هذا لا مجال للعقل فيه، والله تعالى أعلم.

* وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: (إن الشيطان ليتمثل في صورة الرجل، فيأتي القومَ فيحدِّثهم بالحديث من الكذب، فيتفرقون، فيقول الرجل منهم: سمعتُ رجلاً أعرف وجهه، ولا أدري ما

(١٧٧٢) صحيح مسلم: كتاب الفتن: باب إقبال الروم في كثرة القتل عند خروج الدجال، رقم(٣٧).

اسْمُه، يحدِّث). رواه مسلم(١٧٧٣).

* وعن عبد الله بن عَمْرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما قال: (إن في البحر شياطينَ مسجونةً؛ أوثقها سليمان [عليه السلام] يوشك أن تخرجَ فتقرأ على الناس قرآناً). رواه مسلم(١٧٧٤).

فالحديثان بمعنى واحد، ولا يمكن أن يكونا من واقع البشرية.

فهذا كله له حكم الرفع، لأن ذلك ليس للعقل فيه مجال، ولا للاجتهاد فيه مسرح، إنما سبيله النقل لا غير، مما يقتضي مخبِراً له، ولا مخبِر له إلاّ النبيّ الكريم ﷺ. مع استبعادنا لما أُخذ عن أهل الكتاب، لذا وقع الاحتراز عنه.

٣- أن يحكم الصحابي على فعلٍ بأنه طاعة لله تعالى، أو لرسوله ﷺ، أو معصية، وكذا ما ينسب صاحبه إلى الكفر أو العصيان.

فهذا كله حكمه الرفع، لأن الظاهر أن يكون الصحابيُّ قد تلقّاه عن رسول الله ﷺ. وقد نقل الحافظ ابن عبد البر رحمه الله تعالى الإجماعَ على ذلك. مثل:

* قال أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: (شر الطعام طعامُ الوليمة، يُدعى إليها الأغنياء، ويُترك الفقراء، ومن ترك الوليمةَ فقد عصى الله ورسوله ﷺ). متفق عليه(١٧٧٥).

(١٧٧٣) صحيح مسلم: المقدمة (١: ١٢).

(١٧٧٤) صحيح مسلم: المقدمة (١: ١٢). وانظر الإمام الشافعي وأثره في الحديث وعلومه، فقد ذكرت نماذج أخرى.

(١٧٧٥) صحيح البخاري: كتاب النكاح: باب من ترك الدعوة فقد عصى الله ورسوله. وصحيح مسلم: كتاب النكاح: باب الأمر بإجابة الداعي إلى دعوة، رقم (١٠٧-١٠٩) وقد رواه مسلم بذكر النبيِّ ﷺ، رقم (١١٠).

* وقد ورد عند مسلم، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن النبيَّ ﷺ قال: (شر الطعام طعام الوليمة،...) الحديث.

* وقوله رضي الله تعالى عنه-في الخارج من المسجد بعد الأذان-: أما هذا فقد عصى أبا القاسم ﷺ. رواه مسلم(١٧٧٦).

فهذا كله حكمه الرفع أيضاً، لأن الظاهر أن ذلك مما تلقّاه عنه ﷺ، ونقل الحافظ ابن عبد البر رحمه الله تعالى الإجماعَ عليه.

٤- الإخبار عما يحصل بفعله ثواب مخصوص، أو عقاب مخصوص.

فهذا حكمه الرفع أيضاً، لأن تحديدَ الثواب والعقاب ليس من بابة البشرية. ولا سبيل للاجتهاد فيه.

٥- إذا حكى الصحابيُّ قولاً لا يقتضيه القياس، ولا يمكن أن يكون ذلك القول إلاّ بتوقيف، أو أضاف ذلك القول إلى الله تعالى،...

فذلك كله مسند مرفوع، له حكم الرفع أيضاً، لأن مثل ذلك مما لا مجال للرأي فيه. مثل:

* قول السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها: فرَض الله الصلاةَ-حين فرضها-ركعتين ركعتين في الحضر والسفر، فأُقِرَّت صلاةُ السفر، وزِيد في الحضر. متفق عليه(١٧٧٧).

* وفي رواية لهما: فُرضت الصلاةُ ركعتين.

(١٧٧٦) صحيح مسلم: كتاب المساجد: باب النهي عن الخروج من المسجد إذا أذّن المؤذن، رقم (٢٥٨-٢٥٩).

(١٧٧٧) صحيح البخاري: كتاب الصلاة: باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء، وكتاب مناقب الأنصار: باب التاريخ، ومن أين أرخوا التاريخ.وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين: باب صلاة المسافرين وقصرها، رقم (١-٣).

* وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: فرض الله الصلاة على لسان نبيكم ﷺ. رواه مسلم(١٧٧٨).

٦- الاقتصار على القول مع حذف الفاعل، وسقوط الصيغة، مع الحكم بالرفع بالقرينة، وتكرار كلمة قال: قال.

* مثل: (عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال: (أسلمُ وغفار وشيءٌ من مزينة وجهينة -أو قال: شيءٌ من جهينة أو مزينة- خيرٌ عند الله -أو قال: يوم القيامة- من أسد وتميم وهوازن وغطفان). رواه البخاري(١٧٧٩).

فهذا حكمُه الرفعُ أيضاً.

قال الحافظ رحمه الله تعالى(١٧٨٠): (قال: قال: أسلم وغفار) كذا فيه، بحذف فاعل قال الثاني، وهو اصطلاح لمحمد بن سيرين، إذا قال عن أبي هريرة قال: (قال) ولم يسم فاعلاً، والمراد به النبيَّ ﷺ، وقد نبَّه على ذلك الخطيب(١٧٨١). وتبعه ابنُ الصلاح. وقد أخرج مسلم هذا الحديث(١٧٨٢). فقال فيه: قال رسول الله ﷺ.اهـ.

(١٧٧٨) صحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (٥-٦). وانظر: معرفة علوم الحديث (٢١-٢٢) والكفاية (٥٨٨-٥٨٩) وشَرْحَي الألفية (١: ١٢٥-١٢٦) ونزهة النظر (١٠٤-١٠٨) والنكت (٢: ٥٢٩-٥٣٦) وفتح المغيث (١: ١٢٢-١٢٧) وتدريب الراوي (١: ١٩٠-١٩٤).

(١٧٧٩) صحيح البخاري: كتاب المناقب: باب ذكر أسلم وغفار ومزينة،...

(١٧٨٠) فتح الباري (٦: ٥٤٥).

(١٧٨١) الكفاية (٥٨٩).

(١٧٨٢) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل غفار وأسلم،... رقم (١٩٢).

قلت: قوله وهو اصطلاح لمحمد بن سيرين. متعقب، فقد وجدتُ الكثير مما جاء عن غير ابن سيرين كذلك، سواء كان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أو عن غيره. مثاله:

* عن أبي نعامة، عن عبد الله بن الصامت، عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال: قال: (كيف أنتم -أو قال: كيف أنت- إذا بقيتَ في قوم يؤخِّرون الصلاةَ عن وقتها،...). الحديث، رواه مسلم[١٧٨٣]. وقد رواه من طرق أخرى مرفوعة صراحة في نفس الباب.

٧- تفسير الصحابي الذي شهد الوحيَ والتَّنْزيل، لآية من كتاب الله تعالى، إن كان مما لا مجال للرأي والاجتهاد فيه، ومما لا يمكن أخذه إلاّ عن النبي المصطفى الكريم ﷺ، وليس مأخوذاً من كلام العرب.

مثل: إخباره عن سببٍ وقع في عهد رسول الله ﷺ، أو أخبر عن نزول الآية له بذلك، أو عن أمر مغيَّب من أمور الدنيا أو الآخرة، أو تعيين ثواب أو عقاب،... ونحو ذلك.

فهذا كله يعتبر مسنَداً مرفوعاً.

أما إذا كان تفسيره بلسان العرب، أو بلغته، أو مما للرأي فيه مجال،... فهذا موقوف، والله تعالى أعلم. مثاله:

* قول جابر رضي الله تعالى عنه: كانت اليهود تقول: إذا أتى الرجُلُ امرأته من دُبُرها في قُبُلها كان الولدُ أحول. فنزلت: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا

(١٧٨٣) صحيح مسلم: كتاب المساجد: باب كراهية تأخير الصلاة عن وقتها المختار، رقم (٢٣٨-٢٤٤).

حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾[(١٧٨٤)]. متفق عليه[(١٧٨٥)].

٨- إذا فعل الصحابيُّ فعلاً مما لا مجال للاجتهاد فيه، فإنه يُنزّل على أن ذلك عنده عن النبي المصطفى الكريم ﷺ.

* كما في صلاة عليٍّ رضي الله تعالى عنه في الكسوف، في كل ركعة أكثر من ركوعين-كما نص عليه الإمامُ الشافعي رحمه الله تعالى[(١٧٨٦)].

* وكذا تكبيره في العيدين والاستسقاء سبعاً وخمساً[(١٧٨٧)].

- **قول الصحابي: أُمرنا بكذا، ونُهينا عن كذا، ومن السنة كذا:**

لقد اختلف العلماء في هذه الصيغ، هل هي مرفوعة إلى النبي الكريم ﷺ أم موقوفة:

١- ذهب جماهير أهل العلم -من مختلف الفنون- إلى أنه مرفوعٌ كلُّه. اللهم إلاّ ما نُقل عن بعض علماء الأصول من الشافعية والحنفية وابن حزم في قولهم: (من السنة) وقد رد عليهم الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في النكت.

وقد نُقل عن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى أنه كان يقول به في القديم، ثم رجع.

قلت: لكن الموجود في الجديد يقول به، خلافاً لمن نَقل غيرَ ذلك.

(١٧٨٤) سورة البقرة (٢٢٣).

(١٧٨٥) صحيح البخاري: كتاب التفسير: سورة البقرة: باب ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ...﴾. وصحيح مسلم: كتاب النكاح: باب جواز جماعه امرأته في قُبُلها،... رقم (١١٧-١١٩).

(١٧٨٦) الأم (١: ٢٠٩) وانظر الإمام الشافعي... فقد ذكرت عدة نماذج أيضاً.

(١٧٨٧) الأم (١: ٢٠٩) وانظر فيه (١: ٢١٨، ٢٢١).

* قال الإمام النووي رحمه الله تعالى[1788]: إذا قال الصحابيُّ: أُمرنا بكذا، أو نُهينا عن كذا، أو من السنة كذا؛ فكلُّه مرفوع على المذهب الصحيح، الذي قاله الجماهير من أصحاب الفنون.اهـ.

٢- قال الإمامُ الإسماعيلي وأبو الحسن الكرخي رحمهما الله تعالى: إنه موقوف.

وقد رد عليهما الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في النكت أيضاً[1789].

- **قول الصحابي: كنا في عهد النبي ﷺ نفعل كذا، ونحو ذلك:**

وكذا قول الصحابي: كنا نقول كذا، أو نفعل كذا، أو يقولون كذا، أو كنا لا نرى، أو لا يرون بأساً، ولم يرفعه إلى زمن النبي الكريم ﷺ فهل هو مرفوع؟.

* مثل قول عبد الله بن عُمر رضي الله تعالى عنهما: كنا نخيِّر بين الناس في زمن النبيِّ ﷺ، فنخيِّر أبا بكر، ثم عُمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنهم -زاد في رواية: ثم نترك أصحاب النبيِّ ﷺ لانفاضل بينهم- رواه البخاري[1790].

* وقول علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: كنا في عهد النبيِّ ﷺ يوم الفطر والأضحى لا نصلّي في المسجد حتى نأتي المُصلّى، فإذا رجعنا، مررنا بالمسجد فصلّينا فيه. رواه الشافعي[1791].

(١٧٨٨) مقدمة الإمام النووي (١٩٢) بشرحي.

(١٧٨٩) انظر: النكت على ابن الصلاح (٢: ٥٢٠-٥٢٨).

(١٧٩٠) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة: باب فضل أبي بكر بعد النبيِّ ﷺ، وباب مناقب عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه.

(١٧٩١) الأم (١: ٢٠٨) ومعرفة السنن والآثار (٥: ٩٢).

* وعن أبي سعيد الخُدْري رضي الله تعالى عنه قال: كنا نُخرج [زاد في رواية: إذ كان فينا رسول الله ﷺ] زكاةَ الفطر صاعاً من طعام، أو صاعاً من شعير، أو صاعاً من أَقِط، أو صاعاً من زبيب. رواه مسلم(١٧٩٢).

* ونحو ذلك: قول جابر رضي الله تعالى عنه: كنــا نعــزل والقــرآن ينــزل. متفق عليه(١٧٩٣).

* وفي رواية للبخاري: كنا نعزل على عهد النبي ﷺ والقرآن ينــزل.

* زاد مسلم في روايته: لو كان شيئاً يُنهى عنه لنهانا عنه القرآن.

* كما زاد في رواية: فبلغ ذلك نبيَّ الله ﷺ. فلم ينهنا.

* وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: بعثني أبو بكــر الــصِّدِّيقُ رضي الله تعالى عنه في الحجة التي أمّره عليها رسول الله ﷺ-قبــل حجــة الوداع-في رهط، يؤذّنون في الناس يومَ النحر: لا يحجُّ بعد هذا العام مشرك، ولا يطوفُ بالبيت عريان. متفق عليه(١٧٩٤).

* لقد اختلف في هذه الصيغ على أقوال، ألخصها بقدر الإمكان:

١- هذا كلُّه مسندٌ مرفوعٌ. لأن الغالب في ذلك: إطّلاع النبي الكــريم ﷺ على ذلك، وتقريره إياه، وهذا مذهب الكثيرين من المحدثين والفقهــاء

(١٧٩٢) صحيح مسلم: كتاب الزكاة: باب زكاة الفطر على المسلمين،... رقم (١٧-٢١).

(١٧٩٣) صحيح البخاري: كتاب النكاح: باب العزل. وصحيح مسلم: كتاب النكاح: بــاب حكم العزل، رقم (١٣٦-١٣٨).

(١٧٩٤) صحيح البخاري: كتاب الصلاة: باب ما يستر من العورة، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الحج: باب لا يحج البيتَ مشرك،... رقم (٤٣٥).

والأصولين، وصححه النووي في المجموع وشرحه لصحيح البخاري، وبه جزم الحافظ العراقي وابن حجر والسخاوي ونص عليه الإمام الحاكم، والرازي وإمام الحرمين، وابن الصباغ والآمدي وابن الأثير والسيوطي في كثيرين(١٧٩٥). وهو الذي اعتمده الشيخان في صحيحيهما، وأكثر منه الإمام البخاري.

٢- هو موقوف، وبه قال الإمام الإسماعيلي، كما عزاه له الإمام النووي رحمه الله تعالى في المقدمة.

٣- التفصيل، فإن أضافه إلى زمن النبي المصطفى الكريم ﷺ أو حياته مثل: كنا نفعل في حياة النبيِّ ﷺ، أو في زمنه، أو وهو فينا، أو بين أظهرنا، أو نحو ذلك، فهو مرفوع، وعزاه النووي في المقدمة-تبعاً لابن الصلاح والخطيب للجمهور(١٧٩٦).

٤- إذا أورده الصحابيُّ في معرض الحجة حُمل على الرفع، وإلا فهو موقوف، حكاه الإمام القرطبي(١٧٩٧).

٥- إن كان ذلك الفعل مما لا يخفى في العادة كان كمن رآه النبيُّ ﷺ ولم ينكره، فيكون مرفوعاً. وإن جاز خفاؤه عليه ﷺ لم يكن مرفوعاً، وبه

(١٧٩٥) انظر: معرفة علوم الحديث (٢٢) والمحصول (٢: ١: ٦٤٣) وجامع الأصول (١: ٩٥-٩٧) والمجموع (١: ١٠٢-١٠٣) وشرحي الألفية (١: ١٢٩-١٣١) والتقييد والإيضاح (٦٧) والمقنع (١: ١١٧) ونزهة النظر (١٠٨) والنكت (٢: ٥١٥) وفتح المغيث (١: ١١٤-١١٥) والغاية في شرح الهداية (١: ٢٦٤) وتدريب الراوي (١: ١٨٥-١٨٦) وقفو الأثر (٩٢-٩٣) وتوضيح الأفكار (١: ٢٧٥-٢٧٦).

(١٧٩٦) الكفاية (٥٩٣-٥٩٥) وعلوم الحديث (٤٣) ومقدمة الإمام النووي (١٨٩-١٩١).

(١٧٩٧) انظر: النكت (٢: ٥١٦) وفتح المغيث، وفتح الباقي، وتوضيح الأفكار.

قال الإمام الشيرازي وابن السمعاني(١٧٩٨).

قلت: والذي يظهر-والله تعالى أعلم-رجحان القول الأول، لأن قولَ الصحابي: كنا نفعل كذا،... فالظاهر من قوله الاحتجاج، وأنه فعل على وجه يحتج به، ولا يكون ذلك إلاّ في زمن رسول الله ﷺ، ويبلغه.

- خلاصة حكم المرفوع حكماً:

*** وبهذا يتضح أن المرفوع حكماً: هو حجة، وبه قال عامّةُ العلماء، ولم يخالف في ذلك إلاّ بعضُ العلماء، لكن المعتمد قولُ الجماهير من المحدِّثين والفقهاء والأصوليين، والله تعالى أعلم.**

ثالثاً: مرسل الصحابي:

معناه، وأمثلته:

وهو: روايته ما لم يدركه، أو يحضره. مثاله:

* عن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي: الرؤيا الصالحة في النوم. متفق عليه(١٧٩٩).

فهي لم تدرك رسول الله ﷺ حين بدئ بنزول الوحي عليه، لأنها لم تكن مولودة آنذاك، وإنما ولدت بعد سنوات من البعثة.

وهذا محمول على سماعها من رسول الله ﷺ فيما بعد، أو من أبيها رضي الله تعالى عنه.

(١٧٩٨) انظر النكت (٢: ٥١٧) وفتح المغيث (١: ١١٥) وغيرهما.

(١٧٩٩) صحيح البخاري: كتاب الوحي: باب [٣] حدثنا يحيى بن بكير، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم (٢٥٢-٢٥٤).

قلت: وليس الإرسال مختصاً بصغار الصحابة رضي الله تعالى عنهم، بل يشمل الكبار فيهم سناً، ومتقدمي الصحبة أيضاً، وقد سبق بيان ذلك في الباب الثالث. مثل:

* عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: كنت أنا وجارٌ لي من الأنصار، في بني أمية بن زيد-وهي من عوالي المدينة-وكنا نتناوب النزولَ على رسول الله ﷺ، ينزل يوماً، وأنزل يوماً، فإذا نزلتُ جئتُه بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعلَ مثلَ ذلك،... الحديث بطوله، متفق عليه.

وذلك لأن السند لم يكن يعرفه العرب، كما أنه لم يكن موجوداً في الأمم السابقة، كما أنهم لم يكونوا يكذبون، وهم كلهم عدول ثقات أمناء.

* عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما قال: ما كلُّ الحديث سمعنا من رسول الله ﷺ، كان يحدِّثنا أصحابُنا، وكنا مشتغلين في رعاية الإبل، [وكان الناس لم يكونوا يكذبون يومئذ، فيحدِّث الشاهدُ الغائبَ]. رواه أحمد برجال الصحيح، وصححه الحاكم وأقره الذهبي، في آخرين(١٨٠٠).

* وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: ليس كلُّ ما نحدِّثكم عن رسول الله ﷺ سمعناه منه، ولكن حدثنا أصحابنا، ونحن قوم لا يكذب بعضنا بعضاً. رواه ابن سعد والطبراني بإسناد صحيح، وصححه الحاكم وأقره الذهبي(١٨٠١).

(١٨٠٠) مسند أحمد (٤: ٢٨٣) والمعرفة والتاريخ (٢: ٦٣٤) بنحوه، ومعرفة الصحابة (١: ٣٨٥) والمحدث الفاصل (٢٣٥) والجامع لأخلاق الراوي (١: ١١٧) والمستدرك (١: ٩٥) ومجمع الزوائد (١: ١٥٤) وكنز العمال (١٠: ٢٨٨، ٢٩٦).

(١٨٠١) الطبقات الكبرى (٧: ٢١) والمعجم الكبير (١: ٢١٨) والمستدرك (٣: ٥٧٥) والكفاية (٥٤٨) ومجمع الزوائد (١: ١٥٤).

فلم يكونوا يتشددون بذكر السند، فلما تُوُفِّي رسول الله ﷺ لم يستمروا طويلاً على ذلك، فقد ظهر السؤال والتفتيش خاصة عند الشك. فصاروا يطلبون الشاهد، والدليل،... وقد سبق بيان أن أول من فعل ذلك الصِّدّيق ثم الفاروق رضي الله تعالى عنهما، وقد ازداد احتياطهم بعد ظهور الأهواء والفتن،...

* قال ابن سيرين رحمه الله تعالى: لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سمّوا لنا رجالَكم، فيُنظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثُهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يُؤخذ حديثهم. رواه مسلم(١٨٠٢).

فبدأ الإسناد يظهر، وبدأ الإرسال يختفي شيئاً فشيئاً(١٨٠٣)، وظهر تخصص هذا الأمة بالإسناد، وانفرادها به.

- حكم مرسل الصحابة رضي الله تعالى عنهم(١٨٠٤):

(١٨٠٢) صحيح مسلم: في مقدمة صحيحه (١: ١٥) وهو موجود عند غيره بكثرة.

(١٨٠٣)انظر حجية الحديث المرسل عند الإمام الشافعي، وثلاثيات الإمام الشافعي. فقد ذكرت تميز هذه الأمة به، ومراحل ظهوره، واتباع سائر العلوم علمَ الحديث بذلك.

(١٨٠٤) انظر: الكفاية (٥٤٧) التبصرة للشيرازي (٣٢٩) البرهان (١: ٦٣٥-٦٣٧) والتمهيد لابن عبد البر (١٥: ١٣٩) والمحصول (٢: ١: ٦٥٩) والإحكام لابن حزم (٢: ٣) ومعرفة علوم الحديث (١٤) وأصول السرخسي (١: ٣٥٩) والتمهيد للكلوذاني (٣: ١٣٤) ونهاية السول (٢: ٣٦٦) وجامع الأصول (١: ١١٨) وجامع التحصيل (٣٢) وعلوم الحديث (٥١) والمجموع (١: ١٠٦) والإرشاد (١: ١٧٣-١٧٥) ومقدمة شرح صحيح مسلم (١٨٧-١٨٨) والتقريب مع التدريب (١: ٢٠٧) وروضة الناظر (١٢٥-١٢٦) والتقييد والإيضاح (٧٦-٨٠) وشرحَيْ الألفية (١: ١٥٦) والمقنع (١: ١٣٨) والبحر المحيط (٤: ٤٠٩، ٤١٥) (٦: ١٦٣) ومناهج العقول (٢: ٣٦٩) والإبهاج (٢: ٣٣٩) والنكت (٢: ٥٤١، ٢٦٩-٥٧١) والخلاصة (٦٦) والمختصر =

هناك قولان في مرسل الصحابي. أذكرهما باختصار شديد.

الأول: وهو مذهب جماهير أهل العلم؛ من المحدِّثين والأصوليين والفقهاء وغيرهم: أنه حجة. بل نقل بعضُهم الإجماعَ على ذلك.

* قال الإمامُ الكلوذانيُّ رحمه الله تعالى: إن مراسيل الصحابة مقبولة بالإجماع.اهـ.

* وقال الإمامُ الأسنويُّ رحمه الله تعالى: مرسل الصحابي مقبولٌ إجماعاً.اهـ.

* وبنحوه قاله الإمامُ البدخشيُّ رحمه الله تعالى.

* وقال الإمام السرخسيُّ رحمه الله تعالى: لا خلاف بين العلماء في مراسيل الصحابة رضي الله تعالى عنهم أنها حجة.اهـ.

* وقال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله تعالى: لا خلاف بين العلماء أن مرسل الصاحِب عن الصاحب، أو عن الصحابة وإن لم يسمعهم: صحيحٌ حجة.اهـ.

* وهذا ما نراه في جميع كتب الحديث والفقه والأصول من استدلالهم بأحاديث صغار الصحابة -وليس فيهم صغير- وكبارهم ممن لم يسمعوا من رسول الله ﷺ، إنما سمعوا من صحابي عنه ﷺ، كما سبق في الفصل الثاني من الباب الثالث، وسيأتي وجه ذلك إن شاء الله تعالى.

الثاني: خالف في ذلك الإمامان الباقلاني وأبو إسحق الإسفراييني وبه قال ابن القشيري، رحمهم الله تعالى، وجنح إليه ابن الأثير رحمه الله تعالى، وزعم

= للكافيجي (١٢٦) وفتح المغيث (١: ١٤٥، ١٤٦) والتحرير مع التيسير (٣: ١٠٢، ١٠٣) والمغني للخبازي (١٨٩) وشرح الكوكب المنير (٢: ٥٨١) وقفو الأثر (٦٧) وإرشاد الفحول (٦٥) وتوضيح الأفكار (١: ٢٨٤، ٣١٧، ٣١٨)

القاضي عبد الجبار أنه مذهب الإمام الشافعي رحمه الله تعالى، ونقله ابنُ بطال في أوائل شرح البخاري عنه أيضاً-وكلاهما غلط عليه، كما سيأتي إن شاء الله تعالى: أنه ليس بحجة، مع وجود تفاصيل.

ويرد عليهم بما نقله ابن برهان في الوجيز بقوله: مذهبُ الشافعي: أن المراسيل لا يجوز الاحتجاج بها إلاّ مراسيل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ومراسيل سعيد بن المسيب، وما انعقد الإجماع على العمل به.اهـ من النكت.

- **سبب رد هؤلاء لمرسل الصحابي:**

* إن سبب ردهم لمراسيل الصحابة رضي الله تعالى عنهم-كما بيّنه الخطيبُ البغداديُّ رحمه الله تعالى في الكفاية عنهم-: لا للشك في عدالتهم،... ولكن لأنه قد يَروي الراوي منهم عن تابعيٍّ، وعن أعرابيٍّ لا تُعرفُ صحبتُه ولا عدالته. فلذلك يجب العمل بترك مرسلِه.

ولو قال: لستُ أروي لكم إلاّ من سماعي من الرسول ﷺ أو من صحابيٍّ لوجب علينا قبول مرسله.اهـ.

قلت: هذا قول ضعيف، فهل يوجد من يستطيع أن يميِّز ما رواه كبار الصحابة رضي الله تعالى عنهم عن صحابة آخرين عما رووه عن رسول الله ﷺ مباشرة؟ فإذا كان هذا غير ممكن، فما القول فيما رواه صغارهم، أو مَن تأخّر إسلامُهم أو هجرتُهم؟

* قال الحافظ العراقيُّ رحمه الله تعالى في التقييد: الجواب عن ذلك أن رواية الصحابة عن التابعين غالبها ليست أحاديث مرفوعة، وإنما هي من الإسرائيليات، أو حكايات، أو موقوفات.اهـ.

* وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: قول الصحابي قال رسول الله ﷺ ظاهرٌ في أنه سمعه منه، أو من صحابيٍّ آخر. والاحتمال أن يكون سمعه من تابعيٍّ ضعيفٍ نادرٌ جدًّا، لا يؤثِّرُ في الظاهر، بل حيث رووا عن من هذا سبيلُه بيّنوه وأوضحوه.

وقد تتبعتُ روايات الصحابة رضي الله تعالى عنهم عن التابعين، وليس فيها من رواية صحابيٍّ عن تابعيٍّ ضعيفٍ في الأحكام شيءٌ يثبت، فهذا يدل على ندور أخذهم عن مَن يضعف من التابعي، والله تعالى أعلم.اهـ.

قلت: سيأتي بعد قليل إن شاء الله تعالى حكم جهالة الصحابي.

وقد ألف الخطيب البغداديُّ رحمه الله تعالى كتاباً في رواية الصحابة عن التابعين، وانتخب منه الحافظ العراقي رحمه الله تعالى (٢٠) عشرين حديثاً مما وقف عليها، مما هي في الكتب الستة أو أحدها، وانظرها في التقييد.

وقد بيّن الحافظ العراقيُّ رحمه الله تعالى أن المحدِّثين لم يختلفوا في الأخذ بمراسيل الصحابة، كما أن عامة أهل الأصول جزموا بالاحتجاج بها أيضاً.

* وقال الإمام السيوطي رحمه الله تعالى-تعقيباً على قول الإمام النووي رحمه الله تعالى: (فمحكومٌ بصحته على المذهب الصحيح): الذي قطع به الجمهور من أصحابنا وغيرهم، وأطبق عليه المحدّثون، المشترطون للصحيح، القائلون بضعف المرسل.

وفي الصحيحين من ذلك ما لا يحصى، لأن أكثرَ رواياتهم عن الصحابة، وكلهم عدول [ومن كان يرسل فإنما هو عن مثله، ولا يضر الجهالة بعينه بعد تقرر عدالة الجميع.اهـ. من العلائي] ورواياتهم عن غيرهم نادرة، وإذا رووها بيَّنوها، بل أكثر ما رواه الصحابة عن التابعين، ليس أحاديث مرفوعة، بل

إسرائيليات أو حكايات أو موقوفات.اهـ.

قلت: ودعوى من رد مراسيل الصحابة بتقييدها بمراسيل صغار الصحابة رضي الله تعالى عنهم مردود. إذ هو حاصل من كبارهم أيضاً، وقد ذكرت في الباب السابق كثيراً من النصوص في ذلك، كما ذكرت قبل قليل قول عمر رضي الله تعالى عنه: كنت أنا وجار لي من الأنصار،...وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ،... الحديث، وهو متفق عليه.

- **سبب الأخذ بمرسل الصحابي:**

هناك عدة عوامل على الأخذ بمراسيل الصحابة. أجملها بما يلي:

١- إن الصحابة رضي الله تعالى عنهم كلهم عدول أمناء ثقات، عدّلهم الله تعالى ورسوله ﷺ. وقد سبق في الفصل السابق بيان ذلك.

٢- إن الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم لا يروون إلاّ عن مثلهم، ورواياتهم عن غيرهم نادرة، ثم هي مع ندرتها ليست أحاديث نبوية في الأحكام، كما مر عن الخطيب والعراقي رحمهما الله تعالى. ثم إذا صاروا يتحرّجون عن رواية مثلهم-إذا شكّوا-فيطلبون الشاهد والدليل، فكيف يروون مطلقاً عمن هم دون ذلك بكثير؟

٣- إن جهالة الصحابي بعينه لا تضر بالإجماع-كما سيأتي بعد قليل.

٤- اعتماد المحدّثين وأهل الأصول والفقهاء خاصة أصحاب الصحيح-الذين يشترطون الصحة-على رواياتهم من غير تفريق، دلالة على اعتمادها.

٥- إن مراسيل الصحابة ليست خاصة بصغارهم بل شاملة لكبارهم أيضاً، ومع هذا فقد اعتمدها الفقهاء، وأصحاب الأصول، وأصحاب الصحيح من الحديث فضلاً عن غيرهم، فليسعنا ما وسعهم، وإلاّ ندخل في

التحذير ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾[1805].

٦- اعتماد جميع العلماء على روايات أنس بن مالك وابن عباس وابن الزبير والبراء وابن عمر،... ونحوهم كثير رضي الله تعالى عنهم؛ حيث لقوا رسولَ الله ﷺ وهم دون البلوغ.

بل حتى على من لم يبلغ يوم تُوفي النبيُّ المصطفى الكريمُ ﷺ؛ كابن الزبير، والحسن، والحسين، وعُمر بن أبي سلمة، وابن عباس، ومحمود ابن الربيع، وعبد الله بن جعفر، والمِسْوَر بن مَخْرَمَة، وسهل بن أبي حثمة، وأبي الطفيل الكناني، والسائب بن يزيد، والنعمان بن بشير، وقرة بن إياس، وعبد الله بن حنظلة، ومسلمةُ بن مُخَلَّد، وقثم بن العباس،... وغيرهم رضي الله تعالى عنهم، وكلهم من الصحابة الذين رووا عن رسول الله ﷺ، فقد اعتمد المحدِّثون على رواياتهم، وأدخلوها كتبهم، خاصة أهل الصحيح[1806].

- **تنبيهات:**

الأول: قولهم مرسل صحابي: هذا اللفظ فيه تسامح، فهو وإن كان ينطبق من حيث اللغة، لكن تعريف علماء الحديث وغيرهم للمرسل بأنه قول التابعي: قال رسول الله ﷺ، وهو الأكثر في الاستعمال، لا ينطبق عليه. لذا قلت: فيه تسامح.

الثاني: لا بد من تقييد مرسل الصحابي حتى يقبل: بأن يكون زمن النبيِّ

(١٨٠٥) سورة النساء (١١٥).

(١٨٠٦) انظر المحدث الفاصل (١٨٩-١٩٢) والكفاية (١٠٥-١١١).

ﷺ من أهل التحمل والسماع. أما إذا كان له مجرد رؤية فقط فلا يكـــون قوله: قال رسول الله ﷺ مرسلَ صحابيٍّ، لأنه لم يدركه.

فمن وُلد في زمن النبي المصطفى الكريم ﷺ وأُتي به ليبّرك عليه، وتوفّي النبي المصطفى الكريم ﷺ والغلامُ ما زال صغيراً غيرَ مميز كمحمد بن أبي بكر وغيره من أولاد الصحابة رضي الله تعالى عنهم، فإنهم وإن نـــالوا شـــرف الصحبة، إلاّ أن رواياتهم ليس لها حكم مراســيل الـــصحابة، لأن روايـــة الصحابة إما أن تكون عن النبيِّ الكريم ﷺ أو عن صحابيٍ آخـــر، والكـــل عدول -كما مر- أما هؤلاء فأكثر رواياتهم عن التابعين، لذا كـــان حكـــمُ حديثهم حكمَ غيره من المخضرمين، الذين لم يسمعوا من الـــنبي المـــصطفى الكريم ﷺ[(١٨٠٧)]. والله تعالى أعلم.

ولهذا يلغز به فيقال: صحابيٌّ حديثُه مرسل، لا يقبله من يقبل مراســيل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، والله تعالى أعلم.

وكون كثير من علماء الحديث لم يذكروا هذا القيد فلمعرفتهم به.

الثالث: إن الجهالة باسم الصحابي لا تضر، لأنهم كلهم عدول، كمـــا سبق، فإذا ثبتت الصحبة له دخل في سياجها، ولا تضره جهالة عينه.

فإذا قال تابعي: حدثني رجل من الصحابة، أو عن رجل من الصحابة، فهذا كله محمول على الاتصال والرفع، ولا يضر جهالة اسم الصحابي، وهذا متفق عليه بين علماء الحديث.

* روى الإمام البخاري رحمه الله تعالى عن الحُمَيْدي قـــال: إذا صـــح

(١٨٠٧) انظر النكت (٢: ٥٤٠-٥٤١) وفتح المغيث (١: ١٤٧) وتدريب الراوي (١: ١٩٦) وفتح الباقي (١: ١٥٧) وشرح الكوكب المنير (٢: ٥٨١-٥٨٢) واليواقيت والدرر (٣٤٩).

الإسناد عن الثقات إلى رجل من أصحاب النبيِّ ﷺ فهو حجة، وإن لم يسمِّ ذلك الرجل.اهـ.

* وقال الأثرم: قلت لأبي عبد الله-يعني الإمام أحمد بن حنبل-: إذا قال رجل من التابعين: حدثني رجل من أصحاب النبيِّ ﷺ و لم يسمّه فالحديثُ صحيح؟ قال: نعم.اهـ.

* وقال الإمام ابن الصلاح رحمه الله تعالى: والجهالة بالصحابيِّ غيرُ قادحة، لأن الصحابة كلهم عدول.اهـ، والله تعالى أعلم.

* وحكاه الحافظ أبو محمد عبد الكريم الحلبي رحمه الله تعالى عن أكثر العلماء(١٨٠٨).

* لكن فرّق الإمام الصيرفي رحمه الله تعالى بين عنعنة التابعي وتصريحه بالسماع، فلا يقبل عنعنته، لأنه لا يُدرى هل سمع ذلك التابعي من ذلك الصحابي أم لا.

* وقد أقره الحافظ العراقيُّ رحمه الله تعالى على هذا التفريق.

قلت: وفي ذلك نظر. إذ سلامة التابعي من التدليس كافية في قبول روايته، ولو أدى بصيغة العنعنة، لأن مدار الرواية إنما هي على قوة الظن به، وهي حاصلة في هذا المقام، لمن كان غير معروف بالتدليس، ولا عبرة بصيغة الأداء.

* قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى(١٨٠٩): و لم نَعرِف بالتدليس في

(١٨٠٨) انظر: علوم الحديث (٥١) والتقييد والإيضاح (٧٤) وفتح المغيث (١: ١٤٥-١٤٦) وتدريب الراوي (١: ١٩٧).

(١٨٠٩) الرسالة (٣٧٨-٣٧٩).

بلدنا، فيمن مضى ولا مَن أدركنا من أصحابنا: إلاّ حديثاً، فإن منهم مَن قبِلَه عن من لو تركه عليه كان خيراً له.

وكان قولُ الرجل: سمعتُ فلاناً يقول سمعتُ فلاناً. وقولُه: حدّثني فلانٌ عن فلان: سواءٌ عندهم، لا يحدِّث واحدٌ منهم عن من لقي إلاّ ما سمع منه، ممن عناه بهذه الطريق: قبلنا منه: حدّثني فلان عن فلان.اهـ.

الرابع: ما ورد عن الإمام البيهقي رحمه الله تعالى في مواضع من سننه[1810] من إطلاقه على ما رواه التابعي عن رجل من الصحابة لم يُسمّ: مرسلاً. ليس بجيد-كما قال الحافظ العراقي رحمه الله تعالى-إلاّ إن كان يسميه مرسلاً، ويجعله حجة كمراسيل الصحابة، فهو قريب.

قلت: لكن الموجود في كتبه هو الاحتجاج بمثل ذلك:

* قال في معرفة السنن والآثار معلّقاً على[1811] حديث محمد بن أبي عائشة، عن رجل من أصحاب النبيِّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (لعلكم تقرؤون والإمامُ يقرأ)... الحديث.

قال رحمه الله تعالى: هذا إسنادٌ صحيح، وأصحابُ النبيِّ ﷺ كلهم ثقة. فتركُ ذكْر أسمائهم في الإسناد لا يضر، إذا لم يعارضه ما هو أصح منه.اهـ. وجوَّد إسناده في السنن الكبرى أيضاً.

* وقال في تعليقه على حديث أبي عُمَير بن أنس قال: حدّثني عمومةٌ لي من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ قال: أُغمي علينا هلالُ شوال،... الحديث.

(١٨١٠) انظر: السنن الكبرى (١: ١٩٠).

(١٨١١) معرفة السنن والآثار (٣: ٨٤) والسنن الكبرى (٢: ١٦٦) وانظر النكت (٢: ٥٦٣-٥٦٤) وفتح المغيث (١: ١٤٥).

قال[١٨١٢]: وعمومةُ أبي عُمير من أصحاب رسول الله ﷺ، لا يكونون إلاّ ثقات.اهـ.

الخامس: إذا سمع كافر من رسول الله ﷺ، ثم أسلم بعد وفاته ﷺ، أو قبل وفاته لكن لم يره. فإن هذا ليس صحابيّاً، ولا تصح له صحبة، إنما هو تابعيٌّ اتفاقاً[١٨١٣]. لكن روايته موصولة، ولا خلاف في الاحتجاج بها، كالتنوخي رسولِ هرقل، فقد روى حديثَه: الإمامان أحمد وأبو يعلى في مسنديهما[١٨١٤]. وساقاه مساق الأحاديث المسندة.

لهذا يلغزون فيقولون: تابعي يقول: قال رسول الله ﷺ كذا، ويكون حديثُه مسنداً وليس مرسلاً، ويُحتج به من غير خلاف، والله تعالى أعلم.

السادس: إذا سمع كافرٌ من رسول الله ﷺ -وهو كافر- ثم أسلم في حياته ﷺ، فحديثُه صحيح مسند متصل، وبه استدل صاحب الصحيح.

* كما في حديث جُبير بن مطعِم رضي الله تعالى عنه -المتفق عليه[١٨١٥]- في سماعه النبيَّ ﷺ ويقرأ سورة الطور في صلاة المغرب، وكان قد قدم في فداء أسرى بدر، وفيه قوله: وذلك أولُ ما وقر الإيمانُ في قلبي.

(١٨١٢) السنن الكبرى (٣: ٣١٦).

(١٨١٣) انظر: النكت (٢: ٥٤٤) والتدريب (١: ١٩٦) وفتح المغيث (١: ١٢٩) وفتح الباقي (١: ١٤٥) واليواقيت والدرر (٣٤٨) وتوضيح الأفكار (١: ٢٨٣) ومقدمة بذل المجهود (٢٠).

(١٨١٤) مسند أحمد (٣: ٤٤١-٤٤٢) (٤: ٧٤-٧٥، ٧٥) ومسند أبي يعلى (٣: ١٧٠-١٧١) ورجاله ثقات عندهما، انظر مجمع الزوائد (٨: ٢٣٤-٢٣٦).

(١٨١٥) صحيح البخاري: كتاب الجهاد: باب فداء المشركين، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الصلاة: باب القراءة في الصبح، رقم (١٧٤).

* وكذا حديثه يوم عرفة، حين أضلَّ بعيراً له، وذهب يطلبه حتى أتى عرفة، فوجد رسول الله ﷺ في عرفة، واقفاً مع الناس. فقال: هذا والله من الحُمْس، فما شأنه ههنا؟ المتفق عليه[١٨١٦]. أيضاً، والله تعالى أعلم.

السابع: حكم مراسيل الصحابة عند الإمام الشافعي رحمه الله تعالى.

لقد أخطأ بعضُ العلماء في نسب عدم قبول مراسيل الصحابة رضي الله تعالى عنه للإمام الشافعي رحمه الله تعالى.

* قال القاضي عبد الجبار رحمه الله تعالى[١٨١٧]: مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه أن الصحابي رضي الله تعالى عنه إذا قال: قال رسول الله ﷺ كذا، قُبِل، إلاّ إن عُلم أنه أرسله.اهـ.

* وقال القاضي عبد الوهاب رحمه الله تعالى[١٨١٨]: لا تُقبل مراسيل الصحابة. وقال: إنه الظاهر من مذهب الشافعي.اهـ.

* وقال ابن بطال رحمه الله تعالى[١٨١٩]: إن مذهب الشافعي رحمه الله تعالى أن المرسل عنده ليس بحجة، حتى مرسل الصحابة.اهـ.

قلت: هذا كله على خلاف مذهب الإمام رحمه الله تعالى والمشهور عنه،

(١٨١٦) صحيح البخاري: كتاب الحج: باب الوقوف بعرفة. وصحيح مسلم: كتاب الحج: باب في الوقوف، رقم (٥٣).

(١٨١٧) النكت (٢: ٥٤٧) وفتح المغيث (١: ١٤٦-١٤٧) ونقل الزركشي عنه في البحر المحيط (٤: ٤١٠) أنه يقبل مراسيل الصحابة، أما التابعين فبالشروط المقبولة عنده.

(١٨١٨) البحر المحيط (٤: ٤١٠).

(١٨١٩) النكت (٢: ٥٤٨) وفتح المغيث (١: ١٤٧) والبحر المحيط (٤: ٤١٠) وذكر أنه صريح عن الشافعي.

كما قال الحافظان ابن حجر والسخاوي وغيرهما رحمهم الله تعالى[١٨٢٠].

* قال ابن برهان رحمه الله تعالى[١٨٢١]: مذهب الشافعي: أن المراسيل لا يجوز الاحتجاج بها، إلاّ مراسيل الصحابة، ومراسيل سعيد بن المسيب، وما انعقد الإجماع على العمل به.اهـ.

* وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى[١٨٢٢]: هو ما رواه عن النبيِّ ﷺ مَن لم يدركه أو لم يحضره،...

ومذهبُ الشافعي أنه إذا انضم إلى المرسل ما يعضده: احتج به، وبان بذلك صحته،... سواء عنده في هذا مرسل سعيد بن المسيب وغيره،... ثم قال: هذا في غير مرسل الصحابي.

أما مرسَله: وهو روايته مالم يُدركه أو يحضره، كقول عائشة رضي الله تعالى عنها: (كان أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا) فمذهب الشافعي والجماهير أنه حجة.اهـ.

* وخير من يعبر عن مذهب الإمام الشافعي رحمه الله تعالى هو فعله رحمه الله تعالى، فقد ملأ كتبَه الحديثية والفقهية بأحاديث هؤلاء الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم، سواء ممن كان صغيراً-كابن عباس وأنس وابن الزبير والسيدة عائشة،...رضي الله تعالى عنهم، أو ممن تأخّر إسلامه، أو هجرته،... ولم يتعرّض لرواية واحدة من هذه الأحاديث الكثيرة التي رواها عنهم بالطعن أو الرد-اللهم إلاّ عند التعارض، فيكون الترجيح-مما يدل على

(١٨٢٠) النكت (٢: ٥٤٧) وفتح المغيث (١: ١٤٧).

(١٨٢١) النكت (٢: ٥٤٧) وفتح المغيث (١: ١٤٧) وتوجيه النظر (٢٤٦).

(١٨٢٢) شرح صحيح البخاري (١١).

اعتبارها حجة عنده، وهي كالمتصلة، فلم يفرّق بينهما[1823]، حتى يقـال: كيف فعل، أو يحتاج إلى تخريج، والله تعالى أعلم.

ولو نظرنا في كتاب الأم لوجدنا أعداداً كبيرةً من الأحاديث يرويها عن مثل هؤلاء، ويعتمدها، ويشقق منها الأحكام، ويرد بها على الخصوم، ولم أره ردّ حديثاً واحداً منها بدعوى الإرسال عن رسول الله ﷺ، مما يدل على اعتماده لها، وحجيتها عنده. وأحمد الله تعالى أني قرأت كتبه المطبوعة أكثر من مرة.

- ما هو سبب إرسال الصحابة رضي الله تعالى عنهم؟

إن سبب إرسالهم رضي الله تعالى عنهم راجع إلى أمور ثلاثة، وهي:

١- إما لصغر سنه زمن النبوة، فلم يدرك تلك الحوادث والوقائع، ولم يحظ من رسول الله ﷺ إلاّ بالوقت القصير، كابن عباس وعائشة وأسامة ابن زيد وابن الزبير وعبد الله بن جعفر والنعمان بن بشير وأنس والبراء بن عازب والحسنين،... وأمثالهم كثير رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، وقد مرت الإشارة إلى عدد منهم في الباب السابق.

٢- وإما لتأخر إسلامهم أو هجرتهم، كالعباس وأبي هريرة ومعاوية وأبي سفيان،... وأضرابهم رضي الله تعالى عنهم.

٣- أو لعدم حضورهم ومشاهدتهم بعضَ مجالس النبي الكريم ﷺ، سواء كانوا من كبار الصحابة كعمر وغيره رضي الله تعالى عنهم أو من غيرهم.

وإذا كان كبار الصحابة يروون عن غيرهم رضي الله تعالى عنهم، فمَن كان دونهم فمن باب أولى، والله تعالى أعلم.

(١٨٢٣) انظر فهارس كتاب السنن، وثلاثيات الإمام الشافعي رحمه الله تعالى، تجد روايات بالمئات لصحابة لم يصلوا إلى العشرين يوم وفاة النبي المصطفى الكريم ﷺ.

- **خلاصة حكم مرسل الصحابي أنه حجة:**

*** وبهذا يتضح أن مرسل الصحابي حجةٌ، وبه قال عامّةُ العلماء؛ من محـدِّثين وفقهاء وأصوليين، ولم يخالف في ذلك إلاّ من ذُكر -لكنهم قيدوه فيما إذا لم يبيِّن أنه لا يرسل إلاّ عن صحابي، فإن بيَّن قُبِل مرسَلُه- والعبرةُ بما فعله المحـدّثون من اعتماد رواياتهم من غير تمييز بين ما كان مرسَلاً أو مرفوعاً، والله تعالى أعلم.**

رابعاً: الموقوف:

تعريفه:

هو: ما أُضيف إلى الصحابي؛ من قولٍ، أو فعل، ونحو ذلك، متصلاً كان ذلك أو منقطعاً، ما لم يكن له حكم الرفع. ويُستعمل في غيره مقيَّداً، كأن يُقال: أوقفه فلانٌ على عطاء مثلاً. كما قال ابنُ الصلاح والنووي... وغيرهما رحمهم الله تعالى.

لكن شرط الإمامُ الحاكم رحمه الله تعالى في الموقوف: الاتصال. وتعقَّبه الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى، وأن ذلك لم يوافقه عليه أحدٌ.

قلت: لكن لا بد من تقييد ما أضيف إلى الصحابي: بعدم وجودِ قرينةٍ تدل على رفع الحديث، ولو حكماً، كأن يكون مما ليس للعقل فيه مجال، كما سيأتي، إن شاء الله تعالى.

* لقد ذهب عامة أهل العلم إلى الأخذ بأقوال الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ودللوا على ذلك بالكتاب والسنة والرأي:

- أما الدلالة من القرآن:

- الحث على اتّباع الصحابة رضي الله تعالى عنهم والأخذ بأقوالهم:

لقد أمر الله عز وجل باتباع الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وحذّر من مخالفتهم، كما حث رسول الله ﷺ على الأخذ بسنة الخلفاء الراشدين رضي الله تعالى عنهم.

قال الله عز وجل: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(١٨٢٤).

وقال جل شأنه: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾(١٨٢٥).

ففي الآية الأولى: يخبر تعالى أن من أراد أن يحل عليه رضوانُ الله تعالى، ويدخل الجنةَ، خالداً مخلَّداً فيها، ويفوز برضوان الله تعالى: فعليه أن يتَّبع صحابةَ رسول الله ﷺ من مهاجرين وأنصار رضي الله تعالى عنهم.

وفي الآية الثانية: يخبر الله تعالى أن من لم يتبعهم، ويتّبع سبيل غيرهم؛ كان مشاققاً مخالفاً عاصياً، مهدَّداً من الله تعالى بالعذاب المهين، والإلقاء في نار الجحيم، وبئس المصير، لأنه يكون متَّبعاً لغير المؤمنين.

كيف وقد كثرت الآيات في مدح الصحابة رضي الله تعالى عنهم والثناء عليهم، مما يدل على أنه تعالى يريد ممن يأتي بعدهم أن يكون على منهاجهم.

(١٨٢٤) سورة التوبة (١٠٠).

(١٨٢٥) سورة النساء (١١٥).

- أما الدلالة من السنة النبوية:

فقد جاءت الأحاديث الكثيرة من رسول الله ﷺ فيها الكثير من الثناء والمدح،... ومن ذلك: حثه ﷺ على السمع والطاعة، واتباع سنة الخلفاء الراشدين، والأخذ بهدي عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم. وقد سمى رسول الله ﷺ ما يصدر عنهم سنةً، وساقها مساق سنته ﷺ.

* فعن العرباض بن سارية رضي الله تعالى عنه قال: صلّى بنا رسول الله ﷺ الصبحَ، فوعظَنا موعظةً بليغةً، ذرَفت منها العيون، ووجلت منها القلوب. فقال قائل: يا رسول الله، كأنها موعظةُ مودِّع، فأوصنا.

فقال: (أُوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن كان عبداً حبشيّاً، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنةِ الخلفاءِ الراشدين المهديين، فتمسَّكوا بها، وعضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثاتِ الأمور، فإن كلَّ مُحدثَة بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ). رواه أحمد والدّارمي وأبو داود وابن ماجَه والبيهقي والطحاوي والآجري، وصححه الترمذي وابن حِبّان والحاكم من طرق عدة، وأقره الذهبي(١٨٢٦).

(١٨٢٦) مسند أحمد (٤: ١٢٦، ١٢٧) وسنن الدّارمي (١: ٤٣-٤٤ رقم ٩٦) وسنن أبي داود: كتاب السنة: باب في لزوم السنة، رقم (٤٦٠٧) وسنن الترمذي: كتاب العلم: باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، رقم (٢٦٧٦) وسنن ابن ماجَه: المقدمة: باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، رقم (٤٢-٤٤) والشريعة (١: ١٧١، ١٧٢) وشرح مشكل الآثار (٣: ٢٢١-٢٢٤) والسنة (٢: ٧٠-٧٢) والمعجم الكبير (١٨: ٢٤٥-٢٤٩، ٢٥٧ من طرق) ومسند الشاميين (٣: ١٧٢-١٧٣) وشرح السنة (١: ٢٠٥) وحلية الأولياء (٥: ٢٢٠-٢٢١) (١٠: ١١٤، ١١٥) وصحيح ابن حبّان (١: ١٧٨-١٧٩) والمستدرك (١: ٩٥-٩٧من طرق) والسنن الكبرى (١٠: ١١٤) =

* وعن حُذَيْفَة بن اليمان رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (اقتدوا باللَّذَين من بعدي؛ أبي بكر وعمر، واهتدوا بهدي عمّار، وتمسكوا بعهد ابن أم عبد) رضي الله تعالى عنهم. رواه الحُمَيْدي وابن سعد وابن أبي شيبة وأحمد والفسوي وابن أبي عاصم، والترمذي وحسنه، وابن ماجه، والحاكم وصححه وأقره الذهبي، وابن حِبّان والطحاوي والبغوي، في آخرين[(١٨٢٧)]. ورواه بعضهم مختصراً.

* وعن عَمْرو بن حُرَيث رضي الله تعالى عنه -في قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه على رسول الله ﷺ سورة النساء- وفيه، قال رسول الله ﷺ: (رضيتُ لكم ما رضي لكم ابنُ أم عبد). رواه الحاكم وصححه وأقره الذهبي[(١٨٢٨)].

* ورواه الحاكم وصححه وأقره الذهبي[(١٨٢٩)]، من حديث عبد الله بن

= والمدخل إلى السنن الكبرى (١١٥، ١١٦) ودلائل النبوة (٦: ٥٤١) ومعرفة السنن والآثار، ورواه غيرهم أيضاً.

(١٨٢٧) مسند الحُمَيْدي (١: ٢١٤) والطبقات الكبرى (٢: ٣٣٤) ومصنف ابن أبي شيبة (١٢: ١١) ومسند أحمد (٥: ٣٨٢، ٣٨٥، ٣٩٩، ٤٠٢) وفضائل الصحابة (١: ١٨٦-١٨٧، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٥٩) وسنن الترمذي: كتاب المناقب: باب مناقب أبي بكر رضي الله تعالى عنه، رقم (٣٦٦٢، ٣٦٦٣) وباب مناقب عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه (١٠: ٢٩٩-٣٠٠) من نسخة تحفة الأحوذي لسقوطه من نسخة إبراهيم عطوة، وسنن ابن ماجَه: المقدمة، رقم (٩٧) والمعرفة والتاريخ (١: ١٧٧) والسنة (٢: ٧٧٤، ٧٧٥، ٩٤٥) وشرح مشكل الآثار (٣: ٢٥٦-٢٥٩) وشرح السنة (١٤: ١٠١) وحلية الأولياء (٩: ١٠٩) وصحيح ابن حِبّان (١٥: ٣٢٧-٣٢٨) والمستدرك (٣: ٧٥) والفقيه والمتفقه (١: ١٧٧) وتاريخ بغداد (١٢: ٢٠) وانظر جامع بيان العلم (٢: ٢٢٣) والتلخيص الحبير(٤: ١٩٠) وعقود الجواهر المنيفة (١: ٣١) وفيض القدير (٢: ٥٦).

(١٨٢٨) المستدرك (٣: ٣١٩).

(١٨٢٩) المستدرك (٣: ٣١٧-٣١٨).

مسعود رضي الله تعالى عنه.

* وعن حُضَين بن المنذر رحمه الله تعالى قال-في جلد الوليد بالخمر، وطلب عثمان بن عفان من عليٍّ رضي الله تعالى عنهما جلدَه. وفيه:

فقال عليٌّ: يا عبد الله بن جعفر؛ قم فاجلده. فجلده، وعليٌّ يعُدُّ. حتى بلغ أربعين. فقال: أمسك. ثم قال: جَلَد النبيُّ ﷺ أربعين. وجلد أبو بكر أربعين. وجلد عُمر ثمانين. وكلٌّ سنَّةٌ. وهذا أحبُّ إليَّ. رواه مسلم(١٨٣٠).

- **أما الدلالة العقلية:**

هناك خصائص يختص بها الصحابة رضي الله تعالى عنهم لا يشاركهم فيها أحد:

- فهم عايشوا رسول الله ﷺ وناصروه وخالطوه، وعرفوا ما يحبّ وما يكره، وعرفوا رغباته، وآراءه وأحكامه، وكانوا أقرب الناس إليه وإلى قلبه.

- كانوا أعرف الناس بأسرار الشريعة، إذ الوحي ينزل بينهم، والنبيُّ الكريم ﷺ بين ظهرانيهم، وهم معه حضره وسفره، يقرأ عليهم القرآن الكريم، ويحدثهم بالسنة، ويفسر لهم ما يعجز عليهم فهمه، ويبين لهم ما يشكا عليهم.

- لقد تأدبوا على عينه ﷺ، وتأقلموا بصفاته، وتخلّقوا بأخلاقه، فنالوا ما كان الله تعالى خصّهم به، لذا صار الورع ديدنهم، والخوف شعارهم.

- كانوا ينقلون ذلك كله إلى غيرهم، سواء في عصره أو بعد انتقاله ﷺ إلى الرفيق الأعلى.

(١٨٣٠) صحيح مسلم: كتاب الحدود: باب حد الخمر، رقم (٣٨).

– فما نقلوه لمن بعدهم –كما سيأتي في آخر الفصل إن شاء الله تعالى– إما أن يكون حديثاً –لكن لا يرفعونه خشية الخطأ والوهم– أو سمعوه من غيرهم–لكن لا ينسبونه خشية التزود فيه–أو مما أطبقوا عليه –لكن لم ينقل إلاّ عن واحد– أو فهم يفهمه أحدهم.

فما كان من هذا فهم أولى أن يؤخذ قولهم، لما اتصفوا به من الاصطفاء والخيرية والرضا(١٨٣١).

* قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى –في الرسالة القديمة–(١٨٣٢): قد أثنى الله تبارك وتعالى على أصحاب رسول الله ﷺ في القرآن والتوراة والإنجيل، وسبق لهم على لسان رسول الله ﷺ من الفضل ما ليس لأحد بعدهم، فرحمهم الله تعالى وهنّاهم بما آتاهم من ذلك ببلوغ أعلى منازل الصّدّيقين والشهداء والصالحين.

هم أدّوا إلينا سننَ رسول الله ﷺ، وشاهدوه –والوحيُ ينزل عليه– فعلموا ما أراد رسولُ الله ﷺ؛ عامّاً، وخاصّاً، وعزماً، وإرشاداً، وعرفوا من سننه ما عرفنا وجهلنا. **وهم فوقنا في كلِّ علمٍ واجتهادٍ، وورع وعقلٍ، وأمرٍ استُدْرِك به علمٌ واستنبط به. وآراؤهم لنا أحمدُ وأولى بنا من آرائنا عندنا لأنفسنا،** والله تعالى أعلم.

ثم قال: ومن أدركنا ممن نرضى، أو حُكي لنا عنه ببلدنا، وصاروا فيما لم يعلموا لرسول الله ﷺ فيه سنة: إلى قولهم إن اجتمعوا، وقولِ بعضهم إن

(١٨٣١) انظر ما كتبه العلامة الشيخ محمد أبو زهرة في أصول الفقه (٢١٢-٢١٥).

(١٨٣٢) مناقب الشافعي للبيهقي (١: ٤٤٢-٤٤٣) وأعلام الموقعين (١: ٨٠) وذكره الرازي مختصراً في مناقب الشافعي (١٣٦).

تفرّقوا. فهكذا نقول، و لم نخرج من أقاويلهم، وإن قال واحدُهم و لم يخالفه غيرُه أخذنا بقوله.اهـ.

هذا قوله رحمه الله تعالى في الرسالة القديمة، وهو الذي يمثل مذهبه في القديم، وسأذكر مذهبه الجديد من كتبه الجديدة-إن شاء الله تعالى-وأنه هو نفس المذهب، خلافاً لمن ظن أنه رجع عنه.

اللهم إلاّ أنه كان يأخذ بها في القديم على أنها سنة كالإمام مالك رحمه الله تعالى، فصار يأخذ بها اتباعاً وتقليداً، والله تعالى أعلم.

لذا جعل أقوال الصحابة رضي الله تعالى عنهم-منفردين أو متفرقين-بعد السنة والإجماع.

* قال رحمه الله تعالى(١٨٣٣): والعلمُ طبقات شتى:

الأولى: الكتاب والسنة -إذا ثبتت السنة-.

ثم الثانية: الإجماع، فيما ليس فيه كتاب ولا سنة.

والثالثة: أن يقول بعضُ أصحاب النبيِّ ﷺ ولا نعلم له مخالِفاً منهم.

والرابعة: اختلاف أصحاب النبيِّ ﷺ في ذلك.

الخامسة: القياس على بعض الطبقات.

ولا يصار إلى شيء غير الكتاب والسنة، وهما موجودان، وإنما يؤخذ العلم من أعلى.اهـ.

- نوعية حكم الاحتجاج بالموقوف:

إذا قال الصحابيُّ قولاً، أو فعل فعلاً-وليس له حكم الرفع حكماً-إنما هو اجتهادٌ ورأيٌ، أو فعل متعلق بهما. فما الحكم؟

(١٨٣٣) الأم (٧: ٢٤٦) ونقله الإمام البيهقي في معرفة السنن والآثار (١: ١٨٤).

لقد اتفق العلماء رحمهم الله تعالى على الأخذ بأقوال الصحابة رضي الله تعالى عنهم، لكنهم اختلفوا هل يُؤخذ بها على أنها سنّة، أم يؤخذ بها تقليداً واتّباعاً لهم؟ على قولين:

١- مذهب الإمام مالك رحمه الله تعالى والشافعي -في القديم- وآخرين: يُؤخذ بها على أنها سنة.

٢- مذهب الإمام الشافعي -في الجديد- ومن معه رحمهم الله تعالى: يُؤخذ بها تقليداً واتّباعاً. لأن السنة عنده مقصورة على المرفوع إلى النبي الكريم ﷺ.

* قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى(١٨٣٤): قال [المناظر]: ما حجّتك في أن تتبع ما اجتمع الناسُ عليه، مما ليس فيه نصُّ حكمٍ لله، ولم يَحْكوه عن النبيِّ ﷺ؟ أتزعم ما يقول غيرُك أن إجماعهم لا يكون أبداً إلاّ عن سنةٍ ثابتةٍ وإن لم يَحكوها؟

قال: فقلت له: أمّا ما اجتمعوا عليه فذكروا أنه حكايةٌ عن رسول الله ﷺ، فكما قالوا، إن شاء الله تعالى.

وأمّا ما لم يحكوه، فاحتمل أن يكون قالوا حكايةً عن رسول الله ﷺ، واحتَمل غيرَه. ولا يجوز أن نعدَّه له حكايةً، لأنه لا يجوز أن يَحكي إلاّ مسموعاً، ولا يجوز أن يَحكي شيئاً يُتوهَّمُ، يمكنُ فيه غيرُ ما قال.

فكنا نقول بما قالوا به اتّباعاً لهم، ونعلمُ أنهم إذا كانت سننُ رسول الله ﷺ لا تعزب عن عامّتهم، وقد تعزبُ عن بعضهم، ونعلم أن عامّتهم لا تجتمع على خلافٍ لسنة رسول الله ﷺ، ولا على خطأ، إن شاء الله تعالى.اهـ.

(١٨٣٤) الرسالة (٤٧١-٤٧٢).

* وقال رحمه الله تعالى[1835]: ثم كان قول الأئمة؛ أبي بكر وعمر وعثمان، إذا صرنا فيه إلى التقليد أحبُّ إلينا.اهـ.

* وقال رحمه الله تعالى[1836]: فإذا لم يوجد عن الأئمة؛ فأصحابُ رسول الله ﷺ من الدِّين في موضع أخذنا بقولهم، وكان اتّباعُهم أولى بنا من اتباع من بعدهم.اهـ.

- **وأما حكم الاحتجاج به، ففيه أمور:**

أولاً: **إذا انتشر القولُ**؛ فإن خولِف فينظر المرجِّح لأحدهما، وإذا لم يخالَف ففيه أقوال. والأرجح أنه حجة، وقيل: لا، والله تعالى أعلم.

ثانياً: **إذا لم ينتشر قولُ الصحابي، فهو ليس إجماعاً**. لكن هل هو حجة؟ فيه قولان؛ أصحهما -كما قال الإمام النووي رحمه الله تعالى-: أنه ليس بحجة- ونُسب ذلك إلى المذهب الجديد للإمام الشافعي رحمه الله تعالى.

قلت: لكن الموجود في كتب الشافعي رحمه الله تعالى الجديدة: الأخذُ بقول الصحابي على سبيل التقليد والاتّباع، وليس على أنها سنة -كما هو مذهبُ الإمام مالك رحمه الله تعالى، ومذهبُه في القديم. لأن السنة عنده هي المسموع عن النبي المصطفى الكريم ﷺ حسب.

وأذكر بعض النصوص من كتابي الأم والرسالة-وهما من الجديد-وفيها بيان مذهبه، وأنه يأخذ بأقوالهم رضي الله تعالى عنهم، لكن تقليداً واتّباعاً، وليس سنة.

(١٨٣٥) الأم (٧: ٢٤٦).

(١٨٣٦) الأم (٧: ٢٤٦).

* قال رحمه الله تعالى(١٨٣٧): قال [المناظر]: قد سمعتُ قولَك في الإجماع والقياس، بعد قولك في حكم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، أرأيتَ أقاويلَ أصحاب رسول الله ﷺ، إذا تفرقوا فيها؟

فقلت: نصير منها إلى ما وافق الكتاب أو السنة أو الإجماع أو كان أصحَّ في القياس.

قال: أفرأيتَ إذا قال الواحدُ منهم القولَ، لا يحفظ عن غيره منهم فيه له موافقةً ولا خلافاً، أتجد لك حجةً باتّباعه في كتاب أو سنة أو أمر أجمع الناسُ عليه، فيكون من الأسباب التي قلتَ بها خبراً؟

قلت له: ما وجدنا في هذا كتاباً ولا سنةً ثابتةً، ولقد وجدنا أهلَ العلم يأخذون بقول واحدهم مرةً، ويتركونه أخرى، ويتفرّقوا [كذا] في بعض ما أخذوا به منهم.

قال: فإلى أيِّ شيء صرتَ من هذا؟

قلتُ: إلى اتّباع قولِ واحدٍ، إذا لم أجد كتاباً ولا سنةً ولا إجماعاً ولا شيئاً في معناه، يُحكم له بحكمه، أو وُجد معه قياسٌ.

وقلَّ ما يوجد من قول الواحد منهم لا يخالفُه غيرُه من هذا.اهـ.

* وقال رحمه الله تعالى(١٨٣٨): ما كان الكتاب والسنة موجودّين؛ فالعذرُ على من سمعهما مقطوعٌ إلاّ باتباعهما، فإذا لم يكن ذلك؛ صرنا إلى أقاويل أصحاب رسول الله ﷺ أو واحدٍ منهم.

(١٨٣٧) الرسالة (٥٩٦-٥٩٨) وانظر آداب الشافعي ومناقبه (٢٣٥).

(١٨٣٨) الأم (٧: ٢٤٦) ونقله الإمام البيهقي في معرفة السنن (١: ١٨٣) والزيادة منه. وانظر الفقيه والمتفقه (١: ١٧٤-١٧٦).

ثم كان قول الأئمة؛ أبي بكر أو عمر أو عثمان [زاد في القديم: أو علي] إذا صرنا فيه إلى التقليد أحبُّ إلينا. وذلك إذا لم نجد دلالةً في الاختلاف تدلُّ على أقرب الاختلاف من الكتاب والسنة، فنتبع القولَ الذي معه الدلالة، لأن قول الإمام مشهور، بأنه يلزمه الناس، ومن لزم قولَه الناسُ كان أشهرَ ممن يفتي الرجل أو النفر، وقد يأخذ بفتياه أو يدعها، وأكثر المفتين يفتون للخاصة في بيوتهم ومجالسهم، ولا تعنى العامةُ بما قالوا عنايتَهم بما قال الإمام. وقد وجدنا الأئمةَ يبتدئون فيسألون عن العلم من الكتاب والسنة فيما أرادوا أن يقولوا فيه، ويقولون فيُخبرون بخلاف قولهم، فيقبلون من المخبِر، ولا يستنكفون على أن يرجعوا؛ لتقواهم الله، وفضلهم في حالاتهم.

فإذا لم يوجد عن الأئمة؛ فأصحابُ رسول الله ﷺ من الدِّين، في موضعٍ أخذنا بقولهم. وكان اتّباعُهم أولى بنا من اتّباع من بعدهم.اهـ.

* وقال رحمه الله تعالى(١٨٣٩): إن لم يكن على القول دلالة من كتاب ولا سنة كان قولُ أبي بكر وعمر وعثمان أحبَّ إليَّ من قول غيرهم، فإن اختلفوا صرنا إلى القول الذي عليه دلالة، وقلّما يخلوا اختلافُهم من ذلك. وإن اختلفوا بلا دلالة؛ نظرنا إلى الأكثر، فإن تكافؤوا نظرنا أحسن أقاويلهم مخرجاً عندنا.اهـ.

* وقال رحمه الله تعالى(١٨٤٠): البدعة: ما خالف كتاباً أو سنةً أو أثراً عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ.اهـ.

* هذا هو رأي الإمام الشافعي رحمه الله تعالى، وأقواله في كتبه

(١٨٣٩) مناقب الشافعي للبيهقي (١: ٤٤٣).

(١٨٤٠) أعلام الموقعين (١: ٨٠).

الجديدة، ونقلها تلامذته المصريون، فكيف يزعم أنه غاير مذهبه القديم؟ خلافاً لما نقله عنه بعض الفقهاء والأصوليين وانتشر بينهم. نعم إنه رجع من كونها سنة، إلى كون الأخذ بها إنما هو تقليد واتّباع.

* وخلاصة رأي الإمام الشافعي رحمه الله تعالى -كما توصّلتُ إليه، وبينتُه في (الإمام الشافعي وأثره في الحديث وعلومه) ما يلي:

١- **إن كانوا مجمعين على قول؛ لا يخرج عن قولهم.** والإجماع هنا أقوى من خبر الواحد.

فإن لم يكن ووُجد قولٌ لواحدٍ منهم، ولم يوجد له مخالِفٌ، ولا كتابٌ، ولا سُنّةٌ، ولا إجماعٌ: أخذ به تقليداً.

٢- **أما إذا اختلفوا؛**

أ - فينظر قول الأئمة الخلفاء رضي الله تعالى عنهم -إذا لم يكن دلالة من كتاب أو سنة- فإن كانت دلالةٌ منهما أو من أحدهما: أخذ بالقول الذي عليه دلالة.

ب- وإذا لم يكن أحدٌ من الأئمة، ولا دلالة: أخذ بقول الأكثر، فإن تكافؤوا نظر أحسنَ أقاويلهم مخرَجاً عنده. مع اعترافه بأَن آراءَهم لنا أحمدُ وأولى بنا من آرائنا عندنا لأنفسنا، وثمة تفاصيل أخرى، ليس هذا مجال بحثها، والله تعالى أعلم.

* وما ذهب إليه الإمام الشافعي رحمه الله تعالى هو الذي قاله كثير من الأئمة رحمهم الله تعالى، بما فيهم الأئمة الأربعة رحمهم الله تعالى،...إلخ.

وأطلت في الاستدلال لقول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى للأهمية[١٨٤١].

(١٨٤١) انظر أقوالهم في إجماع الخلفاء الأربعة رضي الله تعالى عنهم، وإذا اختلف الصحابة على =

* قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى[١٨٤٢]: آخذ بكتاب الله، فما لم أجد فبسنة رسول الله ﷺ، فما لم أجد في كتاب الله تعالى ولا في سنة رسول الله ﷺ؛ أخذتُ بأقوال أصحابه، آخذ بقول من شئتُ منهم، وأدع من شئتُ منهم، ولا أخرج من قولهم إلى قول غيرهم، فأما إذا انتهى الأمر- أو جاء-إلى إبراهيم والشعبي وابن سيرين والحسن وعطاء وسعيد بن المسيّب -وعدّد رجالاً- فقوم اجتهدوا، فأجتهد كما اجتهدوا.اهـ.

* وأما الإمام مالك رحمه الله تعالى فخير دليل على ذلك: الموطأ، فقد اعتمد كثيراً من الأحكام على أقوال الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

* قال العلامة ابن القيم رحم الله تعالى[١٨٤٣] تحت عنوان **الأصول التي بُنيت عليها فتاوى ابن حنبل**، وأنها على خمسة أصول:

الأصل الأول: النصوص،...

= قولين، وحجية قول الواحد غير المنتشر، وتقديمه على القياس، وشمول لفظ السنة لسنة الخلفاء وحجيتها عند الحنفية،... الأم (٧: ١٧٧وما بعد) والمستصفى (٢: ٣٩٢) وروضة الناظر، وفواتح الرحموت (٢: ١٦٢-١٦٣) وتيسير التحرير (٣: ٦٩-٧٢، ١٣٧) والإحكام للآمدي (٢: ١١٥) وجمع الجوامع (٢: ١٤٦) والتمهيد للكلوذاني (٣: ٢٨٠، ٢٩٧، ٣٣٠-٣٣١) وشرح الكوكب المنير (٢: ٥٦١، ٦٠٣-٦٠٥)

(١٨٤٢) أخبار أبي حنيفة وأصحابه للصيمري.(١٠، ١٠-١١) وتاريخ بغداد (١٣: ٣٦٨) وتهذيب الكمال (٢٩: ٤٤٣) وسير أعلام النبلاء (٦: ٤٠١) وتبييض الصحيفة (١١٧) وعقود الجمان (١٧٣) وغيرها كثير.

(١٨٤٣) أعلام الموقعين (١: ٣١-٣٢، ٧٧) وانظر فتح الباري (٥: ٩٠) وانظر خطورة مساواة الحديث الضعيف بالموضوع، فقد بينت أن الضعيف عند الإمام أحمد هو الضعيف عند المحدّثين، خلافاً لما قاله ابن القيّم، تبعاً لشيخه رحمهم الله تعالى.

الأصل الثاني: ما أفتى به الصحابة،...

الأصل الثالث: الاختيار من أقوال الصحابة إذا اختلفوا،...

الأصل الرابع: الأخذ بالمرسل والحديث الضعيف، إذا لم يكن في الباب شيء يدفعه، وهو الذي رجحه على القياس،... فإذا لم يجد في الباب أثراً يدفعه، ولا قولَ صاحب، ولا إجماعاً على خلافه؛ كان العمل به عنده أولى من القياس.

وليس أحد من الأئمة إلاّ وهو موافقه على هذا الأصل من حيث الجملة، فإنه ما منهم أحد إلاّ وقد قدّم الحديثَ الضعيف على القياس.اهـ.

الأصل الخامس: القياس للضرورة.... الخ.

- الحامل على الأخذ بأقوال الصحابة رضي الله تعالى عنهم:

هناك عوامل عدة جعلت العلماء يأخذون بأقوال الصحابة رضي الله تعالى عنهم، أذكر بعضها للتقريب والتنبيه:

١- ثناء الله تعالى عليهم، وشهادته تعالى لهم، وتعديله تعالى لهم. وقد سبق ذلك بتفصيله في الباب الأول.

٢- مدح الله تعالى الذين يأتون بعد الصحابة رضي الله تعالى عنهم بأنهم يتبعوهم بإحسان، وقد سبق ذكره ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾[١٨٤٤].

والاتباع يكون في الأقوال والأفعال والأخلاق والأحوال،...إلخ.

(١٨٤٤) سورة التوبة (١٠٠).

٣- مدح النبي المصطفى الكريم ﷺ لهم، وثناؤه عليهم، وحرصه ﷺ على سعادتهم، كما جاء عنه ﷺ حثه على تكريمهم والوصاية بهم، وعلى عدم سبهم أو الحقد عليهم،... وكل ذلك دلالة على تعديله لهم، وثقته به.

٤- أخذه ﷺ وقبوله بقول الواحد منهم. كما مر في قبوله قول أبي تميم الداري رضي الله تعالى عنه في قصة رؤيته للدجال، ودعوة النبي المصطفى الكريم ﷺ المسلمين، ونقل ذلك لهم. وقد رواه مسلم من حديث فاطمة بنت قيس رضي الله تعالى عنها، وقد سبق ذكره(١٨٤٥). كما رواه غيره من طرق متعددة عنها.

٥- حثه ﷺ على الأخذ بسنة الخلفاء الراشدين رضي الله تعالى عنهم، والاهتداء بهدي عمار وابن مسعود رضي الله تعالى عنهما، والأخذ بفعل غيرهم.

٦- إن الذي يصدر عن الصحابة من أقوال لا يخرج عن أمور:

أ - هي في الواقع فتاوى، معتمدة على أحاديث مرفوعة، سواء من طريق ذلك الصحابي نفسه، أو من طريق غيره. لكن الصحابي لا يذكر أنه حديث، والواقع أنه حديث نبوي.

ب- إن بعض الصحابة يسندون الحديث مرة، ويذكرونه مرة أخرى على سبيل الفتوى، ولا يرفعونه، فيحفظ عنهم على الوجهين(١٨٤٦).

ج- قد يأتي الحديث موقوفاً على صحابي من طريق، ويأتي من طريق آخر مرفوعاً عنه، مثال ذلك:

(١٨٤٥) صحيح مسلم: كتاب الفتن: باب قصة الجساسة، رقم (١١٩-١٢٢).

(١٨٤٦) انظر: الكفاية (٥٨٧-٥٨٩).

لقد ذكرت في سلسلة الذهب[١٨٤٧](ما رواه الشافعي عن مالك عن نافع عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهم) (٣٩) تسعة وثلاثين حديثاً جاءت موقوفة، لكنها جاءت من غير هذا السند عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما مرفوعة، مع أن كثيراً منها في الصحيحين أو أحدهما.

د- قد يكون ما يقوله الصحابي هو حديث عن النبي المصطفى الكريم ﷺ، لكنه لا ينسبه إلى النبيِّ الكريم ﷺ احتياطاً وتورعاً، لأنه لم يسمعه منه إلا مرة أو مرتين،... ولم يسمعه منه كثيراً، لذا يخشى أن يزيد أو ينقص أو يغير فيه، فيدخل تحت المحذور.

هـ- إن بعض التابعين يوقفون الحديث الحديثَ على الصحابي عمداً ولا يرفعونه، كما بينتُ ذلك في سلسلة الذهب.

و- قد يكون ممن اتفق عليه عامة الصحابة، ولكن لم ينقل إلا عن واحد، وهو الذي قاله أو أفتى به.

ز- قد يكون هذا القول مما فهمه الصحابي من آية قرآنية، أو من حديث نبوي، أو من خلال مجالسته الطويلة لرسول الله ﷺ، وسواء كان الفهم من واقع المعنى اللغوي -وهم أهل اللسان- أو من خلال ما يقذفه الله تعالى من معاني الآيات الشريفة والأحاديث المنيفة.

- **نماذج من أقوال الفقهاء التي كان مستندها أقوال الصحابة:**

هناك أحكام كثيرة جدّاً كان مستند الفقهاء أقوال الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ولكثرتها أشير إلى أصول بعض المسائل، من غير تحديد مذهب

(١٨٤٧) انظر: أرقامها في سلسلة الذهب (٥٧).

معين، ومن غير استرسال.

- السجود في سورتي الحج والانشقاق.
- صلاة الكسوف، في كل ركعة أكثر من ركوعين.
- قتل الزنبور للمحرم في الحج.
- حكم زوجة المفقود، هل تجلس الحياة، أو أربعة أشهر ثم تعتد.
- الرجل يطلق وهو في السفر، ثم يرتجعها، فيبلغها الطلاق و لم تبلغها الرجعة، فلما حلت تزوجت، فمن أولى بها؟ زوجها الأول أو الآخر.
- رجل نكح امرأة في العدة، ودخل بها، فيفرق بينهما، فهل تحل له بعد العدة، أم تحرم على التأبيد؟(١٨٤٨).
- تغليظ الدية في الحرم.
- عدة الحامل التي توفي عنها زوجها.
- هل يوقف المولي بعد انتهاء أربعة الأشهر أم يقع الطلاق بانتهاء المدة.
- توريث الأخوة مع الجد.
- الاختلاف في الرد في الميراث(١٨٤٩).
- وهناك كثير غير هذه، لكن اقتصرت على ما ذكرت للدلالة لا غير.



(١٨٤٨) انظر: الأم (٧:١٨٧) وآداب الشافعي (٢٣٥-٢٣٦) والفقيه والمتفقه (١: ١٧٥-١٧٧).

(١٨٤٩) انظر: الرسالة (٥٦٠-٥٩٦) والأم (٤: ١١) والإمام الشافعي وأثره في الحديث وعلومه، فقد فصلت تلك الأقوال، ووجه الأخذ بها.

الفصل السادس

الدفاع عنهم رضي الله تعالى عنهم، والتحذير من الطعن فيهم، ووجوب الإمساك عما حصل بينهم

- ثناء الله تعالى عليهم يقتضي ممن يدَّعي محبة الله تعالى تعظيمهم:

* لقد أثنى الله عز وجل على الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم، ورضي الله تعالى عنهم، وأنه سبحانه وتعالى يحبهم ويحبونه، وأنهم مخلَّدون في الجنة، وأنهم أهل الإيمان الحق، لأنه تعالى حبَّبه إليهم، وزيَّنه في قلوبهم، وأنه جل شأنه أيّد بهم رسولَه الكريم ﷺ،...

فمن يدّعي محبة الله تعالى يلزمه أمران:

- أن يحبّ الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم، لأن من شرط المحب أن يحب ما يحبُّه محبوبُه.

- ألاّ يطعن فيهم، ولا يبغضهم، ولا يحقد عليهم، ولا يفعل ما يكرهه محبوبُه تجاههم. بل يرى كل الكمال فيما فعله ويفعله محبوبه، فكيف والله تعالى هو الذي أثنى عليهم.

- اصطفاء الله تعالى لهم يقتضي ممن يدعي محبة الله تعالى محبتهم وتوقيرهم واحترامهم:

لقد أخبرنا الله تعالى ورسولُه الكريم ﷺ أن الله عز وجل اصطفى الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنه من جميع الخلق، ليكونوا أصحاباً لنبيّه

الكريم ﷺ وأنصاراً وأصهاراً وأرحاماً، وفي هذا دلالة على محبة الله تعالى لهم، وتفضيله إياهم، واختيارُ الله تعالى لهم فيه دلالة على أنهم أفضلُ الخلق بعد الأنبياء عليهم السلام، فما على المسلم المؤمن إلاّ محبتهم واحترامهم، وإلاّ كان مكذِّباً لله تعالى في اختياره، ومعارضاً لله في اصطفائه لهم، وحاقداً وعاصياً له جل شأنه، لذا فمن يدّعي محبة الله تعالى يلزمه أن يحترم اختيار الله عز وجل، ويقر باصطفاء الله تعالى، ويرضى بما اختاره الله تعالى، ويسلّم بما أحبه الله عز وجل.

وقد سبق ذكر الآيات في ذلك.

- **من توقير رسول الله ﷺ محبتهم وتوقيرهم:**

إن من توقير النبي المصطفى الكريم ﷺ ومحبته وبرِّه: توقيرَ أصحابه وبرهم، ومعرفةَ حقّهم، والاقتداءَ بهم، وحسنَ الثناء عليهم، ومحبةَ من أحبهم، ومعاداة من عاداهم، وعدم سماع ما ينتقصهم، وأن يضرب عن كل ما ينقله الفسقة والمبتدعة من طعن فيهم، وأن يخرِّج ما حصل بينهم أحسنَ التخاريج، ولا يذكرهم-أو أحدَهم-بسوء، ولا يغمص عليهم أمراً، بل يذكر حسناتهم وفضائلَهم، وحميدَ سيرتهم، ويسكت عما وراء ذلك(١٨٥٠).

- **الأمر بإكرامهم والإحسان إليهم يقتضي عدم الحقد والطعن فيهم:**

لقد أمر رسولُ الله ﷺ بإكرام الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم، والوصاية بهم، والإحسان إليهم، ووجوب محبتهم،...وليس من التكريم والإحسان: الطعن فيهم، والحقد عليهم، أو سبهم والغمز عليهم. فمن فعل ذلك كان عاصياً لرسول الله ﷺ، ورادّاً عليه قوله.

(١٨٥٠) انظر: الشفاء (٦١١-٦١٢).

* فعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أكرموا أصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يظهر الكذب؛ حتى يحلفَ المرءُ قبل أن يُستحلف، ويشهدَ قبل أن يُستشهد، فمن أراد بحبوحةَ الجنة فعليه بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، ولا يخلُونّ رجل بامرأة؛ فإن ثالثهما الشيطان، ومن سرَّته حسنتُه، وساءته سيئتُه فهو مؤمن). رواه من طرق بألفاظ (أحسنوا، أوصيكم، احفظوني، أكرموا) الشافعي وعبد الرزاق والطَّيالسي والحُمَيْدي وأحمد وعبد بن حُميد والنَّسائي وابن ماجَه والطحاوي وابن منده والخطيب البغدادي، والشهاب، والبيهقي، والضياء المقدسي في المختارة، برجال ثقات، وأسانيد صحيحة. وصححه الترمذي وابن حبّان والحاكم، إلاّ الشافعي والحُمَيْدي، فأسانيدهما ثقات لكنها منقطعة(١٨٥١)، والله تعالى أعلم.

(١٨٥١) الرسالة (٤٧٣-٤٧٤) والمسند (٢٤٤) ومسند الطَّيالسي (٧) ومصنف عبد الرزاق (١١: ٣٤١) ومسند الحُمَيْدي (١: ١٩-٢٠) ومسند أحمد (١: ١٨، ٢٦) ومسند عبد بن حميد (٣٧-٣٨) وسنن الترمذي: كتاب الفتن: باب ما جاء في لزوم الجماعة، رقم (٢١٦٥) والسنن الكبرى للنسائي (٥: ٣٨٧-٣٨٩ من طرق) وعشرة النساء (٢٨٩-٢٩١) من طرق، وسنن ابن ماجَه: كتاب الأحكام: باب كراهية الشهادة لمن لم يستشهد، رقم (٢٣٦٣) وشرح معاني الآثار (٤: ١٥٠-١٥١) وشرح مشكل الآثار (٦: ٢٥٦-٢٥٧) ومسند أبي يعلى (١: ١٣١-١٣٣من طرق) والبحر الزخار (١: ٢٦٩) والمعجم الصغير (١: ١٥٨) وصحيح ابن حبّان (١٠: ٤٣٦-٤٣٧) (١٢: ٣٩٩-٤٠٠) والمستدرك (١: ١١٣-١١٤) وشرح السنة (٩: ٢٧) والإيمان لابن منده (٣: ٩٦١-٩٦٢) وتاريخ بغداد (٢: ١٨٧) (٦: ٥٧) ومسند الشهاب (١: ٢٤٩-٢٥٠) ومعرفة السنن والآثار (١: ١٧٠) والسنن الكبرى له (٧: ٩١) والمختارة (١: ١٩٢-١٩٣) في آخرين.

- **كونهم أماناً للأمة يقتضي التمسك بهم ومحبتهم وعدم العنود عنهم:**

لقد جعل الله تعالى الصحابةَ الكرام رضي الله تعالى عنهم أماناً للأمة، كما جعل رسولَه الكريم ﷺ أماناً لأصحابه وللبشرية كلها، ومقتضى هذا الجعل: أن يتمسك العاقل بمن كان أماناً له، وعدم التفريط فيهم، ومحبتهم، لأن الله تعالى بهم يرفع عن الأمة البلاء، لذا ما أن زالوا حتى وقع البلاء والفتن في الأمة، وظهرت المذاهب والكوارث.

* فعن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال: صلينا المغرب مع رسول الله ﷺ، ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء. قال: فجلسنا، فخرج علينا، فقال: (ما زلتم ههنا؟) قلنا: نعم يا رسول الله، صلينا معك المغرب، ثم قلنا: نجلس حتى نصلي معك العشاء، قال: (أحسنتم -أو أصبتم-) قال: فرفع رأسه إلى السماء- وكان كثيراً ما يرفع رأسَه إلى السماء، فقال: (النجوم أَمَنَةٌ للسماء، فإذا ذهبت النجومُ أتى السماءَ ما توعد. وأنا أَمَنَةٌ لأصحابي، فإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يوعدون. وأصحابي أَمَنَةٌ لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون). رواه مسلم(١٨٥٢).

- **من أراد رضوان الله تعالى فليحسن اتّباع الصحابة رضي الله تعالى عنهم:**

لقد أمرنا الله سبحانه وتعالى ورسولُه الكريم ﷺ أن ندعو للصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، وأن نستغفرَ لهم، وألاّ يكون في قلوبنا غلٌّ أو حقدٌ أو بغضٌ لهم، وأن نترضى عنهم، وأن نوقِّرَهم ونحترمَهم

(١٨٥٢) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب بيان أن بقاء النبي ﷺ أمان لأصحابه،... رقم (٢٠٧).

ونبجِّلهم، وألاّ نسبَّهم أو نطعنَ فيهم، وأن نعطيهم من التقدير والاحترام ما يتناسب ومقامهم الذي جعلهم الله سبحانه وتعالى فيه، فإن نحن فعلنا ذلك كنا معهم، وشملنا ما أكرمهم الله تعالى به.

ومن تنكب عن ذلك، فوقع بهم، وأغلظ عليهم، وحقد عليهم، ودعا عليهم، أو كفَّرهم،... فلن يكون معهم، ولن ينال ما أعده الله تعالى لهؤلاء الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم.

فمن أراد أن يحل عليه رضوانُ الله تعالى، ويدخل الجنةَ، خالداً مخلَّداً فيها، ويفوز برضوان الله تعالى: فليتَّبع صحابةَ رسول الله ﷺ من مهاجرين وأنصار رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، بإحسان. فإن لم يفعل كان مشاقاً مخالفاً عاصياً؛ لأنه يكون متَّبعاً لغير المؤمنين.

قال الله عز وجل: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾(١٨٥٣).

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾(١٨٥٤).

فمن اتَّبع غير سبيلهم كان مشاقاً لرسول الله ﷺ، مهدَّداً من الله تعالى بالعذاب المهين، والإلقاء في نار الجحيم، وبئس المصير. والعياذ بالله تعالى.

(١٨٥٣) سورة التوبة (١٠٠).

(١٨٥٤) سورة النساء (١١٥).

ما يقتضيه الاتّباع:

والاتّباعُ يقتضي أمرين:

١- محبة التابع للمتبوع، لأن الله تعالى جعل اتّباع نبيِّه الكريم ﷺ مكتَنَفاً بين المحبتين، فقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١٨٥٥).

بخلاف الطاعة، فقد تكون عن محبة وقد تكون عن خوف. كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾(١٨٥٦). بينما الاتباع لا يكون إلاّ عن محبة ورغبة.

٢- طاعة التابع للمتبوع، مع تعظيم المتّبِع للتابع، كما أوضحه ﷺ.

* عن أبي سعيد الخُدْري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لتتبعن سنن مَن قبلكم شِبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا في جُحر ضَبٍّ لاتبعتموهم)،... متفق عليه(١٨٥٧).

فإنهم لشدة اقتفائهم آثارهم، واتّباعهم طرائقهم، ودقة اتصافهم بهم، وتوغّلهم في ملازمتهم،... لو دخلوا في مثل هذا الجُحر الضيِّق الرديء: لتبعوهم، كما قال الحافظ رحمه الله تعالى.

والمراد بالشبر والذراع والجُحر: التمثيل لشدة الموافقة لهم، كما قال الإمام النووي رحمه الله تعالى.

(١٨٥٥) سورة آل عمران (٣١).

(١٨٥٦) سورة فصلت (١١).

(١٨٥٧) صحيح البخاري: كتاب الاعتصام: باب قول النبيّ ﷺ: (لتتبعن سنن من كان قبلكم)، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب العلم: باب اتباع اليهود والنصارى، رقم (٦).

من أراد المعية في الجنة فلا يكن في قلبه حقد ولا بغض لهم، وليكثر من الاستغفار لهم:

لقد أخبرنا تعالى أن من أراد أن يفوز بالمعية معهم، وأن ينال الصدق والفلاح يلزمه أن يكثر من الاستغفار لهم، الذي يقتضي ألاّ يكون في قلبه حقدٌ ولا غِلٌّ لأحد منهم، فإن وُجد فيه: فلن ينال المعية في الآخرة، ولا الفيء في الدنيا.

قال الله عز وجل: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[(١٨٥٨)].

وقد احتج بهذه الآية الكريمة عددٌ من الصحابة والتابعين رضي الله تعالى عنهم على المناوئين والمخالفين المبتدعين.

* فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال: الناسُ على ثلاث منازل؛ فمضت منهم اثنتان وبقيت واحدة، فأحسنُ ما أنتم كائنون عليه: أن تكونوا بهذه المَنْزلة التي بقيت.

ثم قرأ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾ الآية. قال:

(١٨٥٨) سورة الحشر (٨-١٠).

هؤلاء المهاجرون، وهذه مَنْزلة، وقد مضت.

ثم قرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ الآية، ثم قال: هؤلاء الأنصار، وهذه مَنْزلة، وقد مضت.

ثم قرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ الآية. قال: فقد مضت هاتان المَنْزلتان، وبقيت هذه المَنْزلة، فأحسنُ ما أنتم كائنون عليه أن تكونوا بهذه المَنْزلة التي بقيت. رواه الحاكم وصححه وأقره الذهبي(١٨٥٩).

والاستغفارُ هو ضد السب، ومحبةُ الشيء كراهيةٌ لضده. ويوضحه:

* عن عروة رحمه الله تعالى قال: قالت لي عائشة رضي الله تعالى عنها: يا ابن أختي، أُمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي ﷺ، فسبُّوهم. رواه مسلم(١٨٦٠).

* قال القاضي عِياض رحمه الله تعالى(١٨٦١): قالته-والله تعالى أعلم- عندما سمعت أهلَ مصر يقولون في عثمان ما قالوا، وأهلَ الشام وبني أمية يقولون في عليٍّ ما قالوا، والحرورية في الجميع، والله تعالى أعلم.

والأمر بالاستغفار الذي أشارت إليه؛ قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾.

* ولما سمع الإمامُ الشافعي رحمه الله تعالى الشتمَ لأصحاب رسول الله

(١٨٥٩) المستدرك (٢: ٤٨٤) وانظر الدر المنثور (٨: ١١٣) وفتح القدير (٥: ٢٠٣).

(١٨٦٠) صحيح مسلم: كتاب التفسير، رقم (١٥).

(١٨٦١) إكمال المعلم (٨: ٥٨٣) وشرح صحيح مسلم للإمام النووي (١٨: ١٥٨-١٥٩) وانظر: الدر المنثور (٨: ١١٣) وفتح القدير (٥: ٢٠٣).

ﷺ-أو نُقل له ذلك-قال: ما أرى الناسَ ابتُلوا بشتم أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله تعالى عنهم إلاّ ليزيدهم الله بذلك ثواباً، عند انقطاع عملهم.

وفي رواية: إلاّ ليجري الله عز وجل لهم الحسنات وهم أموات(١٨٦٢).

* لما بلغ عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رجلاً نال من عثمان رضي الله تعالى عنه، دعاه، فأُقعد بين يديه، وقرأ عليه: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ الآية [فقال: هؤلاء المهاجرون] أفمِن هؤلاءِ أنت؟ قال: لا، ثم قرأ عليه: [﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ الآية، فقال: هؤلاء الأنصار، أفأنت منهم؟ قال: لا] ثم قرأ عليه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ الآية، فقال: مِن هؤلاءِ أنت؟ قال: أرجو أن أكون منهم.

قال عبد الله رضي الله تعالى عنه: لا والله، ما يكون منهم من يتناولهم، وكان في قلبه الغلُّ عليهم(١٨٦٣).

* وقال علي زين العابدين رحمه الله تعالى-وقد جاء إليه نفرٌ من أهل العراق، فسبُّوا أبا بكر وعمر، ثم عثمان، رضي الله تعالى عنهم، فأكثروا، فقال لهم-: أمِنَ المهاجرين الأولين أنتم؟ قالوا: لا. فقال: أفَمِنَ الذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم؟ فقالوا: لا. فقال: قد تبرأتم من هذين الفريقين، وأنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا

(١٨٦٢) مناقب الإمام الشافعي للبيهقي (١: ٤٤١) ومناقب الإمام الشافعي للرازي (١٣٦).

(١٨٦٣) انظر: الدر المنثور (٨: ١١٣-١١٤) وفتح القدير للشوكاني (٥: ٢٠٣).

﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(١٨٦٤). قوموا، فعل الله بكم وفعل(١٨٦٥).

أقول: لقد أمر الله تعالى نبيَّه الكريم ﷺ أن يستغفر لهم، فلو كانوا مشركين أو كفّاراً -حاشاهم- ما جاز الاستغفار لهم.

قال الله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾(١٨٦٦).

وقال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾(١٨٦٧).

فلما ذكر الله عز وجل استغفار الذين يأتون بعدهم لهم دلَّ على إيمانهم وصلاحهم. ولذا جاء وصف الاشتراك بينهما بالإيمان، والله تعالى أعلم.

* وبهذا احتج الإمام مالك رحمه الله تعالى أن لا حقَّ في الفيء لمن سبَّ أصحاب النبيِّ ﷺ رضي الله تعالى عنهم، لأن الله تعالى إنما جعله لمن جاء بعدهم؛ ممن يستغفر لهم، لا لمن سبّهم.اهـ(١٨٦٨).

- الطاعن في الصحابة رضي الله تعالى عنهم أخس من اليهود والنصارى:

* الذي يطعن في صحابة رسول الله ﷺ هو أخسُّ وأحقرُ من اليهود

(١٨٦٤) سورة الحشر (١٠).

(١٨٦٥) تفسير القرطبي (١٨: ٣١-٣٢) وحلية الأولياء (٣: ١٣٦-١٣٧) وتهذيب الكمال (٢٠: ٣٩٤-٣٩٥).

(١٨٦٦)سورة محمد (١٩).

(١٨٦٧)سورة التوبة (١١٣).

(١٨٦٨) انظر لقول مالك رحمه الله تعالى: تفسير القرطبي (١٨: ٣٢) وتفسير البغوي (٤: ٣٢١) وتفسير ابن كثير (٤: ٣٣٩) وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

والنصارى، والعياذ بالله تعالى.

* قال الإمام الشعبي رحمه الله تعالى: تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة:

سُئلت اليهود: مَنْ خيرُ أهل ملتكم؟ فقالوا: أصحاب موسى.

وسئلت النصارى: من خيرُ أهل ملتكم؟ فقالوا: أصحاب عيسى.

وسئلت الرافضة: مَنْ شرُّ أهل ملتكم؟ فقالوا: أصحاب محمد ﷺ. أُمروا بالاستغفار لهم فسبوهم،...إلخ(١٨٦٩).

الطاعن في الصحابة يرد على الله تعالى وعلى رسوله الكريم ﷺ:

إن الطاعن في الصحابة رضي الله تعالى عنهم هو في الحقيقة يردُّ على الله تعالى وعلى رسوله الكريم ﷺ من ثناءٍ على الصحابة رضي الله تعالى عنهم ومدحٍ لهم وترضٍّ عليهم ومحبةٍ لهم واصطفاءٍ لهم، واختيارٍ لهم أن يكونوا صحابةً لرسوله الكريم ﷺ ووزراء وأرحاماً وأصهاراً له، وموضعَ سرِّه، وإخبارٍ بدخولهم الجنة، وخلودهم فيها،... في أمور كثيرة مر تفاصيلها في البابين الأول والثاني.

فمن الذي يُقدّم: قولُ الله تعالى وقولُ رسوله الكريم ﷺ، أم قول العبد الجاهل بحقيقة الأمور، الذي لا يعلم إلاّ ظاهر الحياة؟

من الذي يقدّم قولُ الله تعالى الخالق العالم بما كان وبما يكون، أم قولُ الجاهل، الذي لا يعلم إلاّ ما علّمه الله تعالى؟ وعلمه جمع مبنيٌّ على ترتيب أمور كان يجهلها، ثم علمها بقدرة الله تعالى وتعليمه، فكيف يتطاول على

(١٨٦٩) تفسير البغوي (٤: ٣٢١) وتفسير القرطبي (١٨: ٣٣).

نفي علم الله تعالى وعلم رسوله الكريم المبني على الوحي؟

إن طعن العبد الجاهل في الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم هو تجهيل لله تعالى وتجهيل بالنبي الكريم ﷺ، وتطاول من العبد، وكأنه يقول: إن الله لا يعلم حقائق هؤلاء الصحابة وهو يعلمها، وأنه يخطّئ الله تعالى ورسولَه الكريم ﷺ في ذلك الثناء والمدح والترضي والمحبة والاصطفاء، فهل عند هذا المتطاول ذرة من عقل وهو يقول مثل هذا القول، أو يعتقد مثل هذا الاعتقاد الباطل؟ لكن إبليس نجح في غزوه لعقله وقلبه أيما نجاح

- **لا يغتاظ من الصحابة رضي الله تعالى عنهم سوى الكفار.**

* لقد أخبر الله عز وجل أن الذي يغتاظ من الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم إنما هم الكفار، لذا فليربأ من يدّعي الإسلام والإيمان أن يكون مشاركاً الكفارَ في إغاظته من الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم.

قال الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾[(١٨٧٠)].

* فقوله تعالى: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ﴾ صريح بأن الكفار هم أهل الحقد والضغينة، وأنهم الذين يغتاظون من الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم

تنبيه: إن مِن في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ ليست للتبعيض، لقوم دون قوم، لكنها عامة للجنس، كما في

(١٨٧٠) سورة الفتح (٢٩).

قوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾[1871] فلا يصح أن تكون هنا للتبعيض، ولكنه للجنس، أي فاجتنبوا الرجسَ من جنس الأوثان، إذ كان الرجس يقع من أجناس شتى، منها: الزنا، والربا، وشرب الخمر، والكذب،... فأدخل ﴿مِنَ﴾ ليفيد بها الجنس، وكذا هنا، فمنهم أي من هذا الجنس، يعني جنس الصحابة رضي الله تعالى عنهم[1872].

* قال أيوب السختياني رحمه الله تعالى: من أحب أبا بكر فقد أقام الدِّين، ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل، ومن أحب عثمان فقد استضاء بنور الله، ومن أحب عليّاً فقد أخذ بالعروة الوثقى، ومن أحسن الثناء على أصحاب محمد ﷺ فقد برئ من النفاق، ومن انتقص أحداً منهم: فهو مبتدعٌ مخالف للسنة والسلف الصالح، وأخاف ألاّ يصعد له عملٌ إلى السماء حتى يحبهم جميعاً، ويكون قلبُه سليماً[1873].اهـ.

* وقال عبدُ الله بن إدريس الأودي رحمه الله تعالى[1874]: ما آمن أن يكونوا قد ضارعوا الكفّار -يعني الرافضة- لأن الله يقول: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾.

* وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى[1875]: إذا رأيت أحداً يذكر أصحابَ رسول الله ﷺ بسوء؛ فاتّهمه على الإسلام.اهـ.

* لهذا استنبط الإمام مالك رحمه الله تعالى من: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾

(١٨٧١) سورة الحج (٣٠).

(١٨٧٢) انظر: تفسير القرطبي (١٦: ٢٩٥-٢٩٦).

(١٨٧٣) الشفاء (٢: ٦١٦).

(١٨٧٤) الصارم المسلول (٥٧٩).

(١٨٧٥) الصارم المسلول (٥٦٨).

تكفيرَ الرافضة الذين يُبغضون الصحابةَ رضي الله تعالى عنهم.

* قال رحمه الله تعالى: من غاظه أصحابُ محمد ﷺ فهو كـــافر[(١٨٧٦)]، قال الله تعالى: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾.

* وفي رواية: قال رحمه الله تعالى: من أصبح من الناس وفي قلبه غـــيظٌ على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية.اهـــ.وقد وافقه طائفة من العلماء على ذلك[(١٨٧٧)].

* قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى -معلقاً على هذا القـــول[(١٨٧٨)]-: لقد أحسن مالك -رحمه الله تعالى- في مقالته، وأصاب في تأويله، فمن نقَّص واحداً منهم، أو طعن عليه في روايته، فقد رد على الله رب العالمين، وأبطل شرائع المسلمين،... إلى قوله رحمه الله تعالى: فمن نسب واحداً من الصحابة إلى كذب، فهو خارجٌ عن الشريعة، مبطلٌ للقرآن، طاعنٌ على رســـول الله ﷺ، ومتى أُلحِقَ واحدٌ منهم تكذيباً فقد سُب؛ لأنه لا عار ولا عيب بعـــد الكفر بالله أعظم من الكذب، وقد لعن رسولُ الله ﷺ من سبَّ أصـــحابه، فالمكذِّب لأصغرهم -ولا صغير فيهم- داخلٌ في لعنة الله، التي شـــهد بهـــا رسول الله ﷺ، وألزمها كلَّ من سبَّ واحداً من أصحابه، أو طعن فيه،...

ثم قال: فالصحابةُ كلُّهم عدولٌ، أولياءُ الله تعالى، وأصفياؤُه، وخيرتُه من

(١٨٧٦) انظر الصواعق المحرقة (٣١٧-٣١٨) حيث قال: وافقه الشافعي رضي الله تعالى عنهما في قوله بكفرهم، ووافقه أيضاً جماعة من الأئمة.

(١٨٧٧) تفسير القرطبي (١٦: ٢٩٧) وإكمال المعلم (٨: ٥٨٣) وتفسير البغـــوي (٤: ٢٠٧) وتفسير ابن كثير (٤: ٢٠٤).

(١٨٧٨) تفسير القرطبي (١٦: ٢٩٧-٢٩٩).

خلقه بعد أنبيائه ورسله، هذا مذهب أهل السنة، والذي عليه الجماعة من أئمة هذه الأمة.اهـ.

* وقال الإمام مالك رحمه الله تعالى: من يبغض أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ، أو كان في قلبه عليهم غِلٌّ، فليس له حق في فَيْءِ المسلمين- ثم قرأ الآية من سورة الحشر-لعدم اتصافه بما مدح الله به هؤلاء القوم(١٨٧٩).

* وقال الحافظ أبو زرعة الرازي رحمه الله تعالى: إذا رأيت رجلاً ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم، فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول ﷺ حق، والقرآن حق، وما جاء به حق، وإنما أدّى إلينا ذلك كلَّه: الصحابةُ رضي الله تعالى عنهم، وهؤلاء يريدون أن يجرِّحوا شهودَنا، ليُبطلوا الكتابَ والسنةَ، والجرحُ بهم أولى، وهم زنادقة.اهـ وقد سبق.

* وقال الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى في عقيدته(١٨٨٠): ونحب أصحابَ رسول الله ﷺ، ولا نفرِّط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الحق يذكرهم، ولا نذكرهم إلاّ بخير، وحبُّهم دِينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبغضُهم كفرٌ ونفاقٌ وضلالٌ.اهـ.

* وقال الإمامُ الشوكاني رحمه الله تعالى(١٨٨١): فمن لم يستغفر للصحابة رضي الله تعالى عنهم -على العموم- ويطلب رضوانَ الله لهم، فقد خالف ما

(١٨٧٩) تفسير البغوي (٤: ٣٢١) وتفسير ابن كثير (٤: ٣٣٩). وانظر: الشفاء (٢: ٦١٥).

(١٨٨٠) بشرح العقيدة الطحاوية (٥٢٨).

(١٨٨١)فتح القدير (٥: ٢٠٢).

أمره الله في هذه الآية.

فإن وجد في قلبه غلّا لهم، فقد أصابه نزغٌ من الشيطان، وحل به نصيب وافر من عصيان الله تعالى، بعداوة أوليائه، وخير أمة نبيه ﷺ، وانفتح له باب من الخذلان، يفد به على نار جهنم، إن لم يتدارك نفسه باللجأ إلى الله سبحانه وتعالى، والاستغاثة به، بأن ينزعَ عن قلبه ما طرقه من الغل لخير القرون، وأشرف هذه الأمة.

فإن جاوز ما يجده من الغل إلى شتم أحد منهم، فقد انقاد للشيطان بزمام، ووقع في غضب الله وسخطه.

وهذا الداء العضال إنما يُصاب به من ابتلي بمعلم من الرافضة، أو صاحب من أعداء خير الأمة؛ الذين تلاعب بهم الشيطان، وزيّن لهم الأكاذيب المختلفة، والأقاصيص المفتراة، والخرافات الموضوعة، وصرفهم عن كتاب الله؛ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا مِن خلفه، وعن سنة رسول الله ﷺ المنقولة إلينا بروايات الأئمة الأكابر في كل عصر من العصور، فاشتروا الضلالة بالهدى، واستبدلوا الخسرانَ العظيم بالربح الوافر، وما زال الشيطان الرجيم ينقلهم من مَنْزلة إلى مَنْزلة، ومِن رتبة إلى رتبة، حتى صاروا أعداء كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وخير أمته وصالحي عباده وسائر المؤمنين، وأهملوا فرائض الله، وهجروا شعائرَ الدِّين، وسعوا في كيد الإسلام وأهله كلَّ سعي، ورموا الدينَ وأهله بكل حجر ومدر، والله من ورائهم محيط.اهـ.

- **النهي عن سبهم، والسب -في الظاهر- أشد من البغض والحقد.**

لقد نهى النبي المصطفى الكريم ﷺ عن سبِّ الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وإذا حرَّم ﷺ سبَّهم فما هو فوقه فمن باب أولى.

وإذا كان رسول الله ﷺ قد حرّم سبهم فمن باب أولى يكون الحقد عليهم والطعن فيهم.

ثم إن من سبّ الصحابة رضي الله تعالى عنه كان مخالفاً لرسول الله ﷺ، وعاصياً له، ومعلومٌ عقوبة العاصي(١٨٨٢).

* فعن أبي سعيد الخُدْري رضي الله تعالى عنه قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شيء، فسبَّه خالد، فقال رسول الله ﷺ: (لا تسبوا أحداً من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثلَ أُحُد ذهباً، ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نَصيفَه). متفق عليه، واللفظ لمسلم(١٨٨٣).

* وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تسبّوا أصحابي، لا تسبّوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدَكم أنفق مثلَ أحُدٍ ذهباً؛ ما أدرك مدَّ أحدهم ولا نصيفَه). رواه مسلم(١٨٨٤).

* ويلاحظ كيف أضافهم رسول الله ﷺ إلى نفسه المنيفة: (أصحابي) وكرَّر النهي لتأكيد الزجر والنهي.

ثم إذا كان هذا النهي لمتأخري الصحبة، فإنه يقتضي زجر من لم يدرك زمن النبوة، ممن يأتي بعدهم، عن سبِّ الصحابة رضي الله تعالى عنهم من باب أولى.

(١٨٨٢) انظر: بدعة دعوى الاعتماد على الكتاب دون السنة، ومحبة النبيِّ ﷺ وطاعته بين الإنسان والجماد.

(١٨٨٣) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة: باب حدثنا الحميدي، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب تحريم سب الصحابة رضي الله تعالى عنهم، رقم (٢٢٢).

(١٨٨٤) صحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (٢٢١).

* ولعظم ذنب ساب الصحابة رضي الله تعالى عنهم -أو أحد منهم- كانت عقوبة اللاعن هي الطرد والإبعاد عن رحمة الله تعالى.

* فعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (لا تسبوا أصحابي، لعن الله من سبَّ أصحابي). رواه الطبراني برجال الصحيح، غير علي بن سهل وهو ثقة(١٨٨٥).

وقد جاء هذا الحديث عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

فإذا نهى ﷺ عن سبّهم فاللعن من باب أولى، والحقد والبغض فمن باب أولى، والتكفير والتضليل فمن باب أولى.

- **نهيه ﷺ أن يُتّخذ الصحابة رضي الله تعالى عنهم غرضاً:**

لقد نهى رسول الله ﷺ أن يُتّخذ أصحابُه رضي الله تعالى عنهم غرضاً لسهام الناعقين، ومحلّا للطعن والسب، لأن من أحب رسول الله ﷺ فليحبهم، ومن يكرههم فهو يكره رسول الله ﷺ، ومن آذاهم فقد آذى رسول الله ﷺ، ومن آذى رسول الله ﷺ فقد آذى الله تعالى، وما هي عقوبته يا ترى؟ إنه يوشك أن يأخذه ويعذبه، وهذا مشاهد في الدنيا.

* فعن عبد الله بن مغفل رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (الله الله في أصحابي، الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضاً بعدي، فمن أحبَّهم فبِحُبّي أحبَّهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله عز وجل، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه).

(١٨٨٥) المعجم الأوسط (٥: ٩٤) مجمع البحرين (٧: ٣٠) ومجمع الزوائد (١٠: ٢١) وانظر الرياض النضرة (١: ٢٣).

رواه أحمد والبخاري في تاريخه، وابن أبي عاصم والترمذي وعبد الله بن أحمد وابن حبّان وأبو نعيم والبغوي والخطيب البغدادي والبيهقي[(١٨٨٦)]. ونقل البغوي في شرح السنة تحسين الترمذي. وفي أسانيدهم جميعاً: عبد الله بن عبد الرحمن -أو العكس- ذكره البخاري وابن أبي حاتم ولم يذكرا فيه جرحاً ولا تعديلاً، وذكره ابن حبّان في الثقات. وقال البيهقي رحمه الله تعالى في الشُّعَب: وقد ذكرنا شواهده في كتاب الفضائل.

* وقد روى الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى هذا الحديث من طريق ابن النجار عن أنس رضي الله تعالى عنه، والشيرازي عن أبي سعيد، ورواه البغوي والطبراني وأبو نعيم وابن عساكر عن عِياض الأنصاري رضي الله تعالى عنه، والله تعالى أعلم.

لذا حذَّر ﷺ من إيذاء أحد من أهل بيته، أو أصحابه رضي الله تعالى عنهم جميعاً؛ لأن في ذلك إيذاءاً له، وإيذاؤه ﷺ إيذاء لله تعالى، ومن آذى الله تعالى ورسوله ﷺ، فهو ملعون، وله العذاب المهين يوم القيامة[(١٨٨٧)].

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ

(١٨٨٦) مسند أحمد (٤: ٨٧) (٥: ٥٤-٥٥، ٥٧) وفضائل الصحابة (١: ٤٨-٥٠) وكتاب السنة (٢: ٤٧٩) والتاريخ الكبير (٥: ١٣١) وسنن الترمذي: كتاب المناقب: باب (٥٩) رقم (٣٨٦٢) وحلية الأولياء (٨: ٢٨٧) وشرح السنة (١٤: ٧٠-٧١) وصحيح ابن حبّان (١٦: ٢٤٤) وتاريخ بغداد (٩: ١٢٣) وشعب الإيمان (٢: ١٩١) والاعتقاد له (٣٢١) ومجمع الزوائد (١٠: ١٦) وإتحاف الخيرة المهرة (٩: ٤٤٨) وعزاه لأبي يعلى، وكنز العمال (١١: ٥٢٨، ٥٣١-٥٣٢، ٥٤٠) وانظر النكت الظراف (٧: ١٧٧-١٧٨).

(١٨٨٧) انظر: ساكن المدينة المنورة منْزلته ومسؤوليته.

عَذَابًا مُّهِينًا ﴾[1888].

- جعل علامة الإيمان حبّهم وعلامة النفاق بغضهم:

لقد جعل رسول الله ﷺ علامة الإيمان حب الأنصار، وعلامة النفاق بغض الأنصار، وأنه لا يحبهم إلاّ مؤمن، ولا يبغضهم إلاّ منافق، ومن أحبهم أحبه الله تعالى، ومن يبغضهم يبغضه الله تعالى.

* فعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (آية الإيمان حبُّ الأنصار، وآية النفاق بغضُ الأنصار). متفق عليه[1889].

* وعن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول للأنصار: (لا يحبكم إلاّ مؤمن، ولا يبغضكم إلاّ منافق، من أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم يبغضه الله). متفق عليه[1890].

* وعن أبي سعيد الخُدْري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يبغض الأنصارَ رجلٌ يؤمن بالله واليومِ الآخِر). رواه مسلم[1891].

* وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (لا يبغض الأنصارَ رجلٌ يؤمن بالله واليوم الآخِر). رواه مسلم[1892].

(١٨٨٨) سورة الأحزاب (٥٧).

(١٨٨٩) صحيح البخاري: كتاب الإيمان: باب علامة الإيمان حب الأنصار، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي رضي الله تعالى عنه من الإيمان، رقم (١٢٨).

(١٨٩٠) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار: باب حب الأنصار من الإيمان. وصحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (١٢٩).

(١٨٩١) صحيح مسلم: في الكتاب الباب السابقين، رقم (١٣١).

(١٨٩٢) صحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (١٣٠).

وقد ورد بنحوه عن عدد من الصحابة.

وإذا كان حب الأنصار رضي الله تعالى عنهم-بأجمعهم-من علامات الإيمان، وبغضهم من علامات النفاق، فكيف بحب الصحابة جميعاً، وبغضهم جميعاً؟

والمهاجرون مقدَّمون على الأنصار رضي الله تعالى عنهم، لـــذا كـــان تقديمهم في كل الآيات علامةً على تقدمهم في الفضل. لذا قال ﷺ: (لــولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار،...). متفق عليه، من حديث عبد الله بـــن زيد رضي الله تعالى عنه، ورواه البخاري من حديث أبي هريرة[1893].

- **قبول محسنهم والتجاوز عن مسيئهم:**

لقد جاءت أحاديث كثيرة عن النبي المصطفى الكريم ﷺ فيها الحـــث على إكرام كريمهم، والتجاوز عن مسيئهم، وإن كان الحديث-المتواتر-قـــد جاء بلفظه في الأنصار رضي الله تعالى عنهم.

فإذا أمر ﷺ التجاوز عن المسيء، فكيف تكون الإساءة إليهم؟

* فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: مر أبو بكر والعباس رضـــي الله تعالى عنهما بمجلس من مجالس الأنصار-وهم يبكون-فقال: مـــا يبكـــيكم؟ قالوا: ذكرنا مجلسَ النبيِّ ﷺ منا. فدخل على النبيِّ ﷺ فأخبره بذلك.

قال: فخرج النبيُّ ﷺ، وقد عصب على رأسه حاشية بُرْد، قال: فصعد المنبرَ -و لم يصعده بعد ذلك اليوم- فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: (أوصيكم بالأنصار، فإنهم كرِشي وعَيْبَتي، وقد قضَوا الذي عليهم، وبقي الذي لهـــم،

(1893) صحيح البخاري: كتاب التمني: باب ما يجوز من اللو، وكتاب مناقب الأنصار: بـــاب قول النبيِّ ﷺ: (لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار). وصحيح مسلم: كتاب الزكاة: باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام،... رقم (139).

فاقبلوا من مُحسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم). متفق عليه، واللفظ للبخاري(١٨٩٤).

* وعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: خرج رسول الله ﷺ وعليه ملحفة، متعطِّفاً بها على منكبيه، وعليه عصابةٌ دَسْماء، حتى جلس على المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: (أمّا بعد، أيها الناسُ، إن الناسَ يكثرون، وتقل الأنصار، حتى يكونوا كالملح في الطعام، فمن وليَ منكم أمراً يضُرُّ به أحداً، أو ينفعه: فليقبل من محسنهم، ويتجاوز عن مسيئهم). رواه البخاري(١٨٩٥).

وكان هذا الحديث من النبي المصطفى الكريم ﷺ في مرض الوفاة.

* وقوله ﷺ: (وقد قضَوا الذي عليهم، وبقي الذي لهم) ينطبق على جميع الصحابة رضي الله تعالى عنهم، فقد قاموا بما التزموا به من محبة وفداء وجهاد وبذل وسخاء وهجرة وما نالوا من تعذيب، وتركٍ للأهل والأولاد والنساء والأوطان والأموال والجاه والسلطان في سبيل الله تعالى، ونصرة دينه، وما قاموا به من سفك الدماء في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى، وتبليغِ رسالة الله تعالى إلى مختلف الأقطار، وانتشارٍ في شرق المعمورة ومغربها،... وقبورهم شاهدة إلى يومنا هذا،...

ثم مواقفهم المشرفة مع رسول الله ﷺ، وخدمته وطاعته ومحبته وفدائه

(١٨٩٤) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار: باب قول النبيِّ ﷺ: (اقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم). وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل الأنصار، رقم (١٧٦).

(١٨٩٥) صحيح البخاري: في الكتاب والباب السابقين.

والدفاع عنه، حتى قتلوا آباءهم وإخوانهم وأقاربهم ممن كانوا يناوئونـــه، أو يعادونه،...

وبقي لهم حقّهم الذي يوجبه الشرعُ على الأمة، لأن مَن لم يشكر الناس لن يشكر الله، ولأن مَن صنع إليكم معروفاً فكافئوه. وأدنى مراتب المكافـــأة كف الأذى عنهم، والاعتراف بفضلهم ومَنْزلتهم ومكانتهم،...

أما من يحقد عليهم ويسبهم ويغتاظ منهم ويضللهم ويكفّرهم،... فقد كفر بنعمة الله تعالى عليه، وقطع اليد التي أحسنت إليه، وجحد فـــضل الله تعالى الذي تمثّل بوصول هذا الدين -عن طريقهم- إليه.

- **حكم ساب الصحابة رضي الله تعالى عنهم والحاقد عليهم:**

لم يختلف أهل العلم في تحريم سب الصحابة رضي الله تعالى عنهم بعـــد النصوص التي ذكرتها في البابين الأول والثاني وغيرهما، إنما اختلفوا في قضيتين اثنتين، هما:

أ – هل ساب الصحابة رضي الله تعالى عنهم كافر أم فاسق.

ب- هل يُقتل ساب الصحابة رضي الله تعالى عنهم أم يحبس ويضاعف عليه التعزير، حتى يتوب، ويبقى في الحبس مع التشديد عليه حتى يمـــوت أو يتوب، في تفاصيل متعددة.

* والذين قالوا لا يكفرون أجمعوا على أنهم فساق، أمّا من ادّعى الإلهية في علي رضي الله تعالى عنه فلا شك في كفره(١٨٩٦).

* قال الإمام مالك رحمه الله تعالى(١٨٩٧): من غاظه أصحابُ محمد ﷺ

(١٨٩٦) انظر السيف المسلول (٤١٦-٤٢٦).

(١٨٩٧) الشفاء (٢: ٦١٦) والسنة للخلال (٤٧٨).

فهو كافر. قال الله تعالى: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ وبه قال الشافعي وغيره، كما مر.

* وقال رحمه الله تعالى: من أصبح من الناس وفي قلبه غيظٌ على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية.اهـ.

وقد وافقه طائفة من العلماء على ذلك[١٨٩٨].

* وقال رحمه الله تعالى[١٨٩٩]: من شتم أحداً من أصحاب النبيِّ ﷺ؛ أبا بكر أو عمر أو عثمان أو معاوية أو عَمْرو بن العاص؛ فإن قال: كانوا على ضلالة وكفر قُتِل. وإن شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس: نُكِّل نكالاً شديداً.اهـ.

* وقال سحنون رحمه الله تعالى[١٩٠٠]: من قال في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي: إنهم كانوا على ضلالة وكفر قُتل. ومن شتم غيرَهم من الصحابة بمثل ذلك نُكِّل النكالَ الشديد.اهـ.

* وقال الإمام مالك رحمه الله تعالى: من سب عائشة قُتل. قيل له: لِمَ؟ قال: من رماها فقد خالف القرآن.

وقال ابن شعبان عنه: لأن الله تعالى يقول: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[١٩٠١]. فمن عاد لمثله فقد كفر[١٩٠٢].اهـ.

(١٨٩٨) تفسير القرطبي (١٦: ٢٩٧) وإكمال المعلم (٨: ٥٨٣) وتفسير البغوي (٤: ٢٠٧) وتفسير ابن كثير (٤: ٢٠٤). وانظر الصواعق المحرقة (٣١٧-٣١٨).

(١٨٩٩) الشفاء (٢: ١١٠٨).

(١٩٠٠) الشفاء (٢: ١١٠٩).

(١٩٠١) سورة النور (١٧).

* قال الإمام الباقلاني رحمه الله تعالى[1903]: إن الله تعالى إذا ذكر في القرآن ما نسبه إليه المشركون سبَّح نفسَه، كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ﴾[1904]. في آي كثيرة.

وذكر تعالى ما نسبه المنافقون إلى عائشة فقال: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾[1905]. سبَّح نفسَه في تنزيهها من السوء. وهذا يشهد لقول مالك في قتل من سبّ عائشة.

ومعنى هذا -والله تعالى أعلم- أن الله تعالى عظَّم سبَّها -كما عظَّم سبَّه- وكان سبُّها سبّاً لنبيِّه ﷺ، وقرن سبَّ نبيِّه وأذاه بأذاه تعالى، وكان حُكمُ مؤذيه تعالى القتلَ، فكان مؤذي نبيّه ﷺ كذلك.اهـ.

قلت: يشير بذلك -والله تعالى أعلم- إلى قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[1906]. فقد جعل حكم مؤذي الله تعالى ومؤذي رسوله الكريم ﷺ واحداً.

* وقال الحافظ الفريابي رحمه الله تعالى[1907]: ورجلٌ يسأله عمن شتم أبا بكر. قال: كافر. قيل: فيصلّى عليه؟ قال: لا. وسأله كيف يُصنع به وهو يقول لا

(١٩٠٢) الشفاء (٢: ١١٠٩) والسيف المسلول (٤١٧) والصارم المسلول (٥٦٦).

(١٩٠٣) الشفاء (٢: ١١٠٩١١١٠) والسيف المسلول (٤١٧).

(١٩٠٤) سورة الأنبياء (٢٦).

(١٩٠٥) سورة النور (١٦).

(١٩٠٦) سورة الأحزاب (٥٧).

(١٩٠٧) السنة للخلال (٤٩٩) والصارم المسلول (٥٧٠) والسيف المسلول (٤٢٣).

إله إلاّ الله؟ قال: لا تمسّوه بأيديكم، ادفعوه بالخشب حتى تواروه في حفرته.اهـ.

* وقال القاضي أبو يعلى رحمه الله تعالى[1908]: الذي عليه الفقهاء في سب الصحابة: إن كان مستحِلاً لذلك كفر. وإن لم يكن مستحلاً فسق ولم يكفر، سواء كفَّرهم أو طعن في دينهم مع إسلامهم.

* وقد قطع طائفة من الفقهاء من أهل الكوفة وغيرهم بقتل من سب الصحابة، وكُفْرِ الرافضة.

* وقال القاضي أبو يعلى رحمه الله تعالى[1909]: من قذف عائشةَ بما برّأها الله منه كفر بلا خلاف.اهـ.

* قال العلامة ابن تيمية رحمه الله تعالى[1910]: قد حكى الإجماعَ على هذا غيرُ واحد، وصرّح غيرُ واحد من الأئمة بهذا الحكم.اهـ.

* وأطال العلامة ابن تيمية رحمه الله تعالى في كتابه الصارم المسلول[1911] النَّفَسَ في بيان حكم ساب الصحابة رضي الله تعالى عنهم، مع اتفاق النقل على التحريم، ولكن هل يكفر أم لا؟ وهل يُقتل أم يجلد؟ مع التفريق بين من سبَّ الجميع، ومن سبَّ واحداً منهم.

* وقد لخص في ختام البحث القول فقال: أما من اقترن بسبِّه دعوى أن عليّاً إله، أو أنه كان هو النبي، وإنما غلط جبريل بالرسالة، فهذا لا شك في كفره، بل لا شك في كفر من توقف في تكفيره.

(١٩٠٨) السيف المسلول (٤٢٢-٤٢٣) والصارم المسلول (٥٦٩).

(١٩٠٩) الصارم المسلول (٥٦٥-٥٦٦، ٥٧١) والسيف المسلول (٤١٨).

(١٩١٠) الصارم المسلول (٥٦٦) والسيف المسلول (٤١٨).

(١٩١١) الصارم المسلول على شاتم الرسول -ﷺ- (٥٦٥-٥٨٧).

وكذلك من زعم منهم أن القرآن نقص منه آيات وكُتِمَت، أو زعم أن له تأويلات باطنة تُسقط الأعمالَ المشروعةَ، ونحو ذلك. وهؤلاء يسمون القرامطة والباطنية، ومنهم التناسخية، وهؤلاء لا خلاف في كفرهم.

- وأما من سبَّهم سبّاً لا يقدح في عدالتهم ولا في دينهم، مثل وصف بعضهم بالبخل، أو الجبن، أو قلة العلم، أو عدم الزهد، ونحو ذلك فهذا الذي يستحق التأديب والتعزير. ولا نحكم بكفره بمجرد ذلك، على هذا يحمل كلام من لم يُكفِّرهم من أهل العلم.

- وأما من لَعَن وقبَّح مطلقاً، فهذا محل الخلاف فيهم، لتردد الأمر بين لعن الغيظ ولعن الاعتقاد.

- وأما من جاوز ذلك إلى أن زعم أنهم ارتدوا بعد رسول الله ﷺ، إلاّ نفراً قليلاً لا يبلغون بضعة عشر نفساً، أو أنهم فسقوا عامتهم، فهذا لا ريب أيضاً في كفره؛ لأنه مكذّب لما نصه القرآن في غير موضع، من الرضى عنهم، والثناء عليهم. بل في كفر من يشك في كفر مثل هذا، فإنّ كفرَه متَعَيّن، فإن مضمون هذه المقالة: أن نقلةَ الكتاب والسنة كفارٌ أو فُساقٌ، وأن هذه الآية التي هي ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ وخيرُها هو القرن الأول، كان عامَّتهم كفاراً وفساقاً. ومضمونها: أن هذه الأمة شرُّ الأمم، وأن سابقي هذه الأمة هم شرارُها، وكفرُ هذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام.

- ولهذا تجد عامة من ظهر عليه شيء من هذه الأقوال: فإنه يتبين أنه زنديق، وعامة الزنادقة إنما يستترون بمذهبهم، وقد ظهرت لله تعالى فيهم مثلات،...إلخ.

* الدوافع الحاملة على الطعن بالصحابة رضي الله تعالى عنهم:

إذا نظرنا إلى الدوافع التي حملت بعضَ الناس ممن غشيت قلوبهم على الوقوع في الصحابة رضي الله تعالى عنهم، والغفلة عن تلك النصوص التي ذكرتُها، والتي لم أذكرها في فضلهم رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، نراها ترجع إلى أربعة عوامل أساسية، يضاف إليها عامل خامس في العصور المتأخرة(١٩١٢).

١- لقد قضى الإسلام -منذ أيامه الأولى في العهد المدني- على اليهود في المدينة، وأخرج اليهود من جزيرة العرب- فلم يبق فيها أحد بعد سنوات من انتقال النبي المصطفى الكريم ﷺ، واليهود -مع علمهم به ﷺ وببعثته ومهاجَره وأوصافه،... بل حتى أوصاف أمته، وإخبار موسى وعيسى عليهما السلام به،... لكنهم قومٌ بهتٌ، فإذا أنكروا قبل أن يصابوا بأدنى أذى، فكيف وقد قُتل منهم الكثير، في قريظة، وخيبر،... وأُخرجوا، كما في بني قينقاع، والنضير، لذا امتلأت قلوبُهم حقداً وبغضاً على الإسلام والمسلمين، وكانت الدسائس والدعوات السِّرِّيَّة، التي كانت نتيجة إحداها -بقيادة عبدالله بن سبأ اليهودي- مقتلَ سيدنا عثمان رضي الله تعالى عنه، وما نتج عن هذه الفتنة من معركة الجمل، التي لم يكن للصحابة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم فيها ناقةٌ ولا جملٌ، إنما هي مؤامرةٌ دبَّرها هذا اليهودي وأتباعُه بليل. ثم ما نتج عن دعوته -ومساعدة ابن السوداء اليهودي، ومن على شاكلتهما من اليهود والمجوس- من طعنٍ في الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وألوهية علي رضي الله تعالى عنه، وخيانة جبريل عليه السلام -حاشاه-

(١٩١٢) انظر: الردة قديمها وحديثها، حيث فصلت آراءهم، وأفكارهم، ومعتقداتهم، وآثارهم.

وتمالئ الصحابة على كتمان ولاية علي رضي الله تعالى عنهم جميعاً،... الخ آرائه وأفكاره.

لذا فإن أول من طعن في الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وأعلن التبرؤ منهم هو: عبد الله بن سبأ اليهودي، كما هو موجود في كتب الرافضة[١٩١٣]، ثم اتّبعه عبد الله بن السوداء اليهودي هو الآخر.

٢- إن كثيراً من الفُرس الذين كانوا يملكون شطر الدنيا، وتخضع أغلبُ المناطق العربية لسيطرهم، قد زالت دولتُهم بسيوف الإسلام إلى الأبد، وعلموا أن لا قدرة لهم على مقاومة الإسلام بالرمح والسيف، فمالوا إلى تكتيك آخر، فاعتنقوا الإسلام ظاهراً-ككثير من اليهود-وبقوا على كفرهم باطناً. فلما ظهرت حركة ابن سبأ وابن السوداء اليهوديين مالوا إليها، ونصروها، وزادوا عليها، وتوسعت في فارس والعراق،... فظهرت الحركة الباطنية، كالخرمية، والبابكية، والقرامطة، والمقنع،...إلخ.

وكان لهؤلاء وأمثالهم-خاصة حركة الزنادقة في العصر العباسي الأول- الأثر الكبير في الطعن والتشهير؛ لأهم لم يستطيعوا النيل من صاحب الشريعة ﷺ مباشرة، فنالوا من أصحابه الكرام رضي الله تعالى عنهم الذين يلازمونه، ويصاحبونه.

ثم إنه لم يُعرف في أرض عُبد فيها البشر وقُدِّس فيها الحاكم ما حصل في فارس زمن الأكاسرة، فلما زالت الدولة الكسروية بسيوف الصحابة رضي الله تعالى عنهم حقدوا عليهم أشد الحقد، وأبغضوهم أشد البغض؟

(١٩١٣) انظر: فرق الشيعة للنوبختي (٤٤) ونقله الكشي في رجاله (١٠١) والمامقاني في تنقيح المقال في أحوال الرجال، والتستري في قاموس الرجال (٥: ٤٦٢) والقمي في المقالات والفرق (٢٠).

٣- بعد قيام الدولة الصفوية في بداية القرن العاشر في إيران؛ ازداد الهجوم على الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم، لأسباب متعددة، منها ما هو معروف، ومنها ما هو مخفي، ذلك أن الصفويين كانوا في غاية الحقد على أهل السنة، خاصة بعد تدمير مدينة تبريز على أيدي قوات الخلافة العثمانية السُّنِّيَّة، لكن بإعانة الغرب استطاع الشاه إسماعيل -عامله الله تعالى بعدله- من إعادة السيطرة عليها ثانية، مع منع الدول الغربية العثمانيين من الهجوم عليها ثانية، فاشترك النصارى واليهود بإيجاد الدولة المناوئة للسنة- بغرض تقطيع الوحدة الإسلامية، ففصلوا السنة في الشرق عن السنة في الغرب، بزرع دولة الرافضة بينهما، كما شقّوا الصف الإسلامي في الجانب الغربي -بعد ذلك- بزرع الدولة الصهيونية في فلسطين، ليقطعوا بين مسلمي آسيا عن مسلمي أفريقيا -لذا صب الصفويون جامَ غضبهم على الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم؛ لأنهم رمز التكاتف والتلاحم عند أهل السنة، بعد إعدامهم لمئات الألوف من السنة في تبريز وحدها، فضلاً عن باقي المناطق في إيران.

٤- يضاف إلى هؤلاء في العصور المتأخرة، ما جاء عن النصارى من تنصيرٍ واستشراق، ومحاولاتٍ تشكيكٍ للمسلمين في دينهم، وإخراجهم منه. فأحيوا ما قاله الزنادقة والشعوبيون والباطنيون واليهود القدامى من طعون، وألبسوها لباس العلم التجريبي، والحرية الفكرية والنقد البريء.

لذا استغل اليهود والنصارى والمجوس القضاءَ على المملكة الفارسية المجوسية في العراق والشرق بسيوف الصحابة رضي الله تعالى عنهم، والمملكة الرومية النصرانية في بلاد الشام وآسيا الوسطى وشمال أفريقيا، فاتفقت كلمة

الفئات الثلاث على الحقد على الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم، والنيل منهم، لأهم السبب في ذلك، وقد عرفوا أهم لن ينالوا من صاحب الشريعة ﷺ، ولا من الشريعة نفسها شيئاً، فقرروا النيلَ من حملة الشريعة.

ثم أضفوا على عملهم الصفة العقدية والعبادية، وألبسوه لباس الدين، حيث وجدوا بغيتَهم-فيما كانوا فيه من تقديس الأكاسرة-في آل البيت، لأن دم الأكاسرة يجري في عروق أئمة آل البيت، مِن بعد علي زين العابدين رحمه الله تعالى فما بعده، لأن زوجة الحسين رضي الله تعالى عنه-أم علي زين العابدين رحمه الله تعالى هي بنت كسرى يزدجرد.

ولا يمكن تقديس أئمة آل البيت -عندهم- إلاّ على حساب الحقد والبغض على الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم، لذا كان الغلو في أئمة آل البيت.

لكن هذا لا يدوم، وسيزول بقدرة المولى تعالى، إذ كم حاول المتقدمون طمسَ الحقائق، وإظهارَ الزيف والباطل، لكن الله تعالى أطفأ نارهم، وأخمد شوكتهم، وأبطل زيفهم، فكذلك حال الحاضرين بإذن الله تعالى(١٩١٤).

٥- إن هؤلاء الطاعنين في الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم إنما حملهم على ذلك في الواقع: الحقد على رسول الله ﷺ والإسلام، وأرادوا الطعنَ في رسول الله ﷺ، لكنهم لم يجرؤوا على ذلك خشية الرد الشديد ولما فيه من الخطورة عليهم، الذي قد يفضي بهم إلى القتل-حتى من فسقة المسلمين وجهالهم، لذا اختاروا الطعن بالصحابة رضي الله تعالى عنهم حتى يقال: كيف يعاشر هؤلاء ويصاحبهم وهو لا يعلم شيئاً عنهم، ولم يكتشف

(١٩١٤) انظر ما كتبته: شبهات حول السنة ودحضها. الطبعة الثانية.

أمرهم، مما يدل على الطعن فيه، ولا يدرون أنهم يطعنون بالله تعالى، الـــذي اصطفاهم واختارهم، وجمّلهم وكمّلهم.

* قال الإمام مالك رحمه الله تعالى[١٩١٥]: إنما هؤلاء أرادوا القـــدح في النبي ﷺ فلم يمكنهم ذلك، فقدحوا في أصحابه، حتى يقال: رجل ســـوء - حاشاه بأبي هو وأمي- ولو كان رجلاً صالحاً لكان أصحابه صـــالحين. أو كما قال رحمه الله تعالى.

وبفعلهم هذا طعنوا في رسول الله ﷺ، كيف يصاحب هؤلاء الأقـــوام سنين مديدة، وهو لا يعلم عنهم ما يخفون، كما يطعنون بالوحي الـــذي لم يكشف له أحوالَهم التي أخفوها، كما يطعنون بالله تعالى الذي قد ترضّـــى عنهم، وأثنى عليهم، وأحبَّهم، ومدحهم، وحكم بإيمانهم،...

وهل عِلْمُ الله تعالى متعلقٌ بالظاهر حتى يقال ذلك ! لكنهم قومٌ بهـــتٌ، وأمورهم لا تنطلي على العالِمين بربهم، والحمد لله تعالى.

- وجوب الدفاع عنهم رضي الله تعالى عنهم:

لقد شرع لنا رسول الله ﷺ وجوب الدفاع عن الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم. فقد دافع عنهم على الجملة، كما دافع عن بعضهم، دلالـــة على عدم رضاه بالطعن فيهم. وقد ذكرت جملة وافرة مـــن الأحاديـــث في دفاعه عنهم في (الرحمة المهداة ﷺ) أقتصر على ذكر عشرة منها باختصار.

* لقد مر قوله ﷺ: (لا تسبوا أحداً من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثلَ أُحُد ذهباً، ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نَصيفَه). متفق عليه، من حديث أبي

(١٩١٥) انظر: الصارم المسلول (٥٨٠).

سعيد، ورواه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنهما.

* كما مر قوله ﷺ: (فهل أنتم تاركوا لي صاحبي). رواه البخاري، من حديث أبي الدَّرْداء رضي الله تعالى عنه، كما ورد من حديث غيره.

* وقال رسول الله ﷺ: (لا تُؤذوا خالداً، فإنه سيفٌ من سيوف الله صبَّه الله على الكفّار). رواه عبد الله بن أحمد والبَزّار والطبراني برجال ثقات، وصححه ابن حِبّان والحاكم، وقد سبق ذكره من حديث ابن أبي أوفى رضي الله تعالى عنه.

* وعن عُمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه-في الرجل الذي كان يشرب الخمر، وفي كلِّ مرة يأمر به رسول الله ﷺ فيُجلد-وفيه فقال رجلٌ من القوم: اللهم العَنْه، ما أكثر ما يُؤتَى به. فقال النبيُّ ﷺ: (لا تلعنوه، فوالله ما علمتُ أنه يحب الله ورسوله). رواه البخاري(١٩١٦).

* وعن بريدة رضي الله تعالى عنه -في قصة رجم الغامدية رضي الله تعالى عنها، فسبَّها خالد، فسمع نبيُّ الله ﷺ سبَّه إياها، فقال: (مهلاً يا خالدُ؛ فو الذي نفسي بيده، لقد تابت توبةً لو تابها صاحبُ مِكْسٍ لغُفر له) ثم أمر بها فصلّى عليها، ودفنت. رواه مسلم(١٩١٧).

* وعن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنهما -في قصة رجم المرأة الجهنية رضي الله تعالى عنها- وفي آخره، ثم صلّى عليها، فقال له عُمر: تصلّي عليها يا نبيَّ الله، وقد زنت؟ فقال: (لقد تابت توبةً لو قُسمَت بين

(١٩١٦) صحيح البخاري: كتاب الحدود: باب ما يكره من لعن الشارب، وأنه ليس بخارج من الملة.

(١٩١٧) صحيح مسلم: كتاب الحدود: باب من اعترف على نفسه في الزنا، رقم (٢٣).

سبعين من أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجدت توبةً أفضل من أن جادت بنفسها لله تعالى؟). رواه مسلم(١٩١٨).

* وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: بعث رسول الله ﷺ عُمر على الصَّدَقة، فقيل: منع ابنُ جَميل، وخالد بن الوليد، والعباس عم رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: (ما ينقم ابنُ جميل إلاّ أنه كان فقيراً فأغناه الله، وأما خالد فإنكم تظلمون خالداً، قد احتبس أدراعه ومتاعه في سبيل الله، وأما العباس فهي عَليَّ ومثلُها معها) ثم قال: (يا عُمر؛ أما شعرت أن عمَّ الرجل صِنْوُ أبيه). متفق عليه، واللفظ لمسلم(١٩١٩).

* وعن محمود بن الربيع الأنصاري رضي الله تعالى عنه، أن عِتْبان بن مالك -وهو من أصحاب رسول الله ﷺ، ممن شهد بدراً، من الأنصار- أنه أتى رسولَ الله ﷺ فقال: يا رسول الله ﷺ، قد أنكرتُ بصري، وأنا أصلّي لقومي، فإذا كانت الأمطارُ سال الوادي الذي بيني وبينهم، ولم أستطع أن آتي مسجدَهم، فأُصلِّيَ بهم. ووددتُ يا رسول الله، أنك تأتيني فتُصلّي في بيتي، فأتّخذه مصلى.

قال: فقال له رسول الله ﷺ: (سأفعل إن شاء الله).

قال عِتْبان: فغدا رسول الله ﷺ وأبو بكر [الصِّدِّيق] -رضي الله تعالى عنه- حين ارتفع النهار. فاستأذن رسول الله ﷺ، فأذنتُ له. فلم يجلس حين

(١٩١٨) صحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (٢٤).

(١٩١٩) صحيح البخاري: كتاب الزكاة: باب قول الله تعالى: ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَـٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾. وصحيح مسلم: كتاب الزكاة: باب في تقديم الزكاة ومنعها، رقم (١١) وقد ورد عن علي وابن مسعود رضي الله تعالى عنهما.

دخل البيتَ، ثم قال: (أين تُحبُّ أن أُصلّي من بيتك؟) قال: فأشرتُ إلى ناحيةٍ من البيت، فقام رسول الله ﷺ فكبَّر. فقمنا فصففنا [وراءَه]. فصلّى ركعتين ثم سلّم.

قال: وحبسناه على خزيرةٍ[1920] صنعناها له. قال: فثاب في البيت رجالٌ من أهل الدار ذوو عدد، فاجتمعوا.

فقال قائلٌ منهم: أين مالكُ بن الدُّخَيشن-أو ابن الدُّخشُن-؟ فقال بعضُهم: ذلك منافقٌ لا يحب الله ورسولَه.

فقال رسول الله ﷺ: (لا تقل له ذلك، ألا تراه قد قال: لا إله إلاّ الله، يريد بذلك وجه الله؟).

قال: الله ورسوله أعلم. قال: فإنا نرى وجهه ونصيحته إلى المنافقين.

قال رسول الله ﷺ: (فإن الله قد حرّم على النار من قال: لا إله إلاّ الله، يبتغي بذلك وجه الله). متفق عليه[1921].

قلت: ومالك هذا رضي الله تعالى عنه لم يختلفوا أنه من أهل بدر، وما كان في أهل بدر منافق، وأنه هو الذي أسر سُهيل بنَ عَمرو، وأنه هو الذي أرسله رسول الله ﷺ -منصرفه من غزوة تبوك- ومعه معن بن عدي لتحريق مسجد الضرار، ويحمل قول القائل: فإنا نرى وجهه ونصيحته إلى المنافقين: على العلاقة الشخصية، قبل معرفته بعقدة حالهم، فلما تبين له حقيقة أمرهم

(١٩٢٠) الخزيرة: لحم يُقطّع صغاراً، ثم يصب عليه ماء كثير، فإذا نضج ذُرَّ عليه دقيق، فإن لم يكن فيها لحم، فهي عصيدة.

(١٩٢١) صحيح البخاري: كتاب الصلاة: باب المساجد في البيوت، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، رقم (٥٤، ٥٥) وانظر: كتاب المساجد: باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر، رقم (٢٦٣-٢٦٥).

تركهم، ولعل له العذر كما حصل لحاطب رضي الله تعالى عنه[١٩٢٢]. وقد ذكرت ذلك في فضائل المدينة المنورة، فانظره.

* وعن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه -في قصة حاطب رضي الله تعالى عنه- وفيه قوله ﷺ لعمر رضي الله تعالى عنه: (يا عمر؛ وما يدريك لعل الله قد اطَّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد وَجَبت لكم الجنةُ)... الحديث، متفق عليه، واللفظ للبخاري[١٩٢٣].

* وعن عبد الله بن عُمَر رضي الله تعالى عنهما قال: بعث رسولُ الله ﷺ بعثاً، وأمَّر عليهم أسامةَ بنَ زيد-رضي الله تعالى عنهما-فطعن بعضُ الناس في إمارته.

فقال رسول الله ﷺ: (إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل، وايْمُ الله؛ إنْ كان لخليقاً للإمارة، وإن كان لِمن أحبِّ الناس إلَيَّ. وإن هذا لمن أحبِّ الناس إلَيَّ بعده)

* زاد مسلم في رواية: (وايْمُ الله، إن هذا لها لخليق-يريد أسامةَ بن زيد،... فأُوصيكم به، فإنه من صالحيكم). متفق عليه[١٩٢٤].

(١٩٢٢) انظر فتح الباري، وفضائل المدينة المنورة -المجلد الثالث-.

(١٩٢٣) صحيح البخاري: كتاب الاستئذان: باب من نظر في كتاب من يُحذَر على المسلمين ليستبين أمره. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل أهل بدر رضي الله تعالى عنهم،... رقم (١٦١).

(١٩٢٤) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة: باب مناقب زيد بن حارثة مولى النبيِّ ﷺ، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب فضائل زيد بن حارثة وأسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما، رقم (٦٣-٦٤).

وهكذا فعل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم ومَن بعدهم بعد رسول الله ﷺ. أذكر بعض النصوص في ذلك للتنبيه.

* وقع بين عُبيد الله بن عُمر [بن الخطاب] وبين المقداد كلام، فشتم عبيدُ الله المقدادَ. فقال عُمر رضي الله تعالى عنه: عليَّ بالحدّاد؛ أقطع لسانه، لا يجترئ أحدٌ بعده يشتم أحداً من أصحاب النبيِّ ﷺ.

* وفي رواية: فهمَّ عُمر رضي الله تعالى عنه بقطع لسانه، فكلّمه فيه أصحابُ محمد ﷺ. فقال: ذروني أقطع لسان ابني؛ لا يجترئ أحدٌ بعده يسبُّ أحداً من أصحاب محمد ﷺ.

قلت: وهذا من عمر رضي الله تعالى عنه تعزير، ليس حدّاً، لأن الحد إذا بلغ السلطان لا تجوز الشفاعة فيه، كما هو معلوم، والله تعالى أعلم.

قال العلامة ابن تيمية رحمه الله تعالى: ولعل عمر إنما كف عنه لما شفع فيه أصحابُ الحق، وهم أصحابُ النبيِّ ﷺ، ولعل المقداد كان فيهم[١٩٢٥].

* وعن ابن أبي ليلى رحمه الله تعالى قال: تداروا في أمر أبي بكر وعمر. فقال رجل من عطارد: عمر أفضل من أبي بكر. فقال الجارود -رضي الله تعالى عنه-: بل أبو بكر أفضلُ منه.

قال: فبلغ ذلك عمر. قال: فجعل يضربه ضرباً بالدِّرّة حتى شغر برجليه. ثم أقبل إلى الجارود فقال: إليك عني. ثم قال عمر: أبو بكر كان خيرَ الناس بعد رسول الله ﷺ في كذا وكذا. ثم قال عمر: من قال غيرَ هذا أقمنا

(١٩٢٥) الشفاء (٢: ١١١١) والسيف المسلول (٤٢٥) والصارم المسلول (٥٨٤-٥٨٥) وعزاه لحنبل وابن بطة واللالكائي وغيرهم.

عليه ما نقيم على المفتري. رواه أحمد، وصححه ابن تيمية(١٩٢٦).

* وعن علقمة رحمه الله تعالى قال: سمعتُ علياً رضي الله تعالى عنه على المنبر، فضرب بيده على منبر الكوفة يقول: بلغني أن قوماً يفضِّلوني على أبي بكر وعمر -رضي الله تعالى عنهما- ولو كنتُ تقدّمتُ في ذلك لعاقبتُ فيه، ولكني أكره العقوبة قبل التقدمة. من قال شيئاً من هذا فهو مفتر، عليه ما على المفتري. إن خيرَ الناس رسولُ الله ﷺ، وبعد رسول الله ﷺ أبو بكر، ثم عمر. وقد أحدثنا أحداثاً يقضي الله فيها ما أحب. رواه ابن أبي عاصم بإسناد حسن.

ورواه عبد الله بن أحمد بلفظ: لا يفضلني أحدٌ على أبي بكر وعمر إلاّ جلدته حد المفتري(١٩٢٧).

قلت: وآخر رواية ابن أبي عاصم قد ورد من طرق كثيرة، وسبق منها رواية البخاري عن عليٍّ رضي الله تعالى عنه، من طريق ولده محمد رحمه الله تعالى عنه به.

* قال العلامة ابن تيمية رحمه الله تعالى(١٩٢٨): فإذا كان الخليفتان الراشدان عمر وعليٌّ رضي الله تعالى عنهما يجلدان حدَّ المفتري مَن يفضِّل علياً على أبي بكر وعمر، أو من يفضِّل عمر على أبي بكر-مع أن مجرّد التفضيل ليس فيه سبٌّ ولا عيبٌ-عُلم أن عقوبةَ السبِّ عندهما فوق هذا بكثير.اهـ.

* لما أعلن عبد الله بن سبأ الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان

(١٩٢٦) فضائل الصحابة (١: ٣٠٠، ١٨٢) والصارم المسلول (٥٨٥).

(١٩٢٧) السنة (٢: ٦٨٠-٦٨١) وفضائل الصحابة (١: ٨٣، ٢٩٤) والصارم المسلول (٥٨٥).

(١٩٢٨) الصارم المسلول (٥٨٦).

والصحابة، وتبرأ منهم، وقال: إن عليّاً رضي الله تعالى عنه أمره بذلك. أخذه عليٌّ فسأله عن قوله هذا فأقر به، فأمر بقتله، فصاح الناس إليه: يا أمير المؤمنين؛ أتقتل رجلاً يدعو إلى حبكم أهل البيت، وإلى ولايتك، والبراءة من أعدائك؟ فصيَّره إلى المدائن(١٩٢٩).اهـ.

قلت: إن أمر علي رضي الله تعالى عنه بقتل ابن سبأ لطعنه في الصحابة وفي الثلاثة رضي الله تعالى عنهم دليل على محبته لهم، وأنّ من يطعن فيهم فحكمه القتل في نظره رضي الله تعالى عنه وعنهم جميعاً. فما يقول الرافضة؟

* قال العلامة ابن تيمية رحمه الله تعالى: ولا يظهر عن علي رضي الله تعالى عنه أنه يريد قتلَ رجل إلاّ وقتله حلال عنده، ويشبه-والله تعالى أعلم- أن يكون إنما تركه خوف الفتنة،...اهـ. من الصارم.

* عن أبي برزةَ الأسلمي رضي الله تعالى عنه أنه قال: كنا عند أبي بكر الصّدِّيق -رضي الله تعالى عنه- في عمله، فغضب على رجل من المسلمين، فاشتد غضبُه عليه جدّاً، فلما رأيت ذلك، قلت: يا خليفةَ رسول الله ﷺ؛ أضربُ عنقَه ! فلما ذكرتُ القتلَ صَرَفَ عن ذلك الحديث أجمعَ إلى غير ذلك من النحو.

فلما تفرَّقنا أرسل إلَيَّ بعد ذلك أبو بكر الصّدِّيق. فقال: يا أبا برزةَ؛ ما قلتَ؟ قال: ونسيتُ الذي قلتُ. قلت: ذكِّرنيه. قال: أما تذكرُ ما قلتَ؟ قال: قلتُ: لا والله، قال: أرأيتَ حين رأيتَني غضبتُ على الرجل فقلتَ أضربُ عنقه يا خليفةَ رسول الله ﷺ؛ أما تذكر ذاك؟ أَوَكنتَ فاعلاً ذاك؟

(١٩٢٩) فرق الشيعة (٤٤) وقاموس الرجال (٥: ٤٦٣) والصارم المسلول (٤٨٤).

قال: قلتُ: نعم والله، والآن إن أمرتَني فعلتُ. قال: ويحك-أو ويلك- إن تلك -والله- ما هي لأحد بعد محمد ﷺ.

زاد الحاكم في روايته: فقال: ليس هذا إلاّ لمن شتم النبيَّ ﷺ. رواه الطَّيالسي والحُمَيْدي وأحمد وأبو داود والنَّسائي والمروزي وأبو يعلى والبَزّار بإسناد صحيح، وصححه الحاكم وأقره الذهبي(١٩٣٠).

* في هذا النص أمران:

- تنبيه الصِّدِّيق الأكبر رضي الله تعالى عنه على أن قتلَ المعادي والمشاتم والمخاصم إنما هو لمن يفعل ذلك بالنبي الكريم ﷺ، وليس لأحد بعده مهما كان. كما أن رواية الحاكم فيها إقرارٌ من الصِّدِّيق رضي الله تعالى عنه أن شاتمَ النبي المصطفى الكريم ﷺ يُقتل، والله تعالى أعلم.

- طلب أبي برزة رضي الله تعالى عنه قتل من أغضب الصِّدِّيق رضي الله تعالى عنه -مع أنه لم يسبّه- حتى نبّهه أبو بكر رضي الله تعالى عنه بأن مثل هذا لا يصل إلى القتل، والله تعالى أعلم.

* وعن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى رحمه الله تعالى قال: قلت لأبي: لو أُتيتَ برجل يسبُّ أبا بكر ما كنت صانعاً؟ قال: أضربُ عنقَه. قلتُ:

(١٩٣٠) مسند الطَّيالسي (٣ رقم ٤) ومسند الحُمَيْدي (١: ٥ رقم ٦) ومسند أحمد (١: ٩، ١٠) وسنن أبي داود: كتاب الحدود: باب الحكم فيمن سب النبيَّ ﷺ، رقم (٤٣٦٣) وسنن النَّسائي: كتاب تحريم الدم: باب الحكم فيمن سب النبيّ ﷺ، وباب ذكر الاختلاف على الأعمش (٧: ١٠٨-١١١ من طرق) والسنن الكبرى له (٢: ٣٠٤-٣٠٦ من طرق) ومسند أبي بكر الصديق (١٠٨-١١٠رقم ٦٦-٦٨) ومسند أبي يعلى (١: ٨٢-٨٤ من طرق) والبحر الزخار (١: ١١٥-١١٧) والمستدرك (٤: ٣٥٤، ٣٥٤-٣٥٥).

فعمر؟ قال: أضربُ عنقَه[1931].

هذا صحابي جليل رضي الله تعالى عنه من أهل القرآن والفرائض، ممن أقَّره عمر رضي الله تعالى عنه على مكة، يفتي بهذه الفتوى.

* وشتم رجل السيدةَ عائشة رضي الله تعالى عنها بالكوفة، فقدِّم إلى موسى بن عيسى العباسي، فقال: من حضر هذا؟ فقال ابنُ أبي ليلى: أنا. فجلده ثمانين، وحلق رأسه، وأسلمه إلى الحجّامين[1932].

فيكون قد جمع عليه بين الحد والتعزير، والله تعالى أعلم.

* وهاتان حادثتان لأميرين من أحفاد سيدنا علي رضي الله تعالى عنه ورحمهما الله تعالى، لم يرضيا الطعنَ بالسيدة عائشة رضي الله تعالى عنها، فقتلا الطاعن فيها، مع ادعاء من حضر أنهما من شيعتهم.

* قال القاضي أبو السائب رحمه الله تعالى[1933]: كنت يوماً بحضرة الحسن ابن زيد الدّاعي بطبرستان، وكان يلبس الصوف، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويوجِّه في كل سنة بعشرين ألف دينار إلى مدينة السلام [بغداد] تُفرَّق على أولاد الصحابة.

وكان بحضرته رجلٌ، فذكر عائشةَ بذكرٍ قبيحٍ من الفاحشة. فقال: يا غلام؛ اضرب عنقَه. فقال له العلويّون: هذا رجلٌ من شيعتنا. فقال: معاذ الله، هذا رجلٌ طعن على النبيِّ ﷺ. قال الله تعالى: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ

(١٩٣١) السنة للخلال (٢٥٥) والصارم المسلول (٥٨٤) والسيف المسلول (٤٢٥ مختصراً).

(١٩٣٢) الشفاء (١١١٠-١١١١).

(١٩٣٣) السيف المسلول (٤١٩-٤٢٠) والصارم المسلول (٥٦٦) كلاهما نقلاً عن أصول اعتقاد أهل السنة (٧: ١٣٤٥) وانظر ترجمة الأمير الحسن في السير (١٣: ١٣٦-١٣٧).

﴿وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾(١٩٣٤). فإن كانت عائشة خبيثةً؛ فالنبيُّ ﷺ خبيثٌ [حاشاهما] فهو كافر، فاضربوا عنقه. فضربوا عنقه وأنا حاضر.اهـ.

* وعن محمد بن زيد -أخي الحسن بن زيد- أنه قدِم عليه رجلٌ من العراق، فذكر عائشة بسوء. فقام إليه بعمودٍ فضرب به دماغه، فقتله.

فقيل له: هذا من شيعتنا ومن بني الآباء. فقال: هذا سمى جدي قرنان، ومن سمى جدي القرنان: استحق القتل(١٩٣٥).

هذان محسوبان على الشيعة، ومع هذا لم يرضيا رحمهما الله تعالى بشتم أو النيل من السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها، لأن النيل منها نيل من النبي المصطفى الكريم ﷺ. فهل يتنبه الأدعياء، وينظروا إلى بُعْد نظر هذين الأميرين رحمهما الله تعالى، فيمسكوا عن الطعن والتشهير فضلاً عن التكفير واللعن؟؟؟

تنبيه: إن الذين تولوا القتلَ أو إقامةَ الحد والتعزير: هم خلفاء -كعمر وعلي رضي الله تعالى عنهما- أو أمراء وولاة -كالباقي- أما أهل العلم فهم يصدرون الحكم، ويتولى من بيده تنفيذُ الحكم إقامتَه، والله تعالى أعلم.

- وجوب الإمساك عما حصل بين الصحابة رضي الله تعالى عنهم:

لقد أخبرنا رسول الله ﷺ بما سيكون بعده من حروب وقتل ونزاع -بين الصحابة رضي الله تعالى عنهم- وقد حصل ذلك كلّه كما أخبر(١٩٣٦).

(١٩٣٤) سورة النور (٢٦).

(١٩٣٥) الصارم المسلول (٥٦٦-٥٦٧) والسيف المسلول (٤٢٠) كلاهما نقلاً عن أصول اعتقاد أهل السنة (٧: ١٣٤٦).

(١٩٣٦) انظر: السنة النبوية وحي، المجلد الثاني، ومختصر أشراط الساعة، فقد ذكرت كثيراً من ذلك.

ومن جملة ما أخبر ﷺ عنه -ووقع كما أخبر-: معركة الجمل ومعركة صفين ومروق الخوارج وقتالهم، وكون علي والسيدة عائشة رضي الله تعالى عنهما سيكونان ضمن من يصطلي بذلك، ومقتل الصحابة الكرام (علي، وطلحة، والزبير) رضي الله تعالى عنهم شهداء.

- **ما هو موقف المسلم في ذلك؟:**

ومما يلزم المسلمين -بعد عصر الصحابة رضي الله تعالى عنهم- الإمساك عما جرى بينهم، لأنهم كلهم مؤمنون مسلمون، بنص الكتاب والسنة.

قال الله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[١٩٣٧].

وقد بيّن رسول الله ﷺ وجود الخلاف، وأن كلا من الفريقين من هذه الأمة، وهم مسلمون.

* عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى تَقتتلَ فئتان عظيمتان، تكون بينهما مقتلةٌ عظيمةٌ، دعوتُهما واحدة،...). متفق عليه[١٩٣٨].

فالفرقتان كلاهما على دعوى واحدة، وهي الإسلام.

* وعن أبي سعيد الخُدْري رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ قال:

(١٩٣٧) سورة الحجرات (٩).

(١٩٣٨) صحيح البخاري: كتاب الفتن: باب (٢٥) حدَّثنا مسدَّد، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الفتن: باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما، رقم (١٧).

(يكون في أمتي فرقتان، فيخرج من بينهما مارقة؛ يلي قتلَهم أولاهُم بالحق). رواه مسلم[(١٩٣٩)].

فالفرقتان كلاهما على الحق، لكن الذي يقتل المارقةَ هو أولاهما، لأن أفعل التفضيل تقتضي الاشتراك فيما تفاضلا فيه، ويزيد بعضهم على بعض. فيما تفاضلا.

وإذا كان رسول الله ﷺ قد قيد هاتين الفرقتين-في هذا الحديث-بأنهما من هذه الأمة، فقد قيدهما أيضاً بأنهما من المسلمين.

* فعن أبي سعيد الخُدْري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (تمرق مارقةٌ عند فُرْقَةٍ من المسلمين، يقتلها أولى الطائفتين بالحق). رواه مسلم[(١٩٤٠)].

* وعن أبي بكرة رضي الله تعالى عنه قال: رأيتُ رسول الله ﷺ على المنبر، والحسنُ بن عليٍّ إلى جنبه، وهو يُقبِل على الناس مرةً، وعليه أخرى، ويقول: (إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين). رواه البخاري[(١٩٤١)].

* زاد عند غيره قال سفيان بن عُيينة: ويعجبنا قوله من المسلمين[(١٩٤٢)].

(١٩٣٩) صحيح مسلم: كتاب الزكاة: باب ذكر الخوارج وصفاقم، رقم (١٥٠-١٥٤).

(١٩٤٠) صحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (١٥٠).

(١٩٤١) صحيح البخاري: كتاب الصلح: باب قول النبي ﷺ: (ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين)، وفي غيرهما.

(١٩٤٢) كما في رواية يعقوب بن سفيان عن الحُمَيْدي وعن سعيد بن منصور عن سفيان، انظر فتح الباري (١٣: ٦٦).

وأما إخباره ﷺ عن شهادة عليٍّ والزبير وطلحة رضي الله تعالى عنهم:

* عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ كان على حِراء، هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير، فتحركت الصخرةُ، فقال رسول الله ﷺ: (اهدأ، فما عليك إلاّ نبيٌّ أو صِدِّيقٌ أو شهيدٌ). رواه مسلم(١٩٤٣).

* وعن أبي رافع رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ قال لعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: (إنه سيكون بينك وبين عائشة أمرٌ) قال: أنا يا رسول الله؟ قال: (نعم) قال: أنا؟ قال: (نعم) قال: فأنا أشقاهم يا رسول الله؟ قال: (لا، ولكن إذا كان ذلك فارددها إلى مأمنها). رواه أحمد والطحاوي والطبراني والبَزّار، ورجاله ثقات، كما قال الحافظ الهيثمي، وحسنه الحافظ ابن حجر(١٩٤٤).

وإذا كان رسول الله ﷺ قد أشار في هذا الحديث إلى طرفي النزاع -وهما علي وعائشة رضي الله تعالى عنهما- فإنه ﷺ قد ذكر العلامةَ التي ستكون عند ظهور هذا الخلاف، كما أشار إلى الظَرف الذي ستكون عليه الأحوال.

* عن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها -لما أتت على الحوأب، وسمعت نباح الكلاب- قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول لنا: (أيتكن تنبح

(١٩٤٣) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل طلحة والزبير رضي الله تعالى عنهما، رقم (٥٠).

(١٩٤٤) مسند أحمد (٦: ٣٩٣) وشرح مشكل الآثار (١٤: ٢٦٧-٢٦٨ من طريقين) والمعجم الكبير (١: ٣١٤) وكشف الأستار (٤: ٩٣-٩٤) ومجمع الزوائد (٧: ٢٣٤) وفتح الباري (١٣: ٥٥).

عليها كلابُ الحوأب،...) الحديث بطوله، رواه ابن أبي شيبة وأحمد وأبو يعلى والبَزّار، وصححه ابن حِبّان والحاكم والحافظ ابن حجر أيضاً(١٩٤٥).

وفي هذا دلالة على أن الطائفتين العظيمتين هما من المسلمين، وليس أحدٌ منهما بخارج من الملة، ولله الحمد والمنة، والله تعالى أعلم.

* والمراد بالمارقة -والله تعالى أعلم- خروج طائفة الخوارج، عند وجود الاختلاف بين الطائفتين من المسلمين، يقتل تلك المارقةَ مَن هو أولى هذه الأمة بالحق.

* وهذا ما حصل فعلاً، حيث مرق الخوارج حين طلب أهل الشام النزول إلى حكم القرآن، بعد معركة صفين، وكان التحكيم، فقتلهم سيدنا عليٌّ رضي الله تعالى عنه في النهروان وحروراء.

* فالذي قتلهم في حروراء هو سيدنا علي رضي الله تعالى عنه، كما أن الذي قَتل عمّاراً رضي الله تعالى عنه أهلُ الشام، وقد ثبت عنه ﷺ قوله عن عمّار رضي الله تعالى عنه: (تقتلك الفئة الباغية)(١٩٤٦). ومعنى هذا أن عليّاً رضي الله تعالى عنه هو الإمام، وأن أهلَ الشام خارجون عليه.

فطالما أن الطائفتين من هذه الأمة وهم مسلمون-بنص الحديث-فما

(١٩٤٥) مسند أحمد (٦: ٥٢، ٩٧) ومصنف ابن أبي شيبة (١٥: ٢٥٩-٢٦٠) ومسند أبي يعلى (٨: ٢٨٢) وكشف الأستار (٤: ٩٤) وصحيح ابن حِبّان (١٥: ١٢٦) وموارد الظمآن (٤٥٣-٤٥٤) والمستدرك (٣: ١٢٠) ودلائل النبوة (٦: ٤١٠) ومجمع الزوائد (٧: ٢٣٤) وفتح الباري (١٣: ٥٥) وورد بنحوه من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما.

(١٩٤٦) صحيح البخاري: كتاب الصلاة: باب التعاون في بناء المسجد، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الفتن: باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجلُ بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، رقم (٧٠-٧١) ورويناه عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

موقف المسلم المتأخر؟ هل يتَّبع رسولَ الله ﷺ فيما قرّره وأخبر به، أم يتّبع الهوى والشيطان، ويخالف رسول الله ﷺ؟

ومما يدل على أن عليّاً رضي الله تعالى عنه عامل من خرج عليه معاملةَ المسلمين: أنه لم يقتل مُدبراً، ولم يذفّف على جريح، ولم يقتل أسيراً، ولم يسلب مالاً. وذلك دلالة على اعتقاده بأخوة من قاتله وإسلامه. ومما يدل:

* عن علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهما قال: دخلت على مروان ابن الحكم، فقال: ما رأيتُ أحداً أكرمَ غلبةً من أبيك [يريد عليّاً رضي الله تعالى عنه] ما هو إلاّ أن ولّينا يومَ الجمل: فنادى مناديه: لا يُقتل مُدْبِر، ولا يُذفَّف على جريح. زاد في رواية: لا يأخذ سلباً. رواه الشافعي(١٩٤٧).

* وعن أبي فاختة رحمه الله تعالى، أن عليّاً رضي الله تعالى عنه أُتي بأسيرٍ يومَ صفّين. فقال: لا تقتلني صبراً. فقال عليٌّ: لا أقتلك صبراً، إني أخاف الله رب العالمين. فخلّى سبيلَه. رواه الشافعي(١٩٤٨).

* قال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى(١٩٤٩): وفي كل هذا دلالةٌ على أن الشافعي رحمه الله تعالى كان يعتقد في عليٍّ رضي الله تعالى عنه أنه كان محقّاً في قتاله مَن خرج عليه، وأن معاوية ومن قاتله لم يخرجوا بالبغي من الإيمان، لأن الله تعالى سمى الطائفتين جميعاً: مؤمنين. والآيةُ عامّةٌ.

وجرى عليٌّ رضي الله تعالى عنه في قتالهم مجرى قتال الإمام العادل مَن خرج من طاعته من المؤمنين، وسار بسيرته في قتالهم، وقصد به حملهم على

(١٩٤٧) الأم (٤: ١٣٥-١٣٦) ومناقب الشافعي للبيهقي (١: ٤٤٦).

(١٩٤٨) الأم (٤: ١٤٣) ومناقب الشافعي (١: ٤٤٦).

(١٩٤٩) مناقب الشافعي (١: ٤٤٧) وانظر الأم (١: ١٤٣).

الرجوع إلى الطاعة، كما قال الله تعالى: ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ﴾(١٩٥٠).

* وقوله رضي الله تعالى عنه عن أهل صفين: كان بدء أمرنا أنّا التقينا القوم من أهل الشام، والظاهر أن ربنا واحد، ودعوتنا في الإسلام واحدة، ولا نستزيدهم في الإيمان بالله، والتصديق برسوله، ولا يستزيدوننا، الأمر واحد، إلاّ ما اختلفنا في دم عثمان، ونحن منه براء(١٩٥١).اهـ.

* وقوله -عندما سمع من يسب معاويةَ وأهلَ الشام-: إني أكره لكم أن تكونوا سبّابين، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم وذكرتم حالهم؛ كان أصوبَ في القول، وأبلغ في العذر، **وقلتم مكان سبكم إياهم: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم**(١٩٥٢).اهـ.

* وقوله رضي الله تعالى عنه لما سُئل عن أهل الجمل(١٩٥٣): إخواننا بغوا علينا. فقاتلناهم، وقد فاؤوا، وقد قبلنا منهم.اهـ.

* وعن علي رضي الله تعالى عنه-وقد استأذن عليه ابنُ جرموز قاتِلُ الزبير رضي الله تعالى عنه-قال: ائذنوا له، ليدخل قاتلُ الزبير النارَ. إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (إن لكل نبيٍّ حوارياً، وإن حواريَّ الزبير). رواه الطَّيالسي وابن أبي شيبة وابن سعد وأحمد والترمذي وأبو يعلى والحاكم في كثيرين، وصححه كثيرون(١٩٥٤).

(١٩٥٠) سورة الحجرات (٩).

(١٩٥١) نهج البلاغة.

(١٩٥٢) نهج البلاغة.

(١٩٥٣) مناقب الشافعي (١: ٤٥٠).

(١٩٥٤) مسند الطَّيالسي (٢٤) والطبقات الكبرى (٣: ١٠٥)ومصنف ابن أبي شيبة (١٢: ٧٣) =

* وعن أبي حبيبة مولى طلحة قال: دخل عمران بن طلحة-رضي الله تعالى عنهما على علي-رضي الله تعالى عنه-بعد ما فرغ من أصحاب الجمل. قال: فرحب به، وأجلسه على طنفسته، وقال: إني لأرجو أن يجعلني الله وأباك من الذين قال الله عز وجل: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ قال: ورجلان جالسان على ناحية البساط، فقالا: الله عز وجل أعدل من ذلك، تقتلُهم بالأمس، وتكونون إخواناً في الجنة ! قال عليٌّ: قوما أبعدَ أرضٍ وأسحقَها، فمن هو إذا لم أكن أنا وطلحة،... رواه أحمد وابن سعد والطبري، والحاكم وصححه، في آخرين(١٩٥٥).

* وعن رِبعي بن حِراش قال: قال علي رضي الله تعالى عنه: إني لأرجو أن أكون أنا والزبير وطلحة ممن قال الله عز وجل: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾.

قال: فقام رجل من همدان فقال: الله أعدل من ذلك يا أمير المؤمنين.

قال: فصاح به علي رضي الله تعالى عنه صيحة ظننت أن القصر تدهده

= ومسند أحمد (١: ٨٩، ١٠٢، ١٠٣) وفضائل الصحابة (٢: ٧٣٧من طرق) وسنن الترمذي: كتاب المناقب: باب (٢٤) رقم (٣٧٤٤) والسنة (٢: ٦١٠) وتهذيب الآثار (مسند علي ابن أبي طالب (١٦٩ رقم ٢٣) وانظر تصحيح السند فيه صفحة (١٦٣) والمستدرك (٣: ٣٦٧) والمعجم الكبير (١: ٧٩، ٨٣) ومسند أبي يعلى (١: ٤٤٥-٤٤٦) وحلية الأولياء (٤: ١٨٦) وسمى الطبري والحاكم -المتكلّم- في روايتيهما: الحارث الأعور.

(١٩٥٥) الطبقات الكبرى (٣: ٢٢٤-٢٢٥ من طرق) وفضائل الصحابة (٢: ٧٤٦، ٧٤٧) وتفسير الطبري (١٤: ٢٥-٢٦) والمستدرك (٣: ٣٧٦-٣٧٧).

لها. ثم قال: من هم إذا لم نكن نحن هم؟ رواه أحمد وابن سعد والطبري، بإسناد صحيح(١٩٥٦).

* لقد ثبت من وجوه كثيرة أن سيدنا عليّاً رضي الله تعالى عنه لما قاتل أهلَ الجمل؛ لم يسْبِ ذُرِّيةً، ولم يقتل أسيراً، ولم يغنم لهم مالاً، ولم يُجهز على جريح، ولا اتّبع مُدبراً، وأنه صلّى على قتلى الطائفتين بالجمل وصفين، وقال عنهم: إخواننا بغوا علينا، وأخبر أنهم ليسوا كفّاراً ولا منافقين. وكيف كان مسرورا بقتال الخوارج في حروراء، بخلاف ما حصل يوم الجمل وصفين حيث تأسَّف وحزن على قتل بعضهم، كما هو معلوم(١٩٥٧).

* أما ما وقع بين الصحابة رضي الله تعالى عنهم من قتال فقد توسعت في بيان ما حصل في معركة الجمل في كتابين من كتبي(١٩٥٨) وبينتُ من خلال دراستي لروايات تلك المعركة، والمصادر الحديثية، وجمع الروايات: أن لا علاقة لكل من الثلاثة (علي وطلحة والزبير رضي الله تعالى عنهم) فضلاً عن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها، في إحداث تلك المعركة. إنما هي مؤامرة دُبِّرت بليل، واصطلى بنارها من لا يريدها منهم.

وذلك بعد أن التقوا في آخر نهارٍ قبل المعركة، وذكّر عليٌّ ابنَ عمته وحبيبَه الزبير ولدتَه وحبيبَه طلحةَ رضي الله تعالى عنهم بحديثين كان قد

(١٩٥٦) الطبقات الكبرى (٣: ٢٢٥ وفيه سقط) وفضائل الصحابة (٢: ٧٤٧-٧٤٨) وتفسير الطبري (١٧: ١٠٨).

(١٩٥٧) انظر فضل أهل البيت وحقوقهم، لابن تيمية رحمه الله تعالى.

(١٩٥٨) الردة، قديمها وحديثها، وقد كتبته عام (١٣٨٦-١٣٨٧هـ) والحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما الخليفة الراشد الخامس.

قالهما رسولُ الله ﷺ لهم، وكان الزبير وطلحة قد نسياها، فذكَراها لما ذكَّرهما بهما علي: اتفقوا على البيعة غداً والعودة إلى المدينة، فبات الناسُ بخير ليلة وأهنئها. لكن زعماء قتلة عثمان رضي الله تعالى عنه من اليهود وأتباعهم من الأوباش خافوا على أنفسهم، فبيَّتوا المؤامرةَ التي حصلت بالليل، فقُتل طلحة غدراً، وقُتل الزبير بعد تركه المعركة غيلة. وجلس عليٌّ وأصحابه يبكون على طلحة والزبير. رواه ابن أبي شيبة عن محمد الباقر[١٩٥٩].

وقد وجدتُ الإمام القرطبي رحمه الله تعالى قد لخص الموضوع في غاية الدِّقة، أذكره مكتفياً به.

* قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى[١٩٦٠]: قال جلّةٌ من أهل العلم: إن الوقعة بالبصرة بينهم كانت على غير عزيمة منهم على الحرب، بل فجأة، وعلى سبيل دفع كل واحد من الفريقين عن أنفسهم، لظنه أن الفريق الآخر غدر به، لأن الأمر كان قد انتظم بينهم، وتم الصلح، والتفرق على الرضا.

فخاف قتلةُ عثمان رضي الله تعالى عنه من التمكين منهم والإحاطة بهم، فاجتمعوا وتشاوروا واختلفوا، ثم اتفقت آراؤهم على أن يفترقوا فريقين، ويبدؤوا بالحرب سَحَراً في العسكرين، وتختلف السهام بينهم، ويصيح الفريقُ الذي في عسكر علي: غدر طلحة والزبير. والفريقُ الذي في عسكر طلحة والزبير: غدر علي. فتم لهم ذلك ما دبَّروه، ونشبت الحرب، فكان كل فريق دافعاً لمكرته عند نفسه، ومانعاً من الإشاطة بدمه.

وهذا صواب من الفريقين، وطاعة لله تعالى، إذ وقع القتال والامتناع

(١٩٥٩) مصنف ابن أبي شيبة، رقم (٣٨٩٢٩) من الطبعة الجديدة.

(١٩٦٠) تفسير القرطبي (١٦: ٣١٨-٣١٩).

منهما على هذه السبيل. وهذا هو الصحيح المشهور، والله تعالى أعلم.اهـ.

لذا لا ينسب إلى أحدهما الخطأ وللآخر الصواب، فهم كلهم مجتهدون، فمنهم من وُفّق للصواب فأصابه، ومنهم من اجتهده فلم يصبه، والله تعالى أعلم.

* قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى[١٩٦١]: لا يجوز أن ينسب إلى أحد من الصحابة خطأ مقطوع به، إذ كانوا كلهم اجتهدوا فيما فعلوه وأرادوا وجه الله عز وجل. وهم كلهم لنا أئمة، وقد تعبّدنا بالكف عما شجر بينهم، وألاّ نذكرهم إلاّ بأحسن الذكر، لحرمة الصحبة، ولنهي النبيِّ ﷺ عن سبهم، وأن الله تعالى غفر لهم، وأخبر بالرضا عنهم.

هذا مع ما قد ورد من الأخبار من طرق مختلفة عن النبيِّ ﷺ أن طلحة شهيد يمشي على وجه الأرض [وكذا علي والزبير رضي الله تعالى عنهما] فلو كان ما خرج إليه من الحرب عصياناً لم يكن بالقتل فيه شهيداً. وكذلك لو كان ما خرج إليه خطأ في التأويل، وتقصيراً في الواجب عليه، لأن الشهادة لا تكون إلاّ بقتلٍ في طاعة. فوجب حملُ أمرهم على ما بيناه.

ومما يدل على ذلك: ما قد صح وانتشر من أخبار عليٍّ بأن قاتل الزبير بالنار. وقوله: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (بشِّر قاتلَ ابن صفية بالنار)

وإذا كان كذلك؛ فقد ثبت أن طلحة والزبير غير عاصيين ولا آثمَين بالقتال، لأن ذلك لو كان كذلك لم يقل النبيُّ ﷺ في طلحةَ: (شهيد) ولم يخبر أن قاتل الزبير في النار.

(١٩٦١) تفسير القرطبي (١٦: ٣٢١-٣٢٢).

وكذلك من قعد غير مخطئ في التأويل. بل صواب أراه الله الاجتهاد.

وإذا كان كذلك؛ لم يوجب ذلك لعنهم والبراءة منهم وتفسيقهم، وإبطال فضائلهم وجهادهم، وعظيمَ غنائهم في الدِّين رضي الله تعالى عنهم.

وقد سُئل بعضهم عن الدماء التي أريقت فيما بينهم فقال: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١٩٦٢].

وسئل بعضُهم عنها أيضاً فقال: تلك دماء قد طهّر الله منها يدي، فلا أخضب بها لساني. يعني في التحرز من الوقوع في خطأ، والحكم على بعضهم بما لا يكون مصيباً فيه.

وقال ابنُ فورك: ومن أصحابنا من قال: إن سبيل ما جرى بين الصحابة من المنازعات كسبيل ما جرى بين إخوة يوسف مع يوسف، ثم إنهم لم يخرجوا بذلك عن حد الولاية والنبوة، فكذلك الأمر فيما جرى بين الصحابة.

وقال المحاسبي: فأما الدماء؛ فقد أشكل علينا القول فيها باختلافهم.

وقد سُئل الحسن البصري عن قتالهم فقال: قتالٌ شهده أصحابُ محمد ﷺ وغِبنا، وعلموا وجهلنا، واجتمعوا فاتّبعنا، واختلفوا فوقفنا.

قال المحاسبي: فنحن نقول كما قال الحسن، ونعلم أن القوم كانوا أعلم بما دخلوا فيه منا، ونتبع ما اجتمعوا عليه، ونقف عند ما اختلفوا فيه، ولا نبتدع رأياً منا، ونعلم أنهم اجتهدوا وأرادوا الله عز وجل، إذ كانوا غير متَّهمين في الدين، ونسأل الله التوفيق.اهـ.

* لا يمكن أن يخبر النبي المصطفى الكريم ﷺ أن عليّاً وطلحة والزبير

(١٩٦٢) سورة البقرة (١٣٤، ١٤١).

رضي الله تعالى عنهم شهداء، ومن أهل الجنة، ويكونون بغاة عصاة، لأن الشهيد لا يُقتل حال عصيانه، فضلاً أن يكون في قتال معصية.

ومن هنا أجمعت الأمة ممن هم من أهل الإجماع-على وجوب الإمساك عما حصل بين الصحابة رضي الله تعالى عنهم من نزاع، وأنهم مجتهدون، فمن أصاب فله أجران، ومن لم يصب فله أجر، ونكل الأمورَ إلى مدبِّرها، ونسأل الله تعالى سلامةَ صدورنا، ونترضى على الصحابة جميعاً رضي الله تعالى عنهم-لأن الصحبة سياج-ونسأل الله تعالى أن يحشرنا معهم، لأنهم أصحاب رسول الله ﷺ، اصطفاهم الله تعالى، وأثنى عليهم، ورضي الله عنهم، وأحبهم، وأوجب لهم الجنةَ والخلودَ فيها، وهو تعالى يعلم أنهم سيقتتلون، فما كان تعالى ليفعل وهم على خلاف الحق، والله تعالى أعلم.

* **قال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى[١٩٦٣]: نقول ما قال سلفنا رضي الله تعالى عنهم في كل واحدة من الطائفتين عند الحاجة إليه، ونسكتُ عما سكتوا عنه عند الاستغناء به عنه، وبالله التوفيق.اهـ.**

* **لما سُئل عمرُ بن عبد العزيز عن أهل صفين؟ فقال: تلك دماء طهر الله منها يدي، فلا أحبُّ أن أخضب لساني بها. رواه الشافعي[١٩٦٤].**

* **في ختام الفصل أقول:** الله تعالى رحيم، والصحابة الذين اقتتلوا كل واحد منهم كريم، فما شأن المتأخر يُدخِل نفسَه بين رحيم وكريم، يفتئت عليهما!؟

لذا على العاقل الحريص على دينه وعلى الأمة أن يقول -كما قال الله

(١٩٦٣) مناقب الشافعي (١: ٤٥٠).

(١٩٦٤) مناقب الشافعي (١: ٤٤٨-٤٤٩).

عز وجل: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١٩٦٥].

ويقول -كما قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى: **تلك دماء طهَّر الله منها يدي، فلا أحبُّ أن أخضب لساني بها.**

* وأختم هذا الفصل بقول الإمام الشعبي رحمه الله تعالى لما فيه من دلالة الإجماع على ذلك:

قال رحمه الله تعالى: أدركتُ أكثر من خمسمائة من أصحاب النبيِّ ﷺ، فقالوا: إن عثمان وعليّاً وطلحة والزبير في الجنة[١٩٦٦].اهـ.

* وهكذا يجب على كل مسلم أن يعتقد في الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم جملةً، فهم فوقنا في كلّ شيء، ورأيُهم أحمد لنا، وخيرٌ لنا من آرائنا لأنفسنا، اختارهم الله تعالى ليكونوا صحابةً لنبيِّه الكريم ﷺ، فكانوا له أنصاراً وأصهاراً وأرحاماً، وكانوا حملةَ الشريعة، ومبلّغي الدِّين، وناقليه إلى العالمين، فجزاهم الله تعالى خيرَ ما جزى صحابةَ نبيٍّ عن هذه الأمة، ورزقنا حسنَ الظن بهم، وسلامة قلوبنا نحوهم، ومحبَّتنا لهم، وحشرنا معهم تحت لواء النبي المصطفى الكريم ﷺ. اللهم آمين، آمين، آمين.

وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



(١٩٦٥) سورة البقرة (١٣٤، ١٤١).

(١٩٦٦) كتاب العلل ومعرفة الرجال للإمام أحمد بن حنبل، ط تركيا (١: ٩٩-١٠٠).

الفصل السابع

ثناء أئمة آل البيت على الصحابة رضي الله تعالى عنهم

فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم:

لقد اصطفى الله تعالى من الخلق صحابةَ رسوله الكريم ﷺ ورضي الله تعالى عنهم، ليكونوا صحابةً لرسوله ﷺ وأصهاراً وأنصاراً وأعواناً،...

قال الله تعالى -مخبراً عن اصطفائه للصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم-: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾(١٩٦٧).

وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾(١٩٦٨).

وقال عز وجل: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾(١٩٦٩).

والآيات الكريمة في الثناء عليهم كثيرة. مر ذكر بعضها في الباب الأول.

(١٩٦٧) سورة فاطر (٣٢).

(١٩٦٨) سورة التوبة (١٠٠).

(١٩٦٩) سورة الفتح (٢٩).

* عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (بُعثت من خير قرون بني آدم؛ قَرْناً فقَرْناً، حتى كنتُ من القرن الذي كنت منه). رواه البخاري[١٩٧٠].

* وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: (خيرُ قرون الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قومٌ تسبق شهادةُ أحدهم يمينَه، ويمينُه شهادتَه). متفق عليه[١٩٧١].

* وعن عِمران بن حُصَين رضي الله تعالى عنهما، أن النبي ﷺ قال: (خيرُكم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم [قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه: قرنين أو ثلاثة؟] ثم إن بعدهم قوماً يَشهدون ولا يُستشهدون، ويَخونون ولا يُؤتمنون، ويُنذِرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السِّمَنُ).

زاد في رواية عند مسلم: (ويحلفون ولا يُستحلفون). متفق عليه[١٩٧٢].

والحديث في هذا متواتر[١٩٧٣]. والمراد بقرنه ﷺ: أصحابه.

(١٩٧٠) صحيح البخاري: كتاب المناقب: باب صفة النبي ﷺ.

(١٩٧١) صحيح البخاري: كتاب الشهادات: باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد، وفي كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، وفي الرقاق، وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم،... رقم (٢١١-٢١٢).

(١٩٧٢) صحيح البخاري: كتاب الشهادات: باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، رقم (٢١٤-٢١٥).

(١٩٧٣) انظر: الأزهار المتناثرة (٤٠ رقم ١٠٦) وقطف الأزهار (رقم ١٠٨) ولقط اللآلئ المتناثرة (٧٢-٧٤ رقم ٢١) ونظم المتناثر (١٢٧رقم٢٤٠) وإتحاف ذوي الفضائل المشتهرة (١٣٣-١٣٤) وعظيم قدره ﷺ ورفعة مكانته عند ربه عز وجل، رقم (٤٠).

* قال عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه: إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ؛ فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه، فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون سيئاً فهو عند الله سيء. رواه أحمد والطَّيالسي في كثيرين بسند حسن، وصححه الحاكم وأقره الذهبي(١٩٧٤).

والأحاديث في الثناء عليهم رضي الله تعالى عنهم أكثر من أن تحصى.

ومع هذا -وللأسف- فقد طعن فيهم الرافضة، حتى وصل بهم إلى التضليل والتكفير، والسب واللعن، إضافة إلى الحقد، واتهامهم بتزوير القرآن الكريم، ومخالفة النبي المصطفى الكريم ﷺ،... في أمور كثيرة، ليس هذا موضع ذكرها.

وطعنُ الرافضة في الصحابة رضي الله تعالى عنهم: هو تجهيل لله تعالى -حاشاه- في اختياره لهم، وطعنٌ باصطفائه إياهم، وتقصيرٌ في تدبيره، وتخطئةٌ له في انتقائه لهم، وعدمُ معرفته بما حوته قلوبهم، وما انعقدت عليه نياتهم، وردٌّ عليه في رضاه عنهم، وثنائه عليهم، كما فيه طعن بالنبيّ الكريم ﷺ في ثنائه عليهم وتوصيته بهم، ورفع شأنهم ومكانتهم،...

(١٩٧٤) مسند الطَّيالسي (٣٣) ومسند أحمد (١: ٣٧٩) وفضائل الصحابة له (١: ٣٦٧-٣٦٨) والمعجم الكبير (٩: ١١٨، ١٢١) والبحر الزخار (٥: ١١٩، ٢١٢-٢١٣) وكشف الأستار (١: ٨١) (٣: ١١٤) وشرح السنة (١: ٢١٤-٢١٥) والفقيه والمتفقه (١: ١٦٦-١٦٧) وحلية الأولياء (١: ٣٧٥-٣٧٦) ومعرفة الصحابة (١: ١٤٢-١٤٣) ومعجم ابن الأعرابي (٢: ١٦١-١٦٢) والمستدرك (٣: ٧٨) ومجمع الزوائد (١: ١٧٧-١٧٨) (٨: ٢٥٢) في آخرين.

فقرنه ﷺ هو قرن الرسالة، وقرنُ الخلافة الراشدة، وقرنُ نزول القرآن الكريم، فيه كُتب، وفيه جُمع، وفيه حفظ أصول الدين،...

فكما أن عصر الرسالة كان على الحق بالضرورة، وشهادة القرآن، وشهادة الواقع، كان عصر الصحابة رضي الله تعالى عنهم -بما فيهم الخلافة الراشدة- على الحق بالضرورة، وشهادة الآيات القرآنية، وشهادة النبيِّ الكريم ﷺ، وشهادة التاريخ ممن لهم دِين وأدب عظيم.

موقف أئمة آل البيت -من عليٍّ فمن بعد- من الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم جميعاً؟:

إن النصوص في ثناء أئمة آل البيت على الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم كثيرة جدّاً، لكني أقتصر هنا على بعض ما جاء عن الأئمة القدامى -خاصة علي رضي الله تعالى عنه، وأجعل ذلك في قسمين:

- أذكر في القسم الأول ما جاء في كتب أهل السنة، مبتدئاً بذكر ما ورد عن سيدنا عليٍّ رضي الله تعالى عنه، ثم أعقبه ببعض ما ورد عن بعض أئمة آل البيت رحمهم الله تعالى.

- ثم أذكر ما ورد في كتب الرافضة، من ثناء على الصحابة رضي الله تعالى عنهم، مبتدئاً بما ورد عن سيدنا علي رضي الله تعالى عنه، ثم أذكر بعض النقول عن بعض الأئمة المعتبرين منهم رحمهم الله تعالى، مركِّزاً على كتاب نهج البلاغة -مع علمي بما فيه وحوله-.

ولن أطيل بذكر أقوال أئمة آل البيت، إنما القصد هو الاختصار على قدر هذا البحث. وإلاّ ففي نهج البلاغة نصوصٌ كثيرة جدّاً، كما في غيره من كتبهم المعتبرة عندهم نصوص كثيرة أيضاً.

أولاً: ما جاء في كتب أهل السنة:

* عن محمد بن الحنفية رحمه الله تعالى قال: قلت لأبي [علي رضي الله تعالى عنه]: أيُّ الناس خيرٌ بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر. قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر. فخشيت أن [أقول من؟ فـ] يقول عثمان، فقلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلاّ رجل من المسلمين. رواه البخاري، والزيادة من سنن أبي داود(١٩٧٥). وعنه رضي الله تعالى عنه رواية أخرى بنحوه.

* وعن عليٍّ رضي الله تعالى عنه قال: سبق رسولُ الله ﷺ، وصلّى أبو بكر، وثلَّث عمر، ثم خبطتنا -أو أصابتنا- فتنةٌ يعفو الله عمن يشاء. رواه أحمد وابن سعد وابن أبي عاصم والطبراني وأبو نعيم برجال ثقات(١٩٧٦). وصححه الحاكم، وأقره الذهبي.

والمراد أنه يمثل حلبة السباق، فرسول الله ﷺ هو الأول، ثم يليه في السبق أبو بكر رضي الله تعالى عنه، ثم يلي أبا بكر عمرُ رضي الله تعالى عنه.

* وعنه رضي الله تعالى عنه قال: كنت إذا سمعتُ من رسول الله ﷺ حديثاً نفعني الله منه بما شاء أن ينفعني، وإذا حدثني أحدٌ من أصحابه

(١٩٧٥) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة: باب قول النبيّ ﷺ: (لو كنتُ متخذاً خليلاً). وسنن أبي داود: كتاب السنة: باب في التفضيل، رقم (٤٦٢٩) وانظر: السنة لابن أبي عاصم (٥٦٩-٥٧٥) والمعجم الكبير (١: ٦٤-٦٥، ٦٥).

(١٩٧٦) مسند أحمد (١: ١١٢، ١٢٤، ١٣٢، ١٤٧) وفضائل الصحابة (١: ٢١٤-٢١٦ من طرق٣٨٧) والطبقات الكبرى (٦: ١٣٠) وحلية الأولياء (٥: ٧٤) والمعجم الأوسط (٢: ١٧٧) وتاريخ بغداد (١٤: ٣٥٧) والمستدرك (٣: ٦٧) ومجمع البحرين (٦: ٢٣٢-٢٣٣) ومجمع الزوائد (٩: ٥٤).

استحلفته، وحدثني أبو بكر وصدق أبو بكر قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (ما مِن رجل يُذنبُ ذنباً، فيتوضّأ، فيُحسنُ الوضوءَ، ويصلّي ركعتين، فيستغفر الله عز وجل؛ إلاّ غُفر له) ثم قرأ هذه الآية ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ إلى آخر الآية(١٩٧٧). رواه الطَّيالسي وابن أبي شيبة والحُمَيْدي وأحمد والأربعة والبَزّار وأبو يعلى وغيرهم، وحسنه الترمذي وابن عدي والبغوي والحافظ ابن حجر، وصححه ابن حِبّان، وقال ابن عدي: أرجو أن يكون صحيحاً(١٩٧٨). وقد سبق ذكره.

* وعنه رضي الله تعالى عنه قال: لله أنزل اسمَ أبي بكر من السماء: الصِّدّيق. رواه الطبراني برجال ثقات(١٩٧٩).

(١٩٧٧) سورة آل عمران (١٣٥).

(١٩٧٨) مسند الطَّيالسي (٢، ٢-٣) ومسند الحُمَيْدي (١: ٢، ٤-٥) ومصنف ابن أبي شيبة (٢: ٣٨٧-٣٨٨) ومسند أحمد (١: ٢، ٨-١٠) ومسند أبي بكر للمروزي (٤٢-٤٤ من طرق) وسنن أبي داود: كتاب الصلاة: باب في الاستغفار، رقم (١٥٢١) وسنن الترمذي: كتاب الصلاة: باب ما جاء في الصلاة عند التوبة، وكتاب التفسير: ومن سورة آل عمران، رقم (٤٠٦، ٣٠٠٦) والسنن الكبرى للنسائي (٦: ١٠٩، ١١٠من طرق، ٣١٥) وعمل اليوم والليلة له (٣١٥-٣١٧ من طرق) وسنن ابن ماجَه: كتاب إقامة الصلاة: باب ما جاء أن الصلاة كفارة، رقم (١٣٩٥) وعمل اليوم والليلة لابن السنّي (٢١٨-٢١٩) والبحر الزخّار (١: ٦١-٦٢ من طرق) ومسند أبي يعلى (١: ٩-١١، ٢٣-٢٦ من طرق) وشرح السنة (٤: ١٥١-١٥٢) والكامل لابن عدي (١: ٤٢٠-٤٢١) وقال: هذا حديث طريقه حسن، وأرجو أن يكون صحيحاً، وتهذيب التهذيب (١: ٢٦٨) وجوَّد إسنادَه هنا، وفتح الباري (١١: ٩٨) وحسّنه هنا.

(١٩٧٩) المعجم الكبير (١: ٨ رقم ١٤) وفتح الباري (٧: ٩) ومجمع الزوائد (٩: ٤١) وانظر المستدرك (٣: ٦٢) فقد رواه من طريقين آخرين، لكن فيهما ضعف، ينجبر برواية الطبراني.

* وعن الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما قال: لما احتضر أبو بكر رضي الله تعالى عنه قال: يا عائشة؛ انظري اللقحةَ التي كنا نشرب من لبنها، والجفنةَ التي كنا نصطبح فيها، والقطيفةَ التي كنا نلبسها، فإنا كنا ننتفع بذلك حين كنا في أمر المسلمين، فإذا متُّ؛ فارddيه إلى عمر.

فلما مات أبو بكر رضي الله تعالى عنه، أرسلت به إلى عمر رضي الله تعالى عنه. فقال عمر رضي الله تعالى عنه: رضي الله عنك يا أبا بكر، لقد أتعبت من جاء بعدك. رواه الطبراني برجال ثقات(١٩٨٠).

* وعن أبي مالك الأشجعي قال: قلت لابن الحنفية: أبو بكر رضي الله تعالى عنه كان أولَ القوم إسلاماً؟ قال: لا. قلت: فبما علا وسبق، حتى لا يُذكر أحدٌ غيرَ أبي بكر؟ قال: كان أفضلَهم إسلاماً حتى لحق بالله عز وجل. رواه ابن أبي شيبة وابن أبي عاصم بإسناد صحيح(١٩٨١).

* وعن أبي وائل رحمه الله تعالى قال: قيل لعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: ألا تستخلف علينا؟ قال: ما استخلف رسول الله ﷺ فأستخلف. ولكن إن يرد الله بالناس خيراً فسيجمعهم بعدي على خيرهم، كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم، رواه ابن أبي عاصم والبَزّار، وصححه الحاكم، وأقره الذهبي(١٩٨٢).

* وعن عبد الله بن جعفر رضي الله تعالى عنهما قال: ولينا أبو بكر رضي الله تعالى عنه، فكان خيرَ خليفة لله، وأرحمه بنا، وأحناه علينا. صححه

(١٩٨٠) المعجم الكبير (١: ١٣ رقم ٣٨) ومجمع الزوائد (٥: ٢٣١).

(١٩٨١) مصنف ابن أبي شيبة (١٢: ٧) والسنة (٢: ٨١٩-٨٢٠).

(١٩٨٢) السنة (٢: ٧٨١-٧٨٢، ٨٢٠) والبحر الزخار (٢: ١٨٦) والمستدرك (٣: ٧٩).

الحاكم وأقره الذهبي[(١٩٨٣)].

* وعن عليٍّ رضي الله تعالى عنه، أن النبيَّ ﷺ قال لجبريل عليه السلام: (من يهاجرُ معي؟ قال: أبو بكر الصِّدِّيق). رواه الحاكم وصححه، وأقره الذهبي[(١٩٨٤)].

* وعنه رضي الله تعالى عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ ولأبي بكر رضي الله تعالى عنه يوم بدر: (مع أحدكما جبريل، ومع الآخر ميكائيل) الحديث بطوله، رواه ابن أبي شيبة وأحمد وابن أبي عاصم والبَزّار وأبو يعلى برجال الصحيح، وصححه الحاكم، وأقره الذهبي[(١٩٨٥)].

* وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: وُضع عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه على سريره، فتكنَّفه [أي أحاطوا به] الناسُ يدعون ويُثنون ويُصلّون عليه، قبل أن يُرفع، وأنا فيهم. قال: فلم يرعني إلاّ برجل قد أخذ بمنكبي من ورائي، فالتفتُّ إليه، فإذا هو علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، **فترحّم على عمر، وقال: ما خلّفتُ أحداً أحب إليَّ أن ألقى الله بمثل عمله منك. وايْم الله، إن كنتُ لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك، وذاك أني كنتُ أكثر أسمع رسول الله ﷺ يقول: (جئتُ أنا وأبو بكر وعمر، ودخلتُ أنا وأبو بكر وعمر، وخرجتُ أنا وأبو بكر وعمر) فإني كنت لأرجو -أو لأظن- أن يجعلك الله معهما.** متفق عليه[(١٩٨٦)].

(١٩٨٣) المستدرك (٣: ٧٩).

(١٩٨٤) المستدرك (٣: ٥).

(١٩٨٥) مصنف ابن أبي شيبة (١٢: ١٦) ومسند أحمد (١: ١٤٧) والسنة (٥٧٤-٥٧٥) ومسند أبي يعلى (١: ٢٨٣-٢٨٤) والبحر الزخار (٢: ٣٠٣-٣٠٤) وكشف الأستار (٢: ٣١٤) والمستدرك (٣: ٦٨، ١٣٤) وإتحاف الخيرة المهرة (٩: ٢١١-٢١٢) ومجمع الزوائد (٦: ٨٢) (٩: ٥٨).

(١٩٨٦) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة: باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى =

* وعن عبد خير قال: سمعت عليّاً رضي الله تعالى عنه يقول على المنبر: خيرُ هذه الأمة بعد نبيِّها: أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهم، ولو شئتُ أن أسمّي الثالث لسمَّيتُه.

* وورد من طريق علقمة بن قيس النخعي رحمه الله تعالى، ومن سؤال أبي جُحَيْفَة لعليٍّ رضي الله تعالى عنهما بنحوه، رواه أحمد وابن المقرئ وابن حِبّان والإسماعيلي وغيرهم من طرق كثيرة بأسانيد صحيحة، وهذا القــول متواتر عن عليٍّ رضي الله تعالى عنه، رواه عنه الكثير(١٩٨٧).

* وعن علي رضي الله تعالى عنه، عن النبيِّ ﷺ قال -عــن أبي بكــر وعمر رضي الله تعالى عنهما-: (هذان سيدا كهول أهل الجنة). رواه أحمــد والترمذي وابن ماجَه والبَزّار والطبراني في كثيرين، من طرق متعــددة عنــه رضي الله تعالى عنه(١٩٨٨).

= عنه، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل عمر رضي الله تعالى عنه، رقم (١٤).

(١٩٨٧) انظر: مصنف ابن أبي شيبة (١٢: ١٤) ومسند أحمد (١: ١٠٦، ١١٠، ١١٣-١١٥، ١٢٥-١٢٨) وفضائل الصحابة له (بأرقام ٤٠-٤٥، ٥٠، ٦٠، ٢٦٠، ٣٩٧، ٤٠٢-٤٢٩، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٦-٤٤٨، ٥٣٣، ٥٣٦، ٥٤٥-٥٥٤، ٥٥٦، ٦١٧-٦٢١، ٦٣٥) وسنن ابن ماجَه: المقدمة: باب فضل عمر رضي الله تعالى عنه، رقــم (١٠٦) والسنة (٢: ٨٠٧-٨١١ من طرق) والمعجم لابن المقرئ (١٥٩رقم ٤٧٧) ومسند أبي يعلى (١: ٤١٠-٤١١) والمعجم الكبير (١: ٦٤-٦٥، ٦٥) والمعجم الأوسط (٤: ١٨٢-١٨٣) وإتحاف الخيرة المهرة (٩: ٢١٠-٢١١) ومجمع البحرين (٦: ٢٣٠-٢٣١) ومجمــع الزوائد (٩: ٥٣) وكنــز العمال (١٣: ٧-٩، ٢١، ٢٢) وفتح الباري (٧: ٣٣).

(١٩٨٨) مصنف ابن أبي شيبة (١٢: ١١) ومسند أحمد (١: ٨٠) وفضائل الصحابة (١: ١٢٣-١٢٤، ١٥٨-١٥٩، ١٨٥، ٢١٦، ٢٣٧، ٢٤٦-٢٤٧، ٤٠٩، ٤١٠، ٤٢٤، ٤٤٢، =

* وعن حُضَين بن المنذر رحمه الله تعالى قال: شهدتُ عثمانَ بن عفان رضي الله تعالى عنه وأُتِي بالوليد، قد صلّى الصبحَ ركعتين. ثم قال: أزيدُكم؟ فشهد عليه رجلان: أحدُهما حُمرانُ: أنه شرب الخمرَ، وشهد آخَرُ: أنه رآه يتقيّأُ. فقال عثمان: إنه لم يتقيَّأْ حتى شربها.

فقال: يا علي؛ قم فاجلده.

فقال عليٌّ: قم يا حسن؛ فاجلده. فقال الحسن: وَلِّ حارَّها من تولّى قارَّها (فكأنه وجَد عليه) فقال: يا عبد الله بن جعفر؛ قم فاجلده. فجلده، وعليٌّ يعُدُّ. حتى بلغ أربعين. فقال: أمسك. ثم قال: جَلَد النبيُّ ﷺ أربعين. وجلد أبو بكر أربعين. وجلد عُمر ثمانين. وكلٌّ سنَّةٌ. وهذا أحبُّ إليَّ. رواه مسلم(١٩٨٩).

- في هذا النص الكريم أمور كثيرة، يهمني منها:
- مجالسة علي وأهله عثمان رضي الله تعالى عنهم.
- ثقة عثمان بعلي رضي الله تعالى عنهما، حتى كلّفه بإقامة الحد على الوليد.

= ٤٤٣) والسنة (٢: ٦١٧) وسنن الترمذي: كتاب المناقب: باب في مناقب أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما كليهما، رقم (٣٦٦٥-٣٦٦٦) بسندين مختلفين، في الأول: الوليد بن محمد. وفي الثاني: الحارث. وسنن ابن ماجَه: المقدمة، رقم (٩٥) وشرح مشكل الآثار (٢: ٣٩٢) والمعجم الأوسط (٢: ٢٠٧) والبحر الزخار (٢: ١٣٢) ومسند أبي يعلى (١: ٤٠٥-٤٠٦، ٤٥٩-٤٦٠ رقم٥٣٣، ٦٢٤) والكنى (٢: ٩٩) والشريعة (٤: ١٨٤٦-١٨٤٩من طرق) (٥: ٢١٤٢-٢١٤٣) من الطبعة الجديدة، والمختارة (٢: ١٦٧، ١٦٨) ومن حديث خيثمة (٢٠٣) ومسانيد فراس بن يحيى لأبي نعيم (٨٧-٨٩) وإسناد عدد منهم حسن. وانظر عظيم قدره ﷺ لمعرفة الشواهد الأخرى.

(١٩٨٩) صحيح مسلم: كتاب الحدود: باب حد الخمر، رقم (٣٨).

- نظرة علي إلى أخويه أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهم، وأن فعلهما كفعل النبي المصطفى الكريم ﷺ، إذ كله سنة.

* وقال رضي الله تعالى عنه على المنبر: ما كنا نبعد [معشر الصحابة] أن السكينة تنطق على لسان عمر رضي الله تعالى عنه. رواه عبد الرزاق وأحمد والفسوي والطبراني وغيرهم، بسند صحيح(١٩٩٠).

* وعنه رضي الله تعالى عنه قال-يوم طُعن عمر رضي الله تعالى عنه-: وددنا أنّا زدنا في عمره من أعمارنا(١٩٩١).اهـ.

* وعن أبي جُحَيْفَة رضي الله تعالى عنه قال: كنت عند عمر رضي الله تعالى عنه، وهو مسجى ثوبه، قد قضى نحبَه. فجاء عليٌّ رضي الله تعالى عنه فكشف الثوبَ عن وجهه ثم قال: رحمة الله عليك. فوالله ما بقي بعد رسول الله ﷺ أحدٌ أحبُّ إليَّ أن ألقى الله بصحيفته منك. رواه ابن سعد وأحمد وابنه والفسوي وابن شبة، وصححه الحاكم(١٩٩٢). وسبق ذكرُ حديث ابن عباس عنه رضي الله تعالى عنهم بنحوه، وهو متفق عليه.

* وعن محمد بن سيرين رحمه الله تعالى، أن رجلاً بالكوفة شهد أن عثمان رضي الله تعالى عنه قُتل شهيداً، فأخذته الزبانية، فرفعوه إلى علي

(١٩٩٠) مصنف عبد الرزاق (١١: ٢٢٢) ومسند أحمد (١: ١٠٦) وفضائل الصحابة له (١: ٢٤٩، ٣٣٠، ٣٥٨، ٣٩٥، ٤٠١، ٤١٠، ٤٤٢) والمعرفة والتاريخ (١: ٤٦١-٤٦٢) وحلية الأولياء (١: ٤٢) (٨: ٢١١) والمعجم الأوسط (٥: ٣٥٩) وشرح السنة (١٤: ١٠٦) ودلائل النبوة (٦: ٣٦٩-٣٧٠) ومجمع الزوائد (٩: ٦٧) والمطالب العالية (٤: ٤٠).

(١٩٩١)حلية الأولياء (٣: ١٩٩).

(١٩٩٢) الطبقات الكبرى (٣: ٣٧٠-٣٧١) وتاريخ المدينة (٣: ٣٩٧-٩٣٩) ومسند أحمد (١: ١٠٩) والمعرفة والتاريخ (٢: ٧٤٥) والمستدرك (٣: ٩٣-٩٤).

رضي الله تعالى عنه، وقالوا: لولا أن تنهانا -أو نُهينا- أن لا نقتل أحداً لقتلناه، هذا يزعم أنه يشهد أن عثمان رضي الله تعالى عنه قُتل شهيداً، فقال الرجل لعلي: وأنت تشهد. أتذكر أني أتيتُ رسولَ الله ﷺ، فسألتُه فأعطاني، وأتيت أبا بكر رضي الله تعالى عنه فسألته فأعطاني، وأتيتُ عمر رضي الله تعالى عنه فسألته فأعطاني، وأتيتُ عثمان رضي الله تعالى عنه فسألته فأعطاني. قال: فأتيتُ رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله؛ ادع لي أن يبارك لي. فقال النبيُّ ﷺ: (كيف لا يُبارك لك وأعطاك نبيٌّ وصِدّيقٌ وشهيدان). رواه أبو يعلى بإسناد صحيح،(١٩٩٣) كما رواه غيره.

* وعن محمد ابن الحنفية رحمه الله تعالى قال: بلغ عليّاً -رضي الله تعالى عنه- أن عائشة -رضي الله تعالى عنها- تلعن قتلةَ عثمان -رضي الله تعالى عنه- في المربد، قال: فرفع يديه حتى بلغ بهما وجهه فقال: وأنا ألعن قتلةَ عثمان، لعنهم الله في السهل والجبل. قالها مرتين أو ثلاثاً. رواه ابن أبي شيبة وأحمد وابن شبة وابن عساكر في آخرين بإسناد صحيح(١٩٩٤).

* وعنه رضي الله تعالى عنه قال -يوم الجمل-: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان، ولقد طاش عقلي يوم قُتل عثمان، وأنكرتُ نفسي، وجاؤوني للبيعة فقلت: والله إني لأستحي من الله أن أبايع قوماً قتلوا رجلاً قال له

(١٩٩٣) مسند أبي يعلى (٣: ١٧٦-١٧٧) والمطالب العالية (٤: ٤٩-٥٠، ٥٠) ومجمع الزوائد (٩: ٩٠-٩١) وإتحاف الخيرة المهرة (٩: ٢٣٠ رقم ٨٨٧٧).

(١٩٩٤) مصنف ابن أبي شيبة (١٥: ٢٦٨) وفضائل الصحابة (١: ٤٥٥) وتاريخ المدينة (أخبار المدينة) (٤: ١٢٦٠-١٢٦٢ من طرق) وكتاب الفتن لنعيم بن حماد (١: ١٧١) وتاريخ دمشق (٣٩: ٤٥٥-٤٥٦).

رسول الله ﷺ: (ألا أستحيي ممن تستحيي منه الملائكة)؟ وإني لأستحيي من الله أن أبايع وعثمان قتيلٌ على الأرض لم يدفن بعد،... الحديث، رواه الحاكم وصححه وأقره الذهبي[1995]، والمرفوع رواه مسلم من حديث السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها، ورواه ابن سعد وأحمد وآخرون مختصراً.

* وعن محمد بن حاطب قال: سمعتُ علياً رضي الله تعالى عنه يخطب يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾[1996] عثمان منهم. رواه ابن أبي شيبة وأحمد وابن أبي عاصم بإسناد صحيح[1997].

* وعن عنترة قال: رأيت علياً رضي الله تعالى عنه وهو بالخورنق، وهو على سريره وعنده أبان بن عثمان، فقال: إني لأرجو أن أكون أنا وأبوك من الذين قال الله عز وجل: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾[1998] رواه أحمد ومسدد وسعيد بن منصور والحاكم برجال ثقات[1999].

* وعن علي رضي الله تعالى عنه قال: ما جمع رسولُ الله ﷺ أبويه لأحد، غير سعد بن مالك، فإنه جعل يقول يوم أحد: (ارم، فداك أمي

(١٩٩٥) المستدرك (٣: ٩٥، ١٠٣) وانظر: صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، رقم (٢٦).

(١٩٩٦) سورة الأنبياء (١٠١).

(١٩٩٧) مصنف ابن أبي شيبة (١٢: ٥١) وفضائل الصحابة (١: ٤٧٤) والسنة (٢: ٨١٧).

(١٩٩٨) سورة الحجر (٤٧).

(١٩٩٩) فضائل الصحابة (رقم٦٩٨، ٧٢٩، ٨٥٠) والمستدرك (٣: ١٠٥) وتفسير الطبري (١٧: ١٠٩) والكنى للدولابي (٢: ٧٩) وتاريخ بغداد (١٤: ٤٣٢) والمطالب العالية (٥: ٣٢) وانظر الدر المنثور (٥: ٨٥).

وأبي). متفق عليه(٢٠٠٠). يعني سعد بن أبي وقّاص رضي الله تعالى عنه.

* زاد الترمذي في روايته -وصحّحه- وقال لـه: (ارم أيها الغلام الحَزَوَّر). وهو الغلام الشديد.

* وعنه رضي الله تعالى عنه -وقد استأذن عليه ابنُ جرموز قاتِلُ الزبير رضي الله تعالى عنه- قال: ائذنوا له، ليدخل قاتلُ الزبير النارَ. إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (إن لكل نبيٍّ حوارياً، وإن حواريَّ الزبير). رواه الطَّيالِسي وابن أبي شيبة وابن سعد وأحمد والترمذي وأبو يعلى والحاكم في كثيرين، وصححه كثيرون(٢٠٠١).

* وعن أبي حبيبة مولى طلحة قال: دخل عمران بن طلحة-رضي الله تعالى عنهما على علي -رضي الله تعالى عنه- بعد ما فرغ من أصحاب الجمل. قال: فرحب به، وأجلسه على طنفسته، وقال: إني لأرجو أن يجعلني الله وأباك من الذين قال الله عز وجل: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ

(٢٠٠٠) صحيح البخاري: كتاب المغازي: باب ﴿إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب في فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه، رقم (٤١) وسنن الترمذي: كتاب المناقب، رقم (٣٧٥٣).

(٢٠٠١) مسند الطَّيالِسي (٢٤) والطبقات الكبرى (٣: ١٠٥)ومصنف ابن أبي شيبة (١٢: ٧٣) ومسند أحمد (١: ٨٩، ١٠٢، ١٠٣) وفضائل الصحابة (٢: ٧٣٧من طرق) وسنن الترمذي: كتاب المناقب: باب (٢٤) رقم (٣٧٤٤) والسنة (٢: ٦١٠) وتهذيب الآثار (مسند علي ابن أبي طالب (١٦٩ رقم ٢٣) وانظر تصحيح السند فيه صفحة (١٦٣) والمستدرك (٣: ٣٦٧) والمعجم الكبير (١: ٧٩، ٨٣) ومسند أبي يعلى (١: ٤٤٥-٤٤٦) وحلية الأولياء (٤: ١٨٦) وسمى الطبري والحاكم-المتكلّم-في روايتيهما: الحارث الأعور.

﴿سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ قال: ورجلان جالسان على ناحية البساط، فقالا: الله عز وجل أعدل من ذلك، تقتلُهم بالأمس، وتكونون إخواناً في الجنة ! قال عليٌّ: قوما أبعدَ أرضٍ وأسحقَها، فمن هو إذا لم أكن أنا وطلحة،... رواه أحمد وابن سعد والطبري، والحاكم وصححه، في آخرين(٢٠٠٢).

* وعن رِبعي بن حِراش قال: قال علي رضي الله تعالى عنه: إني لأرجو أن أكون أنا والزبير وطلحة ممن قال الله عز وجل: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾.

قال: فقام رجل من همدان فقال: الله أعدل من ذلك يا أمير المؤمنين.

قال: فصاح به علي رضي الله تعالى عنه صيحة ظننت أن القصر تدهده لها. ثم قال: من هم إذا لم نكن نحن هم؟ رواه أحمد وابن سعد والطبري بإسناد صحيح(٢٠٠٣).

* وعن علي رضي الله تعالى عنه قال-يوم مات عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه-: اذهب ابنَ عوف، فقد أدركتَ صفوَها، وسبقتَ رنقَها. رواه ابن أبي شيبة وأحمد والطبراني والحاكم بأسانيد صحيحة(٢٠٠٤).

(٢٠٠٢) الطبقات الكبرى (٣: ٢٢٤-٢٢٥ من طرق) وفضائل الصحابة (٢: ٧٤٦، ٧٤٧) وتفسير الطبري (١٤: ٢٥-٢٦) والمستدرك (٣: ٣٧٦-٣٧٧).

(٢٠٠٣) الطبقات الكبرى (٣: ٢٢٥ وفيه سقط) وفضائل الصحابة (٢: ٧٤٧-٧٤٨) وتفسير الطبري (١٧: ١٠٨).

(٢٠٠٤) الطبقات الكبرى (٣: ١٣٥-١٣٦) ومصنف ابن أبي شيبة (١٢: ٩٥) وفضائل الصحابة (٢: ٧٣١) والتاريخ الكبير (١: ٣١٢) ومعرفة الصحابة (١: ٣٨٣) وحلية الأولياء (١: ١٠٠) والمعجم الكبير (١: ٨٩) والمستدرك (٣: ٣٠٦، ٣٠٨) وسير =

* عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه -في قصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله تعالى عنه- وفيه قوله ﷺ لعمر رضي الله تعالى عنه: (يا عمر، وما يدريك لعل الله قد اطَّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة)... الحديث، متفق عليه، واللفظ للبخاري(٢٠٠٥).

* وخير مثال على عظم حبِّ سيدنا علي لإخوانه الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله تعالى عنهم: تسمية أولاده -بعد وفاة رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما- بأبي بكر وعمر وعثمان رحمهم الله تعالى.

* وهناك عشرات الأحاديث التي نقلها سيدنا عليّ رضي الله تعالى عنه، فيها الثناء على الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم-وأغلبها مرفوع، وفيها القليل من الموقوف، لكني اقتصرتُ على بعض ما رواه في فضائل العشرة رضي الله تعالى عنهم.

أقوال أئمة آل البيت بعد الصحابة رضي الله تعالى عنهم في الثناء على الصحابة:

أما من كان بعد الصحابة رضي الله تعالى عنهم، فقد كثرت أقوالُ أئمة آل البيت رحمهم الله تعالى في الثناء على الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم عموماً وخصوصاً، أقتصر على ذكر بعض تلك الأقوال.

* قال علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهما -وقد سئل عن مَنْزلة أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما عند رسول الله ﷺ-؟ فأشار بيده إلى

= أعلام النبلاء (١: ٩٠) وكنـز العمال (١٣: ٢٢٠، ٢٢٥).

(٢٠٠٥) صحيح البخاري: كتاب الاستئذان: باب من نظر في كتاب من يُحذَر على المسلمين ليستبين أمره. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل أهل بدر رضي الله تعالى عنهم،... رقم (١٦١).

القبر. ثم قال: مترلتهما منه الساعة[٢٠٠٦].اهـ.

* وعنه رحمه الله تعالى قال: قدم المدينةَ قومٌ من أهل العراق، فجلسوا إليَّ، فذكروا أبا بكر وعمر، فسبّوهما، ثم ابتركوا في عثمان ابتراكاً [تنقصوه واجتهدوا في ذمه].

فقلت لهم: أخبروني: أنتم من المهاجرين الأولين الذين قال الله عز وجل فيهم: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾؟ قالوا: لسنا منهم.

قلت: فأنتم من الذين قال الله عز وجل فيهم: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ قالوا: لسنا منهم.

قلت لهم: أمّا أنتم فقد تبرأتم من الفريقين أن تكونوا منهم، وأنا أشهد أنكم لستم من الفرقة الثالثة؛ الذين قال الله عز وجل فيهم: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ **قوموا عني، لا قرَّب الله دورَكم، فإنكم مستترون بالإسلام، ولستم من أهله**[٢٠٠٧].اهـ. وانظر إلى حكمه رحمه الله تعالى فيهم **(مستترون بالإسلام ولستم من أهله)**.

(٢٠٠٦) تهذيب الكمال (٢٠: ٣٩٣).

(٢٠٠٧) حلية الأولياء (٣: ١٣٦-١٣٧) وتفسير القرطبي (١٨: ٣١-٣٢) وتهذيب الكمال (٢٠: ٣٩٤-٣٩٥).

* وكان رحمه الله تعالى يجالس أسلم مولى عُمر، فقال له رجل من قريش: تدع قريشاً، وتجالس عبدَ بني عدي؟ فقال علي: إنما يجلس الرجل حيث ينتفع(2008).

* وعن محمد الباقر رحمه الله تعالى قال: جاء رجل إلى أبي [علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهما] فقال: **أخبرني عن أبي بكر؟ قال: عن الصِّدّيق تسأل؟ قال: قلت: رحمك الله وتسمّيه الصديق؟ قال: ثكلتك أمك، قد سماه صدّيقاً من هو خيرٌ مني ومنك. رسولُ الله ﷺ والمهاجرون والأنصار، فمن لم يسمِّه صدّيقاً فلا صدَّق الله قولَه في الدنيا ولا في الآخرة. اذهب فأحبَّ أبا بكر وعمر، وتولَّهما، فما كان من أمر ففي عنقي**(2009).اهـ.

* وقال محمد الباقر رحمه الله تعالى: يا جابر؛ بلغني أن قوماً بالعراق يزعمون أنهم يحبوننا، ويتناولون أبا بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما، ويزعمون أني أمرتهم بذلك، **فأبلغهم أني إلى الله منهم بريء، والذي نفس محمد بيده، لو وُلّيت لتقرَّبتُ إلى الله تعالى بدمائهم، لا نالتني شفاعة محمد إن لم أكن أستغفر لهما وأترحّم عليهما، إن أعداء الله لغافلون عنهما.**

* وقال رحمه الله تعالى لشعبة الخياط: أبلغ أهلَ الكوفة أني بريء ممن تبرَّأ من أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما وأرضاهما. رواه أبو نعيم(2010).

* وعن عبد الملك بن أبي سليمان قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي عن قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ

(2008) تهذيب الكمال (20: 386).

(2009) تهذيب الكمال (20: 393-394).

(2010) حلية الأولياء (3: 185).

رَٰكِعُونَ﴾ قال: أصحاب محمد ﷺ. قلت: يقولون: هو علي؟ قال: علي منهم. رواه أبو نعيم(٢٠١١).

* عن أبي جعفر محمد الباقر رحمه الله تعالى قال: اجتمع المهاجرون: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي أن ما أوجب الحدَّيْن؛ الجلْدَ والرجمَ: أوجب الغسل. رواه ابن أبي شيبة(٢٠١٢).

* وعنه رحمه الله تعالى، أن النبيَّ ﷺ وأبا بكر وعمر كانوا يمشون إلى الجِمار. قال: وكان علي بن الحسين يمشي إليها. رواه ابن أبي شيبة(٢٠١٣).

* **وعن محمد الباقر رحمه الله تعالى قال: جلس عليٌّ وأصحابُه يوم الجمل يبكون على طلحة والزبير.** رواه ابن أبي شيبة(٢٠١٤).

* مما استفيض عن سيدنا علي رضي الله تعالى عنه، سُئل عن أهل الجمل أمشركون هم؟ قال: هم من الشرك فرّوا. قيل: أمنافقون؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلاّ قليلاً. قيل: فما هم؟ قال: إخواننا بغوا علينا.

* وقال رضي الله تعالى عنه: لا تسبوا أهلَ الشام، وسبّوا ظلمتهم، فإن فيهم الأبدال،... رواه الحاكم وغيره بإسناد صحيح(٢٠١٥).

والنصوص عن آل البيت كثيرة، وما ذكرته كاف في التدليل، والله أعلم.

(٢٠١١) حلية الأولياء (٣: ١٨٥).

(٢٠١٢) مصنف ابن أبي شيبة (رقم ٩٤٦) من الطبعة الجديدة، تحقيق الشيخ محمد عوامة.

(٢٠١٣) مصنف ابن أبي شيبة (رقم ١٣٩١٨) من الطبعة الجديدة، تحقيق الشيخ محمد عوامة.

(٢٠١٤) مصنف ابن أبي شيبة رقم (٣٨٩٢٩) من الطبعة الجديدة، تحقيق الشيخ محمد عوامة.

(٢٠١٥) انظر: فضائل بلاد الشام، فقد ذكرتُ رواياته.

ثانياً: ما جاء في كتب الرافضة من ثناء أئمة آل البيت على الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم جميعاً:

- أقوال عليٍّ في أبي بكر رضي الله تعالى عنهما:

* عن عليٍّ رضي الله تعالى عنه -وهو يثني على أبي بكر رضي الله تعالى عنه-: فولي أبو بكر، فقارب وقصد. كشف المحجة، والرسائل للكليني[٢٠١٦].

* وقال في جوابه لأبي سفيان عن أبي بكر رضي الله تعالى عنهم: إنّا رأينا أبا بكر أهلاً لها[٢٠١٧].

* وقال يودّع أبا بكر رضي الله تعالى عنهما بعد وفاته، وقد قام على الباب: رحمك الله يا أبا بكر: كنتَ أولَ القوم إسلاماً، وأخلصَهم إيماناً، وأشدَّهم يقيناً، وأعظمَهم غناءاً، وأحفظَهم على رسول الله ﷺ، وأنسبَهم برسول الله خلقاً وفضلاً وهدياً وسمتاً، فجزاك الله عن الإسلام وعن رسول الله وعن المسلمين خيراً، صدّقتَ رسول الله حين كذّبه الناس، وواسيتَه حين بخلوا، وقمتَ معه حين قعدوا، وأسماك الله صِديّقاً ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ يريد محمداً ويريدك، وكنتَ والله للإسلام حصناً، وعلى الكافرين عذاباً، لم تقلل حجتُك، و لم تضعف بصيرتُك، و لم تجبن نفسك، وكنتَ كالجبل الذي لا تحرِّكه العواصف. كنتَ كما قال رسول الله: (ضعيفاً في بدنك، قويّاً في أمر الله) متواضعاً في نفسك، عظيماً عند الله، جليلاً في الأرض، كبيراً عند المؤمنين، و لم يكن لأحد عندك مطمع، ولا

(٢٠١٦) انظر راز دلبران (١٠١).

(٢٠١٧) نهج البلاغة (٣: ٣٠).

لأحد عندك هوادة، فالقويُّ عندك ضعيف حتى تأخذ الحقَّ منه، والضعيفُ عندك قويٌّ حتى تأخذ الحقَّ له، فلا حرمنا الله أجرك، ولا أضلّنا بعدك.اهـ.

* كلامه في أبي بكر رضي الله تعالى عنهما كثير، انظر نهج البلاغة بشرحه.

- **أقوال عليٍّ في عمر رضي الله تعالى عنهما:**

* لقد كان سيدنا عليٌّ عيبةَ نصح لسيدنا عمر رضي الله تعالى عنهما، فلولا ثقة عمر به، ومعرفته بأمانته، ما جعله موضع سره وأمانته وعيبته، ولولا مكانة علي ونصيحته واحترامه وتوقيره ما استشاره عمر ولا أبدى النصيحة المخلصة التي فيها الحرص عليه وعلى الإسلام والمسلمين.

* لما همَّ سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه بالخروج لغزو الروم وفارس بنفسه، وأن يقود الجيوش بنفسه، واستشار عليّاً رضي الله تعالى عنه: أثناه عن تلك الفكرة، وأبدى السبب.

* قال رضي الله تعالى عنه-عندما استشاره في خروجه لغزو الروم-: إنك متى تسر إلى هذا العدو بنفسك، فتلقهم، فتُنكب، لا تكن للمسلمين كانفة دون أقصى بلادهم، ليس بعدك مرجعٌ يرجعون إليه، فابعث إليهم رجلاً مِحَرْباً، احفز معه أهلَ البلاء والنصيحة، فإن أظهر الله فذاك ما تحب، وإن تكن الأخرى كنتَ ردءَ الناس ومثابةً للمسلمين[٢٠١٨].اهـ.

واسمع إليه وهو ينصح أميرَ المؤمنين عُمر رضي الله تعالى عنهما، حين استشاره في الشخوص لقتال الفرس، فلولا الأمانة والنصيحة والصدق في قلبه، والمودّة والإخلاص لأمير المؤمنين، والخوف على دين الله تعالى، لما بذل

(٢٠١٨) نهج البلاغة (١: ١٣٧).

هذه النصيحةَ الغالية، التي لا تقدَّر بثمن.

* قال رضي الله تعالى عنه: إن هذا الأمر لم يكن نصرُه ولا خذلانه بكثرة ولا قلة، وهو دين الله الذي أظهره، وجنده الذي أعده وأمدّه، حتى بلغ ما بلغ، وطلع حيث طلع، ونحن على موعود من الله، والله منجزٌ وعدَه، وناصرٌ جندَه، ومكان القيِّم بالأمر: مكانُ النظام من الخرز؛ يجمعه ويضعه، فإن انقطع النظام تفرّق الخرز وذهب، ثم لم يُجمع بحذافيره أبداً.

والعرب اليوم -وإن كانوا قليلاً- فهم كثيرون بالإسلام، عزيزون بالاجتماع، فكن قطباً، واستدر الرحى بالعرب وأصلهم دون نار الحرب، فإنك إن شخصت من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها حتى يكون ما تدع وراءك من العورات أهم إليك مما بين يديك.

إن الأعاجم إن ينظروا إليك غداً يقولون: هذا أصل العرب، فإذا اقتطعتموه استرحتم، فيكون أشد لكَلَبهم عليك، وطمعهم فيك(٢٠١٩).اهـ.

* وقال -وهو يثني على أمير المؤمنين عمر رضي الله تعالى عنهما: كان عمر مرضيَّ السيرة [ميمون النقيبة] من الناس عند الناس(٢٠٢٠).

* واسمع إليه وهو يثني على الخليفة الفاروق رضي الله تعالى عنهما: لله بلاء عمر، فقد قوَّم الأمد، وداوى العمد، خلف الفتنة، وأقام السنة، ذهب نقيَّ الثوب، قليلَ العيب، أصاب خيرَها، وسبق شرَّها، أدّى إلى الله طاعتَه، واتّقاها بحقّه،...اهـ(٢٠٢١).

* وثناؤه على عمر رضي الله تعالى عنهما كثير، لا يحويه هذا المختصر.

(٢٠١٩) نهج البلاغة (١: ١٦٦).

(٢٠٢٠) كشف المحجة (١: ٣٠٧) وراز دلبران (١٠١).

(٢٠٢١) نهج البلاغة (٢: ٢٢٢).

- **أقوال عليٍّ في الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهم:**

* وعن سويد بن غفلة رحمه الله تعالى قال: مررت بقوم ينتقصون أبا بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما، فأخبرت عليّاً كرم الله وجهه، وقلت: لولا أنهم يرون أنك تُضمر ما أعلنوا ما اجترؤوا على ذلك، منهم عبد الله ابن سبأ. فقال علي رضي الله تعالى عنه: نعوذ بالله، رحمنا الله، ثم نهض، وأخذ بيدي وأدخلني المسجد، فصعد المنبر، ثم قبض على لحيته وهي بيضاء، فجعلت دموعه تتحادر عليها، وجعل ينظر للقاع حتى اجتمع الناس، ثم خطب.

فقال: ما بال أقوام يذكرون أَخَوَي رسول الله ووزيريه، وصاحبَيه وسيدَي قريش، وأبوَي المسلمين، وأنا بريءٌ مما يذكرون، وعليه معاقِب.

صحبا رسول الله ﷺ بالحب والوفاء، والجد في أمر الله، يأمران وينهيان، ويغضبان ويعاقبان، ولا يرى رسول الله كرأيهما رأياً، ولا يحب كحبهما حبّاً، لما يرى من عزمهما في أمر الله.

فقُبض وهو عنهما راض، والمسلمون راضون. فما تجاوزا في أمرهما وسيرتهما رأيه ﷺ، وأمره في حياته وبعد موته، فقبضا على ذلك رحمهما الله تعالى.

فوالذي فلق الحبةَ وبرأ النسمةَ لا يحبهما إلاّ مؤمن فاضل، ولا يبغضهما إلاّ شقي مارق، وحبُّهما قُربة، وبغضُهما مروقٌ. زاد في رواية: **لعن الله من أضمر لهما إلاّ الحسن الجميل.** اهـ(٢٠٢٢).

- **أقوال عليٍّ في عثمان رضي الله تعالى عنهما:**

* وقال -يخاطب عثمان رضي الله تعالى عنهما-: والله ما أدري ما أقول لك، ما أعرف شيئاً تجهله، ولا أدلُّك على أمر لا تعرفه، إنك لتعلم ما

(٢٠٢٢) مختصر التحفة للآلوسي، نقلاً عن طوق الحمامة في الإمامة.

نعلم، ما سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه، ولا خلونا بشيء فنبلغكه، وقد رأيتَ كما رأينا، وسمعتَ كما سمعنا، وصحبتَ رسول الله ﷺ كما صحبنا، وما ابن أبي قحافة ولا ابن الخطاب بأولى بعمل الحق منك[٢٠٢٣].اهـ.

- **أقواله في الصحابة رضي الله تعالى عنهم:**

* **وقال النوبختي -في ذكره للسبئية-: أصحاب عبد الله بن سبأ، وكان ممن أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة، وتبرأ منهم، وقال: إن عليّاً عليه السلام أمره بذلك. فأخذه عليٌّ فسأله عن قوله هذا فأقر به، فأمر بقتله، فصاح الناس إليه: يا أمير المؤمنين؛ أتقتل رجلاً يدعو إلى حبكم أهل البيت، وإلى ولايتك، والبراءة من أعدائك؟** فصيَّره إلى المدائن[٢٠٢٤].اهـ.

قلت: إن أمر علي رضي الله تعالى عنه بقتل ابن سبأ لطعنه في الصحابة الثلاثة رضي الله تعالى عنهم دليل على محبته لهم، وأنّ من يطعن فيهم فحكمه القتل في نظره رضي الله تعالى عنه وعنهم جميعاً. فما يقول الرافضة؟

* وقال رضي الله تعالى عنه -وهو يذكر الصحابةَ رضي الله تعالى عنهم-: أوه على إخواني الذين قرؤوا القرآن فأحكموه، وتدبَّروا الفرضَ فأقاموه، وأحيوا السنة، وأماتوا البدعةَ، دُعوا للجهاد فأجابوا، ووثقوا بالقائد فاتبعوه[٢٠٢٥].اهـ.

* وقال رضي الله تعالى عنه: لقد رأيتُ أصحابَ محمد ﷺ فما أرى أحداً منكم يشبههم، لقد كانوا يُصبحون شُعثاً غُبراً، وقد باتوا سُجّداً وقياماً،

(٢٠٢٣) نهج البلاغة (١: ١٦٧).

(٢٠٢٤) فرق الشيعة (٤٤) وقاموس الرجال (٥: ٤٦٣).

(٢٠٢٥) نهج البلاغة، رقم (١٨٠).

يراوحون بين جباههم وخدودهم، ويقفون على مثل الجمر من ذكر مَعـــادِهم. كأن بين أعينهم ركب المِعزى من طول سجودهم،...اهـ(٢٠٢٦).

* وقال رضي الله تعالى عنه: أين القوم الذين دُعوا إلى الإسلام فقبلوه، وقرأوا القرآنَ فأحكموه، وهُيِّجوا إلى القتال فولهوا وَلَهَ اللقاحِ إلى أولادهـــا، وسلبوا السيوفَ أغمادَها، وأخذوا بأطراف الأرض زحفاً زحفاً وصفّاً صفّاً، بعضٌ هلك، وبعضٌ نجا، لا يبشرون بالأحياء، ولا يعزّون بالموتى، مُرْهُ العيون من البكاء، خُمصُ البطون من الصيام، ذبلُ الشفاه من الدعاء، صفرُ الألوان من السهر، على وجوههم غبرةُ الخاشعين.

أولئك إخواني الذاهبون، فحقٌّ لنا أن نظمأ إليهم، ونعض الأيدي علـــى فراقهم(٢٠٢٧).اهـ.

* وقال رضي الله تعالى عنه: إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان -رضي الله تعالى عنهم- على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يرد، **وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فــإن اجتمعــوا على رجل، وسمّوه إماماً كان ذلك لله رضا**(٢٠٢٨).اهـ.

* إذا كان من شهد بدراً والحُدَيْبِيَة لن يدخل النار -ولو أساء، كما مر في قصة حاطب رضي الله تعالى عنه- فكيف بالذين هم أفضل بمرات مـــن حاطب، وأعظم إيماناً وعلماً، وأسبق هجرة، وأشد بلاء في الإسلام، وأقـــدم جهاداً؟ خاصة وراوي حديث حاطب هو علي رضي الله تعالى عنهما؟

(٢٠٢٦) نهج البلاغة (١: ٢٨).

(٢٠٢٧) نهج البلاغة.

(٢٠٢٨) نهج البلاغة (رقم ٦).

- **قوله في أهل الجمل رضي الله تعالى عنهم:**

* لقد ثبت من وجوه كثيرة أنه رضي الله تعالى عنه لما قاتل أهلَ الجمل؛ لم يسْبِ ذُرِّيةً، ولم يقتل أسيراً، ولم يغنم لهم مالاً، ولم يُجهز على جريح، ولا اتّبع مُدبراً، وأنه صلّى على قتلى الطائفتين بالجمل وصفين، وقال عنهم: إخواننا بغوا علينا، وأخبر رضي الله تعالى عنه أنهم ليسوا كفّاراً ولا منافقين. وقد سمّى رسول الله ﷺ كلتا الطائفتين بالمسلمين عندما قال: (تمرق مارقة على حين فرقة من المسلمين، تقتلهم أولى الطائفتين بالحق). رواه مسلم[٢٠٢٩]. وهذه المارقة هم الخوارج، وقد قتلهم سيدنا علي رضي الله تعالى عنه، مع سروره بقتال الخوارج في حروراء، بخلاف ما حصل يوم الجمل وصفين حيث تأسَّف وحزن على قتل بعضهم، كما هو معلوم[٢٠٣٠].

- **قوله في أهل صفين رضي الله تعالى عنهم:**

* وقال رضي الله تعالى عنه عن أهل صفين: كان بدء أمرنا أنّا التقينا القوم من أهل الشام، والظاهر أن ربنا واحد، ودعوتنا في الإسلام واحدة، ولا نستزيدهم في الإيمان بالله والتصديق برسوله، ولا يستزيدوننا، الأمر واحد، إلا ما اختلفنا في دم عثمان، ونحن منه براء[٢٠٣١].اهـ.

* وقال -عندما سمع من يسب معاوية وأهل الشام-: إني أكره لكم أن تكونوا سبّابين، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم وذكرتم حالهم؛ كان أصوب في

(٢٠٢٩) صحيح مسلم: كتاب الزكاة: باب ذكر الخوارج وصفاقم، رقم (١٥٠).

(٢٠٣٠) انظر فضل أهل البيت وحقوقهم، لابن تيمية رحمه الله تعالى.

(٢٠٣١) نهج البلاغة.

القول، وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبكم إياهم: **اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم**[٢٠٣٢].اهـ.

- صلاته خلف الخلفاء الثلاثة رضي الله تعالى عنهم:

* ثم مما يدل على مدى محبته لهم رضي الله تعالى عنهم جميعاً: صلاته خلفهم بما يزيد على ست وعشرين عاماً، منذ وفاة رسول الله ﷺ إلى مقتل سيدنا عثمان ومبايعته رضي الله تعالى عنهما. ويستحيل أن يصلي رضي الله تعالى عنه هذه الفترة الطويلة تقية، كما قال عبد الحسين شرف الدين، إذ حاشا للإمام أن يجعل عبادته تقية[٢٠٣٣].

* عن عقبة بن الحارث رضي الله تعالى عنه قال: صلّى أبو بكر رضي الله تعالى عنه العصرَ ثم خرج يمشي، فرأى الحسن يلعبُ مع الصبيان، فحمله على عاتقه، وقال: بأبي، شبيه بالنبي ﷺ، لا شبيهٌ بعلي، وعليٌّ يضحك. رواه البخاري[٢٠٣٤].

فقد كان عليٌّ يصلّي خلف أبي بكر رضي الله تعالى عنهما، وكان ذلك بعد وفاة النبي المصطفى الكريم ﷺ بأيام.

- أقوال أئمة آل البيت ممن بعد عليٍّ في الصحابة رضي الله تعالى عنهم:

* قال الحسن بن محمد ابن الحنفية رحمهم الله تعالى: من خلع أبا بكر وعمر فقد خلع السنة.اهـ من رسالته الإرجاء.

(٢٠٣٢) نهج البلاغة.

(٢٠٣٣) انظر: راز دلبران (١١٣) لقول عبد الحسين.

(٢٠٣٤) صحيح البخاري: كتاب المناقب: باب صفة النبيِّ ﷺ، وفي غيرهما.

* وقال السجاد رضي الله تعالى عنه في دعائه الرابع من الصحيفة السجادية: **اللهم وأصحاب محمد خاصة، الذين أحسنوا الصحبة، والذين أبلوا البلاء الحسن في نصره وكانفوه، وأسرعوا إلى وفادته، وسابقوا إلى دعوته، واستجابوا له، حيث أسمعهم حجة رسالاته، وفارقوا الأزواج والأولاد في إظهار كلمته، وقاتلوا الآباء والأبناء في تثبيت نبوته وانتصروا به،... اللهم [ومن كانوا منطوين على محبته، يرجون تجارةً لن تبور في مودته،... فلا تنس لهم اللهم ما تركوا لك وفيك، وأرضهم من رضوانك، وبما حاشوا الخلقَ عليك، وكانوا مع رسولك دعاةً لك وفيك، واشكرهم على هجرهم فيك ديارَ قومهم، وخرجَهم من سعة المعاش إلى ضيقه،...]**

وأوصل إلى التابعين لهم بإحسان الذين يقولون: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ خيرَ جزائك، الذين قصدوا سمتهم، وأتموا وجهتهم، ومضوا على شاكلتهم،...إلخ الدعاء(٢٠٣٥).

* عن منصور بن حازم قال: قلت لأبي عبد الله،... أخبرني عن أصحاب محمد ﷺ صدقوا على محمد أم كذبوا؟ قال: بل صدقوا(٢٠٣٦).اهـ.

* وقيل لجعفر الصادق رحمه الله تعالى: ما تقول في العشَرة من الصحابة؟ قال: أقول فيهم الخير الجميل، الذي يحط الله به سيئاتي، ويرفع به درجاتي.

قال السائل: الحمد لله على ما أنقذتني من بغضك، كنتُ أظنك رافضيّاً يبغض الصحابة(٢٠٣٧).اهـ.

(٢٠٣٥) انظر راز دلبران (٦٨، ١١٠-١١١) وصب العذاب على من سب الأصحاب (٢٥٠-٢٥١) وما بين المعكوفتين فمنه.

(٢٠٣٦) من أصول الكافي (١: ٦٥).

(٢٠٣٧) من تفسير الإمام حسن العسكري لابن بابويه (١٧٩) وراز دلبران (٧٠).

* عن أبي بصير -في قصة المرأة التي جاءت إلى الإمام جعفر الصادق رحمه الله تعالى تسأل عن أبي بكر وعمر- فقال لها: تولّيهما. قالت: فأقول لربي إذا لقيتُه: إنك أمرتني بولايتهما؟ قال: نعم(٢٠٣٨).

* وقال عبد الله المحض بن الحسن المثنى، عن أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما: صلّى الله عليهما، ولا صلّى على من لم يصلِّ عليهما(٢٠٣٩).اهـ.

* سئل علي الرضا عن قول النبي ﷺ: (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم) وعن قوله: (دعوا لي أصحابي) فقال: هذا صحيح(٢٠٤٠).اهـ.

* **أقول قبل ختم هذه الأقوال:** لو كان أئمة أهل البيت رحمهم الله تعالى يكرهون الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم فلم يسمّون أولادهم بأسماء كبار الصحابة رضي الله تعالى عنهم؟ وقد سمّوهم بذلك بعد وفاة رسول الله ﷺ بدهر، لأن هؤلاء الْمُسمَّين جميعاً ليسوا صحابة.

إن من أولاد سيدنا علي الذين قُتلوا مع أخيهم الحسين رضي الله تعالى عنهما في كربلاء: أبا بكر وعمر وعثمان. ومن أولاد الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما: أبا بكر وطلحة، ومن أولاد عقيل بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: عثمان، ومن أولاد علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهما: عمر، ومن أولاد عبد الله بن جعفر رضي الله تعالى عنهما: أبا بكر، وهناك غير هؤلاء، بل كانت كنية علي الرضا رحمه الله تعالى: أبا بكر، كما في مقاتل الطالبيين، فلو كانوا يكرهونهم فلم يسمون بأسمائهم؟ خاصة وأنه من المعلوم

(٢٠٣٨) الروضة من الكافي (٨: ١٠١).
(٢٠٣٩) من راز دلبران (١٢٢).
(٢٠٤٠) من عيون أخبار الرضا بنقل الباقيات الصالحات (١٠٣).

أن المرأ إذا كره آخر كره اسمه، ولا يحب أن يطرق سمعه به، فكيف يسمي ولدَه به[٢٠٤١]. وهناك أسماء أخرى أغفلتها.

ولكن قاتل الله الرافضة الذين يفترون عليهم.

* ثم لو كان عليٌّ رضي الله تعالى عنه يكره إخوانه الثلاثة رضي الله تعالى عنهم فلم يثني عليهم الثناء الذي يستحقّونه؟ أكان خائفاً؟ كلّا والله، أكان منافقاً؟ كلّا والله، أكان مداهناً؟ كلّا والله، أكان يفعل ذلك تقية؟ كلّا والله، إنما فعل ذلك محبة وأخوة ورغبة.

* وانظر هذا الحديث-وقد سبق ذكره قبل قليل-لتعرف مدى علاقة علي بأبي بكر رضي الله تعالى عنهما، وهي على خلاف ما يتنطع به الأفاكون من أن علياً قاطع أبا بكر رضي الله تعالى عنهما بعد بيعته بالخلافة.

* عن عقبة بن الحارث رضي الله تعالى عنه قال: صلّى أبو بكر رضي الله تعالى عنه العصرَ ثم خرج يمشي، فرأى الحسن يلعبُ مع الصبيان، فحمله على عاتقه، وقال: بأبي، شبيه بالنبي ﷺ، لا شبيهٌ بعلي، وعليٌّ يضحك. رواه البخاري[٢٠٤٢].

فقد كان عليٌّ يمشي مع أبي بكر رضي الله تعالى عنهما، وكان ذلك بعد وفاة رسول الله ﷺ بفترة قصيرة، كما هو مبيّن في بعض روايات الحديث.

- **إرسال علي ولديه الحسنين للدفاع عن عثمان رضي الله تعالى عنهم:**

* ثم كيف أرسل ولديه الحسنين رضي الله تعالى عنهما ومولاه قنبراً

(٢٠٤١) انظر نسب قريش (٤٢-٨٤) ومنتهى الآمال لعباس القمي (١٨٨، ٣٨٢) ومقاتل الطالبيين في مواضع.

(٢٠٤٢) صحيح البخاري: كتاب المناقب: باب صفة النبيِّ ﷺ، وفي غيرهما.

رحمه الله تعالى على باب عثمان رضي الله تعالى عنه، لما حاصره الأوباش، وقد تعرضوا للهلاك، وقد خُضب الحسنُ رضي الله تعالى عنه بالدماء وشُج قنبر، كما جرح بسبب ذلك عدد من موالي بني هاشم وبني أمية -عندما أرسل إليه الماء.

[لكن قاتل الله الرافضة -وخاصة كاشف الغطاء- الذين يزعمون أن عليّاً رضي الله تعالى عنه هو الذي تآمر على قتل عثمان، وأنه أشرف على ذلك، وأنه أرسل ربيبَه فباشر قتله بيده، مع خُلَّص أصحابه وأتباعه].

* ثم لو كان سيدنا علي رضي الله تعالى عنه يكرههم فلم يُزوِّج، أو يتزوج هو أو أولادُه وأحفادُه من بنات كبار الصحابة رضي الله تعالى عنهم؟ إن من ينظر في كتب الأنساب يرى ما يصفع الرافضة على وجوههم، ويغلق أفواههم بتلك الحقائق.

* لقد تزوج رسول الله ﷺ السيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق، والسيدة حفصةَ بنتَ عمر رضي الله تعالى عنهم، والله عز وجل يقول: ﴿وَالطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾.

* وتزوج عثمان بنتي رسول الله ﷺ رقية وأم كلثوم رضي الله تعالى عنهم.

* وتزوج عمرُ أمَّ كلثوم بنتَ علي وأمها السيدة فاطمة رضي الله تعالى عنهم. وذلك بعد وفاة رسول الله ﷺ وفي حال خلافته.

* وتزوج الحسن بن علي حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله تعالى عنهم.

* وتزوج إسحق بن جعفر أمَّ حكيم بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر

رضي الله تعالى عنهم.

* وتزوج محمد الباقر أمَّ فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر وأمها أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله تعالى عنهم.

* وتزوج موسى بن عبد الله بن الحسن بن علي أمَّ سلمة بنت طلحة ابن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله تعالى عنهم.

فلو كان أئمة آل البيت يكرهون أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله تعالى عنهم -وحاشاهم من ذلك- هل يزوجوهم ويتقربون منهم؟ ويتزوجون منهم؟... سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم.

* ثم إن أئمة آل البيت ومن يتبعهم من بني هاشم والمطلب رضي الله تعالى عنهم هم أتقى لله تعالى من أن يفعلوا ذلك تقية. ذلك أن الذي جندل الصناديد في المعارك لهو هو الذي وافق على تزويج عمر بابنته السيدة أم كلثوم رضي الله تعالى عنها وأنجبت له زيداً وفاطمة رحمهما الله تعالى، وهو هو الذي كان يصلي مع الصديق، ويضرب بيده معه، وكان يشاوره ويساروه، ويستشيره، ثم يسمعه يقول:

* قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه: والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحبُّ إليَّ أن أصل من قرابتي.

* وقال رضي الله تعالى عنه قال: ارقبوا محمداً ﷺ في أهل بيته. رواهما البخاري(٢٠٤٣).

* ويسمع عمر بن الخطاب يقول للعباس رضي الله تعالى عنهما: والله

(٢٠٤٣) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة: باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ، وفي غيرهما.

لإسلامُك يومَ أسلمتَ كان أحبَّ إليَّ من إسلام الخطاب لـــو أســـلم، لأن إسلامَك كان أحبَّ إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب. رواه إسحق ابن راهويه والطبراني والبيهقي وغيرهم بسند صحيح(٢٠٤٤).

ما الذي حمل عمر رضي الله تعالى عنه على الحلف؟ لولا مَنْزلة العباس رضي الله تعالى عنه عنده، وعلو مكانته لديه؟. وانظر الحديث التالي.

* وعن أنس رضي الله تعالى عنه، أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كان إذا قَحَطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب-رضي الله تعالى عنه- فقال: اللهم إنّا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتُسقينا، وإنّا نتوسل إليك بعـــم نبينا فاسقنا. قال: فيُسقون. رواه البخاري(٢٠٤٥).

لقد كان فيهم من هو أفضل من العباس رضي الله تعالى عنه، لكن لا يوجـــد فيهم من هو عمّ النبي المصطفى الكريم ﷺ سوى العباس رضي الله تعالى عنه، فهـــو صنو أبيه، وشيخ بني هاشم، ولا يوجد فيهم من يجلّه رسول الله ﷺ مثل مـــا يجـــل العباس رضي الله تعالى عنه، وكان ذلك كله بعد وفاة رسول الله ﷺ بدهر، والذي حمله على ذلك المحبة والتعظيم للبيت النبوي تبعاً لفرط محبته لرسول الله ﷺ. وانظر تعظيمـــه رضي الله تعالى عنه للبيت النبوي ولو كان لغلام دون العاشرة من عمره.

* عن الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما قال: أتيت عمر -رضي

(٢٠٤٤) سيرة ابن هشام (٤: ٦٤) والمعجم الكبير (٨: ١٠-١٥) ودلائل النبوة (٥: ٣٢-٣٥) المطالب العالية (٤: ٤١٨-٤٢٠) وإتحاف الخيرة المهـــرة (٦: ٤٨٣-٤٨٦) ومجمـــع الزوائد (٦: ١٦٤-١٦٧) وصححه الحافظ ابن حجر والبوصيري، وقـــال الهيثمـــي: برجال الصحيح.

(٢٠٤٥) صحيح البخاري: كتاب الاستسقاء: باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا، وفي غيرهما.

الله تعالى عنه- وهو يخطب على المنبر، فصعدت إليه، فقلت: انزل عن منبر أبي واذهب إلى منبر أبيك. فقال عمر: لم يكن لأبي منبر، وأخذني فأجلسني معه أقلّب حصى بين يدي، فلما نزل انطلق بي إلى مَنْزله، فقال لي: من علّمك؟ فقلت: والله ما علّمنيه أحد. قال لي: يا بُني لو جعلتَ تغشانا. قال: فأتيته يوماً وهو خالٍ بمعاوية، وابنُ عمر بالباب، فرجع ابنُ عمر، فرجعتُ معه، فلقيني بعدُ فقال لي: لم أرك؟ قلت: يا أمير المؤمنين؛ إني جئت وأنت خالٍ بمعاوية، فرجعت مع ابن عمر. فقال: **أنت أحقُّ من ابن عمر، فإنما أنبت ما ترى في رؤوسنا الله ثم أنتم.** رواه ابن سعد وابن راهويه والخطيب البغدادي. وصححه الحافظ(٢٠٤٦).

* زاد ابن عساكر: فقام علي فقال: ما أمره بهذا أحدٌ، أما لأوجعنّك يا غُدر. فقال عمر: لا توجع ابن أخي، فقد صدق، منبر أبيه.اهـ.

وقد ذكرت تعظيم أهل السنة لأئمة آل البيت في غير هذا الكتاب.

فإذا كان عليٌّ رضي الله تعالى عنه يرى ذلك ويسمعه، وهم لا ينطقون محاباة ولا مجاراة ولا تقية أو خوف،... إنما هو الصدق والواقع النابع عن المحبة والتقدير،... فكيف يعاملهم ويعاشرهم وقد عاش معهم عشرات السنين، وخبر مدخلهم ومخرجهم وعرف صدقهم وأمانتهم، وهو أهل الوفاء والصدق والإخلاص؟.



(٢٠٤٦) تاريخ بغداد (١: ١٤١) وتاريخ دمشق (١٤: ١٧٥، ١٧٦) وتهذيب الكمال (٦: ٤٠٤) وسير أعلام النبلاء (٣: ٢٨٥) وتاريخ الإسلام (وفيات٦١هـ) والإصابة (٢: ٧٧).

خاتمة الباب الرابع

لقد سن رسولُ الله ﷺ تكريمَ أصحابه الكرام رضي الله تعالى عنـــهم، ومحبتَهم وتوقيرهم، بما فعله ﷺ معهم، وقد برزت مظاهر محبتـــه ﷺ لهـــم بمظاهر متعددة، منها مواساتُه ﷺ لهم بنفسه، وعدمُ تميّزه عليهم، ورفضُه ﷺ السجود له، وكراهيتُه ﷺ القيام له، وإذا جلس معهم لا يفترق عنهم، وأنه ﷺ آخر من ينحّي رأسه أو يده عند المساررة والمصافحة، وإقبالُه ﷺ عليهم، وأنه ﷺ يشاركهم فيما هم فيه، وكراهيتُه ﷺ أن يُطـــرى، ومزاحُـــه ﷺ معهم، ومعانقتُه ﷺ وتبسمُه وقيامُه، وإعلانُه ﷺ محبته لهـــم، ودعـــاؤُه ﷺ بمحبة المسلمين لهم، وإلحاحُه ﷺ على الله تعالى بعدم تعذيبهم وهلاكهـــم، وشدةُ مناشدته ﷺ ربه تعالى بتحقيق وعده، وعطفُه ﷺ الشديد علـــيهم، ورحمته ﷺ بهم، ودعاؤُه لهم، ومراعاتُه ﷺ لشعورهم، وتفقدُهم في حـــال غيبتهم، وتركُه القيام في المسجد خشية أن يكتب، وتأليفُـــه ﷺ لقلـــوبهم، واستمالتُه لها، واعتذارُه ﷺ لمن يخشى القطيعة، واستجابتُه ﷺ لدعوة مـــن يدعوه ولو كان عبداً -وعلى طعام قليل- وعدمُ أمـــره ﷺ لهـــم إلاّ بمـــا يطيقون، وعليه كان يبايعهم، وتكفُّلُه ﷺ بقضاء دَين من مات منهم، وطلبُه ﷺ القوَد منه ممن أصابه خطأ، وتخوّفُه ﷺ علـــيهم، وشـــهادتُه ﷺ لهـــم، ورحمتُه ﷺ بالمخطئين منهم، ووقوفُه ﷺ مع المرأة الـــضعيفة، وتـــسميتُهم بالصحابة دلالة على توقير وتعظيم ومحبة منه ﷺ لهم.

ثم ذكر الأدلة على وجوب محبتهم وتوقيرهم وتعظيمهم، وذلك: لأن الله تعالى يحبهم، وأنه تعالى رضي عنهم، وأنهم من أهل الجنة، ومن أراد دخول الجنة فليحبهم، وأنه تعالى اصطفاهم وجعلهم حظَّ رسوله الكريم ﷺ، وجعلهم أفضلَ جيل في الخليقة، وأمرنا باتّباعهم، وأن رسول الله ﷺ يحبهم غاية المحبة، ويرحمهم غاية الرحمة، وأمرنا بمحبتهم وتوقيرهم ومعرفة حقهم؛ جزاء ما قدّموه رضي الله تعالى عنهم، واتباعُه ﷺ علامةُ صدق دعوى محبة الله تعالى، وأنه لا يحبُّهم إلاّ مؤمن، ولا يبغضُهم إلاّ كافر أو منافق، وهم شهودُ هذه الأمة، وأمنةٌ لها، وحملةُ الشريعة التي وصلتنا عن طريقهم، ومن صفات المحب محبتُه لمحابّ محبوبه، وذُكِر سيدنا أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله تعالى عنه كنموذج؛ في ولده، وماله، ونفسه.

ثم إنهم رضي الله تعالى عنهم ناجون يوم القيامة، ومما يدل على ذلك: رضاءُ الله تعالى عنهم، وشهادةُ الله عز وجل لهم بالإيمان الحق، وإخبارُه تعالى بدخولهم الجنة والخلود فيها، ووعدُ الله تعالى لهم الحسنى، وإعطاؤُهم المبوَّأ الحسن في الدنيا والأجر الكبير في الآخرة، وطلبُ الله تعالى من رسوله الكريم ﷺ العفوَ عنهم، وإدخالُهم المدخل الذي يرضونه، وبشارتُهم بالرحمة والرضوان في الآخرة، وولايةُ الله تعالى ورسوله الكريم ﷺ لهم، وجعلُهم الأمة الوسط وخير الأمم، وتوبةُ الله تعالى عليهم، واصطفاءُ الله تعالى لهم، وإخبارُه تعالى أنه لا يخزيهم، وثناؤُه تعالى عليهم، وإخبارُ النبيِّ الكريم ﷺ أنهم لا يدخلون النار، ودخول أهل بدر والحُدَيْبِيَة الجنة، وبشارتُه ﷺ لعدد من الصحابة بالجنة، ووعدُ الله تعالى نبيّه الكريم ﷺ أنه سيرضيه، فهم رضي

الله تعالى عنهم كلهم في الجنة، فكيف لا يكونون ناجين.

وفي خاتمة الفصل إجراء مقارنة بين الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وبين أصحاب موسى عليه السلام وحواريي عيسى عليه السلام.

وجوب اعتقاد عدالتهم، وبيان المراد بالعدالة، وبيان شروطها، واتفاق أهل السنة والجماعة على عدالتهم، **والأدلة على عدالتهم رضي الله تعالى عنهم.**

الأدلة من القرآن الكريم: هم خير الأمم، عدول، شهداء على الناس، ورضاء الله تعالى عليهم، أهل الصدق والفلاح، واصطفاء الله تعالى لهم، وأنه تعالى لا يخزيهم، وإلزامهم كلمة التقوى، وأنهم أهل لها، وتأييد الله تعالى رسولَه الكريم ﷺ بهم، وأنهم المؤمنون حقّاً، وهم مخلّدون في الجنة.

الأدلة من السنة القولية: وجودهم أَمَنَةٌ للأمة، هم خير قرون بني آدم، واختيار الله تعالى لهم ليكونوا أصحاباً وأنصاراً ووزراء لرسوله ﷺ، شهداء الله تعالى في أرضه، وعدم إمكان وصول المتأخِّر لدرجتهم، ويكونون يوم القيامة بمعية رسول الله ﷺ، وفضل أهل بدر والحُدَيْبِيَة، وهم أهل الجنة، وقلوبهم خير قلوب العباد، وثقة رسول الله ﷺ بهم،...الخ

انعقاد الإجماع على ذلك. ومن ذكره وتعليله، وما سبب الإجماع على ذلك؛ حسن الظن بهم، وما تمهّد لهم، هم حملة الشريعة، ورسول الله ﷺ أفضل الخلق فناسب أن يكون صحبته خير الخلق، والإسلام أفضل دين وأكمله فاختار الله تعالى له عدولاً يبلّغونه لخلقه، ثم ما ورد في كتاب الله تعالى من ثناء وشهادة لهم، وما ورد عن رسول الله ﷺ من بيان مَنْزلتهم ومكانتهم، عند الله تعالى، ووجود الثقة المتناهية من رسول الله ﷺ فيهم.

طاعتهم واتّباعهم والأخذ بأقوالهم وأفعالهم رضي الله تعالى عنهم.

- **ما يرفعه الصحابي إلى رسول الله ﷺ صراحة**؛ مع ذكر ألفاظ يقولها أو من بعدهم وهي من المرفوع صراحة، مع ذكر الأمثلة لكل لفظة.

- **أنواع المرفوع حكماً**؛ مالا يُقال من قبل الرأي ولا مجال للاجتهاد فيه، والإخبار عن الأمور الغيبية، والحكم على فعل أنه طاعة، أو معصية، وإذا حكى قولاً لا يقتضيه القياس، والإخبار عما يحصل بفعله ثواب أو عقاب، وتفسير الصحابي بما لا مجال للرأي فيه، وكذا فعله مما لا مجال للرأي فيه.

- **قول الصحابي**: أُمِرنا بكذا، ونُهينا عن كذا، ومن السنة كذا، وقوله: كنا في عهد النبيِّ ﷺ نفعل كذا ونحوه، وخلاصة حكم المرفوع حكماً.

- **مرسل الصحابي**؛ معناه، وأمثلته، وحكمه، وأنه حجة عند الجماهير.

ما سبب إرسالهم، وبيان سبب من رده، والجواب عليه. وسبب الأخذ به.

- **تنبيهات**: التسامح في قولهم مرسل صحابي. وبكون مرسِله من أهل التحمُّل في زمن النبيِّ ﷺ. وأن الجهالة باسم الصحابي لا تضر. واطلاق البيهقي على ما روى التابعي عن صحابي و لم يسمه مرسلاً. ومن سمع حال كفره من النبيِّ ﷺ ثم أسلم بعد وفاة النبيِّ ﷺ فحديثه متصل. ومن سمع حال كفره من النبيِّ ﷺ ثم أسلم في حياة النبيِّ ﷺ فحديثه مسند متصل. خطأ بعض العلماء على الإمام الشافعي في مرسل الصحابي، وأن الصحيح في مذهبه رحمه الله تعالى أنه حجة.

- **الموقوف**؛ تعريفه. حجية قول الصحابي عند جماهير أهل العلم. مع ذكر الأدلة من القرآن الكريم، ومن السنة النبوية، والدلالة العقلية، على أن

تكون بعد السنة والإجماع، ونوعية حكم الاحتجاج بالموقوف، وحكم الاحتجاج بالموقوف عند الإمام الشافعي، وموافقة الأئمة لما ذهب إليه رحمهم الله تعالى، وما هو الحامل على الأخذ به. مع ذكر **نماذج من أقوال الفقهاء التي كان مستندها أقوال الصحابة رضي الله تعالى عنهم.**

إن ثناء الله عز وجل عليهم يقتضي ممن يدّعي محبة الله تعالى تعظيمهم، وإن اصطفاء الله تعالى لهم يقتضي محبتهم وتوقيرهم واحترامهم، وإن توقير رسول الله ﷺ يقتضي محبتهم وتوقيرهم، وأن الأمر بإكرامهم والإحسان إليهم يقتضي عدم الحقد والطعن فيهم، وكونهم أماناً للأمة يقتضي محبتهم وعدم العنود عنهم، ومن أراد رضوان الله تعالى فليحسن اتّباعهم رضي الله تعالى عنهم، ومن أراد المعية في الجنة فلا يكن في قلبه حقد ولا بغض لهم، وليكثر من الاستغفار لهم، والطاعن فيهم أخس من اليهود والنصارى، لأنه يردُّ على الله تعالى وعلى رسوله الكريم ﷺ. وأنه لا يغتاظ منهم سوى الكفار. وقد نُهي عن سبهم، والسبُّ في الظاهر أشد من البغض والحقد. ونهى ﷺ أن يُتّخذوا غرضاً، لذا جعل علامةَ الإيمان حبَّهم وعلامةَ النفاق بغضَهم، مع قبول محسنهم والتجاوز عن مسيئهم.

- **حكم ساب الصحابة رضي الله تعالى عنهم والحاقد عليهم،** والدوافع الحاملة على الطعن بهم رضي الله تعالى عنهم.

- **وجوب الدفاع عنهم رضي الله تعالى عنهم،** وأن رسول الله ﷺ أول من دافع عنهم رضي الله تعالى عنهم، والاقتصار على ذكر عشرة أحاديث كنماذج، ثم الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ثم التابعون رحمهم الله تعالى.

- **وجوب الإمساك عما حصل بينهم رضي الله تعالى عنـــهم**، وموقف المسلم في ذلك: إخبار النبيِّ ﷺ أن الطائفتين من المسلمين، وإخباره ﷺ عن شهادة علي والزبير وطلحة رضي الله تعالى عنهم، ومعاملة علي رضي الله تعالى عنه من خرج عليه معاملة المسلمين، ورأيه رضي الله تعالى عنه فيمن خرج عليه، وتلخيص الإمام القرطبي رحمه الله تعالى لما كان يوم الجمل.

- **موقف أئمة آل البيت من الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم جميعاً**، ثناء عليٍّ وأحفاده على أبي بكر، وعلى عمر، وعلى عثمان، وعلى بقية العـــشرة رضي الله تعالى عنهم، وثناء علي زين العابدين ومحمد الباقر وجعفر الصادق رحمهم الله تعالى، وقول علي رضي الله تعالى عنه في أهل الجمل، وصـــفين، وصلاته خلف الخلفاء الثلاثة رضي الله تعالى عنهم، أقوال الحسن بن محمـــد والسجاد والباقر والصادق رحمهم الله تعالى، تسمية علي وأبنائـــه أبنـــاءهم بأسماء العشرة رضي الله تعالى عنهم، إرسال علي ولديه الحسنين للدفاع عن عثمان رضي الله تعالى عنهم، التزاوج بين علي وأبنائه وبين كبار الـــصحابة رضي الله تعالى عنهم.

كل ذلك دلالة صريحة واضحة على العلاقة الحميمة، والمحبـــة التّامّـــة، والعلاقة الوثيقة، والصفاء والود،...بين آئمة آل البيت وبين كبار الـــصحابة رضي الله تعالى عنهم، فمن رام فصلها-وهو غير قادرلأنه عاجز عن ذلك- فهو كمن يغطي الشمسَ بغربال، ويدّعي الظلمة في نحر الظهيرة وليس دونها سحاب أو قترة، والله تعالى هو الهادي إلى سواء الصراط.



الخاتمة

لقد ذكرتُ في نهاية البابين الأول والثاني: فضلَ الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم على الإجمال، مما ورد في كتاب الله تعالى وسنة نبيه الكريم ﷺ. لذا فإني أذكر في خاتمة هذه الرسالة خلاصةً لما فيها، ألا وهو:

موقف المسلم ونظرته تجاه الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم:

قبل ختم هذه الرسالة -أحسن الله تعالى ختامنا، وجعلها على الإيمان، من غير ابتلاء ولا محنة-: أذكر بعض الأمور التي توضِّح موقفَ المسلم تجاه الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم، وما هو واجبه نحوهم.

١- التقيد بما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسوله المصطفى الكريم ﷺ من وصف الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، والثناء عليهم، ومدحهم، وعدم الخروج عن ذلك.

٢- بيان مكانتهم رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم في كتاب الله تعالى، لأن هذا من واجب الأمة نحو ربهم جل شأنه، ومن ثم من واجبها نحوهم أيضاً. وبقدر محبة العبد لله تعالى يلزمه أن يحبَّ ويعظِّم ويوقِّر،... كلَّ من أحبَّهم الله عز وجل واصطفاهم ورضي تعالى عنهم.

٣- بيان مكانتهم رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم في السنة النبوية، لأن هذا واجب الأمة نحو رسول الله ﷺ، وبقدر محبة المسلم لنبيه الكريم ﷺ وتوقيره وتعظيمه،... يلزمه أن يحبَّ ويعظِّم ويوقِّر،... كلَّ من صحبه ورضي عنه وأحبه، وفدوه وقدَّموه على أنفسهم وأهليهم، وبذلوا الغالي

قبل الرخيص في سبيل إسعاده وراحته، والدفاع عنه، والاستماتة دونه ﷺ، إضافته إلى الطاعة والاتباع في نشر هذا الدين وتبليغه.

٤- بيان حالهم رضي الله تعالى عنهم مع رسول الله ﷺ، وكيف كانوا يعاملونه، ويتخلقون بأخلاقه،... وتبيان مدى محبتهم له ﷺ، وتمسكهم بسنته، والجهود التي بذلوها في تثبيت أركان هذا الدين، والجهود التي بذلوها في نشر هذا الدين، وما مقدار المصائب التي تحملوها في نشره.

٥- ثم بيان الجهود التي بذلوها رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم في سبيل المحافظة على سنته ﷺ، وحرصهم عليها في حياته ﷺ، وما بذلوه من طرق دقيقة، ووسائل عميقة-يعجز عنها البشر-في سبيل المحافظة عليها، وتعلمها وتعليمها ونشرها، والمجالس التي عقدوها، والجهود التي بذلوها، كل ذلك من حرصهم على هذا الدين.

٦- كيف كان رسول الله ﷺ يعاملهم ويحبهم، ويجلّهم، ويدنيهم، ويقرِّبهم-وخصوصاً منهم نفراً-وكيف يُقبلُ عليهم، ويتفقَّدهم، ويوصي بهم، ويُحسن إليهم، ويحرص عليهم، ويطلب الثناءَ عليهم، وينهى عن سبهم والحقد عليهم، حتى لعن من يحقد عليهم أو يسبهم،... رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم.

٧- الحكم لهم بالإيمان والرضوان والمحبة،... لله تعالى ومن الله تعالى لهم، كما جاء ذلك في آيات القرآن الكريم؛ لأنهم رضي الله تعالى عنهم: إن لم يكونوا من السابقين الأوَّلين -من أهل القبلتين- فهم من أهل بدر. وإن لم يكونوا من أهل بدر فهم من أهل بيعة الرضوان، وإن لم يكونوا من أهل البيعة، فهم ممن شهد الفتح، وإن لم يكونوا من أهل الفتح فهم

من أهل غزوة تبوك،... وهكذا.

وقد جاءت الآيات الكريمة في كلّ هذه المواقف في مدحهم والثناء عليهم، وبيان إيمانهم، ومحبة الله تعالى لهم، وأنهم من الخالدين في الجنة، وبيان مغفرة الله جل شأنه لهم، ورضاء الله تعالى عنهم، ورضاهم عنه عز وجل، وكل ذلك قد سبق بيانه.

٨- اعتقادنا بأنهم من أهل الجنة والنعيم فيها، وذلك بالقطع لمن وقع له النص في ذلك، وبالعموم لمن لم يرد النص فيهم.

٩- محبتهم وموالاتهم واتباعهم في صالح الأعمال،... لأن المرء مع من أحب، فهم مع رسول الله ﷺ -كما جاء في النص الذي مر ذكره- فمن أراد أن يكون مع رسول الله ﷺ فليحبهم ويواليهم، لأن محبَّه ﷺ لابد أن يكون معهم، لأنهم مع رسول الله ﷺ، فمَن مَن يحبهم و لم يوالهم فلن يكون معه ﷺ تحت لوائه ﷺ، لأنه في معيته، فكيف يكون العدو مع عدوه في تلك الزمرة؟ بإذن الله تعالى.

١٠- بيان فضلهم ومآثرهم ومناقبهم ومَنْزلتهم ومكانتهم في دين الله تعالى، وإبراز ما جاء في كتاب الله عز وجل وفي سنة رسوله الكريم ﷺ في ذلك، وإعلانه للناشئة، حتى يعلموا مكانتهم ومَنْزلتهم، لأن هذا واجب في حق من يعلم ذلك، ولهذا عمد كثيرٌ من العلماء رحمهم الله تعالى إلى تأليف الكتب في بيان فضلهم ومناقبهم ومآثرهم،... رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، وما هذا الكتاب وفضائل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم إلاّ حلقة في هذا السلك الكريم.

١١- القطع بأنهم خير قرون بني آدم من زمن آدم عليه السلام، كما أنهم

خير قرون هذه الأمة، كما جاء عنه ﷺ -في الصحيحين وغيرهما- عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم، لأن الحديث متواتر(٢٠٤٧).

١٢- الحكم بعدالتهم رضي الله تعالى عنهم، سواء وهم في حياته ﷺ، أو بعد وفاته ﷺ، وقد انعقد الإجماع على ذلك، كما سبق بيانه.

١٣- الدعاء لهم رضي الله تعالى عنهم، والاستغفار لهم، والترضي عنهم، والترحم عليهم،... لأن ذلك من صفات من أراد أن يشمله رضوان الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾(٢٠٤٨).

١٤- الإمساك عما وقع بينهم رضي الله تعالى عنهم، فهم كلهم مأجورون مثابون، فللمصيب أجران، وللمخطئ أجرٌ واحد.

١٥- ومع اعتقادنا بعدالتهم رضي الله تعالى عنهم؛ فإنه لا يعني القول بعصمتهم، فهم بشر يصيبون ويخطئون، لكن المخطئ فيهم يوفق للرجوع، والتوبة والإنابة، أو يقع ذَنْبه مغفوراً، وخطؤه معفوّاً عنه، أو يوفّقون لعدم وقوع الخطأ منهم، لسابق رضاء الله تعالى ومحبته لهم، وإخباره بإيمانهم، حتى يختم لهم بالإيمان والعمل الصالح، فيكونون من أهل الجنة بإذن الله تعالى.

ويكون ذلك على ميزان قوله ﷺ فيما يرويه عن الله عز وجل عن أهل

(٢٠٤٧) انظر: الأزهار المتناثرة (٤٠رقم ١٠٦) وقطف الأزهار (رقم ١٠٨) ولقط اللآلئ المتناثرة (٧٢-٧٤ رقم ٢١) ونظم المتناثر (١٢٧رقم٢٤٠) وإتحاف ذوي الفضائل المشتهرة (١٣٣-١٣٤) وعظيم قدره ﷺ ورفعة مكانته عند ربه عز وجل، رقم (٤٠).

(٢٠٤٨) سورة الحشر (١٠).

بدر: (افعلوا ما شئتم فقد غفرت لكم) ونحوه، والله تعالى أعلم.

١٦- التحذير من سبهم رضي الله تعالى عنهم، أو بغضهم، أو الحقد عليهم، أو النيل منهم، أو التشهير بهم، أو التنقيص منهم رضي الله تعالى عنهم،... فهذا كله حرام، وفاعله فاسق ضال، يجب تعزيره، إذا فعل ذلك لشخص واحد منهم.

أما إذا فعل ذلك مع مجموعهم؛ أو أنكر ما عُلم به بالقطع،... كتبرئة عائشة رضي الله تعالى عنها، أو كصحبةِ الصديق رضي الله تعالى عنه، أو الطعن في صحبة الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم، أو تكفيرهم. ونحو ذلك فهذا كله كفر، والعياذ بالله تعالى، وفاعله كافر حلال الدم، خارج من الملة.

١٧- العمل على إحياء سيرهم، والتخلق بأخلاقهم الفاضلة، والتحلي بصفاتهم الجميلة، وأحوالهم العالية،... وذلك بمعرفة سيرهم، وإحياء أسمائهم رضي الله تعالى عنهم،... وهذا ما أكرمني الله عز وجل به، حيث كنت قبل خمس وأربعين عاماً، أُكّني كلاً من يحضر عندي في الدرس من الشباب العُزّاب بأسماء الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ثم أطلب من كل واحد منهم أن يدرس سيرة ذلك الصحابي الذي كُنّي به، ويعرف أخلاقه وأوصافه وأحواله ومقامه في هذا الدين، ليتصف بذلك،... الخ.

١٨- لقد قال رسول الله ﷺ -كما في حديث **عبد الله بن عُمر رضي الله تعالى عنهما-: (من صنع -أو أهدى- إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا، فادعوا له، حتى تعلموا أن قد كافأتموه).** رواه الطَّيالِسي وابن أبي شيبة وأحمد

والبخاري في الأدب المفرد وأبو داود والنَّسائي، وصححه ابن حِبّان والحاكم وأقره الذهبي[(٢٠٤٩)].

فهل يوجد -بعد رسول الله ﷺ- من صنع معروفاً للأمة بمثل ما قدّمه الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم، فهم الدين نقلوا لنا القرآن الكريم والسنة النبوية، فبقدر محبة المرء لدينه يوقّر ويعظّم ويشكر من نقله إليه.

أسأله تعالى أن يرزقنا حسن الظن بهم، والوقوف مع الأدب معهم.

كما أسأله سبحانه وتعالى المبتدئ لنا بنعمة قبل استحقاقها، المديمها علينا بأفضاله مع تقصيرنا، الجاعلنا في خير أمة أخرجت للناس، أن يأخذ بأسماعنا وقلوبنا وألسنتنا إلى طاعته، وأن يملك لنا أنفسنا وألسنتنا وجميع جوارحنا عما يخالف طاعته، وأن لا يكلنا إلى أنفسنا، وأن يحضرنا بالعصمة والتوفيق، وينطق ألسنتنا بالحق الذي لا تخالطه الشبه، ولا تميل به الأهواء، ولا تخونه الغفلات.

اللهم اجعل كلّ عملي خالصاً لوجهك الكريم، وازدد عليَّ كرامة، واجعلني في عبادك الصالحين.

اللهم لا تجعلني شقياً ولا محروماً، اللهم لا تعذب لساناً يخبر عنك، ولا يداً تكتب وحيك، ولا عيناً تنظر في علوم تدلُّ عليك، ولا قدماً تمشي إلى

(٢٠٤٩) مسند الطّيالسي (٢٥٧رقم١٨٩٥) ومصنف ابن أبي شيبة (٣: ٢٢٨) ومسند أحمد (٢: ٦٨، ٩٥-٩٦، ٩٩، ١٢٧) والأدب المفرد (٨٧ رقم ٢١٦) وسنن أبي داود: كتاب الزكاة: باب عطية من سأل بالله، وكتاب الأدب: باب في الرجل يستعيذ من الرجل، رقم (١٦٧، ٥١٠٩) وسنن النَّسائي: كتاب الزكاة: باب من سأل بالله عز وجل (٥: ٨٢) وصحيح ابن حبّان (٥: ١٧٣) والمستدرك (١: ٤١٢) (٢: ٦٣-٦٤) والسنن الكبرى للبيهقي (٤: ١٩٩) والآداب له (١٦١-١٦٢).

طاعتك وخدمتك، ولا قلباً يحبك، ولا جسداً يخضع لك.

اللهم لا تدخلني النار، ولا تفضحني فيها، فإنك تجد من تعذب غيري، ولا أجد من يرحمني سواك.

اللهم إنك تعلم أني قد أطعتُك في أحب الأشياء إليك أن تطاع فيه: الإيمانِ بك وبرسولك ﷺ، ولم أعصك في أبغض الأشياء إليك أن تعصى فيه: الكفرِ بك والجحودِ بك وبرسولك ﷺ، اللهم فاغفر لي ما بينهما.

اللهم إنك قلت في كتابك الكريم: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ وأنا أقسم بالله جهد أيماني لتبعثن من يموت، أَفَتَرَاكَ تجمع بين أهل القَسَمين في دار واحدة؟ فاغفر لي وارحمني يا كريم.

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك وأنعم على سيدنا ومولانا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه وذريته وآل بيته، وأتباعه، واسلكنا بسلكهم، وانظمنا بعقدهم، واحشرنا معهم، واجعلنا في زمرهم، إنك قادر على ذلك يا كريم.

والحمد لله رب العالمين.

المدينة المنورة
وكتب
أبو إبراهيم
خليل بن إبراهيم ملا خاطر العزّامي
نزيل المدينة المنورة



مصادر الكتاب

- القرآن الكريم.

- أ -

- الآحاد والمثاني، لابن أبي عاصم، ت الدكتور باسم فيصل الجوابرة، نشر دار الراية، الرياض.
- الآداب، للإمام البيهقي، ت محمد عبد القادر عطا، مكتبة عباس الباز، مكة المكرمة.
- آداب الشافعي ومناقبه، لابن أبي حاتم، ت الشيخ عبد الغني عبد الخالق، مصر.
- الإلماع، للقاضي عياض، ت السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة.وأخرى
- الآيات البينات بما في الإسراء والمعراج من الخوارق والمكرمات، خليل إبراهيم ملا خاطر، تحت الطبع.
- الإبهاج شرح المنهاج، للإمام السبكي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- إتحاف ذوي الفضائل المشتهرة، للشيخ عبد العزيز الغماري، ط مع الأزهار المتناثرة، القاهرة.
- الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة، للإمام الزركشي، ت الأستاذ سعيد الأفغاني، المكتب الإسلامي، دمشق.

- الأحاديث المختارة، للحافظ الضياء المقدسي، ت الدكتور عبد الملك بن دهيش.
- الإحكام في أصول الأحكام، للإمام ابن حزم الظاهري، ت.د إحسان عباس، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- الإحكام في أصول الأحكام، للآمدي، ط مؤسسة الحلبي وشركاه، القاهرة.
- إتحاف الخيرة المهرة، للإمام البوصيري، ت عادل سعد، والسيد محمود، مكتبة الرشد، بالرياض.
- إتحاف السادة المتقين، للزبيدي، تصوير دار الفكر، بيروت.
- إتحاف المهرة، للحافظ ابن حجر، نشر وزارة الأوقاف، بالمدينة المنورة.
- أخبار أبي حنيفة وأصحابه، للصيمري، نشر دار الكتاب العربي، بيروت.
- أخبار أصبهان، للحافظ أبي نعيم الأصبهاني، نشر الدار العلمية، الهند.
- أخبار مدينة الرسول ﷺ = الدرة الثمينة، للحافظ محمد بن محمود النجار، ت صالح محمد جمال، مكة المكرمة.
- اختصار علوم الحديث، للإمام ابن كثير الدمشقي، بشرح الشيخ أحمد شاكر، القاهرة.
- اختلاف الحديث، للإمام الشافعي، ت عامر أحمد حيدر، بيروت.
- أخلاق العلماء، للآجري، دار الكاتب العربي
- أدب الإملاء والاستملاء، للإمام السمعاني، ت أحمد محمد محمود، جدة.
- الأدب المفرد، للإمام البخاري، تقديم وترتيب كمال يوسف الحوت، ط عالم الكتب، بيروت.

- الأذكار، للإمام النووي، ت محمد رياض خورشيد، مكتبة الغزالي، وأخرى.
- إرشاد الساري شرح صحيح البخاري، للقسطلاني، ط الميرية.
- إرشاد طلاب الحقائق، للإمام النووي، ت الدكتور عبد الباري فتح الله السلفي، مكتبة الإيمان، بالمدينة المنورة.
- إرشاد الفحول، للشوكاني، ط مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.
- الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة، للإمام السيوطي، نشر مطبعة دار التأليف، القاهرة.
- أسباب النُّزول، للإمام الواحدي، ت السيد أحمد صقر، دار القبلة.
- الاستيعاب، للحافظ ابن عبد البر، بحاشية الإصابة، الطبعة القديمة.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير الجزري، ط دار الفكر، بيروت.
- الأسرار المرفوعة، لملا علي القاري، ت.د. محمد لطفي الصباغ.
- الأسماء المبهمة، للخطيب البغدادي، ت.د.عزالدين السيد، مكتبة الخانجي.
- الأسماء والصفات، للإمام البيهقي، ت الشيخ زاهد الكوثري، ط القاهرة.
- الإصابة في تمييز الصحابة، للحافظ ابن حجر، ت البجاوي، ط دار نهضة مصر، القاهرة.
- أصول السرخسي، ت أبو الوفا الأفغاني، ط الهند.
- أصول الفقه، لأبي زهرة، دار الفكر العربي.
- أصول الكافي = الكافي، للكليني.
- أطراف مسند الإمام أحمد، للحافظ ابن حجر، ت. د. زهير الناصر،

دار ابن كثير ودار الكلم الطيب.
- الاعتقاد، للإمام البيهقي.
- إعراب القرآن، للإمام أبي جعفر النحاس، ت الدكتور زهير غازي زاهد، عالم الكتب ومكتبة النهضة.
- أعلام الحديث، للإمام الخطابي، ت الدكتور محمد سعد عبد الرحمن، نشر مركز إحياء التراث، مكة المكرمة.
- أعلام الموقعين، لابن القيم، تصوير دار الجيل للنشر، بيروت.
- الإقناع في القراءات السبع، لابن الباذش، ت الدكتور عبد المجيد قطامش، نشر مركز البحث العلمي، مكة المكرمة.
- إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض، ت. د. يحيى إسماعيل، دار الوفاء.
- الأم، للإمام الشافعي، ط دار الشعب، القاهرة.
- الإمام البخاري رحمه الله تعالى والرواية عن أئمة آل البيت، خليل إبراهيم ملا خاطر، تحت الطبع.
- الإمام الشافعي وأثره في الحديث وعلومه، خليل إبراهيم ملا خاطر.
- الأمانة العظمى ونبيها ﷺ، خليل إبراهيم ملا خاطر، دار القبلة، جدة.
- أمية النبي الكريم ﷺ، خليل إبراهيم ملا خاطر، دار القبلة، جدة.
- الإنصاف، لابن عبدالبر، ت عبداللطيف المغربي، أضواء السلف، الرياض.
- الأوائل، للإمام أبي عاصم، ت محمد ناصر العجمي، دار الخلفاء، الكويت
- الإيمان، للإمام ابن منده، ت الدكتور علي ناصر الفقيهي، نشر المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

- ب -

- الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، للشيخ أحمد شاكر، القاهرة.
- البحر الزخار = مسند البزار، للإمام البزار، ت الدكتور محفوظ الرحمن زين الله، نشر مؤسسة علوم القرآن ومكتبة العلوم والحكم.
- البحر المحيط، للإمام أبي حيان، نشر مكتبة النصر، الرياض.
- البداية والنهاية، للحافظ ابن كثير الدمشقي، نشر مكتبة النصر بالرياض ومكتبة المعارف ببيروت.
- بدعة دعوى الاعتماد على الكتاب دون السنة، خليل إبراهيم ملا خاطر، تحت الطبع.
- بر الوالدين، خليل إبراهيم ملا خاطر، دار القبلة، جدة.
- البرهان، للإمام الجويني، ت.د.عبد العظيم الديب، دار الأنصار، القاهرة.
- البعث والنشور، للإمام البيهقي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.
- بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، للحافظ الهيثمي، ت الدكتور حسين الباكري، نشر مركز السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

- ت -

- تاريخ الإسلام، للحافظ الذهبي، ت.د عمر التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت.
- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، ط الخانجي، مصر.
- تاريخ مدينة دمشق، للحافظ ابن عساكر، ت.عمر العمروي، دار الفكر.
- تاريخ أبي زرعة، ت شكر الله القوجاني، مجمع اللغة العربية، بدمشق.

- تاريخ الطبري=تاريخ الأمم والملوك، تصوير دار الكتب العلمية، بيروت.
- التاريخ الكبير، للإمام البخاري، دائرة المعارف العثمانية، الهند.
- تاريخ المدينة = أخبار المدينة، لابن شبة، ت الدكتور فهيم شلتوت، نشر السيد حبيب محمود، المدينة المنورة.
- التبصرة، للشيرازي، ت. د. محمد حسن هيتو، نشر دار الفكر، دمشق.
- التبصرة في القراءات السبع، للإمام مكي بن أبي طالب، نشر المكتبة السلفية، الهند.
- تبييض الصحيفة بمناقب الإمام أبي حنيفة، للحافظ السيوطي، باكستان.
- التحرير مع التيسير، لابن همّام الإسكندري، مكتبة المعارف، الرياض.
- تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، للحافظ المزي، ت عبد الصمد شرف الدين، ط الدار القيمة.
- تخريج أحاديث الكشاف، للإمام الزيلعي، ت سلطان الطبيشي، دار ابن خزيمة، الرياض.
- تدريب الراوي شرح تقريب النووي، للحافظ السيوطي، ت الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الكتب العلمية، القاهرة.
- تدوين السنة من العهد النبوي إلى زمن التابعين، خليل إبراهيم ملا خاطر
- التراتيب الإدارية، السيد عبد الحي الكتاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الترغيب والترهيب، للحافظ المنذري، دار الفكر، بيروت.
- الترغيب والترهيب، للإمام الأصبهاني، ت أيمن صالح شعبان، نشر دار الحديث، القاهرة.

- تعظيم قدر الصلاة، للإمام المروزي، ت الدكتور عبد الرحمن الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة.
- تغليق التعليق، للحافظ ابن حجر، ت سعيد عبد الرحمن القزقي، المكتب الإسلامي ودار عمار.
- تفسير ابن أبي حاتم، ت أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة.
- تفسير الألوسي = روح المعاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- تفسير البغوي = معالم التنْزيل، ت خالد العك، ومروان سوار، دار المعرفة، بيروت.
- تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم، ت عبد القادر عطا، الرياض.
- تفسير الطبري = جامع البيان، ت أحمد شاكر، دار المعارف، القاهرة.
- تفسير عبدالرزاق، ت. د محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية، بيروت.
- تفسير القرطبي = جامع أحكام القرآن، نشر دار الكتاب العربي، القاهرة.
- تفسير الإمام ابن كثير. دار الفكر، بيروت.
- تفسير الماوردي = النكت والعيون، ت السيد بن عبد المقصود، نشر مكتبة المؤيد، الرياض.
- تفسير الإمام النسائي. ت سيد الجليمي، وصبري الشافعي، مكتبة السنة، القاهرة.
- تقريب التهذيب، للحافظ ابن حجر، ت الشيخ محمد عوامة، نشر دار الرشيد، حلب.
- التقريب والتيسير، للإمام النووي، بشرح تدريب الراوي.

- التقصي = تجريد التمهيد، للحافظ ابن عبد البر، مكتبة القدسي، القاهرة.
- تقييد العلم، للخطيب البغدادي، ت.د يوسف العش، دار إحياء السنة النبوية.
- التقييد والإيضاح، للحافظ العراقي، نشر المكتبة السلفية، المدينة المنورة.
- تخليص المستدرك، للحافظ الذهبي، بحاشية المستدرك.
- التلخيص الحبير، للحافظ ابن حجر، نشر السيد عبد الله هاشم يماني، المدينة المنورة.
- تلقيح فهوم أهل الأثر، لابن الجوزي، مكتبة الآداب ومطبعتها، القاهرة.
- التمهيد، للحافظ ابن عبد البر، نشر وزارة الأوقاف،... المغرب.
- التمهيد، للكلوذاني، ت. د. محمد علي إبراهيم، نشر مركز البحث العلمي، بجامعة أم القرى.
- تنْزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الموضوعة، لابن عراق، ت الشيخ عبدالوهاب عبد اللطيف والشيخ عبد الله الغماري، القاهرة.
- تنقيح المقال في أحوال الرجال، للمامقاني، المطبعة المرتضوية، النجف.
- تهذيب الآثار، للإمام الطبري، ت الشيخ محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي.
- تهذيب الأسماء واللغات، للإمام النووي، إدارة المطبوعات المنيرية، القاهرة.
- تهذيب التهذيب، للحافظ ابن حجر، دائرة المعارف النظامية، الهند.
- تهذيب سنن أبي داود، لابن القيم، بحاشية مختصر سنن أبي داود، ومعالم السنن.
- تهذيب الكمال، للحافظ المزي، ت.د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة.

- التواضع والخمول، لابن أبي الدنيا، ت محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية
- توجيه النظر إلى أصول الأثر، للشيخ طاهر بن صالح الجزائري.
- توضيح الأفكار، للصنعاني، ت محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة.
- تيسير التحرير، لأمير بادشاه، مع التحرير، مكتبة المعارف، الرياض.

-ث-

- الثقات، لابن حبان، ط دائرة المعارف العثمانية، الهند.
- الثقات = تاريخ أسماء الثقات، لابن شاهين، الدار السلفية، الكويت.
- ثلاثيات الإمام الشافعي، الشيخ خليل ملا خاطر، دار القبلة، جدة.

-ج-

- الجامع لأخلاق الراوي، للخطيب البغدادي، نسختان،
- جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، لابن الأثير الجزري، ت الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، نشر الملاح.
- جامع بيان العلم، للحافظ ابن عبد البر، المكتبة العلمية، المدينة المنورة.
- جامع التحصيل، للحافظ العلائي، ت الشيخ حمدي السلفي، نشر وزارة الأوقاف، بالعراق.
- الجامع الصغير، للحافظ السيوطي، دار الفكر، بيروت.
- الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم الرازي، ط دائرة المعارف العثمانية، الهند.
- الجمع بين الصحيحين، للحميدي، ت. د. علي حسين البواب، بيروت.
- جمع الجوامع، للإمام السبكي، بحاشية العطار.

- الجهاد، لابن أبي عاصم، ت مساعد الحميد، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.
- جوامع السيرة، لابن حزم، ت.د إحسان عباس، د. ناصر الأسد. باكستان.
- الجواهر المنيفة في أدلة مذهب الإمام أبي حنيفة، للزبيدي، مطبعة الشبكشي بالأزهر، نشر عبد الله هاشم اليماني.

-ح-

- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، لابن القيم الجوزية، مكتبة المتنبي، القاهرة.
- حاشية السندي على النسائي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بحاشية السيوطي على سنن النسائي.
- حاشية السيوطي على سنن النسائي، دار إحياء الترا ث العربي، بيروت.
- الحب المتبادل، خليل إبراهيم ملا خاطر، دار القبلة، جدة.
- حجية الحديث المرسل عند الإمام الشافعي، خليل إبراهيم ملا خاطر، دار القبلة، جدة.
- الحديث المتواتر، خليل إبراهيم ملا خاطر، دار المطبوعات الحديثة، جدة
- الحديث والمحدثون، د. محمد محمد أبو زهو، مطبعة مصر، القاهرة.
- حلية الأولياء، للحافظ أبي نعيم، نشر مكتبة الخانجي، ومطبعة السعادة، مصر

-خ-

- خصائص الإمام علي رضي الله عنه، للإمام النسائي، طبعتان.
- الخصائص الكبرى، للحافظ السيوطي، تصوير دار الكتب العلمية عن الطبعة الهندية.

- خطورة مساواة الحديث الضعيف بالموضوع، خليل إبراهيم ملا خاطر، دار القبلة، جدة.
- خلاصة الأحكام، للإمام النووي، ت حسين إسماعيل الجمل، مؤسسة الرسالة.
- الخلاصة، للإمام الطيبي، ت السيد صبحي السامرائي، عالم الكتب، بيروت.

- د -

- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للحافظ السيوطي، دار الفكر.
- دراسات في الحديث النبوي، الدكتور مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي.
- دلائل النبوة، للحافظ أبي نعيم، ت الدكتور محمد رواس قلعجي، المطبعة العربية، حلب.
- دلائل النبوة، للإمام البيهقي، ت الدكتور عبد المعطي القلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- دلائل النبوة، للإمام التيمي، ت محمود الحداد، دار طيبة، الرياض.
- دلائل النبوة في غزوة الخندق، خليل إبراهيم ملا خاطر، تحت الطبع.

- ر -

- راز دلبران، عبد الرحمن سربازي جاهاري، مركز بخش جاهار، إيران.
- رجال الكشي، ط مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، كربلاء.
- الرحلة في طلب الحديث، للخطيب البغدادي، ت. د. نور الدين عتر.
- الرحمة المهداة ﷺ، خليل إبراهيم ملا خاطر، دار القبلة، جدة.
- رحمة النبي الكريم ﷺ بالكفار، خليل إبراهيم ملا خاطر، دار القبلة، جدة.

- الردة قديمها وحديثها، خليل إبراهيم ملا خاطر، مخطوط.
- الرسالة، للإمام الشافعي، ت الشيخ أحمد شاكر، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.
- روح البيان، لإسماعيل حقي، تصوير بيروت.
- روضة الناظر، لابن قدامة، ت. د. عبد العزيز سعيد، ط الرياض.
- الرياض المستطابة في جملة من روى في الصحيحين من الصحابة، للإمام يحيى العامري اليمني، ت محمد الديراوي، مكتبة المعارف، بيروت.
- الرياض النضرة في مناقب العشرة، للمحب الطبري، دار الكتب العلمية.

- ز -

- زاد المسير في علم التفسير، للإمام ابن الجوزي، ت الدكتور محمد عبد الرحمن عبد الله، دار الفكر، بيروت.
- زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية، ت الشيخ شعيب والشيخ عبد القادر، مؤسسة الرسالة.
- الزهد، للإمام أحمد بن حنبل، تصوير دار الكتب العلمية، بيروت.
- الزهد والرقائق، للإمام عبد الله بن المبارك، ت الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي.
- الزهد، لهناد بن السري، ت عبد الرحمن الفريوائي، دار الخلفاء، الكويت.
- زواج السيدة عائشة رضي الله عنها ومشروعية الزواج المبكر، خليل إبراهيم ملا خاطر، دار القبلة، جدة.

- س -

- ساكن المدينة المنورة-منزلته ومسؤوليته، خليل إبراهيم ملا خاطر، دار القبلة.

- سبل الهدى والرشاد، للإمام الصالحي، ت الشيخ عادل عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت.
- سلسلة الذهب، خليل إبراهيم ملا خاطر، دار القبلة، جدة.
- السنة، لابن أبي عاصم، ت.د باسم الجوابرة، دار الصميعي، ونسخة الشيخ ناصر الألباني.
- السنة، للخلال، ت. د. عطية الزهراني، دار الراية، الرياض.
- السنة قبل التدوين، للدكتور محمد عجاج الخطيب، دار الفكر.
- السنة النبوية وحي، خليل إبراهيم ملا خاطر، تحت الطبع.
- سنن الإمام الترمذي، ت الشيخ أحمد شاكر وآخرين، تصوير المكتبة الإسلامية، بيروت، مع نسخة حمص ونسخة عارضة الأحوذي ونسخة تحفة الأحوذي.
- سنن الدارقطني، ت السيد عبد الله هاشم اليماني، المدينة المنورة.
- سنن الدارمي، ت السيد عبد الله هاشم اليماني، المدينة المنورة.
- سنن أبي داود، ت الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر دار إحياء السنة النبوية.
- سنن سعيد بن منصور، ت الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، والطبعة الجديدة.
- سنن الإمام الشافعي، ت خليل إبراهيم ملا خاطر، دار القبلة، جدة.
- السنن الكبرى، للإمام البيهقي، ط دائرة المعارف العثمانية، الهند.
- السنن الكبرى، للإمام النسائي، ت الدكتور عبد الغفار البنداري وسيد كسروي، دار الكتب العلمية.

- سنن ابن ماجه، ت الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.
- سنن النسائي، بحاشيتي السيوطي والسندي.
- سير أعلام النبلاء، للحافظ الذهبي، مؤسسة الرسالة.
- السير والمغازي، لابن إسحق، ت. د سهيل زكار، دار الفكر.
- السيرة النبوية، لابن حبان، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.
- السيرة النبوية، لابن كثير، ت مصطفى عبدالواحد، دار المعارف، بيروت.
- السيرة النبوية، لابن هشام، بشرح الروض الأنف، وكذا بشرح الخشني.
- السيف المسلول، للإمام السبكي، ت إياد أحمد الغوج، دار الفتح، عَمان.

- ش-

- الشافي شرح مسند الشافعي، مخطوط، وقد أعددتُ بعضَه للطبع.
- شبهات حول السنة ودحضها، خليل إبراهيم ملا خاطر، دار القبلة، جدة.
- شرح الأُبي على صحيح مسلم، مع شرح السنوسي.
- شرح أربعين باباً من سنن الترمذي، خليل إبراهيم ملا خاطر، تحت الطبع.
- شرح ألفية الحديث، للحافظ العراقي، ط المغرب.
- شرح السنة، للإمام البغوي، نشر المكتب الإسلامي، بيروت.
- شرح السنوسي على صحيح مسلم، مع شرح الأبي.
- شرح الشفاء، لملا علي القاري، بحاشية الخفاجي.
- شرح صحيح البخاري، للإمام النووي، ط أولى.
- شرح صحيح مسلم، للإمام النووي، ط مطبعة حجازي، القاهرة.
- شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، ت المفتي عبد الغفار ونعيم أشـــرف،

نشر دار القرآن والعلوم الإسلامية، باكستان.
- شرح العلل، لابن رجب الحنبلي، ت السيد صبحي السامرائي.
- شرح الكوكب المنير، لابن النجار الحنبلي، ط جامعة أم القرى، بمكة المكرمة.
- شرح مشكل الآثار، للإمام الطحاوي، ت الشيخ شعيب، مؤسسة الرسالة.
- شرح معاني الآثار، للإمام الطحاوي، ت محمد زهدي النجار، تصوير بيروت.
- شرح مقدمة الإمام النووي على شرح صحيح مسلم، خليل إبراهيم ملا خاطر، مكتبة المدينة النورة، المدينة المنورة.
- شرف أصحاب الحديث، للخطيب البغدادي، ت. د. محمد سعيد أوغلو، تركيا
- الشريعة، للإمام الآجري، ت.د عبد الله الدميجي، دار الوطن، الرياض.
- شعب الإيمان، للإمام البيهقي، ت بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الشفاء، للقاضي عياض، ت علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي.
- الشمائل، للإمام البغوي = الأنوار في شمائل النبيِّ المختار، للإمام البغوي. ت: الشيخ إبراهيم اليعقوبي، نشر دار الضياء، بيروت.
- شمائل الرسول ﷺ، للإمام ابن كثير، ت مصطفى عبد الواحد، نشر دار القبلة ومؤسسة علوم القرآن.
- شمائل الرسول الأمين ﷺ، خليل إبراهيم ملا خاطر، تحت الطبع.
- الشمائل المحمدية، للإمام الترمذي، ت الشيخ محمد عوامة، بيروت.

- الشوق إلى رسول الله ﷺ من الجذع إلى ثوبان، خليل إبراهيم ملا خاطر، تحت الطبع.
- شوق الجمادات واستجابتها له ﷺ، خليل إبراهيم ملا خاطر، تحت الطبع.

- ص-

- الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ، للشيخ ابن تيمية، ت الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد.
- صب العذاب على من سب الأصحاب، للألوسي، ت.عبد الله البخاري، أضواء السلف.
- الصحاح، للجوهري، ت أحمد عبد الغفور عهطار، دار العلم للملايين.
- صحيح الإمام البخاري، بشرح فتح الباري، ط السلفية، ونسخة اسطنبول.
- صحيح ابن حبان = الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، مؤسسة الرسالة.
- صحيح ابن خزيمة، ت.د محمد مصطفى الأعظمي، نشر المكتب الإسلامي
- صحيح مسلم، ت الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي، ط عيسى البابي الحلبي.
- صفات المؤمنين في ضوء السنة النبوية، خليل إبراهيم ملا خاطر، تحت الطبع.
- صفة الجنة، للإمام أبي نعيم، ت علي رضا عبد الله، نشر دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت.
- الصواعق المحرقة، للإمام ابن حجر الهيتمي، دار الكتب العلمية، بيروت.

- ط-

- الطبقات الكبرى، لابن سعد، ت.د إحسان عباس، ط دار صادر، بيروت.

- طبقات المحدثين بأصبهان، لأبي الشيخ، ت.د عبد الغفار البنداري وسيد كسروي، دار الكتب العلمية، ورجعت إلى النسخة الأخرى.
- طرح التثريب، للحافظ العراقي، دار الفكر العربي.

-ع-

- العجالة السنية، للمناوي، ت الشيخ إسماعيل الأنصاري، مؤسسة النور.
- عشرة النساء، للإمام النسائي، ت عمرو علي عمر، مكتبة السنة، القاهرة.
- العظمة، لأبي الشيخ، ت رضا الله المباركفوري، نشر دار العاصمة.
- عظيم قدره ﷺ ورفعة مكانته عند ربه عز وجل، خليل إبراهيم ملا خاطر، دار القبلة، جدة، الطبعة الحادية عشرة.
- عقود الجمان، محمود بن يوسف الصالحي، لجنة إحياء المعارف النعمانية، الهند.
- عقيدة الإمام الطحاوي، وهو بشرح ابن أبي العز، ط المكتب الإسلامي.
- علل الترمذي الكبير، ت حمزة ديب مصطفى، نشر مكتبة الأقصى، عمان.
- علل الحديث، لابن أبي حاتم، تصوير مكتبة المثنى، بغداد.
- العلل ومعرفة الرجال، للإمام أحمد بن حنبل، ط المكتبة الإسلامية،
- العلل الواردة في الأحاديث النبوية، للإمام الدارقطني، ت الدكتور محفوظ الرحمن زين الله، نشر دار طيبة، الرياض.
- العلم، لأبي خيثمة.
- علوم الحديث، للإمام ابن الصلاح، ت الدكتور نور الدين عتر، نشر المكتبة العلمية، المدينة المنورة.
- العلوم والإيمان، خليل إبراهيم ملا خاطر، دار القبلة، جدة.

- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للإمام العيني، الطبعة المنيرية.
- عمل اليوم والليلة، لابن السني، ت الدكتور عبدالرحمن كوثر عاشق إلهي.
- عمل اليوم والليلة، للإمام النسائي، ت الدكتور فاروق حمادة، الرباط.
- عيون الأثر، لابن سيد الناس، دار المعرفة، بيروت.

- غ-

- الغاية في شرح الهداية في علم الرواية، للإمام السخاوي، ت محمد سيدي محمد محمد الأمين، دار القلم والدار الشامية.
- غاية الوصول، لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، عيسى البابي الحلبي، القاهرة.
- الغرباء، للإمام الآجري، ت بدر البدر، نشر دار الخلفاء للكتاب... الكويت.
- غريب الحديث، للإمام الخطابي، ت عبد الكريم العزباوي، نشر جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
- غريب الحديث، لأبي عبيد، دائرة المعارف العثمانية، الهند.

- ف-

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر، نشر المكتبة السلفية.
- فتح الباقي شرح ألفية العراقي، لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، بأسفل شرح العراقي.ط المغرب.
- الفتح الرباني، للبنا الساعاتي، مصر.
- فتح القدير، للشوكاني، دار الفكر.

- الفتح الكبير، للنبهاني، ط مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.
- فتح المغيث، للحافظ السخاوي، نشر المكتبة السلفية، المدينة المنورة.
- الفتن، لنعيم بن حماد، ت سمير الزهيري، مكتبة التوحيد، القاهرة.
- فرق الشيعة، للنوبختي، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- فضائل بلاد الشام، خليل إبراهيم ملا خاطر، تحت الطبع.
- فضائل الصحابة، للإمام أحمد بن حنبل، ت وصي الله محمد عباس، نشر مركز البحث العلمي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
- فضائل الصحابة، للإمام النسائي، ت الدكتور فاروق حمادة، نشر دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب.
- فضائل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم، خليل إبراهيم ملا خاطر، دار القبلة، جدة.
- فضائل المدينة المنورة، للإمام الجندي، ت محمد مطيع الحافظ وغزوة بدير، دار الفكر، دمشق.
- فضائل المدينة المنورة، خليل إبراهيم ملا خاطر، نشر دار القبلة، وآخرين.
- فضائل النبي الكريم ﷺ كما وردت في القرآن العظيم، خليل إبراهيم ملا خاطر، تحت الطبع.
- فضل أهل البيت وحقوقهم ، لابن تيمية ، ت أبي تراب الظاهري، دار القبلة.
- الفقيه والمتفقه، للخطيب البغدادي، ت الشيخ إسماعيل الأنصاري، الرياض
- فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت، بحاشية المستصفى.

- فوائد تمام، ت حمدي السلفي، نشر مكتبة الرشد، الرياض.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير، للحافظ المناوي، ط القاهرة.

- ق -

- قاموس الرجال، للتستري، نشر مركز نشر الكتاب، طهران.
- قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة، للحافظ السيوطي، نشر المكتب الإسلامي، بيروت.
- قفو الأثر، لابن الحنبلي، ت الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، بحلب.
- قواطع الإسلام، لابن حجر المكي.

- ك -

- الكامل، لابن عدي، دار الفكر، بيروت.
- كتاب التوحيد، لابن خزيمة، ت. د. عبد العزيز الشهوان، مكتبة الرشد، الرياض.
- كتاب الدعاء، للإمام الطبراني، ت. د. محمد سعيد البخاري، دار البشائر...
- كتاب العلل ومعرفة الرجال، للإمام أحمد بن حنبل، ط تركيا،
- كتاب الغريبين، لأبي عُبيد الهروي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.
- كتاب المرض والكفارات، لابن أبي الدنيا، ت عبد الوكيل الندوي، الهند.
- الكشاف، للإمام الزمخشري، دار المعرفة.
- كشف الأستار بزوائد البزار، للحافظ الهيثمي، ت الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، ط مؤسسة الرسالة.

- كشف الخفاء، للعجلوني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الكفاية، للخطيب البغدادي، نشر دار الكتب الحديثة، القاهرة.
- الكنى والأسماء، للدولابي، تصوير دار الكتب العلمية، بيروت.
- كَنْز العمال، للعلامة علي المتقي الهندي، نشر مكتبة التراث الإسلامي، حلب.

- ل -

- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت.
- لسان الميزان، للحافظ ابن حجر، ط دائرة المعارف النظامية، الهند.
- لقط الآلىء المتناثرة في الأحاديث المتواترة، للزبيدي، ط دار الكتب العلمية.

- م -

- مجابو الدعوة، لابن أبي الدنيا، ت مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن، مصر، ونسخة بيروت.
- مجمع البحرين في زوائد المعجمين، للحافظ الهيثمي، ت عبد القدوس محمد نذير، مكتبة الرشد، الرياض.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ الهيثمي، نشر دار الكتاب، بيروت.
- مجمل اللغة، لابن فارس، مؤسسة الرسالة.
- المجموع، للإمام النووي، ت وتكملة محمد نجيب المطيعي، ط الفجالة، مصر.
- محاسن الاصطلاح،لشيخ الإسلام سراج الدين البلقيني، ت بنت الشاطئ.
- محبة النبي ﷺ وطاعته بين الإنسان والجماد، خليل إبراهيم ملا خاطر، دار القبلة
- المحدث الفاصل، للإمام الرامهرمزي، ت. د.محمد عجاج الخطيب، دار الفكر.

- المحصول، للإمام الرازي، ت.د.طه جابر علواني، نشر جامعة الإمام.
- مختصر أشراط الساعة، خليل إبراهيم ملا خاطر، نشر دار القبلة، بجدة.
- مختصر تاريخ دمشق، لابن منظور، دار الفكر، دمشق.
- مختصر زوائد البزار، للحافظ ابن حجر، ت صبري عبد الخالق، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.
- المختصر في علم الأثر، للكافيجي، ت.د. علي زوين، دار الرشد، الرياض.
- مختصر التحفة الإثني عشرية، للآلوسي.
- مختصر سنن أبي داود، للحافظ المنذري، مطبوع مع معالم السنن.
- مختصر فضائل مكة المكرمة، خليل إبراهيم ملا خاطر، تحت الطبع.
- المدخل إلى أصول الحديث (ضمن الرسائل الكمالية).
- المدخل إلى السنن الكبرى، للإمام البيهقي، ط الكويت.
- المراسيل، لأبي داود، ت الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة.
- مسانيد فراس بن يحيى، للحافظ أبي نعيم، ت محمد الحسن المصري، القاهرة.
- مسائل الإمام أحمد، لابن هانئ، نشر المكتب الإسلامي، بيروت.
- المستدرك، للإمام الحاكم النيسابوري، تصوير أيمن دمج، بيروت.
- المستصفى، للإمام الغزالي، المطبعة التجارية، القاهرة.
- مسند ابن أبي أوفى، للحافظ يحيى بن صاعد، ت سعد عبد الله حميد، مكتبة الرشد، الرياض.
- مسند الإمام أحمد، تصوير المكتب الإسلامي، ودار صادر، ونسخة أحمد شاكر.

- مسند إسحق بن راهويه، ت. د. عبد الغفور البلوشي، توزيع مكتبة الإيمان، المدينة المنورة.
- مسند أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، للمروزي، ت الشيخ شعيب.
- مسند الحميدي، ت الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، ط باكستان.
- مسند الروياني، ت أيمن علي أبو يماني، مؤسسة قرطبة، ومكتبة دار الراية.
- مسند سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه، للدورقي، ت عامر صبري، دار البشائر الإسلامية.
- مسند الشاشي، للإمام أبي سعيد الهيثم بن كليب الشاشي، ت الدكتور محفوظ الرحمن زين الله، نشر مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.
- مسند الإمام الشافعي، ط بيروت.
- مسند الشاميين، للإمام الطبراني، ت الشيخ حمدي السلفي.
- مسند الشهاب، للإمام القضاعي، ت الشيخ حمدي السلفي، مؤسسة الرسالة.
- مسند ابن أبي شيبة، ت عادل العزازي وأحمد المزيدي، دار الوطن، الرياض.
- مسند الطيالسي، تصوير دار الكتاب اللبناني، ودار التوفيق، بيروت.
- مسند عبد بن حميد = المنتخب، ت السيد صبحي السامرائي، مكتبة السنة
- مسند عبد الله بن المبارك، ت السيد صبحي السامرائي، مكتبة السنة.
- مسند علي بن الجعد، ت.د عبد المهدي عبدالهادي، مكتبة الفلاح، الكويت.
- مسند عمر بن عبدالعزيز، للباغندي، ت الشيخ محمد عوامة، دار ابن كثير.
- مسند الفردوس، للديلمي، ت السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية.
- مسند أبي يعلى، ت الأستاذ حسين أسد، دار المأمون للتراث، دمشق.

- مشكاة المصابيح، بشرح الطيبي. ت المفتي عبد الغفار وآخر، باكستان.
- مصابيح السنة، للإمام البغوي، ت. د. يوسف مرعشلي وآخرين، دار المعرفة.
- مصباح الزجاجة إلى زوائد ابن ماجه، للإمام البوصيري، ت محمد المنتقى الكشناوي، دار العربية، بيروت.
- المصباح في أصول الحديث، السيد قاسم الأندجاني، مكتبة الزمان، المدينة المنورة.
- مصنف ابن أبي شيبة، نشر الدار السلفية، الهند.
- مصنف عبد الرزاق، ت الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، ط بيروت.
- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، للحافظ ابن حجر العسقلاني، النسخة المسندة، ورجعت إلى تحقيق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي.
- المعجم، لابن الأعرابي، ت الدكتور أحمد البلوشي، مكتبة الكوثر، الرياض
- المعجم، لابن المقرئ، ت عادل سعد، مكتبة الرشد، الرياض.
- المعجم الأوسط، للإمام الطبراني، ت طارق عوض الله وآخر، دار الحرمين.
- معجم الصحابة، لابن قانع، ت صلاح المصراتي، المدينة المنورة.
- المعجم الصغير = الروض الداني، للإمام الطبراني، ت محمد شكور إمرير.
- المعجم الكبير، للإمام الطبراني، ت الشيخ حمدي السلفي، ط بغداد.
- معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ت الأستاذ عبد السلام هرون، إيران.
- معرفة السنن والآثار، للإمام البيهقي، ت.د عبد المعطي القلعجي، دار الوعي.
- معرفة الصحابة، للحافظ أبي نعيم، ت الدكتور محمود راضي عثمان، نشر مكتبة الدار ومكتبة الحرمين.

- معرفة علوم الحديث، للإمام الحاكم، نشر المكتب التجاري، بيروت.
- المعرفة والتاريخ، للإمام الفسوي، ت. د.أكرم العمري، مؤسسة الرسالة.
- المغازي، للإمام الواقدي، ت مارسن جونس، عالم الكتب، بيروت.
- المغني في أصول الفقه، للخبازي، مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى.
- المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، للحافظ العراقي، ت أشرف عبد المقصود، مكتبة دار طبرية، الرياض.
- مفتاح الجنة، للحافظ السيوطي، مطابع الرشيد، المدينة المنورة.
- مقاتل الطالبيين، لأبي الفرج الأصفهاني، دار التربية، بغداد.
- المقاصد الحسنة، للحافظ السخاوي، ت الشيخ عبد الله بن الصِّدِّيق، مكتبة الخانجي، ومكتبة المثنى.
- المقالات والفرق، للقمي، ط طهران.
- مقدمة بذل المجهود، ت الشيخ محمد عاشق إلهي، معهد الخليل الإسلامي.
- مقدمة الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم، ط الهند.
- المقنع، للحافظ ابن الملقن، ت عبد الله جديع، دار فواز للنشر، الإحساء.
- مكانة الحرمين الشريفين، خليل إبراهيم ملا خاطر، نشر دار القبلة.
- مكانة الصحيحين، خليل إبراهيم ملا خاطر، دار القبلة، جدة.
- مكانة النبي الكريم ﷺ بين الأنبياء عليهم السلام، خليل إبراهيم ملا خاطر، دار القبلة، جدة.
- مناقب الأصحاب كما وردت في آي الكتاب، خليل إبراهيم ملا خاطر.
- مناقب الإمام الشافعي، للإمام البيهقي، ت السيد أحمد صقر، القاهرة.

- مناقب الإمام الشافعي، للإمام الرازي، ت. د.أحمد حجازي السقا، القاهرة.
- مناقب الإمام الشافعي، لابن كثير الدمشقي، ت خليل إبراهيم ملا خاطر، نشر مكتبة الإمام الشافعي، بالرياض.
- مناهج العقول، للبدخشي، مع نهاية السول، دار الكتب العلمية، بيروت.
- المناهل السلسلة في الأحاديث المسلسلة، محمد عبد الباقي الأيوبي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- من حديث خيثمة، ت. د عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي.
- المنتقى، للإمام ابن الجارود، نشر السيد عبد الله هاشم اليماني، المدينة المنورة.
- المنتقى شرح الموطأ، للإمام الباجي، مطبعة السعادة، القاهرة.
- منحة المعبود بترتيب مسند الطيالسي أبي داود، للشيخ الساعاتي، ط القاهرة.
- المنخول، للإمام الغزالي، ت. د. محمد حسن هيتو، نشر دار الفكر، دمشق.
- المهذب في اختصار السنن الكبير، للذهبي، دار الوطن، الرياض.
- موارد الظمآن بزوائد ابن حبان، للحافظ الهيثمي، ت الشيخ عبد الرزاق حمزة، المطبعة السلفية، القاهرة.
- موافقة الخبر الخبر، للحافظ ابن حجر، ت السيد صبحي السامرائي وحمدي السلفي، مكتبة الرشد، الرياض.
- المواهب اللدنية مع الشمائل المحمدية، ت الشيخ محمد عوامة.
- الموضوعات الكبرى، لابن الجوزي، نشر المكتبة السلفية، المدينة المنورة.

- الموطأ، للإمام مالك، ت الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب الحديثة.
- ميزان الاعتدال، للحافظ الذهبي، دار الكتب الحديثة، القاهرة.

- ن -

- نزهة النظر، للحافظ ابن حجر، ت الدكتور نور الدين عتر، دار الخير، دمشق.
- نسب قريش، لمصعب الزبيري، دار المعارف، القاهرة.
- نشأة علوم الحديث، خليل إبراهيم ملا خاطر، تحت الطبع.
- نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية، للحافظ الزيلعي، ط القاهرة.
- النظم المتناثر في الحديث المتواتر، السيد محمد بن جعفر الكتاني، تصوير دار الكتب العلمية، بيروت.
- نكت الزركشي، ت.د.زين العابدين بلا فريج، أضواء السلف، الرياض.
- النكت على ابن الصلاح، للحافظ ابن حجر، ت. د. ربيع المدخلي، المدينة المنورة.
- النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير الجزري، ت الدكتور محمود الطناحي والأستاذ طاهر الزاوي، ط القاهرة.
- النهاية = الفتن والملاحم، للإمام ابن كثير الدمشقي، ت الشيخ إسماعيل الأنصاري، مؤسسة النور، الرياض.
- نهاية السول، للأسنوي، مع شرح البدخشي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- نهج البلاغة، بشرح ابن أبي الحديد. بيروت.

- و-

- واجب الأمة نحو نبي الرحمة ﷺ، خليل إبراهيم ملا خاطر، دار القبلة، جدة.

- وفاء الوفاء، للإمام السمهودي، ت الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، للواحدي.

- ي-

- اليواقيت والدرر، للحافظ المناوي، ت ربيع السعودي، مكتبة الرشد، الرياض.



فهرس الكتاب

